

الملف الوثائقي

للكتورة

خاتمة عبد الرحمن

(بنت الشاطئ)

المجلد الثامن

(٢)

ويشحنون لحربه اسلحتهم الخبيثة من المكر والكيد والسم والفتنة والجدل المعنت فضلا عن جبهة ثلاثة من المتكلمين الذين ابتل بهم الاسلام في دار هجرته . ولقي من عننتهم وتخذييلهم اشد مما لقي من طواغيت اريش .

xxx

والتحول التاريخي لموقع المعركة لا يمكن لهمة بل الوجه الشائع الذي يحسب ان الهجرة عزلت مكة عن مسرح الاحداث . بل تظل مكة في صميم الصراع الدائر بهذا يتنقل . وقعة الى شمال او جنوب .

ويظل البيت العتيق مهوى الفئدة المهاجرين والانصار وقبلة صلاتهم . ومثابة حجهم . وان تكن ابواب مكة في وجوههم موصدة .

ولم ينس المهاجرون وطنهم الاول مهد المولد ومغنى الصبا . ومثوى الابرار من قديم الزمان . ولا كان فيهم من ودعها الا وقلبه مثل بالشجن . وكانما كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يعبر عما يجدون حين وقف ساعة خروجه للهجرة يستوعب ربوع مكة بنظرة حزينة ويقول مودعا :

« والله انك لاحب ارض الله الى الله . وانك لاحب ارض الله الى . ولولا ان اهلك اخرجوني منك ما خرجت . »

ورغم ما حطت به الايام الاول في دار الهجرة من مراسم الترحيب والمؤاخاة وشوالمحل التكظيم لتجتمع الاسلامي الجديد كلفت وطاة الحنين ترقق انفسهم . فترهق حساسيتهم لتغير المناخ . والمثير منهم سلم واجهتهم الحمى فكثروا يهذون بالملوى من اشواقهم ومواجد حنينهم . ويبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم - حدثته به السيدة عائشة رضي الله عنها - فيقول :

« اللهم حبب اليك المدينة كما حببت اليك مكة أو المدينة . »

واستجاب الله تعالى لدعاه نبيه المصطفى . احبب اليه والى امته المدينة واهلها الانصار فكانت مركز الدعوة حتى جاء نصر الله والفتح وبطل الناس في دين الله الفواجا . ولها الحرم النبوي الذي الحرمين ومدرسة النبوة وقاعدة الخلافة الراشدة . ومنطلق كتائب الفتوح الكبرى التي حملت لواء الاسلام لرفعته عليا على اقطار دولته من أقصى المشرق الى أقصى المغرب . منارا هاديا للانسانية ودليل حضارة رائدة رائدة . حدث مسرى البشرية في دياجي عصورها الوسطى .

الحمد لله . وسلام على عباده الذين اصطفى . صدق الله العظيم

الذي شغل يهود يثرب بقدر ما شغلهم ان الاسلام دخلها . وكان الظن ان يبقي محصورا في مكة بين احياء قريش وعشائرها يمزقها بددا .

ومضى عام والانصار الخزرجيون - دون ان الدعوة الى الاسلام حتى حل موسم الحج من السنة الحادية عشرة للمبعث وفي الركب الينبري ثنا عشر رجلا من الاوس والخزرج لقوا النبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة وباعوه . ورجعوا الى يثرب ومعهم الصحابي الجليل . مصعب بن عمير بن هاشم العبدري القرشي . رضي الله عنه حدث امضى علما منك املا لانصار يؤمهم في الصلاة ويقرئهم القرآن ويعلمهم الدين .

وفتحت يثرب بالقرآن واستهل موسم الحج . لاثنتي عشرة سنة من المبعث فخرج امام الانصار في ثلاثة وسبعين رجلا وامراتين منهم علي بن ابي طالب النبي صلى الله عليه وسلم بالعقبة في ليلة «مينة» من ليالي التشريق حيث كفت بيعة العقبة الكبرى ايذانا بالتحول الحاسم لحركة التاريخ بين مكة ومكة الوثنية الارشية ويثرب التي كذا . ولقنت مقلدا لليهود .

ولم تكن الهجرة التاريخية بذلا واحتما لحسب بل كانت كذلك تحركا الى موقع خطير في حافة الحرب وقد اثن الله تعالى في القتال للمؤمنين الذين اؤذوا وظلموا واخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله .



عل ان هذه الجبهة لم تكن اخطر ولا اضرى من جبهة اخرى كلفت تنتظر الاسلام في دار هجرته حيث اليهود الطارئون عليها يتربصون بالاسلام الدوائر

يذكر التاريخ ليثرب . ان لم يكن في الدنيا غيرها دار
اسلام عندما استقبلت النبي صلى الله عليه وسلم ومناجبه
الصديق ابا بكر رضي الله عنه . في السنة الثالثة عشرة
للمبعث . وقد سبقها المسلمون الاولون اليها في العلم
الاخير قبل الهجرة التاريخية مهجريين من مكة ام الكرى
ودار المبعث . لم يبق فيها غير من خيس لو فتن .
والي ما قبل الهجرة بثلاث سنوات لم
يكن ليثرب ظهور واضح على مسرح
الاحداث للمراع العنيف الدائر في مكة
بين الاسلام والوثنية الفرسية ويثرب -
في ظاهر الرؤية الادبية - مشغولة
بالفتن الحلقه بين اثنها العرب الاوس
والخزرج نالت فيها بينهم حروب
حاصدة لمضى خمسة قرون قبل الاسلام .
سهر فيها اليهود الطارئون على الحجاز
على الهلب شرماها بالفس والوقيعة
والتواطى والثامر . ترسيخا لوجودهم الدخيل المقتصب .
غير ان منطق الاحداث لم يكن ليدع يثرب بمعزل عما
يدور في مكة . العاصمة الدينية والاقتصادية والادبية
للحرب اجمع . ويهود يثرب يملكون السمع الى حركة
التاريخ في اتجاهها الحتمي نحو يثرب التي كانت شبه
مستعمرة لهم منذ طراوا على المنطقة من ارض كنعان فراوا
من وطاة الرومان السالطة . فلما نبأوا ان رسخوا وجودهم
في المنطقة . على حسب الوجود العربي لاهلها الاوس
والخزرج الممزق بالعداوة والبغضاء .

دار الفجيرة ، ومركزة التاريخ

بقلم : د . عائشة عبد الرحمن
(بنت الشاطئ)

يا نسا من خير ليل ، يدعو الله جل جلاله ضارعا :
اللهم : اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي
وهواني على الناس يا ارحم الراحمين انت رب
الضعفين وانت ربى الى من تكلمنى ؟ الى بعيد
يتجهمنى ام الى عدو ملكته امرى ؟ ان لم يكن بك
غضب على فلا ابالي ولكن غلبتكم هي اوسع لى .
اغوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح
عليه امر الدنيا والاخرة من ان تنزل بى غضبك او
يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا
قوة الا بك . .

xxx

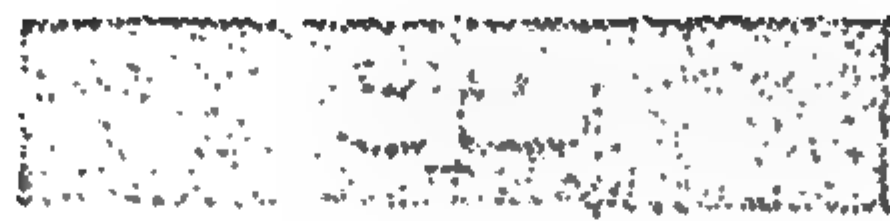
رجع الى مكة والخمسة قد استهل غرض على عذته
يعرض دعوته على ولود القبائل العربية وقومه اشد
ما كانوا عليه من خلفه الا قليلا ممن امن به .
وبدت الجولة الى اولها كسبلت لها مدعاة ان
ياس : تنقل بدعوته بين منازل القبائل الى مجتمع
الحاج بمعنى : فردوه وصدوا عنه . ومن حيث بدت
الابواب كلها موصدة في وجه الاسلام ظهرت
يثرى : على الافق شمالي الحجاز تجذب اليها
مجرى الاحداث من دائرته المظلمة .

بمكة : للى العقبة لى صلى الله عليه وسلم نظرا
من الخرج دعاهم الى الاسلام فاستجابوا له . ثم
الخذوا طريقهم الى الشمال عائدون الى يثرب والاسلام
معه : كانوا ستة نفر او سبعة ، لم يكن عددهم هو

في السنة العاشرة للمبعوث كانت بادرة تحول
وشيك في مجرى الاحداث . فلى شهر رمضان منها
توليت : السيدة خديجة : ام المؤمنين الاولى وزوج
المصطفى وسكنه ووزيره . ومات في العام نفسه
ابو طالب بن عبد المطلب . عم المصطفى وكامله
وناصره على قومه .

واحسن صلى الله عليه وسلم من قدمها وحشة
الغربة في بيته ودار مبعثه واشتد حزنه عليهما وقد
بلغت الجولة المكبة ذروة تعقدها وقريش حريصة
على الا تحسمها بحرب في البلد الحرام . والمسلمون
يزدادون على الاذى والاضطهاد والمظلمة والحصار
صبرا وثباتا واحتمالا دون ان يؤذن لهم في قتل
تمحيصا لهم وابتلاء .

ولم يكن المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى
عام الحزن . - السنة العاشرة للمبعث - قد خرج
بدعوته من ام القرى الا ان يلقى ولود القبائل في
مواسم الحج . فيدعوهم الى الاسلام . لكن عشر
سنتين من الصراع الشلق بينه وبين طوائف
المشركين من قريش فرضت ان تأخذ حركة الاحداث
متجها خارج نطاقها المعقد المسدود . فخرج صلى
الله عليه وسلم الى الطائف غير بعيد من مكة
يلتمس النصرة من ثقيف حيث لى ثلاثة اخوة من
بنى عمرو عمير الثقفى هم وقتئذ سادة ثقيف
فتمسكوا رده واغروا به سفهاءهم حتى رجع محزوننا



د. بنت الشاطئ

الكتاب الأدب النبلي المصنف

تقبل سفرها الى المملكة المغربية حيث تشغل د. بنت الشاطئ كرسى التفسير والتحديث فوجهت اليها بتساؤلات عديدة من الادبيات
المصريات والعربيات حول تجربتها الادبية ومتابعتها للحركة الادبية النسائية المعاصرة فكانت بصراحتها المستبعدة .
فكانت صراحة بانفسى في هذه المرحلة من العمر غير مألوفة لهذا الحركة الادبية النسائية المعاصرة لهذا انخرج من التعليل غليبا .

لديها وجداني فنانتي فنانتي مع الادب في ريف
الغربية بلد والدي والى ريف ده ياد بلدة
اسى ودي مولدى وقد كنت من ذلك
مجموعات قصصية اذكر منها : صبور من
حياتي ، ذلت جائزة ، المجمع اللغوى ،
للخدمة القصيرة ومجموعة دسر
الشاطئ ، ظهرت في الكتاب النفسى لم
الرواية المصرية قدمت قصتي (رجعة
فرعون) وكانت بمثابة قطب المودع
موسم ، التي على عليها في صحن
الحجر وكانت المودع ساوية بلما احتلها
بنائها الى المذهب المصرى القديس
الاسلام ، لشهود القتل ولقولنا بان
المودع لم تكن القاتل من مذهبها حتى
تخلصت فكانت رؤيا ان ارادة اليك ايتت
الجلد من الاله الصديق ثم لما اذلت الروح
على واقع الحياة في مصر فكانت ارادة
الحياة فتعالت ومعهها قصة امرأة خاطنة
وهي قصة الانعام في ريف مصر ونادى
معه في كتابه وبقوله الشهاب ، واما مصر
من حيلتين ، فكانت قصصها لجبل من
الصحراء احرك المرأة المصرية وان
تخرج من جدران العيون لتكاد في صغار
الاسماء والاشياء والاشياء في حيلتين
الحياة .

لم تساهل عن تجربة الذكورة
عائشة ، في كتابه قصة وابن احسبوا
في كتابه القصة كانت رواية في حياى
ولم احاول تاليف قصة بل كنت اذيل
القامل في صور الحياة من حولي وكفى

ذكرتها بمائتها الشهير عام ١٩٥١ في
الدفاع عن المرأة ، لسنا شرا من الرجال ،
والذى كانت فيه .
فما من شك في ان لجنسنا - كما ان
للجنس الاخر عيوبه واخطائه :

التاريخ : ١٢ / ١٠ / ١٩٨٩

الموا

[illegible]

• بنت الشاطئ •

استاذ الدراسات العليا
بكلية الشريعة جامعة القرويين

السيريات : آيات الصفاء ..

كتب حديث المولد وميليب حتى انه محمول على احاديث المناسبات العجبة ، عند من يقضون من شكريات ايماننا التاريخية الدينية التي يتجدد بها وعينا لوجود امتنا بين ماض وحاضر ، وتشهد لاعتزازنا بشرف الانتماء اليها والولاء لعقليتنا وانزاعنا لموضعها في موازين القوى .

جماهير الشعوب الاسلامية تعرف بشريكات المولد ومشاهده ، واسفة في وعيها لتاريخها ووجودها فحست الذكرها بما غفلت عنه ، ومضى نسيتها العهد حتى نذكرها ؟ هيئت هيئت .. وانما اتجه بالحديث الى بشريكات المولد ، لتجلى فيها قيمت الاصطفاء وان بيت للفلسطين من مياغات الصف المشواء او من الفانين السمر ومجولات الرواة يستجيبون بها لمواجد المعين ووجدان الجمالير .

(٢)

وتفسيحت مخطوطات الحمل والام
المخلص ..

ولم ترحبهم المطرة الانسانية الا
تحقيقا لازادة البقاء وامتدادا
للحياة . على مليونهم من تفلوت
بعيد ..

من هؤلاء المواليد الذين لا يحصى
هذا ، عدد غير قليل ولدوا في ام القرى
لبني هاشم وعشيرة قريش صفوة
العرب المدنية من بني ، اسماعيل
ابن ابراهيم عليهما السلام ، ولا يعرف
تاريخ مكة انها استقبلت اي وليد
منهم ، بمثل ما استقبلت به بشرى
مولد النبي الهاشمي ، محمد بن عبد
الله بن عبد المطلب ،

الخلق عز وجل بمصطفى من عباده
بن يشاء ، ولقد حلت بهذا انوليد
الهاشمي ظروف فريدة ، جعلت مكة
مرحلة الوعي لبشرية مولده تتجلى
فيها نيت الاصطفاء .. لم تحرص على
متابعة سير الحياة بهذا الوليد
الهاشمي الى ان بلغ اشد واصطفي
خاتما للنبيين عليهم السلام فاختت
البشرية موضعها الجليل في السيرة
النبوية واعلام النبوة ، وتجرد علماء
الطبقات الاولى من عصر الصحابة
ومعلم التابعين لتوثيق ما رعت ذاكرة

في مكة ، ام القرى كان مولده ،
والجارية ثلثين بمصطفى ، والتاريخ
المعلم يترصد نثر الانبياء لعلم يريد
ان يخلص ..
وضمته امه بشرا سويا في دار امه
عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي
القرشي ، بدار البيت العتيق ، الدم
بيت عبد الله الله على الارض
ونور الفجر يبشر بصبيح جديد
والنبيات تنفتح لموكب الشروق
وتستقبل مع انفس الصباح انفس
الوف الوف من بني البشر ولدتهم
امهاتهم من مختلف الاجناس وشتى
البقاع في تلك الليلة النيرة من ربيع
الاول ..

منهم من ولدوا في اعشور مصر
والشم ومارس والروم ..
ومن ولدوا في مجمل الطر ونجوع
البلاد وادغال الخليل وكهول
الجيل ..

تباعدت بهم الاصول والانساب ،
وتفلوت الاوان والاجناس ،
وتناحت الاعراق والمايلت ..
وجمعهم بنوهم للبشر ، كلهم
لائم وهوا ..
وتماثلت فيهم اية الخلق ،

(٣)

الله لربنا لرب الكعبة وأفاء بنذر له
حين اهتدى إلى بشر زمزم بعد أن
طمرتها رمال الزمن
لم يكن لداود عبد الله بعثة من
الإبل نحرته عنه هناك ، وانجسبت
المشاعل في أم القرى وسهت مسيرها
تسترجع نكري قصة النبيح الأول
« اسماعيل بن إبراهيم » عليهما
السلام حين هم أبوه بذبحه طاعة
وتعبداً لعداء الله يلجح عظيم بعد
ذلك البلاء المبين .

إنها القصة التي وعثها ذاكرة مكة
من عهد اسماعيل ، تتكرر في حمى
البيت العتيق الذي رفع إبراهيم
القواعد منه واسماعيل وطهراء
للطائفين والعائدين والركع
السجود ، واسماعيل عليه السلام جد
العرب العدنانية وعبد الله المقتدى .
من صريح ذرية اسماعيل ، صفة

مكة من بشريتك المولد ، لم كعد تلت
منها شيئاً ذا بال .

الليلة من بدنها كانت مقمرة
وأعده ، يثيرها قمر أوشك أن يكتمل
بدراً ، وتؤنسها أطراف ورؤى للوالدة
طوال حملها ، فتعيناها على تجربة
المخلص ، ويبرغ نور الفجر وقد
وضعت كما تضع كل والدة من
البشر ، وفلحس عللها بقلوب والانس
والخبطه ، وهي ترنو إلى وليدها
الغالي وتذكر به آباء الحبيب الذي
أودعها آباء لم ودعها ورجل ..

وكانت مكة حين تلت بشري
المولد تحتفل بنجاتها من أصحاب
الليل الذين أرادوا بها كيدا فجعل
الله تعالى كيدهم في تضليل .

ورأت مكة في مولد اليتيم الهائم
أبلى الاحتلال بالخلاص من أصحاب
الليل ، أية تذكر بلخرى يوم هم « عبد
المطلب بن هاشم » بنحدر ولده عبد

في لرى يارب . لم يقبل القضاء فيه
هذه المرة أي لءاء .

ولبست مكة ثوب الحداد على زين
الشبل الهلنسى الذى احتللت قبل
اشهر بءائه وعرسه . وثلثت زهرة
قريش ول كفيها خطيب العرس .
وخيف عليها من وطاة الحزن حتى
احست خلقة جنين في رحمها فاشرق
وجهها بنور الالهام وكانها عرفت
جواب ماطلنا لساطت عنه . عبد الله
لم يلد من الذبح عبدا . ول المهلة
ملين لءاله وموته اودع عروسه هذا
الجنين الطيب الذى يعطى حلاث
الءاء لتسيره ومنطقه . ويجعل
لحياتها بع . عبد الله قيمة
ومعنى .

وانستها الرؤى والجهاتف حتى
استحلت شهور حملها ووضعت
وليها فجر النبلة المفرة من شهر
ربيع الانور عام الفيل . فبوركت
النبلة الغراء بمولده . وخلصت حل
الايلم نشيدا في وجدان الامة ول سمع
الزمن .

رضى الله عن امير شعرائنا إذ
يشدو لجولنا بهمزيتة القصماء :

ولد الهدى فلكائنات ضياء
ولم الزمن تبسم ولقاء
الروح والملا الملائك حوله
للدين والدنيا به بشراء

المنطرة من قريش جيرة الحرم
المكى .

غير مستبعد ان يربط المكيون بين
الذبيحين وان يحتفلوا بعرس عبد
الله من . امته بنت وهب القرشية
الزهرية . الر لءاء . ليتوقع له ذور
الحس المرمك منهم امرا جليلا ككلاى
كلز لءده الاعلى اسماعيل بعد
الءاء .

ولغير مستغرب كذلك في مثل هذا
المناخ الدينى للبلد العتيق . ان تهلو
لقوب نساء كريمات من قريش الى عبد
الله . لم ينصرفن عنه زاهدات فيه
بعد زواجه بالسيدة امته بنت وهب .
زهرة قريش .

في ليالى العرس رات كان شعاعا من
النور يشع من كباها اللطيف ليضئ
الدنيا حولها وسعت هائلا يبشرها
بأنها حملت بسيد البشر .

وحين ودعها عبد الله بعد اشهر في
رحلة قريش صيدا الى الشام . كان لها
من رؤيها ما يؤنس وحشة فراق لم
يدر العروسل ان انه ااق لا لقاء بعده
في هذه الدنيا . ولا خطر لهما على بل
اذها رحلة بغير ماب .

في طريق الابل المت بعبد الله
وعكة طفرلة لتخلف عن لقللة قريش .
عند اخوال ابيه بنى النجار بيلرب
ريلما يسترد صحته وعافيته فلم يلبث
الا قليلا حتى لحاله الموت ودفن هناك

صديق ذهب .. وقلمه في يده

د . بنت الشاطبي

لم يغب عن قرائه واصدقائه في رحلته الى
امريكا للعلاج .. فقد كان معهم على البعد
والقرب ، يتابعون اخباره ويدعون له بالشفاء .

وعاد من رحلته مشوقا اليهم ، فاستبشروا
بوعده لقاؤه مع قصته (صديق ذهب) وتوقعنا
نحن زملاءه الاصدقاء ان يعود الينا مع نشر
الحلقة الاولى منها ، واذ كنت على وشك سفر الى
الخارج ، تعجلت لقاءه صباح ظهور الحلقة
الاولى ومررت بمكتبه في الاهرام ، غير بعيد من

(٢)

مكتبى بالدور السادس ، وانا اتمثله يستقبلنى
طلق المحيا ، ياسن الاسلاير ، فراعنى ان لقيت
الزميل ، الاستاذ مصطفى بهجت بدوى ، واجم
اللامح فكاننى سمعت نشيج قلبه وهو يحدثنى
عن نقل الصديق احسان الى مستشفى القاهرة ،
محمولا على طائرة حربية من اسوان حيث كان

يفضى فترة نقاهة مع أسرته ، ويحتفل بلقاء
اصدقائه وقرائه ، فى قصته مع العلم الجديد .
وتوالت النشرات الطبية عن حالته
الصحية ، ما بين استقرار وحرج ، حتى ذهب فى
غيوبة من الوعى ، لم يكابد ازمة احتضار
بطيء ..

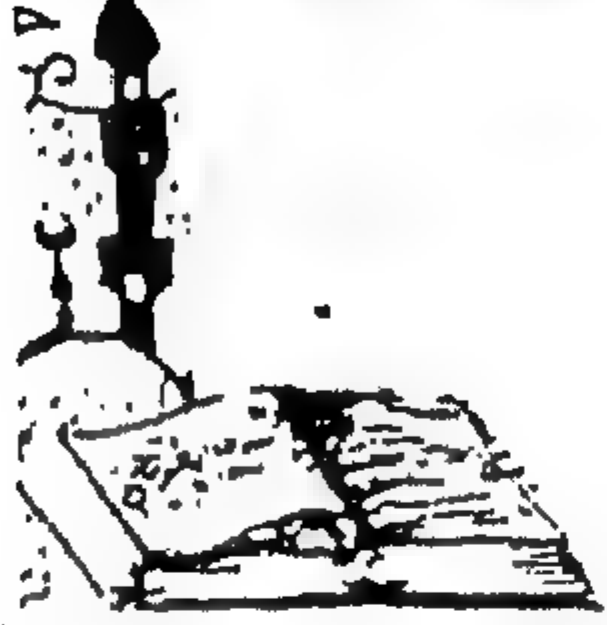
وكانت تحية الوداع ، هذا اللقاء مع (صديق
ذهب) لعلها آخر ما انسه من رحلته الطويلة
بقلمه الملهم وحسه المرفف ووجدانه الحى .

ذهب نقى الفطرة سليم الصدر ، عف القلم
واليد ، عف اللسان والضمير .
من قبله ذهب صديق بعد صديق من الجيرة
الزملاء يشيعهم الى العالم الاخر نبض الكلمة
الامينة وايقاع القلم الحر وتلقانا اطيافهم ، على
العهد بهم حيوية وسماحة ونبلا فتونسنا فى
وحشة انتظار لايعلم مداه الا الخالق عز وجل .
وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى
نفس باى ارض تموت ، صدق الله العظيم

الدكتورة بنت الشاطيء تشارك في أعمال معهد العالم العربي بباريس

رشح معهد العالم العربي بباريس الدكتورة الإسلامية
الدكتورة بنت الشاطيء ضمن ٤٠ شخصية عربية
وأوروبية لعضوية اللجنة الاستشارية للمعهد التي
بدأت اجتماعاتها أمس وتستمر حتى غد السبت وتنتج
الدكتورة بنت الشاطيء إلى المغرب حيث تشرف على
العديد من الدراسات الإسلامية بكلية الشريعة بفاس

شهرنا المعظم



حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ
هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى
وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ
وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ
أَيَّامٍ أُخَرٍ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ
بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا
اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

صدق الله العظيم

بقلم :

د. بنيت الشماطية

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

وآفاق

واقع

الدين
والإنسان

هل هلاله في موعده من السنة القمرية ، لم تعطله
كشوف العصر لكتلة جرم القمر وصخرية
تضاريسه .
ولم ينسخ جديد علم الانسان بظلمة كهوفه . ابنه
المحكمة
(تبارك الذي جعل في السماء سرجا وجعل فيها
سراجا وقمرًا منيرا .)

(٢)

ولا تتفرقوا فيه) وقوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ..) بل تختلف المواقيت الشرعية المحلية ، بمقتضى السنن الكونية الثابتة لاختلاف المشارق والمغرب . وليست ديارنا جميعا على خط الطول لمكة المكرمة .

والمواقيت الشرعية واحدة : هنا وهناك : (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) والشعائر واحدة ، والأحكام واحدة . والموسم جامع للمسلمين كافة : يصومون ، حيث كانوا ، لرؤية هلال الشهر المعظم ويفطرون لرؤية هلال شوال ، تأليه ، احتفالا بعيد الفطر المبارك .

كما يستقبلون ، في صلاتهم ، المسجد الحرام حيث كانوا من شرق وغرب أو شمال وجنوب ، فلا يتصور أن يكون اختلاف مواقع بلدانهم من المسجد الحرام مظهر تفرقة في الدين . بل نتعبد بامرهم جل جلاله : إذ من على رسوله فشرع لأمته القبلة التي يرضاهها صلوات الله عليه وسلامه ، قال تعالى :

(قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ..)

ويحجون إلى البيت العتيق ، ساعين إليه . من كل فج عميق . فيجمعهم الموسم في المواقيت الشرعية لمناسك الحج الواحدة لامة واحدة ..

والمواكب الشعبية للرؤية ، في ديار الاسلام ، ليست ظاهرة بداوة وتخلف ، ولا ينبغي أن تكون مظنة رفض للأجهزة الحديثة للرصد والتوقيت ، فامتنا من أقدم الأمم عهدا بالمرصد . وقد سبقت إلى اختراع الساعة والبوصلة . ونحن في الحواضر والمدن الاسلامية لانجد أي حرج في الإمساك والصوم على مدافع الإفطار والأمساك . مع التنبيه على مراعاة فروق التوقيت بين بلدان الإقليم الواحد ، لا بين قطر وآخر من أقطار العالم الاسلامي . كما لا نتخرج من إقامة الصلوات الخمس على أذان كل صلاة ، مذكأا من محطات الإذاعة بالعواصم ، لا يفوت المذيع أن ينبه على أن التوقيت للمقيمين في المدينة وضواحيها ، وأن على المقيمين خارجها مراعاة فروق التوقيت ..

كما لانجد حرجا في ضبط توقيتنا المحلي على دقات (ساعة بيج بن) المتفق عليها دوليا ، مع حساب الفروق بين خطوط الطول للبلدان الاسلامية المتباعدة ، وبين خط - جرينتش - جنوبي انجلترا .

وتبقى المواقيت الشرعية لعبادتنا وأحكام

من دورته السنوية يعلم المسلمون عدد السنين والحساب ، ومواقيت الأحكام الشرعية المحددة بالسنين وبالشهر مفردا ومثنى وجمعا . فيكفي المسلمين في أي زمان ومكان : في عصر الناقة أو عصر ماريوس ساليوت ، في نجوع البوادي ومنعزل القرى أو في الحواضر والمدن ، أن يشهدوا مطالع الأهلة ومدار القمر في منزله ما بين هلال ومحاق . ليعلموا مواقيت هذه الأحكام ، وإن أعوزتهم أجهزة رصد وتوقيت فلنكي ليست بحيث تتيسر للكافة في كل زمان ومكان . لتضبط لهم مواقيت الأحكام بحساب الشهر والسنة ، أو الحول ، في شريعة أمة القرآن ، ختام رسالات الله عز وجل :

(هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب)

كما يكفي الصائم في أي زمان ومكان ، أن يرقب مراحل الضوء والظلال والظلام من يوم صيامه ، ليمسك عن الطعام حين يتبين له نور الفجر بالميسور للكافة .

(وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ..)

ومهما تختلف التقويم للأقطار الاسلامية في زماننا هذا ، فإن شعوب الامة جميعا تحتشد لرؤية هلالنا المعظم ، بصرف النظر عما يقبله من التقاويم الأخرى .

وعلى الشهر القمري مدار علمها بالسنين والحساب : (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم ..)

الاشهر الأربعة الحرم : ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورابعها شهر رجب الفرد .

وتختلف منازل القمر ومطالع الأهلة في بلدان العالم الاسلامي الرجب ، ويشهد في هذه المرحلة من تاريخنا المعاصر جدلا موسميا في شهود الهلال : رؤية بالبصر أو رسدا فلنكيا لمولده - في الحاضرة الدينية الكبرى للعالم الاسلامي -

العصريون يرون أن الرؤية البصرية مظهر بداوة وتخلف ، وظاهرة تفرق بين الأقطار الاسلامية . ويراهم واقع التاريخ ومنطق الحكمة اية اتساع عالم الاسلام ورحابة أفق نوره ، ومصدق عموم الرسالة الخاتمة للدين . وصلاحياتها لكل زمان ومكان .

(لكل بلد رؤيته) كما في صحيح الحديث عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما لكل بلد مواقيت السحور والإفطار ، والصلوات المفروضة ، ولا شيء من هذا مظهر تفرقة في الدين . ونحن نتعبد بامرهم تعالى (ان اقيموا الدين

شريعتنا . مناط الضبط العام المتاح للكافة على
تفلوت الديار وتنائي الزمان . وتفاوت المستوي
العلمي والحضاري للمجتمعات الإسلامية .
أقول : ليست مواكب الرؤية ظاهرة بداوة وتختلف
لا عرق أمة في الحضارة . ولكنها مشاهد احتشاد
لاستقباله . وابتهاج بقدومه . ولتشهد الدنيا أننا
على العهد والوعد ما استطعنا . شعب أمة واحدة .
لها ولاؤنا وانتماؤنا .

من أفقه العالي . يطل على عالمنا الإسلامي الرحب .
فوق فواصل الحدود وموانع السدود وفوارق النظم
والأوضاع وتعدد التقاويم الرسمية للأقطار
الإسلامية .
وفي رحاب نوره . تتماحي الأبعاد الشاسعة -
فيجمعنا موسم الكبر . على بعد الديار ونأي المزار .
أمة واحدة ..

وتتماحي الأماد المترامية . فيتصل نور هلاله
لشهرنا هذا بمطلع الفجر ليلة القدر . بغار حراء . في
جوار البيت العتيق .

وتتزايل فروق العصبية والبيئات والطبقات .
فيما نقيم من شعائر الشهر المعظم صوما وعبادة
ونسكا . ورياضة موسمية على المجاهدة . وامتحانا
لثقوانا وتمخيصا لأنسانيتنا . يجوع الصائم
والطعام ميسوره . ويظما والماء منه قريب . ويجد
راحة الحرمان من مالوف رغباته والتحرر من قيود
عاداته والتدريب على مقاومة شهواته المادية .

لا يتقي غير خالقه . ولا رقيب عليه سوى نفسه
اللوامة :
(وما لأحد عنده من نعمة تجزى . إلا ابتغاء وجه ربه
الأعلى . ولسوف يرضى)

رمضان كريم .
على موعد من هلاله . تشرئب إليه قلوب المؤمنين
حيثما كانوا . نورا لبصائرهم من حجب الغفلة .
وتجديدا لحيوية أنفسهم وضمانهم مآران عليها
من صدا القسوة وغلظ الحس وأنقل المادة ودواعي
القنوط

(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله . ألا بذكر
الله تطمئن القلوب)

رمضان كريم .

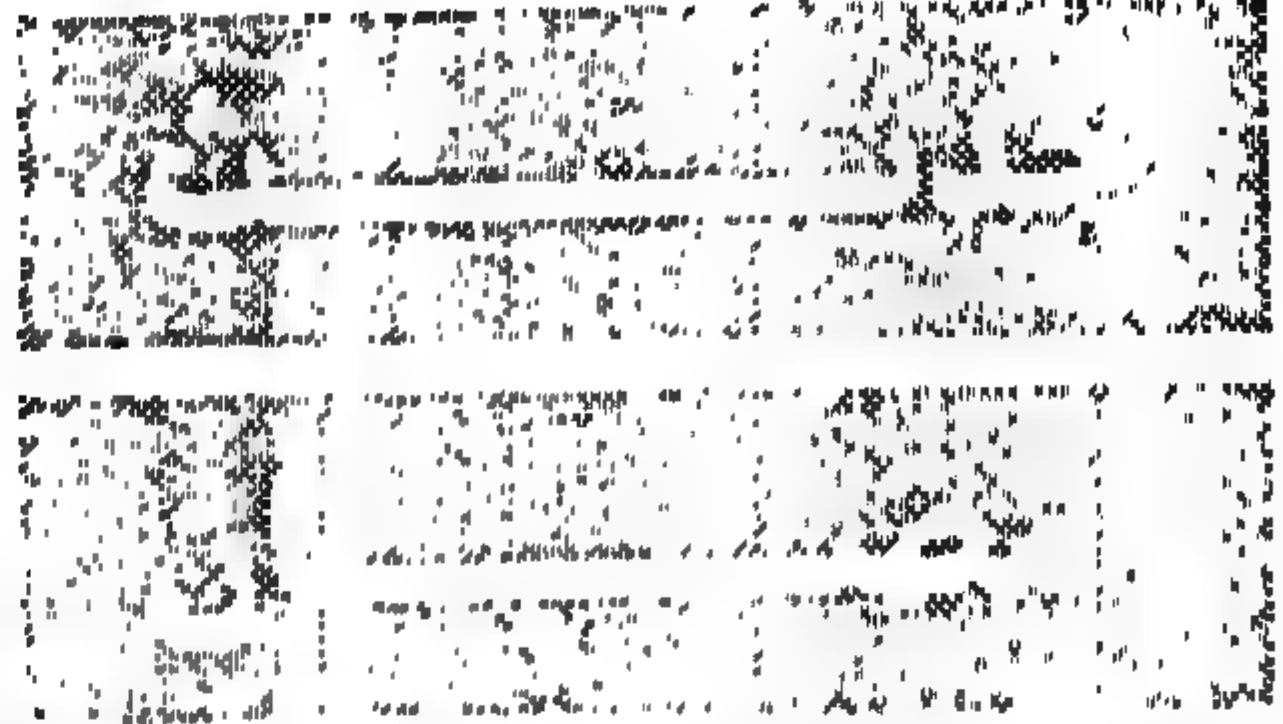
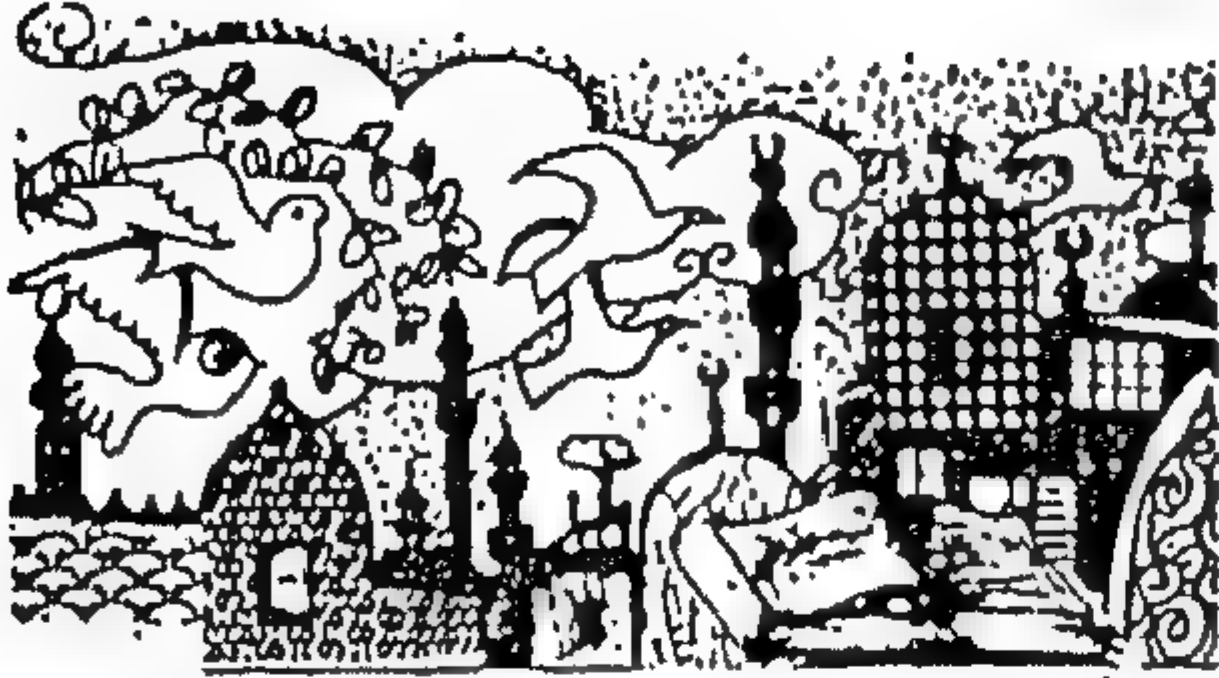
نستقبله هذا الموسم . وعلى الأفاق الرحبة من سنا
نوره وبواكير عطائه . ملامح عالم جديد يحق
التفرقة العنصرية ويرجم الطاغوت . وينسخ غواشي
المادية الالحادية . كاشفا عن عقم محاولتها جحد
إنسانية الدين . ونقض نظريتها الواهية في التطور
بمادية تعطل أمانة الإنسان الصعبة . واستلاب ما لا
يكون الإنسان بدونه إنسانا .

رمضان كريم .

كرمه الله تعالى فآثره بنزول القرآن فيه . وفرض على
أمة القرآن صيام الشهر . قاعدة من قواعد الإسلام
الخمس . وشرع لنا شعائر الاحتفال به . صوما
وعبادة . ونسكا ومجاهدة :

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس
وبيينات من الهدى والفرقان . فمن شهد منكم الشهر
فليصمه . ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام
آخر . يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر .
ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم
تشكرون . . .

صدق الله العظيم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تُمْ كُفْرْتُمْ
بِهِ مَنْ أَصْلٌ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * سَأُرِيهِمْ
آيَاتِي فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ
لَهُمْ أَنََّّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ
أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * »

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ



بقلم :

د . بنت الشاطي

أستاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين والإنسان واقع وآفاق

إن يكن الذين تهافتوا على الإلحادية المادية قد بغتتهم
فجاءة تداعي بنيانها والتصدع لما ظنوا أنه لن يبدي أبدا .
فمن كتاب الإسلام ، ختام رسالات الدين ، نقتل من آيات
الله تعالى في ثبات السنن الإلهية للكون والحياة ، اعتبارا
بما مضى عليه الغالبون :

(٢)

مرت عشرات سنين دأبوا ، ومقولات الحادية المادية لم تاتن جماهير المسلمين ، ولا اعتنق مذهبها سوى دعاته المتكفين المتنورين ، فكانهم إذ يبشرون بها ، يحاورون أنفسهم ، وأما الجماهير فالحوار بينهم وبينها مقطوع . ومعروف من تاريخ التعليم في الشرق الاسلامي الكبير إلى منتصف القرن الماضي ، أن الجنود المدربة من الاستشراق التبشيري والعلماني ، ومن التجار الذين جلسوا خلال الديار ، أكدوا القومهم الأسبيل إلى غزو بلاد المسلمين واللواء الواحد يجمعها ، والمدرسة الاسلامية موحدة المنهج واللوائح والنظم والتربية والسلوك والكتب والشيوخ ، فيتعلم الطالب المشرق في الهند والسند وبخارى وطشقند وسمرقند ونيسابور وطبرستان ، وفي العراق وتركيا والشام والحجاز ونجد واليمن ، ما يتعلمه الطالب في وادي النيل والشمال الافريقي والمغرب الأقصى : يبدأ بحفظ القرآن كتابا أول قبل أن يتصل بأي كتاب آخر ، ويتعلم تجويده على متون مشتركة ، ثم يتلقى مبادئ علوم العربية والاسلام في كتب موحدة ، بعدها يأخذ طريقه حيث توجه مواهبه وتعين ظروفه ووسائله ، فيدرس علوم التخصص في العربية والاسلام ، أو الطب والكيمياء والصيدلة ، أو الطبيعيات والرياضيات والفلك والجغرافية

بعد أن تزود بثقافته القومية الموحدة في المرحلة الاسلمية ، لا تختلف في مشرق عنها في مغرب .. ورحلات العلماء تعبر العالم الاسلامي بغير حدود ، والتبادل الفكري والعلمي والتعارف الثقافي يتم على أوسع نطاق ...

والقى الاستعمار بكل ثقله في معركة التمزيق السياسي والثقافي لقطار الأمة الواحدة ، وعبأه الكنائس والأسلحة المادية والمعنوية ، وانتشرت إرساليات التبشير والبعثات العلمانية تفتن من استطاعت من أبنائنا ، وتبتريهم من جذور أصالتهم وترسخ فيهم عقدة الشعور بأن قديمتنا كله ، عقيدة ولغة وتراثا وتاريخا ، علة تخلفنا وتسهر على تخريبهم بعد ترسيخ عقدة الفرنجة فيهم ، ليكونوا في أوطانهم وبين أهليهم وأبنائهم بلدهم ، أجناب غرباء ...

(استكبرا في الأرض ومكر السييء ، ولا يحيق المكر السييء إلا بأهله ، فهل ينظرون إلا سنة الأولين قلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ...) وقد شهدتهم المرحلة يظهرون فينا لأكثر من نصف قرن ، مباهين بعصريتهم التي تؤهلهم لقيادة فكرنا القومي من غياهب الرجعية ، ويحملون مشاعل التنوير للهيمنة على عقلية أبناء جيلنا وانتزاعهم من تربة أسلافهم الجهلة ، إلى منابت عصرية يتولى استنباتهم فيها مثقفون عصريون كبار .

ويعصمنا الاسلام من التطاول على مخالف لنا في الملة والمذهب ، وليس من المنهاج الاسلامي للسلوك ، مجاهلة من يتطاولون علينا ، وإنما لندرج أن نكون من عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . . .

فلندرج في النظر في مبادئ المنهاج الاسلامي لأدب المجادلة ، إلى موضعه من سياق قضايا الموسم ، بإذنه تعالى وعونه ، وأتجه بالحديث اليوم إلى أبنائنا الذين قد يؤخذون بزخرف القول من بضاعة العصرية والتنوير ، تدق لها أجراس الدعاية وأبواق الاعلان .

هل الدين رجعية (من حفريات كهوف موهلة في أغوار الماضي السحيق ، كما يقول ، كبير المبشرين فينا بالتنوير ؟

قبل صدمة (البرويسترويك) كانت مقولتهم المرددة أن الدين أفيون الشعوب ، وأن الاحادية المادية وعد البشرية للافاقة من خدر الافيون .

ومضت عشرات سنين ، ورسلا المبشرون فينا بوعد الخلاص من الغيبوبة ، يتصدرون مراكز قيادية لتنوير فكرنا الرجعي المتخلف ، ولبثت أصواتهم تخرج من مراكزهم الاعلامية فيبثها الدعاة في الديار طولاً وعرضاً ، تخليل الجماهير بنعيم الفردوس الضائع ، وبشرى التحرر من . أوهام حياة آخرة يحاسب فيها المرء على كل أعماله وأقواله وهو أجسه ، وويل للعصاة من عذاب الحليم . . .

(٣)

بأننا شيد الذكر وشدو الشعراء ونجوى المحبين ، فترهف
وجدانهم وتقلوم ما يتسلط عليهم من الأغاني الساقطة
المبتذلة والترفيه الماجن الرخيص ، وتعودهم من أفانين
السحرة والاعيب الحواة .

★ ★ ★

من ثم لم يتصل حوار بين جماهير شعوبنا ، وبين
المثقفين العصريين دعاة التنوير المبشرين بترياق الافاقة
من خدر (أفيون الشعوب)

وإذا كانت أجهزة البث الاذاعي والنشر الاعلامي قد
تكفلت بأن تحمل مقولات التنوير العصري وتبثها في الناس
على أوسع نطاق ، فليست بحيث تبلغ من جماهير شعوبنا
الامية مسمعا ، وليسوا من الغفلة بحيث يجور عليهم زيف
عصرية من رجع الصدى لما قاله الوثنيون من قديم
الزمان ، فيما نثلو من آيات كتابنا المحكم ، في المكذابين
بالدين والبعث :

(وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما
يهلكنا إلا الدهر ، ما لهم بذلك من علم إن هم إلا
يظنون . وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حججهم
إلا أن قالوا انتوا بآياتنا إن كنتم صادقين)
(بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون
هذا شيء عجيب أنذا متنا وكنا ترابا ، ذلك رجع
بعيد .)

(وقالوا أنذا كنا عظاما ورفاتا أننا لمبعوثون
خلقا جديدا قل كونوا حجارة أو حديدا ، أو خلقا مما
يكبر في صدوركم ، فسيقولون من يعيدنا قل الذي
فطركم أول مرة)

★ ★ ★

وتتغير الذرائع ، وهيئات أن تطفئ نور الله في قلوب
المؤمنين ، أو تفتنهم عن دينهم بوطاة طاغوت أو كيد
ساحر ومكر دجال ودهاء محتال :
• يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو
كره الكافرون .
صدق الله العظيم

وكشفت معارك التحرير التي امتد ميدانها على الساحة
الكبرى لوطننا الكبير ، أن ضمير الامة بقي سليما مرهف
الوعي بما حملها القرآن من أمانة الانسان وتكاليف وجوده
الحر ، رفضا للعبودية لغير خالقه ، وغضبا لحرمان
لايحل أن تنتهك أو تستباح .

★ ★ ★

وجاء الاستعمار الحديث باقنعتة الجديدة وأسلحته
العصرية ، يشغلنا بصراع المذاهبيات وتطرف
(الايديولوجيات) ومعارض الازياء والانماط ، ومعتك

النظم والاوزاع يمزقنا أحزابا وشيعا بعد أن مزقنا أقاليم
وقوميات وعصبيات وثقافات

دون أن يغفل عن الهدف غمضة عين : انتعشت
الاسرائيليات في أنماط محدثة ، وراجت فينا من
بضاعتها ، بدع التاويل العصري والالكتروني للقرآن تلح
عليهم بمخدرات أفيون عصري مسقط للوعي

وحورت اللغة العربية لأنها لغة القرآن . ولسان
الملايين من أبناء أمته وضع تراث الاسلام وشوّه تاريخ
الاسلام وزيفت حضارة الاسلام ، سدا للذرائع التي تعصم
الامة من فقدان مناعتها وحصانيتها ، والانفصال عن جذور
أصالتها

فلئن كان المثقفون العصريون قد توزعتهم شتى
المدارس ... والثقافات طرائق قديدا ، وتنازعهم جواذب
التيارات والمذاهب بين مد وجزر ، وعن يمين ويسار ،
فلولا مبعثرة متناكرة .

لقد بقيت المدرسة القرآنية في كل دار وزاوية ومسجد ،
مفتوحة لأفواج الاميين دون قيد أو شرط من لوائح رسمية
ونظم مدرسية ، تتلو عليهم من آيات الله ما يركزهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة

بقي القرآن يتلى في الدور والزاويا والمساجد ، وفي
المجامع ومحافل الذكر في الايام والاعیاد والمواسم ،
ويتلون منه في صلواتهم وشعائر عباداتهم وفي أدعيتهم
ووصاياهم ، وفي مواسمهم وتواصلهم وتراحيمهم ، ما
يعصمهم من الضلال في تيه هذا الزمان :

ويشهدون الصلاة جمعا ، وينصتون إلى أئمتهم
يعلمونهم سنن دينهم وسيرة نبيهم ، صلوات الله عليه
وسلامه ، ويعظونهم بما يناسب الاحداث والنوازل من
مواضع الاعتبار بما مضى من تاريخ الامة ، وتشدو الأفاق



حديث

رمضان

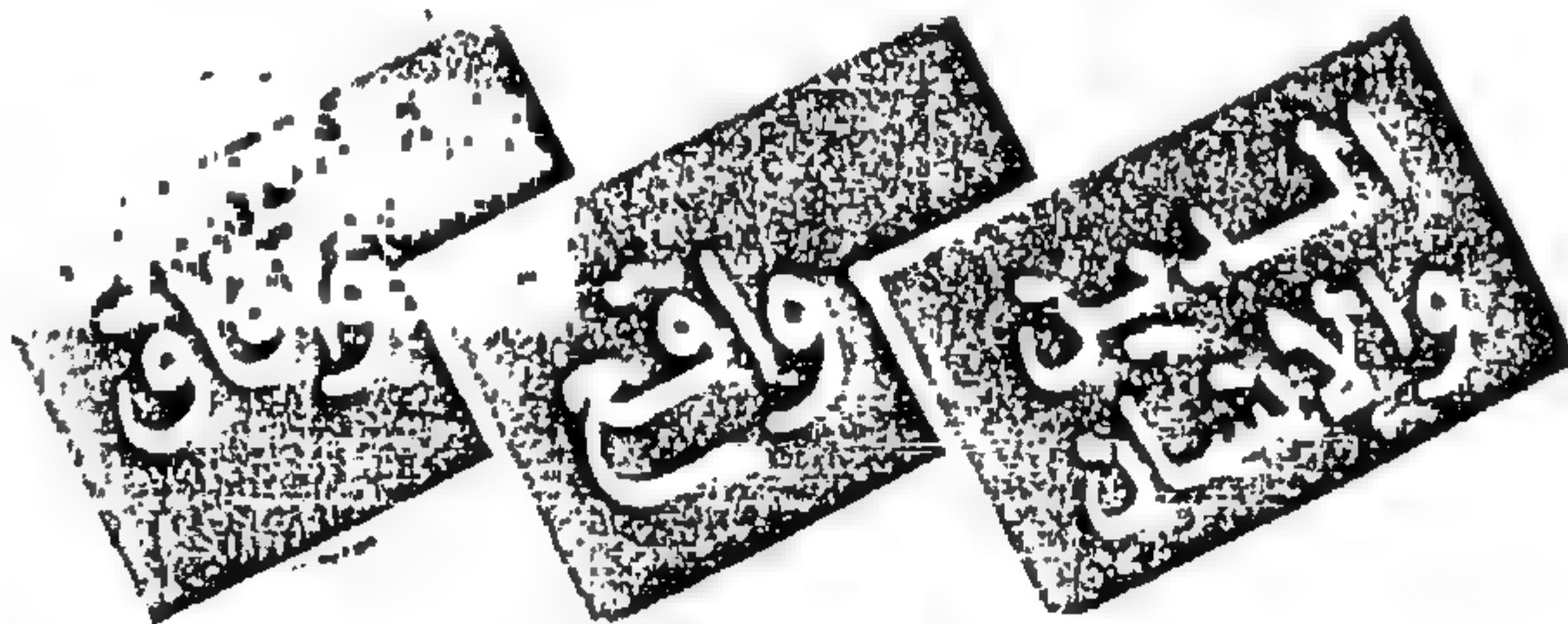
بسم الله الرحمن الرحيم

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا
لَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ
وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا
مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ»

بقلم :

د. بنيت الشحاتي

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين



الاحاد والانسانية التدين

في عنقوان المد الجائح لتيار الاحاد في عصرنا ، لم
يخذلني اليقين بان الرؤية الثاقبة لن تخطيء المرزوق
الخطر لموقف العداية الاحادية على المنحدر من ذروة
شموخها إلى هوية السقوط ، فلقد يكفى الانسان ان يسمع
مقولتها في جحد الدين وتبشيرها بالعدمية ترياقا
من (أفئدة الشعوب) لينفر من هذا الترياق المخدر
للعوى بالانسانية التدين ، المحيط لفضال الانسانية ، مذ
كانت ، لمقاومة عبثية العدم .

حديث اليوم عن إنسانية الدين في ختام رسالاته التي استصفت جوهر الدين كله واذنت برشد الانسان واهليته لان يحمل أمانة إنسانيته وتكاليف رشده .

من آيات الوحي الأولى تبين بوضوح أن القرآن رسالة إلى الانسان . خلقه الله تعالى من علق كسائر الحيوان : إلبهم والأنعام والوحش والحشرات والديدان ، وأكرمه عز وجل بأن اختصه بالثدين وكسب العلم ، والكتابة والقلم والبيان ، وما يلبس ذلك كله من فتنة الغرور ووهم الاستغناء عن خالقه ، إليه الرجعى ..

وتوالت آيات الانسان خمسا وستين آية . تجلو ملامح الانسان . وهدى الاستقرار الكامل إلى الدلالة القرآنية لمفهوم الانسان هو إنس ، اجتماعي بفطرته ، وهو بشر يأكل الطعام ويمشى في الأسواق وتجوز عليه أعراض البشرية ، وهو من الناس ، بعموم مطلق : كلهم لأب واحد وأم واحدة . لكنه يتميز ، فوق إنسيته وبشريته وأدميته ، بالعقل والبصر والتمييز والادراك ، ثم إن الانسان هو الذى يحمل تكاليف أمانته الصعبة ، وتبعات الرشد ومسئولية الفكر والعمل والقول والحواس ، وهموم المكيدة ، واقتحام العقبة لتحقيق وجوده الانسانى ، متعرضا في ذلك كله لتجربة الابتلاء والغواية . ويظل ما عثر كادحا إلى مصيره .. إلى ربه الرجعى والماب .

ولا سبيل إلى تحقيق وجوده الكريم الحر ، إلا بما يحمل من تكاليف عقيدته وفكره وسمعه وبصره وكلمته ، وما يتحقق له من قيم إنسانيته المعنوية ومثلها العليا الطامحة أبدا إلى ما استشرف لها الدين من الحق والخير والجمال .

والقرآن الكريم لا ينظر في الانسان إلى ماديته الحيوانية وضروراتها التي تقوم بها حياته كعموم جنسه الحيوان ، لاغنى له عن طعام وشراب وماوى وتناسل ، مسيرا بغريزة البقاء وحفظ النوع . ومن أجله عرف تاريخنا علم البيطرة ، وتدريب الخيل والصقور ، والحمام الزاجل ، وكلاب الصيد والحراسة .

ولكن أى مخلوق منها ، ولا غيرها ، يحمل تكاليف أمانة الانسان الصعبة ، وتبعات رشده ، ومسئولية عقله وبصره وسمعه ، كل أولئك كان عنه مسئولاً .. وهذه الالحادية المحدثه ، فيم القول بعصريتها .

والالحاد قديم في البشرية قدم عهدا برسالات الدين « الكفار من قوم نوح عليه السلام ، أول رسول إلى الناس ، دعاهم إلى عبادة الله وطاعته ، فصدوا عنه ، بأن جعلوا أصابعهم في أذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ، وتواصوا بعبادة أصنامهم : « وقلوا لا تذرن الهتك ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا .. « وأغرقهم الطوفان . وخلقوا ميراثهم من الاوثان والأصنام قل تعالى :

« ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين . فإرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون .

وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الأخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما يشربون . ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون . أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون . هيهات هيهات لما تنوعدون . إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين .. « وهلكوا بكفرهم . فبعدا للقوم الظالمين .

قال تعالى :

« ثم أرسلنا رسلا تنرى كلما جاء أمة رسولها كذبهوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث ، فبعدا لقوم لا يؤمنون ..

فكيف تصور دعاة التقدمية أن يجوز على الانسان عصرية الالحاد وهو قديم في البشرية من عصر ما قبل الطوفان «

ذلك ما لا يكون إلا بإسقاط وعى الناس وتعطيل عقولهم .

الجدل في الخالق وإنكار ما جاء به السدين عن خلق الانسان ، هو مقتضى التفسير المادى للتاريخ على ما يأتى بيانه بمشينة الله ، في سياقه من القضية الذى يعيننا هنا أن نبصر أبناءنا بما ننتلو في كتابنا قبل ظهور الماركسية ببضعة عشر قرنا .

حديث رمضان



بِقلم:
د. بنت الشاطئ
استاذة التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين
والإنسان
واقع
وآفاق

الفرق بين العقيدة نقيض الفطرة الإنسانية

بشهادة واقع التاريخ أن الإنسان لم يستطع قط، ولن يستطيع، أن يعيش في فراغ من العقيدة، إذ هي فطرة فيه وسجية، وتدينه منها، بقهر لو خلة، بمسحه هيكلا أجوف أصم.

وكل من بحث في القرون الخالية أن تعجز الامة المتدينة عن التجريد المطلق للأخوية، فتمثلت الخلق جل جلاله في مظاهر قدرته وأيات نعمه، ثم تخلص أجساد ينسون رمزية المعبودات، فيعبدون الرموز مع الخلق، سبحانه، لو يعبدونها من دونه، ولا يواشي ليل الوثنية، لم يستطع الإنسان أن يحيا بغير عقيدة، فمضى يلتبس إليها بعبده ويتمثل فيه ملبس في ضميره من فكرة لمعنه عن الإله الذي دعا إليه الرسل عليهم السلام، من عهد نوح أول رسول إلى أهل الأرض، فبعد أسلاف لما القم لفتوره وجملة، فبسم الله الرحمن الرحيم، في وديان النيل والراحمين كما عبد النيل لميض عطائه ومحدث الشمس والكواكب لما بهر عذبها من سناخونها وشامق مشلحها في أسلاكها برتد عنها الدمار كلبلا حسيبرا وربما صبح صنعا بعبده

(٣)

(من آيات الجدل في الخالق هذا التحدى الجدير
لمن جحدوا خالقهم
(أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون)
ثم قوله عز وجل ، بلاغا للناس كافة :
(يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، إن الذين
تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا
له ، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه .
ضعف الطالب والمطلوب) ..

وفي صحيح الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يأتي الشيطان
أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول من
خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ، ولينته ..
وحديث ، أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : « لن يبرح الناس يتساءلون
حتى يقولوا : هذا الله خالق كل شيء ، فمن خلق الله ؟
- الحديثان متفق عليهما ، والنظر للامام مسلم في باب
الوسوسة ، من كتاب الإيمان ..)

والوسوسة لا تكون إلا من النفس الأمارة بالسوء ، أو
من شياطين البشر أعادنا الله منهم .

عندما زار جاجارين ، رائد الفضاء ، مصر ، لقيناه في
المجلس الأعلى للثقافة بصادق الترحيب والحنو ،
والتقدير لرحلته الباسلة ، وأذكر أنني سمعت وقتئذ أنه
قال إثر هبوطه سالما إلى قاعدة الانطلاق ، إنه بحث عن
الله - سبحانه - في أرجاء الفضاء فلم يعثر عليه !

فعجبت لهؤلاء القوم ، بلغوا ما بلغوا من تقدم
علمي (وتكنولوجي) باهر ، ودخلوا التاريخ رواد العصر
القمر والمريخ وما بعده ، ويعجزون عن التجريد المطلق
للألوهية في عقيدتنا الإسلامية وتنزيهاها الخالق عز وجل
عن التجسيد الذي أضل عبدة الأوثان من قديم الحقب :

وتلوت في خشوع من كلمات ربي جل جلاله :

« وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب
أسباب السموات فإطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً .
وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل ... »

إلا شريك هو لك
تملكه وما ملك
وإما على جهة الملاحة إليه وحده وترك أصنامهم كذا
همدان . في الجاهلية
لبيك رب همدان من ساحط ومن دان
جنتك تبغى الأحسان تطوي إليك الغيطان
نامل فضل الغفران
لبيك مع كل قبيل لسوك
همدان أبناء الملوك تدعوك
قد تركوا أصنامهم وانتابوك
للمسمع دعاء في جميع الأملاك

وجاء الإسلام ونفس من نور الدين في أعماقهم . فادعوا
أنهم سئلوا عن هذه الأصنام فقالوا إنما نتقرب بها إلى
الله . ولهم لل عز وجل
(ألا لله الدين الخالص . والذين اتخذوا من دونه أولياء
ما نعبدهم إلا ليقربونا إليه رزقي)
وكان في عرب الجاهلية كذلك مع غلبة الشرك على عبدهم
صليته يعبدون الكواكب والنجوم . كملكة سنا وقومها
كفوا . يعبدون الشمس ولها عرش عظيم .
ومنهم من عبدوا القمر . فربما أخذتهم رجلة الوعر لـ
سلكوا عن خلق الشمس والقمر فل تعال خسلها لـ
الرسول عليهم السلام
(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس
والقمر ليقولن الله . فإني يظنون . وقال عز وجل . ومن
آياته الليل والنهار والشمس والقمر . لا تسجدوا للشمس
والللقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون .
لأن قيل إن المشركين منهم . بلعلين خلقوا لزمان غير زمان .
رحمت الالف هلك المذنبين يدعون أسوار الأسر
المدحى والاعزاء الدبى والتفلة انعم صريه . في هذا
القدر الأخير من القرر الشريفين
فاغثروا يا أول الأنصار .

صدق الله العلي العظيم

لومه بل قصد عنه والتمسك بأصنامهم
(ولعلوا لا تدين الهتك ولا تدين ودا ولا سواها ولا يفسوث
وبعوق ونسرا) وجاء الإسلام وللعرب أصنام بهذه
الاسماء . مع مزيد عليها من أصنام الجاهلية
وقد وصل إلينا من ثراث القرن الثاني للهجرة (كتساب
الأصنام) لابن أنكليبي هشام بن محمد بن السائب . أسى
المنتر الكون المتوالي سنة أربع ومئتين للهجرة . وخلص من
أكثر الرواة وإليه المرجع في العلم بابام العرب وأصنامها
ووفاتها . وبيوتها ومانرها
في كتبه الأصنام . ذكر ضيق مكة بينى إسماعيل
وخولتهم من جرهم ثم قال
فتمسحوا في البلاد والتمس المعلن . وعلى الذي
سلك بهم إلى عبادة الأولين والحجارة . أنه كان لا يظن من
مكة ظاهراً إلا احتل معه حجراً من حجارة الحرم فحطها
للحرم وصلى بمكة . فحينئذ حلوا وضعوه وطافوا به
كطوافهم بالكعبة تيمناً منهم بها وصلى بالحرم وحالته
وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمررون على
إرث إبراهيم وإسماعيل . عليهما السلام . ثم ال بهم ذلك
ال أن عبدوها ونسوا ما كانوا عليه وصاروا إلى ما دلت
عليه الأمم من قبلهم واسترجعوا ما كان يعبد قوم سـ ح .
عليه السلام . منها على إرث ما بقي فيهم من ذكرها . وهذه
على ذلك جلياً من عهد إبراهيم وإسماعيل بنسكون بها
من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والسجود
على حرفة ومزدلفة وإهداء البدن والاهلال بالحج والعمرة
مع إدخالهم فيه ملابس منه .

وحفظ لنا ديوان الشعر الحاضر من تلبينهم مصوصاً
شاهدة لذكرهم الله فيها يرفعون إليه الضراعة
والبحوى . إما بسطق الشرك ككتيبة . سزار . عبد
إملائها

لبيك اللهم لبيك
لبيك لأشريك ال

(٢)

والضبيب الانسلان كلان بكمن لفسس . في الوعي يرييه
ان تنفعد الاله المعبودة لهاها الاله ا . وكما رايه من
امر الاصنام لنعاء النكاه انها من ص . عافديها . رايه
كذلك ان ننحني الكواكب وناقل المحب . ونكسف الشمس
ونفرب وبذسف القمر وبغيب في المد .

مثل هذا النلس من الوعي الظلق ال . بل لا يصح عادة
لعامة النلس . بل ليس من شأنه كذلك ان يصح لكثرة منهم
بل يكفى ان يذو بح في بصيرة فرد منهم بمثل صمبر الانسل
في ارفك حسنيته واملئ صلفه بلدر ما تحنل ظروف
العصر وعقلية الجماعة . وقد صبح لاسراهم في عصر
الوثنية هذا الوعي الملهم . فمضي ينامل في الفلق النكور
حولها فلما مر بنا يلنلس إليها بعصده عير تلك النسليل
المرساء الدباء التي وجد أمامه وقومه لها عديين

١ واد نل ابراهيم لانيه ازر استعد اصعلما الاله ايسر
أراك ونومك في ضلال عير . وكذلك سري اسرهيد
ملكوت السموات والارض وليكور من المولفين
لعماد عليه الليل راي كوكبا فل هدارسي فلما اهل
لل لا احد الاظنين فلما راي القمر مارعا فل هذا
رسي فلما اهل فل لشر لم يهدي رسي لاخوس من القوم
الصلس فلما راي الشمس مارعة فل هذا رسي هذا
أكثر فلما اقلت فل بالقوم ايسر مري مما نتركون
ايسر وسيت وجهي للذي سطر السموات والارض وما
أما من الشرايين ا

وامصطفاه الله عروعل حلد رسولا . وكل من حمزه
عابه السلام . ان حرح مولد اسماعيل من ارض كنعان
رضيها ل حضن امه . فلجر المصرية . فاستكنه بمكة ل
جوار البيت العتيق . ومكة وفنذ فلر بسواد لخيردي زرع
وعمرت مكة بانفلق بنز زمزم وعهد الله نعال إلى ابراهيم
واسماعيل . أن طهرا بيتي للطنخين والعكفين والركع
السجود . وقل نعال

١ واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل
ربما تغل ما ابل أنت السميع العليم ربنا واجعلنا
مسلمين لك ومن دريتنا امة مسلمة لك واما مسلمنا
وثب علينا إيك أنت الثواب الرحيم .
وامره تعالى . كلن اذن ابراهيم في النلس بالبح . وما
علمهم من منكسك الحج وشعائره

وبذكر الرواة من التاريخ الديني لمة العكرمة . انها لما
عمرت نمنى اسماعيل وحنولتهم من حرمهم . ضللت عليهم
فلنمسوا المسحة في البلاد . فحملوا معهم حجرارة من البيت
العتيق نركا . فحببنا نركوا نعدوا إليها . لم حلف من
معدهم خلف لملب عنده الرمز لعدوه مع الخلق او من
دومه

وثامت من التاريخ الديني الموثق في المراسن الكريم . ان
عادة الاصنام كانت ميراتا ميعسا من عصر ما قبل
الطولل . طلت رواستها في الامة والفرون حنن او اخر
الحاكية . فلل سورة نوح ما خلل من نواصي السكفر من

حديث

رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا
وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ
عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ * وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ
ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ
قَالُوا أَتُؤْتُوا بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * »

صدق الله العظيم

بقلم :

د . بنت الشاطئ

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

كتاب

كتاب

كتاب

العدمية المادية، عبثية متخافة

تجارب الاصداء

حديث الامس كان عن جحد الدين ، اول امرين
تورطت فيهما الماركسية ، ضد طبيعة الانسان .

★ ★ ★

أبان الفوز الاستعماري لفكرنا الديني - حصن الأمة
المنيع - بتكلفت (مدرسة المقتطف) بالتبشير بالتنوير
العصري ، ومنها خرجت وليدتها (مجلة العصور)
لإسماعيل مظهر تلميذ يعقوب صروف صاحب المقتطف ،
وتفانى سلامة موسى وشبلى شميل في الدعوة إلى التنوير
العصري فأسرفا في الحط من لغتنا البدوية وأحاديثنا
اللغوية وعقليتنا الغيبية الدينية وراثتها الأسطورية .
فكان أن تصدت الأمة لرؤى هذه البضاعة التي جهرت
بالطعن في لغتنا وديننا وأصالتنا ، وبشرت فينا بتنوير
يسلخنا من أصولنا وينميها إلى مدارس وقوميات أجنبية ،
أرغاء ملصقين . وانحصرت الدعوة إلى التنوير في
أندبتهم بالعوام ، بحلول بعضهم بعضا .

[ثم تأتي العلامة الأخيرة من علامات الساعة : ذروة الغيب ، وهي ياجوج وملجوج وهي قصة غامضة كلها رموز ، البعض يقول أنهم من نسل يافث بن نوح ، وهم الجنس الأصفر ، الصين وما في ديارها ، عاشوا في أجل وأقلب من الجهالة ، والامم المتقدمة من حولهم تبني أسواراً من العلم والتصنيع .. ونو القرنين وصهر الحديد والنحاس - في آيات الكهف - كلها رموز للعلم والصناعة كانت تحجزهم وراء حاجر الجهل والتخلف حتى اذا جاء اليوم الموعود ، ونفضوا الجهل [وكانت نهاية المطاف للحياة عنده - في صياغتها العصرية : أن كل ما في القرآن عن اليوم الآخر على سبيل الرمز ، نعيم الجنة كترانيم أفرام ، والتخويف بعذاب الجحيم] كتخويفك ابنك بأن الغيران ستأكل أسنانه اذا لم يغسل أسنانه بالفرشاة كل صباح ، وطبعاً لن تأكل الغيران أسنانه .. حتى الحساب يبدو أنه حساب النفس للنفس ، تعالى الله أن يحاسب غثالنا وأن يعذب أمثالنا] ..

من (مسجد توسان في أريزونا بأمريكا) ، أعلن مفسر سر إلكتروني اكتشافه لسر الأسرار في القرآن : العدد (تسعة عشر) عدد حروف بسمة الفاتحة ، ومعتقد نظمه ودليل صدقه وأعجله . وفي سنة ١٩٨٠ تكلم الكمبيوتر من مسجد توسان ليحدد موعداً لنهاية الامة المحمدية بقيام الساعة ، بحساب الأبجد الإلكترونية للحروف النورانية في فواتح السور) بعده خرج كتبه (القرآن والحديث والاسلام) من توسان ، في سنة ١٩٨٢ يعلن اكتشافه لحقيقة مذهلة [وهي أن الحديث والسنة إنما هي بدع شيطانية تؤيده الأدلة المادية والشواهد القرآنية] - ثم أعلن رشاد خليفة .. في الألق أنه الخليفة الراشد ، ووزع منشوراته تبليغاً بنبوته ، وانتهى أمره . وبقيت الوثائق شاهدة لما كان من ضغط على الفكر الاسلامي بهذه المقولات ، كلما نبذ صيغة منها أعيدت صياغتها من جديد .

(والله من ورائهم محيط)

صدق الله العظيم

الظهور ، وشمس ما قبله قد كورت وأظلمت ، وزغما من كل هذه الانذارات لم يدركوا المقصود من القيامة ولكن ما الحيلة وهم محجوبون في لحد النفس ومدفونون في قبر الهوى متمسكين بالجمل الظلمانية والمظاهر الشيطانية) .. الايقان

ومات البهاء ، وعبد ، وورثته ، وجنده ،

(فما بكت عليهم السماء والأرض وما كنوا منتظرين)

[★ ★]

الى ما بعد منتصف هذا القرن الحالي ، كانت منشوراتهم الغثة وحججهم البهية الواهية وتاويلات نظائرهم (الراسخين في العلم) تبيانا لمهلبط الوحي ومقاصد التنزيل ، تطبع في حواضر النشر الاسلامية الكبرى ، حتى اذنت المرحلة بتحول في الحركة بعد قيام دولة بنى اسرائيل في أرض الميعاد ، فتوارت البهائية الصريحة من سنة ١٩٦٦م على التحديد ، لم تترك أي أثر في الوجدان العام الذي لم تجز عليه تاويلاتهم الفجة وتفسيرهم السقيم للقرآن ، وحقت عليهم كلمة الله عز وجل : (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا)

اختلفت من الأسواق كيلا يرجع باحث اليها فيكتشف أنها جميعاً قد سحبت لاعادة صياغتها بما يلائم عقلية المرحلة ومقاصدها ، لم يعد القصد من البهائية التي تقرر حججها ، التبشير بيوم صهيون الموعود ، بل القصد صياغة الفكر الاسلامي المعاصر ، وتطعيمه بمخدرات تسقط عليه وتقلده مناعته التي حصنته من سموم الغزو الفكري للموقع الديني .

★ ★ ★

فيما يتعلق بالعدمية ونقض عقيدة المسلمين في القيامة واليوم الآخر ، ظهر (تفسير عصري للقرآن) في أعقاب هزيمة يونية المشنوم ، فقدم من كلمات القرآن في ياجوج وماجوج وذو القرنين والسد ، قصة بالغة الغرابة والتعقيد واللف والدوران ، ليقول :

حديث

رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ
اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ
اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَلَيْسَ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ
لِبَيْتِ الْعَنَكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ »

صدق الله العظيم

بقلم :

د . بنت الشاطئ

استاذة التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

واقف

واقف

الدين
والإنسان

التطور المادي لخلق آدم في صياغة قرآنية عصرية

لماذا كان علماء الغرب قد انتهوا من (الداروينية)
ونقضوها بجديد من البحوث التجريبية والدراسات
العلمية ، انطلاقاً من اكتشاف هيكل آدمية وحيوانية

[هذه المرة إلى مجرد جرثومة في طين الأرض ، إلى نقطة بدء أولى من الصفرو وكلن على آدم أن يخرج من هذا التيه المادي في انبثاق متدرج عبر خمسة الاف مليون سنة كما تقول لنا علوم البيولوجيا ، وعبر مراحل وأطوار بدأت بالخلية الأولى والاميبا صعدا إلى الاسفنج والرخويات والقشريات الخ الخ في رحلة قاسية وعبر صراعات دامية وأثب الله آدم على توبته بأن هداه في رحلته الدامية وأخذ بيده خارجا من رحم الأرض ومن طين المستنقعات حتى وقف منتصباً على قدميه محاكياً آدم الأول ..] ص ٥٧

وقوله تعالى : يا أيها الإنسان إنك كدح إلى ربك كدحاً فملاقيه . . .

تاويله : [هناك إذن مرحلتان من خلق آدم : المثال الذي خلقه الله في أحسن تقويم ليكون إلى جواره في الملكوت ، و آدم الأرضي الذي انبثق من ظلام المادة ومن رحم الأرض ومن أسفل سلطين ، حيث ألقى به مبعدا مطروحا ، وكان على آدم الأرضي أن يكافح ليحقق لنفسه التكامل الأول وأن يعود إلى أحسن تقويم (١)

إن كلامنا نحن ذرية آدم قد عاش هاتين المرحلتين وهي أيلت كواشف تشير إلى مرحلة روحية عشناها في الملكوت قبل النزول إلى الأرحام ، وإلى أنه كان لنا ثمة وجود قبل الميلاد ، شأننا في ذلك شأن آدم الذي بدأ حياته في أحسن تقويم ثم أنزل إلى أسفل سلطين (ص ٦٠)

ولا تعليق ، سوى أن أقول : إن الآية ، ثم رددناه أسفل سلطين ، التي فسرها هذا التفسير العجيب ، مبتورة من سياقها ، وتامها :

• إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون . . . صدق الله العظيم

وهذه الصياغة العصرية للداروينية ، نشرت في (تفسير عصري) سنة ١٩٧٠ ، راج وتعاطاه الناس خاصة وعامة ، فهل كانت داروينية مجلة المقتطف ومجلة العصور فوق مستوانا كما قيل وهذه الصياغة الجديدة على قد عقولنا ؟ !!

ولننظر في عقم العدمية ، وإحباطها نضال الإنسان منذ كان لاستنقاذ إرادة الحياة من عبثية العدم ، فلئن كانت حياة الإنسان لا تعدو هذه الرحلة العابرة من المهد إلى اللحد ، إنها لمأساة تدعو إلى القنوط وتشل في الأحياء منا إرادة البقاء .

جاءت عمرها حسب . دارون . بملايين السنين . مع وجود أنواع من البكتيريا والقشريات والزواحف والقردة ، لم يمسيها حتى عصرنا هذا أي تطور ولا ارتقت درجة عن حالتها في نشوء الأنواع وتطورها بالانتخاب الطبيعي ، وهي النظرية التي قدمت إلى المادية الماركسية القول بإمكان تفسير كل شيء في الكون بالمادة والقوة .

ظهر فينا [تفسير عصري للقرآن] يقدم إلينا ونحن في اخذة الدوار بصدمة الهزيمة - اكتشفه خطأ وقع فيه « دارون » في نظريته ، واهتدى المفسر العصري إلى تصحيحه من القرآن الكريم .

بيّن ذلك عنده : قوله تعالى : . . . الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . تاويلها العصري : [إنه هدى إلى مسيرة التطور حتى بلغت ذروتها في آدم] وأضاف :

لذا قال تعالى : خلقناكم ثم صورناكم . . . ثم اكتملت الصورة بتخليق آدم فقلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فمعنى هذا أن آدم جاء عبر مراحل من التخليق والتصوير والتسوية استغرقت ملايين السنين بزماننا ، وأياما بزمان الله الأبدى . . . وقد خلقناكم أطوارا ، معناها أنه كانت هناك من قبل آدم صور وصنوف من الخلائق جاء آدم ذروة لها (

ثم ، في قصة الخلق ، تعرض المفسر العصري لنظرية داروين واكتشفه الخطأ الذي وقع فيه ، [مجرد أنه لا يرى يد الصانع الخالق المهندس وهي تهندس وتخلق] ؟ !

بيّن ذلك ، بلفظ المفسر العصري : [إن القرآن يزودنا بما هو أكثر مما قاله العلم فيطلعنا على بعض الغيب ، على ما حدث في الملكوت في الملا الأعلى قبل الخلق الأرضي لآدم ، فيروى لنا مرحلة سابقة لهذا الخلق في الآية .

[لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سلطين . . .

تفسيرها العصري :

[إن ما حدث من انبثاق آدم من الماء والطين كلن على مراحل تطورية في الأرض ، كلن ردة وكلن انتكاسا وعقبا لخطيئة

سوف نفهم تفاصيلها . . . وكان العقاب هو الطرد والاهباط من الجنة والنزول إلى أسفل سلطين . وهي هלוكة التيه المادي ، إلى طين المستنقعات . . .

من قديم حلولت البشرية مقالومة فكرة العدم وكأنها أدركت بفطرتها أن كل مغريات الوجود لا تكفى لحماية الإنسان من رفض حياة تنتهى بهذا العبث العظيم . مدفوعة الى هذه المقالومة بغريزة البقاء أو محكومة بالسنن الثابتة التى تريد لهذه الحياة أن تستمر إلى أن يشاء الله .

أرهف الصراع ، وبخاصة في العصور الخالية التى عاشتها البشرية في صراع منهك مع قوى الطبيعة العاتية وأسرار الكون الملفة ، دون أن تملك وسيلة للبقاء سوى الحرص على البقاء .

وأرهف ذلك الصراع المضنى طاقة الإنسان وهو يواجه المخاطر أعزل من أى سلاح ، فمضى في نضاله الباسل ، كلما حقق انتصارا في جولة منه ، ازداد قدرة على مواصلة الكفاح بمقدار ما أضل إلى جعبته من أسلحة معنوية ومادية ، وقوى تشبته بالحياة بعد فهمه بعض الغاز الوجود وبعض عناصر الطبيعة ، فلم يعد حرصه على البقاء مجرد استجابة غريزية أو خضوع لسنة كونية فحسب ، بل صار كذلك يستبشع عبثية العدم ، لأنها تشل فيه إرادة البقاء ، وتحمله على الكفر بجذوى الكفاح المضنى ، والموت يتربص به لينهى ذلك العبث العظيم بغمضة عين لا يقظة بعدها أبدا ...

الدين قديم قدم البشرية ، وقد استبقى الخلق الحياة من الفناء بالطوفان ، فاوحى إلى نوح ، أول الرسل عليهم السلام ، أن يصنع الفلك ويحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهله - الأمن سبق عليه القول - ومن آمن ، وما آمن معه إلا قليل . نجوا من الغرق ، واستمرت الحياة .

مع ما طرا على العقائد الدينية للبشرية من شوائب دخيلة ورواسب وثنية على فترات من الرسل ، كان الإيمان بأبعث من أعز ما حرصت عليه البشرية من ميراثها الدينى ، وضنت به على النسيان ، وتجل هذا الحرص في تراث الشعوب العريقة في القدم ، كعقيدة البعث والحساب والحياة الآخرة الباقية ، جوهر الديانة المصرية القديمة ولب حضارتها ، على حين التمس إنسان وادى الرافدين القديم - الذى يشارك المصرى في عراقة

التمدن - أمله الغالى في تجدد الحياة الإنسانية يتمثل في بعث دورى متجدد ، بعد طول تأمل في دورة الفصول الأربعة ، حيث تتجدد الحياة كل ربيع وتنضج في الصيف بعد أن تذبل في الخريف وتموت في الشتاء .

وعبرت الملاحم الآشورية والبابلية عن توق الإنسان إلى الخلود أو تجدد الحياة ، كما في ملحمة جلجامش وأسطورة الراعى تموز الذى منحته الإلهة خلودا دوريا مؤقتا ، استجابة لشفاعته حبيبته عشتار . ثم كانت عقيدة التناسخ عند الهنود ، محاولة أخرى لمقالومة عبثية العدم .. وأطل الفلاسفة الأقدمون التأمل في (الكون والفساد) فظهر القول بخلود الروح عزاء للإنسان عن الحياة الدنيا الفانية .

وجاء عصر الرسالات الدينية المعروفة لنا ، فايد النضال الطويل لاستنقاذ إرادة الحياة ، وجدد البشرى بحياة أخرى بعد الموت ، يرتين مصير الإنسان فيها بما قدمت يداه في الحياة الدنيا ...

والبشرى مقترنة بنذير ، صك سمع عبيد الدنيا من عهد ما قبل الطوفان ، لكن البشرية الحديثة وجدت في البشرى بيقين حياة أخرى بعد الموت ، ما يغريها بمواصلة الكفاح الدائب ويقوى عزيمتها في الصراع الأبدى بين الخير والشر ، وما يعطى حيلتها الأولى الفانية ، قيمة ومعنى تستحق من أجلهما أن تعيش ..

.....

ومضت الحياة لا تتوقف ، وتابع الإنسان نضاله الدائب ، واستراح المؤمن بالدين إلى رفض فكرة العدم التى تجعل وجوده في الدنيا ، عبثا عقيما ومحنة لا تطلق ، كما تجعل هموم رحلته الدنيوية وتكثيفها عبثا باهظا لا يحتمل ، وتلج على فكره ووجدانه بعدمية البلى ..

وعلى الأمل الموعود في اللقاء بالعالم الآخر ، هان على الأحياء منا أن يودعوا أحببهم في الثرى ، وأن يطبقوا بعدهم العيش إلى أن يحين الأجل المحتوم فيلتئم الشمل الممزق ، ولولا هذا الأمل لكان أفسى من الموت ما يشتهى الإنسان من أجله الموت .

سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار .

صدق الله العظيم



حبيب
رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ
نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ
وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ
مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ
مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ»

صدق الله العظيم

بقلم :

د. بنت الشاطئ

استاذة التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين واقع وآفاق
والإنسان

عقم العدمية ، وجعل الإنسان

يبدو أن البشرية على طول نضالها الباسل للفرار من عقم
العدمية ، لبثت غير مطمئنة إلى محاولاتها القديمة التي
التمسست بها الأمل في ألا يكون الموت هو النهاية الأخيرة
للحمة الإنسان .

وفي أعمقها كانت الحيرة تضئها وهي تحتل بوسيلة
أو باخرى على الاعداد لما تعلق به من رجاء في عودة
الحياة بعد الموت . بمثل تحنيط الموتى وقزويد قبورهم
بما تعلقوا به من متاع دنياهم . ونحت تماثيل للبشر
الفانين نفلوم افاعيل الزمن .. تبريرا لكفاحها الشاق في
رحلة الدنيا . وحملة لارادة البقاء من التعطل والشلل .
وكانت مرجوة لان تتخلص من ذلك الهم الثقيل
المضني . بما بشرتها به رسالات الدين . من أول عهدنا
بها . بيقين البعث . ومنحتها الامل المرجو في حياة
أخرة .
لكن بقية من الارتباب والحيرة لبثت تساورها فتحررها
طمأنينة القلب وراحة البال . وإذا كانت قد تطلعت الى ذلك
فعذرنا ان الامل المرجو كان عزيزا غاليا بقدر ما كان تصور
تحققه صعبا . وتوالت رسالات السدين بوعود البشرية
ويقين الحساب حتى جاء الاسلام خاتما لرسالات الذين .
فاستجاب لما ظلت البشرية تلتهمسه من طمانينة الى
البعث . مقدرا ان الانسان من طبيعته الجدل . ومقررا
حقه فيه بمقتضى ما يحمل من تكاليف رشده ومسئولية عقله
ومنطقه :
(وكان الانسان اكثر شيء جدلا) الانسان هنا بدلالة
علمة . وقد أفسح له الاسلام . دين الفطرة . العذر في حرية
الجدل والنظر والكلمة . الا ان يكون الجدل ممارسة فاحشة
في الحق الجلي والآيات البينات . عن عناد ومكابرة . او
اصرار على الجهل والضلال والتضليل .
قال تعالى خطبا لخاتم النبيين عليهم السلام
(يجادلونك في الحق بعد ماتبين كأنما يساقون الى الموت
وهم ينظرون) وقال عز وجل :
(ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب
منير ثلثي عطفه ليضل عن سبيل الله . له في الدنيا خزي
ونذيقه يوم القيامة عذاب الخريق . ذلك بما قدمت يداك
وان الله ليس بظلام للعبيد .)

فيما يتعلق بعقم العدمية وجدل الانسان في البعث أذكر
ان القرآن في تقديره لفطرة الانسان وتكاليف رشده .
استجاب له في موقفه واستمع الى مكان من جدله ولو تعلق
بمسألة غيبية . وله اسوة في . ابراهيم . عليه السلام فيما
نتلو من الآية البينة :
(وأذا قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال او لم
تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) ...
ولم يجرح هذا السؤال ايمان ابراهيم ولا حرمة شرف
اصطفاه خليلا نبيا
فملا اقدم كتاب الاسلام الى الانسان لكي يطمئن قلبه الى
حياة اخرى تجعل لنضاله في الدنيا قيمة ومعنى ؟
او بتعبير آخر :
ملا اقدم الدين في ختام رسالته ليريح الانسان من همه
الشغل ؟
لقد اثبت كتاب الاسلام مكان من جدل الاولين في
البعث . ورد عليه بالمنطق الذي يثبت النضر الحر
والبصيرة النيرة والتامل الواعي . دون ان يحتاج فيه
الانسان الى ظروف خاصة او وسيلة من وسائل المعرفة
الكسبية . ان اتحت للنس في بيئة معينة او عصر خاص .
فليست بحيث تتاح لكل انسان في كل زمان ومكان .
واقرب ما يلفتنا اليه كتاب الاسلام ما نراه في الواقع
المشهود من حياة الأرض بعد موتها . وما نبصره من
خروج الحي من الميت وخروج الميت من الحي . توطئة
للاقناع بان الحياة بعد الموت ليست من المستحيل العقل
او الواقعي
(ومن آياته انك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء
اهتزت وربت . ان الذي أحياها لمحيي الموتى انه على كل
شيء قدير)
(يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي . وكذلك
تخرجون)

وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) .
الآيات مكية . ونظائرها كثير والخطاب فيها للناس .
بعدها . في العهد المدني نزلت الآية الصادرة :
(يا أيها الناس إن كنتم في ريب مما نبعث فانا خلقناكم من
تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير
مخلقة لنبين لكم . ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى .
ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم
من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا . وتري
الأرض هامة فلذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت
من كل زوج بهيج) .

بهذا المنطق يقدم البيان القرآني إلى الإنسان . الآيات
الشاهدة على أن الذي خلقه أول مرة . قادر على أن يعيد
خلقه مرة أخرى وهو أهون .
فإذا شق على الإنسان أن يتصور حياة بعد موت .
فليتأمل في الكون ببصر شواهد من الواقع الحسي . في
الأرض تحيا بعد موت . وفي الكائنات الحية تخرج معايب
لنا هامة جامدا ميتا .

وسبق في الحديث عن إنسانية التدين . جد الملاحظة
في الخلق . وقوله عز وجل :
(أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) ؟
والمثل القرآني الصانع . بلاغا للناس كافة :
(يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له . إن الذين تدعون
من دون الله لن يخلقوا ذيبا ولو اجتمعوا له . وإن
يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه . ضعف الطالب
والمطلوب) .
صدق الله العظيم

كذلك يضع القرآن أمام بصر الإنسان وبصيرته وحسه
ووجدانه . ليطمئن قلبه إلى البعث . آية القدرة الإلهية
المعجزة في خلق الإنسان أول مرة . فلن يعيها أن تعيده
مرة أخرى . وذلك أهون . وتوشك الآيات القرآنية في خلق
الإنسان . أن تكون في الغالب الأعم موجهة إلى الاستدلال
بهذه النشأة الأولى . على يسر النشأة الأخرى .
ومن هذه الآيات . ما يأتي في سياق الرد على الكافرين في
عجبهم من نذير الآخرة . وجدلهم في البعث :
(بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء
عجيب . انذا متنا وكنا ترابا ذلك رجوع بعيد)
قل تعالى :

(افغيبنا بالخلق الأول . بل هم في لبس من خلق جديد)
(انهم كانوا قبل ذلك مترفين . وكانوا يضررون على
الحث العظيم . وكانوا يقولون انذا متنا وكنا ترابا
وعظما أننا لمبعوثون . أو أبأؤنا الأولون ...
(ولقد علمتم النشأة الأولى فلو لا تذكرون) .

ومنها ما يأتي دفعا لحيرة الإنسان فيما يشغل باله من
أمر تلك الحياة الآخرة التي اكدتها رسالات الدين :
(ويقول الإنسان انذا ماتت لسوف اخرج حيا . أو لا يذكر
الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) ؟ .
(فليتنظر الإنسان مع خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من
بين الصلب والترائب . انه على رجعة لقابر) .
(أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم
مبين . وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قل من يحيي العظام

حديث

رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« أَوَلَمْ نَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَنَنْظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَسَارُوا
الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا
وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ
اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ »

صدق الله العظيم

بقلم
د. بنت الشاطيء
استاذة التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين

والانسان

واقعة

وآثار

الاضطهاد الديني والفتح الاسلامي في مدوناتا شهود عصره

لم يفتقر الانسان في احلك عصور الظلام ، عن مقاومة الاضطهاد الديني ، والتفاني الباسل للانعتاق
من أسر الجبروت وكسر أغلال العبودية لغير خالفه . وحملت الاساطير الدينية للشعوب القديمة مع
رواسب وثنياتها ، بقايا من ميراثها الديني قلوب الضياع . كما وعى الواقع التاريخي للعالم القديم
والوسيط والحديث ، سجلات الشهادت ضحايا الاضطهاد الديني والاكراه المذهبي .

ولست مؤرخة ، ولكني قلقة للتاريخ . ولا أعلم ان تاريخ البشرية ، في المعروف لنا منه ، شهد ضراعا اضرى وأدمج وأطول ، من حروب ذلك
الاضطهاد الديني والاكراه المذهبي ، وان تعددت جولات المعركة ، وامتدت زمنا من عصر ما قبل
الطوفان إلى عصر سلف القمر والمريخ . واتسعت مكانا من سوا الصين إلى منافي سيبيريا وسواحل قزوين
والبطريق ، ومن أولى القبليتين إلى الأمريكتين ..

يستوى في ذلك ما كان وما هو كائن . في الدول العريقة والمدنية . وفي المناق المعزولة ومضارب البدو في الجاهلية . ولم تكن محاكم التفتيش في العصور الوسطى أشد وطأة من مؤسسات المخابرات العصرية . ولا مذابح دقلديانوس وعصر الشهداء . وفواجع الاكراه المذهبي لقيبط مصر في عصر الامبراطور هرقل ودولة الرومان البيزنطية . واخذود نجران في الجاهلية . اشد وحشية وشراسة من حرب الافيسون وفلجعة هيروشيما وفتل زاكى . واغتصاب فلسطين . والاسر المذهبي لشعوب عالمنا المعاصر . طولا وعرضا .

وفي غواشي الظلمات . يلوح وهج الضمير الانساني الحي . قبسا من نور الخالق عز وجل . لا ينطفئ .

الرواية الاسلامية لتاريخ فتح مصر . تبدأ من رجال عصر التدوين في القرن الثاني للهجرة . ومصادرها الموثقة معروفة لنا . أو هي بحيث لا تغيب عنا . وإذا لا أبرأ من مظنة الغلو والاقتضار على الرواية الاسلامية . أو اثر الرجوع الى كتاب . الدكتور الفرد بتر . في فتح مصر - في ترجمته العربية لاستاذنا محمد فريد ابو حديد - وقد تفرد الدكتور بتر بمصادر مجهولة لنا أو غائبة عنا . وجمع الى

ما تنص من مصادرها العربية . ومصادره الاجنبية مصادر قديمة . لمؤرخين من اليونان . وبطارقة بيت المقدس آخر القرن السادس وأوائل السبع الميلادي . وكتاب مصريين . مؤرخين ورجال كنيسة . عاصروا الفتح وكانوا من شهود أحداثه . فاجتمع للدكتور بتر من أصول المواد التاريخية ما لا مطمح لمثل في الظفر بما يقاربه فضلا عما يمثل . مع ضحة المنهج واتزان الموقف ودقة النظر . فاستحق ان يعده اساتذة التاريخ والحضارة والاديبان . من اهم وأوفى العرج لتاريخ مصر والرومان عصر الفتح الاسلامي .

اقرن فتح مصر بسقوط الدولة البيزنطية . والامبراطور . هرقل . في أوج انتصاره وذروة مجده الديني والسيلسي . انتصر على الفرس المجوس . وحضر بيت المقدس . واحتفل بإرجاع الصليب المقدس إلى حرمه . في يوم عيد جامع مشهود . وتفرغ لتحقيق حلمه الكبير بتوحيد الكنيسة . وجمع النعاقبة والنساطرة - حزب الخوارج وحزب الجماعة . في الترجمة العربية - على مذهب واحد . طبقا لقرار . مجمع خليفونية بصيغة التوحيد ومبطله .

وتزاحمت الاحداث وتدافعت المقاصد والغايات . فلا نكاد نلمح في صخب الصراع عملا أوضح وأقوى من العامل الديني . يستقطب الاحداث والتبيلات مهيمنة عليها . ويعطى تاريخنا تفسيره ومنطقه .

ب عنوان (دعوة النبي محمد) - عليه الصلاة والسلام - اطل . بتر . النظر في مقدمات الاحداث . ودواعيها . وكتب ملكو نقلناه من مصادرها الاسلامية . لاختنا صيحت دعوة العصريين تسخر بعقليتنا الغيبية . وقولنا بعجائب الاتفاق ومقدور النتائج . قل : [ما أكثر

عجائب التاريخ وغيره . ولكن قلنا حدث فيه من العجائب ما هو أكثر عجباً مما كان في عهد الامبراطور هرقل : وقد اتفق عندما بدأ عهد ولايته . ان يبدأ النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - دعوته . وقد كان مقدورا ان تكون أكبر ما يصدم هرقل ويهدم ملبناه في انتصاره على الفرس . واستنقلا الصليب الاعظم من المجوس . وإرجاعه الى بيت المقدس]

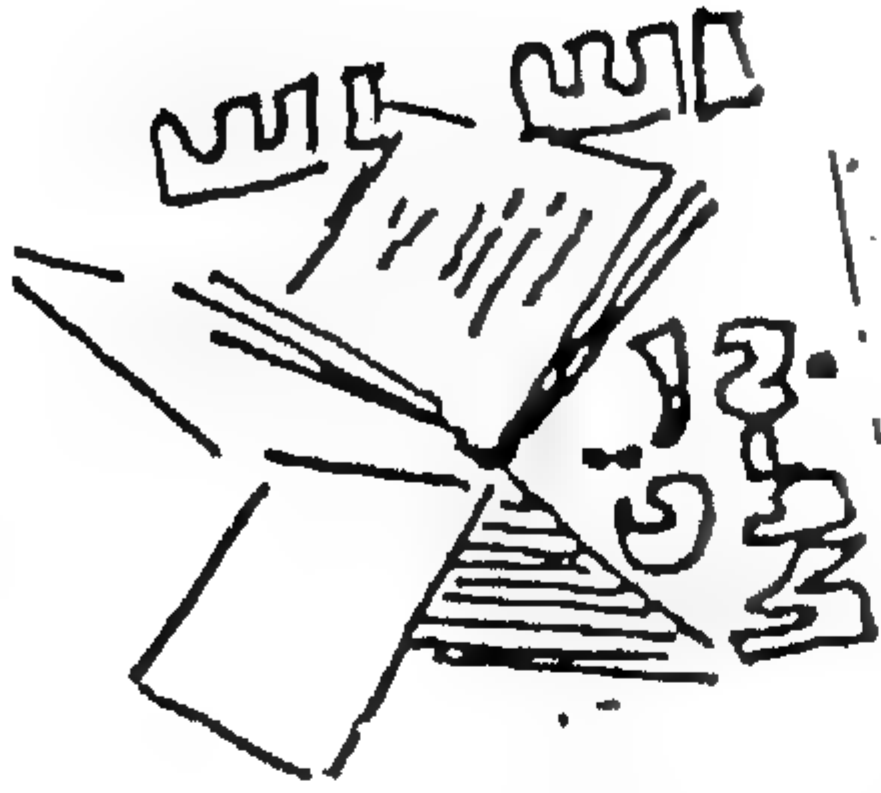
وأضاف . بتر . [من عجيب الاتفاق . ما كان من نصر للنبي - صلى الله عليه وسلم - في السنوات الست بعد الهجرة . وانتصر هرقل في حرب ضروس مع الفرس استمرت ست سنوات . وكان النبي صلى الله عليه وسلم . رأى ان قد ان الاوان ليرسل بعونه بكتبه إلى ملوك العالم وحكامه . والامراء العرب . يدعوهم إلى الاسلام والشهادة بشهادته . ونقل . بتر . من مصادره ملكا من ردهم على النبي . ثم قل : [وأما ما كان من أمر هرقل فلستنا ندري ملكا يدور بنفسه إذ هو خرج من مواكب الاحتفال بمقدمه إلى عاصمة ملكه بعد فتوحه في اسيا . أو عندما كان يسير

مهموما بامر البلاد بعد جلاء الفرس .. وكان فوق كل ذلك يجب ان يتخذ ما اختتم في ذهنه منذ زمن طويل من أمر الكنيسة المسيحية وتوحيد مذاهبها حتى يقوم التوحيد على الوفاق لاعل الجبر والاضطرار []

واراد امرا . واراد الله غيره . تسلط ولاه هرقل على الشعوب التي رفضت المذهب الموحد . ولم ترض به بيلا عن مذهبها . وفتح المسلمون مدائن الشام وسار . خلفد بن الوليد . من اليرموك الى بصرى ثم الى دمشق . فحاصرها حتى اسلمها لهم حاكمها سنة ٦٣٥ م . على عهد ضمن سلامة اهلها وما يملكون . وأبقى كنائسهم في ايديهم . وكان هرقل قبل تسليم حاضرة الشام . قد ارسل جيشا بقيادة أخيه . تيودور . اكبر عددا . وعدة من جيش خالد . فالتفت المعركة الحسنة بهزيمة عسكر الروم . وبلغ النبا هرقل وهو بانطاكية فهزته الصدمة . وأبحر الى القسطنطينية منكرا مهزوما في شهر سبتمبر سنة ٦٢٦ م - ١٥ هـ - ووزع الشام . [وذا غاما أطول مدد] - وقد أضاع قواد سدي في نضال لا فتة فيه . واستنفد طاقته ثلاث سنين . يريد توحيد الكنيسة عينا .

[وظهر بجلاء أن سعيه لهذا التوحيد كان سعيًا باطلا غير ممكن . وأنه لا شك جر عليه الدمار والويل] . فتحت الشام واتجهت الأحداث الى فلسطين ومصر . فبال لقاء معها غذا يمسيته الله اذا يسر وأعلن

ون ركله الظفر يشق بلاد الشام نحو بيت المقدس حاملًا معه الصليب الأعظم : أكلن عند ذلك يذكر ما وقع له في معسكره منذ حين . إذ طلع عليه جماعة من فرسان البدو عليهم . دحية بن خليفة الكلبي : يحمل إليه كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - لاشك في أن الامبراطور قد سمع بما أجلب به كسرى - شق الكتاب ومزقه وكتب إلى عاملة على اقليم حمير يامره أن ابعث إلى برأس هذا الرجل الذي في الحجاز - ولكن هرقل مع ذلك ارسل ردا حسنا وسار في سبيله لم يعكر شيء صفاء . ولم يعر امر تلك الرسالة اهتماما . وفيما كان هرقل يسير في مو كنه من الباب الذهبي بين الطرق المتعرجة قاصدا الى الكنيسة القائمة على جبل الزيتون . وفيما كان الناس يحوله يتشددون أناسيد النصر . كانت سرية من ثلاثة الاف فارس أرسلها النبي - صلى الله عليه وسلم - تسير في الصحراء إلى مؤتة ... ومن ذلك الحين بدأت الحرب مع الدولة الرومانية فلم تنته حتى سنة ١٤ هـ - وفيها سلمت القسطنطينية للاسلام ونقش اسم النبي العربي - صلى الله عليه وسلم - حيث هو اليوم على جدران كنيسة ايا صوفيا [] بعدها . عودا على بدء . يؤرخ - بتكر للفنح الشام فيبدأ [بما كان من تهون هرقل بالاسلام والنبي - عليه الصلاة والسلام . وكان وقتئذ تشر الاسلام في جزيرة العرب وبلغ ظله اكثاف الامبراطورية . والامبراطور لم ير في ذلك إلا ما اعتلت الدولة أن تصمد له من غارات اهل الصحراء . ولعله لو أدرك عند ذلك حقيقة الخطر لتصدى لمقوماته . ولكن قضى الله أن ذلك لا يكون . فقد كان هرقل



حديث

رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَكَأَيُّتَ مَنْ تَبِعِي قَتَلَ
مَعَهُ رِيبِيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا
لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا
وَاللَّهُ يَحِبُّ الصَّابِرِينَ »

صدق الله العظيم

بقلم :
د . بنت الشاطئ
استاذة التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

وَأَقِمْ

وَأَقِمْ

الدين
والإنسان

الاضطهاد الديني والفتح الإسلامي في مدونتنا شهود عصره

لست مؤرخة ، ولكني قارئة للتاريخ
يؤرخ . د . الفريد بتلر لفتح مصر - ومصادره الاصول بين يديه ، على رجاء أن يفسر منها
[ما لا يزال العالم أجمع في عجب منه ، فما كان لأحد أن يذهب به الظن ويبعده الخيال ، إلى أنه لم تمر
عشرون سنة على حكم الفرس لمصر حتى يجلبهم الروم عنها ، ثم يقهر الروم وتخبطو نيرانهم ويمحى
أثرهم على يد الكتائب الشيعية من جنود الاسلام] .

[كانت عشرة الامبراطور هرقل . ان جاعته دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - الى الاسلام - وهرقل في اوج مجده وموكب انتصاره على الفرس واختفاله بإعادة الصليب الأعظم إلى بيت المقدس - ففرض من الرسالة والرسول . . . وبلغت رايات الاسلام أكناف الامبراطورية فتهاون بها] . . . وشغل عنها بتحقيق حلمه الكبير في توحيد الكنيسة المسيحية طبقا لقرار . مجمع خلقيدونية . سنة ٤٥١ م . الذي كان سر حوادث تاريخهم جميعا . فيما سجل الواقع . وسار المسلمون الى الشام وأهلها في محنة الاكراه على المذهب البغض . ففتحت الشام بعد معركة حاسمة بين خالد بن الوليد . رضي الله عنه . وتيودور شقيق الامبراطور هرقل الذي أبحر من . أنطاكيا . إلى القسطنطينية . مهزوما منكسرا خلت العزيمة وأمن القوة . ولا يزال توحيد الكنيسة شغله الشاغل وهمه الأكبر] .

وانتهت الأحداث إلى فلسطين ومصر . والافق مشحون بشتات و اقصيص عن حركة الاسلام الظاهرة .

[إن تكن وهمية فإنها تدل على أمر واحد لا شك فيه . ولا يكتبه التاريخ . وذلك انه قد شاعت نبوءة

ارتجفت لها الفدة المسيحيين . وهي ان الاسلام حق وان نصره محقق]

ليتواروا فيها حتى يرفع الله عنهم غضبه . وتوقع بعضهم . في رواية بتر . أنهم سيلقون العسف والظلم عشر سنين ثم يرفع ذلك عنهم . . . [وخرج خليفة من الاسكندرية . وتجول في الصحراء والقفار - شرقي الصعيد - حتى قتل بوادي النطرون قريبا من قوص . فاقام هناك بدير صغير في الصحراء . غير بعيد من قوص . . . وانتشرت الابيرة في نجوع الصحراء ومنعزل القرى . وجنود السليطة يلاحقونهم في مطاردة عنيفة شرسة . حيث

يتعرضون لتعذيب رهيب نقل . بتر . نماذج من افاعيله . من (ترجمة الراهب صمويل الزاهد) كتبت في عصر الاضطهاد . وأخرى من (تاريخ البطريق القبطي اسحق) الذي استشهد غرقا بعد تعذيب شديدا . في سنة ٦٩٢ م . لم يقهروه . بل انتصر عليهم بإيمان وثباته على مذهبه .

ونقل من (كتاب سلويز) : ما ترجمته : [مكان الاضطهاد إلا يزيد المؤمنين إيمانا بدل أن يفتنهم عنه ويقضى عليه . . . كانت الشدائد تتوالى على المذهب والمصائب تفتك بأصحابه وظل قويا لم تلن قناته . ولكن حد ذلك البطش بلغ نقوسهم فتعلمها . وجعل مدة ظلم تلك السنوات العشر وظلامها سببا في ضياع كل أمل في السلام . إذ استفحل الأمر واستمر مرير العداوة والكراهة لسلطان الدولة البيزنطية] .

وتساعل . بتر . ومدونات شهود العصر بين يديه : [ولدت شعري ماذا كان يدور بنفوس أهل مصر إذ ذاك ؟ وبأي عين كانوا ينظرون إلى الحركة - الاسلامية - العظيمة التي قامت في بلاد العرب فما لبثت أن قرعت بلاد الشام وهزت مداها هزا . وإنه لما يشرف القبط أننا

كان على الكنيسة المصرية . البطريق بنيامين . قلنا مقام آخر بطرقة القبط في عهد الفرس - وكان بنيامين حبيبا إلى الناس لم يتساهل في أمر من الدين ولا غرض الطرف عن رغبة في الخلق - حين جاء . قيرس . معينا من هرقل لبطرقة الاسكندرية ومكلفا من الامبراطور بحمل أهل مصر على مذهبه . وسجل التاريخ . من مدونات شهود العصر : [لم يظن هرقل إلى أن مذهبه قد يباه أهل مصر . ولم يعرف أنهم إذا أبوا ذلك المذهب كان شر الطرق إلى ضمهم إليه . أن يرغمهم عليه ويقذف به في حلقهم إذا كانوا قد كرهوا مذاقه . وكان من رأى ذلك العصر أن أمور الدين والعقيدة مما ينبغي للدولة أن تقوم عليه ويصدر الناس عن أمرها فيه . ولم يكن الامبراطور هرقل في هذا الشأن أحكم رأيا من أهل عصره . فعقد النية على أن يظهر المذهب الذي صاغه رؤساء الدين الثلاثة . الشرقيون . في دولته . على كل ماعداه من المذاهب المخالفة له . متوسلا إلى غرضه بكل الوسائل . حسننها وقبحها . ولكنه كان كمن يسعى إلى المصائب سعيا . وذلك أنه اختار لمصر رجلا نحسا قسريا أخفق في سعيه لتوحيد المذهب . فسام أهل مصر العسف لمدة عشر سنين أمعن فيها ما استطاع في اضطهاد مذهبهم حتى استحال أن يبقى في القبط لاء لدولة الروم . وكان ظالما في حكمة حتى كره الناس دولته . ومهد السبيل إلى فتح العرب البلاد . . .

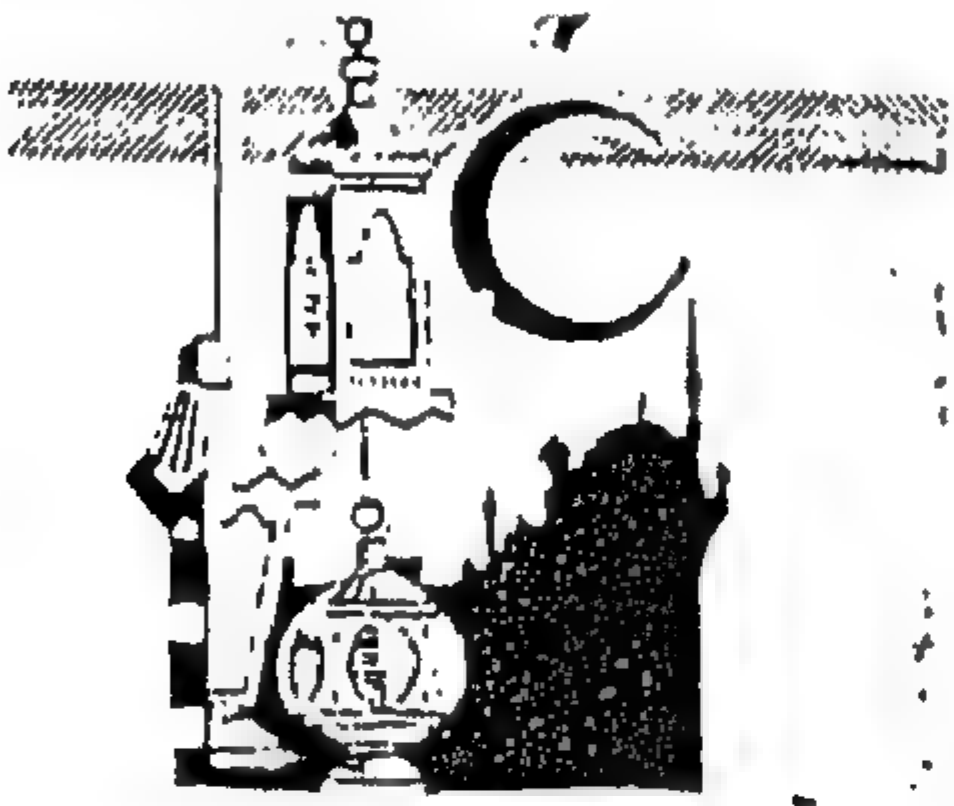
[وكان خطأ فلحشا أن لم يستشر أحد البطريق القبطي بنيامين . في رأى القبط فيما يراه إدخاله من البدعة عليهم . فإن المذهب الجديد كان محتوما عليه ألا يلقى في مصر نجاحا . فما هو إلا أن قدم . قيرس . الاسكندرية في خريف سنة ٦٢١ م . حتى هرب منها البطريق بنيامين . وقبل أن يغادر الكنيسة خطب في جمع من القسس والرعية فحضرهم على الثبات على عقيدتهم حتى يوافيهم الموت . ثم كتب إلى أساقفته جميعا يأمرهم بالهجرة إلى الجبال والصحارى

السبيل في القطرين لمطلع جنود الاسلام .
بهذه الصفحة ختم . د . بتر . فصل (الاضطهاد
الاعظم للقبط) في السنين العشر للاكراه المذهبي .
مسيوكة بفتح . خالد بن الوليد . رضى الله عنه . لمدائن
السلام .
بعدها كان مسير . عمرو بن العاص . رضى الله عنه الى
مصر . واغلب الظن ان قيرس . المقوقس . كان موقفا ان
المسلمين لابد لهم ان يسيروا الى مصر بعد ان تخلص لهم
السلام .
وفتحت مصر . في مستهل المحرم سنة ٢٠ هـ . يامن
لاهل مصر على انفسهم وملتهم واموالهم وكنائسهم
وصليبهم وبرهم وبحرهم . وان على اهل مصر الجزية اذا
اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم . وان على
ما في كتاب الصلح عهد الله وذمة رسوله وذمة
المؤمنين .
ويرى . بتر . [ان نص الشروط في كتاب الصلح . في
الرواية الاسلامية ليس فيه خلاف عما جاء في (كتاب حنا
الفيومي) وان كان احدهما مكمل للآخر . وختم تاريخه
لفتح مصر بفتح الثاني للاستكندرية . صيف سنة
٦٤٦ م . وهل كان عنوة او صلحا ؟ . وخير ما قيل في هذا
الشان ملجاء في كتاب المقريري . الخطط . فانه اثبت
الاراء المختلفة ووضحها ابضلحا عظيما واسند كل قول
الى صاحبه . واغوى الادلة في ذلك كله ماثلت على ان الفتح
كان صلحا . وان خير ما تلخص به الامر كله . ان نورد
ما قاله شيخ من القدماء . ابن شهاب الزهري . الصلح
الامم . اذ سمع رجلا يقول : انه لم يكن لمصر عهد . فرد .
رضي الله عنه : قلنا : ما يبالي ان لا يصلي من قال انه ليس
لهم عهد .

لا نجد اي دليل يبعث على الظن بانهم نظروا الى تلك الحركة
نظرة المبالغة والرضا قبل علمهم بها . على انهم لابد قد بلغهم
ان المسلمين يتركون للمسيحيين امور دينهم . ولعلمهم
توقعوا ان نصر المسلمين قد يخفف عنهم مالا قوه في
السنوات العشر من الظلم الذي نزل بهم الى حضيض من
الشقاء لا امل معه . فراءوا ان محيى المسلمين نازلة ينتقم
الله لهم بها من ظالمهم . وهكذا دفع سوء الحكم خير بلاد
الدولة الامبراطورية الى مازق ما اضيقه . ولستنا نستطيع
ان نعرف جنسية من هذه ؟ اهي جنسية هرقل وقد اطاعه
المقوقس . قيرس . فيما امر به من الشر ؟ ام هي جنسية
المقوقس ؟ فمن الجلي ان هرقل كان يقصد في مبدأ امره الى
قصد نبيل . فما كان اعظم ان يخلع على الكنيسة من السلام
مثل كما خلع على الدولة . ولكنه لم يعرف ثقلت الناس على
اديانهم وحرصهم عليها . ولم يعرف ان الدين كان متغلغلا
في أعماق فجاج الدولة . وانه اذا شاء ان ينزعه بالقوة كان
في ذلك اشد الخطر على حيلتها .
[وكذلك كان اختياره لمن ينفذ اغراضه غير موفق . فقد
ارسل الى مصر رجلا ليعيد السلام . وارسل كلمة يقصد بها
نشر السلام فلم يؤدها الرسول او لم يسمع بها الناس .
واما الاضطهاد فلاشك في انه قد وافق عليه واقربه . ولكنه
قد يكون اقربه بعد ان لم يجد عنه محيضا . في حين ان
قيرس لجأ الى العنف بلادي ذي بدء . . ومهما يكن من شيء
فقد كان رأي الامبراطور في القضاء على اختلاف المذاهب
بامر منه . رايها مبعثه الخيال والوهم . فقد ظن انه
يستطيع تهدئة عواصف الخلاف فرائ انه زادها شدة .
ولم يستطع الصبر على الخيبة ولم يرض ان يدع الامور الى
الزمن ويلزم جانب الاعتدالي . فعزم ان يسعى للسلام
بخوض حرب نبينة في مصر والاسلام . فكان بعمله هذا يمهّد

حديث رمضان

بقلم :
د. بنت الشاطئ
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين



الدين
والإنسان
واقف
وآفاق

« أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ
قُلُوبُهُمْ لِدِكْرِ اللَّهِ وَمَا تَرَكَ مِنْ
الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمْ
الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ
مِنْهُمْ فَاسِقُونَ * »

بِسْمِ اللَّهِ الْعَظِيمِ

عاشر رمضان ، ورع الزمان

إن هذا الموسم الكبير ، أعيد قراءته كتأليف - الدكتور الفريد بتلر ، في فتح العرب الإسلامي لمصر ،
وقد ترجمه استاذنا المؤرخ الأديب - محمد فريد أبو حديد ، منذ أكثر من نصف قرن ، وجد على حياتنا
وحياة العلم أجمع من الأحداث والنوازل ما جدد ، فلو أن لي أن أضيف إلى عنوان الكتاب في رؤيتي
الجديدة ، جملة شارحة لموضوعه ومادته وغايته ، لكانت - التفسير الديني لفتح مصر .

وقد سبق في حديث أمس ومقبله . ملتشد لظهور العامل الديني في توجيه الأحداث ومسار الوقائع . يستقطب سائر العوامل الأخرى اقتصادية واجتماعية وثقافية . في تفاعل مؤثر . مهيمنا عليها . فيعطى التاريخ تفسيره ومنطقه .

حديث اليوم يتعلق بما أشرت اليه أمس ومقبله : من وفرة أصوله ومراجعته العربية الإسلامية . والغربية الحديثة . والقطبية والبريانية واليونانية لمؤرخين عاصروا حركة الفتح فكفوا أشهود عصرها . شق على مثل أن جاءت نقول الكتاب من هذه المصادر بالتقويم الميلادي - الروماني . كما جاءت بهذا التقويم الأحداث الكبرى لحركة الفتح ومقدماته وأوائله . ونسأله . ونسأله . وأخيره . وقد سجل قائمة بها بين يدي الكتاب . بتواريخها الميلادية . واذ لانعرف لأحداث الفتح وتاريخ مصر الإسلامية - وسائر تاريخها وأعلام رجالها وأعيان مؤرخيها . حتى القرن الماضي - غير التاريخ الهجري أجهدني حقاً ما لا أغني عنه من مقابلة الأحداث والأعلام عند بتلر . على الرواية العربية في مصادرنا الإسلامية

وذكرت أننا اتداعى اليوم إلى توحيد رؤية الهلال ونختلف على رؤيته بالمواقب الشرعية . مع واقع اختلاف التقويم المعمول بها في بلدان الوطن العربي والعالم الإسلامي . ولعلها مختلفة كذلك في أقطار المجالس المتحدة والمؤسسات والمنظمات العربية . وليس هذا بعجيب من مفارقات المرحلة ما حارت البرية فيه .

ولقد التمسيت للدكتور بتلر من العذر ما لا وجه لالتماسه لمن لم يتخرجوا من تحريف التاريخ لما يدرسون من تاريخ وطننا وأمتنا بالتقويم الرومي الميلادي . وهو في مصادرهم للتاريخ الديني والسيلسي . والأدبي - بالتقويم الهجري فيخرج . إلينا عقيماً أصم . أبعد ما يكون عما نعلم ونحفظ ونعنى من تاريخنا إلى مطلع العصر الحديث . أسلوباً كذلك من روح الزمان التي تعطى الأحداث في فكرنا ووجداننا . نبضها الحي وأبعدها المترامية .

وبحضرتي من واقع تاريخنا المعاصر . يوم عاشر رمضان . لا أقمه ههنا بعشوائية المصادفة فذلك ليس من منهج مدرستنا الإسلامية . بل ذاك دأبي في حديث رمضان منذ عشر سنين . لم يمر بي اليوم العاشر منه إلا كل الحديث له وعنه . أتساءل كلما استقبلنا ذكرى النصر فيه . سنة بعد أخرى . عن وجه استبدالنا باليوم المشهود . بديلاً أصم الدلالة أخرس الأحياء

وقلت وأقول أن النصر مؤرخ في وجداني ووعبي باليوم العاشر من رمضان . وأوقن أنه كذلك في ضمير الأمة ووجدان الشعب . فنحن على موعد من ذكره كلما استقبلنا هذا اليوم المشهود . من الشهر المعظم .

ويعر بي اليوم السادس من أكتوبر كل عام فلا أحفل به . ولولا ما حصل إلى سمعي من أصداء الاحتفال الرسمي في السادس أكتوبر بإعلاء النصر . لما خطر على بالي أنه وافق يوم انتصارنا في العاشر من شهر رمضان .

ولم أدر . ولا أدري . كيف ولم ومتى . بدأ هذا التحول الذي استبدل السادس أكتوبر بالعاشر من رمضان

الذي أدريه أننا بهذا البديل . نصرف النظر عن سوء المعركة الخلفرة . ونخطيء فهم منطقتها وواقعها ومغزاها . ونغفل عن موازين القوى التي قررت مصيرها في يوم النصر . وفي أيام آخر مشهودات . قبله وبعده .

قبل ذلك اليوم الأغرب ست سنين . كان يوم السادس يونية المشنوم . لاتذكر الأمة أي يوم وافقه من تقويمنا الإسلامي بالهجرة النبوية .

ولم تعرف له لواء . بل سبق جنودنا إلى سينا في رحلة موت . مثلما سبق جند الأردن والشام إلى مصارعهم في البحر الميت وعلى سفوح الجولان . بالوية شتى متغلرة . لمراكز سلطة متضاربة . ومذاهب وأحزاب متناكره (كل حزب بما لديهم فرحون)

واختطلت صيحات الاستنفار في نشار قبيل منكر . التيس فيه أمرنا على عالم اليوم لا يدري لمن كانت التلبية . ولم كانت التعبئة وصيحات استنفار ما لبثت أن أخرسها أزيز طلقات العدو . وحصدتهم قذائفها حصداً . وتمزقت أشلاؤهم وتركزت بالعراء طعماً لسباع الطير . وحش الفلاة وهوام الأرض .

وطال علينا الليل ست سنين كأنها دهر . وغلب على ظن الدنيا أن أرواحنا صدمت بما تراكم عليها من قهر . وأن وعينا عطله ملتعلطي من مخدرات ومنومات . والعدو يعر يد منتشياً بما انتهك من حرمتنا . ويرسخ قواعد فيما اغتصب من ديارنا . بوطاة قرصان وخيلاء قاهر .

حتى كل ذلك اليوم الأغرب الذي هز العالم كله بنينا اقتحام جيشنا معقل عدو زعم أنه لا يغلب .

جنودنا البواسل عبروا مخاض الهزيمة والاحباط . وكواسد الطاغوت . ورفعوا راية الكفالة المنصورة على سلحة سيناء مكبرين مهللين . لبيك اللهم لبيك ..

(٣)

وعلى الساحة التي طهروها من رجس الغزو وعار
الاغتصاب خروا ساجدين .
وتناولوا وجبة الإفطار بعد امساك ست سنين مؤزقة
بشار الضحايا
ومعهم كل اخوة لهم من الجند المغاربة والمشاركة .
قد ودعوا اهلهم وديارهم . وزحفوا الى الجبهة يقتلون في
سبيل الله صفا واحدا بلواء واحد .
وسهرت الدنيا مع ملايين المسلمين في كل جامع ومسجد
وزاوية بديل الاسلام " ينشدون دعاء الفتح
● الله أكبر الله أكبر الله أكبر
لا إله إلا الله وحده
صدق وعده . ونصر عبده .
وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده)
لله تعالى كانت التلبية
وباشمه عز وجل . كانت التلبية والاحتشاد
من اجل هذا . تساءلت و اتساءل منذ حجبتوا عاشر
رمضان كيف . ولم . ومتى . كان التحول بذكرى النصر
واستبدال سانس أكتوبر بالعاشر من رمضان ؟
هذا البديل معزول عن وجدان الشعب وضمير الأمة .
مقطوع الصلة بمنطق النصر في يومه الاغر من شهرنا
المعظم . ومن تاريخنا الاسلامي بوجه عام .
كررت التساؤل في كل موسم ولم أسمع جوابا ولا ردا .
وما كان للتساؤل وجه . لو أن هذا البديل الاصم ظهر
فينا تلقائيا عقب يوم النصر . فتحمله على المجسرات لما
أخذنا به في تاريخنا الحديث من العمل بتقويم الفرنجة

ولا كان مظنة أن نستريب فيه . لو أن الدولة غلشت
الشعب بدواعي العدول عن عاشر رمضان إلى سانس
أكتوبر . ولو بظاهر العذر بالمفروض علينا من مسيطرة
التقويم المعمول به في عالم اليوم السذى نحظى فيه
بعضوية المؤسسات الدولية
الذي راينى من أمر هذا البديل العقيم . أنه لم يجس
عفويا تلقائيا يوم النصر . بل تسرب اليها على غفلة مناسم
يصدر به مرسوم جمهوري أو قرار وزاري فيما أعلم .
قصارى علمي أننا مضينا لستين أو ثلاث نحتفل بعيد
النصر في يومه الشرعى عاشر رمضان . واختطت الدولة
مدينة عاشر رمضان شرقى القاهرة وأطلقت اسمه . تيمنا
به . على الباخرة النيلية عاشر رمضان ...
ثم بدأ يحتجب بالتدريج ويتوارى شيئا فشيئا ليصبح
موضعا لسانس أكتوبر الذى طرأ علينا فيما يشبه التسلسل
الحذر . والنزق لما يحتفل من وقع هذا البديل الطارىء
الذى مالبث أن هيم على ذكرى النصر . من حيث لا ندرى
متى . وكيف . ولم ؟
اختط العهد مدينة سانس أكتوبر جنوبى العاصمة .
وأقام كوبرى سانس أكتوبر في قلب العاصمة . وأخرج
مجلة سانس أكتوبر دورية شهرية ..
وسنة بعد سنة . توالى مواكب الاحتفال الرسمى بعيد
النصر في سانس أكتوبر . تقام باسمه المهرجانات
والمعارض وتعطى دور العلم والعمل . وتعبأ أجهزة
الاعلام مرئية ومسموعة ومقروءة لترسخ هذا البديل
الطارىء . واللاحاق على صرفنا اليه والتمكين له منا
فهل هي جانبية التقويم المستورد ؟ أو ظاهرة عصرية .
تنمينا الى تقويم يابطرة الرومان والهناء الوثنية ؟
لست على بينة من الامر فحسبى أن أتلو من كلمات ربي
(استبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير)
صلى الله العظيم

حديث رمضان

بقلم :
د. بنت الشاطئ
استاذة التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين

والإنسان

واقعة

واقعة



هدية مصرية قبل الفتح ، إلى النبي عليه الصلوات والسلام

الزمن : السنن السادسة والسابعة للهجرة .
المكان : بين دار الهجرة ومصر في السنة السادسة . كان صلح الحديبية على الهدنة بين النبي صلى الله عليه وسلم والمشركين من قريش وصله الله تعالى بفتح المبين . في سورة الفتح التي بشرت المؤمنين بدخول المسجد الحرام آمنين محرمين لا يخلفون . وقد صدقتهم قريش في تلك السنة . عن البيت العتيق الذي خرجوا ساعين اليه للعمرة لا يريدون قتالا .
في فترة الهدنة . السنة الأولى منها . رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم ولواء الاسلام يوشك أن يجمع كل قبائل العرب أمة واحدة . أن يبلغ الدعوة ملوك الوقت والأمراء . وخرجت كتبه مع رسله اليهم . يدعوهم اليها الى الاسلام . ومصر وقتئذ تحت حكم الروم في عهد . الإمبراطور هرقل . وعلى مصر نائبه . المقوقس .

(٣)

وكانت مارية - هناك شابة مليحة نبيلة - ولدت في - حفن - قرية عتيقة - من كورة - انصنا - بصعيد مصر - على الضفة الشرقية للنيل تجاه الاسمونين - لاب قبطي وام مسيحية رومية .
وامضت بها حداثتها الاولى قبل ان تنتقل في مطلع شبابهها اليكبر - مع اختها - سيرين - الى قصر الحاكم بالاسكندرية - قاعدة الحكم ومقر الكنيسة الكبرى . وقد سمعت هناك - نبا ظهور نبي في بلاد العرب - يدعو الى دين سماوي جديد . وكانت هي واختها بالقصر حين وفد - حاطب بن ابي بلتعة - - رضى الله عنه - بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى المقوقس . واذن له في المنول في حضرته وكرم وفخته وترجمت الرسالة :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

من محمد بن عبد الله الى المقوقس عظيم القبط : سلام على من اتبع الهدى . اما بعد فاني ادعوك بدعوة الاسلام . لتسلم تسلم يوثقك الله اجره مرتين . فان توليت فان عليك اثم القبط . يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله . ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله . من قولوا فقولوا اشهدوا باننا مسلمون)
وتحدث - المقوقس - مع حاطب طويلا . فسأله عن قبل ان يصالح حاطبا بان القبط لا تطلو في دينها . وضمن بملكه . وامل رده على كتاب النبي صلى الله عليه وسلم :
[اما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما فيه . وكنت اعلم ان نبيا قد بقي . وكنت اظن اني اخرج بالتسلم . وقد اكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وهدية كسوة ومطية لتركبها والسلام عليك]

ودفع الكتاب الى حاطب معتذرا بما يعلم من شدة تمسك القبط بدينهم . وموصيا اياه بان يكتم عنهم ما كان من محورة بينهم .

وانطلق - حاطب - رضى الله عنه عائدا الى المدينة المنورة . ومارية وسيرين معه . قد أوحشهما فراق الوطن الحبيب . حتى اذا غلبت عنهما آخر معالمه . القتا نظرة اسبه على الافق تجاهه . ولم يغب عن - حاطب - ما يشجيهما فاقبل عليهما يحدثهما عن بلاده وعن النبي صلى الله عليه وسلم . فانشرح قلبيهما للاسلام ونبهه الكريم - وفي رواية ان حاطبا عرض عليهما الاسلام ورغبهما فيه فاسلمتا -) حتى بلغ الركب المدينة المنورة اوائل سنة سبع للهجرة . وتلقى صلى الله عليه وسلم كتاب المقوقس وهديته . فكتفى بمارية القبطية . ووهب اختها سيرين . شاعره حسنة بن ثبيت الانصارى الخزرجي . رضى الله عنه .

ومضى عام او نحو من عام . مارية - سعيدة بحفظتها لدى المصطفى عليه الصلاة والسلام . قد اطمأن بها المقام في رعايته .

وانحصرت آمانيها وخواطرها في شخص النبي العظيم الذي شرفت بصحبته من حيث لا تحسب . فكان لها الاهل والوطن . وكانت تحصل في سلامها سحر مصر . وفي اعطافها اريج الوادي العطر . وتطيف بها رؤى منيرة لاطيف ملكات مصر . على انها كانت مشوقة لان تستعيد قصة - هاجر - المصرية التي جاءت من ارض النيل وحملت من سيدها . ابراهيم . فلما ولدت له . اسماعيل . غارت سيدها . سارة . امرأة ابراهيم . فخرج بولده رضيعا في أحضان أمه هاجر . حتى بلغ البيت العتيق فتركها هناك . والوادي وقتئذ قفر خلاء . وترك لهما بعض زاد وماء . ثم عاد الى ارض كنعان . فلما نفذ الزاد والماء ولوثت الرضيع على الهلاك فلما راجت تسعى بين

الصفاء والمروة مهرولة ، شوفا بعد شوط ، لتتظفر من فوقهما الى أرجاء الوادي لعل فيه أثرا من حياة ، ولا أثر . وأبركتهما رحمة الله ، انبتق نبع زمزم من الصخر فرد الحياة الى الرضيع المحتضر ، وببت الحياة في الوادي الاجرد غير ذي زرع .

والفت . مارية . أن تفكر في خلوتها ، في هاجر ومصر بيتها وأمومتها لاسماعيل جد العرب ، فلم تخطيء ملامح شبه بينهما : كتاتهما من مصر ، وكانت هاجر حبة للنبي ابراهيم عليه السلام من القصر الملكي بمصر ، كما أن مارية هدية من القصر الملكي بالاسكندرية ، الى النبي محمد صلى الله عليه وسلم . وقد أثارت كتاتهما غيرة السيدات الحرائر ، في البيت النبوي . لكن . هاجر . كانت أما لولد ابراهيم . فهل تحظى . مارية . بأن تكون أما لولد محمد . صلوات الله عليه وسلامه .

ما أبعد الأمنية ! لكن لا شيء على الله عز وجل بمستبعد : حملت . مارية . وولدت للحبيب . وفاض عالمهما المشترك بالغبطة والهناء .

واحفل البيت النبوي والمسينة المشورة بقوليد

العزیز . وتنافس نساء الأنصار في الخطوة بحضائنه وارضاعه .

كان قد مضى على وفاة . أم العيال : أم المؤمنين الأولى : السيدة خديجة رضي الله عنها . نحواً من عشر سنين . لم يرزق فيها المصطفى ولداً من غيرها . وقد ثكل ولديه منها . التاسم وعبد الله . رضيعين . ثم ثكل بنته من السيدة خديجة . السيدات رقية وأم كلثوم وزينب الكبرى . لم يبق له غير . الزهراء . وغير هذا الوليد ابراهيم . من (مارية القبطية) هديته الغالية من مصر .

لكن سعادتهما ما به لم تطل . مرض . ابراهيم . ولما يبلغ سنتين من عمره . وكان لا يزال في بيت ظنره . وسهرت عليه أمه تمرضه وقلبها يذوب من وجد ولهفة . وجاء أبوه . صلى الله عليه وسلم . فوضعه في حجره وهو يجود بنفسه . فيقول أبوه : . إنا يا ابراهيم لا نغني عنك من الله شيئاً . وذرفت عيناه الدمع . ومعه صلحبه . عبد الرحمن بن عوف . يقول مواسياً : . وأنت يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : . يا ابن عوف . أنها رحمة . ثم أتبعها أخرى وقال : . أن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا . وإنا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون . وإنا لله وإنا إليه راجعون . متفق عليه .

توفي . عليه السلام . لعشر خلون من شهر ربيع الأول سنة عشر من الهجرة على الأرجح وصل عليه أبوه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه . ثم شيعوه الى البقيع فاضجعه والده بيده في قبره . وسوى عليه الثرى . ونداه بالماء .

واب المشيعون واجمين . وقد غام الأفق وانكسفت الشمس . فقال قائلون :

إنها انكسفت لموت ابراهيم .

وبلغت الكلمة سمع النبي صلى الله عليه وسلم فصل بالنس صلاة الكسوف ثم خطبهم فقل :

إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله . لا يتخسفان لموت أحد ولا لحياته . فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا . . .

متفق عليه من عدة طرق بالفاظ متقاربة .

وطوى حزنه في قلبه الكبير صليراً مستسلماً لقضاء الله فيه . ومارية أم ابراهيم تحول أن تتجمل بالصبر . فإذا عز عليها خرجت الى البقيع فلستروحت لمقرب فقيدتها الغال والتمست راحة في البكاء .

ولم تطل أيام المصطفى . صلى الله عليه وسلم . بعد وفاة ابنه ابراهيم في السنة للعشرة للهجرة . ففي شهر ربيع الأول من السنة التالية . الحلبية عشرة . لحق بلرفيق الأعلى وترك . مارية . من بعده . في شبه عزلة عن الناس . لا تكاد تلقى سوى أختها . سيرين . وولدها . عبد الرحمن بن حسن بن ثببت الانصاري . رضي الله عنهم . ولا تكاد تخرج الا لكي تزور قبر الحبيب المصطفى في المسجد النبوي . وقبر ولدها الغالي ابراهيم . بالبقيع .

حتى لحقت بهما في السنة السادسة عشرة فصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . ودفنت بالبقيع .

سلام عليكم بما صبرتم فنعلم عقيب الدار صدق الله العظيم

حديث

رمضان

بقلم :
د. بنت الشاطئ

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الديان
والانسان
والتاريخ
والتحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم
« وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِضْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ اَشُدُّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ »
صدق الله العظيم

حديث

الوصية بأهل مصر

لا يكاد عتق من السيرة النبوية وتاريخ عصر المبعث والفتوح الإسلامية ، وفتح مصر وتاريخها ،
وفقه الأحكام يخلو من ذكر وصية النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مصر ، يعدها علماء السيرة
ومؤرخو الإسلام من (دلائل النبوة) ويشهد لها واقع التاريخ ومنطق السنن البليغة للمقدمات
والنتائج ويعدها مؤرخو الفتوح من وثائق فتح مصر .
وقلما يغفل البصيرة الناقية للمؤرخين لمع العواقب لمجرى الأحداث ومسار حركة التاريخ ،
فمعى الأيتهم المعصرون البشرية والتأثر من صفوة الخلق ، الرسل عليهم السلام .

(٢)

وقد روى حديث الوصية مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وممن مسلم يشك في صدق دلائله على عموم الدعوة الإسلامية ورحب افاتها . وقد قال الله عز وجل . خطبنا لخدمته عليه السلام .

(وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون .) وفي (الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : . ثلاثة لهم أجران : رجل من أهل الكتاب آمن بنيةه وأمن بمحمد .. الحديث

★★

حديث الوصية رواه . الامام مسلم . في (صحيحه : كتاب الفضائل . باب الوصية باهل مصر) من طريقين لحديث أبي زر الغفاري رضي الله عنه وهو من الصحابة الذين شهدوا فتح مصر - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط ، فاستوصوا باهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما - وفي رواية : ذمة وصبرا .. الحديث

وفي (تاريخ المسعودي) : « قال النبي صلى الله عليه وسلم : استوصوا باهل مصر خيرا فإن لهم نسبا وصبرا . قال المسعودي : أراد بالنسب « هاجر أم اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليه السلام . وأراد بالصبر « مارية القبطية التي أهداها المقوقس للنبي صلى الله عليه وسلم . فولدت له ابنه ابراهيم عليه السلام . »

وقد أخرج الحفاظ حديث الوصية من مختلف طرقه . ومعه من الشواهد أحاديث أخرى في معناه . نقل أو تكرر في مواضع ذكرها في كتب الحديث والسلاسل والسير والاحكام . والتاريخ والبلدان عنها الحديث المشهور : « مصر كنانة الله في أرضه . من أرادها بسوء قصمه الله . رواه ابن يونس في (تاريخ مصر) وأبو المحسن في (النجوم الزاهرة) وأبو زولاق في (فضائل مصر) بالفظ متقاربة .

★★

بعد نحو من ربع قرن . كان فتح مصر في السنة العشرين للهجرة . وفي الصحابة إمراء الفتح وجنده . رواة حديث الوصية . والمسلمون جميعا يعرفون للسيدة « مارية القبطية » مكانها في بيت النبوة . وحظوتها لدى المصطفى عليه الصلاة والسلام . وأومتها لولده عليه السلام .

ودخلت الوصية في ميونات المفوضة الأولى بين قادة الفريقين في (تاريخ الطبري) - أحداث السنة العشرين - أن الفاتحين لما انتهوا إلى حصن بابليون والمقوقس بالإسكندرية :

[بعث وفدا مع أبي مريم رئيس نصارى مصر . والأسقف أبي مريم . لمنع بلادهم . فلما تصاف الفريقان وهما بالقتل قال عمرو بن العاص : لا تعجلوا حتى نغدر إليكم . وليبرز إلى رايها هذه البلاد . فلما برز إليه قال عمرو : أنتما رايها هذه البلاد فليسمعنا :

إن الله بعث محمدا بالحق وأمره به . وأمرنا محمد به وأدى إلينا كل الذي أمره الله به ثم مضى على السواضحة . ولكن مما أمرنا به الإغفار إلى الناس . فنحن ندعوكم إلى الإسلام فمن أحببنا فمئتنا . ومن لم يحببنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة والأمن . وقد أعلمنا نبينا صلى الله عليه وسلم أننا مفتتحون مصر وأوصانا بكم حفظا لرحمتنا فيكم . وأن لكم إن أحببتمونا ذمة إلى ذمة . ومما عهد به إلينا أميرنا : استوصوا بالقبطيين خيرا لأن لهم ذمة ورحما .

وقال التقى المقرئ : ومن فضائل مصر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى من أهلها وولده صلى الله عليه وسلم من نساء مصر . ولم يولد له . من غير السيدة خديجة - رضي الله عنها - إلا من مارية القبطية .

★★★

من الحديث في (صحيح مسلم) يعين الزمان بقدم مارية القبطية . دار الهجرة . إذ هي المراد بها الصهر في أهل مصر . وقد كان قبورها . بتألف . في السنة السادسة للهجرة . حيث بعث النبي صلى الله عليه وسلم يكتبه مع رسله إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الإسلام . وذلك بعد أن عقد مع قريش (صلح الحديبية) التي نزلت فيها سورة الفتح فبشرت المؤمنين بأنهم سوف يدخلون المسجد الحرام - الذي صدتهم عنه قريش - إن شاء الله أمين محرمين لا يخالفون .

ومصر وقتئذ تحت حكم الرومان . عهد : الإمبراطور هرقل . الذي حمل إليه الدعوة . بحية بن خليفة الكلبى . رضي الله عنه فأجمل هرقل الرد . لم يكذب بلقسي بسالا إلى الدعوة وهو في عز مجده وأوج عظمته .

وأما حكم مصر للروم . المقوقس . فحمل الكتاب إليه بالإسكندرية . خاطب بن أبي بلنتة . رضي الله عنه . وقد كان حديث الامس عن وفادته على . المقوقس . وما أجاب به . والهدية التي بعث بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم من مصر . وهيها . مارية القبطية . التي اصطفاها صلى الله عليه وسلم فولدت له ابنه ابراهيم عليه السلام .

فلسترجع الراهبان معا حفظ تاريخهم . ذكرى بعيدة لهاجر
أم اسماعيل عليهما السلام . قالا : قرابة بعيدة لا يصلها
إلا الأنبياء . معروفة شريفة . كانت ابنة ملكنا وكانت من
أهل . منف . فادبل عليهم أهل عين شمس فقتلوهم
وسلبوهم ملكهم وأغربوا . فلذلك صارت إلى . ابراهيم
عليه السلام . مرحبا به وأهلا . وأما حتى فرجع اليك .
الخير في النجوم الزاهرة . بلقظ مقارب . ويسرى أن
الصحابي الجليل . عبادة بن الصامت الأنصاري : من
وجود شهود الفتح . بحث عن موضع قرية أم ابراهيم -
عليهما السلام - فبنى به مسجدا .
وأخذت الأحداث مجراها على مقتضى السنن الثابتة .
حتى تم الفتح وعقد الصلح .

تداول الحفاظ من عصر المبعث حديث الوصية بأهل
مصر . وأخرجها المصنفون في السيرة والدلائل والأحكام
والشروط وأهل الذمة . وكتب التاريخ والبلدان .
وكانت موضع عنابة من مؤرخي مصر . ومن صنفوا في
فضائلها . وفتحها .
كما دخلت . حفن . البلدة الأثرية العتيقة من قرى
أنصنا . بصعيد مصر . في كتب الفقه والتاريخ
والبلدان . إذ فيها ولدت . مارية القبطية . أم ابراهيم
عليهما السلام .
في (معجم البلدان لياقوت) : وفي الحديث : أهدى
المقوقس إلى النبي صلى الله عليه وسلم . مارية . من
نحن . من رستق أنصنا . وكلم الحسن بن علي - رضي الله
عنهما . لأهل حفن - وفيهم خنولته - معلوية بن أبي
سفيان . فوضع عنهم الخراج .

وفي النجوم الزاهرة . عن الحفاظ ابن كثير أنه روى
حديث الوصية . قال رحمه الله : والمراد بالرحم أنهم
أخوال اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام . أمه
هاجر . وهو الذبيح على الصحيح والد عرب الحجاز
الذين منهم النبي صلى الله عليه وسلم . والمراد بلصير
لأنهم أخوال ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
لأنه مارية القبطية من قرى أنصنا . وقد وضع عنهم
معلوية الجزية إكراما لابراهيم بن رسول الله صلى الله
عليه وسلم .
والخبر في رواية . التقى المقرري . موصول بكتبه
صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس . وجوابه وحديثه إلى
التي عليه الصلاة والسلام .
قال بعد تفصيل خبر الرد . والهدية . فولدت مارية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابنة ابراهيم وكان أحب
الناس إليه حتى مات فوجد به . وكانت سنة يوم مات سنة
عشر شهرا . . . وكلم الحسن بن علي معلوية في أن يضع
الجزية عن جميع أهل قرية أم ابراهيم لحسرتها . ففعل
ووضع الخراج عنهم . أيضا . فلم يكن على أحد منها
خراج . على الأرض . وكان جميع أهل القرية . حفن . من
أهل مارية القبطية وأقربها فلقطعوا .

وفي العصر الحديث . كتب . الاستاذ حفتي تصانف .
بحثا في (موطن مارية القبطية من الديار المصرية) شارك
به رحمه الله في مؤتمر المستشرقين الدول بعاصمة
اليونان : أثينا . سنة ألف وتسعمائة وثلاث عشرة .

(وتكرمان الذكرى تنفع المؤمنين)
صدق الله العظيم

حديث

رمضان

بقلم :

د . بنت الشاطي

أستاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين

والإنسان

واقعة

وآفاق

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
إِن تَصْبِرُوا لِلَّهِ
يَنْصُرْكُمْ وَيُخْرِجَ
أَقْدَامَكُمْ »

صدق الله العظيم

نهاية .. وبداية (١)

الأكراد في الدين . قرر مصير دولة الروم البيزنطية اجمع . لاقى السام ومصر نصيب . وسجل
الاصول من مدونات سيود عصر السقوط والفتح . مساحد النهاية الفاجعة للإمبراطورية . ودرغل في
أوج مجد وسلطانه . وتسليم ممالكها . لغادة الامه الفاسحة . كما يسميها المورث العرسى العلامة
سيديو
وأغل من مساحد النهاية ما كتبه . د . منلر . من استقراء لمصادر . الاصول . بعد ان اطلال النظر
في الزلزله الاولى . للإمبراطور خرقل . الاجاعته وهو في ذروة سلطانه . دعوى النبي محمد - صلى الله
عليه وسلم - الى الاسلام فهاور بها . حد كاث الزلزله الثانيه ان وصلت كسابغ الفتح الى اكساب
امبراطوريته . تسعله عنها حمة الاكبر في توحيد الكنيسة . ولم ير في معارضى المسلمين اخبر مما الغد
الدولة الكبرى من غارات العدو على اطراف العمران

وحاء مسجد النبية . كما صورد د بتر قال . في الفصل الأخير لفتح السام
[وفيما كانت السحب الدخلاء تنهال بعضها فوق بعض - في الاقطار المضطربة بالاكتراد في الدين
لتوحيد الكنيسة - كانت أعمال هرقل قد طغت سهرتها الخافقين وجعل الملوك من افاضى الارض في
الشرق والغرب يرسلون اليه الرسل والهدايا البهيمية و آيات الاعجاب . ولكن الامبراطور سالت ان
عرف ان القضاء يسخر منه . فانه ما كادت آيات خضوع العالم واعجابه تملئ من يديه . حتى كان
العرب المسلمون . يفرعون ابواب السام فرعا عنيفا
[وسار . خالد بن الوليد . مع ابي عبيدة من اليرموك الى دمشق العاصمة فحاصرها وشرقت في
انطاكية . لم يبق لل دفاع عيال سبر المجاجيسا اكبر عددا والصوى عسك . فسادت اخيه
بيد دور الذي يغلب في قتال المسلمين حتى غلبوا في موقعه فاصله . وجاءت ابناء الكثرة الساحقة
من دمشق الى انطاكية
[يعرف هرقل ان الامر قد اقلت من يده و ان الله قد خذل الامبراطورية . وما زاد في الحسد عليه
انه اركب حبيبته بزواجه من ابنة اخته مريسة فكان مدد كانت عند ذلك معلولة وكان غلبه كار

مفلوجا . وقد جمع كبار قومه في حفل سكتنيسة اسنلاكه
يستسرع فسماع عمل . ففاد سيخ مبيد اسب وقال ان
الرود معدوم اليوم لعصيانهم . نعل الله ونجنا حيد فاما
سبيد و بشار ليد . ولما ارادوا امر الربا والفسود وكان
حنما عليهم ان يخذوا مذنبه . فكلن قوله هذا فحصل
الخطاب احسن الامبراطور من نفسه مضحك الحسم
و وخر العقل . وراى الحذايعيريه . وعرف ان مقامه
ببلاد السام قد اصبح لا غناء فيه . فرحل عنها من
انطاكية الى القسطنطينية سحرا . في سبر سستمر سته
٦٢٦ . ووقال ان هو على وسك الرحيل . وداعا ساما لاد
السام . وداعا ما طول امد . وراى فيها رنه من الاسى
وكانها تعبر عما كان يدور في نفسه من ان مجد العساير
وبصره الساخر قد انشبا بالخذلان والعار . وانه ان يقولها
يودع عزه وسلطانه الموقوف بذكرنا بنابيلور وما احسن
نه من الاسى ان هو على قلبه . منه بلر يفرور بظفر الى
وحله فريسا بقرنه الاخيرة . وانحق ان فيما يسر دسك
الفاندين العظيمين وجودسه عدة . ولكن نابليون ظل الى
اخر موافقه وهو ملك يفرور حسمه في حين ان هرقل اضاع
قوادسدي في نضال لا فائدة فيه اراد به توحيد الكنيسة فلم
يستطع ان يجمع ما بقي من قوى الدولة او يفرور حيد اذا
ما ازفت ساعة الخطر واستدت الازمة . فبقى في سدنه ثلاث
سفر خمت فيها اماله وذوت قوته وصوح سمائه . وعسا
امر الاسلاد تحت بصره وسمعه ولد ينحدر لمفاومته
فما زال الاسلام يغزو حتى غلبت دولته تحت ظله]

كان في الكديسه من اتية . وسحبوها في سفينة الى دار
الملك بالقسطنطينية . ولا شك في ان تلك السفينة التي
تحمل الكوز المقدسه انحسرت الى السمل ولحقت
بالامبراطور اما في بعض القصور التي مريها في طريقه الى
عاصمته . واما بقصره على مقربة من خلفيونيته وكان
قد اقامه مريضا مدة من الزمن فلما سار الى العاصمه حمل

معه الصليب فاعاد الى كنيسة القديسه صوفيا . وكان
الناس قد فرحوا به من قبل اسد الفرح . ورحبوا بمقدمه
فلما رآوا انه سرنجاح هرقل . مد غدا اليه بعد ذلك
والحرز يخيد على الناس . مرور في عودته رنرا لاحفاق
ملحهم وخيبه . وبقينا ان الادار له يسخر من شره
سخرنا اظن حدا ولا امر مداف من حد . على كبره ما ازلت
به من مصائب . فان مديسه القدس كانت وفند يحاصرها
حضور العرب . المسلمون . واستطالت مدة الحصار
استاء سنة ٦٢٦ - ٦٢٧ . واولعيا كانت اقل من ذلك
ولكن لم يكن الاى احد شك في نهية الامر . فان العرب ان
عجزوا عن فتح المدينة عود . فان اهلها الذين يبدون
على رفع حصارهم عنها . ولديت من قبل الرومان . ما
يجعلهم يولون في الحدة . سل خاست الاساء سترى
بالمصائب والبخات . فحل في قلوب اهل بيت المقدس من
الخيمه والياس من حل من قبل في قلب هرقل . عسدي
فاوض الطريق السخ . صوفروسيوس قواد العرب .
المسلمين من فوق الاسوار . ولعله كان يحس عند ذلك ان
المدينة لن تستطع البقاء طويلا لنفسه المونة . فسر
المجاعة بها . وانفق على ان يسلم المدينة على شرط ان
يأني الخليفة عمر . رضى الله عنه . بنفسه ليكتب
عهدها

[ولا حاجة بنا ان نعيد هنا القصة المعروفة . قصة
محي - عمر - رضى الله عنه - الى السام على جمل .

مع كلر المسجد الفاحج لتسلم بيت المقدس فعلا من
ا روايه سبيوس اوفى روايه واضحه دقيقه . وفيها
يقول [ان العرب المسلمين - بعد وبعه السرمول
جازوا نهر الاردن وكانت حبيته تسعده بفتح في قلوب اهل
تلك البلاد . وفي تلك الليلة التي اغيبت وصول ابناء حدود
العرب اليه . اجم اهل بيت المقدس الصليب الاعتدوما

وكان اسعدت اعمر حسن المجلس والهيئة . حتى استجند
 عنون مرق الروم بد محمد العهد ووزار الاماكن المقدسة
 بصحبه صفرو سوس |

بيد العبد محمد د ينكر ما اوجز من احداث فتح
 السام سنخلة من الروايد الاسلاميه في التاريخ
 الخليلي ، باسناد عن سيدوا الفتح احداث السند
 العاليه عمرد للهجرة . وحمد الاسلام قد ساروا الى
 دمشق في ذي القعدة منها . على سنة اسير من وصاد السلي
 بكر - في خماني الاول سنة ثلاث عشرة - وخالفه عفرين
 الخليل وقد اجتمعت الرود على فاند سيد داهمه وكان
 عمر قد عزل خالدا واسعمل ابا عبيد سر الحراج على
 الاجناد فالتقى المسلمون والروم فبما حصول دمشق
 فاستلوا اسديدا بد فزم الله الرود فدخلوا دمشق
 واغلقوا ابوابها وحصروا المسلمون وجاهدوا حتى
 فتحت دمشق . فلما قد كتاب امير المؤمنين على ابي عبيد
 سامانه وعزل خالدا . فاستحيا ان يقرى خالدا الكتاب .
 حتى فتحت دمشق وجرى الصلح على يد خالدا وكتب
 باسمه كتاب الصلح في شهر رجب سنة اربع عشرة
 وعند اقلير ابو عبيد الكتاب سامانه وعزل خالدا
 واجريت مراسم العزل الفاسيه . فصار خالدا على ان قال
 ما انا الذي اعصى امر المؤمنين . وفي مع امير دامي
 عبيد خديا سلا وسنارا امينا يسيرد الامير في
 سرايا في مدارس الساد او يسيرار صحبه وقد سارا معا
 الى حصن وسيا الى قسارية والاردن وعمر وس العاصي
 على املاين لا يقد على معرفة فاندنا . وكان ادعي
 الرود واخاها وولد

وفتحت احاديث عنوة وكتب فاند الروم الى عمرو بفر
 ما نهما نظرا من تخافنا . وسقرد فاند لن يفتح مر
 فلسطين سيباعد احاديث ورد عمرو بجا يلسق به
 وكتب الى امير المؤمنين بسند فاندنا . اني اعالج حريا
 حدودا وبلدا اخذت لك امراك فتعذر لها عمر
 استخلف على المدينة وكتب الى امراء الاجساد ان
 يستخلفوا على اعمالهم وبوا فاندنا الحايه . لبيد سعاد

ليد وخرج سلخا على حمار فدار من اول سر لفيه ابو
 عبيد وخالدا على الخيل غلبه الدماح والحزير
 فامر عبيد ان يستغلوا في سل هذا الرن . وما سبوا الا
 بد سسر

وفي الحايه خاء اكل ابناء فبالجود على
 الامان والحريه الامان لانفسه واسواله ولشبابه
 وصبايه وانه لا يخر فبا سبه ولا يتقدم ولا يتخلف
 منبوا ولا سر حيا ولا من صلبه ولا اسواله . ولا
 يخر من على ديبه ولا يصر احد منبه ولا سكر ساليه
 معبد احد من الجود وعلى اكل ابناء ان يغلقوا الجزه
 كما يعطى اكل الدائن وان يخرجوا الرود . فخر
 منبه فانه اس عز فسد ومانه حتى سلوا ما سبه . ومن
 افاد منبه فجو امر وعلمه سل ما على اكل ابناء من
 الجزه . ومن احد من اكل ابناء ان يسير بنفسه وماله
 مع الرود ويخل بعبه فابيه امسور على انفسه وعلى
 بعبه وصنعه حتى سلوا ما سبه . ومن كار ببا س
 غير ما فتن ساء بعد وعلمه سل ما على اكل ابناء من
 الحريه . ومن ساء سار مع الرود من ساء رجع الى الله
 وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله ودمه رسوله

وربه الخلفاء . ودمه المؤمنين
 . شهد على ذلك : خالد بن الوليد وعمرو بن العاصي
 وعبد الرحمن بن عوف وعاوية بن ابي سفيان
 وكعب بن احمر سيد خمس عشرة
 وسار من الحايه حتى قد ابناء فدخل خاسقا نحو
 محراب داود فورا . سجد داود . وصرها المسلمون
 بعد ما استغلوا الخعب وافاد ليد الصلاه

 سجد داود في التي في قوله تعالى ان سوردا خير
 . وان خيرا من الخلفاء لسعي بعبه على بعض
 الا الذين اموا وعملوا الصالحات وقتل باخذ
 وقل داود ابا فاندنا فاستغفر ربه وخر راحا
 واناب . صدق الله العليم

حديث

رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

مِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا * فَاَيُّهَا
يَسِّرْهُ يَسِّرْهُ يَسِّرْهُ يَسِّرْهُ يَسِّرْهُ
وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا
قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ نَجِئْ مِنْهُمْ
مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمِعُ لَهُمْ رِكْزًا *

صدق الله العظيم

بسم
د. بنت الشاطئ
استاذة التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين

والإنسان

واقعة

وافتان

نهاية .. وبداية



مضى حديث الامس عن النهاية الفلجعة لامبراطورية الروم البيزنطية بالفتح الاسلامي للشمام .
وانتجاء الاحداث الى مصر حيث تقرر مصير الروم بنهية حتمية لعشر سنين من ويلات الاضطهاد
الديني بالاكراه المذهبي .
نؤمن ان تغيب هنا وهناك . العوامل الاخرى . جغرافية ومادية واجتماعية . عن التأثير في حركة
الاحداث ومصير الوقائع . يستلطفها العامل الديني مهيما عليها . في تفاعل مؤثر ..
لنقرأ من مدونات شهود تلك العصر . ما استخلصه الدكتور قال : الفريد بتلر . حيث ذكر ما كان
من مناعة حصن بابلليون مع جهل المسلمين بحيل الحصار وفنونه .

وكانوا قد غنموا بعض آلة الحرب في وقتلهم سابقا . كالفيوم ومنوف . ولكنهم كانوا لا خبرة لهم بها ولا بطرق إصلاحها إذ أصيبت . فضلا عن موقع الحصن . تحف به مياه النهر وقت الفيض . وكان بالحصن كثير من الزاد والذخائر . وجنود ما بين خمسة آلاف وستة آلاف ... غير أنه مما يجدر ذكره هنا . أن كل انكشاف التي في داخل الحصن . كانت تؤمها قسوس على المذهب الخلقيدوني أو الملكاني . ولم يبيح لأحد هناك أن يتعبد على غير ذلك المذهب . وكان حرياً بطريق الروم . أن يدرك أن العسف إن كل أدى إلى شيء يظنه من يراه قوحيدا المذاهب الدين . وما هو بكنك . فإن العسف قطع الأسباب بين الحكم والرعية فكان أمر الروم ينعف وقوة جيوشهم تخور وأملهم في النصر يخبو ... كانت مجنق الروم أقوى أثرا مما يرمى به المسلمون الحصن من حجارة وسهام . وقد أدى صبرهم وشدة بأسهم في القتال إلى خور في عزيمة من في الحصن فمال . المقوقس . إلى الصلح . وما زال بمن خلفوه من رجال الحصن حتى أقنعهم بأن يتسلل في الخفاء إلى قلند المسلمين ليأتيهم بشروطه . على أن يبقى الأمر في طي الكتمان إلى أن يتم . مع إهل الروم حتى يقر . هرقل . الشروط . ولم يكن حصل المسلمين الحصن من جانب النهر على ما ينبغي من الحذر واليقظة . فقد خرج مرة جماعة من حرس الحصن فلجأوا . عبادة والزبير . في صلاتهما فوثب الرجلان إلى فرسيهما وحملا

على حرس الروم . فلما رأوا أن العدو لاحق بهم جعلوا يلقون مناطقهم ومتاعهم ليشغلوه بذلك عن طلبهم . وعدوهم لا يلتفت إليهم حتى دخلوا الحصن . وأصيب عبادة . إصابة خفيفة من حجر رمى به من فوق الحصن . فرجع القلندان المسلمان إلى موضعهما لم يلتفتا إلى ما ألقاه الروم حتى أتموا الصلاة .]

قلت : في الرواية الإسلامية بتاريخ الطبري . والنجوم الزاهرة . أن حرس الحصن لقوا . عبادة بن الصامت . فكان موقفه كما نذكر بتر . لكن ليس في الخبر ذكر الزبير بن العوام .

وسافر . المقوقس . مسرعا إلى الاسكندرية وبعث كتابا بعد آخر إلى . هرقل . معتنرا إليه عما كان بيان الحاجة البجات إليه . وطلب إليه أن يقر الصلح على الامتنان والجزية . يقول بتر :

[وليس بعجيب أن يكون هرقل قد حار في امر تلك الكتب فلما لا تبين ما إذا كان الصلح خلاصا بحصن بلخميون أو كان على ترك بلاد مصر جميعها . حتى الاسكندرية للعرب ؟ ولا تبين هل يبقون في البلاد بعد أخذ الجزية أو يرحلون عنها ؟]

فكان رد الامبراطور أن استدعى . المقوقس . فلو جس خيفة من الاستدعاء . لكنه لم يملك إلا أن يمضي . حتى بلغ حضرة الامبراطور في القسطنطينية ولقبه [وما كان أهوله من لقاء] أقر بصمود الموقف وخطرة . معتنرا بأنه مما لم يكن منه بد . وقال يلف من قسوة الأمر : [ان العرب قد

يحملون على الخروج من مصر بعد . وان الجزية التي دفعها لهم يسهل أن يجبي مقدارها من متاجر الاسكندرية ويضطلعها فتعوض ما خسرت الدولة . أما ما سوى ذلك فقد كان المقوقس لا يرى موضع اللامل . إذ كان العرب . المسلمون . قوما لا يشبهون سائر الناس في شيء . فهم عند حد قولهم لا يليهم زخرف الدنيا ومتاعها . لا يطلبون منها

الا لكمة يسدون بها الرمي . وشملة لستر البسن . فهم قوم الموت . يرون ربحا في أن يقتلوا . شهادة يرجون بها المثوبة في سبيل دينهم . في حين ان الروم يحبون متاع الدنيا وزخرفها . وقال يرجو اقتناع الامبراطور :

[لو رايت هؤلاء العرب وبلاهم في القتال لعرفت أنهم لا يغلبون ..] ونقل . بتر . من (كتاب نيقفوروس) قصة عن عرض فيرس على الامبراطور أن يزوج عمرو بن العاص إحدى بناته ثريعة محتملة إلى تنصيره ! وعقب : وتلك لعمري قصة لا تصدق . فما كان فيرس ليجهل ما كان عليه المسلمون في اسلامهم من ثبات لا زعزعة فيه . وإيمان راسخ . وان قصة بقال فيها مثل ذلك عن عمرو فهي قصة ضل فيها الوهم ضللا بعيدا [ولا أثر لها في كتاب آخر غير كتاب نيقفوروس ...]

على أن هرقل لم يكن في حاجة إلى مثل هذا السخف لو قود غضبه . فقد داهم ما كان من أمر جنده . وعظم عليه أن

الانفس والاموال ، سوى ما يؤدون من جزية : دينارين على الرجل عدا الاحداث الصغار والشيوخ والعجزة وذلك عندما يبلغ النهر فيض ملته وتبلغ زيادته مقياس الوفاء . وان ابي احد منهم ان يجيب رفع عنهم من الجزية بقدرهم ، وضمنتامن ابي بريئة . ومن دخل في صلحهم من الروم والنوبة فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم . ومن ابي منهم واختار الذهب فهو امن حتى يبلغ مامنه او يخرج من بيلار الاسلام ..

(على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله ونعمة الخليفة امير المؤمنين ، ونعم المؤمنين .. وشهد الزبير ، وحيد الله ومحمد ابناه ، ونعم المؤمنين .. وشهد الزبير ، وكتب وردان ، وحضر ..

- الزبير بن العوام بن خويلد الاسدي حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن اخي السيدة خديجة وابن عمه المصطفى ، واحد العشرة رضى الله عنهم .
- وعبد الله ومحمد ابنا عمرو بن العاص القرشي السهمي ، القائد الفاتح
- ووردان كاتب العهد وشاهده ، مولى عمرو بن العاص . ومن الرواة عنه وحمله لوائه .

واقتربت النهاية ، على موعد معها في ثغر الاسكندرية قاعدة الحكم الروماني بمصر ..
لحديث عنها غدا بمشيئة الله ، لاني لقاء والله المستعان .

ينهزم منهم مائة ألف امل اثني عشر ألفا من العرب الجفلة .. ولعن . قبرس - المقوقس ، واسلمه الى حاكم المدينة فشنه ووقع به المهلة .. فخرج من بلاده طريدا منفي ..

في مصر [مر اليوم بعد اليوم ولانبا ياتي من بالحصن الا انباء سوء وشوم ، الى ان سمعوا يوما من عسكر المسلمين فكبرا عاليا - اوائل مارس سنة ٦٤١ م - وعلموا ان هرقل قد مات ، فخارت نفوسهم اذ كسر الله الروم بموته ، كما قال أحد مؤرخي العرب - اليعقوبي - [كانت الحملة الاخيرة على الحصن في يوم الجمعة السادس من ابريل ، لذلك العام - ٦٤١ م - وقد اهل من فيه ثلاثة ايام للتجهز للخروج ، دون ان يخمد اوار العداوة والبغضاء لمن ليسوا على مذهب الروم .

وقد كلن كل من في الحصن من الروم سوى من سالمهم من القبط تقية ، فلستراب الروم في كثير منهم فسجنوهم في الحصن ، فلما كان يوم الخلاص والانعتاق سحبوهم من سجونهم وضربوهم بقسيط

هكذا لا يترك العامل الديني مهيمننا على الاحداث ، يستقطب العوامل الاخرى ، طبيعية واقتصادية واجتماعية ، دون الغض منها او التهوين من اثرها . وكذلك الامر في عهد الصليح : على الامان بلا اكراه في الدين ، وتامين الكنائس وما في حيزها ، والامان على

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّتٍ وَعَيْونَ *
وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَهُ
كَتَبُوا فِيهَا فَكِينِ * كَذَلِكَ
وَأُورِثُهَا قَوْمًا خَرِينِ * فَمَا
يَكْتُبُ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ
وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ *

صدق الله العظيم

بقلم
د. بنت الشاطئ
استاذة التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين

والإنسان

واقعة

وأنفاق

نهاية .. وبداية (٣)

في السنة العشرين للهجرة ، كان الفتح الاسلامي لحضن بابل يون بداية النهاية لامبراطورية الروم
فمنطقة ، فعلى الرغم من كونه في اول امره محدودا في نطاق بعلبيون او ممليس ، وقد بعد العهد بها
صنعت قلعة البلاد ، غير انها بقيت ذات شان عظيم ، إذ كانت بلدا لاقليم الصعيد ومصر السفلى ،
مملكة الحصن العتيق العتيق ، لا يكاد يتنازل .
يتركز الملك ، عمرو بن العاص ، بعد الفراغ من امر الحصن ، حريصا على المسير الى الاسكندرية
فكسرت الروماني بمصر ومقر الكنيسة الكبرى ، اذ لن تمضي اشهر ثلاثة وحتى يعود النيل الى
سرعته ، فلو كانت غير متسع للراحة والانتظار ، وفي ضياعه مضيقا لما لا عوض عنه .
عقب الى امير المؤمنين يطلب مددا واستخلف على الجند واستنبر الحصن بجند متجبا الى
الاسكندرية ، وفي طريقه اليها لقي مقاومة عنيفة من بعض الحصون ، وقتلته عند كريون ، على
شرف البحر عند الروم قتالا شديدا بقيادة ، تيودور ، وليس منهما في شجاعته وإقدامه على القتال ،
صلم يكن قلدا اذ رأى وقد عرف النفس أن ليوم كريون مابعده ، فاستحر القتال بضعة عشر يوما .

(٢)

وصح ذات يوم منها . ان كلن . عبدالله بن عمرو بن العاص . في كتيبة يحمل لواءها . وردان . مولى عمرو بن العاص . - وكتب عهد صلح بابليون - فاصابت عين عبدالله جراحة شديدة فاجهضته - سنة القتال . فالتمس من اميره . وردان . ان ياذن له في التراجع قليلا يطلب الروح . فقال له وردان : - تريد الروح ؟ الروح املك وليس خلك . واقبلا على القتال والحرب سجل بين الفريقين . حتى استطاع المسلمون فتح مدينة كزيون وحصنها . وارقد تيودور عنها . وخلا الطريق الى النفر . فسلر عمرو حتى بلغ اسوار الاسكندرية وحصونها التي لا نظير لها . ويقول . بتلر . -
ولا يد ان كثيرين ممن كلن في جيش عمرو . قد راوا جميل المدائن في فلسطين والشام . وقد يكون معهم من شهد انطلقت الشهيرة ورأى عجائب تدمر . ولكن ذلك كله لم يكن شيئا ذابال . اذا قيس بعظمة المدينة البارعة الناعرة . فقد كانت حتى القرن السابع اجمل مدائن العلم وابهاها ... وما كلن هيا لجلال الفلق والجمال البارع الا ليقع من قلوب غزاة الصحراء الذين جاوها فلتحين .

شيء واحد هو ان اصحابه اذا خرج لهم العدو ونسجهم القتال صبروا وثبتوا وغلبوه وان كان اكثر منهم عددا واغوى عدة [ومع المتوقع من طول مدة الحصار الضيق : رأي . عمرو . ان يترك عليه من يكفيه من المرابطين : ويخرج ببقى الجند في غزاة يجوس فيها خلال الديار . -

[وقتئذ كانت القسطنطينية في هتنة وشقاق . وصراع على الملك بعد موت قيصر . يمزق كيلا الامبراطورية بالفسائس والمكيد والمؤامرات . وكان من اثرها ان عاد . المقوقس . من منفاه الى الاسكندرية ذات صباح من شهر سبتمبر وقد استقبل من اهل المدينة بحفاوة بلغة واحتفال مشهور . والمدينة مضطربة من عداوة الاحزاب . ومضى موكبه الى الكنيسة العظمى وقد فرشت النمازق في طريقه . والرايات والالوية من الحرير تخفق فوق راسه اذ يسير بين عبق البخور وترتيل الانشيد . حتى دخل الكنيسة فقام الصلاة وجعل (عبد الصليب واعلامه) موضوع خطبته . وهو موضوع جليل لخطيب ولو اعوزته الفصاحة . فكيف برب البلاغة والبيان !

وكلن . عمرو قد عاد الى بابليون . بعد ان فتح بلاد الصعيد . مصر الوسطى . كيما يستريح الجند في اوان فيض النيل . ولما كان داخل الحصن وافاه المقوقس ذات ليلة يحمل عهد التسليم لمرحب عمرو به واكرم وفسخته .

وكانت مسلحة المدينة عند ذلك نحوا من خمسين الفه . والاقوات والخيرة وفيرة اذ هي على البحر ولم يكن فيه تمسلمين . بعه سفينة واحدة تتعرض لاسطول الامبراطور وتنقص من سلطانه على البحر . وكانت الاسوار متينة تحميها الالات القوية . ولم يكن لدى العرب شيء من الات الحصار اذ لم يستطيعوا نقل ما غنموه منها . من الروم قبل ذلك . وعلى هذا كان في يد الروم من العدة والقعد ما يقوون به على حرب المسلمين وليس لهم من العدة الا سقيمها السلاح . على ان العرب كانوا قبل ذلك قد فتحوا الفتوح العجيبة في مصر والشام فلم تقف دونهم حصونها . كلما ذكروا ذلك زادهم ايمانا وقوة وثقة من ان العقبة لهم . ومع ذلك فلن عمرو بن العاص حمل على هذه الاسوار فريته عنها قذائف الحجارة ترميهم بها مجانيق الروم . فارتدوا عنها الى ان عسكروا بعيدا عن مناسلها ... وليس في ايدينا وصف للقتال في الاسكندرية سوى ما ذكرناه . نقلا من (ديوان حنا النقيوسي) عما اصاب العرب من فعل المجانيق التي لم يطبقوا عليها صبرا ... ولا نستطيع تفسير ذلك الاغفال الا بانه لم يكن ثمت حصار للاسكندرية بالمعنى الصحيح : فقد كان البحر يحميها من جهة الشمال . وكانت التربة وبحيرة مريوط تحميها من الجنوب . والى غربها ترعة الشعبان فلم يبق من فرجة الا من الشرق والجنوب الشرقي . ولا يستطيع المحاصرون الاقتراب من الاسوار ... ومع ذلك فقد كان لسوقهم بعسكرهم على كنب من المدينة اثر كبير اذ يحاذون الروم ويقطعون صلتهم بسائر البلاد

[ومضى شهيرونية ولم يكن القائد عمرو بالرجل الذي بخراع نفسه ويعملها بفتحها عنوة . وإنما كلن وانقا من

★★★
(فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كُنَّا
مُتَنَبِّئِينَ) صدق الله العظيم

[وقد تم بهذا الصلح الجديد فتح العرب لبلاد مصر. إذ طلب المقوقس أن يدخل فيه كل بلاد مصر. فوافق لمن شاء من الروم أن يخرج من البلاد بحرا أو برا.]

[ولا ينكر التاريخ شيئا من أخبار الاسكندرية في مدة الهندية ، سوى ان - المقوقس - غرق في الهم والحزن إذ جاءتة الاخبار تترى من القسطنطينية بما يثير هواجسه وظنونه ، حتى مات في الحادي والعشرين من مارس سنة ٦٤٢ م .. ولم يبق الا قليل من القول في وصف الشهور الستة التي مرت على الاسكندرية بعد موته سوى اختصار خلف له بطريقا على العرش الذي خلا من آخر بطلقة الاسكندرية تحت حكم الرومان]

حديث

رمضان

بقلم :
د. بنت الشاطئ

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين

والإنسان

واقعة

وأنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

« قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ *

النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا

قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ

بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا

مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ

الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * »

صدق الله العظيم

شهداء نجران ، وأصحاب الأخدود

غير بعيد من عصر الاضطهاد الديني بالاكراه المذهبي لشعوب العراق والشام ومصر . العريقة
في المدينة والتاريخ . قدم شهداء نجران الصغولة عن المدينة في وسط الجزيرة العربية . فدبتهم
الغلبة لشرف الانسان وحرية العقيدة . حفظها لهم القرآن الكريم إعظاما تكريما . وحفظها لنا فيما
حفظ من أنباء الرسل قبلنا . عبرة ومثلا .. ودونها الصدر الاول من علماء السيرة النبوية . في
مقدمت مبعث خاتم رسالات الدين . تتلو علينا من نجان نصارى . نجران . الذين أحرقهم أصحاب
الأخدود . وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد (ما لا يبعد عما لقي المسلمون الاولون
الذين قوتلوا) وأخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ..)

(٢)

و انباء اصحاب الاخدود . موضعها في المباحث الاولى من السيرة النبوية لامام علماء السيرة محمد بن اسحاق (٨٥ - ١٥١ هـ) في سيق النسب الزكي و متفرع عنه من نسب بني اسماعيل . جد العرب العدنانية . ووصية النبي صلى الله عليه وسلم باهل مصر قوم . هلجر أم اسماعيل عليه السلام . ثم نسب الانصار في عرب اليمن . ومسيره . ذي نواس الجميري . من اليمن إلى نجران . لاكره اهلها النصرى على الخروج من دينهم إلى يهوديته .

ذكر . ابن اسحاق . انتهاء ملك اليمن إلى ذي نواس وقل [فاجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن فكان اخر ملوك حمير . وهو صاحب الاخدود . زين له حبران من يهود المسير إلى نجران . وبنجران وقتل بقليا من اهل دين عيسى بن مريم عليهما السلام . على الانجيل . اهل فضل واستقامة . لهم من اهل دينهم رئيس يقال له . عبد الله بن النامر . من اهل نجران]

من ثم . يصل . ابن اسحاق . هؤلاء البقلية بمبدأ وجود النصرانية بنجران . وخبر . عبد الله بن النامر . من عرب نجران .

[وكان اصل ذلك الدين بنجران . وهي باوسط ارض العرب . و اهلها في ذلك الزمان اهل او شان يعبدونها ... فنزل بها رجل صالح من اهل دين المسيح عليه السلام اسمه . فيميون . وكان مجتهدا

زاهدا مجاب الدعوة . سألها ينزل بين القرى كلما عرفوه بقرية خرج منها إلى غيرها . لا يأكل إلا من كسب يده . بناء يعمل نهاره في الطين ويتعبد بالليل . ويعظم الاخذ فلا يعمل فيه ويخرج إلى قلاة من الأرض يصل بها حتى يمسي [ويروي من خبر . عبد الله بن النامر . أن كان في قرية من قرى نجران ساجر يعلم غلمانهم السحر . فلما نزلها الراهب فيميون . ابنتى له خيمة بين نجران وبين قرية الساجر . وعبد الله بن النامر غلام بعنه أبوه مع غلمان نجران إلى الساجر ليعلّمهم السحر . فكان إذا مر بخيمة الراهب أعجبه منه مليري من صلاته وعبادته وترتيله . فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى آمن بدين المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام . وأبوه النامر لا يظن إلا أنه يذهب إلى الساجر مثل الغلمان . وصاحب ابن النامر الراهب . فيميون وأخذ عنه ما تيسر من علم اللاهوت وتاريخ النصرانية . وظهرت مخيل نجليته وإخلاصه وتقواه . فكان إذا دخل نجران لم يلق أحدا من أهلها الوثنيين إلا دعاه إلى النصرانية . فاستجابوا له . لمارأوا من سجاياه ومنقبه .

وملت ابن النامر . وأهل نجران جميعا على ما جاء به عيسى بن مريم عليهما السلام من الانجيل . ثم أصابهم ما أصاب اهل دينهم من الاحداث [

★ [

إلى أن ملك اليمن إلى . ذي نواس . فسار اليهم بجنوده . فدعاهم إلى يهوديته وخيرهم بينها وبين القتل . فأختاروا القتل على الردة عن دينهم بالاكراه . فامر ذو نواس جنوده فحفرأ اخدودا مستطيلا في الأرض كالخندق . وأوقدوا فيه النار . وسبق ألوف النصرى المؤمنين فالقوهم في النار وخنود ذي نواس محيطون بهم فعود على حواف الاخدود يضربون بالسيف من يحول الخروج من الاخدود .

غير أن رجلا من سبا أفلت منهم وفر هربا على فرس له فسلك الرمل فاعجزهم . حتى أتى قيصر ملك الروم فلستنصره على ذي نواس وخنوده . وأخبره بما بلغ من اهل نجران النصرى . فكتب قيصر كتابا إلى نجاشي الحبشة . أرسله مع الوافد من نجران يستنصره . فبعث معه النجاشي عسكريا التقوا بذى نواس في حمير ومن معه

من قبائل اليمن في وقعة ضارية فاصلة . انهزم فيها ذو نواس وهلك جنوده . فلما رأى ما نزل به وبهم وجه فرسه في البحر حتى أفضى به إلى غمره . وكان ذلك اخر العهد باخر ملوك حمير .

في هؤلاء الشهداء . نصارى نجران . وفي أصحاب الاخدود . نزلت آيات البروج . المكية :- (قتل أصحاب الاخدود . النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد .)

وبعث النبي صلى الله عليه وسلم . وفي نجران بقليا من نصاراها [اهل فضل واستقامة] بشهادة علماء السيرة ومؤرخي الاسلام . ورهبانهم قد قرأوا في التوراة والانجيل البشريات بنبي حان أو ان مبعثه يعرفون صفته ودلائله . وقد بلغهم من جيرانهم وأهل ملتهم . نصارى الحبشة . تكذيب قريش بالنبي الهاشمي القرشي المبعوث فيهم . واضطهدوا من آمنوا به . بالفتنة والتعذيب والحصار مما اضطروهم إلى لهجرة من بلدهم إلى الحبشة .

واستجابوا لله بمحض اختيارهم الحر . وطمانينه قلوبهم المؤمنة .
وفي طريقهم من مجلس المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى باب البيت العتيق عرض لهم أبو جهل بن هشام بن المغيرة المخزومي في نفر من زعماء قريش شق عليهم أن يصدق هؤلاء النصارى ، وهم أهل كذاب ، بنبوة محمد فيوقعوا الريبة في نفوس العرب من تكذيب المشركين من قريش بنبوة المبعوث منهم .

قالوا لو فد نجران :
[خبيكم الله من ركب : يعثكم من وراءكم من أهل دينكم تترادون لهم لتفتوهم بخير الرجل ، فلم يطمئن مجلسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قل " مانعكم ركبا أحقق منكم]

رد المؤمنون سلام عليكم ، لانجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه . لم نال أنفسنا وقومنا خيرا . [فيروى أن هذه الآيات البينات نزلت فيهم ، وفي الأعداء من يهود يثرب والمشركين عصر المبعث ، خطيبا للنبي عليه الصلاة والسلام .

(لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى . ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا إنما فلتئتينا مع الشاهدين . وما لنا لا نؤمن بالله وملكائنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع الصالحين .)
صدق الله العظيم

ولعل رهبان نجران ، بلغهم كذلك كيد يهود يثرب لهذا النبي العربي . وترىصهم به الدوائر . فكان مما ينبغي لنصارى نجران أن يطمئنوا إلى حقيقة الأمر في النبي العربي الأسمى وما يدعو إليه ، وذلك ما لا سبيل إليه في دوامة الأختلاف والشكوك تأتيهم مشوشة مختلطة . فتقرر إرسال وفد منهم إلى مكة . يأتيهم بالخبر اليقين عن نبي الاسلام - عليه الصلاة والسلام - ليكونوا منه على بينة .

أخذ الوفد طريقه من الحبشة إلى مكة . عشرون رجلا من أهل الرأي والعلم فيهم . يلتفتون أن يلقوا نبي الاسلام وينظروا فيما جاء به . بعد ستة قرون وعشر سنين من ميلاد المسيح عليه السلام .

في الحرم المكي كان اللقاء . بعد تمزيق صحيفة الحصار المفروض من قريش على المسلمين ومن والاهم من بنى عبد المطلب وهاشم . أتبعهم به ثلاث سنين دأبا . بنا الوافدون من المصطفى عليه الصلاة والسلام وقد أخذ مجلسه عند الكعبة . فسألوه عما جاء به فحدثهم عليه الصلاة والسلام عن أصول رسالته المصدقة لما سبقها من رسالات الدين الواحد . وراجعوه بوجه خاص . فيما تقول رسالته عن عيسى بن مريم المصطفاة على نساء العالمين . وآيات نبوته المعجزة . فبين لهم ملسالوا عنه فعرفوا أنه الحق من ربهم .
وتلا عليهم الآيات من القرآن الكريم . ففاضت أعينهم من الدمع خشوعا . وانشرحت صدورهم لما سمعوا من كلمات الله . تخشع لها صم الجبال .

حديث رمضان

بقلم :
د. بنت الشاطئ
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين والانسان واقف وأفاق

« أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنْ
اللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ
أَخْرَجُوا مِنَ دِيَارِهِمْ وَبِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا
أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ
بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفُتِنَتْ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ
وَصُلُوتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ
اللَّهِ كَثِيرًا وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ
إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * »

سورة البقرة

مقدمات ونذر من الفجر الصادق إلى يوم بدر

ياخذ يوم بدر في هذا الموسم موضعه في القضايا الشاغلة لعالم اليوم فيما يشهد مبهورا من حركة
انعتاق شعوب الاتحاد السوفيتي من أسر المذهب الشيوعي بعد معاناة قسبية لوظائفه السافطة
لعشرات سنين ، كانت مظنة أن تحملهم على الاستسلام لأكراه في الدين والفتنة بالماركسية
الانحائية .
كما ياخذ يوم بدر موضعه فيما قدمت من قراءات في تاريخ الفتوح الإسلامية لشرقنا العريق . وما
كان للاضطهاد الديني والأكراه المذهبي من أثر في توجيه حركة التاريخ - محكومة بالسنن
الثابتة .
يوم بدر ، في السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة الخامسة عشرة للمبعث ،
كانت الجولة الحربية الأولى بالسلاح للإسلام مع أعدائه ، بدءا بالمشركين من قريش ، ووراءهم
المنافقون من أهل المدينة ومواليهم يهود يثربصون بالإسلام الدوائر للقضاء عليه في دار هجرته .

هذه الجولة الأولى من المعركة المعقدة في الجبهات الثلاث التي كان على الإسلام أن يواجه فيها أعداءه . مسبقة في الرؤية القريبة بمقدمات وأسباب مباشرة أقربها ما استهلكت به (بدر الكبرى) في السيرة النبوية . من مرور أبي سفيان بن حرب على مقرية من المدينة المنورة . مع سبعين رجلاً في تجارة وأموال عظيمة لقريش عندهم من رحلة الصيف إلى الشام . سمع بهم النبي صلى الله عليه وسلم فندب لهم من يصدونهم عن المدينة . وعلم أبو سفيان باستنفار النبي - عليه الصلاة والسلام - أصحابه . فاستأجر من بعثه إلى مكة . ليستنفر قريشا لتجارته ورجالها . وينذرها بتعرض محمد وأصحابه لها . لا يرى أنهم مدركوها .

ومضى بها النبي إلى مكة فسرعان ماتت التعبئة لقتال المسلمين في دار هجرتهم . وخرج من مكة . أبو جهل بن هشام بن المغيرة المخزومي . في نحو من ألف رجل . بينهم أشرف قريش - معهم مائة فارس . عليهم . خالد بن الوليد بن المغيرة . وخرج إليهم من المدينة : النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثمائة وأربعة عشر من أصحابه المهاجرين والأنصار . معهم ثلاثة أفراس . وسبعون راحلة لركوبهم . واحدة لكل ثلاثة منهم يعتقبونها واحداً بعد الآخر . والتفوا على ماء بدر ..

عما جاءت به السرية من مغالمة . ونحى الأسيرين القرشيين . فظن عبدالله بن جحش وأصحابه أنهم أثموا وهلكوا . واشتد الصلابة في لومهم وتنقلت أحياء المدينة ما تقول قريش في مكة : لقد استحل محمد وأصحابه حرمة الشهر الحرام . وتسالت الأفاعي من أوكار اليهود تطوف بارجاء المدينة وهي تنفث في حقد واشتقاء بنذير الحرب .

حتى حسم القرآن الكريم ذلك الموقف الصعب وأنهى كل جدل فيه بالآية المحكمة :
(يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام . وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ..) الآية

بعد شهرين اثنين . في شهر رمضان من السنة الثانية كانت غزوة بدر الكبرى ..

وفي واقع التاريخ . يبدو يوم بدر ومسبقه من مقدمات مباشرة . موصولا بالهجرة التاريخية لا ينفصل عنها . بعد ثلاث عشرة سنة تسلطت فيها قريش على المسلمين الأولين جاشد التعذيب والفتنة والحصار . والمسلمون يزدادون على الأذى والبلاء ثباتاً واستبسالاً . حتى وصلت الجولة المكية إلى طريق مسدود على حافة الحرب . وقريش تنفسي حرب هجاء في البلد الحرام . مثابة حج العرب ومركز مواسمهم التجارية والأدبية الكبرى والمسلمون . لم يؤنن لهم في قتال .

و على الأفق غير بعيد من اليوم المشهود . تبدو نذريه قبل موعده بشهرين . بموضع . نخلة . بين مكة والطائف . خرجت إليها في آخر جمادى الثانية وأول شهر رجب . سرية . عبدالله بن جحش الأسدي . ابن عمه المصطفى صلى الله عليه وسلم . في ثمانية من المهاجرين بعثهم الرسول عليه الصلاة والسلام إلى هناك لترصد قريش واستطلاع أخبارها . ولم تؤمر السرية بقتل . فحدث في مرحلة من الطريق أن خرج . سعد بن أبي وقاص الزهري وعتبة بن غزوان . ينشدان بغير إلهما ضل . وتأخرا في العودة إلى منزل السرية . ويغلب على الظن أن قريشا أخذتهما على غرة أسيرين . ومضى أمير السرية بمن بقي معه حيث نزل بموضع نخلة كما أمره النبي صلى الله عليه وسلم . فمرت غير تجارية لقريش فيها . عمرو بن الحضرمي . حليف عتبة بن ربيعة بن عبد شمس . وتحاشى المسلمون القتال حفاظاً على حرمة شهر رجب الحرام . لكن تجنب الصدام لم يكن مستطاعاً مع المواجهة . وأطلق الصحابي وأحد بن عبدالله التميمي سهما أصاب ابن الحضرمي فقتله . وفرت قريش عن غيرها وقتلها وأسيرين منها . وعملت السرية الظفيرة إلى المدينة بالمغالمة والأسيرين وهي ترجو أن يفتدى بهما سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان . فما كادت تسفل المدينة حتى قوبلت بوجوه ذهب بفرجة النصر . وقال المصطفى عليه الصلاة والسلام لابن عمته . أمير السرية : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام . ثم أعرض

(٣)

لكن القتال لم يبدأ مع ذلك في عام الهجرة الأول . الذي مضى كله احتشاداً للجهاد وتنظيماً للمجتمع الإسلامي في المدينة واكتشفاً لأبعاد الميدان في منطقة كانت حتى المبعث . ولمدى خمسة قرون قبله شبه مستعمرة لليهود الطرثيين على المنطقة فراراً من وطأة الرومان السليقة . لما لبثوا أن رسخوا وجودهم المقتصب في الأرض الطيبة على حسب الوجود العربي لأهلها الأوس والخزرج . في تلك السنة الأولى للهجرة أخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار وكتب عهده بموادعه يهود على أمرهم وأنفسهم ودينهم وبيعهم . على ألا يسلطوا عليه عدواً وأن يكونوا مع المسلمين على من هم المدينة .

ومع مطلع السنة الثانية بدأ صلى الله عليه وسلم يخرج في غزوات قصار تدريجاً لجنده . وإقراراً لهيئة الإسلام في موقعه الجديد . كما بدأ يبعث سراياه تجوب المنطقة ما بين مكة . مركز الوثنية القرشية . والمدينة مركز الدعوة الإسلامية . ولم تكن هذه السرايا قاصدة القتال . بل كانت دوريات استطلاع تتربص أنباء قريش في الحجاز . لولاها سرية . عبدة بن الحارث القرشي إلى مشرف الحجاز وقد لقي جمعاً من قريش ولم ينشب بينهم قتال . بعدها . كانت سرية . عبد الله بن جحش الأسدي . ومن هذه السرية اندلع الشر الذي أوقد الضرام للسدي توهج مشتعل على سلحة بدر .

(حسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) . صدق الله العظيم .

في العهد المكي . كانت الهجرة الأولى إلى الحبشة أثراً لوطاة الفتنة ونهك الحصار . وكلن الأسراء امتحاناً عسيراً لتحجيص الإيمان . وكانت بيعت العقبة مؤشراً إلى اتجاه الأحداث نحو يثرب بعد أن مضى العهد المكي كله تمحيصاً وبلاء . فكانت الهجرة التاريخية إلى المدينة إيذاناً صريحاً بيوم الفرقان . وقال تعالى :
(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) . الآية .
فهذا إيذان صريح بيوم الفرقان . وموازين القوى فيه

وبالهجرة . يمكن استبصار الأسباب والنذر قبلها . نافذة إلى مطلع الفجر الصادق من ليلة القدر . كلمة التوحيد جوهر الدين كله . كانت وحدها صدعاً في صرح الوثنية والشرك . ونذيراً بصراع مريع محتوم لا يمكن أن ينتهي إلا بانتصار الحق في مقاومة الانسلاخ البائس للأكرام في الدين ودفاعه عن شرف إنسانيته . لا يعبد غير خلقه . إذ ليس من طبيعة الأشياء أن يتبدلان حق وبطل .

وقضت المشيئة العليا لثبات السنن أن تطول الجولة المكية الأولى بغير قتال ليؤمن من يؤمن عن بيته ويكون الابتلاء والبلاء تمحيصاً للصفاة المؤمنين وكشفاً لغشوة العنى والغفلة عن المشركين . لتقرر أمانة حرية العقيدة بعدم الإكراه في الدين . ثم كلن الآن للمؤمنين في القتال إقراراً لمبدأ حرية العقيدة وعضاًل حرمت الانسلاخ ليجل أن تنتهك . ودفعاً لما سيم المؤمنون الأولون من أذى واضطهاد .

حديث رمضان

بقلم :

د. بنت الشاطئ
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين والإنسان واقع وأفاق



منطق النصر يوم الفرقان في السنن الثابتة لموازين القوى

أكل للنفس عجا من أيت بدر ، أن تغلب القلة المؤمنة الصابرة أضعلها عدا وعدة ؟ والسع
الأحداث يعطي هذا العجب منطق ، إذ تجري الوقائع على السنن الثابتة ، مفررة حتمية النصر للقلة
المؤمنة الصابرة ، بحلا تختل موازين القوى بالنواكل العقيم وتعطيل الاستجاب ..
أم كل للعصريين عجا من إنسانية الأنسل ، أن تخليه الرؤى وتسوره الهواجس ، معبرة عن
شجونه ومواجهه ، وهمومه ومخاوفه ؟
القرآن الكريم في تعامله مع الأنسل ، بقدر ما يمج به علمه النفسي من شواغل وهموم ، مع لبرق
واضح في الدلالة القرآنية للرؤيا : لا تأتي فيه إلا صراحة واضحة كأنها رؤية عين ، وبين الأحلام
حينما جاءت فيه ، لهداية على الهواجس الموهنة والاضغاث المختلطة .

(٢)

ويجهل طبيعة الانسان من يغض من رؤاه واحلامه . ومن شواذ المفارقات في هذا الزمان ، فتنة
المفترجة باحلام ، فرويد ، وسخرتهم من رؤى الانسان السوى في دين الفطرة ، وهما وعى واسع
تربخنا من رؤى للانسان ، ما يكاد أحدهما ، نحن السلفيين ، يتجلى على الاعتبار بدلائلها حتى
تأخذ صيحات العصريين المتنورين من كل جانب ، سلخنة من عقليته الخرافية .
ثم لا أخرج من الحديث عما حف بيوم بدر - أو أيام آخر - من رؤى كاشفة عن وجدان مرهف
بوقع الاحداث ، واستبصار ملهم للمتوقع من عواقبها على ما تجرى به السنن الثلاثة .
في ظاهرها موازين القوى يوم بدر ، ما يقرب أن يكون معلوما بالضرورة للخاصة والعامة ، مما نتلو
صباح مساء من آيات بينت في الاعتبار بيوم الفرقان يوم التقى الجمعان ، ببدر .
لكننا قلنا مدنا البصر إلى موقف قريش ومعنويتها ، قاهبا لموقعة حاسمة لا تهون الفظة عما
يدخل في موازين القوى ، كما لا يهون اغلال ما صحت به الرواية ، من طريق أولئك الحفاظ ، عن رؤيا
لعمة المصطفى عليه السلام .

• عاتكة بنت عبد المطلب الهاشمية ، قبل ثلاث ليال من قبوم والده من أبي سفيان بن حرب ، يستنظر
أهل مكة لأبرك أموالهم وتجارتهم التي عرض لها أصحاب محمد قرب المدينة .
وقد اظلمت رؤيا لها فاضت بها إلى أخيها ، العباس بن عبد المطلب ، واستكتمته إياها وهي
تتخوف أن يدخل منها على قومه قريش ، شر ومصيبة : فاهتم العباس لرؤيا أخته وتواعدا على
كتمانها . لكنها ما لبثت أن شاعت وصارت حديث الناس في مكة رجالا ونساء . فيقول : أبو جهل بن
نسلهم المخزومي للعباس ، متى حدثت فيكم هذه النبوة ؟ أما رضيتم بلبني عبد المطلب أن يتنبأ
رجالكم حتى تنبأ نسلوكم .

عليه وسلم : يارسول الله ، أرايت هذا المنزل ، أرايت هذا المنزل ، أهو عن
وحى ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ؟ أم الحرب
والمكيدة ؟ قلل عليه الصلاة والسلام : بل الحرب
والمكيدة . قل الحبيب : يارسول الله ، فإن هذا ليس
بمنزل ، فانهض بالناس إلى أدنى ماء من القوم فننزله . . .

فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمشورته .

وأقبلت قريش بخيلها وخيلاتها فنزلت بالعدوة
القصى من بدر ، وراء كتيب هناك . فلما اطمأن بهم
المنزل بعثوا من يحز لهم أصحاب محمد ، فجاء جولة
حول المعسكر ثم رجع إليهم فقال : ثلثمائة رجل يزيدون أو
ينقصون . ثم كانه عجب لقلة عددهم فاستدرك يقول :
ولكن أهملوني حتى أنظر : ألقوم كمين أو مدد ؟ فحضر في
الوادي حتى أبعد ثم رجع فقال : ما وجدت شيئا ، ولكني
رأيت يلمعشر قريش البلاء تحمل المنيا ، نواضح
يلرب - من الابل - تحمل الموت النقع ، قوم ليس معهم
منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم . والله ما أرى أن يقتل رجل
منهم حتى يقتل رجلا منكم . فإذا أصبوا منكم أعدادهم
فما خير العيش بعد ذلك ؟ فلنظروا رأيكم .

فلما سمع ذلك ، حكيم بن حزام ، بن خويلد الأسدي ،
سار إلى ، عتبة بن ربيعة بن عبدشمس ، فقال : يا أبا
الوليد أتك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها ، هل لك إلى

ويقول العباس بن عبد المطلب : ثم تفرقنا ، فلما
أمسيت لم تبق امرأة من بنى أبي طالب إلا أتتني
فقلت : . أقرتم لهذا الفسق الخبيث أن يقع في رجالكم ثم
قد تنزل نساءكم وأنت تسمع ، ثم لم تكن عندك غيرة لشيء
مما سمعت ؟ !

وجاء وفد أبي سفيان في اليوم الثالث ، لاستنظر
الناس ، وساروا تشيعهم (رؤيا عاتكة) وبلغ النبي عليه
الصلاة والسلام خبر مسير قريش وقا جمعت له ، فجمع
أصحابه المهاجرين والأنصار وحديثهم بما بلغه
وقال ، أشيروا على أيها الناس ، فقام أبو بكر ثم عمر ، رضي
الله عنهما ، فتحدثا مثناء إيمانهما عن فريضة الجهاد
والثقة في الله عز وجل . ثم قام المقداد بن عمرو ، بن
ثعلبة البهرازي ، فقال : يارسول الله ، امض لما أراك الله
فنحن معك . والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى
(اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكن اذهب
أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . هو الذي بعثك بالحق
لو سرت بنا إلى برك الغماد - بأقصى الجنوب - لجالدنا
معك دونه حتى تبلغه . .

دعاه المصطفى بخير ، ثم التفت صلى الله عليه وسلم
إلى الأنصار - ولم يكن أحد منهم تكلم بعد -
وقال ، أشيروا على أيها الناس .

سأل نقيبهم سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يارسول
الله ؟ لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو
الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع
والطاعة .

وسار بهم المصطفى على بركة الله ، لم يشأ أن يبقى في
المدينة حتى تدهمها قريش ، فخرج منها ليل خلعت
من شهر رمضان ، فنزلوا وراء بدر . فيروي أن ، الحبيب
بن المنذر ، الأنصاري الخزرجي ، سأل النبي صلى الله

وجند الاسلام يومئذ ، ثلاثمائة وأربعة عشر : من
المهاجرين ثلاثة وثمانون ، والباقيون من الأنصار : الأوس
والخزرج . ومعهم من الخيل ثلاثة أفراس . استضعفهم
المشركون واستكبر صنديد قريش أن يخوضوا معركة مع
هذه القلة الباسلة : إن انتصروا عليها صنعوا النصر في
ميزان فقدان التكافل . وإذا انهزموا فذلك على الدهر . وبدأ
لكبيرهم . عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أن يحسم
الموقف الصعب ، فخرج من صف المشركين يختل بين
ابنه الوليد بن يسار . وأخيه شيبه بن ربيعة بن يمينه .
وسأل : هل من مبارز ؟

فخرج إليه ثلاثة من الأنصار ، لاستنكف أن يبارزهم
ونادى : يا محمد ، أخرج إلينا أكفاما فخرج إليه ثلاثة
من صميم البيت القرشي . حمزة بن عبد المطلب
الهاشمي ، وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث بن
المطلب بن عبد مناف .

ولم تطل المبارزة : وسقط عتبة بن ربيعة وشيبه
أخوه ، وابنه الوليد : صرعى مجذولين على ساحة بدر .
عندئذ تراحف الناس وحملت المعركة ، فآخذ صلى الله
عليه وسلم حفنة من حصباء بدر قذف بها عسكر المشركين
وهو يقول : شأنت الوجوه ، ثم قال لأصحابه : شدوا ،
وشدوا على المشركين فما تركوهم الا بين قتيل وأسير
وهارب . أحصى علماء السيرة قتلى بدر : سبعين قتيلًا .
ولسراهم : ستة وستين ولاذ الباقيون بفرار .
واستشهد من البدرين أربعة عشر شهيدًا : ستة من
المهاجرين وثمانية من الأنصار . الأوس والخزرج بذلوا
لنفسهم فدية لعقيدتهم .

سلام على البدرين ..

أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ ترجع بالناس
وتحمل بية حليفك عمرو بن الحضرمي . قال عتبة : قد
فعلت ، فذهب إلى ابن الحنفلية - أبي جهل ابن هشام بن
المغيرة المخزومي - فأنى لا أخشى أن يفرق أمر الناس
غيره . ثم قام عتبة خطيباً فيمن معه من قريش
قال : يا معشر قريش انكم والله ما تصنعون شيئاً بأن
تلقوا احداً واصحابه . والله لئن اصبتموه لا يزال الرجل
ينظر إلى وجه رجل يكره النظر إليه ، فقتل ابنه أو أخاه أو
ابن عمه أو ابن خاله . أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا
وخلوا بينه وبين سائر العرب فإن أصابوه فذلك الذي
أردتم . وإن كنتم غير ذلك لم ينقصكم شيء .

وكان من أمر حكيم بن حزام ، أن أتى أبا جهل فابلقه
رسلة عتبة ، فسخر أبو جهل من عتبة وغيره بأنه تخوف
على ابنه الوليد ، ثم بعث أبو جهل إلى عكر بن
الحضرمي ، فقال له : هذا حليفك عتبة يريد أن يرجع
بالناس ، وقد رأيت ثارك بعينك فقم لمقتل أخيك عمرو .
فقام عمرو بالناس يندب أخاه ، لجمي الناس على ما هم
عليه من شر .

وتراءى الجمعان وهما على هذه الحال .

أبصر النبي صلى الله عليه وسلم قريشاً تندفع من وراء
الكثيب هاربة بزئير الوعيد ، ثمة بنشوة الصيد ، فدعا
المصطفى ربه عز وجل : اللهم هذه قريش قد أقبلت
بخيلائها وفخرها تحافك وتكذب رسوك . اللهم فنصرك
الذي وعنتني به .

واقبل على أصحابه يعدل صفوفهم ويحرضهم على
الجهاد ، ليلقى بهم ألف مقاتل من قريش ، كمل العدة
والسلاح معهم مائة فرس مدربة على القتال ، عليها خالد
بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، فارس قريش .

حديث

رمضان

بقلم :

د. بنت الشاطئ

استاذة التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين

والانسان

واقف

وأفاق

«لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ
مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ»

صدق الله العظيم

حديث ذو شجون ١

الأسير والقائدة

تأتي ذكرى بدر هذه السنة صبيحة يوم الجمعة . وكذلك كان يومها المشهود صبيحة يوم الجمعة
السابع عشر من شهر رمضان المعظم في السنة الثانية للهجرة .
شجاني من ذكراها . ملا يغيب عني كلما مر بي مثل هذا اليوم . منذ شغلت بتراجم سيدات بيت
النبوة . وفيهن (بنات النبي) صلى الله عليه وعلى اله وسلم . وقد مر على نشر الكتاب نحو من ثلث
قرن . وتظل ذكرى السيدة زينب كبرى بنات المصطفى وفداء زوجها الحبيب الأسير يوم بدر مسألة
لبصيرتي ووجداني يتجدد عهدي بها كلما احتفلنا بيوم الفرقان ..

(٣)

فليكن حديث اليوم عنها . نفحة من عطاء الشهر الكريم لعواطف انسانيتها شجون مواجدا . وما يروضا به من مجاهدة النفس لكثافة المادية وصدا الوجدان . بعث المصطفى عليه الصلاة والسلام والسيدة زينب كبرى بناته الاربعة . هانئة بحبيبتها مع زوجها . أبي العاص بن الربيع . القرشي . ابن خالتها . هالة بنت خويلد بن أسد القرظية . ومن سرة مكة وأعلن رجل قريش شرفا وجاها وكرما وسؤدا . وكان أبو العاص في رحلة الى الشام حين المبعث . عاد منها ومله سمعه شائعات تناقلها الركبان عن ظهور . محمد بن عبد الله اليه تسمى القرشي . بدين جديد يعحق ما كان عليه الالباء والاجداد . ونحدثت اليه زوجه السيدة زينب بالنبا اليقين ووجهها مشرق بالبشر والعزة . فمأرا عيسا الا ان أمسك صانعا لا يعقب . وسأله ما بك يا ابن الخالة . قال وهو يملأ عينيه منها : بي يلحبيبة أني خائف . ثم غرض من بصره وهو يريد كمن يحدث نفسه لو تبعته لقاتل قريش . فارق بين أبياته أرضاء لزوجته وحمية . ولو خالفته فلم تدعه يكمل كلمته . بل قاطعته قاتلة في لهفة وضراعة : لكذلك تدع كلام القوم يثنيك عن اتباع الحق .

ورنت اليه هنيهة قبل أن تستطرد قائلة : وأنا بعد قد . فلم يبد عليه أنه اصغى الى ما تقول . وقد شغله ما خطر عن باله : ماذا لو أني بقيت على دين الالباء . وما يكون موقف طفليهما . علي . وأمامة . بين أب مشرك وأم مسلمة . وخرج الى دار الندوة . وبقيت السيدة زينب تنظر مهمومة مشغولة البال . حتى اب إليها في غسق الدجى واجما مطرقا فلم تحاول أن تبارره بسؤال . بل تركته حتى جلس فقال من تلقاء نفسه . بصوت حزين

لـ لقبك أبك اليوم في الكعبة يا زينب ودعائي الى الاسلام . ولم يزد . وكان في وجوم ملامحه وانكسار صوته ما يغنى عن مزيد .

ووقفا في أعماق الليل يطويهما الحزن والخوف . وكان حاجزا غير مرئي يقف بينهما فيحول دون ما يبغيان من شعور بالتداني والتمس كل منهما في صاحبه ملاذا وسكنا . ولم ينأما ليلتهما . ولا ما بعدها من ليل . اللهم الا أن يغلبهما الكلال فيغفوا مجيدين غفوات مقطعة . وقال لهما ذات ليلة وقد راعة ما تكيد :

والله لقد علمت يا زينب ما أبوك عندي . بمتهم . ولا شيء أحب إلي من أن أسلك معك يلحبيبة في شعب واحد . ولكني أكره لك ولئ أن يقال ان زوجك خذل قومه وكفر بدين أبيائه مرضاة لأمراته وحمية . فهلا عثرت ؟ فتندت عيناها بالدمع ولم تجب . وان خابلهما الرجاء في أن تنجلي الغمة .

لكن الغمة لم تنجل عن قرب . بل طال الإمساك وجاوزت قريش المدى في اضطهاد الدعوة الاسلامية والضغط على القلة المسلمة بالاذى والفتنة والحصار والمقاطعة . ثم لم تنكشف محنة الحصار الا لتسلم الى بلاء مبين . مات العم أبو طالب وكان للمصطفى راعيا وكافلا وما نفع له من قومه . وبعد بابام توفيت السيدة خديجة أم المؤمنين الاولى . ربة بيت النبي صلى الله عليه وسلم . وأم العيال . ووزيره في الاسلام . فاحيا ففدما ما سالت من انسل المشركين . وعلمت وطاة الاضطهاد التي فترت هونا عقب فك الحصار الى اشد مما كانت عليه تساججا وسعيرا . وبلغت الازمة نروتها بما كان من انتمل صناديد قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم ليقتلوه . وهجرته الى المدينة مع صاحبه الصديق ابي بكر .

وأوجست زينب في قلبها خيفة وهي تسمع عن المطردة الشرسة العنيفة لأبيها النبي المهاجر وصاحبه . فما اطمان بالها حتى بلغها وصولها الى مامته في دار هجرته . وجاء رسول من يثرب فصحب اختيها أم كلثوم وفاطمة الى المدينة . وكانت رقية . قد هجرت قبل ذلك مع زوجها عثمان بن عفان . وبقيت زينب في دار زوجها ابي العاص بن الربيع بمكة . ولم يكن الاسلام قد فرق بعد . بين مشرك ومسلمة .

وخلت الديار ممن كانت بهم عامرة . رحلوا جميعا . فاما الاحياء منهم فالى مهاجرهم قد بعدت بهم المنازل والديار . وأما الموتى فالى مضاجعهم في ترى مكة . اقرب ما يكونون من أهلبيهم وأحبابهم . والمزار بعيد بعيد . الا أن يحوم طيف او يلح زائر في رؤيا منام وتتلعبت الغدر أيدانا بحتمية القتال بين قريش وبين المسلمين الذين قتلوا وأخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله . فلما علا التغير بمكة للمسير الى المدينة في شهر رمضان للسنة الثانية من الهجرة . أدركت زينب . رضى الله عنها . انها الحرب بين قريش والمسلمين . وفي الاولين أبو العاص بن الربيع زوجها . ووالد طفليها وابن خالتها هالة . وفي المسلمين ابيوها المصطفى .

ومضت الايام والليالي بسطينات مثقلات بالقلق

وأطرق الصحابة خشعا ماخوذين بجلال الموقف
قلادة الحبيبة تبعث بها بنت الحبيب الى أبيها في فداء زوج
حبيب ..
وتكلم الاب النبي . بعد فترة صمت . فقال لأصحابه
الذين بصوت يفيض رحمة وحسانا . إن رأيتم أن
تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا . فقلوا
جميعا : نعم يا رسول الله
وأننى محمد . صلى الله عليه وسلم . إليه صهره لذى
غلبه التائر لهيبة الموقف . فأسر إليه حديثا . فحنى لين
هالة رأسه مستجيبا ثم حيا ومضى . فلما أبعد التفت .
عليه الصلاة والسلام . الى أصحابه حوله فأننى على أبى
العاص بن الربيع خيرا وقال : . والله ما ذمناه صهرا .
وغير مستبعد أن يكون الصحابة يومئذ تذكروا ما كان
من امر قريش . حين بعث المصطفى عليه الصلاة والسلام
وبنته الثلاث . زينب ورقية وام كلثوم . متزوجات في
بيوت قريش فإسار بعضهم الى بعض وقالوا : انكم فرغتم
محمدا من همه فردوا عليه بنته فاشغلوه بهن .
ومشوا الى اصهاره الثلاثة ابى العاص وعتبة وعتيبة
ابنى العم عبد العزى بن عبد المطلب فقالوا لكل واحد
منهم قارق صاحبتك ونحن نزوجك أى امرأة من قريش .
فاما ابو العاص بن الربيع فرد على قريش . لا والله لنى
لا أفارق صاحبتى وما احب أنى بامرأتى امرأة من قريش .
واما عتبة وعتيبة فاستجلبا للمساومة بامر ابويهما
عبد العزى ابى لهب وامراته ام جميل بنت حرب . حمالة
الحطب .
وكنى معامن به الله تعالى على ال محمد أن تزوج رقية
عشمت بن عفان أحد السابقين العشرة : . وساجر بها
الهجرتين فلما ماتت تزوج شقيقتها ام كلثوم وشرف بقلب
ذى النورين . رضى الله عنهم ورضوا عنه .

والهواجس حتى جاء نبا من . بدر . هز المجتمع الاسكى
كله محمد . صلى الله عليه وسلم في القلة من أصحابه
المهاجرين والانصار غلبوا الكثرة من قريش ..
ثم جاءت فلول الجيش المغلوب بتفصيل ما كان
وراءها : لقد تركت سبعين قتيلاً فيهم هاملت قريش .
صرعى مجندين حول ماء بدر . وخلفت قريبا من هذا
العدد . أسرى للمسلمين في دار الهجرة .
وأذيعت أسماء الاسرى وفيهم . أبو العاص بن
الربيع . وكان ذا شرف ومال فاراد أهله أن يغالوا في فدائه
لكن زوجه . زينب بنت محمد . سالتهم أن يتركوا لها
فداهم ..

سبق أسرى بدر الى المدينة المنورة في أعقاب الفلة
الغلبة فتأملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مليا ثم
نحى منهم صهره أبا العاص بن الربيع . وفرق الباقي بين
أصحابه البدرين وقال : استوصوا بالاسارى خيرا . .
وبقى أبو العاص في جوار صهره الكريم حتى جاءت
رسيل قريش في فداء أسراها . قد غلوا في الفداء ..
وتقدم . عمرو بن الربيع : اخو أبى العاص . فقال
للنبي عليه الصلاة والسلام : .
بعثنى زينب بنت محمد بهذا . في فداء زوجها . اخى
أبى العاص بن الربيع .
وأخرج من ثيابه صرة قدمها الى النبي عليه الصلاة
والسلام . حل رباطها فاذا فيها قلادة من جرز ظفر - بلسم
باليمن . لم يكده النبي صلى الله عليه وسلم يراها حتى رق
لهارقة شديدة وخفق قلبه للذكرى . لقد كانت قلادة حبيبة
أهدتها الى ابنتها زينب يوم زفافها .

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَسْتُ لَهُمْ
وَلَوْ كُنْتُ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا
مِنْ حَوْلِي فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ
لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَوَكِّلِينَ * »

بقلم :
د. بنت الشاطئ
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

صدق الله العظيم

الدين والانسان واقع وفاق حديث ذو شجون ٢ لقاء وفراق

في صحبة السيدة زينب كبرى بنات النبي صلى الله عليه
وعلى آله وسلم : أتمثل لقاءها بزواجها . وقد من عليه
المصطفى والبديون من الصحابة فاطقوه من الأسر .
وردوا إلى السيدة زينب فلابتها التي بعثت بها في فدائه من
الأسر يوم بدر .

(٢)

وبلغ مكة فطاف بالبيت العتيق واتجه الى داره متقل
الخطا ، فما إن أبصرته زوجه زينب حتى وثب قلبها اليه
فرحة بنجاته وعودته ، وفي قلبها هاجس من رجاء أن يكون
الله تعالى شرح قلبه للاسلام ، فتتم نعمته على آل البيت
وشغلتها فرحة اللقاء فلم تلمح ما يغشى وجه أبي
العاص من وجوم وانقباض ، إلى أن قال وهو يغض من
بصره إشفافا عليها : جئتك مودعا يا زينب .

سالت بقلب واجف هكذا ، ولما نكد نلتقى
قال وما يزال يتحاشى النظر إليها
لست راحلا يا زينب ، بل أنت الراحلة هذه المرة
ورأيها ما سمعت ، وحدثت في وجهه تحاول فهم ما
أعياها أن تفهمه ، فعجل إليها بالبيان
: إن أبك يا زينب ، هو الذي طلب أن أركب إليه لأن الاسلام
فرق بيني وبينك ، وقد وعدته أن أدعك تسيرين إليه ،
وجعلها صوته إلى بعيد .

ولم تكن قد علمت بعد ، أن شقيقتها ، رقية - نعتت إلى
دار الهجرة مع بشرى النصر في بدر فتملت زينب نفسها
في بيت النبوة ، تعانق أباها وأخواتها الثلاث ، وتلقى
النازحين من الأهل والعشيرة ، وذوى القربى
وانقضت بالخاطر السعيد لحظة ، ثم كأنها أدركت أن ما
سمعت من أبي العاص عن وعده للنبي صلى الله عليه
وسلم يعني أنه لقي أباها ولم يبايعه ، وعاد إليها مشركا
سألته مترفلة ، ولم تخف عليها شجونه
- كم بقي لنا من وقت قبل الفراق -

رد بصوت واهن ليس بالكثير ، إن هـى إلا أيام
تتجهزين فيها للسفر ، ثم يكون الفراق ..
وبقي سؤال من زينب وترافقني إلى دار الهجرة
فامسك دموعا تحيرت في مقلتيه وقال
- كلا يا بنت الخالة بل يأتي أخوك زيد بن حارثة ومعه
صاحب من أنصار أبيك حتى يبلغا موضعا معينا على بعد
ثمانية أميال من مكة ، فينتظرا هناك حتى تمرى بهما
فيصحبك إلى يثرب

وخرجت - زينب - تتجهز للسفر ، فلقيتها - هند بنت
عتبة بن ربيعة - التي روعها مصابها في بدر ، وأخرجها من
دار زوجها أبي سفيان بن حرب إلى محافل مكة وأنديتها
تعرض على الثار لقتلاهم يوم بدر من هامات قريش
ولم يخف على - هند - في ذكائها اللماح ، أن زينب تتجهز
لتلحق بابيها ، فدنت منها متلطفة فقالت : يا بنت
محمد ، ألم يبلغني أنك تريد اللحق بابيك ، فتحيرت
زينب لم تدرب تم تجيب وقد فوجئت بالسؤال ، واستطردت
هند قائلة مجاملة

- أي ابنة عمي ، إن كانت لك حاجة بمتاع يرفق بك في سفرك
فإن عندي حاجتك فلا تضطغني مني ، فإنه لا يدخل بين
النساء ما يدخل بين الرجال
شكرتها زينب وإنها لتقول والله ما أراها قالت ذلك إلا
لتفعل ، ولكني خفتها فكتمت اني أريد اللحق ببثرب . .

.....
سرعان ما حل الموعد المضروب
ودعت - زينب - أبا العاص وداع محبة غير قسالية ولا
هاجرة ، وفي رحمتها جنين لم يستكمل شهره الرابع
وخان أبا العاص تجلده ، فارخى بصره وهي على وشك
رحيل ، وترك أخاه - كنانة بن الربيع - يمضى بها إلى حيث
ينتظرها زيد وصاحبه
وانطلق - كنانة - يقود بعيرها نهارا وقد أخذ قوسه
وكنانته متاهبا ، فهال السادات من قريش أن يخرج بها

(٣)

هكذا على مرأى منهم وسمع ، وطاردها رجال منهم حتى
أدركوها بذى طوى فكان أسبقهم إليها رجلان روعها
أحدهما بالرمح ثارا لاخوة له ثلاثة قتلوا يوم بدر . ونخس
البعير فالقى براكبته على صخرة هناك وعندئذ برك . كنانة
بن الربيع . دونها ونثر كنانته وهو يزأر متوعدا والله لا
يدنو مني رجل الا وضعت فيه سهما

فتراجع المطاردون . ووقف أبو سفيان بعيدا يقول
لكنانة كف عنا نيلك حتى تكلمك فكف كنانة . وتقدم أبو
سفيان حتى دنا منه فقال

. انك لم تصب يا ابن الربيع . خرجت بها على رعوس الناس
علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من
محمد . فيظن الناس أن ذلك عن ذل أصابنا . وأن ذلك منا
ضعف ووهن . ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها من
حاجة . ولكن أرجع بها حتى اذا هذأت الاصوات وتحدث
الناس أن قد رددناها . فتسلل بها سرا فالحقها بابيها .
فكبر على كنانة أن يرجع بها . لولا أن سمع توجعها
فالتفت نحوها فمأراعه الا أن راها تنزف دما . وقد طرحت
جنينها على أديم الصحراء .

وعاد بها إلى مكة حيث بقي أبو العاص يرعاها ليل نهار .
فلما تماكنت بعض قواها النازفة . خرج بها كنانة حتى
أسلمها إلى . زيد بن حارثة . ولم يتبعها هذه المرة منهم
مطارد . وقد ركبهم الخزي والعار من قول هند بنت عتبة .
تعيبرهم بمعركة مع أنثى عزلاء . فهلا كانت هذه الشجاعة
يوم بدر . ورجعت الافاق ما بين مكة والمدينة أبيات هند في
المطاردين الجفاة الغلاظ . وأبيات كنانة في خفارتها بنيت
محمد . وقصائد شعراء الانصار في فعلة اللنام .

ومضت أعوام ستة . حافلة بجليل الاحداث . وزينب
تعيش مع ولديها في رعاية أبيها عليه الصلوة والسلام .
على أمل لم يغلبها عليه اليأس قط . أن يشرح الله صدره .

حتى كانت ليلة من ليالي جمادى الاولى من السنة
السادسة للهجرة . وقد باتت زينب مؤرقة بذكريات زادت
النوم عنها . وطاب لها أن تحلم في سهادها بالأمل المرجو .
فهل يسلم أبو العاص .

واقترب الفجر وما تزال في يقظتها الحالمة . فلم تكذب
تشعر ببابها يفتح عن شخص أبي العاص . كليلا شاحب
الوجه . فعجبت لما ترى وهمست أبو العاص .
فراعاها أن أجاب بصوته المألوف . أجل يا بنت
الخالة . أبو العاص ألقى به المقادير قريبا من يشرب

(٤)

- لا : فجزاك الله خيرا من وقي كريم
فأدار فيهم بصره ثم قال على مهل
- فانا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله
والله ما منعني من الاسلام الا أن سخطوا اني أضعت
اموالكم فلما أداها الله إليكم سنت
وخلف القود واجمين مطرئين كان على رؤوسهم الطير .
وانطلق مستقبلا طريق الهجرة
وهناك : توجه من ثوردا إلى المسجد النبوي فجلل
المسلمون وكبروا حين شهدوا بياع النبي صلى الله عليه
وسلم . وأقبلوا عليه مهنيين لكنه كان يسرع البال بامر
أهمه . أتري يرد المصطفى عليه ريب بعد الذي كان

ومضى عام واحد . ثم كان الغراق الذي لا لقاء بعده في
هذه الدنيا . توفيت السيدة زينب رضي الله عنها في مستهل
السنة الثامنة من الهجرة ثم تدرج عليها يوم مئذنت جنيته
وجيزوها . وصلى عليها أبوها المصطفى في مسجد
وخلا بيت أبي العاص من شخص الحبيبه وبقي طليخ
يؤنس . وأبناها على وأمامه ياسوان جراحه . ويلطفا
ماران على البيت من طلال الحزن
وكذلك وجد الأب المصطفى في أمامة . ما يؤنس
وحسنة لزينة . فكان يسانس بها . يهش لها . وفي
(الصحيحين) أنه صلى الله عليه وسلم . كان يحسب على
عائشة ويصل بها فإذا سجد وضعها حتى يفدني صلاته بعد
يعود فيحملها
وعن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها . أن
النبي صلى الله عليه وسلم أهديت إليه هدية فيها خلعة من
جزع فقال : لا دفعنها إلى أحب أختي . فغالت النساء
ذهبت بها بنت أبي جحافة - عائشة - بكر رسول الله صلى
الله عليه وسلم دعا . أمامة بنت أبي العاص بن الربيع .
فاعلفها في عنقها
ولحق - أبو العاص - بزينة . أيام أبي بكر . في ذي
الحجة في السنة الثانية عشرة
- سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار

فسعى إليك مستجيرا . والمطاردون من المسلمين على
أثره
لبيت ترمقة صامته إلى أن لمحت نور الفجر يبرز من
فتحة الباب . وسمعت بلال بن رباح يؤذن للصلاة .
وميزت خطوات أبيها سعيا إلى المسجد النبوي ليحضر
بالناس . فلما كبر وكبر معه الناس قامت إلى الباب ونادت
بأعلى صوتها
- أيها الناس . إني أجرت . أبا العاص بن الربيع .
فلما أقام النبي الصلاة . أقبل على من معه فقال - أيها
الناس هل سمعتم ما سمعت .
قالوا نعم يا رسول الله
فقال - أما والذي نفس محمد بيده . ما علمت
بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم . ثم قال إنه يجير
على المسلمين أدناهم .
وسار صلى الله عليه وسلم فدخل بيت ابنته وعندها ابن
خالتها . فما كادت تراه حتى قالت ضارعة
- يا أباي يا رسول الله . إن أبا العاص إن قرب فابن خاله
وعم . وإن بعد فابو ولدي . وإني قد أجرت
فرأى إليها الأب الكريم في عطف وتترنم قال . - يا بنية .
أكرمي مثواه . ولا يخلص اليك فأنك لا تحلين له
وقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه :
- إن هذا الرجل منا حيث قد عنتم . وقد أصبتم له مالا .
فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له فإنا نحسب ذلك . وإن
أبيتكم فهو في الله الذي أفاء عليكم فأنتم أحق به .
قالوا جميعا يا رسول الله . بل نرده عليه
وحان موعد رحيله . فقال المصطفى وهو يودعه
- حدثني فصدقني . ووعدني فوفني .
والتفت أبو العاص إلى بيت زينب من بعيد وخفق قلبه
مودعا . ثم مضى حتى بلغ مكة . وقد اعتزم أمرا
استقبلته قريش محتفلة به . فاستمهلهم حتى أدى إلى
كل ذي مال ماله ثم وقف بحيث يسمع ننادي بأعلى صوته
يا معشر قريش . هل بقي لأحد منكم عندي مال . قالوا

حديث

رمضان

بقلم :
د. بنت الشاطئ
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين

والإنسان

واقعة

وانفاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
« تَمَرَّقْتُ قُلُوبَكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ
مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ
وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ
وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ »
صدق الله العظيم

تجبر المادية والانسانية العاطفة والهموى

تكررت حديث ذو شجون : عن (الاسير والقلادة) وما حلف به من مواقف عاطفية مؤثرة . باننا في زمان يلهم بما ينبغي لنا من تحكيم العقل والحذر من التورط في الانفعال بالعواطف . ولعل من متفهمي العصريين من يمتنون بهذا على الامة ، فيما يبشرون به من تنوير ، متأثرين فيه بالمادية الماركسية التي لا مجال فيها لتأثر بالعواطف .

■ ■ ■

وهذا الجحد لانسانية العواطف ، مما تورطت فيه المادية الماركسية من متناقضات أُنذرت من وقت ظهورها ، بمصيرها حتما إلى السقوط والانهيار . هذا إلى المعروف من احتفال النظم الشيوعية بالفنون ، استجابة لنفض الوجدان الانساني . وإن كانت الفنون ، والثقافة والعلم ، موجهة إلى خدمة المذهب والدعاية له ، والتمكين له من نفوس الجماهير العسية على التجبر العاطفي .

(٢)

★ ★

الدعوة إلى التعقل تتجه في واقعها إلى إيقاف الشعوب المتدبنة المعطلة العقل بتخدير الأفيون . وهذه قضية تحتاج إلى أن نفرغ لها بعد النظر فيما يراود لنا أن نحذره من التأثير بالعاطفة حيث أراهم يتكلمون عن الهوى باسم العاطفة . وذلك من الخلطين الدلالات بضل به المنطق ضللا بعيدا . من الهوى بدلالة لفظه . الهوى - بضم أوله وكسر الواو وشد الياء - أي السقوط والانحدار من أعلى إلى أسفل كما في الآية .

(فكانما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق) استعملته العربية فيما تميل إليه النفس وتهوى الأفئدة . ثم كثرت استعماله في الميل إلى الشهوات . لا يزال بالإنسان حتى يغلبه على رشده وهواه فيضل ويتخبط كمن به مس من خيال ووسوسة شيطان : (كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران ..)

ثم لا يلبث هذا المغلوب على عقله أن يستعبده هواه فهو أعمى أصم . لا يجدى معه نصيح ولا هدى . كقوله تعالى في آية الفرقان . خطبا لخلتم رسله عليهم السلام . (أرايت من اتخذ إلهه هواه أفانت تكون عليه وكيلا . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون . إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا)

وقد نزه الله عز وجل رسوله أن يكون بما يتكلم من الوحي . ينطق عن الهوى . وبشر من اتقى من عباده (ونهى النفس عن الهوى) بأن الجنة هي المأوى .

ومن تقدير دين الفطرة لغلبة الهوى . حرصه على التحذير منه والنهي عنه . والتنبيه على ما يحمل الإنسان من تبعات رشده قال تعالى :

(ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم لانتحلنكم من الله من ولى ولا نصير .)

(ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن)

عن هذا الهوى يتكلم المبشرون فينا من حيث لا يدرون . يلتقاء التأثير بالعاطفة . ولا نعرف - نحن تلاميذ المدرسة الإسلامية - الهوى إلا بهذه الدلالة على الميل إلى ما تشتهي النفس ويهوى الفؤاد . يغلب على رشد الإنسان فيستعبده ويعطل وعيه .

★ ★ ★

فاما العاطفة فمن العطف والتعاطف . عن لين في القلب ورقة في الوجدان . يبلغ بالإسلام تقديره لانسانيته أن فرض على أمته الاحتفال بشهر القرآن : صليما ونسكا . وموسم مجاهدة للهوى وتدريبها علما على اعتكاف الشهوات . والتخلف من كثافة المادية وما تنقل به على إنسانيتها من غلظ الحس وصدأ الوجدان .

ويحيون (عشر الاعتكاف) في المسلح تجردا من الشواغل المادية . لمراجعة النفس للسوامة . تصفية موسمية لأعمالنا . وتزودا من عطاء الشهر المعظم في العشر الأواخر منه . بما يزيكهم ويظهرهم من رجس القنر . وأوضار الخسة والبشاعة والحق والانسانية . ويتعلمون من آيات الاعتبار أن القسوة تنفخ البشر عن أميته وعن عموم جنسه في الحيوان . وتمسكه حجرا صلبا . قال تعالى في العصاة الجفاة من بني إسرائيل :

(ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة . وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار . وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله . وما الله بغافل عما تعملون)

القسوة . في البيان القرآني من أراض القلوب . (فويل للقلوب قلوبهم) يطول عليها الأمد فتترسخ ويستعصى علاجها . لا يجدى فيها طب بشرى ولا يعطرى . قال تعالى في آية الحديد :

(ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل ففعل

عليهم الأمد ففقت قلوبهم وكثير منهم فاسقون) والمسلمون كافة . يستهلون تلاوة ما يتلون من القرآن الكريم (بسم الله الرحمن الرحيم) ويعلمون من أسمائه الحسنى : الرؤوف والعفو والتواب والكريم . ومما من به الله تعالى على أمتنا :

(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة . إن في ذلك لآيات لقوم ينفكرون)

وكتب (الشملل . والفضلل) عامرة بالحديث عما اتصف به النبي صلى الله عليه وسلم من رقة القلب والرحمة . وفي الصحيحين من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها . قالت : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم - وقد رأى الصحابة يقبلون صبيبتهم - فقال : تقبلون صبيبتكم ؟ نحن ما نقبلهم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أو أم لك أن نزع الله من قلبك الرحمة ؟

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه . قال : قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي . وعنده . الأقرع بن حابس التميمي . جالسا . فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا . فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : من لا يرحم لا يرحم . متفق عليه .

واستشفع اليها برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت :
اتأمرني يا رسول الله ؟ قال : لا ، بل أنا شافع ، فقالت : لا
أريده

بعد فتح مكة بنى شهر رمضان من السنة الثامنة
 للهجرة ، كان من مشاهد الفتح أن قال صلى الله عليه وسلم
 لأهل مكة :

• يا معشر قريش ، ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا ،
 أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : أذهبوا فانتم الطلقاء .

ثم بعث من هناك سرايا إلى قلوب من قبله حولها بقيت
 على انشرك ، منها سرية ، خالد بن الوليد ، إلى بني جذيمة
 من كنانة ، بأسفل مكة ، في شوال ، السنة الثامنة .

فيروى ابن اسحاق عن الزهري عن أبي حمزة
 الأسلمي ، رضي الله عنه ، قال : كنت يومئذ في خيل ، خالد
 بن الوليد ، فقال لي فتى من جذيمة - في مثل سنتي - وكان
 أسيرا مقيدا ، وغير بعيد منه نسوة مجتمعات : يا فتى ،
 هل أنت قلندي إلى هذه النسوة حتى أقضي اليهن حليجة ؟
 ثم تريني ؟ قلت : والله ، يسير ما طلبت ، فقدته حتى
 ولغت به عليهن فقال لشابة هناك : اسلمي حبش على نك
 العيش ، وأشد أمانا تذكرها ليهن بحق الحليجة في طلبها
 وما تجشم من سري الليل وصهد الظهيرة :

لما كان حقا أن ترق له وأهلها معا ، قبل حتم البين ؟
 في رواية معها بالسيرة الكبرى (عيون الأثر) من طريق
 الطبراني ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن الفتى قل
 لهم : إني لست من القوم ، بل عشقت امرأة منهم فتبعتها ،
 فدعوني أنظر إليها ثم اصنعوا ما بدا لكم . - وأنشد
 الأبيات - فقالت حبيبته ، نعم فديتك ، ثم لما قتل جاءت
 فوقفت عليه فشبهت شهقتين وماتت . فلما قدموا على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر ، رقى لهما وقل
 لجند السرية . أما كن فيكم رجل رحيم ؟
 قل تعالى :

(إن في هذا البلاغ القوم عابدين . وما أرسلناك إلا رحمة
 للعالمين .)
 صدق الله العظيم

وفي (الصحيحين) من حديث أنس بن مالك رضي الله
 عنه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ،
 ومعه غلام يقال له ، أنجشة ، يحدو - وكان شجي
 الصوت - فقال له رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : رويدك أنجشة ، رفقاً بالقوارير ، يعني من في
 الركب من النساء ، أشفق عليهن صلى الله عليه وسلم من
 شدة أنجشة ، لركة عواطفهن ..

وفي (الصحيحين) من حديث ، أنس بن مالك رضي الله
 عنه ، أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم : متى
 الساعة يا رسول الله ؟ قال : ما أعددت لها ؟
 قل : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ،
 ولكني أحب الله ورسوله ، فقال عليه الصلاة والسلام :
 فانت مع من تحب .

ومعه ، في الباب من (الصحيحين) حديث أبي موسى
 الأشعري ، قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : الرجل
 يحب القوم ولما يلحق بهم ، قال عليه الصلاة
 والسلام : المرء مع من أحب .

مجل القول في هذا المطلب نوسعة ، فلا ختم الحديث
 بمواقف للنبي صلى الله عليه وسلم ، شهادة لركة قلبه
 للحب والمحبين :

في كتب الصحابة والسنة والأحكام ، غير قليل
 عن ، بريرة ، مولاة السيدة عائشة رضي الله عنهما كانت
 أمة لبني أسد ، فكانت بهم على عتقها بمال دفعته السيدة
 عائشة وقضى النبي عليه الصلاة والسلام بأن (الولاء لمن
 أعق)

وكانت بريرة قبل عتقها زوجا لعبد اسمه ، مغيث ، فلما
 تحررت خبرت فيه فاختارت فراقه ، أشد ما يكون حبا
 لها ، فكان يمشي في طرق المدينة بهدي باسمها ويكي .

حديث رمضان

بقلم :
د. بنت الشاطئ
أستاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين والإنسان واقع وأفاق



الذاتية الجماعية الشخصية الإسلامية

ما مضى من حديث عن انسانية العاطفة في دين الفطرة . يحتاج الى تكملة ايضاحية عن الانسان والمجتمع . فالذي لا مجال لتكرره هو أن الاسلام يولي الفرد عناية بالغة . يقصر عن ادراكها من يتصورون أن الفرد مقصود لذاته . معزولا عن الجماعة التي تبدو في هذا التصور الوهمي . أفراداً شتى مبعثرين . كل مشغول بذاته . لاشان له بالآخرين . مصداقاً لما خطر على بال شاعر قديم . سره أن نجا الى منزله من مطر منهمر فانشد :
لعل للسماء لرعدي وابرقي

فإننا رجعنا الى المنزل
وحتى اليوم . لا افهم وجه الفصل بين الفرد والجماعة في نظم حديثة ومذاهب وضعية . يقال انها تتجه الى المجتمع على تغلوت بينها في موقفها من الفرد بين اهدار شخصيته والغاء ذاته . او الاعتراف بها بقدر محدود . ويذكرون في ذلك ما كشفت عنه تجاربهم من خطأ الغرض من شخصية الفرد والتهوين منها . والمحولات المبذولة لتدارك هذا الخطأ بما يعرف في مصطلح خبرائهم بحواجز الطموح .

(٢)

الذي أود أن أوضحه هنا ، هو أن الإسلام ألغى هذه الحواجز غير الطبيعية بين الفرد والجماعة ، لهما فيه لا ينفصلان ، وهو في عنيته بالإنسان فرداً ، إنما ينظر فيه إلى اجتماعيته التي لا يمكن تصور إنسانيته بمعزل عنها ، كما لا يمكن تصور أي كيان اجتماعي بغير أفراد . واحتاج هنا إلى استطراد يسير ، ألفت فيه إلى أصالة الذاتية الجماعية في العرب أو أواخر الجاهلية ، في القدر المعروف لنا منها ، إذ يحقق الفرد ذاته في نطق القبيلة غير منفصل عنها إلا أن يخرج على أعراف القبيلة ، فتخلعه إعلماً بأنها لا تحمل عبئه ظلالاً أو مظلوماً . أو أن يتمرد على قيودها فيخرج عليها ويهيم في أرجاء الأرض صعلوكاً حراً في ظاهر أمره ، مشهود القلب إلى قومه وداره وأهله ، مشحون الوجدان بمواجع الفراق ومواجد الحنين . وهذا ما أعطى شاعر القبيلة مكانته فيها قلنداً سيداً ، وإن جهل هذا الوضع عامة الدارسين للشعر الجاهلي ، فلم يلتفتوا إلى شعر القبيلة ممثلاً أصيلاً للجماعة في انقي أصالتها وأرهف حسنها . بل أقاموا الدراسة على حضر وبدو ، ومنهم من غص من شأن شاعر القبيلة ، فلم يرفه سوى مجرد بوق لقومه .

وشهد تراث شعراء القبائل ، أن الشاعر منهم إذ يتكلم بلسان الجماعة ويفاخر بها ويدافع عن وجودها ، لم يبلغ ذاتيته الخاصة بل هو الذي يقود القبيلة إلى ما يستشرف لها من وجود حر ، وقد يشق عليها برفض الأوضاع غير كريمة رضى بها أو سكنت عليها . ويلهب وجدانها بحمم من كلماته الغاضبة ، لترفض ما لا ينبغي لها أن تسبغه من ضيم أو هوان . من أجل هذا عدلت في دراستي لتراث الشعر الجاهلي عن التقسيم المألوف بين بدو وحضر ، وجعلت مدار التقسيم على شاعر القبيلة ، والشاعر الصعلوك ، الشاعر المرتزق المتكسب بشعره ، في رؤية جديدة ، أعطت قيمة جديدة لأدبنا القديم .

والإسلام في رفضه لعصبية القبيلة ومقاومته نخوة التعظيم بالأباء والأجداد ، أتجه بهذه الذاتية الجماعية الأصيلة إلى نطقها الرحب في الأمة ، يحقق فيها الفرد ذاته ، ويستقيم أمر الجماعة بصلاح أفرادها وشعوبها وقبائلها ، في اندماج وثيق لا تنفصل فيه فردية عن جماعية . مع إقراره حرمة الأنساب للتعرف ، وإيجاب حفظها لما يترتب عليها من أحكام تقوم بها الجماعة ، كالمواريث والمحارم ، والنكاح والرضاعة والشهادات والولاء

ويستفاد من تدبر القرآن الكريم والحديث الشريف أن الإسلام في أصول العقيدة وقواعد الدين وفروض العبادات وأحكام المعاملات ومنهاج السلوك ، ينظر إلى الإنسان من حيث هو اجتماعي بطبعه ، وليس فردية شلّة متوحشة .

التوحيد ، وهو جوهر الدين كله ، رفض للعبودية للبشر في مختلف ضروبها وأشكالها ، وتحرير للإنسان من مهانة الاستعباد لغير خلقه ، ومن فتنة تقديس الزعماء والأبطال والرؤساء والحكام ، ومن اغلال للخوف من الجبنرة والطفاة .

والعبادات ، في الإيمان المحض ، شعائر لا طقوس وحسن لا تؤدي العبادة غلبتها من صلاح الفرد والجماعة ، تقوى وخشوعاً وتواضعاً وتراحماً وتكافلاً ، فإنها تنول إلى طقوس شكلية وأفعال البهائم فقدت مقراها وحكمتها ، وكان منها للمرائين اقنعة زيف وتمويه ، يشق بها على الناس أن يميزوا بين تقى وفلجس ، بين مؤمن خاشع ومنغلق بجل .

والمعاملات ، تنظيم شرعي للحياة العملية وضبط العلاقات بين الأفراد ، في البيت والمجتمع بما يكفل العدل والأحسان والأمن ، وتكافؤ الحقوق والواجبات ، وصيانة الحرمات الخاصة والعامة ، بحدود الله وأحكام القصاص ، في القتل والتشويه والجروح ، تأمين لحياة الجماعة (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلمكم تتقون)

وحُدود الشرع في مثل عقوبة الزنى ، والافك والسرقه ، والحرابة ، وشرب الخمر ، حمليه للجماعة من شر المجرمين والمنحرفين من المرائين ، وردع عن الفساد في الأرض ، والأمر كذلك في السلوك : إذا اتجه فيه الإسلام إلى الإنسان ، فإنها هو الفرد في الجماعة تالفاً وترابطاً ووحدة وجهاداً في سبيل الحق ، ودعوة إلى الخير وتواصياً بالمعروف وتناهي عن المنكر وتعاوناً على البر والتقوى لا على الأثم والعدوان .. وذلك ما يتسع له مجال رحب نرجو أن نفرغ له بمشيئة الله تعالى وعونه

ثم فلنتدبر : هل ينظر القرآن إلى الإنسان فرداً وهو يأمره بالعدل والأحسان والبر وصلة الرحم وإداء الأمانات إلى أهلها والوفاء بالعهد والصدق والتواضع ، وينهاه عن العقوق والجور والبغى والفجور وقطع الأرحام ، وعن

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :
« دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ... »
وروى البخاري الحديث عن أنس بن مالك رضي الله
عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :
« انصر أخاك ظالما أو مظلوما » . قيل : يارسول الله ،
ننصره مظلوما فكيف بنصره ظالما ؟ قال : تمنعه من
الظلم ، فذلك نصره إياه .

ولما نزلت آية الحجرات في النهي عن الغيبة ، سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الغيبة ؟ قال : « ان
تذكر أخاك في غيبته بما يكره » . قيل : أرايت يارسول الله
ان كان في أخي ما أقول ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « ان
لم يكن فيه ما تقول فذلك البهتان » .

وفي (كتاب الايمان من الصحيحين) حديث عبد الله
بن عمرو رضي الله عنهما ، ان النبي صلى الله عليه وسلم
قل : « اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه
خصلة منها كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا
أؤتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا
خاصم فجر » .
متفق عليه واللفظ لمسلم .

وفيها حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :
بينما نحن في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاء
رجل على راحلة فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا - كمن
يلتمس حاجة - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من كان معه فضل ظهر فليعد على من لا ظهر له ، ومن كان
له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » .
- قال ابو سعيد : فذكر عليه الصلاة والسلام من اصناف
المال مذكر ، حتى رأينا انه لاحق لاجدنا في فضل .
الظهر : الراحلة للركوب ، والفضل ملزاد على قصر
الحاجة الضرورية

ذلك ومثله من الاعتبار في الفرد بذاته الجماعية ،
يوطىء للحديث غدا بمشيئة الله عن المجتمع الاسلامي :
(وعلى الله قصد السبيل) صدق الله العظيم .

المن والربا والاذى والفساد في الارض ؟
مثل هذه الاوامر والنواهي لا تتعلق بتعامل الانسان مع
نفسه ، بل بالتعامل مع الناس . فليس الانسان بحيث يبر
ويغفر ويصدق ويعف .. او يخون ويفسق ويعيق ويؤثر
ويغدر ويعتدي ويظلم ويستكبر .. في نطاق فرديته
الخاصة .

ويسمى القرآن بذاتية الانسان الجماعية الى المستوى
الذي يكون فيه من التكذيب بالدين دع اليتيم وصدده ،
والنكوص عن تبعه التكافل والمرحمة ويحض الانسان على
اقتحام العقبة لتحقيق الوجود الانساني الحر ، فلا
يستبعد مخلوقا مثله ، ولا يفرط في حق مسكين لايسال
الناس الحافا ، ويتيم في يوم مسغبة ، وحق الجماعة في
التواصي بالصبر على مشاق التكليف والتواصي بالمرحمة .
قال تعالى (ارايت الذي يكذب بالدين ، فذلك الذي يدع
اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين) .

وقال عز وجل حضنا للانسان :
« فلا اقتحم العقبة . وما ادراك ما العقبة ، فك رقبة ، او
اطعام في يوم ذي مسغبة . يتيم اذا مقربة . او مسكينا اذا
متربة ، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر
وتواصوا بالمرحمة . اولئك اصحاب الميمنة » .

في (الموطا والصحيحين) من حديث ابي ايوب
الانصاري رضي الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : « لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث ليل
يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ
بالسلام » .
وعن . ابي الدرداء ، رضي الله عنه من عدة طرق عن

حديث رمضان

بقلم :
د. بنت الشاطئ
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين
والانسان
واقف
وآفاق

« رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ
وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا
لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ
رَءُوفٌ رَحِيمٌ »

صدق الله العظيم

إنسانية المجتمع الإسلامي ومجتمع الحق والخير والكرامات

غنى عن البيان . أن الماركسية تقوم على حتمية العنف الثوري . يوقد نيران العداوة والبغضاء بين طبقات المجتمع . ويعبىء الطبقة الكالحة من العمال والفلاحين لتؤجج هذه النيران بوقود من ملاك الأرض وأصحاب العمل .
واتخرج من القول فيها بغير علم . فأنقل من نصوص أقوال أقطاب المذهب . في ترجمة أمينة .
قول ماركس :
[إن الثورة . والثورة وحدها . هي القوة المحركة للتاريخ . ولا يمكن أن تقوم ثورة بدون عنف]
ويذكر شراح الماركسية . أنه ثار عندما حدثوا عن قصر مذهبه على الإصلاح الاجتماعي . [وذلك لأنه يقرر أن مذهبه رياضي وحتمي . والقوانين التي يصفوها حتمية . ولا بد من وقوعها . وهي لا تتعلق بالتواءم والتراحم والتعاطف]

(٢)

وكتب . إنجلز . [إن العنف الثوري هو الأداة الوحيدة التي لاغنى عنها لتدمير الطريق والفاس التي تهدم الأشكال الأخرى]
وقال . لينين . (كراس الاشتراكية والحرب) : [نحن الماركسيين ندرك الصلة الحتمية التي تربط بين الحروب والصراع الطبقي في داخل البلاد . وندرك أنه يستحيل النصر دون القضاء على الطبقات . إننا نعتبر بشرية الحرب الأهلية وضرورتها وحتميتها] . وفي الجهر بشرية العنف والتضامن . لا مجال لما يكبح جعلها من شرع . أو عرف إنساني وقانون أخلاقي . وذلك صريح قول . ماركس . في منشوره الشيوعي لشرعية الحرب الأهلية وحتمية الثورة الطبقة . حيث تصبح طبقات المجتمع بعضها لبعض عدو
[ويصبح الدين والقانون والأخلاق . مجرد ستائر تخفي مصالح الرأسمالية]
وهذه الحتمية التي يقرها . ماركس . تعطل إرادة الإنسان وتشل طموحه وتفضي حتما إلى وقف مسيرة الحياة . فغير مستطاع [تصور أمر يقع مغاير لها . فإن فعلت كان ذلك وهما وخيالا . ومؤلفو (أسس الماركسية اللينينية) يصرحون [بأن تطور الطبيعة وتطور المجتمعات الإنسانية أيضا . يحدثان طبقا لقوانين موضوعية لا تتوقف على إرادة الإنسان . فالحتمية - عندهم - هي المبدأ الأساسي لكل تفكير علمي] .

وسد الباب الريح بالمستوقع من جدل متقنين الماركسيين . أرحو الأيظنوا بي أنني لم أسمع ما ابتدعه العلامة . روجية جبارودي . لتأويل هذه النصوص وأمثالها . بل طالعت معها كذلك مكتبة أساتذته من كبار مفكرينا . في نقض ما أسموه (بدع التأويلات الجارودية)

ما علينا . الذي يعني هنا هو البيان لانسانية المجتمع الإسلامي . المؤسس على الحب والتآلف والتكافل والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر امتثالا لقول الله جل جلاله .

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا . واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا . وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها . كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . أولئك هم المفلحون)

وتأخذ الزكاة موضعها الجليل في الإسلام . ثالثة قواعده الخمس . تحقيقا للتكافل الاجتماعي . كما تعبر زكاة الفطر عن المشاركة الجماعية في فرحة عيد الفطر . فضلا عما يؤتبه المسلمون من صدقات تزكيتهم وتطهرهم . و (يمح الله الربا ويربي الصدقات)

والأصل في الشريعة الإسلامية أن المال مال الله . جعل عباده مستخلفين فيه للقيام بحقه . فلا ينبغي أن يكون (دولة بين الأغنياء) كما لا يحل تعطيلة عن النفع العام . فذلك إثم كبير يشهد القرآن في الوعيد عليه . قل تعالى (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيبشرهم بعذاب أليم . يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)

ثم لا تخلو سائر أركان الإسلام من الملحظ الجماعي : في إقامة الصلوات المكتوبة بالمسجد وصلاة الجمعة في الجوامع . وفي الصوم تحيي فيه الأمة شهر القرآن بشعائره الجملة . وفي الملتقى السنوي للحجيج ساعين إلى البيت العتيق من كل فج عميق . ليتعارفوا ويتألفوا ويتذاكروا في مصالحهم وقضاياهم . ويشهدوا منافع لهم ..

والخروج على الجماعة إثم كبير . والفئة أشد من القتل . والتفلق داء عضال . والمتفقون حزب الشيطان . لقي منهم المؤمنون في العهد المدني بلاء عظيما : وإذا لقوا الذين آمنوا قتلوا أمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون . الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ..

وإذا لا أتعلق في هذه العجالة بتقصي الأدلة والشواهد لانسانية المجتمع الإسلامي . أقصر اليوم على قدر من صحيح الحديث . يكفي شاهدا .

من جوامع الكلم قوله صلى الله عليه وسلم . ما فشا الغلول في قوم إلا ألقى في قلوبهم الرعب . ولا فشا الزنى في قوم قط إلا كثرت فيهم الموت . ولا نقص قوم المكيل والميزان إلا قطع عنهم الرزق . ولا حكم قوم بغير الحق إلا فشا فيهم الدم . ولا خثر قوم بالعهد إلا سلط الله عليهم العدو .

في (الصحيحين) من حديث . عبد الله بن عمر . رضي الله عنهما . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : . المسلم أخو المسلم . لا يظلمه ولا يسلمه ولا يحقره . ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته . ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة .

وفيهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
- المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا . وفيهما
عن النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه : قال النبي صلى الله عليه وسلم
- ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو دعاى له سائر جسده بالسهر والحمي .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : إياكم والجلوس في الطرقات . . . قالوا : ما لنا منها بد يا رسول الله ، إنما هي مجالسنا فقال : فإذا أبيتم فاعطوا الطريق حقه . قالوا : وما حقه ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : غرض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر . . .

وقد يحمل القول في إنسانية المجتمع الإسلامي أن كل عمل ينفع الناس ، بعامة ، يتقبله الله ويذكره ويبقيه . وأي عمل يضر الناس زبد يذهب جفاء . قال تعالى : (فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله الامثال) . (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه . والنذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك يبور) .

وقد شهد التطبيق الواقعي لمبادئ الإسلام في المجتمع ، ما لا عهد للدنيا بمثله فيما أعلم من استقبال الانصار للمهاجرين ، وإنزالهم من قلوبهم ودورهم وأموالهم منزل الأهل والعشيرة ، فيروى عن أنس بن

مالك : رضي الله عنه أن المهاجرين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة وبذلا . كفونا العثونة وأتركونا في دورهم وأموالهم حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله . فقال عليه الصلاة والسلام : لا ، ما أنيتم عليهم ودعوتهم لهم .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : لقد رأينا وما الرجل المسلم باحق بديتارده ودرهمه من أخيه المسلم .

فهؤلاء الانصار هم الذين قال فيهم عز وجل (يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا . ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) .

وكذلك كانت هجرة الاسلام من الاندلس إلى العبودية المغربية بعد تصدع معاقله وحصونه مثلا نبيل للمجتمع الاسلامي في تكافله وإيتارده ، حفظ فيها المغرب الاسلام دينادينا ودولة وعلماء وحضارة وترانا

ثم يرقى الاسلام بانسانيتنا فيستشرف بها إلى حيث تكون الرحمة بالحيوان الأعجم يعظم بها الأجر . والقسوة عليه من الممالك الموبقات .

في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه من عدة طرق ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينما رجل يمشي بطريق إذا شئد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث ، يأكل التراب من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني . فنزل البئر فملا خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له . قالوا : يا رسول الله وإن لنا في هذه البهائم لأجرا . فقال : في كل كبد رطبة أجر .

(ذلك الدين القيم . ولكن أكثر الناس لا يعلمون) صدق الله العظيم

حديث

رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ
تَسْمَعُ الصَّخَرَةَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ *
وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَرَى
الْعَمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ * إِنْ
اللَّهُ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ
النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * »

صدق الله العظيم

بقلم :
د. بنت الشاطئ
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين
والانسان
واقعية
وأفاق

العقل في عقيدتنا لب الإنسان ومنطق الرشاد والتكيف

عودا على بدء ، انظر فيما راجع لنا من دعوة الى التعقل ، والحذر من التأثر بالعاطفة ، وقد مضى
النظر في التلبس العاطفة بالهوى في منطق دعاة التعقل ، فضل ضللا بعيدا .
وأراهم كذلك وضعوا العقل مقابل العاطفة وهذا أبعد في الضلال ، بما يعني أنهما لا يجتمعان في
إنسان ، بمقتضى القاعدة الأصولية في نفى اجتماع الضدين ، كما يستلزم الدليلان في المنطق إذا
تعارضتا .
فالإنسان على ذلك ، إما أن يكون حجرا صلبا أو قلصرا طائشا أو سفيها أحمق ، في مذهب من
ياخذون علينا التأثر بالعواطف ويحرصون على أن يردوا علينا عقولنا .
وقد تبين من حديث البرجة ، أن العاطفة رقة في الوجدان ولين في القلب ، من العطف والتعاطف ،
والنجد منها شذوذ ملسخ لانسانية البشر .
العقل في لسان العرب : القيد والربط والامساك . ومنه العقل يقيد المعقول به عن الافلات
والجموح ، والمعقل : الحصن يمنع أهله ، والاعتقل : يحجر على تصرف الإنسان ويحدد إقامته
وحريته .

(٢)

وبهذه الدلالة نقل إلى عقل الإنسان يضبط سلوكه وتصرفه ويمنعه مما لا ينبغي من خلل وسفه .
نفیضه الطیش والحمق واختلال الوعي واضطراب الذهن .
فهل نحن الشعوب المتدينة . أمة بغير عقل ؟ ذلك ما رددته الماركسية بمقتضى مقولاتها المشهورة
في الدين أفیون الشعوب . ونضالها العنيف للتبشير فينا . ببقطة عقولنا المعطلة بالتخدير
ولا أتصور أن تجوز هذه المقولة على أي إنسان إلا أن يسقط وعيه بفتنة الحداثة وخلاية
الاستهواء وزهو التفرنج . والصمم عما يجري على ألسنة الخلق منهمو من ميزان الحق : (العقل
زينة)

فلئن استنكف المتفرنج من حكمة العوام . لم يؤثر ذلك فيما هو معلوم من الدين بالضرورة من أن
العقل هو الاعتبار في بلوغ الرشيد وتبعات التكليف : لا تكليف على قاصر أو سفيه أحمق أو مخبول
مخلل العقل . وترفع المسؤولية عن القاصر حتى يرشد . وعن السفيه الأحمق والمعنوه حتى يبرأ .
ويتولى أمره وصيه الشرعي بالمقرر من أحكام الوصاية . والمعروف للناس من شروطها وحرمتها .
وعلى ذلك جرت وتجري أحكامنا وأعرافنا . والقوانين الشرعية والوضعية في الشعوب والجماعات

المتدينة . هذا إلى ما هو معلوم لتلاميذ المدرسة الإسلامية
من شرط العقل في عدول الشهود والرواة وحملة العلم . وفي
رفع الوصاية ورد الأهلية والاعتبار إلى المحجور عليه .

والعقل في البيان القرآني هو لب الإنسان وقواده
وقلبه . لم يأت في القرآن بغير هذه الكلمات الثلاث القلب
بدلالته على العقل . ويكثر أن يجيء بدلالته على العواطف
والأشواء . وكذلك الفؤاد والأفئدة .

وتتمحض . الألباب . للعقول . فأولو الألباب هم أولو
العقول . يستقرأ آياتها في القرآن وعددها ست عشرة
آية . مع ملحظ من التوجيه فيها إلى ذوي العقول النيرة
الرشيدة . المرجوين للتدبر والتذكر والتقوى والاعتبار :
(ولكم في القصص حياءاً أو في الألباب لعلمكم تتقون)
(لقد كن في قصصهم عبرة لأولي الألباب)

(كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو
الألباب)

(منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات . فاما
الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة
وإبتغاء تأويله . وما يعلم تأويله إلا الله . والراسخون
في العلم يقولون أماناه كل من عند ربنا . وما يذكر إلا أولو
الألباب)

(هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إليه
واحد وليذكر أولو الألباب) وتظننها .

وفي كل حال . لم تات في أي موضع منها بدلالتها الحسية
العضوية . بل هي جميعاً بدلالتها على معنويات الإنسان
وعقله وعواطفه وأهوائه . يستقرأ آيات القلب . مفرداً
ومثنى وجمعاً في اثنتين وثلاثين ومائة آية . والفؤاد
والأفئدة في ست عشرة آية .

وكذلك الحواس . ليس منظوراً إليها في الإنسان بدلالتها
العضوية مما يشترك فيها عموم جنسه في الحيوان . بل
هي فيه أنوار وعي وبصر وإبراك وتمييز ونطق وبيان .

وما يعرض لها من خلل يعطل وظيفتها العضوية بعامة
خلقية أو علة ومرض . ليس بحيث يمس إنسانية المصاب
بها . وقد نزلت (سورة عيسى) في ابن أم مكتوم الأعمى .
رضي الله عنهما . كما نزلت (سورة يوسف) وفيها الآيات
عن . يعقوب . عليه السلام وبنيه .

(وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من
الحزن فهو كظيم)

والآيات عن يوسف عليه السلام وإخوته .

(اذهبوا بقمي هذا فالتقمه على وجه ليلى يات بصيراً
وانتوني يهلككم أجمعين)

(فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً)
الآيات .

وفي تلخيصنا من أعيان الرجال وأئمة العلماء والفهاء

ويعذبون . ويذكرون . كما يصرفها في سبيل ممتلئ لقوم
يؤمنون ويوقنون . ويتقون ..

ومن آياته تعالى في إقرار أصحاب النار على أنفسهم في
الآخرة .

(وقاتوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير
فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير)

ونذكر علماء القرآن أن العقل منه مطبوع ومنه كسبي
وإن الأول أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : ما
خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل . وإلى التلويح أشار
بقوله : ما كسب أحد شيئا أفضل من عقل يهديه إلى
هدى . أو يردده عن ردى . ابن حزم الاندلسي الظاهري الفقيه الأصولي
الإمام :

من أبطل العقل فقد أبطل التوحيد إذ كتب شامذ
عليه . إذ لو لا العقل لم يعرف الله عز وجل أحد . الا ترى
المجانين والأطفال لا تلتزمهم شريعة لعدم عقولهم ؟

وأنهم إن يكون المتفرجة من متفقينا بمعزل عن كتبنا
الصفراء . يرونها

(أكفان موتى يفسد ريحها من أخضر) فهلا علموا ما
يشهد به للإسلام مؤرخو العلم والأديان والحضارات :
بأنه من على الإنسانية بحسب الخصومة بين المسلمين
والعقل حسما يتابع أن كلفت البشرية أفدح الخسائر
والضحايا .

وأيما ما كل موقف المؤكدين برر العقل إلى شعوبنا
المتدنية وإيقاظها من خدر الأفيون . فليس بحيث يسقط
شهادة الواقع لتاريخي . أو يحجب الألق العلبا التي
تستشرف بها للإنسان الدين في ختام رسالته .
(فاعتبروا يا أولي الأبصار)

والحفاظ . من اشتبهوا بالقلب عامات فيهم فقلما نعرفهم
إلا بها . كالأبج والابرش والاشرم والاحدب والاحنف
والأحول والاشتر والاشج والاشعث والأصم والأعرج
والأعشى والأعلم والأعمش والأعشى والأقرع والأيسر
والمقعد . وأبي الدرداء وأم الدرداء والخنساء . في كثرة
من الأعلام يعرفهم علماء الرجال . وأجاز علماء الاحكام
تلقينهم بها لقصد التعريف . لا للمحظور من التنابز
بالألقاب .

ولا حرج على المريض والأعمى والأعرج فيما لا يطيقون
من التكليف إذا أخلصوا النصيح لله تعالى ورسوله عليه
السلام

إنما ينطفيء جوهر الإنسان بتعطيل الوظيفة الإنسانية
للقلب بالفساد والقسوة والزيغ والنفاق وخبث الشهوة .
والغل والصفينة . والعشى عمى البصيرة . والصمم
صد عن دعاء الحق والهدى وغفلة عن آيات العقلة
والاعتبار . والبكم سكوت على منكر ونكوص عن أمارة
التكليف بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر . والسلك عن الحق شيطان أخرس .

وإذا كل العقل في البين القراني لب الإنسان . اتجه إليه
في تأييد الدين وترسيخ الإيمان . على ما تدبرنا أنفا من
الآيات في أول الألب . شاهدة على أنهم المرجون للتقوى
والتبذر والاعتبار . والله تعالى يضرب الامثال ويصرف
الآيات لقوم يعقلون . ويبصرون ويتفكرون ويفقهون .

حديث

رمضان

بقلم :

د. بنت الشاطئ

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين

والانسان

واقبع

وأفاق

« وَمَا لَهُمْ بِهِمْ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَعْلَمُ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا *
فَأَعْرِضْ عَنْ مَّتَّ تَوَلَّى عَنَّا ذِكْرُنَا
وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَلِكَ
مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَتَّ صَبَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَتَّ أَهْتَدَى * »

صدق الله العظيم

المقابلة الإسلامية والخرافة في صحيفة التمسك

غنى عن البيان ما روجت له الماركسية من أصل مذهبها في اتهام المسيحية الدينية بالخرافة .
وتعبئة دعاتها للتبشير بدعوة ماركس . [إن سعادة الشعب الحقيقية تتطلب إلغاء الدين إلغاء تاما
من نفوس المؤمنين لأنه يخللهم بسعادة وهمية لا ظل لها من الحقيقة .. إذ تكمن أصول الدين في
النظريات المحدودة الجاهلية التي تنشأ في حالة البهيمية ..

وقد مضت عشرات سنين كانت كافية لكشف الزيف عن هذا المذهب المناقض لفطرة الإنسان .
لكن من متفقينا العصريين من تغلبهم أخذة الاستهواء وخلافة التفرغ فلا يزالون يلوكون من فئات
مواد أكل الدهر عليها وشرب ما لا يدرون أنه قد ولي وراح . وأكثر ما يظهرون فينا بالمكرر المعاد من
هذه المبتذلات . حين تواجه الأمة أزمة ضاغطة أو تنزل بها سائلة عمياء .. وتختلف الذرائع
بالضرورة . بين وضع وآخر . بين مرحلة وأخرى ..

في مصر على سبيل المثال لما جرى ويجري في اقطار وطننا الكبير - وكلنا في الهم شريك - حمل رواد البيضة مستهل العصر الحديث - مشاعل النور لمقاومة الغزو الاستعماري - الفكري والعسكري - بعدد سخي من اصول حضارتنا التي طمسها جنود المستعمر وأشياعهم - فتصدت لأولئك الرواد فئة مدربة من تلاميذ الاستشراق الصليبي واليهودي ليخلقوا معلمهم المبشرين الاجانب الذين احبطهم وعلى الامة لعناط وجودها - واخذها بحدس الدفاع عن الذات - موقف الحذر من كلام الاجانب الغريباء في عقيدتها ولغتها وتاريخها . ولم يقصر تلاميذهم في النضدي لرواد البيضة - ولا تخرجوا من التهجيم علانية على ديننا ولغتنا وتراثنا الحضاري - فسجلت الفترة اصوات مثقفين كبار مثل - شبل شميل - واسماعيل مظهر وسلامة موسى واملهم من المتنورين الفرنجة في مدرسة المقتطف ووليدتها العصور - وفي انديتهم الثقافية بالعبو اصم - تهوى كالمعلول في قسوة واصرار على جذور اصلتنا وما ارسى رواد البيضة من معبر واصلالة بيننا وبين ماض لنا عريق ومجيد - طوته المحن في غيبلة النخلت وحجبه الغزو الفكري وشود معلمه وطمس اثره - فلم يتخرج اسماعيل مظهر مثلاً من نشر مقالات له بالمقتطف مهداة الى استاذ وصديقه يعقوب صروف في عالم الارواح . يقول فيها

لقد وطنت اقدام الجيش الفرنسي في ارض مصر وتركها - واهل مصر في فجوة من كهف الزمان - اعيق فجواته - متحركة فيهم شاعرية ولا انفجر فيهم انفصال ولا اهترت لهم مشاعر - لا يعوزنا لاثبات هذه النظرية اي دليل (١)

ولم يكن عجباً ان لم يبلغوا من الامة مسمعا لما بشروا به من تنوير عصري يتهم على ديننا ولغتنا وتاريخنا - ويريد ليخلعنا من جذور اصلتنا لينمينا الى غير اصلنا ادعاء ملصقين - ويبرزى العقلية الدينية السيلسية لرواد اتخذوا من قوة الدين سبيلا لمقاومة النفوذ الاوربي لكنهم خلفوا تلاميذ لهم مرهقين بالغربة في وطنهم وبين اهلهم لا يجدون ما يشفي غربتهم سوى الكفاح لتغريب الامة بنيد قديمها كله الدين واللغة والتراث وازدروا المثقفين من أبناء البلد - ونفثوهم عن العصر - فبادلوهم ازراء بازراء - ونعالتوا عليهم بشموخ الاصلالة وعز الاشتهاء الى بلدهم وشرف الولاء لعقيدتهم

والتقينا وتلتقي في البلد الواحد وفي المجمع الواحد - ونحن فيما بيننا غرباء - فكانت ظاهرة فقدان التعاصر بين مثقفي جيلنا - مما يتقل على الامة في صراع الوجود والمصير - ومع حزمات المرحلة بين يمين ويسار - وشرق وغرب - نغصت ازممتنا ونسافرت انماطنا وازياونا - تقاذفنا التهم

وفي النقع العثار من ضدام الغرباء - ساءت الرؤية واضطربت الموازين واخذنا من نوار صدمة الهزيمة ملاذيت به الظنون في تفسيرها مذاهب شتى متناقضة متناكرة - وقد حملت العقلية الاسلامية النصيب الاو من المسئولية عن الهزيمة - لكن من الباحثين من ذهب الى ان ادعاء فشل القومية العربية في مواجهة تحديات ملبعد الهزيمة اقصى الى ردة عقلية وثقافية - بل تأكيد المفرط على المد الاسلامي في الهجمة الثقافية التي

واشتدت ضربات المعول على - السيد جمال الدين الافغاني - الذي ميزه عن غيره من زعماء المتدينين - في رأي اسماعيل مظهر ورفاقه - انه اراد ان يتخذ من عبوة الدين سبيلا للتأثير السيلسي والدعوة السيلسية القائمة حول فكرة استقلال الشعوب الاسلامية (كذا - نصا) واعداد العدة لمقاومة النفوذ الاوربي في الشرق الاسلامي (كذا - نصا) وقد تعلم السيد جمال الدين متحميا الاساليب العلمية الغتيفة للعرب في العصور الوسطى - فهو بذلك صورة مصغرة او مكبرة لعصر من العصور البائدة في تاريخ الفكر الانساني . ثم يوغل المعول بضم يائه الحادة - في اعماق وجودنا في شخص السيد جمال الدين | وريث العرب بحق في علومهم وفلسفتهم - وقف من الرقي حيث وقفوا عند النظر الغيبي - وكان كل مدبجته بزاعته وتحرك به لسانه من مباحث اسلافه ليخرج من مجموعها فلسفة هي عنوان مبالغ الفكر من تهويز وانحلال في القرون الوسطى - ومعه - مما يشبه ان يكون من قبيل تجلوب الاصداء - ارتفع صوت - سلامة موسى - الذي لم ير في ماضينا قط الا القبح والانحلال والتخلف - ولا وجد في تاريخ الحضارة الاسلامية كله - بذرة تصلح للبقاء - بل انه حين نشر كتابه (هؤلاء علموني) لم يسمح لاي مفكر او معلم عربي ان ياخذ مكانا - ولو في ذيل الموكب الجليل للمعلمي سلامة موسى - تولستوي وماركس وبافلوف وديستوفسكي - وفرويد وادلر وبونج وهافلوك اليس - الى اخر القائمة الاجنبية التي لا موضع فيها لاي عربي او شرقي واحد

يفصلون ظاهرة المد الاسلامي عن النسيج التاريخي للصراع العربي ضد الامبريالية والصهيونية . زعماءهم بان انحسار المد القومي قد أوجد ثغرة استطاع المد الاسلامي التسلل من خلالها ..

وليس بعجيب من مفارقات ما افرزته المرحلة من خليط فكري . ان يكون التاكيد المفرط على المد الاسلامي من أهم القنوات التي تستهدف الهجمة الثقافية على القومية العربية . وان تكون عقليتنا الخرافية التي حملوها وفر الهزيمة . موضع محاكمة لموقف السلفيين من نصر العترة من شهر رمضان المبارك في (دراسات للعقلية العربية) اشرك فيها . ابراهيم بدران . وسلوى خملش . ونشرت في بيروت سنة ١٩٧٩ . وسجل فيها على عقليتنا الخرافية ان تمثلنا يوم النصر أطراف البدرين في يومهم المشهود . السليح عشر من شهر رمضان للسنة الثانية من الهجرة . ولاحت لنا رؤاهم يشاركون جنبنا البوصل الذين دكوا سد العدوان والهزيمة والعار . وبخل هذا الكتاب . في مراجع المدارس لعقليتنا الخرافية . ومنها (دراسة ميدانية للذهنية الشبلية العربية المتفككة) اجراها السيد . نزار ابراهيم بلحث سوري . - ونشرته (مجلة الوحدة) في عدد خاص عن تشبيل العربي والمستقبل - ديسمبر سنة ١٩٨٧ - [على عينة من ملحة شلب مثقف . حاز على شهادة الدراسة التلغية كحد أدنى للتحصيل . من أكثر من جنسية عربية] ومن أهم ما تشتمل به هذه البنية الذهنية أنها ما زالت حتى الآن بعيدة عن التفكير العلماني المتماسك مع الواقع . وبشكل عام نستطيع القول بان شبيبتنا المثقفة تنتمسك بآراء ديني وخرافي وغيبية

بيان ذلك يأتي غدا بمشينة الله . مع عرض هذا الأقوال في عقليتنا الخرافية . على الأصول الموثقة للعقلية الاسلامية النقية . والله المستعان

تستهدف القومية العربية بالذات . في عصر الردة الحالي . وللدكتور . سمير بطرس . استاذ العلوم السياسية بجامعة وين ستيت . بالولايات المتحدة الأمريكية . بحث مبسوط في هذا التوجيه . نشرته (مجلة الوحدة) - التي تصدر شهريا عن المجلس القومي للثقافة العربية

[منذ الستينيات وهذه الهجمة تتصاعد مع تصاعد الهجمتين العسكرية والسياسية . موجهة في المقام الاول إلى الفكر القومي العربي . أكثر - أو حتى : دون - مدرستين من مدارس الثورة العربية الماركسية والسلفية . وهذا لما يدركه المهاجمون من أصالة الفكر القومي . ومن خصائص هذه الهجمة الثقافية على القومية العربية . أنها تتميز بخصيصتين : إحداهما تصدق على كل هجمة موجهة إلى مدنوري . والثانية تخص القومية العربية بالذات . بهجوم مسدد على الفكر الايديولوجي وبالتأكيد المفرط على المد الاسلامي وهو من أهم قنوات الهجمة الثقافية على القومية العربية . التي تميز عصر الردة الحالي . ومفاد هذا التأكيد المفرط على المد الاسلامي . هو الادعاء بان القومية العربية قد أثبتت فئسها في مواجهة تحديات ملبعد نكسة سنة ١٩٦٧ . وإذ ان تحولت الجماهير من القومية إلى الاصولية الاسلامية ملاذا لها من الاحباط ومصدرا للهوية والشرعية .

[وقد اتفقت . مع الاسف . على هذا المنطق الخطائي . الممسوخ . كثير من كتابات عربية وغربية . لوسنيرتها . أجهزة الاعلام في الغرب التي تصدت بأسلوبها المضلل خدمة للمؤسسات الحاكمة التي تعمل لحسابها . وهم

حديث رمضان

بقلم :
د. بنت الشاطئ
استاذة التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

**الدين
والانسان
واقع
وأفاق**

« وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ
جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ
اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا * قُلْ لَوْ كَانَ
فِي الْأَرْضِ رَبٌّ مَّا لَكُم بِمُشْرِكٍ
مُطْمَئِنِّينَ نَتَرْنَا عَلَيْهِمْ مَنْ
السَّمَاءِ مَلَكَ رَسُولًا * »

صدق الله العظيم

المقضية الإسلامية والخرافة « هذا بلاغ للناس »

أمس كل الحديث عن (العقلية الإسلامية والخرافة) في صحيفة اتهام . فمن بشرنا بفظة
من خدر الأفيون نريد البنا عقولنا المعطلة ... وقد اشترت في نهاية الحديث إلى [دراسة اجتماعية
ميدانية للذهنية الشيعية العربية المنقطة] أجراها - نزار إبراهيم : بلحث سورى . ونشرتها له
(مجلة الوحدة التي تصدر شهريا عن المجلس القومي للثقافة العربية) في عدد خاص عن الشيعية
العربية والمستقبل ديسمبر ١٩٨٧ م .

الدراسة أجريت على عينة من مائة شاب مثقف ، يحمل شهادة الدراسة الثانوية كجيد أدنى للتحصيل العلمي ، من أكثر من جنسية عربية .. وزعت عليهم استمارات استبيان للعمق الأيديولوجي والموقف من المعتقدات الوهمية الخرافية - كما جاء في بيان الباحث - وأوضحت أن العقل القدرى الإيماني الغيبي الاستسلامي مازال له حضور كبير في العقل الشبلي لدى مثقفينا العرب (كذا بالجملة) وبشكل عام نستطيع القول بأن شببيتنا المثقفة تتمسك بآرث ديني وخرافي وغيبي ..

[أن السمة العامة للشببية العربية المثقفة حسب التعريف الإجرائي - بالشهادة الثانوية حد أدنى للتحصيل العلمي - هي رجحان كفة الفكر اللاعلمي وغياب المنهجية العلمية في التفكير .. وأن ذهنية كهذه ، يفكرها اللاعقلاني خاضعة لتأثير جملة من القيم الساقطة تاريخيا ، لهاي شببية عاطلة عن الفعل الاجتماعي التقدمي الفعل شببية مشلولة مريضة مطواعة سهلة الانقلاب وما سجله الاستبيان] أن أحد عشر في المائة يؤمنون بالتنجيم والتبصير في محاولة خلق الجو المستقبلي الوهمي السعيد ، يحمل كل ما هو مفقود .. على أن الأمر لم يقف عند هذا الحد - فكما قلت ليس للإيمان الغيبي الخرافي حدود - بل أن ١١٪ من أفراد عينتنا المثقفة يؤمنون بوجود الكائنات اللامرئية ، الجن والعفاريت ، وتلاحظ بوضوح أن النسبة هنا ارتفعت كثيرا ، واعتقد أن مرد ذلك هو أقرار الديانات السملوية بوجود مثل هذه الكائنات تبنيها لها ولذلك تبقى امكانية رفضها أو التشكيك بوجودها مسألة أكثر تعقيدا وتحتاج إلى عقلية هي إلى حد ما قادرة على الانفلات أكثر [من سطوة الثقافة الغيبية]

ومهما يكن من أمر هذه الدراسة ومستواها ، فما ينبغي لنا أن نخضع من دلالتها على موقف رفض للدين ومسئوليته عن [العقلية الخرافية الاستسلامية الغيبية] تتجلبوب بها الأصداء في اندية

ومجلات وجمعيات ثقافية عصرية ذات عدد ، فلنصف هذه الدراسة إلى ما لأراء عجبا من مفرزات المرحلة من فكر ديني متهازل متناظر ، أن تتجلبوب المرحلة بهذه الأصداء ، وأمثاله مضاعفة ، مع (تفسير عصري للقرآن) صدرت طبعته الأولى من القاهرة سنة ١٩٧٠ م ، ودقت له طبول الدعاية وأجراس الإعلان حتى اشتهر وذاع وملا الاسماع ، وهو يلف بالقراء ويدور حول المقرر من حظر الخوض في الغيب ، ليحجر في محظور الغيبيات ملء عنانه ، معلنا أن من أعجز القرآن [أنه يدلك على علوم لم تعلم بعد ، وينبئك عن غيب مطلسم لم يكشف الا لقله من المخصوصين من أهل التصوف]

وقد وضع نفسه في هذه القلة المكشوف لها عن غيب مطلسم ، واحتج على [من زعم أنه لم ير الملائكة ولا الجن ولا الشياطين : فلماذا يلزم بها البشرية وفي هذه البشرية من رأى الجن والملائكة والشياطين وعلم الغيب شهودا ؟ هل الأعمى هو الذي يلزم المبصر ؟ أم أن حجة المبصر الواحد تقوم فتلزم ملايين العميان الذين لا يرون الشمس إذا رآها مبصر واحد ؟]

وإذا قرر أن رؤية الغيب شهودا ، هي من مؤهلات المبصر (للسفيرة الالهية وخول منتدى الانبياء ، يعلن من فهمه العصري للقرآن : [أن جبريل يمكن أن ينزل إلى الأرض في أية صورة ويحمل الوحي إلى أي نبي في أي عصر بأي لغة]

ثم يمن على قارئ تفسيره العصري بإرشاده إلى الوسيلة العصرية إلى كشف محجوب الغيب ، فيقول ما نصه :

[ووعد الانجيل : (اطلبوا تجدوا ، دقوا الباب يفتح لكم) على أن يكون يق الباب بجماع القلب والهمة وانقطاع الببل وخلوص النية ، وليس مجرد شفقة لسان بدعاء تقليدي ، وحينئذ يتفضل عليك الله كما يتفضل على أخيه وأوليائه فيفتح بصيرتك لتري الملائكة شهودا وتري الغيب حضورا وتسمع ما لا تسمع]

وتعاطي الناس ، خاصة وعامة ، هذه الجرعات ، ومثل أمثاله في طبقات متوالية من فهم عصري للقرآن

وفي برامج (العلم والإيمان) مذاعة من القاهرة ذات الماذن الألف ، وفيها مقرئون يتلون في الناس من آيات القرآن فيمن جحدوا بشرية الرسل :

(وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا . قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي)

وقرأت وسمعت أخيرا عن السوق ذوى عدد في المجتمعات الإسلامية ، خواضرها ومسدتها ، يحضرون الجن من عالمها السفلي لقضاء الحاجات البعيدة المنال ، وعن (كوبيات) يعقن حفلات الزار لنساء من الطبقة الراقية ومن قيعن المن ، لاحضار (الاسيد) السنين يحلون في أجسادهن ، ومفاوضتهم على الخروج منها ، فما أدري : هل يكون محضرو الجن وكوبيات الزار ، أعضاء في [منتدى أحياء الله وأوليائه ؟]

وسلم ، قال (ان الله تجاوز عن امتي ما حدثت به نفسها
ما لم تعمل أو تتكلم به
وحديثه ، رضى الله عنه ، في (كتاب الايمان من صحيح
مسلم) قال جاء أنس من أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم فسأوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن
يتكلم به . قال : وقد وجدتموه . قالوا : نعم . قال :
ذلك صريح الايمان . . .
فإذا تجسد الشيطان ، قاله : أن يكون فيما تدبرنا من
آيات القرآن فيه - من شياطين الانس ، قبيل الشيطان -
وأولئك وأصحابه ، وحزبه ممن قل فيهم عز وجل :
(وإذا لقوا الذين آمنوا أقبلوا منا وإذا خلوا إلى شياطينهم
قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون . الله يستهزئ بهم
ويمدهم في طغيانهم يعمهون) وقال جل جلاله :
(استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب
الشيطان . إلا أن حزب الشيطان هم الخاسرون) . . .
وصريح نص القرآن الكريم في آيات الملائكة ، أنهم
سابقون على خلق آدم ، الأنس الأول ، فليستنا ندري
كنهم ، وهم رسل ربهم (لا يعصون الله ما أمرهم
وفعلوا ما يأمرون) يسبحون بحمده ويسجدون له وهم
لا يستكبرون . وآيات الجدل في بشرية الرسل ، صريحة في
أن الملائكة لا ينزلون إلى الأرض ليراهم المبحضون :
(وقلوا لو أنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر
لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) . . .

• • •
وأنواع لشيوخنا الأئمة ، علماء سلفنا الصالح
فيما أحفظ من قول الامام الشافعي رضى الله عنه ، من
القرن الثاني للهجرة :
(من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته) لأنه إما كاذب فهو
متهم في خلقه مجرح بكنبه ، وإما صادق في زعمه فهو متهم في
عقله . فهل بلغت اللهم لشهد

مبلغ غلبي أن لفظ الجن يأتي في البيان القرآني مقابلا
للانس . يطرد ذلك في كل آيات الانس وعددها ثمانى عشرة
آية . وملحظ الانسية فيها بما تعنى من نقبض التوحش .
هو المفهوم صراحة من مقابلتها بالجن في دلالتها أصلا على
الخفاء ، إشارة إلى اجتناب أخرى خفية مجهولة لا تنتمي
إلى عالم الانس ولا تحكمها نوااميس حياته . وليس من
الضرورى أن يقتصر مفهوم الجن على مالوف إطلاقه على
الاشباح التي لا تظهر إلا في تهويل الظلمة وتصورات
الوهم . بل يتسع لفظ الجن بدلالته الأصلية على الخفاء
ومقابلته بالانس . لاى جنس غير بشرى يعيش في عوالم
غير منظورة لنا ولا مدركة . ولا يخضع للسنن والنواميس
التي تحكم حياتنا نحن الانس . وبهذا الفهم تنتفى شبهة
الخرافة عن تصديقنا بالجن . سمعنا . إذا قدرنا أن
الكشوف العلمية الحديثة لا تنفى احتمال وجود كائنات
غيرنا تعيش في عوالمها المجهولة .
ونصدق بالشياطين في الغيبات السمعية . لا نعلم
عنها إلا ما جاء في القرآن الكريم وصحيح الحديث .
وصريح النص في القرآن ، خطيبا لبني آدم :
(أنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) وإنما يؤثر في
الإنسان : بالوسوسة ، والمس ، والنزع ، والفتنة . . .
والاستهواء ، وتزيين الضلال . . . وأقرب ما نفهمه من
استقراء هذه الآيات وتدبر سياقها ، أنه النفس الأمارة
بالسوء ، ويؤنس إلى هذا الفهم ، حديث أبي هريرة رضى
الله عنه ، في (الصحيحين) عن النبي صلى الله عليه

حديث

رمضان

بقلم :

د. بنت الشاطئ

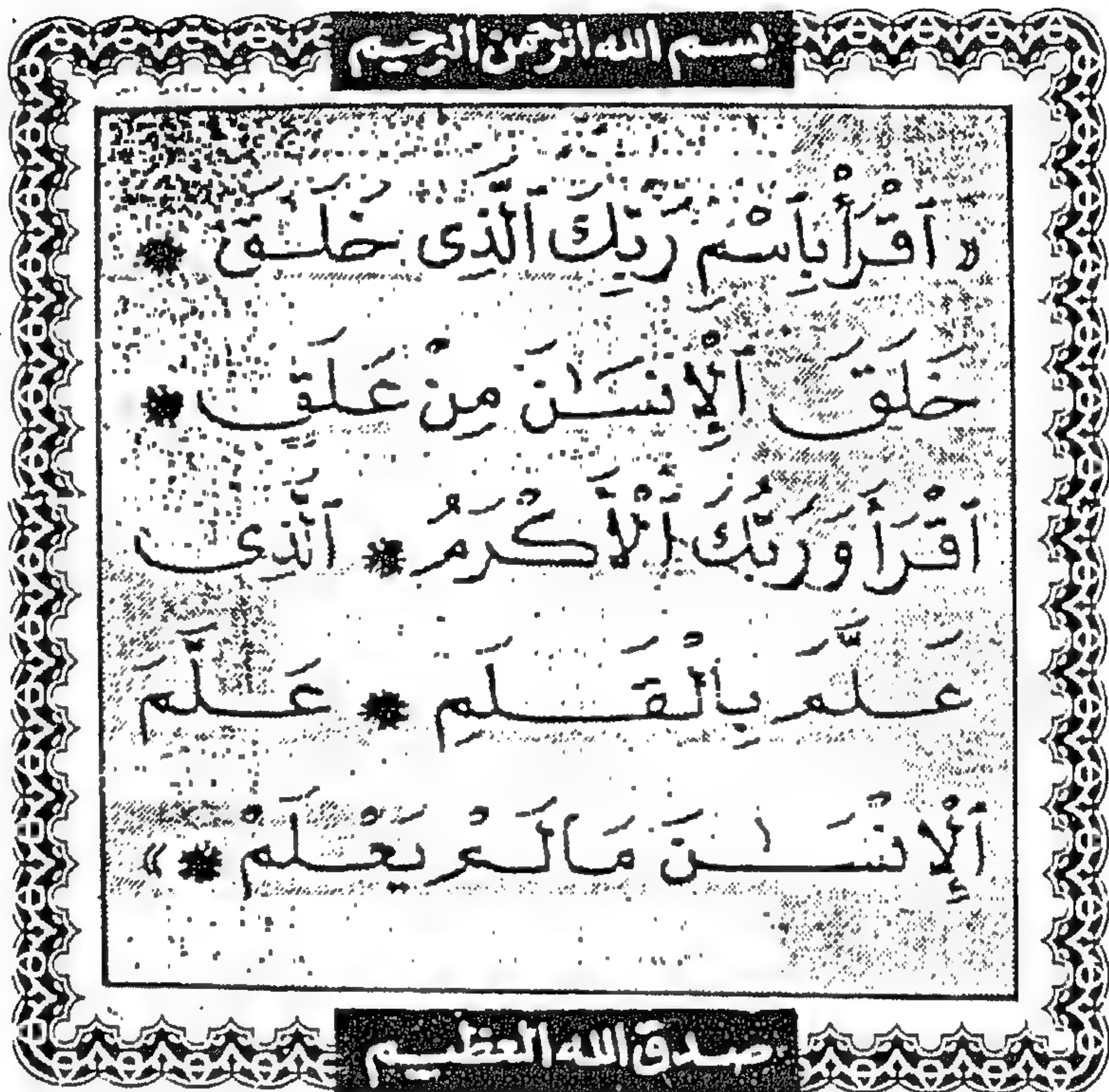
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين

والانسان

واقبوع

وآفاق



مع الحبيب المصطفى في ليلة القدر

في ليلة القدر المباركة ، إحدى ليالي الوتر الفريية من ليالي الاعتكاف ، العشر الاواخر من شهرنا
المعظم ، موعدنا مع الحبيب المصطفى في خلوته بغار حراء ، أحد جبال مكة الشامخة
قلوبنا على تباعد الديار ومن مختلف الاجناس والاعراق والالوان ، نشرب اليه ، تلتبس من نور
الحجر الصالح ما يضيء غواشي الظلمات .
واسماعنا مشدودة اليه عبر الابعاد المترامية ، تنصت الى ليالت الوحي الاولى فجر الليلة المباركة :
متجددة ابدا في كل دورة سنوية للقمر ، مهيمنة على واقع التاريخ ، ومستشرفة بالانسان الى الافق
الاعلى لكامل انسانيته اقرب ما يكون من الخلق عز وجل .

(٢)

قبل الفجر ، غشى الكون ليل ثقيل ولف أم القرى صمت مكثف لا يكاد يسمع فيه سوى أنفاس الليل مختلطة بهمهمة صلوات وثنية كانت لا تزال تتردد في حرم البيت العتيق . وقمر رمضان قد تسوارى واحتجب ، فليس على الأفق المعتم سوى ضوء شاحب تكاد تحجبه عن مكة جبالها الصخرية التي تبدو كأنها كتل من ظلمات متكاثفة متراكمة . وفلمت الدنيا لا تلقى بالآلى رجل من بني هاشم . ابن امرأة من قريش تاكل القديد . قد أوى الى غار في جبل هناك يلتصق في العتمة الداجية شعاعاً من نور الحق وينشد في خلوته أنس الهدى وراحة اليقين . وخواطره تحوم حول البيت العتيق الذي رفع ابراهيم القواعد منه واسماعيل . وطهره للطائفين والعاكفين والركع السجود . فلم يلبث أن صار مع تراخي الزمن مثوى لأوثان شائعة شتى لكل قبيلة من العرب صنمها تحج اليه وتطيف به وترفع اليه التلبية وتقدم القرابين .

وغير بعيد من غار حراء . هجعت مكة تجتر ذكريات مجدها الديني طوته وثنية عمياء . وتساورها من حين الى حين رجفة من قلق الوعي لا تلبث أن تهبط تحت وطأة الكلبوس الجاثم على المجتمع المكي . لا يحسب حساباً لهذا المختل في غار حراء . وقد ألقت مكة أن تراه ينسحب من رحلم شذا المجتمع . عزافاً عن تلك الأوثان التي يعبدونها قومه لأنهم وجدوا آباءهم لها عابدين .

وأوغل الليل قبل أن يطلع فجر هذه الليلة من شهر رمضان وينشر نوره البهي على القمم والسفوح والأودية والقيعان ، فيضيء الظلمة الداجية .

ومع نور الفجر الصادق من الليلة المباركة تجلج الوحي على المختل في الغار . والقي اليه الكلمة (اقرأ) وما كان محمد يقرئ . وما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه .

وتلقاها ثانية (اقرأ) وما يدري ماذا يقرأ

(اقرأ) باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم .) وبدأ تاريخ جديد .

الرجل الذي سرى في الليل الى غار حراء على مألوف عادته منذ أنكر موضع الاصنام في البيت العتيق وأيقن أن حياة الناس لا يمكن أن تحضى هكذا على سفة وضلال . خرج مع الفجر من الغار . نبيا مبعوثاً يختار رسالات الدين والكلمات الاولى التي تلقاها في تلك الليلة من وحي ربه كانت مستهل كتاب معجز . وآية نبي بشر . ولواء عقيدة وجهت التاريخ وحررت الانسان وصنعت أمة وقادت حضرة .

خرج المصطفى . صلوات الله عليه وسلامه . من الغار واتجهت به خطاه نحو بيته . والكون من حوله ساج خاشع . وعلى الأفق الأعلى نور الفجر الصادق ينسخ ظلمات ليل طال . ويوشح البيت العتيق بسني وضاء يكشف عما تكس في رحله من اصنام وأوثان . فتبدو على حقيقتها العربة شائعة يلها . وكان لها من ظلام الليل ستر كئيف أصم . يخدع البصر ويزيغ الرؤية .

التي لم يلقه قلبه وبصيرته . والكلمات ملء وجدانه ومسمعه .

ولكنه في حيرة من أمره . يعييه أن يستوعب السر الأعظم الذي تجلج له . وياخذه من جلاله ما لا يدري معه . ما اذا كان في وعي يقظته أم تلك رؤيا بصيرة ملهمة . أرهفها طول التأمل في أبلى القدرة . وطول التطلع الى اجلاء سر هذا الكون وخالفه .

وأحس وطأة العبء الثقيل حتى بلغ بيته مكثوداً مرتعداً شلحياً . كأنه غلند من سقر شاق طويل . ووجد في انتظاره . خديجة . التي كانت له على مدى خمس عشرة سنة زوجاً وأماً . وملاذاً وسكناً .

وبدون تردد . أقضى اليها بما رأى وما سمع وهو يرنو الى

ملاحها اذ تصفى اليه بسمعها وقلبها . مخلولاً ان يتبين وقع هذا الامر على أقرب اهله اليه وأعزهم عليه . وأصغاهم له ودا وأرشداهم نصحاء ورأيا .

وقلعتها على الفور . بيقين وثقة : (الله يرعانا يا أبا القاسم . أبشر يا ابن عم وأثبت . هو الذي نفس خديجة بيده اني لأرجو أن تكون نبي هذه الآية . والله لا يخزيك الله أبداً . انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوايب الحق) .

نفذ صوتها الواثق الى قلبه . فاحس راحة الامن والطمانينة وهي تمضي به في رفق وحزن الى مضجعة . فتدثره وتبقى الى جانبه حانية عليه حتى ينام .

نبي هذه الأمة ؟ !

ما الذي ألقى الى بل السيدة خديجة بنيت خويلد الاسدية القرشية . بتلك الكلمة الكبرى حين كانت الوثنية غالبة . والعرب قبائل شتى . وعالم الجاهلية دولا متناحرة وأما متناكرة ؟

ينقض . وقد كان لمكة من واقعها ورواها وذكرياتها ما تضيفه الى تلك الارهاصات الواقعة من شمال وجنوب وشرق . واذا كانت مكة قد استرجعت بفداء . عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي . ذكرى الفداء الاول لاسماعيل جد العرب العدنانية . فما كانت بحيث يفوتها غداة ليلة القدر أن تربط ما بين محمد بن عبد الله . واسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام . وقد صلت ذكرى الفداءين . وضنت بها على النسيان .

وتربطها . كذلك . في وعي السيدة خديجة . بما انست من شوائب زوجها المصطفى الامين وما عهدت من قبله الى التامل والخلوة في غار حراء وضيقة بموضع الاصنام في الحرم المكي . وحيرته في امر قومه . كيف ضلت عنهم احلامهم فنسوا انهم الذين صنعوها بايديهم ثم جعلوها اربابا معبودة مع الخالق جل جلاله وسيلة اليه تعالى ورزقي .

في هذا كله كانت السيدة خديجة تفكر وهي تخرج صبح ليلة القدر . ساعية الى ابن عمها . ورقة بن نوفل . ترجو أن يكون لديه من علمه بالكتب والادب . ما تطمئن الى حقيقة الفكرة الملهمة التي سيطرت على وعيها المرهف وبصيرتها الثاقبة : أن يكون زوجها الحبيب المصطفى نبي هذه الامة .

وقالها . ورقة بن نوفل . دون تردد . وقد كان من قبل لا ينفك يتمثل في مخيل . محمد بن عبد الله . وسيرته وشمايله . دلائل النبي المنتظر . قدوس قدوس . والذي نفس ورقة بيده لقد جاءه الناموس الاكبر الذي كان ياتي موسى وعيسى وانه لنبي هذه الامة فقول له فليثبت .

وعادت الى المصطفى الحبيب بالبشرى . وليس في الدنيا بمنذ سواها . مؤمن بمبعثه صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر

(سلام هي حتى مطلع الفجر) صدق الله العظيم

أهي من تعبير التاريخ الاسلامي عن ادراك . أم المؤمنين الاولى . رضى الله عنها . لجلال الامر . واستبصارها لما بعده ؟

أم كانت الكلمة الكبرى تعبيرا عن مسطوح مرجو . في ظروف تؤنس اليه . وواقع مشهود تراعت ابعاده المترامية لام المؤمنين الاولى ؟

أيا ما كان الامر . فالكلمة لا تبدو غريبة على الموقف . فما كانت السيدة خديجة وهي من صميم قریش جبيرة الحرم . بحيث يفوتها شيء مما راج في المنطقة قبيل المبعث من تطلعات الى تحول خطير . رنا اليه حكماء العرب وحفاؤهم وشعراؤهم . ومن ارهاصات عن نبي حان مبعثه . تنقلها الرواة والاختاريون عن رهبان النصراني في نجران والشام والحيرة . وأخبار يهود في يثرب وما حو اليها . شمالي الحجاز .

ومكة على الخصوص كانت المركز الذي تتلاقى فيه تلك التطلعات والارهاصات . وتتجمع روافدها من هناك وهناك نحو البيت العتيق فتخوم حول حي بنى هاشم بن عبد مناف . وترنو الى . محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم .

ولان جادل من يستريب من أبناء هذا الزمان في تلك المرويات ويحملها على منحوالات الرواة واضافات السملز . غير أن الواقع التاريخي يؤكد أنها . على أي وجه رضينا لها وحملناها عليه تكشف عن تطلع الحياة قبيل الاسلام الى تحول جديد وجاسم .

وتاريخ الادب يعني تماما ما سبق ظهور الاسلام من بوادر تصدع اذن بوشك عصر جديد لعالم يريد أن

حديث

رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا
وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ
كَانَ ضَلُوبًا جَهُولًا » يَعَذِّبُ اللَّهُ
الْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِلَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ
وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا »

صلى الله عليه وسلم

الفجر الصادق ورشد الانسان

أدرت منذ وعيت ، أن الدين في ختام رسالاته ، رسالة إلى الانسان . ثم كان من عطاء التدبير لسورة
الوحي الأولى ، مع طلاب الدراسات العليا بجامعة القرويين ، أن هذه السورة أقرب إلى أن تكون
مدخلا لهذه الرسالة إلى الانسان ، في سيرته من المبدأ إلى المنتهى : خلقه الله تعالى من علق كسائر
البهيم والدواب والحشرات ، وأكرمه عز وجل بخاصية التدين الحرو أهليته لكسب العلم التي
استحق بها الخلافة في الأرض . وهو معرض للغرور بما يحقق من وجوده وما يشعر به من مكانته في
الكلينات . فيطغى بوهم الاستغناء عن خلقه ، وينسى في زهو غروره أن إلى ربه الرجعى :
(كلا إن الانسان ليطغى . أن رآه استغنى . إن إلى ربك الرجعى)

بقلم :

د . بنت الشاطيء

استاذة التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين

والانسان

واقف

واقف

(٢)

وهذا الإنسان المخلوق من علق ومن نطفة كعامة جنسه في الحيوان ، أكثر شئ جدلا ، حتى إنه في رشده ليجادل خالقه كيف يحييه بعد الموت ، قال تعالى :
(أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم)
و أنا أتبع التدبر لهذا القرآن في جلوة التأمل وصفاء الذهن ليحيا الاعتكاف ، العشر الاواخر من رمضان ، فيهدى إلى جديد من عطائه : لقد كان مبعث المصطفى صلى الله عليه وسلم بختام رسالات الدين ، إيذانا برشد الإنسان ، بعد أن جاءت رسلة تعالى تنزى من الجيل الأول للبشرية الادمية ، تفودها على مدارج خطاها ومراقى نموها ، وأيد الله تعالى رسله بما يلائم مستوى كل مرحلة ، وما يحجر عقليتها من رواسب الشوائب الدخيلة على الدين ، على فترات من الرسل ، حتى شارفت مرحلة الرشد ، فكانت أهلا لأن تؤمن برسول معجزته (كتاب) وآياته الأولى آيات الإنسان والقراءة والقلم والعلم ، ختمت به رسالات الدين .
(هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا . إنا خلقناه من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا . إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا)
ذلك ما اطمأنت إليه وعكفت على خدمته درسا وتديسا للتفسير . وأراني اليوم أقبس من نور الفجر الصديق مغزى رشد الإنسان بما يعنى الرشد من احتمال تبعاته والاهلية لتكاليفه ، على نحو المألوف من رفع الوصاية ببلوغ الرشد والاهلية للاستقلال والخربة وتحمل تبعاتها الثقيل ، وليس كالمفهوم الشائع للحرية من الإفلات من كل قيد .

(ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غلورا رحيمًا)
والإيذان برشد الإنسان بختام رسالات الدين اقتضى أن يكون الإسلام مصداقاً لسائر الرسالات قبله ، أصلاً من أصول العقيدة ، وبهذا التصديق يكون القرآن بما استصطفى من جوهر الدين كله نقيضاً من الشوائب الدخيلة التي طرأت عليه ، على فترات من الرسل ، يستغنى به الإنسان عن جديد من رسالات الدين .
(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله) الآية .
والإزام الحجة بالدين إنما يكون بتبليغه بالحكمة والموعظة الحسنة والصبر على الجدل فيه التماساً للاقتناع وطمأنينة القلب ، فلا حجة على الإنسان إلا بعد التبليغ ، بصريح الآيات البينات :
(ولعلوا لولا ياتينا بآية من ربه ، أو لم تأتكم بينة من ربنا الصحف الأولى ولو أنا أهلكناهم بعد آيات من قبلة لعلقوا آربنا لولا أرسلنا إليهم رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نضل ونخزي)
(ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قل رب لم حشرتني أعمى وقد كنت

اليوم أتجه إلى رشد الإنسان بما يعنى من أهليته لحمل أمانة إنسانيته وتكاليف رشده ، مسئولاً عن عقيدته وسلوكه وأقواله وأفعاله محاسباً عليها .
وحمل الأمانة من أخص ما يميز دلالة الإنسانية في البيان القرآني . وهي أمانة صعبة تصدى الإنسان لحملها ، دون سائر الكائنات المسيرة بمقتضى سنن ثابتة على وجه التسخير أو الامتثال ، فليست كالإنسان المسئول عن عمله المحاسب عليه ثواباً وعقاباً ، لا يحمل أحد عنه في رشده ، تبعه كسبه ومسعاه ، ويتعرض للابتلاء بتكاليف الرشد ومسئولية الأمانة وتبعاتها الثقيل التي أشغلت منها السموات والأرض والجبال فإبين أن يحملها ، وحملها الإنسان بغرور جهله بمسئوليته الصعبة :
وليست الجمادية في السموات والأرض والجبال هي مناط الاعتبار بها في آية الأمانة ، بل الاعتبار به فيها ضخامة أجزائها وطاقتها على الحمل والاحتمال ، فالسموات الرحبة المرفوعة بغير عمد نراها ، والأرض التي تحمل صلب الصخور وشاهق الجبال والمباني وما يبين المخلوقات ، والجبال التي تأخذ الأيصار بشموخها وصلابتها ورسوها ورسوخها ، هذه جميعها أشغلت من الأمانة وأبت حملها ، وحملها هذا الإنسان بجرمه الضئيل وطاقته المحدودة بالقيلس إلى السموات والأرض والجبال التي أعفاها التسخير من المسئولية والحساب فليست بحيث توصف بجهل وظلم أو تمتحن بنفلق وشرك ، أو تتعرض كالإنسان لجزاء من عقاب أو نواب .

(٣)

بصيرا . قال كذلك انتك ايتنا فمستيتها وكذلك اليوم
نفسى) ونظنرها كثير

وغير متصور ان يحمل تبعات الرشده من لم تتحقق له
أهليته بهدى الفطرة الانسانية . واكتمال أدوات التعقل
والسمع والبصر والنطق والبيان واللمس . منظورا فيها
جميعا إلى الانسان بوظيفتها الانسانية . قال تعالى
(ألم نجعل له عيينين ولسانا وشفتين . وهديناه
النجدتين)

ونظنرها كثير لا يتسع المجال لاستقراءه وتقصيه
فإذا تعطلت وظيفتها الانسانية جهلا وغفلة . أو
بالقسر والاكراه . أو التضليل والتخدير والاستهواء .
ضاع رشد الانسان ومسخت بشريته إلى ملأون الانعام
والبهيم والدواب . المسيرة بالغريرة والتسخير . فذلك
قوله تعالى .

(إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون)
(لهم قلوب لا يفقهون بها ولم أعين لا يبصرون بها ولهم
أذان لا يسمعون بها . أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم
الغافلون)

ويرقى الدين بالوظيفة الانسانية للقلب والحواس . إلى
حيث تحمل مسئوليتها فيما يكسب الانسان من طريقها وفي
(الصحيحين) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه . عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في (زنا الجوارح) قال
: فزنا العين بالنظر . وزنا اللسان بالنطق وزنا القلب

بالتعنى والشهوة . ثم يصدق الفعل هذا الزنا من
الجوارح وقال تعالى .

(ولا تقف ما ليس لك به علم . إن السمع والبصر والفؤاد
كل أولئك كن عنه مستولا)

ومن تحقيق القلب والحواس وظيفتها الانسانية . أن
تحمل يوم الحساب مسئولية الشهادة عما اقتراف صاحبها
من اثم . قال تعالى .

(يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا
يعملون)

وقال في حشر أعداء الله إلى النار :
(حتى إذا جاعوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم
وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا الجلودهم لم تشهدتم
علينا قلوا أنطقنا الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة
وإليه ترجعون . وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم
سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله
لا يعلم كثيرا مما تعملون)

واستحي لغصرتنا : ارتداد الفضاء وصعد إلى الاجرام
السموية العليا وجلب مسلح الافلاك . ولا يزال فينا من
ينكص عن تبعات رشده ويسوغ في منطقهم ما ساغ في منطق
الوثنية الجاهلة وعبيدة المال من اليهود الذين قل فيهم عز
وجل .

(وقالوا لو شاء الله ما عبيناهم . ما لهم بذلك من علم إن هم
إلا يخرصون)

(وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قالوا أنطقم من
لويشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين) .
صلق الله العظيم

حديث

رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا
وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ
أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ
وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ
وَكَبِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

صدق الله العظيم

بسم
هـ . بنت الشاطئ
استاذة التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين

والانسان

واقف

وأفاق

رشد الإنسان ، والتصديق بالغيب

شهرنا المعظم على وشك وداع ، وقضايا الدين والانسان تتراحم فما أدري ماذا اخذ منها لما بقي
من الجمعة البتيمة ومذا أدع ، غير أنني حريصة على النظر في اتهام العقلية الإسلامية بالغيبية
المعطلة - على ما مضى في صحيفة اتهامها بالخرافة - وذلك لا يكون إلا عن جهل أو ضلالة وافتراء
تختلط فيها المفاهيم وتلتبس الدلالات فلا تفرق بين التصديق بالغيب والفكر الغيبي ، ويتشابه الامر
على النفس فيما يروج لهم من بضاعة من يخوضون في غيب الدنيا والآخرة بغير علم ويخرجون عن
النفس من [منتدى أحباب الله وأوليائه الذين تفضل عليهم برؤية الغيب شهودا] ..
وبين من يبشرون فينا [ببقعة من غيبوبة التخدير لعقليتنا الغيبية المعطلة] ..

.....
الغيب في لسان عربي يتنا يطلع على تقيض الحضور . ومنه في القرآن الكريم آية يوسف وامرأة العزيز : (ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب) .. وآية النساء (فالصالحات قانتات حافظات للغيب) وآية النمل في سليمان عليه السلام .. (وتلقط الطير فقل مالي لا اري الهدى ام كلن من الغائبين) . على ان اكثر ما يطلق الغيب في المصطلح على ما يغيب عن عام الانس من لا يقع تحت الحواس ولا يدركه العقل ..

والايمان بالغيب من اصول العقيدة الاسلامية . مراد به ما استأثر الله تعالى بعلمه لم يطلع عليه احدا من خلقه ولو كان من الملائكة (قلوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا) او وصوله الرسل عليهم السلام . وذلك ما حرص القرآن الكريم على ترسيخه في تقرير بشرية الرسل . تقديره لصعوبة التصديق بنبوة بشر رسول مع ما تحمله البشرية من رواسب ميراث الوثنية والشرك وتعدد الالهة . وعادة الرسل والابطال . البديل التاريخي لعصر تعدد الالهة . قل تعالى ردا على من جادلوا في بشرية الرسل . خطبا لخاتمهم :

(قل لا اتول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اتقول لكم اني ملك ان اتبع الا ميوحي .. الى)
(قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا مشاء الله . ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء . ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون)
(ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين)
(وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو) ونظائرها كثيرة ..
وهذا الذي استأثر الله بعلمه يحرم باجماع الخوض فيه وقد قل تعالى خطبا لخاتم رسله عليهم السلام :

(يسألونك عن الساعة اين مرسلا قل انما علمها عندي ربي لا يجليها لوقتها الا هو . ثقلت في السموات والارض لا تنبئكم الا بفتة . يسألونك كانه حفي عنها قل انما علمها عند الله)
(ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا)

واما ما أوحى الله إلى رسله من الغيب فصريح النص ان ذلك لا يكون الا للصفوة الرسل عليهم السلام مع امرهم بتبليغه . قل تعالى :

(قل ان ادري اقرب ملتو عدون ام يجعل له ربي أمدا . عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا . الا من ارتضى من رسول)
الآيت . وفيها : (ليعلم ان قد ابلفوا رسالات ربهم) ..

وذلك مما يجب الايمان به سماعا من حيث لا سبيل لنا إلى إصراكه . وقد صبح النص بما ينبغي أن نعلمه . وبما لا يجوز الخوض فيه رجما بالغيب .

وحظر الخوض في الغيب من آيات رشد الانسان . فلا يتصور ان يتكلم عقل فيما لا علم له به . وقد عُد الاصوليون هذا الحظر من مقدمات البراهين الجامعة الموصلة إلى الحق : فالصبي الصغير تساله عما لم يسمع فيقول : لم اسمع . وتساله عما لا يدرك فيقول لا أدركه . وتساله عما لا يعلمه فيقول : لا أعلمه . قل . اين حرم القرطبي الظاهري الفقيه الاصولي العلم .

قل تعالى : (افلا يتدبرون القرآن ام على قلوبهم اعفاه) ؟ فهذه أوائل العقل التي لا يختلف فيها ذو عقل ولا يطلب دليلا عليها الا مجنون أو جاهل ومن الطفل أهدي منه . وهذا أمر يستوي في الإقرار به كبر جميع بني آدم وصغارهم . الا من غلط حسه وكبر عقله فيلحق بالمجانين)

وانما يؤمن بما أوحى الله تعالى إلى رسله فيلغوه . ويكثر في القرآن الكريم نفي علمهم بها قبل الوحي كما في الآيت البينات . خطبا للمصطفى عليه السلام :

(ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون)
سورة آل عمران .

(تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين) سورة هود .

(ذلك من انباء الغيب نوحيه اليه وما كنت لديهم إذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون) سورة يوسف
(وما كنت بجانب الطور إذ نغيثا ولكن رحمة من ربك لتنتذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون) القصص

(قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق . إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك . إنك أنت علام الغيوب)

وقال تعالى لخاتم النبيين عليهم السلام :
(قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدرى ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين)

من هذه الآيات البينات . أخذت المدرسة الإسلامية أصول منهجها في حظر الرجم بالسيف . وذلك لميرفضه العلم .

ويأتي تفسير عصرى يخيلنا في هذا الزمان بعجائب وغرائب من علمه بالغيب . من قبيل ما صدر له من دار الافتاء المصرية في (مجلة صباح الخير القاهرية ، بتاريخ تسع أبريل سنة ١٩٧٠) من فتوى بأن [كرسى الله هو قلب المؤمن ، والعقل هو العرش ، والجسد هو اللوح المحفوظ الذى يكتب الله عليه . على الجينات الوراثية في خلية الجنين . يكتب قدر المولود وحيلته]

وفي فهمه العصرى للقرآن . أفتى الناس بأن [نفوس القيامة بلختصار . هو تجلى الله بذاته]

والملائكة حملة العرش الثمانية يوم القيامة في آية الحاقة . تفسرها العصرى :

[لعلها قوى كهرو مغناطيسية مثله . ألا تمسك قوائم الجاذبية بالشمس والنجوم في فضاء الكون]

ذلك ومثله . مما لا يضح في عقل ولا دين . فهل هو مما يضح في علوم الرياضيات والطبيعية والتشريح ؟

(هذا بلاغ للناس ولينذروا به)
صدق الله العظيم

(وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذا لارتب المبطلون) ونظائرهما كثير
* * *

وآية رشد الانسان . في ديننا وفي أصول المنهج الاسلامي . الا يخوض في غيب بغير علم . وإنه لمحظور . كذلك في العلم لأنه رجم بالظن فيما لا علم له به (وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً)

ولا يتشبه الامر علينا . فيما هو من المجهول الذى يكدر الانسان لاكتشافه وكسب العلم به فإذا اكتشفه ارتفع عنه الحظر الدينى والعلمى . إذ لم يعد الكلام فيه رجماً بالغيب .

وبين ما هو من الغيبات السمعية التى استأثر الله تعالى بعلمها تؤمن بها سمعاً مما نزل من الوحي وصح به النص عن النبي صلى الله عليه وسلم . ولا يحل عقلاً الخوض فيها . وليست مجالاً لنظر ولا مظنة كسب واجتهاد .

ونتلو من آيات الله البينات في نوح عليه السلام :
(فلا تسألن ما ليس لك به علم إنى أعظكم أن تكون من الجاهلین . قل رب انى أعوذ بك أن أسالك ما ليس لي به علم ولا تغفري وترحمنى أكن من الخاسرين)
وسئل المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام فيما زعم الناس من ألوهيتهما من دون الله :

حديث رمضان

« وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ
رَبَّهُمْ بِانْحَادٍ وَإِلَعِشِي بِمُرِيدَتِ
وَجْهِهِمْ وَلَا تَلْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ
زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْغِ مَنْ
أَغْفَلْنَا قُلُوبَهُمْ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ
هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا »

بسم
هـ . بنت الشاطئ

استاذة التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين

والانسان

واقف

وأفاق وقفة وداع للجمعة اليتيمة

لم يبق لنا من مؤسستنا الطيب سوى وللة وداع ..
تشجيتا وتحزننا ، وكان لم نحسب حسبا لحلم هراق
ويحسب علينا ان تنقضي الجمعة اليتيمة ، التي لا تكرر ابدا ، لم تنقض حتى
الشهر عذبا ، ولا تزودنا من جمعة اليتيمة بما يؤنس وحشة الوداع ..
مضت سراعا ونحن في لحظة الانس بها ، لا يهون علينا ان تشوبها هواجس هراق ..
تحول ان تزودها عن باننا كيلا تفكر علينا صلو ما يلي لنا من ايلم اللقاء ..
والا فلي ترجع لتلشد الوداع لشهر القرن وتواشيع الوجد به والحنين الى ما مضى
من ايلمه الطيبات وليتبه الفترات ، وهلك النجوى لما بقي منها في جمعة اليتيمة ،
عل وثك بحيل ..

التاريخ : ٢٦ / ٤ / ١٩٩٠

(٢)

وتهزنا لخدمة اليتيم نلذذة من اسماعنا الى اعمق وجداننا . ليصلو وعينا بالحس
المرهف لامتنا . جعلت من ليال وداع رمضان جمعة يتيمة ، بما يحمل معنى اليتيم في هذا
الموقف ، ما يصلو الايمان وتلاء القلب ومحض الحب والولاء ، واشبعنا العراق لمن رضى
الله لنا ان يكون اسلم وجودنا
ويترأى لمصيرتي من منطق امنى ليتيم الوداع لشهر القرآن ، لحمة مضبوطة لابعاد
التفسير الوجداني لتاريخ هذه الامة ، وشخصيتها

نودعه . لآخر يوم من الجمعة اليتيمة ، وبشجيتنا ان مروت ايامه الطيبات ولياليه
النيرات مداعا ، فنحن من شجو الوداع واشبعنا الفراق بقلبي ، لا نملك ان نستطيعه
يوما لو بعد من يوم للتزبد منه بما يؤنس وحشة الفراق ، والاعتذار اليه عما لم نألفه
من امرنا ، بما قصرت عنه طاعتنا من الاستشراف لاهله العليا للحق والخير وانجمل ،
تظل الانسانية كالحبة اذ بها ابداء لتحقيق وجودها الكريم الحر ، ونضالها الدائب لرخص
الظلم والذل والظفر والفجح والقتل ، ومقومة لرائع التضليل والمسخ والاستلاب .

نودعه يتأى
وما افسى اليتيم على كهول منا وشيوخ املائنا ، نتجلد في وقلة الوداع وقد ظل
عليها العبد ونال منا كى الغداة ومر العشى ، واشختنا جراح اليتيم والليال لم تبق في
كيفتنا المتعب موضعا لجرح ، ولا تركت في وجداننا نبض حياة

حتى اذا انثنت وقلة الوداع للجمعة اليتيمة
برحيل ، هزتنا رجلة الشجن وعانت بنا الى صبيحا ،
اذ يرجل ابونا وشيوخنا رضى الله عنهم . وقد
زومونا عند الرحيل بوسيلتهم ، وعهدوا اليانا ان
نعمل من بعدهم امة الجهاد في سبيل ما ظفروا
له ، دفاعا عن شرف الاسلام ، وتحقيقا لوعده نبينا
المصطفى عليه افضل الصلوة والرحمة التحية :
(لا تزال سافلة من امنى ظالمين على الحق لا
يضرهم من خلفهم - في رواية من خلفهم - حتى
ياتى امر الله وهم كذلك)

رواى هذا الحديث . في (صحيح مسلم)
لفضيلة راوى العرف بالله العلم القدوة ، فييل
رحيله الى رحاب الله مع الصديقين والشهداء
(وحسن اولئك رفيقا)

وامرنى . رضى الله عنه ، فتلوت الآية المحكمة .
(واسير نفسك مع الذين يدعون ربهم
بغفلة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عينك
عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من
الظلمت قلبه عن ذنوبنا واتبع هواه وكان امره
مرميا)

ويخلق قلبي لرجلة الشجن ، فاصلى الى
نبض الروح فيما يبس من عروقى ووهن من
عظامي وجف من حيويتي ، ويهتز وجداني
على ابتاع شجو نجواى ، عودا على بدء .
كلما قلنا برئنا .

من جراح القهر بالياس العليم . .

واسترجعنا
واستوى خير وشر

واستوى رخص وصبر .
حومت امتنا على اشباحنا
تنبش الانقض عن جرح الهشيم
احيت الهمد من اشجاننا
للتعرت ، مغللات في الصميم
وكلنا مايسنا .
وانعوتنا ، وانتهينا
كلما قلنا اكنفينا ،
بالذي قد كلن من وهم السراب
وبع التيه سريتنا ،
في كهوف من ظلام وضباب
واستوى غيم ويدر
واستوى ليل وفجر
واستوى امن ونهر
عادت الروح لمشتنا إليها
بوللق من حنين وولاء
واتلنا صوتها عبر الخواء
ملؤه شجو ولوم وعتاب
لشرابت نحوها ارواحنا
وكانا ما اغتربتنا .
وانسحبنا ، وانتهينا
كلما قلنا : فرغنا
من معاناة اكنتاب وصراغ
واكلايب الاماني
ودعاء لا يجاب
وتمزقنا خطما
اثر ما ولى وضاع
وغلفونا ، او غلت اشلاؤنا
باكك الموج في طي العيب
واستوى بر وبحر

واستوى مذ وجزر
لأح من عمق الدياجي طيلها
يجمع الاشلاء من يم الضياغ
وكانا ما انحطمتنا .
وانسحبنا ، وانتهينا
كلما قلنا : جرعنا
كاسنا ، لم نبق لطره
واسفنا كل ما سيط بها
من نقيع السم ، من صلب وحنظل
وتداوينا منها بها ،
عللاً نجرعها بعد شلل
واستوى بحر ونهر
واستوى صحو ولبر
خابلتنا في ديلجير الفلنس
برؤى النبع الالهى المحس
نوب نور ونقاء ،
ورحيق لم يئنس
وبها طلعت على ابنلها
وسفنتهم جرعة من تريلقها
عوتنتهم برلقها الخلدات
ان يسيقوا ما اسفنا من لذة
او يطيقوا ما اطقنا من عذاب
جددت لهم خلايا خصبها
ورأت سحر صباها والشبل
وكانا ما فرمنا
ونبلنا ، وانتهينا
● ● ●
فلا أوحش الله منك يا شهر الصيلم
سلام أنت ، حتى آخر الدهر

التاريخ : ١١ / ٦ / ١٩٩٠

علوم

يقدمه : صلاح جلال

درع جامعة قطر للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء)
لمشاركتها في الموسم الثقافي للخريجات

□ □ في تطور ثقافي وعلمي أصبح لخريجات جامعة قطر مكتب للخريجات بمسار
مجلة فصلية اسمها (الجامعية) صدر منها حتى الآن ١٨ عددا وترأس تحريرها
لطيفة المناعي وتلعبها حصة المهدي . وشركت الاستاذة الدكتورة عائشة عبد
الرحمن (بنت الشاطيء) في الموسم الثقافي للجامعة . ولهم لها مدير الجامعة
الدكتور عبد الله الكبسي درع
الجامعة تقديرا لدورها اللذان
البرز على امتداد الزمن العربي
والاسلامي .

□ □ وفي قسم الدراسات العليا
بكلية صيدلة القاهرة تعد الدكتورة
زكية مل الله رسالة الدكتوراه عن
السريرية الدوائية على
المستحضرات الطبية . والمهندسة
شيخة ، طان الجابر تعد للدكتوراه
في جامعة جورج واشنطن عن علوم
الحاسب الالكتروني . وتعد شيخة
المهدي رسالة الماجستير في الفيزياء
النوية بجامعة الملك سعود .



درع جامعة قطر من الدكتور عبد الله
الكبسي مدير الجامعة للدكتورة عائشة
عبد الرحمن (بنت الشاطيء) .

رسالة العيد

من فتيحة الحجارة .. إلى حشود الحجيج

بقلم :

د . بنت الشاطيء

غير مجهول من تاريخ مكة الديني ، ان الحج اليها عبادة قديمة ، وإن شأبه على المدى الطويل ، على فترة من الرسل ، شوائب دخيلة من رواسب الشرك والوثنية ، حتى جاء الاسلام خاتما للدين فحرره من تلك الرواسب والشوائب ، لتكون العبادة شعائر ، لا مجرد طقوس آلية صماء . وبالايمان والتقوى تفترق الشعائر عن الطقوس ، قال جل جلاله :
(ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب)
ولقد كانت حجة الاسلام الاولى في السنة العاشرة للهجرة ، بعد سنتين من فتح مكة في شهر رمضان المعظم من السنة الثامنة ، حيث اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة من تلك السنة ، وحج بالناس ، عتاب بن اسيد القرشي الاموي ، من مسلمة الفتح ، والحج عامئذ مشترك بين المسلمين والمشركين

السنة التاسعة بعدها كانت سنة الوفود لقبائل العرب على دار الهجرة للبيعة ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، فحج بالناس ، ابو بكر الصديق ، ولحق به ، علي ، رضي الله عنهما ، فتلا على الناس ما نزل من (سورة براءة) وابلغ الجمع ان لا يحج الى البيت الحرام بعد ذلك العام مشرك ، ولا يطوف به عريان . وبذلك خلص الحج للمسلمين في السنة العاشرة ، حيث شهد النبي صلى الله عليه وسلم في عشرات الوف من

المسلمين ، فاراهم مناسكهم واعلمهم سنن حجهم وشعائر عبادتهم ، وخطبهم في منى خطبة الوداع ، وقد نزلت آية إكمال الدين واتمام النعمة بقوله عز وجل :
(اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً)

فكانت تلك الحجة ، حجة الاسلام ، وحجة البلاغ ، وحجة الوداع .

من تلك السنة العاشرة للهجرة ، الى هذه الايام المعلومات للحج في عامنا هذا ، توالى مواسم الحج موحدة المناسك والشعائر متمثلة المواقف والمشاهد ، لافواج الحجيج ساعين من كل فج عميق ملبين محرمين ، قد تجردوا من كل مظاهر الجاه ، وتماحت بينهم فروق الاجناس والاعراق والالوان وفواصل الطبقات والمناصب والدرجات . وتسلى الخاضية والدهماء ، وانحنت هامات الملوك والرعايا ، للذي تغنو له كل الجباه .

يتكرر الموسم بمناسكه ومشاهده ومواقفه الموحدة ، ويظل الحج على توالى الاعوام يلبي حاجة الامة الى متجدد الظروف وطوارئ النوازل ، ويجلو منطق الشعائر في بصيرة الاجيال من ابنائها

اهلنا ، هذه الرحلة كانت
في صبلنا ملء رؤانا
قبل ان تبلغ تكليف الفريضة
قبل ان تدرك مغزاها عقيدة
في صبلنا ، كم شجلتنا ، كل موسم
موكب الحجاج من اهل وجيره
ومراسيم الوداع ، وحشود الضارعين
يسالون الركب في يوم الرحيل :
انكرونا في منى ،
وعلى عرفات لاتنسوا الدعاء
وانكرونا في الحرم ،
واحملوا منا السلام
للحبيب المصطفى خير الانام

وبقينا في انتظار
كلما قلنا متى نذهب صحبة ،
مع ركب المؤمنين ،
قيل : صبرا ، انتم الان صفر
وسياتى دوركم .. حقق الله منكم
وانتم النعمة الكبرى عليكم
نعمة الايمان ، نور بئلكم وبين ..

اهلنا ،
في صبلنا كم خرجنا من قرانا والبنجر
عندما تاتي البشير
للقاء العاكفين ..

اليوم ياخذ سلاح الحجارة موضعه في موازين القوى لحدث الاسلحة في عصرنا الحديث ، موصولا في رؤيتي لابعاد وجودنا بين ملأ وحاضر ، بمناسك الحج في شعيرة رمى رموز الطاغوت وحزبه واوليائه بالجملة ، رجما لاعداء البشر . واستقبل العيد ، ولى وجداني رجع صدى مررد معاد ، لرسالة الى حشود الحجيج من الفتية البواسل المرابطين على خط النار ، يبذلون حياتهم تضالاً عن حرمت لامتهم لايجل ان تنتهك ، ولدية لشرف الانسنة ..

اهلنا الحجاج من شرق ومغرب
ياضيوف الله في ام القرى
وضيوف المصطفى في روض يثرب
سلم الله عليكم ، وهنيئا عيدكم
في حنى البيت الحرام

اهلنا ،
نحن ايضا كم وبدنا ،
لنا كنا هناك ،
محرمين طائفين عابدين ،
نحتل نور الحرم ،
نرتوى من نبع زمزم ،
ثم نسعى زائرين
مرهلي الشوق الى مئوى الحبيب
صلوات الله عليه والسلام ..

(٢)

ونقول : الله اكبر
يا هتنا ، حقق الله مناه ، والحبيب قد دعاه
فمتى ننمو ونكبر ؟

رحلة كنت لنا حلم الصبا وعد الشبل
قبل ماساة الهزيمة ،
ووعينا فعرشنا عتيده
عباتنا للجهاد بينا وعباده ،
حشدتنا ههنا للمعركة
وامنينا فداء وشهادة

اهلنا الحجاج ،
معكم نحن وان كنا ههنا
نرجم الشيطان جمر من حجره
وعلى الجبهة رابطنا نلبي : الله اكبر
ونرد العثر عن امتنا ،
حيث يختل صهيون ويزل
في حمى القدس ، والمهد ، ويلقا ، والخليل
فوق جرزيم ، وجولان ، على سفح المكبر
قد نذرنا هدينا ، عندما لن الاوان
يوم عيد نحرنا ،
فلنكرونا اهلنا ،
نحن جند الله جيل المعركة ،
انكرونا في متى ،
وعلى عرفات لاتنسوا الدعاء
بلغوا عنا الحبيب ،
اننا نرعى حماه ، ونؤدى فرضنا
وسلاما اهلنا حجاج مكة
ياضيوف الله في لم القرى
وضيوف المصطفى خير الانام
صلوات الله عليه والسلام

بالدفوف والطبول ، والمشاعل والمبخر ،
وملأنا الجو شدا باغاريد الوصول
وسهرنا الليل نصفي ، بالقلوب والعقول
لحديث الحاج عن انس القبول ..
والمشاهد والمواقف ، والمناسك والشعائر
وازبحمنا حوله نبغي القرى ،
من هدايا ونخثر :
لمحة من نور مكة ،
جرعة من ماء زمزم ،
نلحة من عطر طيبة ،
ثمرة من نخل يثرب



حاييت الهجرة

تاريخ الاسلام

الهجرة التاريخية من مكة ، كانت في السنة الثالثة عشرة للمبعث ، وه يثرب ، دار الهجرة ، قد فتحت بالقرآن ، وليس في الدنيا سواها دار إسلام .. وهي مسبوقة بهجرة اولى إلى الحبشة - وكادت وقتئذ دار نصرانية - وقد اشتدت وطاة قريش على المسلمين الأولين ، فقال لهم عليه الصلاة والسلام : لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده احد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما انتم فيه . فخرج منهم فوجان ، في اولهما عثمان بن عفان معه زوجته السيدة رقية بنت المصطفى ، صلى الله عليه وعلى اله وسلم ، في عشرة من المسلمين الاولين رضى الله عنهم ، ثم لحق بهم جعفر بن ابي طالب ، معه زوجته اسماء بنت عميس الخثعمية ، في عشرات آخرين من المهاجرين .

بدأ صلى الله عليه وسلم بالخروج الى الطائف ، غير بعيد من مكة ، يرجو نصرة ثقيف على قريش التي تصدت للقومة دعوتهم بخيا وعدوا ، لكنه رجع آخر النهار محزوناً يائساً من خير ثقيف ، فأتى ابن المقبة ؟

لم يدخل في الحساب قط ان تكون الحبشة دار هجرة للإسلام ونبية عليه الصلاة والسلام ، ولا كان في حساب مهاجرة الحبشة - وما زادوا على مائة - ان يقيموا بها إلا التماسا لئامن على دينهم ريثما ، يجعل الله لهم فرجا ، مما تسلطت به عليهم طواغيت المشركين بمكة من اذى وقتنة واضطهاد .

ويثرب ، حتى عام الحزن ، تبدأ لظاهر الرؤية بعيدة عن مجرى الاحداث بمكة ، قد شغلت عنها بما نشب بين اهلها اليثريين العرب ، الاوس والخزرج ، من فتن حائلة وحروب حاصدة ، توالى على مدى خمسة قرون ، منذ وطنتها قلول يهود ، فرارا من وطاة الرومان الساحقة ، فما لبثوا ان انشعبوا مخالبهم في الأرض العظيمة شمالي الحجاز ، وسيطروا على مواردها الاقتصادية واوضاعها الاجتماعية ، ورسخوا وجودهم المغتصب على حساب الوجود العربي الممزق بالعداوة والبغضاء بين الاوس والخزرج .

ومن حيث بدت الابواب كلها

وانجلي ثم الحصار ، ولم ينته البلاء تمحيصا للمؤمنين وامتحانا : في العاشر من شهر رمضان من تلك السنة العاشرة ، توفيت ، ام المؤمنين الاولى السيدة خديجة بنت خويلد : رضى الله عنها ، زوج المصطفى وسكنه ووزيره ، ثم ، ابو طالب بن عبدالمطلب ، عم المصطفى وكافله وصديقه وراعيه ، وامانه من سفه قومه ، فاحيا موتها ما ومن من طمع المشركين في الاسلام ، وعادت وطاة الاضطهاد الى اشد مما كانت عليه قبل عام الحزن .

واحس المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وحشة الغربة في بيته ومهد مولده ومنزل ابيه ودار مبعثه ، واشتد عليه الحزن لفقد ههما وكان لم يعد له في أم القرى مكان ، فمد بصره إلى ما وراءها يستوعب ابعاد الرؤية لما يحتفل من متجه الاحداث ، ولم يكن حتى عام الحزن قد خرج بدعوته من دار مبعثه ، وإنما كان يلقي وفود القبائل عليها في الموسم ، فيعرض عليهم الاسلام ، وإنه ليحزنه ان يصد عنه قومه ، جيرة الحرم وسدنة البيت العتيق ..

واذ وصلت الجولة المكية بين الاسلام والمشركين من قريش ، سدنة البيت العتيق إلى طريق مسدود ، فرضت الاوضاع التحرك الى موقع آخر ، فأتى ابن ؟

وقد وجدوا هناك ، خير دار في خير جوار من النجاشي الذي امنهم على انفسهم ودينهم وعبادتهم ، وأبى ان يصفى فيهم الى قول مبعوثين إليه من قريش - عمرو بن العاص وعبدالله بن ابي ربيعة - في طلب المهاجرين الذين تحدث اليهم في امر دينهم ونبيهم عليه السلام ، فلم ينكر من الامر شيئا ، وأمر برد الهدايا التي قدمها عمرو وصاحبه .

وعلى صبر قريش لما تجد من صبر المؤمنين على الأذى والبلاء ، ففرضت عليهم وعلى من انحاز اليهم من بني هاشم حصارا اجتماعيا واقتصاديا شلوا ، لا يصحرون إليهم ولا يبيعونهم شيئا ولا يبتاعون منهم ، وسجلوا حلف الحصار في صحيفة علقوها في جوف الكعبة توثيقا لحرمتها وتوكيدا على انفسهم في التزامها ، واقاموا على ذلك زمنا ، نحو ثلاث سنين ، لقي فيها المسلمون والهاشميون ، من جهود الحصار ما لا يحتمل ، وحيد بينهم - وقد انحازوا إلى شعب ابي طالب - وبين اسواق مكة لشراء القوت من التجار الوادين عليها في المواسم ، فبلغ من ضراوة الحصار ان اشتزت ضمائرفر من رجال قريش انكروا الحلف المشنوم الذي تورطوا في إقراره مسابرة لقومهم ، وقاموا في نقضه وتمزيق صحيفته على مرأى من قريش ومسمع ، في السنة العاشرة للمبعث .

(٢)

فيما قال : (ما قاله بلختني عنكم ؟ ..
الم اتكم ضللا فوداكم الله وعالة
فاغناكم الله واعداً فالف بين
قلوبكم ؟
قالوا : بلى ، لله ولرسوله الفضل
والمنة .
قال : الا تجيبون يامعشر
الانصار ؟ فسألوا : بماذا نجيبك

يارسول الله ؟ لله ولرسوله الفضل
والمنة ، فقال : اما والله لو شئتم للقتل
فاصدقتم ولصدقتكم : اتيتنا مكذبا
فصدقناك ومخذولا فنصرتك وطريدا
فاويناك وعائلا فاسيناك ... اما
ترضون يامعشر الانصار ان يذهب
الناس بالشاة والبعير وترجعوا
برسول الله في رجالكم ؟ والذي نفس
محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من
الانصار ، ولو سلك الناس شعبا
وسلك الانصار شعبا لسلكنا شعبا
والانصار اللهم ارحم الانصار وابناء
الانصار وابناء ابناء الانصار ..

فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم
وقالوا جميعا : رضينا برسول الله
قسما وحفا ، وكذلك عرفت مكة ان
المصطفى يوشك ان يرجع الى دار
الهجرة التي اصطفاهما الله له منزلا
ومقاما ومثوى .

وبقيت من بعده ، مركز الخلافة
الراشدة ، ومنطلق كتاب الفتوح
الاسلامية الكبرى التي رفعت اللواء
الامر على الدولة من اقصى المشرق الى
اقصى المغرب ، قبل نهاية القرن
الهجري الاول .

ذلك كله مما عرفه الصحابة لدار
الهجرة حين احتاجت الدولة في عصر
عمر بن الخطاب ، ثاني الراشدين ،
إلى تقويم إسلامي فجمع رضى الله
عنه اصحاب الشورى ، وفيهم عثمان
وعلى رضى الله عنهما ، للنظر فيما
يبدؤون به تقويمهم هل يكون بالمولد
او بالمبعث او بالهجرة او الوفاة ؟
واستبعدوا المولد للاختلاف في توليته
من عام الفيل ، وكرهوا البدء بتاريخ
الوفاة ، اتقاء الذكرى الحزينة ،
واجتمعوا على اختيار الهجرة بداية

وفيما كانت قريش تحتشد لحسم
الجدلة المكية بضربة قاضية ، خرج
صلى الله عليه وسلم الى دار هجرته ،
يصحبه الصديق ابو بكر ، والله
معهما ، وبدا بحركة التحول إلى دار
الهجرة ، تاريخ جديد للإسلام
والتاريخ الانساني العام الديني
والعلمي والحضاري .

استحدثت يثرب بالهجرة
التاريخية ، اسمها الاسلامي ، المدينة
المنورة ، واخذت مكانها الجليل منزلا
للمهاجرين والانصار وقاعدة لحركة
الاسلام في معركته الكبرى ضد اعداء
الحق ، ومركزا للرباط والتعبئة
والجهاد ، وقد اذن الوحي للمسلمين
في القتال ، بعد ان مضى الجهد المكي
كله يمتحنهم بأشد البلاء ، تحيضا
لايمانهم واصطفاء للكتيبة الاولى من
جند الله الذين يحملون لواءه ، لا
يبالي احدهم ، على أى جنب كان في
الله مصرعه .

من مستهل الهجرة كذلك ، اخذ
المسجد النبوي موضعه الجليل ثاني
الحرمين ودار مدرسة النبوة ، واخذ
الانصار منزلتهم في الامة ، يعرف الله
ورسوله والمؤمنون لهم ما بذلوا من
نصرة ، وقدموا من تضحيات
واستبسلوا في حمل اللواء ، وهم
الذين اؤوا ونصروا ، واثروا
المهاجرين على انفسهم فكانوا كما قال
تعالى :

(يحبون من هاجر إليهم ولا
يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا
ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم
خصاصة) . الآية وحفظها لهم
نبي الاسلام في المتفق عليه من
احاديثه صلى الله عليه وسلم في
مناقبتهم وفضائلهم .

وقد فتحت ، مكة المكرمة ، في شهر
رمضان من السنة الثامنة للهجرة ،
وغلب على الظن ان النبي صلى الله
عليه وسلم وجد اهله ، كما قال
الانصار - شهود الفتح - لما راوه
يتألف قلوب المكيين مسلمة الفتح .
فطلب الى سعد بن عباد
الخرزجي ، نقيب الانصار ان يجمعهم
له ، وخطبهم خطبته المشهورة فقال

موصدة في وجه الدعوة الاسلامية
ظهرت ، يثرب ، عاصمة الشمال ،
تجذب اليها الاحداث من دائرتها
المخلقة في ام القرى .

لقد عاد المصطفى صلى الله عليه
وسلم ، من الطائف محزونا يائسا من
خير ثقيف ، والموسم قد استهل ،
فمضى على عادته يطوف بمنازل
القبائل ، واوشك الموسم ان ينتهي
هذه السنة العاشرة للمبعث ، بمثل ما
انتهت اليه مواسم سابقات من ضد
القبائل عما صدت عنه قريش ، لولا
ان مر صلى الله عليه وسلم بنفر من
الخرزج ، ستة رجال او سبعة ، جلس
إليهم وعرض عليهم الاسلام وتلا فيهم
آيات من القرآن فاستجابوا له ،
وعادوا إلى يثرب والاسلام معهم ،
دعاة اليه انصارا لله ورسوله ، وفي
الموسم التالي ، لقي المصطفى عند
العقبة اثني عشر رجلا من الاوس
والخرزج ، بايعوه على الاسلام
والنصرة ، وعادوا واثني صاحبهم
الصحابي الجليل ، مصعب بن عمير
بن هاشم العبدري ، مبعوثا من النبي
عليه الصلاة والسلام ليقرئ
الانصار القرآن ويفقههم في الدين ، فما
مضى الحول إلا وفي كل دار لعرب
يثرب للاسلام انصار .

في الموسم التالي ، لاثنتي عشرة
سنة من المبعث ، شهدته مصعب بن
عمير ، مقرئ الانصار ، ومعه في
الركب اليتربي ثلاثة وسبعون من
الاوس والخرزج ، فيهم سيدتان ،
لقوا النبي صلى الله عليه وسلم
بالعقبة على موعد معه في ليلة من ليالي
التشريق ، فبايعوه البيعة الكبرى
التي اذنت بحركة التحول الكبرى في
تاريخ الاسلام ، بعدها تتابعت
الاحداث ، وتوالى خروج المسلمين من
مكة إلى يثرب حيث نزلوا على إخوانهم
الانصار الذين الف الله تعالى بين
قلوبهم ، فاصبحوا بنعمته إخوانا ،
وكانوا على شفا حفرة من النار
فانقذهم منها ، لم يبق في مكة عامئذ
من المسلمين مع المصطفى - غير من
خبس او فتن - سوى ، صاحبيه :
الصديق ابي بكر ، وعلى بن ابي
طالب ، رضى الله عنهما .

(٢)

« أَذِنَ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا
وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ » الَّذِينَ
أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْتَ
تَقُولُ وَارْتَبَا اللَّهَ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ
بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَبِيعَ
وَصَلَوَاتُكُمْ وَمَسَاجِدُكُمْ فَذُكِّرْتُمْ فِيهَا
أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلِيُنْصِرَنَّ اللَّهُ مَن
يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ »

الإسلامي في دار هجرته ، كانت وطأة
الحنين ترفق أكثر المهاجرين فترهف
حساسيتهم لتغير المناخ ، والم بكثير
منهم سقم واجهدتهم الحمى ، فربما
هذوا بالمكبوت من اشواقهم
وحنينهم ، ويدعو المصطفى صلى الله
عليه وسلم : (اللهم حبيب إلينا
المدينة كما حبيب إلينا مكة أو
أشد ..) ***

حتم شعبان المكرم ، من السنة
الثانية للهجرة ، كان المسلمون
يصلون إلى القبلة الأولى بالقدس ،
واستجاب الله لرسوله فنزلت آية
تحويل القبلة إلى المسجد الحرام ،
ومكة وقتئذ ، وإلى عام الفتح ، دار
شرك ليس للمسلمين إليها سبيل .
وفي السورة الأولى من الوحي
المدني ، نزلت كذلك آيات شعائر الحج
ومناسكه ، لتذلل مكة أبداً مائة حج

بقلم الدكتورة

د . بنت الشاطئ

أستاذ التفسير والدراسات العليا
بكلية الشريعة - جامعة القرويين

الأحداث ، مهما تنقل من موضع إلى
آخر .

وما كانت الهجرة سهلة على
المهاجرين ولا قطعت ما بينهم وبين أم
القرى ، بل بقيت مهوى ألفتهم ، ما
منهم من هاجر منها إلا وقلبه مقل
بالشجن ، وكانما كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعبر عما يجدون
جميعاً ، يوم وقف ساعة الرحيل ،
يستوعب معالمها بنظرة حزينه ويقول
مودعاً :

والله إنك لأحب أرض الله إلى
الله ، وإنك لأحب أرض الله إلى ،
ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما
خرجت

ورغم ما حفلت به الأيام الأولى
للحجرة من مراسم الترحيب والمواخاة
بين المهاجرين والأنصار ، ومواعدة
يهود ، وشواغل التنظيم للمجتمع

حديث المولد :

نذرة إلى أمي

تأتي ذكرى المولد النبوي الأغر ، في ميعادها من شهر ربيع الأول ، قبل المبعث بأربعين سنة قمرية ، والامة موزقة قنبا ، ممتحنة بالادح كوارث الفتن واضرى نوازات البلى ، والمواقع الفكرى يتكشف عن وباء ظلم يفتى متلخنا فيزيك الرؤية ، كما يتكشف الموقع الثقل الاعلامى عن تفلحش امة النسيان وغيبوبة الوعي ، فتصبح ونسى على صرير المعلول تخرب ديارنا بايبينا ، والحشود تسعى من جبهة مضادة للتي احتشيت لها البرجة ، وتدور بنا الريح - هيا لنا من خشية النوار ما لا ندرى معه اين كنا في الداء واين نحن في العشى ؟

وقد مضى زهران على كلولة الفتنة الحلقه ونزلة البلى المشنوم ، وليس على الاق المعتم ما تلمح منه الى اين المنج والمسرى ، وقد تهلوت احلافنا الهشة على مرأى وسمع من عام يتربص بنا الدوائر لحسم المشيد الفلج لامة انشطر كمينها لبعضها لبعض عنو .

وتتلتزم اصوات احزابنا وتصلح لول طوائفنا وفرقا : تواد بيننا العداوة والبغضاء ، ليذوى بعضنا باس بعض ..

فهل من سبيل الى ان نناوم اليوم امة النسيان لتنتبر امة الوجد وعبرة التاريخ ، ومنطق السنن الثابتة في الاسم والجماعات ؟

الا يجدى علينا فيما نحن فيه من كرب وقهر وانكسر ، ان نلتفئ قيسا من هداها يقضى لنا مسرانا في نجى ليلنا البيم ؟

في مكة . ام القرى * كان مولده وطمعته امة ، السيدة امه بنت وهب القرشية الزهرية ، في دار ابيه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، القرش الهلثى ، بجوار البيت العتيق - ونور اللجر يبشر بصبح جديد .

والدنيا قد انتج لموكب الشروق ، وتستقبل مع انفس الصباح انفس الوف الوف من بنى البشر ، ولدتهم امهاتهم من مختلف الاجناس وشتى البقاع ، في تلك الليلة القراء من شهر ربيع الاول منهم من ولدوا في قصور مصر والشام وفارس والروم ... ومن ولدوا في مجاهل القر وشجوع البوادي وادغال الغليل وبحوف الجبل .. تباعدت بهم الاصول والاعراق ، وتفاوتت الانساب والدرجات والطبقات ، وجمعتهم بفؤتهم للبشر ، وتماثلت فيهم اية الخلق ، على مايتهم من تفاوت بعيد بعيد ..

وما كان احد ليلتفت الى ولید منهم ، وطمعته امة يتبعها في حي بنى هاشم جيرة الحرم المكي ، في تلك الليلة القراء التي يوركت به ، لولا ان حلت بمولده ظروف غير مألوفة ، جعلت ام القرى تتلقى البشرى بكثير من التأمل والتفكير ، ثم تحرص على ان تستوعب كل ملحف بها من ظروف وملابس ، وان تلعب سبر الحياة بهذا الوابد الهلثى ، الى ان بلغ

د . بنت الشاطي

استاذ الدراسات العليا
بكلية الشريعة جامعة القرويين

اشده واصطلى خلتا للتبيين عليهم السلام .
الليلة من بينها كانت مقمرة واعدة ، ينيرها قمر
اوشك أن يكتدل بدرا ، وتونسها اطلال ، رؤى لبثت
تتجلى للسيدة أمته طوال شهور حملها ، أمضت حملت
بهذا الجنين وهي لا تكف عن التفكير فيما كل من
أمرها وأمره ، بعد أن مات أبوه زين الشباب
الهشمي ، عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم ، في
طريق أوبته إليها من رحلة الصيف إلى بلاد الشام .
ولم يكن حين ودعها يتزوجس خيلة من علق يحول
نون إليه ، ولا كانت عروسه السيدة أمته في
مواجس وحشتها لفراره ، تتوقع أمرا يحبس عنها
بعد الرحلة .

في عنفوان قوته وحيويته ونضرة شبابه مضى مع
قائلة قريش إلى الشام ومكة لا تزال تتجلبوب
بأصداء الاحتفال المشهود بعروسه شاب التذائه من
الذبح قربانا لرب الكعبة ، وفاء بنذر أبيه عبد
المطلب بن هاشم .

وسهرت مسامر البلدة المباركة تستدجج ذكرى
قصة الذبيح الأول ، إسماعيل بن إبراهيم عليهما
السلام ، الجد الأعلى لقريش والعرب العدنانية .
وقد ودع عبدالله عروسه بعد أشهر من الاحتفال
بموسمها ، لم يخطر لهما على بال أنها رحلة بلير
إليها ...

في طريق العودة الملت به ومكة طارقه امتخلف عن
قائلة قريش في دار أخوال أبيه ، بني النجار ،
بيلرب ، وإنما يسترد صحته وعافيته ، ألم يلبث إلا
قليلاً حتى غلغ الموت ودلن هناك وترملت عروسه ،
زهرة قريش وفي كفيها خضيب العرس .

من نبض حياة الجنين الغال في رحمها كانت
تستمد إرادة الحياة ، إذ يعطي حادث لقاء أبيه
الراحل تفسيره ومنطقه ، ويمتج وجودها قيمة
ومعنى .

وتوالت البشريات تترى ، حتى وشعته فجر
الليلة المقمرة من شهر ربيع الأول ، واللقى مكة
والجزيرة العربية تتجلبوب بهتاف خلاص البلد
الحرام والبيت العتيق ، من كيد أبرمة الأشرم ،
وجنده أصحاب الفيل .

ومضى التاريخ العلم لم يعال الوقوف بمكة مهد
المولد ، شغلته عنها وعن يتيما الهاشمي أحداث
جسام كانت تجري على مسرح الدنيا في الثلث الأخير
من القرن السادس لميلاد المسيح عليه السلام ،
وراح يرصد نذر الانهيار في عالم يريد أن ينقش ...
حتى بلغ اليتيم الهاشمي المكى الأربعين من
عمره ، وتلقى أيلت الوحش الأول في شهر رمضان

المعظم بعد ستة قرون ونحو عشر سنين من ميلاد
المسيح عليه السلام ، لعد التاريخ شغلت إلى مكة ،
وتوقف برمة يجبع كل ما وعت ذاكرتها عن

المصطفى ، ويصحبه من مولده إلى مبعثه ثم يتبعه
حيث سار ينسخ بنور الفجر الصلح فطمت
الجاهلية * * *

معذرة إلى امتي أن لا أجد ما أحبي به ذكرى مولد
الحبيب سوى رجوع لنشج قلبي تحت وطأة ما
تخلجه من مواجع ومواجد ، وما يلهونا من الخذلان
والتمزق والانكسار :

ليلة المولد جودي بعطائك
واسحبنا زائنا من عبرتك
اشرفي بالذود في نية سرانا
ذكرينا بلذى قاد الخطا
واجمعي أشلامنا تحت لوائك

* * *

ليلة المولد فيضي بسمنا
لنرى ابن الطريق
فلقد ضاع انطريق

لأنيري في دجانا دربنا
قبل أن نهبط في القاع السحيق
* * *

ليلة المولد ما تاه الدليل
إنما تها وأخطانا هداه
فلتشرينا حيلاري تانهين
نخبط العشوا على غير سبيل
وتعزقنا للولا عن يسار ويمين
نمضغ الأوهام نستجدي الحياة

* * *

ملء دنيلنا ركام من ضحايا
للمذابح والمجازر
والبقايا زأدها قبر وحسره
لننسخي يعللة النور الظلام
لا تمرى خطبة فوق المنبر
ونشيدا في الجناجر
دونما درس وعبرة

ذكرينا بلذى قد الخطا
وهدي الأبصار منا والبصائر
رجعي في ليلنا صوت الهدى
يولفظ الأرواح منا والضائر
واجمعي أشلامنا تحت لوائك
* * *

اقول قولي هذا وما أدري هل يبلغ من الوالدين
بنا على جلاله الحرب مسمعا ، وإنما اعتبر بقوله
تعالى فيمن حقت عليهم قبلنا كلمته جل جلاله :
(وإن قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله
مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا ، قالوا
معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون .)
صدق الله العظيم

مراجعة

المراجعة هذه المرة مع الشاعر التونسي الشاب « ابي القاسم الشابي » في كتابه (الخيال الشعري عند العرب) عرفناه في « مدرسة ابولو » شاعرا شابا واعدا ملهما . اجهدته معاناته لمواجهه وفرحله عن دنياه في شبابه وقد تجاوز شعره حدود بلده فرجعت افاق الوطن العربي اناشيده واغانيه وابياته السائرة

بل اكاد اقول اننا من الفصل الاول الخاص بالخيال الشعري في الاساطير العربية ، ندرك مذهبه في المقارنة واسلوبه في تناول ويتضح لنا خط سيره الفكري فيما يتلو من فصول الكتاب ونعرف مقدما ماسوف ينتهي اليه من نتائج

ونقدر اخلاص الشاعر وحماسه للدعوة الى التحرر من الجمود بمثل ما نقدر بسالته في ايفاظ قومه من فتور الغفوة وخدر النعاس ثم لانملك الا التاثر للمكابدة التي عاناها حين افتقد في ارضه النبع الذي يرويه والجذور التي تنميه الى قديم له اصيل حي

ونقرأ كل ما كتبه عن عقم خيالنا الشعري فلا يخامرنا ريب في ان الشاعر خاض المعركة بحماس صادق ليفتح افقا رحبة امام جيل اليوم ، ويبشر بعصر جديد . ولم تكن مأساة الشاعر انقطاع صلته بماضي تراثه وجذور وجوده ، فالشابي من طلاب المدرسة العربية وحظه من ثقافتها وادبها اوفى من حظه من الثقافة الغربية ، ولكن المأساة انه اطل على الادب العربي من جانب مظلم وتصور انه وصل الى النبع فعاف ورده الاسن ، دون ان يدري رحمه الله انه إنما وقف عند حفر راکدة ليس فيها من تراثنا الا ما اختاره جامعون ينتمون الى عصور التخلف ذوقا ومزاجا . وهذه النصوص المدرسية المختارة التي لاتزال تقدم الى ابنائنا قد حجبت عن ابي القاسم النبع الصافي المغيب في الظل وليس ذنب الشابي ان وجد في تلك النصوص البائسة عقم الخيال الشعري عند العرب فالذي قراه من اساطيرنا لا يعدو حقا ان يكون كما قال : [اصدااء جاعدة لم تتذوق لذة الخيال ، واوهاما شاردة لا اثر فيها لنبض الحياة وحس الوجود] ص ٣٣ - ٤١

وكنت اسمع عن كتاب له في « الخيال الشعري عند العرب » خلت منه اسواقنا بعد ظهوره في طبعة محدودة بتونس . وليثت افتقده حتى اعادت نشره في سنة ١٩٦٣ م « الشركة القومية للنشر والتوزيع في تونس » فالتحت لي ان اعرف ما كابد الشاعر الشابي من صراع بين الثقافتين العربية والفرنسية مع ما كان يجهد من نضاله : شاعرا قوميا يهز الوجدان العام لقومه ويحدوهم الى الوجود الحر الكريم

وهذا الصراع يتصل من قرب بمأساة الضياع الفكري التي ترهق جيلا من شباب الامة وتضغطهم بين شقي الرحى - وقد داب نقاد منا على ان يتهموا كل ثائر على القديم بالمروق ويصمونه بوصمة الانسلاخ من قوميته ، لكنني لا اتصور ان احدا منهم يجروا على اتهام ابي القاسم بهذه الوصمة وهو الذي ناضل باصرار وبسالة في سبيل قوميته ومضى شهيدا من شهدائها

وهذا ما يعطى كتابه [الخيال الشعري عند العرب] قيمته من حيث هو مادة صادقة لازمة جيل من شباب العرب ، يكشف عنها شاعر لا ترقى الى قوميته شبهة ولا تشوب اخلاصه لعربيته شائبة من شك او اتهام .. والشابي في كتابه واضح المنهج محدد الفكرة في كل ما تناول من موضوعه . فلقد مضى يلتمس الخيال الشعري عند العرب في اساطيرهم وفي نظرتهم الى الطبيعة والمرأة كما ظهرت في ادبهم ثم في فنهم القصصي . فنخلر الى ادبهم وخيالهم الشعري بعين تفتحت على الافق الغربي وعقلية تشبعت بقدر محدود من ينابيع ادبه بحيث لا يخطيء القارئ في أي فصل من فصول الكتاب اثر الانفعال المبهور بجمال الخيال الشعري وحيويته وخصبه في الآداب الاجنبية ، مقارنة بما بدا للشابي من عقم الخيال الشعري وجفافه او صدئه في ادبنا العربي .

كما زاد في قسوة المعاناة ان الشاعر ظل طوال حديثه النقدي عن الادب العربي مشدود البصر الى النافذة الغربية مبهورا بما يلوح له على البعد من رؤى الجمال ، ففي كل فصل من فصول كتابه يقف ليتلو في خشوع نماذج مما سحره وبهره ، ثم ينتفض من نشوته ليصيح في ثورة حائق غاضب :

[نبتوني ياسادة هل تجدون في العربية من يستطيع ان يحدثكم عن تلك العواطف العنيفة التي تهز الحياة هزا ؟ كلا .. ولكنكم واجدون من يستطيع ان ينضد لكم من المجازات الزائفة والكنايات المتكلفة ماتعجز عن بعضه جن سليمان]

[خبروني ياسادة اي شاعر عربي يستطيع ان يحدثكم عن نشوة الحب وسكرة العواطف ومعنى الامومة ورحاب الامل او يريكم همسات القلوب وخلجاتها كلا .. ولكنكم واجدوه واكثر منه عند آداب الامم الاخرى] ص ١٠٧ - ١٠٩

- فهل كذلك كان ادبنا كله على الاطلاق ودون استثناء ؟

موعدى مع قرائى الشباب في عدد قادم من مجلتهم الغراء لانشدهم نماذج مما لم يقرأ الشباب ولعلمهم كذلك لم يقرأوه ، فإلى الملتقى بمشيئة الله ، وسلاما ودعاء ..

بقلم : الدكتورة عائدة عبد الرحمن
بنت الشاطئ

والذى قراه من ادب الطبيعة يفسح له العذر فيما يؤكد [ان العرب كانوا واقفين امام مشاهد الكون لا وقفة المتهيب الخاشع المنتشى بنشوة الحس وسكرة الجمال بل وقفة الاخرس الذى لا ينطق والاعمى الذى لا يبصر ضوء النهار] ص ٥٣

وقصائد الغزل - فيما وصل اليه من نصوص مدرسية مختاره للتلاميذ في وطننا العربي - تعطيه الحق في ان يقرر انها [لاتحدث عن المرأة الا بما يتحدث به الفاسق الفاجر من اوصاف جسدية ولا تمثل - عنده - الا الغدر واللؤم وخساسة الطبع وحطة النفس وخبث الضمير ، وقد اعياد ان يبصر ما وراء جسدها من حياة مذبذبة ساحرة وعائم شعري جميل] ص ٧٥

وزاد في قسوة المساة ان ابا القاسم الشابي كان يتناول موضوعه تناولا خطابيا ويعانيه بمزاج شاعر مأخوذ ببضاعة غربية حديثة فاعوزه مايحتاج اليه الدارس الناقد من يقنلة الذهن وطمأنينة التامل واتزان الراى وضبط

الفكرة من الجموح العاطفى والحماسة الخطابية .. وجاءت احكامه حادة قاطعة مرسله يشوبها الاطلاق والتعميم ، وشاعت في اسلوبه الفاظ : كل ، وجميع ، وعلى ، الاطلاق ، ودون استثناء ، وامثال لها مما ينفر منه اسلوب الدرس الادبى ولا تحتمله طبيعة منهجه

من ذلك مثلا انه يرى ادب العرب على الاطلاق [مادي لاسمو فيه ولا الهام ولا تشوف الى المستقبل ولا نظر الى صميم الاشياء ولباب الحقائق] ص ١٠٣

[والنظرة الدنيئة السافلة المنحطة الى المرأة هي النظرة الشائعة في الادب العربي كله والتي يتساوى فيها جميع شعراء العربية على اختلاف عصورهم وتباين طبقاتهم وتفاوت اوساطهم ، سواء في ذلك عفاهم وفاجرهم واولهم وآخرهم] ص ٧٤

حديث رمضان

« شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »

د. عائشة عبد الرحمن
بنت محمد الشاذلي

بسم الله العظيم

أهمية الهلال والموسم

تستقبل شعوب الأمة الإسلامية هلال الشهر المعظم ، إيذاً بمسئله موسمها الديني الكبير ، وما تدرى ماذا يحمل إليها هلال هذا الموسم وإن تكن على يقين من أنه لن يخلفها موعده معها ، على العهد به في كل دورة سنوية للقمر ، منذ احتفل المسلمون الأولون بشهود هلاله لأول مرة ، في السنة الثانية للهجرة ، الرابعة عشرة للمبعث . وكانوا على سبق علم بفريضته . نزلت بها آيات تشريعه وأحكام صيامه في شهر شعبان المكرم من تلك السنة الثانية ، لكيلا يفوتهم شهود هلاله فيصوموا رؤيته .

(٢)

والمسلمون وقتئذ قلة : المهاجرون من مكة (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) والأنصار الأوس والخزرج ، عرب يثرب ، وهي وقتئذ مع ما حولها من الأرض السطبية شمال الحجاز ، شبه مستعمرة لغلول يهود طراوا عليها من أرض كنعان قبل خمسة قرون ، فراروا من وطأة الرومان الساحقة ، فما لبثوا أن نشبوا هناك ورسخوا وجودهم الطارئ ، على منساب السوء وجود العربي الممزق بين أهلها العرب ، الأوس والخزرج بالفتنة والتامر والحروب الحاصدة ..

الصحابة المهاجرون والأنصار ، رضى الله عنهم ، معروفيون باسمائهم وأنسابهم في بطون قبائلهم ، يمكن تقدير عددهم بنفسيب إذا ذكرنا أن عدد رجالهم الذين شهدوا يوم بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم في السابيع عشر من شهر رمضان لتلك السنة الثانية الهجرية لم يزد على ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا :

في شهر رمضان المعظم من السنة الثامنة للهجرة شهد فتح مكة المكرمة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار ، وأسلم مشركو قريش يومئذ ، ثم كانت السنة التاسعة سنة الوفود الذين وفدوا من مختلف قبائل العرب إلى دار الهجرة ، فبإيعاز النبي صلى الله عليه وسلم (ودخل الناس في دين الله أفواجا) يحتشدون لشهود الشهر المعظم الذي اسم يخلقه موعده بصومون لرؤيته ويفطرون لرؤية هلال شوال ، تاليه ، فإن لم يروه ، لسحب أو غيم ، أكملوا عدة الشهر ثلاثين يوما ، يحفظون في ذلك حديث عبد الله بن عمر ، رضى الله عنهما ، قال ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فقال : لا تصوموا حتى تروا الهلال ، ولا تفطروا حتى تروه ، فإن غم عليكم فاقدروا له ، متفق عليه .

معه الحديث المتفق عليه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ، صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما .

وشهد حجة الوداع مع النبي صلى الله عليه وسلم ، في ذي الحجة من السنة العاشرة عشرات الوف لا يحصون عدا ، وهلال ذي الحجة ، كهلال شهر رمضان وهلال شوال ، على موعده مع أمته ، يعين لهم في الحواضر والبوادي مواقيت عبادتهم ومناسك حجهم :

(٣)

المراسد الفلكية على ساحة دولة الاسلام الكبرى من نيسابور وأصبهان وخراسان باقصى المشرق إلى مراكش وفاس وقرطبة (يسألونك عن الاهلة ، قل هي موافقة للناس والحج)
كما يعلمون بالمتاح المكافاة من ايتى الليل والنهار ومنازل القمر ، احكام شريعتهم وشئون دنياهم المتعلقة بالحساب الزمني للسنين والشهور ، وحسابها حينما جاءت في القران الكريم والسنة ، بالسنة القمرية وشهورها ، فذلك مما علمه الله تعالى أمثنا :
(هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب .. الآية)
قبل نهاية القرن الهجري الاول - والعصر عصر الصحابة وكبار التابعين رضي الله عنهم - بلغت الفتوح الاسلامية مدها التاريخي من الشرق الاسيوي إلى المغرب الأقصى والاندلس ، والملايين من المسلمين أمة الهلال ، على موعد معه لم يخلفه قط .
تناعت الديار وتباعدت الاقطار ، فاختلقت مطالع الاهلة تبعاً لاتساع دولة الاسلام الكبرى فكان ، لكل بلد رؤيته ، كما في (صحيح الامام مسلم) من حديث ابن

عباس ، رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .
وتوالى العصور حافظاً بجلايل الاحداث وفادح الكروب وعصى التوازل ، وفي العصر الحديث غزا الانسان الفضاء وهبط على سطح القمر . وبقيت آيته في انية فينا على العهد به .. نورا هاديا وموافقة للناس والحج . لم ننسخها خطوات استدان العصر على سطحه واكتشاف كثافة جزمه ، ولا عطلها علم الانسان بدروب القمر الصخرية وتضاريسه المعتمة .
على ذلك المدى الطويل ، من السنة الثانية للهجرة إلى ماض قريب ، لم يخلف هلال الشهر المعظم موعدة قط مع أمته .
فماذا عن موعتها لآفة ؟
إلى هذا الماضي القريب لم تخلف شعوب الأمة موعتها معه ، بل في أفقه العالي بازغا من ظلمات المحاق ، لا يراها على عهد بها محتشدة لاستقباله في مواكب الرؤية ، قد عقدت العزم على الاحتفال به كما شرع الله لها ، صياما وتعبد ورياضة ومجاهدة .
وقد نبغ فيها على ذلك المدى الطويل علماء في الرياضيات والفلك والطبيعة ، دون التاريخ العلمي للحضارة أسماؤهم في سجل الرواد لأفاق لم يستشرف لها من قبلهم . وقامت

أمته إلى عصر القمر . وفي مواكب الرؤية لهلاله تطوى في بصيرة الملايين من أبناء أمته الأبعاد المترامية بين مشرق ومغرب .

لم يحدث قط أن غص أبؤنا من مواكب الرؤية . ولا ازدروا شهوده بالبصر في عصور عزتهم ومنعتهم وحضارتهم وقد علموا من فقه دينهم القاعدة الأصولية : لما كانت رؤية الهلال عبادة تلزم الكافة لم يجز الحكم فيها بما لا يعرفه إلا خاصة من الناس وليست متاحة للكافة في كل زمان ومكان .

لا يقل أحد إن المسلمين قادة الحضارة في العصر الوسيط أهدروا قيمة الكشف العلمية والمخترعات الآتية التي كان علماءهم روادها . أو أنهم أنتصروا للدين على العلم . وقد حسمت عقيدتهم الخصومة الوهمية بينهما .

مع ما يعمر وجدان أمته ، إذ يشهده أبناءها رؤية بصر ، من وعى مرهف بإنسانية العلاقة الحميمة بين الهلال وأمته ، يصونهم من جمود الحس وتعطيل البصر بالرصد الآلي لمولد الهلال .

أفكذلك نحن ، على موعدنا معه ، في هذا الزمان ؟

ذلك حديث ذو شجون . ورمضان كريم ..

واشبيليه وغرناطة بالمغرب الأقصى والاندلس ، فما تطاولت تلك المراصد إلى الماذن السامقة واصلة بين السماء والأرض في مئات الوف الجوامع والمساجد والزوايا ، ولا عطلت كشوف علمائنا ، في عصر الحضارة الإسلامية الرائدة القائدة ، مواكب الرؤية للهلال ولا أغرت شعوبنا باستبدال الرصد الفلكي لمولد هلاله ، بشهوده رؤية بصر ، تشهد الدنيا على أننا على عهدنا بما في موعدها معه ، فالملايين من أبناء أمته تشرئب بابصارها وبصائرها إلى أفقه العالي فوق حواجز الحدود الإقليمية وسدود الفواصل السياسية والمذهبية وموانع التفرقة العنصرية والطبقية ، مصداقاً لآية الله تعالى : (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)

لم تغفل شعوب أمته الواحدة ، عن أية عالمية الإسلام وخلوده ، في اختلاف مطالع القمر تبعاً لاختلاف المشارق والمغارب في المجال الرحب لنوره ، ولا أعوزها من يمن عطائه ما يرهف وعيها بآيته إذ تشهده بازغا من ظلمات المحاق إيذاناً بشهر القرآن ، فتتماحي أمام الزمان بين شهود المسلمين الأولين لهلال رمضان لأول مرة ، في السنة الثانية للهجرة ، وبين الأجيال المتعاقبة من

حديث رمضان

« رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا

وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا

وَسَرَّحْنَا لَنَا كُفْرًا

مِنْ الْخَالِسِينَ »

خلق الله العظيم

الدين والانسان

عائشة عبد الرحمن
بنسبت الشافعي

امس كان موعد لثاني بقراني الكرام في حديث رمضان لهذا
الموسم ، غير اني ارجو ان تكون مفعلة في اليوم ، كما اني استعمل
لغاي الموسمي في رحاب الشهر المعظم ، بهذه المراجعة لما فرطت
من امرى فيما احمل ، بقرور ، من املة الكلمة ، وكاني لا انهيض فيها
الملة الاكبر ولله جل جلاله (يا ايها الذين امنوا لم تقولون
مالا تقولون ، كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون)
وكان يودى ان اعلى القراء الاصدقاء من مطالعة هذه المراجعة
لولا ما احتاج اليه من راحة الاقضاء اليهم بهمى ونحسن على وشك
لقاء ، والعهد بنقما مضى من مواسم متواليات ، ان يكون لثاني بهم
صدية فكرية حميمة ومشاركة وجدانية غالية ، وتواصل روحيا
انطلق اليه من عام الى عام ، ليجمعني بالقراء الاصدقاء على الغريب
والبعيد ، ويجدد عهدي بمن تنامت بهم الديار وشط العزاز ،
وانقطعت بنا السبل فحالت دون صحة الغشاها ، فما تلتقي الا
مناجاة وحنينا ، ويجمعنا اللقاء باطراف من غلبوا عنا من الاصحاب
والاحباب في مناهة التفرير ، وناق التشرير

و كنت فيما مضى من مواسم ، تشتد لهذا اللقاء قبل موعدته بـ ١٠
او ثلاثة اذخر له الزاد من مطاعاتي وتاملاني ورؤاي على سعة من
الوقت ورجاء الملتقى
في موسمنا هذا البنت الشهيرة قبله لا أجد نفسي في راحة الا عاصير
الهداية ولا استبصر متجها لتقليدنا في هوى الاحتصار حتى اقرب
الموسم وليس على الافق المعتد باردة خلاص معانح فيه فكان ان
جمعت شتات نفسي ورؤاي المبعثرة

بمرأى منا ومسمع . الى اخذود رهيب اين منه
ذلك الذي حفره في الجاهلية . تبع الحميري .
وجده اليهود اصحاب الاخدود . لنصاري
نجران المؤمنين .

كان الهم يورقني مثلما يورق ضمير كل ذي
وعى من قومي وأمتي ولا حيلة لنا في اطفاء نار
السدير الموقدة في الخليج وما حوله من
ديارنا . لم نأبث ان صارت الى ارملة وجود
ومحسب . وقد نمرق شملنا وبفرت كل مننا
فبعثنا لبعض عدو . نتقازف بالنهم
وتتبارى في الجدل وقلب المقدوني ليس على
الابواب ولا في داخلها كما كتب الاستاذ الكبير
محدد حسنين هيكلي - في رده على السؤال
الشغل حرب او سلام - بل اوغل في أعماقنا
على حين غفلة منا بطمس معالم وجودنا

المبغفر الله لي . مضت أشهر طوال على ما
يسمونه . أرملة الخليج . لم اكتب ختم
واحدة عن تلك الجائحة العمياء . وحملت
همليا يورق ليالي المسهدة الطوال . ويروني
بالذبار . حتى استجبت بعد صمت طويل لمن
دعوني - عن حسن ظن بي - لاكون من

الموقعين على بيلى أعدده جمع كرام من الكتاب
والفكرين (حتى تطلعا نار الفتنة)

ونفست بلرئاح كمن ادراج عرس مسدده
نابوس جاتم . ونخلفه من وفربسانه بنفخ
المهبر

وتاملاني المشرقة . لاكتب حديث اللقاء لهذا
الموسم . ولم يبق بيننا وبين موعدته سوى
شهر أو بعض شهر

لقد مرت علينا الشهور السبعة قبل
الموسم . كل لحظة منها دهر طويل من ضغط
الحيرة والقلق وهواجس الخوف
والترقب . وعالم اليوم كله مشغول بما حاق
بأمتنا من داهية عمياء . لم نكد شرارتها تلوح
من الخليج منذرة بالكارثة حتى عجلت البسا
جحافل العسكر من غرب وشرق وشمال
وحبوب يؤججون لهب الشرارة المتسوخجة
ويلهبون ضرامها بما لا عهد للدنيا بمثله من
أسلحة فتاة متطورة . واشتعلت النار في
صعيد وطننا وما يدري احد ماذا يبقى لنا
نستقبل به شهر القران . ولا ياب وجه نلقاه في
مشرق أو مغرب . وما من دقيقة مرت علينا
قبيل مستهل هلاله لم توغل في حفر أعماقنا
كاشفة عز قهرنا . وما من دقيقة من ليل أو نهار
لم تكن فيه مشغلة أجهزة الاعلام الدولية .
تتبارى في السبق الى اذاعة أنباء الحرب التي
دارت رحاها فينا طاحنة ساحقة . بعثي
وحجها انصارنا فلا نكاد نميز بين أدنى الجار
وأبعد الغرباء واستبقنا الى النار الموقدة
نفذوها باهلنا وجيراننا وغنى افنا دخان
ذرى فتقاذفتنا أمواج السعير نخبط العنواء
عنى غير هدى . وتلاطمت الأشلاء غرقى في
دماء صرعى الملحمة . وقد تحول الخليج

التاريخ : ١٨ / ٣ / ١٩٩١

(٣)

انطلقنا في سراح رائعتنا
نعبر الاسوار . نجتاز الحدود
لنرى ابعاد محاق بنا
حين تها بين ليل ونهار
وعلى مشكاة نور من هلاك
بازغا بحدو سرانا في الغلس
شارفت ارواحنا افق جلالك
ورأت فيك هداها والقبس
بعد ان ضلت خطاها
في سرايب الخوا

• • •

ابن يارمضين انس الملتقى
في لياليك الخوال النيرات
ابن منا القدس وبنا والخليل
ابن بعداد والنصرة مسا ومحاق الكوبت
والضفلك الطيبات العمارات
والهضاب السامقت الشامخات
ابن ما فيها جميعا . من قرانا
والمشاهد والمسامر
والمساجد . والمآذن والمعابر
وحشود السامرين العابدين

• • •

ابن احلام الصبايا واماني الشلب
وفوانيس الصغار الهازجين السعداء
ابن اهلوتايها . والنازحون الغرباء
في منافي الاغتراب . وخيام اللاجئين
ابن اشلاء الضحايا
ورماة الجمر النبلاء الشهداء

• • •

هل ترى يجمعنا على ناي المزار
نورك البازغ من داجي المحاق
بتسخ الليل بابات النوار
وبفك القيد عنا والوثاق
من رقي الوهم وغشيات الخمار

• • •

رمضان كريم

عبر اني ماكدت اخنوا الى نفسي الشوامة
حتى استرجعت ما كان من موقفي بين صمت
نال . وهذا البيان المشترك الذي دعيت اليه
ستدببت . حتى لقب من امرى نصبا
هل كان صمعي انارا للسلامة والعافية .
انقاء . فتنه القاعد فيها خبير من الغاتم
نقائم فيها خبير من الساعي . كما في صحيح
حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
او كنت اخذ موقف الحذر والتدب . فلا
يحاز الى هؤلاء او هؤلاء . ول في كل من
الغريتين اهل واصحاب . وثلايمد ابنا تلند
بي اطفالهم وقد انقطعت بنا السبل . فلا
ارى أين هم في متاعه التشرذ ومنا
التعريب

او كنت ادنى الى الالتزام بما ينبغي لمثل
من وصل ما تفرق السيادة والاعلام بين
- محبوب امتنا الواحدة -

من ماجهلي ببيان مشترك اقتصر جهدي فيه على
منبور اسمر مع السادة الكرام الموقعين عليه . لم
اشترك في صياغته ولم اتجشم دعاية له .
لانفسي مرتاحة البال

هل كنت بهذه الاستجابة الهينة اترقع ان
يجح المسعى حيث خابت مساعي الموتى
الاسلامي والجامعة العربية والمنظمات
الدولية والاعلام السياسية والحرب والسلام في
عالم اليوم

او كنت انما اختلف من وقر المسؤولية
واحتل ان اسم سمعي عن منتخب الاعلام
الهوج . وبوي الملحمة الساحقة
وبثقل الهم على . ولال الشهور المعظم بوشك
ان يبرز من ظلمات المحاق . فانتطلع اليه واما
اصغى الى نشيج قلبي يرجع نجواي
البل الموسم ياشهر الهدي
بوقند الارواح في كهف الرقود
وبفك القيد عنها والوثاق
فانقنا من غيليات الكرى

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ
الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ
الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ
يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ
السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ »

د. عائشة عبد الرحمن
بنيت الشاطيء

الدين والانسان

لا يبعد ان يكون من قرائى الكرام من توقع الا اتباع الكتابة في
(حديث رمضان) لهذا الموسم ، بعد الذى كتبت البارحة عن
مراجعة نفس اللوامة لما فرطت فيه من امرى إذ أشفقت من أمانة
الكلمة لما تشابهت السبل واختلطت المقاييس . ومنهم من تساعن -
فيما يشبه التثبيط - عن جدوى الكتابة فيما نحن فيه من هم وكرب ،
وهلبقى مجال لحديث أو مقال ودوى العاصفة يصك الأذان ويصم
الاسماع ، والنقع المثار من هوج الاعاصير يغشى أفق شرقنا
الأوسط ، والأدنى والأقصى ، فيعشى الابصار وتتعذر الرؤية .. ؟
ويساورنى الاحباط ، فايا ما كان مصير الملحمة الداهية ، فقد
قضى الامر فينا بعد أن سبقت النذر بما حاق بالذين ظلموا أنفسهم من
بنى إسرائيل وكانوا يفسقون :

(٢)

(وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون) الآية
وأحفظ صحيح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في (الساكت عن الحق شيطان أخرس) فالوذ بعفو الله ورحمته إذ تاهت السبل ، وأتأسى بشيخ الاسلام الامام القدوة « عبد الله بن المبارك الحنظلي ، مولاهم » المجمع على إمامته وعلمه ونبله ، لبث عمره الطويل (١١٨ : ١٨٤ هـ) لا ينقطع عن العبادة وكتابة العلم والرباط في الثغور مع السعي في الرزق ، فقيل له ، على جهة التعجب : « إلى متى تكتب العلم ؟ » قال :

« ما يدريني ، لعل الكلمة التي فيها نجاتي لم أكتبها بعد . »

وأتحدث عن الدين والانسان ، وإنسى لأخشى أن يكون جبروت السادية وعنقوان الآلية في عصر الالكترين والريموت والليزر والأقمار الصناعية ، على حساب إنسانيتنا ، فتتخجر قلوبنا وتجبس أرواحنا ويعقبنا وجداننا ، فننام على دوى الصواريخ وزئير الملحمة غير بعيد عنا ، بل دائرة فينا واصلة إلينا ، ونحن نتسل في الشهر الكريم بما يروح عنا ، فلا يبعد أن نسل ساعات الصوم بالطواف بالأسواق في سعي حثيث عن المخبوء لدى التجار من مشهيات الموائد الرمضانية . وأهلونا في الكويت والعراق هلكي جياع ، أنهكهم حصار صارم عنيد شهورا متطاولات . وغابت مأساة الملايين المحاصرين ، في أنس ليالينا الملاح وسهراتنا الترفيفية ، وإن أعيا الدوى الهادر لهوج الأعاصير وصخب الملاهي ، أن يغلب لهاث أطفال رضع وشبهقات احتضار شيوخ مرضى وأنين أمهات حوامل وشبان جرحى .

ومهما تختلف مواقفنا شعوبا وأفرادا وحكومات مما يسمونه (أزمة الخليج) فهل بنا حاجة إلى من يكشف لنا عن الواقع المروع فنذكر أن تحرير الكويت ، اقتضى تدمير الكويت وصولا إلى تدمير العراق ؟ أو هل سقط وعينا بأن الحصار المنهك المضروب على شعب العراق لا يمكن أن يفلت منه شعب الكويت ، إن لم يكن أشد عليه وطأة وأنشد نكرا ؟

(٣)

الخليج على إرسال بعثات طبية لاغثة ضحايا الحرب . وقال إن وفدا من ستة أطباء سافر إلى الأردن لبحث إجراءات سفر بعثات الاغثة التي وافقت الحكومة الاردنية على استقبائها وترتيب شحن كميات من الادوية تبرعت بها شركات الادوية ونقابة الصيادلة ، وشارك في تمويلها المواطنون بتبرعات تودع في حساب لجنة الاغثة بنقابة الاطباء بمصر .

..... ★ ★

وان لي . والاحداث تتدافع متلاطمة ، ان اكف عن متابعة ما لايسمح الوقت بلستقذاره من انباء وصول هذه النجدة من انطار المشرق والمغرب - وليست مراكب حكوماتها من أزمة الخليج سواء - تومض في غواشي النكبة ، فتستبقى ايساننا بضمير الانسان ، وإمكان تساميه على الاحتك والثرات ، وترفعه على العصبيات والمذهبيات المتناحرة والمصالح والأهواء المتناكرة ...

وتتداعى الاحداث والمواقف في الرؤية الثورية ، فاتذكر أول حصار في تاريخ الاسلام ، شدته قريش على المصطفى الهاشمي القرشي ، صلى الله عليه وسلم ، وعلى الذين معه من صحبه المكيين رضي الله عنهم . ومن انحنى إليه من بني هاشم القرشيين ، والامم المصطفى ، وعلم سيرته الاقربين .

القياس مع الفارق البعيد ، بين حصار اليوم لشعبي العراق والكويت ، بأسلحته العصرية المتطورة المدمرة ، وجيشه الكثيف المتربص بالمحاصرين ، وأسواره الصلدة العنيدة ، برا وبحرا وجوا ، يتجاذز أثره الكويت والعراق إلى أطراف عالم اليوم ، مستوى منهم قريب وبعيد ، ظالم ومظلوم ، مستغث ومستغاث به ومستغاث منه ..

وبين حصار كان قبل الهجرة التاريخية ببضع سنين ، في أحد شعاب مكة وهي بلد حرام لا يحل فيها قتل - إلا أن يكون فجارا - لم يطلق فيه نبل ، ولا التحم سيفان ، وإنما اشتدت وطاته بعصبيه القبيلة وأعرانها الصارمة ، في بيئة محكومة بنظام القبيلة ، الحديث غدا بمشيئة الله وعونه ، عن ذلك الحصار الاول في تاريخ الاسلام .

في غواشي النكبة المروعة ، يلوح وميض بقية من رجاء في إنسانيتنا ، إذ تذيع وكالات الأنباء العالمية خبر نجدة من الألبان والغذاء والدواء والأغطية ، تحملها مؤسسة الصليب الأحمر من سويسرا ، وتنوّه بان المبادرة الاولى لهذه النجدة كانت من إيران ، الحكومة والشعب ، بعد حرب ثمانى سنين مع العراق ، يحتاج الانسان إلى مجاهدة صعبة لتجاوز ماتكلت من ضحاياها وما خلفت من عواقبها واثارها وثاراتها ..

وفي النبا المذاع ، أن قرى إيران الغربية على حدود العراق ، كانت أسرع إلى النجدة ، ولعل الحرب الضروس لم تترك دارا فيها دون قتيل أو مشوه أو مفقود ، ولم تمر على بيت لم تخلف فيه أمّا ثكل وصبية يتامى ، ... لعلها لم تدع ذرة من ثراها لم تنضح بدماء القتلى والجرحى ودموع الارامل والثكالى ..

وقد أبطا وصول النجدة الإيرانية إلى العراق ، إذ كان على مؤسسة الهلال الإيرانية أن تستأذن من له الاذن في تنفيذ قرار المقاطعة والرقابة على الحصار ، وأن تبعث بها إلى العراق عبر المنظمة الدولية للصليب الأحمر في سويسرا ، لتكون هي المشرفة على إيصالها وتوزيعها ، فاعلنت عن وصولها في الاسبوع الاول من فبراير - الثالث من شهر رجب - بعد أن مر على المقاطعة والحصار ستة شهور كاملة ، عز فيها الغذاء والماء والدواء والوقود والكساء والغطاء ، في زمهرير شتاء قارس في كهوف المخابىء والملاجىء بين أنقاض الدمار ..

ومع النجدة الإيرانية ، وصلت نجدة من الدماء تطوع بها أبناء المغرب ، ثم نجدة جزائرية أولى بغريق من الاطباء للخدمة في الجبهة الكويتية العراقية ، أعقبته في الاسبوع الثاني من فبراير نجدة ثانية (بغريق من اثنين وثلاثين طبيبا للمساعدة في تشغيل المستشفيات هناك) وأعلن نقيب الاطباء بالجزائر أنهم من المتخصصين في الجراحة والتخدير ، والتجبير ..

بعدها ، في الثالث عشر من فبراير ، نشرت جريدة (الاهالى) خبرا لاحد محرريها ، صرح فيه أحد أعضاء مجلس نقابة الاطباء بمصر ، أن النقابة تنتظر موافقة دول النزاع في حرب

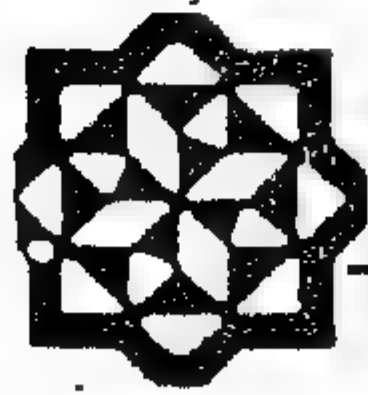
« ربنا آتنا من لدنك رحمة
وهيى لنا من أمرنا رشدا »
صدق الله العظيم

الأهرام المسائي التاريخ : ١٩ / ٣ / ١٩٩١

■ د . بنت الشاطيء :

□ رمضان شهر للتأمل والتفكير □ رحلة الإيمان مع القرآن .. أبدا لتنتهي

في حياتنا العديد من أعلام الفكر والثقافة والأدب والفن ..
لهم في رمضان بصمات على الحياة التي نعيشها ، كل يثرى
جانبا من جوانبها ، ويضفي عليها لمسة من لمسات إبداعاته ،
نتوقف معه لتتعرف على بعض الجوانب التي تشرك معه
القارئ ، في نمط التفكير والإبداع .. وليرى معنا .. هؤلاء
الأعلام كيف يكونون في رمضان ؟



د . بنت الشاطيء

حوار اليوم مع الدكتورة عائشة عبدالرحمن المعروفة بـ « بنت الشاطيء » من اعلام الفكر الاسلامي ، واستاذة التفسير بجامعة القرويين بالضرب وهي تحدثنا عن رمضان في حياتها .

والرحلة ابدا لا تنتهي

• كيف تكون رحلتك مع القرآن في شهر القرآن ؟

• رحلتى مع كتاب الله الكريم لا تنتهى ، ولكننى أحرص على مواصلة الاضافة الى قراءاتى الأخرى في شهر رمضان ، واعتقد أن الذهن في هذا الشهر الهادئ يكون أصفى ، والقلب أكثر خشوعا ، والاستجابة الى معانى الكتاب الكريم أسرع وأقرب .

من هنا فانا استعد قبل شهر رمضان بفترة كافية ، واعتبر أن كتاباتى حول القرآن خلال رمضان علامة مهمة في طريق رحلتى مع القرآن والتي بدأت منذ سنوات وسنوات ، وهي رحلة لا تنتهى ..

الحاضر والماضى

• والاحتفال برمضان زمن .. والان مامى ذكرياتك حوله ؟

• تقول الدكتورة بنت الشاطيء ، كل شيء تغير واحتفال الناس بشهر رمضان اليوم ، يختلف كثيرا عن احتفالهم به في الاسرة .

في الماضي كان التقارب والود بينهم اكبر واوضح ، وكانت تتجلى أجمل صوره حول موائد الافطار والسحور ، واجتماع العائلة بجميع افرادها صورة كانت لا تنكر الا في شهر رمضان وكنا ننتظرها كل عام .

بالنسبة لى - والحديث للدكتورة بنت الشاطيء - لم تكن مشاركة

الناس احتفالاتهم الشعبية متاحة لي نظرا لطبيعة عملي ، ومواصليتي الدرس والبحث التي كانت تستغرق معظم وقتي ، ولكن مناخ التلاقي واللفة الذي يجمع بين المسلمين في شهر رمضان كان يشعرنى بكثير من المعاني الخاصة والجميلة . والتي ربما انعكست بصورة غير مباشرة في اعمالى وكتاباتي حول شهر رمضان . وتضيف الدكتورة عائشة عبد الرحمن بقولها وقد بدا ارتباطي بتعمق أكثر بهذا الشهر الكريم منذ أصبحت اهتم بالقرآن الكريم وتفسيره ، ودائما اطلع لأن تتاح لي فرصة الاحتفال برمضان مع الناس وزيارة اقاربي على الاقل ! ولكن رمضان يشغلني دائما عن رمضان .. اقصد عن الاحتفال به .

شهر مناسب ..

• ما هو برنامجك اليومي خلال رمضان ؟

• برنامجي في رمضان لا يتغير عن الأشهر الأخرى والذي يتغير بالفعل هو شهر شعبان خاصة النصف الأخير منه حيث ابدا في الإعداد لصفحة رمضان « لاهرام » ويستغرق ذلك منى فترة طويلة في تحديد الموضوع المناسب لنشره على حلقات طوال الشهر وهذا عمل شاق جدا ، بالاضافة الى معاناة كتابة ثلاثين حلقة متصلة . فانا اقضى معظم اليوم في الاسابيع القليلة السابقة في كتابة الحلقات الأولى من السلسلة

الرمضانية ولا افضل - اطلاقا - ان تلاحقني المطبعة ولذلك احرص دائما على استكمال كتابة كل الحلقات قبل حلول اليوم الاول من رمضان .

• ماذا تقرأ الدكتورة بنت الشاطيء في رمضان ؟

• بالنسبة لقراءاتي فهي قليلة منذ فترة طويلة ، سواء في شهر رمضان او في غيره ، وان كانت في رمضان تقل الى حد .. ما نظرا لارهاقي وانشغالي بالحلقات التي انشرها يوميا في الأهرام .

- وتستدرك الدكتورة بنت الشاطيء - لكن قراءة القرآن والتراث اكتفها بصورة ما في شهر رمضان لانه شهر مناسب تماما لاستبصار المعاني الخاصة التي يحملها القرآن الكريم ، وكذلك فترات الخشوع والتعبد ، التي اكون حريصة على مواصلة ممارستها باستمرار طوال ليالي رمضان وتضيف : ليس لي طقوس خاصة للقراءة او الكتابة وبرنامج الصوم والافطار والسحور لا يغير كثيرا من الاوقات المفضلة لدى للقراءة والكتابة وان كان عدم الانشغال بالطعام والشراب ، الذي يوفره جو الصيام يساعد على زيادة المساحة المتاحة للتفكير والتأمل فرمضان عندي شهر التأمل الذي انتظره طوال العام .

ويطيش يابن عمه سعيد . فقامت فاطمة لتقله عن زوجها لضربها عمر . وعندئذ قالت هي وزوجها لن تحد وإصرار نعم . قد أسلمنا وأمتنا بالله ورسوله . فاصنع ما بدا لك . قال عمر لأخته ما خوذا بهذا الإيهام أه طيني هذه الصخيفة التي سمعتمكم تفرعون مذبها . أنظر ماذا جاء به محمد . فابت عليه أن يذهبها حتى تظهر . وقرأها عمر فبدأ عليه الخشوع وقال : ما أحسن هذا الكلام وأجره .

وخرج لمضى إلى الصفا فباع النبي صلى الله عليه وسلم . وكبر المسلمون تكبيرة عرفت منها قريش أن عمر قد أسلم . وانطلق . فأتى مجلسه قرب الكعبة مجاهرا بإسلامه . لا يبالون وكان السبلون إلى الإسلام قبله أربعين .

ونفذ صبر قريش . فكان الحصار والمقاطعة محاولة متاخرة . مرجوة لأن تكون جولة حاسمة في الصراع المريب بين الجبهة القرشية المفترة بكثرتها وسادتها .

وبين الفلة المسلمة العزلاء إلا من إيمانها . ولاحت النذر بالحصار . فدعا أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم . عشيته الهاشميين . إلى القيام في نصرة ابن أخيه ومنعه . فاستجابوا له جميعا . سوى أخيه أبي لبيب . عبد العزى بن عبد المطلب .

ولدار الندوة أجمعت قريش أمرها على أن تفرض على المسلمين . ومن انحاز إليهم من الهاشميين حصارا اقتصاديا واجتماعيا لا يرحم . وتعاهدوا على مقاطعتهم لا يتكحونهم ولا يتكحون إليهم . وزيبيعونهم ولا يبتاعون منهم . وسجلوا حلف المقاطعة في صحيفة علقوها في جوف الكعبة . توثيقا لها وتوكيدا على أنفسهم بالتزامها .

عندئذ انحاز النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه وعشيرته إلى شعب أبي طالب بظواهر مكة لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا . وأقام المشركون من قريش على ذلك الحصار المشنوم ثلاث سنين . لقي المحاصرون فيها من نهب المقاطعة مالا يحتمل . وميل ببنيهم وبين الطعام والكساء لا يشترونه من التجار الوافدين على أسواق مكة . فربما خرج أحد المحاصرين إلى سوق مكة يلتمس قوتها يشتريه لعياله . فيقوم . أبو لبيب . ويصيح بالتجار . غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا مما معكم شيئا . وقد علمتم مال

وولاءه نعتي . أيزيد الذجار ثمن السلعة أضحانا مخساة . ويرجع أصحاب محمد . صلى الله عليه وسلم . إلى أديانهم بغيرهم . وليس بأيديهم من الذوات ما يسد رميهم .

وبلغ منهم الجوع مبلغا لم يلقه . سعد بن أبي وقاص الزمري . رضي الله عنه . بعد سنين من البلاء بالحصار . لاند جعت حتى إنني ولدت ذات ليلة بلدي شيئا رابعا فرضعته في أمي . وبلعته . وما أدري ما هو إلى الآن . وكانت النوبة ربما ولدت لأثنين منهم يلتصقانها ليتكون أحظاها من راحة النواة في لمة . بلوكها بأكية يومه . وإنما كان طعامهم مما ترعى الأبل من عشب الصحراء وورق السمر . وما قد ينسلل به إليهم من الشعب . ذوق المروءة والفجدة خفية عن قومهم السافدين على إحكام الحصار والرقابة على تنابذ قرار المقاطعة .

روى . ابن إسحاق . في السيرة النبوية . أن أبا جيل الحكم بن هشام المخزومي الأسدي . حكيه بن حزام بن خويلد الأسدي . معه عنه يحمل أمجا يريد به عمته السيدة خديجة بنت خويلد . أم المؤمنين الأولى رضي الله عنها . مع زوجها المصطفى عليه الصلاة والسلام في شعب أبي طالب . فتعنى به أبو جيل وقال .

— أتذهب بالدرع إلى بني هاشم ؟ والله لأنسرح أنت وطعامك حتى أغضحك بمكة . ولعجبنا ثالث من بني أسد — في الجديفة القرشية — فجاء يسأل أبا جيل . مالك وله . رد أبو جيل . يحمل النعماء إلى بني هاشم . نقل له . وما ل هذا ؟ طعامك لعمة عمده . بعثت إليه فيه . أفنعمه أن يسألهما بطلعهما ؟ خل سبيل الرجل . لم يرض أبو جيل . وتنادوا وضرب الأسدي أبا جيل ووطنه ووطنه شديدا . . . وحمرة بني عبد المطلب بن هاشم رضي الله عنه قريب منها يرقب المشادة بينهما ويناقض للبحث بسائر جيل . وهم يكومون مع هذا أن يبلغ مثل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأصحابه .

✱ ✱ ✱

ذلك قد كان صبر المحاصرين على جيل البلاء وبك الحصار . فكيف كان صبر المشركين من قريش على ما يلقي أطولهم من ودانة المقاطعة . الحديث بقية ثاني . والله المستعان .

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ
وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ
وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ
إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ»

د. عائشة عبد الرحمن
بنيت الشياطين

بسم الله الرحمن الرحيم

الدين بين ليل ونهار

لئن كان المسلمون الأولون صبروا على بلاء الحصار والمقاطعة ،
لقد صبروا على ما هو أشد وأقسى مما أمتحنهم الله تعالى به ،
تمحيصاً لقلوبهم .

ولا يذكر تاريخ عصر المبعث ، فيما نعلم ، أن أحدا ممن
حاصرتهم قريش إنفاذاً لوثيقة المقاطعة قد حاول الإفلات من نهبك
الحصار والرجوع إلى داره بمكة ، وليست منهم بعيد ولا كان هناك
حول المحاصرين في شعب أبي طالب مخافر مسلحة وأسوار مانعة
على نحو ما نرى اليوم من الحصار المسلح برا وبحرا وجوا ،
بالمدافع والدبابات ، والبوارج والغواصات ، وقاذفات الهلاك
والدمار ، وراجمات الصواريخ ..

الحواجز والموانع في الحصار الأول . كانت رقابة صارمة من
مشركي قريش الساهرين على احكام الحصار ،

(٢)

فكيف كان صبر قريش على ما لقي أهلوهم وذوو أرحامهم من جهد
الحصار ووطاة المقاطعة ثلاث سنين شداد ؟
لم يكن الأمر هينا على ذوي المروءة والنجدة منهم . لقد ساءروا
قومهم نزولا على أعراف القبيلة ، وما كانوا يظنون أن الأمر بالغ ما بلغ من
القسوة ، فاما إذا تجاوز المدى فما حيلة الفرد منهم تجاه قرار الجماعة ؟
وسكتوا على مضض ، حتى ضاق أحدهم بالموقف الصعب فقام يسعي في
نقض الصحيفة ، فتهوى الحصار بين ليل ونهار .
ذلك الرجل هو « هشام بن عمرو بن ربيعة
بن الحارث العامري » روى ابن اسحاق في
(حديث نقض الصحيفة بالسيرة النبوية)
أن أحدا لم يكن أحسن بلاء منه في نقضها .
وكانت تربطه ببني هاشم صلة رحم فابوه
عمرو أخو نضلة بن هاشم لأمه .. وكان هشام
ذا شرف في قومه . وقد دأب طوال سنوات
الحصار الثلاث على نجدة المحاصرين في
الشعبة ، فكان يأتي ليلا بالبعير قد أوتى به
طعاما حتى إذا بلغ به مدخل الشعب خلع
خطامه ثم ضرب على جنبه فيدخل الشعب
عليهم بما يحمل ، ثم يرجع إلى هشام ، ليعود به
محملا بالطعام والثياب ، مرة بعد أخرى .
فلما طال البلاء ، مشى هشام بن ربيعة إلى
زهير بن أبي أمية .. بن المغيرة المخزومي -
أمه عاتكة بنت عبد المطلب عمه المصطفى
صلى الله عليه وسلم - فقال له :
- يا زهير ، أقدر ضيقت أن تاكل الطعام
وتلبس الثياب وتنكح النساء ، وأخوالك
حيث علمت : لا يباعون ولا يبتاع منهم ولا
ينكحون ولا ينكح إليهم ؟ أما إنني لأخلف بالله
أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام - هو
أبو جهل - ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه
منهم ، ما أجابك أبدا .
ففكر زهير مليا ثم قال :
- ويحك يا هشام ، فماذا أصنع ؟ إنما أنا
رجل واحد ، والله لو كان معي رجل آخر لقميت
في نقض الصحيفة حتى أنقضها ،
قال هشام : قد وجدت رجلا . فسأله زهير :
من هو ؟ قال : أنا . فقال زهير : ابغنا رجلا

(٣)

ثالثا فذهب هشام إلى "المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف القرشي ، من أشرافهم ، فقال له :

« يا مطعم ، أقدر رضىيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف - بنو هاشم وبنو عبد المطلب - وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه ؟ أما والله لئن أمكنتموه من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعا . »

فكان جواب مطعم كجواب زهير . ومضى هشام يبغي رجلا رابعا ، فذهب إلى ابي البختری الأسدي - من عشيرة السيدة خديجة رضى الله عنها - فحدثه بمثل ما حدث به صاحبيه زهير ومطعما . فسأله أبو البختری : « هل أجد من يعين على هذا ؟ ذكر له هشام نفسه وصاحبيه ، فطلب اليه أن يبغي رجلا خامسا ، فذهب هشام إلى « زمعة بن الأسود بن عبد المطلب » فكلمه في بنى هاشم وذكر له قربانهم منه وحققهم عليه فأجاب زمعة .

وتواعد الخمسة على اللقاء ليلا بخطم الحجون - بأعلى مكة - وهناك أجمعوا أمرهم وتعاهدوا على القيام في نقض الصحيفة

الظالمة . واتفقوا على أن يكون « زهير بن أبي أمية المخزومي » أول من يجاهر في مجتسع قريش برفض الصحيفة . فلما أصبحوا غدوا إلى أدينتهم بالحرم ، وغدا زهير عليه حلة ، فطاف بالبيت العتيق سبعاتم أقبل على الناس فقال :

« يا أهل مكة : أتناكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكي لا يباع لهم ولا يبتاع منهم ؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة ، رد عليه أبو جهل بن هشام المخزومي : كذبت ، والله لا تشق . فجاءه صوت زمعة بن الأسود ، قال

- أنت والله أكذب ، ما رضىينا كتابتها حيث كتبت وأعقبه « أبو البختری » قائلا . - صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به وأيدهما مطعم بن عدى :

- صدقتما ، وكذب من قال غير ذلك . وأنا نبرا إلى الله منها ومما كتب فيها .

وتكلم هشام بن عمرو العامري فقال نحو ما قالوا . عندئذ نقل أبو جهل عينيه بين هؤلاء الرجال الخمسة ، ثم صاح مستريبا :

- هذا أمر قضي فيه بليل تشور فيه بغير هذا المكان .

فلم يلقوا إليه بالآواقام المطعم ، على مرأى من القوم فانتزع الصحيفة من مكانها في الكعبة لكي يشقها ، فإذا بالأرضة قد أكلتها لم تترك منها سوى : (باسمك اللهم) ! وجمت قريش ، ونهض أبو طالب بن

عبد المطلب الهاشمي فطاف بالبيت العتيق وأنطلق ساعيا إلى من في الشعب بالبشرى ، وقد ذكر وهو في طريقه من البيت العتيق بنيه وذويه مهاجرة الحبشة ، فهتف يناجيهم منشدا ، وهو يرجو أن يبلغهم هناك من رجع نشيده :

ألا هل أتى بحرينا صنع ربنا
على نايهم والله بالناس أروء
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت
وأن كل ما لم يرضه الله مفسد

جزى الله رهطا بالحجون تتابعوا
على ما ، يؤدى لحزم وبرشد
قعودا لدى هذا الحجون كائهم
مقابلة ، بل هم أعز وأسند
قضوا ما قضوا في نيلهم ثم أصبحوا
على ميل ، إذ سائر الناس رند

وبلغ صوته كل الحاضرين في الشعب فليلوا للبشرى وكبروا وسعوا إلى البيت العتيق فطافوا به ملبين حاسدين شاكرين لله تعالى أنعمه ، ثم أبوا إلى دورهم في أم القرى ، والاتفاق تتجاوب بأصداء نقض صحيفة المقاطعة وأنبيار الحصار .

وبانت تريش على جدر مسجدة بالذئ ، كان لم تغتباد لآله ولا ارتأيت في أن لهذا الموقف ما بعده .

الصحيفة الممزقة ، كانت الأرضة قد ماتت فيها وطمسها ، لم يبق من عهد المقاطعة سوى : باسمك اللهم .

والرجال الخمسة الذين قاموا في نقضها كانوا جميعا وقتلوا من الجبهة القرشية وقد بهت زعماء قومهم فما استطاعوا لها أن كان دفعوا .

قد يستنكف عسريون منا انتحل بذلك الموقف الانساني النبيل لرجال مكين في عصر بدابة ، فنذكر أنفسنا أمة القرآن - مرجوون لأن نبرأ من بلاد الحس بما نتلو من آيات الله تعالى في لجنة قسوة القلوب ، وما نحفظ من صحيح الحديث المتفق عليه عن نبينا صلى الله عليه وسلم قال :

(عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار ، لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها ، ولا هي تركتها تاكل من خشايش الأرض .)

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وزب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .
صدق الله العظيم

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
فَطَرَّتِ اللَّهُ آتَى فِطْرَ النَّاسِ
عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِطَبِئَتِ اللَّهِ
ذَلِكَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا
النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ »

الحمد لله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن
بنسبة الشهابية

الدين والإنسان في موازين القوى

فيما يشهد زماننا من التفوق الحاسم للسلاح الحربي الحديث
يرسخ في عقولنا وبصائرنا انتصار الآلة الحربية - بأسلحتها
الرهيبية المتطورة وأجهزتها العلمية الباهرة - على الإنسان
ويساورنا الريب فيما يحتمل أن يبقى لهذا الإنسان في موازين القوى
بعد تسخير التفوق العلمي والتكنولوجي المذهل لكسر الأنسار
وأجهاض الحياة
ولعل من عبر (حرب الخليج وعاصفة الصحراء) أنها ذكرت
الغافلين منا بفاجعة هروشيما التي غابت اصداؤها زمانا وطمس
معالمها من ذاكرة عصرنا الحديث وإن لم تغب عن ذاكرة الإنسان فيه
يسجل شهود العصر :

نحن جيل ولد أباًؤد على دوى مدافع البوارج الحربية تدك قسلاً
الصين بأقصى المشرق ، في حرب الأفيون القذرة ..
وكتب شاهد العصر المؤرخ الفرنسي العلامة جوستاف لوبون
سياق عرضه لوحشية تمدن الغربيين مقارنة بحضارة العرب
والشرق الاسلامى .

[وستكون قصة علاقة أوروبا المتمدنة بالصين في القرن التاسع
عشر من أسوأ الصفحات في تاريخ مدنيتنا وقد يدعى احفادنا ذات
يوم للتكفير عنها بثمن غال ، وكيف يفكر في المستقبل في امر حرب
الأفيون الدامية التي اكبره الانجليز فيها - لحساب تجارهم
اليهود - بلاد الصين بقوة المدافع على ادخال السم القاتل السدى
ارادت حكومتها تحريمه لماراعها من اخطاره ، حقا ان فائدة انكلترا

من تجارة الأفيون مائة وخمسون مليوناً من
الجنهيات كل سنة . ولكن عدد الوفيات من
الشعب الصينى بسبب تعاطى الأفيون .
ستمائة الف ضحية في احصاءات الدكتور
كريستليب - في كتابه عن الجنس البشرى -
وهنا نسال : اليس من الحق ان يعلم
الصينيون ابناءهم وصف الغربيين
بالمتموحشين بعد ما راوه من حرب الأفيون
القذرة الطاحنة وما انتهت اليه من اسباحة
تجارته قسراً ؟ لا يكون جواب الشعب الصينى
على المبشرين الانكليز عندما يحاولون
تنصيرهم الا أن يقولوا : يا للعجب !
تكرهوننا على السم للقضاء علينا ثم ثاتوننا
لتعلمونا الفضيلة ؟]

ولم يدرك الاستاذ جوستاف لوبون ما
ادركه جيلنا الذى ولد على دوى انفجار القنبلة
الذرية في تجربتها الاولى على اهل هيروشيما
ونجازاكي ، تقتل الحياة لتقلب موازين القوى
وترد على انتصار اليابان على الامريكان في
(موقعه بيرل هاربر) بهزيمتهم الساحقة
بقنبلة امريكانية واحدة دمرت مدينتين
كاملتين واغتالت من السكان المدنيين
عشرات الوف في ثوان معدودات كلمح
البصر .

واكتهلنا على الاجتياح الصهيونى لارض
الرسالات بوطاة قرصان وجبروت منتصر
واصرار جهير على ان يكون له من وطننا ارض
الميعاد من النيل الى الفرات

وجاءت الطامة الكبرى في حرب الخليج

باسلحتها المروء المتطورة تجرى تجاربها
على شعوب المنحة من شتى الجبهات
ومختلف الموان ومتفاوت المقاصد
والمارب ، لتقرر اصدار التفوق التكنولوجى
المذهل على انصارنا الزمان ..

على مسار التاريخ الطويل لم ينقطع تطور الأسلحة وتغير الأوضاع وتقلب الدول والنظم . والانسان يخوض معاركه الباسلة ضد الطغوت مسلحا بما يحمل من امانة الانسان . وشهد التاريخ كتاب الفتح الاسلامية تقهر في اقل من نصف قرن جيوش الاكاسرة والقيصرة والاباطرة وكانوا الاقوى عدة وسلاحا والاكثر عددا ، كما شهد جند الاسلام يغلبون عساكر الصليبيين وجحافل التتار وكانوا الاقوى عدة وسلاحا وعددا .

وبالانسان خاضت شعوب الشرق الكبير معارك التحرير الظافرة بارادة الوجود الحرب .

ولم تكن الاقل عددا وسلاحا حين ضاعت الاندلس ودالت دولتنا الكبرى التي رفع قواعدها اباؤنا الاميون وصرنا الى ما نحن فيه .

★ ★ ★

بما اتدبر من آيات الله في فطرة الانسان وثبات السنن الالهية ، امعن البصر في واقع الانسان والتاريخ فاوقن بان الانسان كان وسيظل ابدا العامل في صراع البقاء وتحديات الوجود والمصير . فالامة لا تحقق امانتها الصعبة في تحقيق وجودها الحر الكريم الا بمقدار ما تملك من رصيد ذخيرتها البشرية قيمة ونوعا ، وان بدا في ظاهر الرؤية المهترئة بدوار الاعصار ان سباق التقدم والنصر محكوم باسباب القوى المادية والتفوق التقني ، وان صراع البقاء يحكمه فهمنا السطحي الساذج لمنطق شاعرنا العباسي « ابي تمام » في قصيدته البائية المشهورة يوم فتح « المعتصم بالله بن هارون الرشيد » مدينة عمورية « وكسر عسكر الروم ، وكانت كتبهم تاتيه منذرة بالهزيمة لو سار الى عمورية والفصل شتاء تلجى قارس البرد ، وتنبأ المنجمون - من رصدهم لمواقع النجوم ومنازل ابراج الكواكب - بصدق ما انذرت به كتب الروم فقال ابو تمام يزف الى امة الاسلام نصر امير المؤمنين السيف اصدق انباء من كتب ..

في حدة الحد بين الجد واللعب نردد البيت والقصيدة وقد غاب عنا ان السيف هنا سيف المعتصم لا مجرد سيف ولا اى سيف . بل غاب عنا من منطق ابي تمام انه كان مع جند المعتصم يجاهد بشعره ويحدو الجند بحماسيته بالتفهوين من نبوءة المنجمين بصدق ما انذرت به كتب الروم .

وينفى الشاعر المجاهد ، خلل الموازين لموضع (الدين والانسان) في موازين القوى يوم عمورية :

في غفلة عن الربع الفكرى الذى لبث على المدى الطويل ينثى صدمات للسوغى من سموم الاسرائيليات وذرائعها الماكرة والمتطورة تلو عقليتنا بخليط من الخرافات الشابة والعلمانيات الفجة والمادية اللاحاد المشوهة ، لتعيد بها صياغة فكرنا الذى صياغة شائثة ملوثة بجراثيم فقدان الناعة المكتسبة من دين الفطرة .

ومن الموقع الفرى اطل على وجود امتنا في رؤية مستوعبة للعاد المترامية بين ماض وحاضر فابصر مرموضع الانسان في موازين القوى ما يبقى على يمانى بفاعليته المؤثرة في حركة التاريخ ومحائر الامم والحضارات . ويحضرني ممعلمت من سلفنا الصالح شيوخ المدرسة اسلامية ، تعريف الحافظ المؤرخ « شمس الدين السخاوى المصرى » لعلم التاريخ بـ موضوعه (الانسان

والزمان) فيأخذني من حسه المرهف تقديمه (الانسان) في هذا التعريف ايماء الى كونه الذى يصنع التاريخ ماضيه وحاضره واتيه .. بمشيئة الله تعالى التى لا تتعلق بنقض سننه الثابتة في الكون والجماعات .. وتفصلنا عن الحافظ السخاوى خمسة قرون مشحونة بعطائم الامور وتقلب الايام والليالي ولا يزال لغزها لموضوع علم التاريخ يصدق على الانسان في زماننا :

ولست في تقديرى لموضع الانسان في حركة التاريخ وموازين القوى اغض من خطر العوامل المادية والاقتصادية والتفوق التقنى والاسلحة الحربية التقليدية والمتطورة ، ولكن اعلم ان الانسان هو الذى يبدع الحضارة ويكشف المجهول من خواص العناصر ومجاهل الكون والفضاء وهو الذى يخترع الآلات ويصمم الاجهزة اذ لا مجال لفاعلية اى سلاح تقليدى او متطور بغير الانسان ، ولا تغدو الاجهزة العصرية ان تكون الات صماء لان الانسان هو الذى يديرها ويحركها وهو الذى يوجه العقول الالكترونية والريتمية ويتحكم في الكهرياء والاثير والليزر ، ويعجزو الفضاء ويرتاد الاجرام الفلكية في مسابحها النائية ..

والانسان هو الذى يسخر التفوق العلمى المذهل لخير الانسانية ونفع الناس ، او يسخره على غير وجهته وطبيعته لتحقيق مارب شيطانية ، ينتشيا بشهوة التدمير ومرض العظمة وخموج مارد قرصان ..

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«إِنَّ شَرَّ آيَاتِ
عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُ
الْبُكْمُ الَّذِينَ
لَا يَعْقِلُونَ»

صدق الله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن
بنيت الشافعي

الدين
والإنسان

وهذا الإنسان وشريعة الفأب

كلما اشتد بنا البلاء واجهدنا ما تكابد من وطأة المحن وفواح
الكروب ، تلوث في خشوع كلمات الله عز وجل في (سورة محمد)
عليه الصلاة والسلام .

(فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم .
أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم . أفلا يتدبرون
القرآن أم على قلوب أفاها) ولذت بتدبر آيات الخالق في الإنسان
والتاريخ ، في دين الفطرة وفي واقعنا المشهود ..

التاريخ : ٢٣ / ٣ / ١٩٩١

(٢)

وتشغلني قضايا الانسان ، لكثرة ما نسمع في غواشي الحرب المدمرة من شعارات القيم الانسانية والاعتبارات الانسانية ، فيما نسمع ونشهد في حصاد رحاها ومجازرها ، من أشلاء البشر وأنقاض الدمار ، فيتساعل ابتائونا في إنكار وسخط : أين هذه الانسانية في زمان محكوم بشريعة الغلب ؟

و استبعد - ابتداء - تشبيه فوضى الاوضاع الهمجية والموازن المختلة ، بحكم شريعة الغلب . ولا أخوض فيما لا أدري من علم الحيوان وأنواعه وفصائله ، لكنني تعلمت من آيات الله في دين الفطرة ، أن كل نوع وفصيلة محكوم بسنن ثابتة لا تختل ولا تنتقض ، وأطمع في أن اتحصن بآيات الله تعالى من فقدان المتساعة العقلية الذي فشا في زماننا هذا ، فأتلو ما يضربه الخالق عز وجل من الامثال لقوم يعقلون ، وما يفصله من آيات القدرة الالهية ، مالا يعمى عنه ذوو الابصار .

منها في سياق التذكير بنعم الخالق على العباد و آيات قدرته ، قوله عز وجل :

(و أوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فامسلكي سبل ربك ذللاً ، يخرج من بطونها شراب مختلف السوانه فيه شفاء للناس . إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ...)
ومن آيات الامثال قوله تعالى :

(يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له . إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبلاً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف المطالب والمطلوب .)

وهذه الامثال والآيات ، وامثالها معها ، مما يدركه الانسان بفطرته السليمة ، لا يحتاج فيه بالضرورة إلى دراسة علم الحيوان ، وليست مفروضة على المسلمين كافة ، ولا هي مما يتاح للناس جميعاً في كل زمان ومكان .. والمثل القرآني مضروب للناس جميعاً ..

(٣)

وبما نشهد في الواقع المدرك بالخطرة السوية ، نعلم بالضرورة انه لا يصح في شريعة الغاب أن الضئيع - فضلا عن الصرصار - يتناول إلى مكانة الأسد ، وأن البغل يلد حضانا ، وأن الصرصار يخرج عن طبيعته ويعيش في البحر لينتمى إلى الحيتان ، وأن يتناول الغراب إلى مملكة النسور .

ولم نسمع بذياب لحق بخلايا النحل ، ولا قملة ، اندسبت في مملكة النمل ، ولا عنكبوت نسجت حريرا .

ولا يحتاج الانسان الى دراية بعلم الاصوات ليعتبر بآية لقمان في تحقيق الاصوات المنكرة :

(ولا تصغر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا ، إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد في مشيك واغضض من صوتك ، إن أنكر الاصوات لصوت الحمير .)

كما لا يحتاج الى من يعلمه العبرة من المثل القرآني بالحمار يحمل أسفارا :

(مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) الآية

ولا يحتاج ، لكي يعتبر باستحالة ولوج الجمل في سم الخياط ، إلا أن يسأل طالب علم في الولوج بمعنى الدخول ، والسم بفتح السين الثقب ، والخياط . على وزن سراج الآية : الأبرة تخط . والآية :

(إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين .)

.....

على هذه النواميس الثابتة تجري الأديان فيما نطلق عليه (شريعة الغاب) على سنان الحيوان بمختلف أجناسه وأنواعه وفصائله . والاميون من امتنا لا يحتاجون إلى علم العربية في دلالات صيغها القياسية لاصوات الحيوان : زئير الأسد وعواء الذئب ، وصهيل الخيل ونهيق الحمير ، وخوار الثيران ونباح الكلاب ، ومواء القطط ونقيق الضفادع ، وزقزقة العصافير ونعيق الغراب ، ونوح الحمام ونعيق البوم ..

ثم يستطرد المفسر العصري فيكشف لنا
من علمه بديناميكا الصلب والحرير :

[الحقيقة العلمية ، وهي أن خيط
العنكبوت أقوى من مثيله من الصلب ثلاث
مرات ، وأقوى من بيت الحرير وأكثر
مرونة] ..

هذا (اللهم العصري للقران) مما لا
نعلمه يصح في عقل ولادين .. بل إنه لا يصح
كذلك في وصف همجية زماننا واختلال موازينه
بشريعة الغاب ، وإنما هو من المسخ المعطل
لعقلية الانسان ، يهبط ببشريته الى ما دون
وحوش الغاب المحكومة بسنن الفطرة
وهدي الغريزة ، فيصدق على المسوخ قوله
تعالى في تعطيل العقل والبصر والوعي :

(إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا
يعقلون) وقوله عز وجل :

(لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا
يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها ،
أولئك كالأنعام بل هم اضل : أولئك هم
الغافلون)

.....
(وتلك الامثال نضربها للناس
وما يعقلها إلا العالمون)
صدق الله العظيم .

ويعرف من له أدنى حس بالعربية أن
تأنيث العنكبوت ، والنحلة والذئبة

والبعوضة والذباب ، ليس تأنيثا بيولوجيا
مما يدرس في علم الأحياء ، بل هو تأنيث
لغوي يستوي في الواحد من نوعه ، المؤنث
والذكر .

كما يعني تماما ، مضرب المثل القراني
ببيت العنكبوت لأوهن البيوت في آية
العنكبوت :

(مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل
العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت
لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون)

الذي نعجز عن فهمه ، ما جاعنا به مفسر
عصري للقران من علمه [بالحقائق
البيولوجية المذهلة : أن القران إذ يقول
(كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) فذلك من
الإعجاز العلمي لأن العلم كشف مؤخرا أن
أنثى العنكبوت هي التي تنسج البيت وليس
الذكر ، وهي حقيقة بيولوجية لم تكن معلومة
أيام نزول القران]

فهل كشف علمه بالبيولوجيا ، عن اسم
العنكبوت الذكر

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ
الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ
يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا
كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا
كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ »

صلى الله عليه وسلم

د. عائشة عبد الرحمن
بنسبة الشاطيء

الدين والإنسان هذا الإنسان ، وبشرية الرسل

لا يكاد يوم يمضي دون أن نسمع عن الضمير الإنساني المرجو لأن
يحتكم إليه شهود العصر ، وأبناؤنا يتساءلون في عجب ومرارة :
أين هذا الضمير فيما نزل بنا من كوارث ، و آلة الحرب تدور فينا
ساحقة مدمرة ، كأنها موكلة بقتل الحياة وتدمير كل رصيد الإنسانية
من قيم أخلاقية ومعالم حضارية ؟
ويوشك هذا الملحظ أن ينسينا ما صنعت أهوال الحروب
بالإنسان من قديم الزمان وعلى مر الدهور والحقاب ، وإن تكن التها
الجهنمية تطورت لتصير أشد تدميرا وأسرع فتكا وأضرى ، وأقوى
فعالية في قتل الحياة وإبادة الشعوب : فلئن كانت أهوال الحروب
الصليبية وحروب التتار سابقة على زماننا ، إن يوم هيروشيما
ونجازاكي ، وخامس يونيو المشؤم ، ليس منا ببعيد .

(٢)

والانسان هو صانع الالة الحربية أمس واليوم ، وهو الذى قتل
الحياة فى هيروشيما و نجازاكي ، ويقتلها اليوم فى شرقنا الاوسط ،
والادنى والاقصى ، لم تنقض فواجع ماسيه وأهوال الاله الجهنمية ،

★ ★

تعريف شيوخنا موضوع التاريخ بانه (الانسان والزمان)
فما يكون هذا الانسان الذى نستفزع جرائمه إذ يجهر علانية بانه
يجرب فى شعوبنا مكتشفاته ومخترعاته من الات الحرب الساحقة ،
فى زمان يحتفل كل عام بتقديم جائزة العالم السويدى « نوبل »
للسلام تكفيرا عن أهوال الديناميت ؟

إن هذا الاحتفال السنوى المشهود بجائزة نوبل العالمية
للسلام ، يشبه أن يكون فيه ملحظ سخرية
بالمشاعر الانسانية والضحك من الشعور
بوقع الندم على ضمير الانسان ، إلا أن يكون
الانسان قد تحول ببطء عن طبيعته وتبدل
خلقا جديدا غير الذى كان .

هل كان فى وقت ما من الملائكة وهو اليوم
أقرب إلى جبلة الشياطين ؟ سنظل فى حيرة من
أمر هذا الانسان ، ما لم نحدد دلالات الالفاظ ،
وإذ أتناول قضايا الدين والانسان بلسان
العربية وبها نزل كتاب ديننا ، ألتفت الى أن
الانسان اسم جنس دال على الجمع ، ولا مفرد
له من لفظه ، فيدل على المفرد وعلى المثنى
والجمع ، كما يدخل فيه المذكر والمؤنث .

وبهذا جرى البيان القرآنى فى الانسان حيث
جاء فى آياته الخمس والستين ، منها أربع
وستون للانسان معرفا بحرف (ال) لعموم
الجنس ، وجاء مرة واحدة نكرة ، مضافا الى
(كل) فافاد العموم . وذلك فى آية الاسراء فى
مسئولية الانسان :

(وكل إنسان الزمناء طائره فى
عنقه ونخرج له يوم القيامة
كتابا يلقيه منشورا اقرأ كتابك
كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا)

★ ★ ★

واشتقاق الانسان من مادة (أن س)
بدلالاتها على الانسية فى سائر صيغها : الانس

(٣)

والانسان بشر لا ريب في بشريته بحكم بنوينا جميعا لأدم ، عليه السلام ، على تفاوت أشخاصنا وذواتنا وأنماط شخصياتنا واختلاف ألواننا ودرجاتنا ، يستوى في هذه الادمية الرجال والأطفال ذكورا وإناثا ، العاقل منا والمجنون ، العالم والجاهل ، التقى والفاجر ، المؤمن والكافر .

وبهذه الدلالة على البشرية الادمية ، التي تاكل الطعام وتمشي في الأسواق وتجوز عليها أعراض البشرية ، ورد لفظ (البشر) اسم جنس ، في خمسة وثلاثين موضعا من القرآن الكريم ، منها خمسة وعشرون موضعا في بشرية الرسل الأنبياء عليهم السلام ، مع النص على المماثلة لسائر البشر فيما هو من ظواهر البشرية وأعراضها .

وفي بشرية الرسل جادل الكفار من أقوام الرسل جميعا :

(ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون . لاهية قلوبهم ، وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفأتاتون السحرو أنتم تبصرون) ؟ !

قالوها جميعا ، من كفار قوم نوح ، أو الرسل عليهم السلام ، (فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا ..) الآية

إلى المشركين من قوم خاتم الرسل عليهم السلام :

(وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا .) ورد عليهم رسلهم بالإقرار ببشريتهم : (قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) الآية

ولا يستوى البشر والانسان ، كما لا يستوى الانس والانسان إذ ليس مناط إنسانيته مجرد كونه من الانس كعمامة جنسه ، ولا مجرد كونه بشرا كعمامة بني آدم ، وإنما الإنسانية فيه خواص مؤهلة لا استخلافه في الأرض ، مهينة للقدرة على حمل أمانة الانسان الصعبة .

(والعصر . إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)
صدق الله العظيم

والانس والايانس والاستئناس .. نقيض الوحشية والتوحش والايحشاش والاستيحاش .. فالانسان إنس ، بجامع هذا الملحظ الدلالي المشترك ، من الانسية غير الوحشية . فهل الانسان والانس سواء ؟

في تعريفهما بكتاب (مفردات القرآن) :
الانس خلاف الجن ، والانس - بضم الهمزة - خلاف النفور . والانسان : قيل سمي بذلك لأنه خلقته لا قوام لها إلا بالانس بعضهم إلى بعض ، ولذلك قيل : الانسان مدني بالطبع من حيث أنه لا قوام لبعضهم إلا ببعض ..

قلت : لكن هذا التعريف باجتماعية الانسان بطبعه ، يصدق على الانسان والانس كليهما ، فهل يستويان ؟ القاعدة في الاشتقاق أن التريية تغاير في الصيغ المتعددة من المادة الواحدة لفروق الدلالات ، وذلك ما يجلو لنا القرآن الكريم باجلى بيان : لفظ (الانس) يأتي مقابلا للجن ، في كل

آيات الانس وعددها ثمانون عشرة آية .. وملحظ الانسية هنا ، بما نعني من عدم التوحش ، هو المفهوم صراحة من مقابلتها بالجن في دلالتها أصلا على الخفاء ، وهو من مظاهر التوحش . وبهذه الانسية يتميز جنسنا عن أجناس أخرى خفية مجهولة لا تنتمي إلينا ولا تحيا حياتنا ..

وليس من الضروري أن يقتصر مفهوم الجن على ما ألفنا إطلاقه على الأشباح التي لا تظهر إلا في تهاويل الظلمة والصورات الوهم ، وإنما يتسع اللفظ - بدلالة الأصلية على الخفاء ، وبمقابلته بالانس - لآي جنس غير بشري يعيش في عوالم غير منظورة ولا مدركة ، وراء عالمنا الذي نعيش فيه نحن الانس ، ولا يخضع للسفن والنواميس التي نخضع لها ، والتي توجه حياتنا وتحكمها . وبهذا المدلول الرحب تلحق شبهة الخرافة عن الجن في المفهوم الاسلامي ، نصدق بها سماعا ولا نحيا حياتها ، إذا قدرنا أن علم الأجناس لا ينفي احتمال وجود أجناس غيرنا تعيش في عوالم خفية عنا كالكوكب وأعماق البحار .

وأما الانسان فليس مناط إنسانيته مجرد كونه إنسا ، اجتماعيا بطبعه ، بل بخواص الإنسانية وما يحمل الانسان من أمانتها الصعبة :

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا
إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ
اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۚ قُلْ لَوْ كَانَ
فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُمِشُّونَ
مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ
السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ۚ »

بسم الله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن
بنسبت الشافعي

الدين والانسان لسنا ملائكة وما ينبغي لنا أن نكون

يكثر في زماننا ان نفتقد البشر الملائكة في غواشي مانحن فيه من
محن وبلاء . ولسنا ملائكة وما ينبغي لنا ان نكون .. بهذا قضت
مشيئة الله فينا ، لانحن منهم في طبيعة جبلتنا ونواميس حياتنا
، ولا لنا طهرهم وطاعتهم « لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون »
ولم يغض ذلك عند الله تعالى من انسانيتنا ، ولا اسقط
اهليتها للخلافة في الارض .
من قبل استخلاف ابينا آدم ، الانسان الاول ، كان اعلام
الخالق به في الملائكة ، ايذانا بان البشرية شارفت مرحلة الرشد
المؤهلة للخلافة في الارض ، وادراك خطر حرمتها وعظم
تبعاتها .

(۲)

ولاندرى كنه هؤلاء الملائكة فمحظور علينا ، علما وديننا ،
 الخوض في غيبها بغير علم ، فلانتجاوز ما جاء عنها في كتاب
 الاسلام ختام رسالات الدين ، وفيما صح من الحديث عن
 النبي ﷺ ونفهم من آية الخلافة ، أن الخالق عز وجل اعلم
 الملائكة بها من قبل استخلاف آدم ، مع سبق علمه تعالى بانه
 يفسد في الارض ويسفك الدماء ، قال جل جلاله خطابا لخاتم
 الرسل عليهم السلام :

(واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في
 الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد
 فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك
 ونقدس لك قال اني اعلم ما لاتعلمون) .

ومقتضى الخلافة ، ان سخر الله له ما في
 السموات وما في الارض وما بينهما ، وامر
 ملائكته ان يسعوا في هذا التسخير
 فاطاعوا ، وابتلى ابلis فحققت عليه
 اللعنة . ومن ثم بدأ الصراع الابدى في
 معركة الانسان بين الشر والخير :

والبلاء قديم ، من عهد ابينا آدم عليه
 السلام ، لم يلبث أن نسي عهد الله واصغى
 الى وسوسة ابليس فيما زين له من معصية
 (وعصى آدم ربه فغوى) لتبدأ الانسانية
 معركتها بين النفس الامارة بالسوء
 والنفس اللوامة ، ومن الجيل الاول
 للبشرية كان الفساد في الارض وسفك
 الدماء ، بان قتل احد ابني آدم أخاه غير
 منه وحسدا ، وأمر الله تعالى خاتم رسله
 بان يتلو علينا النبا ، للعة والاعتبار :

(واتل عليهم نبا ابني آدم بالحق اذ قربا
 قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من
 الآخر قال لاقتلتك قال انما يتقبل الله من
 المتقين . لن بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا
 بباسط يدي إليك لاقتلك اني أخاف الله رب
 العالمين . اني اريد ان تبوء بإثمي وإثمك
 فتكون من اصحاب النار ، وذلك جزاء

الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله
 فاصبح من الخاسرين ، فبعث الله غرابا
 يبحث في الارض ليريه كيف يوارى سوء
 أخيه قال ياويلتا أعجزت ان اكون مثل هذا
 الغراب فأواري سوءة أخى فاصبح من
 النادمين) الآيات .

مايوحي الى الآية .

في صحيح الحديث عن رسول الله ﷺ قال :
(انما انا بشر ، وانكم لتختصمون الى ، فلعن
بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضى له
على نحو ما سمع ، فمن قضيت له بشيء من حق
اخيه فلا ياخذن منه شيئا ، فانما اقطع له قطعة
من نار) .

وبقى في ميراث البشرية تصور الانسان السطاهر
النقى ملكا من الملائكة . فذلك قوله عز وجل في
النسوة اللاتي استفظعن ان تراود امرأة العزيز
فتاها يوسف عن نفسه :

(وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها
عن نفسه قد شغفها حبا انالنها في ضلال مبين .
فلما سمعت بمكرهن ارسلت إليهن واعتدت لهن
متكا وانت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج
عليهن ، فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن
حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم . قالت
فذلك الذي لم تنتن فيه ..) الآية .

لايبعد ان يكون هذا التصور بقية من ميراث
الادمية فيما وسوس به الشيطان لابوينا تزيينا
واستهواء : (وقال مانهكباريكما عن هذه الشجرة
الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين)

وباستقراء كل آيات الانسان في القرآن الكريم
وتدبر سياقها الخاص في سورها وسياقها العام في
القرآن الكريم ، نفهم ان الله تعالى اذ ينفي الملائكية
عن البشر ولو كانوا الصفة الرسل عليهم السلام
، فانه يوجه الى ان الانسان انما استخلف في الارض
بخواص انسانيته المؤهلة للخلافة : العلم ،
والبيان ، والبصر والوعى والتفكير والتذكر ،
والتمييز بفطرته بين الخير والشر ، وذلك ومثله
من جوهر انسانيته ، وبها يحمل امانة انسانيته
ويحتمل تكاليف رشده وتبعات كسبه ومسغاه
ومسئولية الثواب والعقاب .

ثم انه الذي يتعرض لتجربة الابتلاء ومحنة
الغواية وفتنة الغرور ولعنة الطفيلان ، ويظل
معايش كادحا لمصيره محتملا هموم المكابدة
وبلاء الامتحان .

وتفصيل الحديث عما يحمل الانسان من امانته
الصعبة ، بالغ الدقة والصعوبة ، رحب الافاق
واسع المجال ، فعسى ان يتسع لها هذا الموسم
بمشيئة الله تعالى وعونه .

(وعلى الله قصد السبيل)

صدق الله العظيم

والادمية ليست ملائكية ولا إبليسية .
ليست جبرية تسليم وطاعة تسخير ،
ولا هي محض شر وشهوة تمرد واصرار
على الضلال وانما هي تجربة الابتلاء
يتعرض فيها آدم للغواية فيغوى ، ثم
تؤرقه النفس اللوامة فيندم ويتوب ،
ويمضي ليمارس خلافته في الارض فلا تكون
حياته كلها الا معركة متصلة بين الشر
والخير يحتمل فيها تبعه عمله ومسئولية
رشده ومسغاه .

وحين يشذ آدمي عن فطرته السوية ،
فيقترب الشر شهوة ومتعة ، دون ان
يردعه ضمير او يؤرقه ندم ، فإن هذا
الشذوذ يخرج به عن طبيعة الادمية

ويمسحه شيطانا مريدا ، فمن اصحاب
ابليس حزب الشيطان وذوهم . ويوشك
ان يكون الشيطان حيث جاء في البيان
القرآني لشياطين البشر :

(واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا
خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما
نحن مستهزون . الله يستهزيء بهم
ويمدهم في طغيانهم يعمهون)

(أولئك حزب الشيطان الا ان حزب
الشيطان هم الخاسرون)

ومن طموح الانسان ، بفطرته السوية ،
الى التشبه بالملائكة في طهرتها ونقاؤها
وطاعتها ، جاء التصور للبشر الملائكة .
وهو تصور قديم ، تكرر ذكره في مجادلة
الكفار والمشركين في بشرية الرسل عليهم
السلام ، وقال عز وجل :

(ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض
يخلفون) وقال تعالى : خطابا لخاتم
رسله : (وما منع الناس ان يؤمنوا اذ
جاءهم الهدى الا ان قالوا انبعث الله بشرا
رسولا . قل لو كان في الارض ملائكة يمشون
مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا
ورسولا)

وفي تقرير بشرية الرسل عليهم السلام ،
اقروا جميعا بانهم ليسوا بملائكة قال
تعالى خطابا لخاتم رسله عليهم السلام :

(قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم
الغيب ولا اقول لكم اني ملك ، ان اتبع الا

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« أَلَمْ نَيِّأَنَّ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ
تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا
نَزَلَ مِنْ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ
عَلَيْهِمْ أَلاَ مَدَّ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ »

صدق الله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن
بنيت الششاطي

الديين عاشر رمضان ، وسادس أكتوبر والانسان الاصلي . والبدييل

لاستبعد من القائد النبيل ، الفريق يوسف صبرى ابوطالب ، وقد
حظيت بقلقه في مصر والمغرب - ان يكون قد اختار يومنا هذا
لتحية جنودنا العائدين من (حرب درع الصحراء) وهو يذكر ليوم
عاشر رمضان ، حقه التاريخي في ايماننا المشهودات
ومن سنة (١٤٠٠ هـ) على التحديد ، اخذ (حديث رمضان) يوم
ذكرى العاشر منه ، اتجاها معينا لا احيد عنه ، وان تعددت وجهات
نظري اليه وزوايا رؤيتي له في ظل مايلم بنا من احداث ونوازل ، ذلك
الاتجاه هو ما كان من استبدال سادس أكتوبر بالعاشر من شهر
رمضان المعظم

(٣)

كان همي أول ماتنبهت له ، أن أتساءل : فيم هذا الاستبدال ؟ ولم ، ومتى .. ؟
ذلك لأن اليوم البديل تسلل إلينا في البداية خفية ، في احتفال رسمي غير مشهود يقام في سادس أكتوبر . بعد أن كان مواعده السنوي الأصلي في العاشر من شهر رمضان المعظم . وسنة بعد سنة ، بدأ البديل يفرض علينا وجوده ، وقامت مدينة سادس أكتوبر وكوبري سادس أكتوبر ومالا أحصى من مؤسسات سادس أكتوبر ، بعد أن سبقتها مدينة العاشر من رمضان ومؤسسات العاشر من رمضان

وشينا فشيئا ، تبين لي أن البديل صار يأخذ موضع الأصلي ، فكتبت في حديث عاشر رمضان سنة ١٤٠٢ هـ فاتح يوليو سنة ١٩٨٢ - ما أحتاج اليوم إلى عادته ، لاستبقى حسن ظن أناسنا بآبائهم :

(لثلاث موسم على التوالي من الشهر المعظم ، أكتب في مثل هذا اليوم حديث العاشر من رمضان ، لا أكف عن التساؤل : لماذا استبدلنا به سادس أكتوبر ؟

أقول هذا الكيل يسبق إلى ظن قارىء ، أنني كتبت السؤال لم أجهر به حتى رحل ، السيد الرئيس أنور السادات ، وقد كان رحمه الله هو الذي بدل وغير .

أخاف على جيل الشباب أن يسيء الظن بنا ويفقد الثقة في صدق الكلمة وأمانة من يحملونها ، يحسبهم جميعا يدورون مع الريح ويخشون في الله لومة لائم .

وكرت السنون ، وفي كل سنة أدير بصري من الموقع الفكري لعل ألمح لهذا الاستبدال علة أو سببا فلا أجد ، وأرهف بسمعي لعل التقطر جمع صدى لما سألت عنه فيرتد رجع صدى صوتي إلى ، دون رد أو جواب .

وماكتبته سنتنذ في سياق أزمة الفكر الديني برياح التغيير ، أنظر إليه هذه السنة الحاضرة ، من جهة أزمنا بفقدان المناعة العقلية المكتسبة من ديننا القيم ، فما عدنا نميز بين أصيل وبديل طارئ دُخِل .

فليس بمستبعد أن تطمس رياح التغيير معالم تاريخنا الكبرى ، فيظهر فينا من يؤرخ ليوم الهجرة بالسادس والعشرين من يوليو سنة ٦٢٢ ويوم بدر بالسادس والعشرين من فبراير سنة ٦٢٢ ، ويوم أحد بسابع عشر مارس سنة ٦٢٤ ، وفتح مكة بفتح يناير سنة ٦٣٠ ، وبداية عصر الراشدين بالسابع والعشرين من مايو سنة ٦٢٢ ، والعصر الأموي بسابع مايو سنة ٦٦١ ، والعصر العباسي الأول بفتح يناير سنة ٧٥٠ م .

★ ★

هتافهم : الله أكبر .. وشعارهم .. يوم
كيوم بدر

وعلى رمال سيناء المشبعة بدماء اخوتهم
ضحايا رحلة الموت في خامس يونيه
المشتوم ، أقاموا الصلاة ، وأفطروا هناك
آخر النهار .

وأفطرت الامة معهم ، من أقصى المشرق
إلى أقصى المغرب ، ورجعت عشرات الألوف
من الجوامع والمساجد بديار الاسلام هتاف
النصر ودعاء الفتح

في ضمير الامة شعوبها وجندها ، ارتبط
النصر باليوم العاشر من شهر رمضان المعظم
آية من عطائه لاتعرفه إلا به .

وكذلك هو في تاريخها المعاصر يوم كيوم
بدر ، وأيام مثله غراء في تاريخ الاسلام
بمواقيتها الاسلامية ، وتنداعى ذكريات
النصر حافزة ملهمة موجهة ، وتترأى
المشاهد والمواقف التاريخية نابضة بالحياة
فكيف هان علينا أن نستبدل باليوم الذي هو
خير ، بديلاً شائها أصم ؟

كاننا من حيث ندري ولاندرى ، نتعلق
بالتقويم الفرنجي الروماني لينقلنا الى عصر
الالكترون والذرة والريموت ويلحقنا برواد
الفضاء والمريخ :

أو كاننا نحسب حساباً لمن يظنون بنا
الظنون ويرون في حسنا الديني المرفف ،
رواسب رجعية متخلفة ، يحملونها وزر
مالقينا ونلقى من تخلف وهوان .

فلننظر الى أين آل بنا الحال بعد أن تاه يوم
النصر في رجة الأعاصير مدخلاً لتمزق الشمل
واحتلال الجولان وتهويد القدس ، وما تاكل
من ديار الاسلام وتقوض من بنياننا بأيدينا في
حروب اليمن والبنغال والصحراء المغربية
وايران والعراق ثم في أعصار الخليج

وبعد فيكفي يوم سادس أكتوبر أن تأسست
باسمه مدينة سادس أكتوبر شاهداً على جديد
عمراننا ومثلاً لقدوة لجهود (وزارة الاسكان
والتعمير) ولنترك ليوم عاشر رمضان حقه
التاريخي في ذكرى النصر .
« والسلام على من اتبع الهدى » .

ذهب مع الريح كذلك ، تساؤلي عاماً بعد
عام : لماذا أبدلونا سادس أكتوبر بعاشر
رمضان ؟

وقلت وأقول : ان تاريخ يومنا المشهود
بالعاشر من رمضان هو الذي يعطى النصر
مناخه ومغزاه

اليوم بدأ في أوله لا يكاد يختلف في ظاهره
عن أيام سبقتة ، توالى وطالت سبع سنين .

لم تملك لنا الا كبت قهرنا ومعالجة جراحنا
بالتخدير .

أو هذا ما حسبناه ونحن نرصد المناخ
الفكري لما بعد اليوم الخامس من يونيو سنة
١٩٦٧ المشتوم :

أجهزة الاعلام تشاغلنا بما يخرجننا من
دوامة التفكير العميق في الهزيمة الساحقة
لعلنا نكف عن بؤس الاجترار لفرأجها .

والحق وطننا من الخليج النافر الى المحيط
الهادر ، ترجع اغاني الطرب وأقائين التسلية
الفجة والمرفهات الرخيصة

وعلماء التفسير العصري يتفنون فينا من
بدع التاويل الضال ، ما يظلل عقليتنا
بعجائب الدجل وغرائب الأباطيل تريحنا من
هجوم اليقظة والوعى .

حتى جاء يوم عاشر رمضان من سنة
١٣٩٢ هـ والناس على ما كانوا عليه فيما سبق
من أيام الصيام

فجأة ارتجت الدنيا على الدنيا المذاع من
القاهرة ، حملته أمواج الاثير الى أرجاء الدنيا
فاسمع من به صمم ، وتوالى الأنباء ، بلاغا
بعد بلاغ ، من مركز القيادة لجهة القتال .

جنودنا البواسل عبروا القتال الى سيناء ،
ودكوا مع (سوربارليف) أسوار الانكسار
والقهر والاحباط . ورفعوا راية الكنانة عالية
منتصرة

التاريخ : ٢٦ / ٣ / ١٩٩١

تكريت

■ اديبة الفقهاء وفقيهة الادباء الدكتورة بنت الشاطي :

كنا في رمضان نحت صغارا بمجلس الذكر ونسرد معشهم ما تيسر لنا حفظه !



د. بنت الشاطي

سامي دياب

هل استطيع ان اعيد قبة من قم الفكر الى عهد الصبا ؟
هل استطيع ان اقع من اثرت المكتبة العربية بعشرات الكتب والابحاث
والدراسات بان تطل من شيخوختها على مغلي الطفولة ؟
هل استطيع ان اجد حافظة ابيتنا وعالمنا لتروي لنا ذكرياتها
الرمضانية في طفولتها وصباها ؟
اتجلسر وأطرح سؤال على أستاذتنا الدكتورة بنت الشاطي .
الصمت يلف المكان .
ملكرتنا الكبيرة تعود بذاكرتها الى الامس البعيد .
أسريرها تكشف عن حنين جارف يفرزها .
سؤالك عن ذكريات الشهر المعظم في طفولتي وصباي يشجيني .. إنك
تعيدني إلى الماضي إذ الشمل مجتمع والبال خل والحياة نيرة والقطرة على
سحبتها لم تمسح ولم تلبس .
لقد بعد ما بيني وبين عهد صباي في حساب الزمان أكثر من نصف قرن .
لم ما كنت تسألني عن ذكرياته حتى وجدتها ملء وعبي اسم تشبه في زحام
دينانا . ولا ليبيها صخب ضجيج عصرنا الإلكتروني . ودون حاجة الى
مسجل او . ريموت . القيت خائفتي قد ضنت بها عز مناهة الضديع
وعيايه النسيان !

بيئة فريدة بين

دمياط وشبراخيم

أرائي في صباي مع الذكريات تتنازعني جوارب بيئتي الفريدة بين دمياط مهد مولدي ومولدي أمي وخولتي ، ومدرستي المعهد الديني في جامع البحر ، حيث كان شيوخ دراستي الإسلامية المبكرة - في دارنا - والذي وزملاء مشايخ المعهد

وبين قرية شبراخيم من ريف المنوفية ، وفيها مولدي أبي وعموتي ، وبها كتب سيدنا الشيخ مرسى عبد العزيز الذي أقراني القرآن الكريم تلاوة وحفظاً ، فكان لي كنز العمر وتبراس الطريق وزاد الحياة .

تسترجع أسناننا الدكتوراة بنت الشاطي في

ذكرياتها ..
- في ربوع دمياط العريقة وشطوطها الساحرة والدار ماضيها العتيق ، كنا ننضي أوائل الشهر المعظم ، في المدينة أجمع قد احتشدت من شهر شعبان لانتظاره . شيوخها وشبابها وصبياتها .. الرجال والنساء من مختلف الطبقات وشتى الحرف .. علماء وتجارها وصناعها . أبناؤها يستعدون لشهود الهلال ، وسوق التجار عامرة بمنصات منصوبة لعرض أطيب الفطرة .. النقاس والعلوي الرضائية ، والسمرية جالسون في ابداع هو انيس رمضان ، والمخبر تعرض بتكورة خبزها المطيب بكسسم والحبة السوداء

الدروب الخلفية

وعربات اصحاب الحرف

كنت في طريق ما بين جامع البحر ودارنا عن شط النيل . عبر سوق التجار والفنطرة وشوارع الخليج أعرج . من الدروب الخلفية المتفرعة من الطريق العامة لا تفرج ، بل هناك أخرى من الصناع في ورش وفتية موسمية يتفننون في اعداد عربات اصحاب الحرف التي تسمى تسير في المسود الشعبي للرؤية ، ويحرمون بل حجبها عن الانظار لتتناثر بانماطها المبتكرة وزينتها الرمزية في موكب الرؤية الذي تحتشد الجدهم لتزفه بالتهليل والتكبير !

وترسم البسمه على وجه الانبياء المفكرة المعالمة ..

- في تلك الليالي الاولى من رمضان كنا نتعجل الاططار بعد ضرب المدفع ، وكل منطقة من الامل في شغل سامرها .. الاباء يخرجون في شغل المساجد يعصرونها بسلكر والمداة .. والامهات مشغولات بأعداد مدخرات رمضان من أطيب الزاد .. ونحن الصبية آل تجمع أبناء الحسى نحمل فرائيسنا البراقة الزاهية مضياء بلسانوس ونطوف بالدروب والحارات والأزقة لتهنئة الاطارب والجيران هازجين باناشيدنا إذ نتقبل هدايتنا الموسمية من الدرة والعلوي !

وربما مضينا في مواكبنا نهزج ونهلل حتى يزاحمنا المسدراشي بدقات طبوله التقليدية وأنشيدته المرتلة لتسرع ال دورنا لنشارك في طعام السدور وصلاة العجر !

كتاب الشيخ مرسى

من الضحى حتى العصر !

ومن الاسبوع الثاني للشهر المعظم حتى ايام عيد الفطر ، كنا نشد الرجال الى قرية شبراخيم من ريف المنوفية في عمارة رمضان من الازهر ومعاهده لشيوخه وطلابه بمصوننا في بلدانهم وقراهم لحياء ليالي الشهر المعظم في النهار كنت أسعى الى ، كتاب سيدنا الشيخ مرسى ، من الضحى حتى العصر .

لم يكن الرجال يتناولون طعام الاططار والسدور مع اهليهم داخل الدور ، بل في المنكر وهي قاعات الضيوف بعد اكل الدور حيث تقام موائد الاططار تستقبل من يشاء من الضيوف فيطرون ويصلون المغرب والعشاء ، ثم يحيون الليالي بطولها في الذكر وسماع تلاوة القرآن الكريم من شيخ قارئ ، يتحري اهلنا الاتفاق معه قبل الموسم بشهر ، كما يشتركون في تواشيع دينية وأنشيد صوفية ، ونساء الدارة شغولات بأعداد وجبة السحور ، ونحن المسفلر نهاف مجلس الذكر وتردد معهم ما تيسر لنا حلقه الى أن يؤذن الشيخ بعد السحور للعجر !

وفي ذلك الدكتوراة بنت الشاطي من رحلتها الى المساطي وترماني ..

- أرى بك شوقا الى مزيد من الذكريات !

بكك ما رويته !

ويهيني ما أرتقه من شجونى ومواجدي !

حديث رمضان

« إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا
وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ
إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا * لَيُعَذِّبَ اللَّهُ
الْمُتَفَقِّهِينَ وَالْمُتَفَقِّهَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ
وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا * »

د. عائشة عبد الرحمن
بنيت الشافعية

صلى الله عليه وسلم

الأمانة الصعبة ، آية الانسان

الدين
والانسان

سبق لي أن تناولت موضوع الأمانة الصعبة ، في موضعها من (القرآن وقضايا الانسان) . وأتناولها اليوم بمزيد تدبر في سياقها من (قضايا الدين والانسان) موصولة بجديد ما طرأ على الفكر الاسلامي من شواهد فيما حمله دعاة التنوير العصري من مقولات جازت على عوام المثقفين في غيبة الوعي بنهافت هذه المقولات وشذوذها عن منطق الفطرة السوية . . . وتوطئة للحديث عنها ، ينبغي لي التنبيه على أنني إذ أتحدث فيها عن الدين بإطلاق ، فليست ادعى خبرة بكل دين او ملة ونحلة ، بل أركز النظم على ختام رسالات الدين ، بما تفرض علينا من وجوب التصديق برسالة الله تعالى قبله ، امتثالاً لقوله عز وجل :

(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) . الآية

(٢)

تصديقنا بها - نحن المسلمين - متعلق بما جاء عنها في القرآن الكريم موثقاً مبرراً من الشواهد الدخيلة التي طرأت عليها على فترة من السنين ، والتصديق كذلك بما نتلو في القرآن من نبي الأولين ، عبدة الأوثان والصابئة عبدة النجوم . ومن اتخذوا أبطالهم وأصنامهم أرباباً الهة مع الله . وهذا القدر الموثق من أنبائها هو ما يجب علينا التصديق به سمعاً ، لا أتجاوز ذلك إلى ما أعلم لي به من نسخ الأناجيل وأسفار التوراة المتداول منها وغيره ، وأقوال شراحها وتعاليم رهبانها وأخبارها ..

وكما لا يختلط الأمر علينا في قضية التصديق بين ما جاءنا منها موثقاً يلزمنا التصديق به ، وبين جملة نسخ أهل الكتاب وشروح علمائهم وأخبارهم ، لا يختلط الأمر علينا كذلك بين عموم وحدة الدين ، وخصوصية كل أمة برسولها وكتابها وشرعتها ومنهجها .

الدين كله لله ، ولم يأت أديان وديانات بصيغة الجمع في القرآن قط ، وإنما هو ، بصيغة المفرد ، دين واحد من إله واحد ، على ما نتلو من آية التوحيد المحض في قوله تعالى خطاباً لخاتم رسله عليهم السلام :

(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا أشهدوا باننا مسلمون .)

ومع وحدة الأصل العام في التوحيد ، جوهر الدين كله ، تنفرد كل رسالة برسولها وكتابها وشرعتها ومنهجها ، كما يتبين من قوله تعالى خطاباً للنبيين عليه الصلاة والسلام في عموم الأصل وخصوصية الرسائل :

(وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) الآية

★ ★ ★

الإنسان كذلك حيث جاء في القرآن الكريم ، فبعموم مطلق ، وأداة التعريف (ال) فيه لعموم الجنس لا لمعهود خاص .

هو إنس ، اجتماعي بفطرة إنسيته ، مدني بطبعه ، وهو بشر بادميته ، يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وتجوز عليه أعراض البشرية وأهواؤها ، يلتقي فيها كل البشر

وإنما يتميز الإنسان بخواص إنسانيته لا بمجرد كونه إنساناً إنسيته ، بشراً بادميته . وذلك ما يستفاد من الدلالات القرآنية . للإنس والبشر والإنسان ، استقراء وتدبراً لسياقها .

(٣)

الإنسان هو المهيأ لكسب العلم ، المزود
بأدوات العقل والإدراك والبصر والوعي ،
المؤهل للذكر والعظة والاعتبار ، مع ما يلبس
ذلك كله من ابتلاء بالشر والخير ، وفتنة الغرور
بما يحس من تميزه وما يزدنيه من الشعور بمنزلته
في عامة جنسه من الحيوان ، وفي الكائنات الحية
والجماد ...

★ ★ ★

بخواص إنسانيته ومؤهلاتها ، حمل الإنسان
أمانته التي انفرد بحملها دون سائر الكائنات ،
فكانت آية إنسانيته .

والأمانة في اللغة مقابل الخيانة ، وقد جاءت في

القرآن بهذه الدلالة الأصلية في أداء الأمانات ، مع
ملحظ من دلالة مادتها على الأمر والأمان والإيمان ،
في الحسيات من الأمانات مصرحاً فيها بتقوى الله
كما في آية كتابة الدين - من الذنوب - .

(فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي أؤتمن
أمانته وليتق الله ربه ، ولا تكنوا من الشهادة ومن
يكتمها فإنه أثم قلبه) وفي رعاية المؤمنين عهد
الله تعالى والرسول عليه الصلاة والسلام ،
وما بينهم من عهود وأمانات ، مع تزيح مقابلتها
بالخيانة في آية الإنفال .

(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول
وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون)
وانفردت الأمانة التي حملها الإنسان ،
بمجيئها مفردة معرفة بإداة التعريف (ال) للعهد
والاختصاص ، فما هذه الأمانة التي انفرد
الإنسان - مطلق الإنسان - بحملها فكانت آية
إنسانيته ؟

تعددت أقوال المفسرين في تأويلها

وتوشك أن تكون أقوالهم متقاربة وإن
تعددت ، وكذلك أقوالهم في الحمل ، بمعنى
الاباء ، والنكوص ، والتورط بها في خيانتها .
واضح أن الحمل في آية الأمانة - من الحمل
المجازي ومن نظائره في القرآن الكريم ، قوله تعالى
في الآيات ، البيئات :

(مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل
الحمير يحمل أسفاراً ...)

(ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على
الذين من قبلنا) ونظائرها ...

واضح كذلك أن عرض هذه الأمانة على
السموات والأرض والجبال ، وإبائها واشفائها
منها إنما هو على سبيل المجاز ، بياناً لصعوبتها
وشدة حملها الباهظ .

وليست الجمادية في السموات والأرض
والجبال ، هي مناط العبرة في عجزها عن حمل
الأمانة كما ذهب بعض من تأولوها ، بل مفاسدها
ما نرى من ضخامة أجزائها ومشهود طاقاتها على
الحمل والتحمل والاحتمال ، فالسموات الرحبة
على علوها الشامق يرتد عنه البصر ، والمرفوعة
بغير عمد تراها ، والأرض المتسعة لحمل
ملايحصى من ملايين البشر ، وتحمل صم الجبال
وكتل المباني والصروح ، والجبال بشموخها
وصلابتها وصخريتها ... هذه جميعاً أشقت من
الأمانة وأبين أن يحملنها ، وحملها هذا الإنسان
بضالة جرمه وضعف بشريته ومحدود طاقته
وأين هو بالقياس إلى السموات والأرض
والجبال ؟

الذي اطمأنت إليه ، بطول التدبر ، أن
الأمانة ، آية الإنسانية ، هي الابتلاء بتبعات
التكليف ومسئولية الرشد ، كل الكائنات ، عدا
الإنسان ، مسيرة بمقتضى سنن ثابتة ، تحكمها
على وجه الامتثال والطاعة أو التسخير والالهام
دون تحمل لتبعات المسؤولية والمحاسبة على
ماتعمل ، فلو أن السموات قذفت الأرض والناس
بالصواعق أو لو أنها جادت بالغيث فأحيا به
الأرض بعد موتها .

ولو أن الأرض زلزلت فدمرت العمران وقتلت
الحياة ، وقذفت براكينها بالحمم فاهلكت الحرث
والنسل ، أو لو أنها أخرجت من باطنها ثمين
المعادن ومخبوء الكنوز .

ولو أن الجبال تصدعت وانقضت فاهلكت
بلادنا وجماعات كانت أمانة مطمئنة . أو لو أنها
سخت بثمين الأحجار ، والمعادن ،
لما حملت السموات والأرض والجبال تبعه
كسب ومسئولية عمل ، ولا حوسبت على خير أو
شر ، ثواباً أو عقاباً ...

فلنتابع الحديث بمشيئة الله ، عن هذه الأمانة
الصعبة التي انفرد الإنسان بحملها فكانت آية
إنسانيته ، والله المستعان .

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

هَذَا آتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ
الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا *
إِنَّا خَلَقْنَاهُ إِلَّا نَسْنَنَ مِمَّنْ نُّطْفِئُهُ
أُمِّشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَنَجْعَلَنَّهُ سَمِيعًا
بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ
إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا *

صدق الله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطئ

الدين
والانسان

الامانة الصعبة ، وحرية العقيدة

بعقلية الجماعة المحكومة بنظام القبيلة وتقاليدها الصارمة
تحمي بها وجودها وبقائها .. لبثت قريش تقاوم الاسلام لم تفتري يوما
عن الدفاع عن دينها الموروث : كانت الوثنية على فترات من الانحلال
تشخيصا للاله المعبود ورمزا للميراثها الديني من رسالات الله . ثم لما

(٢)

تاه الرمز وعبدت الرموز كانت عبادتها انما لنا عن تشبههم بعضا مضي عليه الأباء وفرارا من الفراغ من العقيدة . وتخصي مجتمعي القبيحة لعداوة الاسلام عجزا عن ادراك الوجدانية ، ومضي العهد المكي كله ، وهم لا يكفون عن تكذيب وجدل عن الهتهم وانهم مع ذلك ليقولون (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) فلما كانت الهجرة ، في السنة الثانية عشرة من المبعث اذن الله تعالى لعباده المؤمنين الذين اخرجوا من ديارهم بخير حق الا ان يقولوا ربنا الله ، في ان يقاتلوا دفاعا عن حرية عقيدتهم ، وجهادا في سبيل دينهم الحق ، وغضبا لحرمانهم لاهل ان تقتلك او تمس . وقد خاضت قريش بعقوبة الجماعة جولات معركتها الخامسة مع دين التوحيد ، من يوم بدر في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة الى يوم فتح مكة في شهر رمضان من السنة الثانية فلئن طالبت الحركة واستغرقت سنين عدا لقد ظلت الجبهة الاسلامية تتلقى تباعا مسددا من جبهة قريش لحقوا بحزب الله فرادى استنكافا من ان يعبدوا مع الله اصناما شائها بلهاء . فبلغ بهم عدا الذين شهدوا الفتح مع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة الاف من المهاجرين والانصار وقد كان عدد الذين شهدوا يوم بدر . بضع مئات .

وفتحت أم القرى قلبها للمصطفى الهاشمي ومن معه من آبائها المهاجرين واخوانهم الانصار ، ولم يدبر يوما قتال ، وكانما عاشت أم القرى في انتظار هذا اليوم التاريخي لتتحرر من اغلال الوثنية وتنتظر من رجس عارها . واسلم اهلها جميعا ، جيرة الحرم الاقدس ، وكانهم كانوا يتسلطون الى اليوم الذي يكفون فيه عن حرب عقيدتهم ، وينبذون الاوثان التي حاربوا من اجلها فاما أغنت عن نفسها ، فضلا عن ان تغني عنهم شيئا . وانتهى عثر الوثنية بعد ليلة بهم . انهارت الاصنام جذاذا مهينة تحست مواطىء أقدام المؤمنين . وأعز الله قريشا بالاسلام وقد أعزها من قبل باصطفاء خاتم رسله منها . وأعز الاسلام بها فتناجى وفود القبائل العربية الى دار الهجرة ، فبايعت النبي صلى الله عليه وسلم من قبلاتها في سنة الوفود . التاسعة للهجرة

x x x

وان للانسانية ان تحمل رسالة التوحيد جوهر الدين كله . في مدرسة النبوة . حفظ الجيل الاسلامي الاول ، كتاب الاسلام شاقا لكتب الله تعالى ، ومصدق لها وبهيمتها عليها بعضا استقصى من جوهر الدين كله . فاستقر فوا بالتوحيد الى ادراكها أميا الباطنية من تمثيل التجريد المطلق للالا الواحد القرن الحادي المنزه عن تشخيص وتجسيد . وفي منتصف القرن الماضي ، سجل الاستاذ الفسيفسائي

(٣)

« جوستاف لوبون » مما استوعب وتقصى من شهاداته لمؤرخي الحضارة والاديان والاخلاق : (الاسلام كل الحق في ان يمن على الانسانية المتدنية ، بالتوحيد النقي المحض)

وان للانسان المكلف بتبعات امانته ورشده ، ان يحمل مسئولية عقيدته بارادته الكسبية غير مكره عليها ، وقد ختمت رسالات الدين وتبين الرشد من الغي والاسلام في اقراره لحرية التدين يفرضها على المؤمنين تكليفا ، ويلزمهم بها تجاه غيرهم دينيا وسلوكا ، لا لمجرد التسامح والمجاملة أو المسالمة

وتقدير لما في فطرة البشر الرسول من حرص على ان يؤمن قومه ، والناس جميعا ، بدأ القرآن فاخذه بمبدأ مسئوليتهم عن ضلالهم بعد ان بلغهم رسالة الحق وبين لهم الهدى ، لان العقيدة لا تكون عقيدة حتى تصدر عن اعتقاد حر ، والايمان لا يكون ايمانا حتى يبرئ من القلب والضمير عن رضى خالص وطائفة لا يشوبها قلق وارتياح او مسابرة ومراعاة .

في العهد المكي : عهد التمهيد والامتحان ، نزل من الآيات في اقرار مبدأ مسئولية الانسان المكلف عن دينه ، وتسفيه من ينكص عن تبعه رشده .

(ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ؟

(وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آبائنا ولا حرمنا من دونه من شيء ، كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين) ؟

(والذين اتخذوا من دونه أولياء ، الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل)

ومن آيات الاناس للمصطفى عليه الصلاة والسلام

(قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ، ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأودوا حتى أتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاعك من نبي المرسلين ، وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتهم باية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين)

(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ، ان ربك أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ، وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما

عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون)

في عهد العهد المدني ، نزلت الآية الجامعة بلاغا بحظر الاكراه في الدين (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم)

وان كان الاسلام شهادة باللسان وعملا بالجوارح طاعة للاوامر واجتنابا للنواهي ، زاد عليها الدين ان جعل الايمان منوطا بالقلوب ، قال تعالى :

(قالت الاعراب ائنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) الآية

ثم كان على النبي صلى الله عليه وسلم فيما كلف به من البلاغ المبين ، ان يفصل ما أجمل القرآن منه وأن يراقب أصحابه - تلاميذ مدرسة النبوة - في سلوكهم تطبيقا لمبدأ حظر الاكراه في الدين ، فبلغ به صلى الله عليه وسلم ان جعل ضمير الانسان منطقة حراما لا يحل اقتحامها والحكم على مسلم بما يخفى صدره ويضمركه فذلك وحده للخالف عز وجل

في كتاب الايمان من صحيح الامام مسلم ، من حديث : اسامة بن زيد بن حارثة (رضى الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في سرية الى الحرقة من أرض جهينة ، فادركه أسامة ، رجلا منهم اشتدت وطأته على المسلمين ، فلما رفع عليه السلاح قال : لا إله الا الله فظن أسامة أنه يتعوذ بها من القتل ، وقتله في رواية أنه قدع علي النبي صلى الله عليه وسلم في رواية أنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بما كان . وفي رواية أن الخبر كان قد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قبل مقدم زيد فسأله : (أقل لا إله الا الله ، وقتلته ؟ قال زيد : قلت يا رسول الله ، انما قالها متعوذا من السلاح : قال : (افلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقاها أم لا ؟) قلت لقد اوجع في المسلمين وقتل فلانا وفلانا ، فقال (وما تصنع بلا إله الا الله ؟ قلت : استغفر لي يا رسول الله ، فما زال يكرر (وما تصنع بلا إله الا الله) لاي زيد عليها حتى تمنيت اني لم اكن أسلمت قبل ذلك اليوم

فانظروا ماذا صنع عصرنا بضمير الانسان وكيف اقتحمه قسرا باجهزته الالكترونية وقد جعله الاسلام منذ خمسة عشر قرنا ، منطقة حراما ؟ واستغفر الله لي ولكم .

حديث رمضان

« وَلَا تَقِفْ مَا لَيْسَ ذَاكَ بِهِ عِلْمٌ
إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ
كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ
مَسْئُولٌ * وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ
مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ
وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طَوْلًا * »

د. عائشة عبد الرحمن
بنيت الشمس على

الدين والإنسان أمانة العقل والحواس والجوارح

اشتهرت في حديث البليغة إلى الوظيفة الانسانية للقلب
والحواس والجوارح ، وضيق المجال عن الاستدلال بالشواهد
الموضحة لهذه الوظيفة الانسانية ، من حيث هي في الانسان
ادوات عقل ورشد ووعي ، وليست مجرد أجهزة عضوية لا يختص
بها إنسان دون وحش ودابة وبهيمة عجماء . وإذا ترك الاسلام
أعضاء الجسم البشري ووظائفها العضوية لأهل العلم بها ،
فرض كطاية ، من علماء التشريح والطب والعلاج والدواء ، ترك
لهم كذلك علاج أمراضها بما يكسبون كل يوم من جديد علم
بخواصها وأعراضها ، وما يفترون من أجهزة للكشف
والتشخيص والفحص ، لم يكن لسلفهم علم بها .

(٣)

واما وتليفاتها الانسانية وعيا ورشدا وتمييزا ، وما يعرض لها من زيغ ومرض وتعطل ، فهذا ما يتعلق بامانتها الصعبة ، انفراد الانسان بحملها دون سائر الكائنات ، واذا فرط في تكليفها ونكص عن تبعاتها خطن امانته وهي آية إنسانيته ، ومناط ما يحمله من تبعات التكليف ومسئولية الرشدا . فيعفى منها القاصر حتى يرشدا ، والسفيه حتى يبرا من حماقة سفيهه ، والمجنون حتى يبرا من اختلال عقله .

والقلب في القران لب الانسان وموضع الحق والوعى والرشدا . وموطن العقيدة والايمان والتقوى ، او الخطر والعمى والاثم والنفلق ، يحمل الانسان امانتها ، وكذلك الصمم والبكم والعمى ، بما يعرض للحواس من مرض وتليفاتها الانسانية ، لا العضوية ، بصريح الايات .

(اذ انت تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) .

(ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون)
 ونظائرهما .

وفصل الله تعالى من آيات هذا المسح لبشرية الانسان بتعطيل وتليفاتها الانسانية ، قل تعالى :

(ومن الناس من يقول امنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين . يخدعون الله والذين امنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون . في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون .)
 (واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون . الله يستهزى بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون . اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين . مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون . صم بكم عمى لهم لا يرجعون) .

(لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها ، اولئك كالانعام بل هم اضل ، اولئك هم الغفلون)

وينفى القران الكريم الموت عن الموتى الاحياء كالذين قتلوا مجاهدين في سبيل

الحق : قل تعالى : (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لاتشعرون)

(٣)

تحمل امانة وظيفتها الانسانية فضلا عما
يحمل الانسان من امانتها ، وذلك من
الملاحظ البيانية الدقيقة في الامانة
الصعبة .

وحديث زنى الجوارح مشهور ، رواه
الامام احمد في مسنده والطبراني في معجمه
الكبير بسند جيد إلى عبد الله بن مسعود ،
رضي الله عنه .

★ ★ ★ ★ ★

ولنتدبر هذه الايات البيئات ليمين
خاضوا في حديث الاك زورا وبهتانا : (إذ
تلقونه بالسنتكم وتقولون يا فواهم ما
ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند
الله عظيم ، لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون
لنا أن نتكلم بهذا ، سبحانك هذا بهتان
عظيم)

واية (يس) في اصحاب الجحيم
وشهادة جوارحهم عليهم :
(اليوم نختم على افواههم وتكلمنا
ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون
وايات (فصلت) في اعداء الله وشهادة
جواسمهم عليهم :

(ويوم يحشر اعداء الله إلى النار فهم
يوزعون . حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم
سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا
يعملون - وقلوا لجلودهم لم شهدتم علينا
قلوا انطقنا الذي انطق كل شيء وهو
خلقكم اول مرة وإليه ترجعون كما كنتم
تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا
ابصاركم ولا جلودكم ، ولكن ظننتم أن الله
لا يعلم كثيرا بما كنتم تعملون وذلكم ظنكم
الذي ظننتم ببربكم ارداكم فاصبحتم من
(الخاسرين)

في الموطأ والصحيحين عن ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال :

(إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله
ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له
بها رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل
ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن
تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى
يوم يلقاه)

★ ★ ★ ★ ★

واستغفر الله لي ولكم :
(ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك ولهم عذاب
الجحيم)

كما يثبت الموت المحسوب على الأحياء
وقد تهطل وعيه بخيانة امانة رشده ، لعل
تعالى خطبنا لخاتم رسله عليهم السلام :
(إنك لاتسمع الموتى ولا تسمع الصم
الدعاء) .

(إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع
من في القبور)

ويبلغ القرآن بالوظيفة الانسانية للقلب
والحواس والجوارح - أدوات رشد وعقل -
أن يحمل الانسان امانتها بما يقترف من
اوزار واثام بزيغها . فيأتي القلب مسندا
إليه الاثم في اية الشهادة على كتابة
الديون :

(ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه اثم
قلبه)

كما يسند إليه الزيف والاشمئزاز والعنف
والقسوة ، في هذه الايات ونظائرها .

(وإذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين
لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه
إذا هم يستبشرون)

(فلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب
يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا
تعصى الا لأبصار ولكن تعصى القلوب التي في
الصدور)

(فويل للقلوب قلوبهم من ذكر الله ، أولئك
في ضلال مبين) كما يسند القرآن إلى
التقوى والایمان والخشوع ، ونحوها من
افعال القلوب والحس الانساني المرغوبة .
كما في هذه الايات ونظائرها .

(الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها
متلني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله)
وفي السيرة النبوية لابن إسحاق ، خير
وقد نصارى نجران إلى النبي صلى الله عليه
وسلم : وتأثروهم بما سمعوا من آيات
القرآن ، ولهم قال تعالى :

(ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم
لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل إلى
الرسول ترى اعيينهم تفيض من الدمع مما
عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكفينا
الشاهدين)

ليس هذا فحسب ، بل إن انوات
الرشد : العقل والحواس والجوارح ،

حديث مفضل

«وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ
إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»

عائشة بنت الرسول
بنسبت الشريفة

الدين والانسان أمانة الانسان والأمانة العامة

فيما قدمت من قضايا أمانة الانسان ، يبدو الاتجاه فيها إلى الانسان فردا . وهذه الفردية مما خاض فيه دعاة التنوير العصري وعدوها من ما أخذهم على فكرنا الاسلامي .
وليس بغريب أن يجهلوا ذاتية الانسان الاجتماعية في الاسلام ، ولا أن يغيب عنهم أن الانسان حيث جاء في لغتنا وفي كتاب ديننا ، فبدلالة مطلقة للمفرد والمثنى والجمع ، المذكر والمؤنث . ولكنهم لهجوا بتعريف الانسان بأنه مدني بطبعه ، فهلا التفتوا إلى أنه بإنسانيته فضلا عن إنسانيته ، اجتماعي بالفطرة ؟

ولسنا بحيث ننكر اهتمام الاسلام بالفرد وعنايته البالغة بامانة رشده وتهذيب ضميره وخلقه وتوجيه سلوكه . وهي عناية قد يسيء المحدثون فهمها فيما يرصدون من اتجاه المذاهب العصرية الى المجتمع على تفاوت بينها في مواقفها من الفرد : بين إهدار شخصيته أو الاعتراف بها بقدر محدود وقد يعلمون ما كشفت عنه التجربة من خطأ الغرض شخصية الفرد والتهوين منها والمحاولات المبذولة لتدارك الخطأ وتفادي عواقبه بما يعرف بحوافز الطموح .

الذي أود ايضاحه هنا هو أن الاسلام ألغى هذه الحواجز غير الطبيعية بين الفرد والجماعة فهما فيه لا ينفصلان . وهو في عنايته بالانسان فردا إنما ينظر فيه إلى اجتماعيته التي لا يمكن تصور إنسانيته بمعزل عنها

بالعدل والاحسان والبر وصلة الرحم وأداء الامانات إلى أهلها والوفاء بالعهد والصدق والتواضع وينها عن العقوق والجور والبغى والفجور وقطع الارحام والرياء والفساد في الأرض ؟

مثل هذه الاوامر والنواهي لا تتعلق بتعامل الانسان مع نفسه ، وإنما هو التعامل مع الناس . فليس الانسان بحيث يعف ويؤدى الامانات ويفى بالعهود .. أو يخون ويفسق ويعق ويظلم ويفش وينافق ويؤور ويعتدى ويظلم ويفجس .. و .. في نطاق فرديته الخاصة ؟

وتفشو الامراض الجماعية بكثرة المرضى من افراد الجماعة فتصير إلى وباء مهلك وفي صحيح الحديث المتفق عليه عن أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم : « أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : (نعم إذا كثرت الخبث) .

وفي الحق إن الذاتية الجماعية أصيلة في العرب ، عرفت في نطاق القبيلة يحقق فيها الفرد ذاته غير منفصل عنها وهذا ما أعطى شاعر القبيلة مكانته قائدا سيدا وإن جهل هذا الوضع عامة الدارسين للشعر الجاهلي فلم يلتفتوا فيما أعلم إلى شاعر القبيلة ممثلا أصيلا للحياة العربية في الجاهلية ومنهم من غرض من شأن شاعر القبيلة فلم يرفه أكثر من بوق لقبيلته .

والاسلام في رفضه لعصبية القبيلة ، اتجه بهذه الذاتية الجماعية الأصيلة في الانسان إلى مجالها الرحب في الأمة يحقق فيها الفرد ذاته ويستقيم أمر الجماعة بصلاح أفرادها في اندماج وثيق لا تنفصل فيه فردية عن جماعية . ولا اخرج بعد طول عكوف على الدراسات القرآنية ، من القول بان الاسلام في أصول العقيدة وفروض العبادات وأحكام المعاملات وكل التوجيهات لسلوك الانسان إنما ينظر إلى إنسانيته من حيث هو اجتماعي بالضرورة وليست فردية متوحشة وهل ينظر القرآن إلى الانسان فردا وهو يأمره

(٣)

وعنه صلى الله عليه وسلم قال :
(ما ظهر الغلول الخيانة في قوم قط إلا ألقى في قلوبهم الرعب ولا فشا الزنى في قوم قط إلا كثر فيهم الموت ولا نقص قوم المكيل والميزان إلا قطع عنهم الرزق ولا حكم قوم بغير الحق إلا فشا فيهم الدم ولا خثر قوم بالعهد إلا سلط الله عليهم العدو .

وكثيرا ما يتاصل الداء في الجماعة فيعصى على العلاج ويصير طبيعة فيها وسجية كقوله تعالى في قساة القلوب من بني إسرائيل :

(ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله) .

ومع تاصل الوباء بفشو الخبث وتفسد الأمكنة والديار فيسند الخبث إليها وإلى القرية بمعنى أهلها والعتو والظلم كقوم لوط وقريتهم (التي كانت تعمل الخبائث)

وكاين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبته أمرها خسرا) .

ومع تقرير الذاتية الاجتماعية فيما يحمل الإنسان من أمانته فردا في قومه ومجتمعه يهون على المجتمع التفريط في أمانته على سلوك أفرادها فيخون أمانته العامة ويحمل مسئولية ما فرط فيه .

وكذلك تحمل الجماعة أمانة الجماعة تبعات تكليف عام في الدفاع عن حرمة الأمة لا يحل أن تستباح أو تنتهك . وغرر بجهول من تاريخ عصر المبعث أن المسلمين الأولين مضى عليهم العهد المكى كله لقوا فيه من مثلي قريش بمكة أشد الأذى والاضطهاد والحضبان نون أن يؤذن لهم في قتل تمحيصا لقلوبهم وأمانتنا لايمانهم فلما كانت الهجرة أذن الله تعالى لهم في القتل دفاعا عن حرمتهم وتقريرا لمبدأ الإسلام في أمانة المكلفين بمسئوليتهم عن عقيدتهم وإلزاما بمسئولية الجهاد في دفع الظلم والطغيان . فذلك قوله تعالى :
(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله الآية

وروى ابن إسحاق في السيرة النبوية ما كان من غيظ يهود يثرب لما رأوا أن حال أهلها العرب الأوس والخزرج جمع بينهم الإسلام بعد حروب حاصدة فكان أن دس اليهود إلى جمع من الأنصار الأوس والخزرج من أنشد لهم أشعارهم يوم بعثت فهاجت الفتنة وتداعوا إلى القتل وتواعدوا على أن يلتقوا في يومهم ذاك بموضع الحرة وانصدفوا

يتصايحون . السلاح السلاح . ووجمت دار الهجرة لما سمعت صيحة الحرب . وجاء النبي صلى الله عليه وسلم في جمع من صحابته رضى الله عنهم فادرك القوم في الحرة وقد هموا بقتل فقتل عليه الصلاة والسلام : « يامعشر المسلمين الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام واستنقذكم به من الكفر والفساد بين قلوبكم ؟ » فعرف القوم أنها مكيدة عدوهم وبكوا وعانق الرجال بعضهم بعضا .

وبطل سم هذه الفتنة التي أوشكت أن تضلهم عن مسئوليتهم العامة عن وحدة الجماعة وخب كيد يهود وفيهم نزلت آيات الاعتصام تذكروا وعبرة بامانة هذه الأمة .

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) .

الآيات من سورة آل عمران ، وهي من السوحي المدني المبكر بعد الهجرة .

وإلى أواخر عصر المبعث ظلت هذه الأمانة العامة للأمة مشغلة نبينا المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ففي السنة العاشرة للهجرة حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وفيها علم المسلمين مناسك حجهم وخطب فيهم خطبة الوداع وصيته إلى أمته قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه .

(أيها الناس اسمعوا قولي فإني لا أدري لعل لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا . أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ..

وبعد أن ذكرهم بوجوب أداء الأمانات وتحريم الربا ووضع كل دم كان لهم في الجاهلية وإبطال النسء أوصى بالنساء خيرا ثم ختم خطبة الوداع بقوله .

(وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا : أمرا بينا ، كتاب الله وسنة نبيه . أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه .. أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم اللهم هل بلغت ؟ قالوا جميعا : اللهم نعم .

فقال عليه الصلاة والسلام : اللهم فاشهد)

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا
كَافَّةً فَلَوْلَا تَقَرَّرَ مِنْ كُلِّ
فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا
فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ
إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ
يَحْذَرُونَ »

صدق الله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن
بنات الشاطئ

الدين والأمن الأمانة العامة ، وتبغات القدوة

من الأمانة العامة ، ما تقوم به طائفة أو أخرى من أبنائها ، فرض
كفاية ، لتجد الأمة في كل موقع من مواقع وجودها من يكفيها عبء
أمانته ، فيسقط الفرض عن الكافة . من ذلك قوله تعالى في فريضة
الجهاد :
(وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ، فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ
لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ
يَحْذَرُونَ .)

(٢)

وفي احكام صلاة الخوف ، شرع الاسلام للمؤمنين أن يقصروا من الصلاة إن خافوا عدوهم : وقال عز وجل خطابا للنبي عليه الصلاة والسلام :

(وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) الآية .

وفي المتفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كلكم راع فمستول عن رعيته : فالأمير الذي على الناس راع وهو مستول عنهم ، والرجل راع على أهل بيته وهو مستول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مستولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده وهو مستول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مستول عن رعيته) .

هذا الحديث يوشك أن يضع كل فرد من الجماعة في موضع المسؤولية من الأمير والى الأمر إلى المولى والاجير والخادم . وتتفاوت تبعاتهم بتفاوت مناصبهم ومراكزهم من ولاية الأمور العامة وبها تأخذ القدوة حرمتها في الاسلام ويتقرر جزاؤها مضاعفاثوابا وعقوبة بما يحمل القدوة من تبعه من يرعاهم ومن يقتدون به .

الرسول عليهم السلام قادة قدوة قال تعالى خطابا لامة المصطفى والسلام :

(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) .

ونساء النبي كذلك . في موضع القدوة فمستوليتهن مضاعفة وتبعتهن مضاعفة مرتين .

★ ★

ويؤخذ قادة الكفار وطواغيتهم باثمهم وإثم من اتبعوهم ضلالا وإضللا : (ليحملوا أوزارهم يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ، ألا ساء ما يزرون) .

دون أن يعفى الذين ضلوا بهم من التبعة ، بل إن هؤلاء الضالين لن يلبثوا أن يضلوا غيرهم فيحملوا الأوزار مضاعفة بتتابع ميراث الضلال من خلف إلى سلف حتى يوم الحساب للضالين المضلين ودخول

الحجيم :

(كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا أداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا

هؤلاء أضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون)

التاريخ : ٣١ / ٣ / ١٩٩١

(٣)

بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئاً فإنما أقطع له قطعة من النار .

من هدى القرآن والسنة النبوية ، كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى ، أبي موسى الأشعري ، رضي الله عنهما رسالة القضاء التي أجمل فيها منهاج القضاء وسلوك القضاء في شريعة الاسلام وممن رواها الامام الدارقطني في سننه والحافظ أبو بكر البيهقي في السنن الكبرى كتب عمر :

(بسم الله الرحمن الرحيم)
من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، إلى عبد الله ابن قيس سلام عليك .
(أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلى إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاد له :

أس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يياس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا .

(لا يمتنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه إلى رشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل .

(الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الأشياء والامثال فقس الأمور عند ذلك واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق .

(واجعل لمن يدعى حقاً غائباً أو بينة ، أمداً ينتهي إليه ، فإن أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا استحللت عليه القضية فإنه أنفى للشك وأجل للعمى .

(المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد أو مجرباً عليه شهادة زور أو ظنياً في ولاء ونسب فإن الله تولى منكم السرائر ودرأ الحدود بالشبهات .

(وإياك والغلق والضجر والتأذي بالخصوم والتكر عند الخصومات فإن الحق في مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن الذخر . فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس . ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله ، فما ظنك بثواب عند الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته ؟ والسلام)

(والسلام على من اتبع الهدى)

صدق الله العظيم

في الموطأ وصحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في تبعات القدوة :
(ما من داع يدعو إلى هدى إلا كان له مثل أجر من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيء . وما من داع يدعو إلى ضلالة إلا كان عليه مثل أوزارهم ، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيء) .

والامارة ولاية عامة جليلة الخطر بما يحمل الأمراء الولاية من مسئوليتهم ومسئولية رعاياهم . وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به ، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه) .

وفي ترجمة « بريرة » مولاة أم المؤمنين السيدة عائشة « رضي الله عنهما جاء في الإصابة نقلاً عن الحافظ أبي عمر ابن عبد البر بالاستيعاب حديث عبد الملك بن مروان رضي الله عنه ، قال : (كنت أجالس بريرة بالمدينة - قبل العصر الأموي - فكانت تقول لي : يا عبد الملك إنني أرى فيك خصالاً وإنك لخليق أن تلي هذا الأمر فإن وليته فاحذر الدماء فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليه ، بملء محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق) .

وفي الخطبة الأولى للولاية العظامه قال

« أبو بكر الصديق » رضي الله عنه يوم بوع بالخلافة بعد أن حمد الله وأثنى عليه .
(أيها الناس لقد وليت عليكم ولست بخيركم إلا إن أصببت فاعينوني وإن انحطت فقوموني . أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم . ألا وإن أقواكم عندي الضعيف حتى أخذ الحق له ، وأضعفكم عندي القوي حتى أخذ الحق منه . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم) .

والعلماء في مركز القيادة والقيادة يحملون الأمانة الصعبة بما رفع الله من درجاتهم وقصر خشيته عليهم فقال تعالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وبما أصبح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (العلماء ورثة الأنبياء) فيقول الإمام مالك رضي الله عنه في ثقل تبعته وعظم مسئوليتهم : (بلغني أن العلماء يسألون يوم القيامة عما يسأل عنه الأنبياء) .

والقضاء أمانة صعبة ومسئولية عظيمة يكفي لبيان خطرها حديث أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها في الموطأ والصحيحين ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
(إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي فليعل

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَأَهُمْ
فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا
يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا
مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا * وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا
أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ * »

صدق الله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن
بنيت الشاطي

الدين والأمانة العامة والشعراء والانسان

لا يهون على فيما احتب عن قضايا أمانة الانسان ، ان أغفل تبعات الشعراء في مركز القيادة الوجداني للجماعة ، فالشاعر الانسان اذ ينفس عن مواجعه ومواجده ، ويعبر عن هواجسه وأمانيه ، فليست ذاتية الانسان فردية متوحشة ، بل هو وجدان مجتمعه في أرقف حساسيته ومشاعره ، المستشرف لما يتطلع اليه من أمانى طموحه ، والمعبر عن هموم واقعه .
وقد غبرنا زمانا ونحن في حيرة من أمر هذا الشعر وموضعه في وجودنا ما بين الجاهلية والاسلام ، قد غلبت علينا فيه أقوال وأحكام للنقاد القدامى ، ظلت تتناسخ من جيل الى جيل حتى وصلت الينا مثقلة بما أضافه النقاد على تعاقب الأجيال من شروحيها وتفسيرها وبراهينها ، فنشبت في فكرنا لا نكاد نملك منها فككا .
وتناقلناها ثراثا محتوما خلفا عن سلف ، مع حيرتنا بها :

(٢)

نردد مع قدامى النقاد ما جاء في كتابه (العمدة) لابن رشيق القيرواني (عن الشعر الجاهلي : (الشعر تجارة العرب) ويقول القدر الموثق من تراث الشعر الجاهلي : (الشعر في المجتمع العربي سيادة وقيادة ، وشاعر القبيلة الممثل لوجدانها العام ، لم يكن قط تاجرا ولا متسولا ، ولا كان قط مجرد بوق لها اصم . وحفظنا في قضية الاسلام والشعر

كلمة عن الاصمعي : (الشعر نكد يابه الشر فاذا دخل في الخير ضعف ولا .

وما جاء في كتاب (طبقات الشعراء لابن سلام)

[كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم اصح منه ، فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد ، وغزوا فارس والروم ، ولبيت عن الشعر وروايته]

وراج فينا القول بعداء الاسلام للشعر ، فنعجب لما يقتضيه ذلك من تعطل وجدانهم وتبلد احساسهم ، بمجرد مجيء الاسلام وان يعقم بيانهم فجأة ، وهو من اخص امانة الانسان ، وجوهر انسانيته الناطقة .

ونتلو في كتاب الاسلام آية البيان : (الرحمن ، علم القرآن ، خلق الانسان علمه

البيان)

ويقول تراثنا ، في القدر المحفوظ منه : ان الشعر كان سلاحا من امضى الاسلحة في المعركة بين المسلمين والمشركين والاعداء من يهود ، وأنه ظل محتفظا بسلطانه على الوجدان الاسلامي لم يعطله اشتغالهم بالفتوح ، ولم يفقد البيان مكانته في قوم امنوا بدين ، معجزته بيانية باهرة ..

ونقرأ في السيرة النبوية وتاريخ عصر المبعث مواقف للنبي صلى الله عليه وسلم من الشعر والشعراء ، يستنشدونهم في الحرم المدني ويستنفرونهم للجهاد في سبيل الله بالسنتهم كما نصره ناسيا فهم ، ثم كانت الفتوح الكبرى بقيادة أمراء من الصحابة وحاولت في دراساتي المبكرة لقضية الاسلام والشعر أن أخلص من حيرتي بها ، فكان قصارى ما استطعته ، أن وضعت ما

(٣)

فكان أن تتابعنا على دراسة القضية ،
استيفاء لمصادرنا من كتب علماء الشعر
ونقاد ، واكتفينا من أصولها الإسلامية ، على
شواهد ملتقطة من فهم سطحي لآيات
الشعراء ، وبضعة أحاديث في الشعر ، دون
عناء تخريجها لنعلم أنها أطراف مبتورة من
سياقها في الأحاديث كاملة ، ودون تنبه إلى ما
ينفي الأحكام الملتقطة من أطرافها ، بما صح
من أحاديث نبوية في فضيلة الشعر ، ومن
مواقف للنبي صلى الله عليه وسلم في استنفار
الشعراء الأنصار للجهاد بشعرهم والشهادة
للشعر بان وقعه على المشركين أشد من وقع
النبيل ، واستنشاده حسان بن ثابت : . قل
روح القدس معك . . واستدعائه حسان
ليرد على شعراء وفد تميم ، وخلعه برده على
كعب بن زهير ، بعد انشاده قصيدته
الإسلامية المشهورة . بانت سعاد . ودعائه
صلى الله عليه وسلم للأنباغة الجعدي - بعد
انشاده قصيدته الرائية : . لا يفضن الله
فك . وفاتنا إذ نقف في الصحابة الشعراء على
من ترددت أسماؤهم في السيرة النبوية ،
وأنهم ليسوا سوى قلة من كثرة بلغت بها
الدراسة المنهجية . (للصحابة الشعراء)
ستمائة شاعر

وما كنا ، لولا الاستهواء بالأحكام الشائعة
والأقوال الرائجة ، لبغوتنا واضح الثغاف
فيها ، ولما غاب عنا أننا إذ درسنا القضية
حولاء ، أن علماء الشعر ونقادهم قلما يعينهم
التصريح بكون الشاعر صحابيا ، بل طبقته
في الشعراء ، وأن علماء الصحابة ، لا
يشغلهم سوى الثبوت من صحة الصحبة
ورتبة الصحابي - ما بين السابقين الأولين
والمؤلفة قلوبهم من مسلمة الفتح ، شعراء
أو غير شعراء ، فغاب عنا بضع مئات من
الصحابة الشعراء ، وأكثر من عشرين
صحابية شاعرة !

بوعى ماخوذ بالاستهواء والغفلة ، جاز
علينا القول بتعطيل دين الفطرة لأية البيان ،
وما يعنى هذا التعطيل من بلادة الحس وعقم
الوجدان . . . * * *

تدبر آيات الشعراء ، يهذى إلى أنها أعلنت
عداء الإسلام لشعر النفاق والكذب والتضليل
والإغواء ، وأصلت قيما يرضاها الإسلام
لشعراء أمته ، لياخذوا مكانتهم القيادية
أمانة صعبة وتكليفاً مفروضاً وهم الموكلون
بالوجدان العام لتلايصدأ ، وضمير الجماعة
لتلا يتججر ، وحسها الإنسانى كيلا يتبلد .

استدراك .

وقع سهوا في آية (آل عمران : ١٠٤) مع حديث الأمس ، سقوط
الواو من قوله تعالى : (وأولئك هم
المصلحون) صدق الله العظيم

نردد من أحكام رائجة فيها وأحكام متداولة ،
موضع نظر نقدي كشف عن تهافتها
وتساقطها ، ونبه إلى (قيم جديدة للأدب
العربي ، القديم والمعاصر) حاضرت بها في
معهد الدراسات العربية العالية ، وفي جامعة
عين شمس ، وفي زيارتي لجامعات دمشق
والأردن وبغداد وأم درمان الإسلامية
والخرطوم ، والجزائر وتونس ، فلما نشرتها
دار المعارف بالقاهرة ، شغلت عنها
بدراساتي القرآنية وعلوم الحديث ، وظلت
مع ذلك تشاغلني من حين إلى آخر ، فيما
أحرص عليه من ترسيخ الصلة الوثيقة بين
علوم العربية وعلوم الإسلام ، بعد أن عزلنا
بينهما في دراساتنا الحديثة ، فجارت علينا
هذه العزلة .

فحدث أن اتجه إليها أحد أبنائي
الأصحاب ، الأستاذ الدكتور محمد الراوندي
من شباب علماء القرويين الذين حظيت
بصحبتهم في دراساتهم الجامعية لدبلوم
الدراسات الإسلامية العليا ، ودكتوراه
الدولة في علوم الإسلام ، فكانت دراسته
للقضية في (الصحابة الشعراء ، رضى الله
عنهم) على أدق الضوابط المنهجية ، فتحا
جديدا أرجو أن أقدمه إلى قرائي الأصدقاء
الذين تربطهم بي صلبة فكرية حميمة .

وأعرض اليوم للقضية ، في سياق قضايا
الأمانة الصعبة ، من وجهة نظر الإسلام إلى
الشعر ودوره في القيادة الوجدانية للجماعة ،
لاخطر مرحلة من تاريخنا الإسلامى -
والتاريخ الإنسانى العام - انطلاقا من
تصحيح خطأ تورطنا فيه على غفلة منا ، حين
نظرنا إلى القضية من حيث هى قضية شعرية
أدبية ، أحكمتنا فيها إلى أقوال علماء الشعر
ونقاد ، القدامى والمحدثين ، وفاتنا أننا
حين نقول : . الإسلام والشعر ، فالقضية
إسلامية ، ثم شعرية . وليست قضية أدبية
محضة كما تناولها النقاد القدامى
والمحدثون ، عدا المستشرقين - اليهود
منهم بخاصة - فإنهم نظروا إلى جانبها
الإسلامى بعين الهوى والتعصب المقيت ،
فكاننا جميعا نظرنا إليها بعين حواء ، ومع
سيطرة الأحكام النقدية لعلماء الشعر العربى
ونقاد المستشرقين ، زاغت أبصارنا
فاختلت الموازين واضطربت المقاييس ،
وضلت الأحكام ضلالا بعيدا ، وكان ينبغي
لدرسها متكاملة ، أن تعرض كل الأقوال
والأحكام الرائجة فينا ، على الأصول
الإسلامية ثم يبدأ النظر إليها بموقف النبى
صلى الله عليه وسلم ، وليس مثله من يقضى
فيها ، ثم تراث الصحابة الشعراء تلاميذ
مدرسة النبوة رضى الله عنهم ، والجيل
الإسلامى الأول الذى يمثل موقف الإسلام من
الشعر ، ومكانة الشعراء في المناصب
القيادية للوجدان العام ، فرض كفاية .

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ
شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ
الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ *

صدق الله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن
بنسبت الشكايطي

في ذكرى يوم بدر الصوت الأخر

في حسب التاريخ أن المواجهة الأولى بين الإسلام ومشرقي قريش في مكة ، تختلف تماما عما واجهه في دار هجرته من معركة معقدة بينه وبين أعدائه في ميدان ذي جبهات ثلاث ، يلقي فيها حشود قريش في قتال مسلح لأول مرة ، والأعداء اليهود في أوكارهم الخطرة شمالي الحجاز ، وجيوش المنافقين من أهل المدينة ، الذين حالفوا يهود .. وتنداخل هذه الجبهات زمانا ومكانا فيزداد الموقف تعقيدا وصعوبة ، من حيث لا يستطيع المؤمنون أن يفرغوا للجهاد في إحدى الجبهات حتى يفرغوا منها فينتقلوا إلى جبهة أخرى . ويمكن القول مع ذلك ، إن الجبهة اليهودية بدأت تشحذ أسلحتها المسمومة لحرب الإسلام من أول يوم للهجرة ، وإن كرهت أن تواجه الإسلام في معركة مكشوفة ، وترى أنها يتحدد مصير القتل مع مشركي مكة ، وقد بدأ في السنة الثانية للهجرة .

(٢)

و اما المنافقون فتاخر ظهور جيوبهم الخطرة رينما سري سم الشيطان
فيها بطيئا خفيا لم يكذب يلحظ الا بعد ان ضري واستشري يهدد الوجود
الاسلامي بدار هجرته ، في اخرج المواقف
ذلك كله مما كان يدخل في حساب التاريخ والسنة الثابتة ، حين بدأ
الظاهر الرؤية القريبة ان مكة وحدها هي مركز الخطر على الاسلام وان له في
دار هجرته مامنا من كل خطر .

● ● ●
على ساحة ماء بدر ، كانت اول جولات المعركة بين المسلمين
والمشركين من قريش .

لم تات هذه الجولة فجأة بل سبقتها نذر
تراكمت على أفق الحجاز ما بين دار المبعث ودار
الهجرة معلنة عن حتمية الحرب بين الاسلام
والوثنية القرشية ، إذ ليس من طبيعة الأشياء أن
يتهاذن حق وباطل .

وقد اذن للمسلمين في القتال بعد طول صبر
وبلاء وامتحان . لكنه لم يبدأ مع ذلك في عام
الهجرة الاول الذي مضى كله تعبئة للجهاد
وتنظيما للمجتمع الاسلامي في مركزه بالمدينة ،
واكتشافا لابعاد الميدان في منطقة كانت حتى
المبعث ، ولمدى خمسة قرون قبله ، شبه
مستعمرة لليهود الطارئين عليها من جنوبي الشام
فرارا من وطأة الرومان الساحقة

من مطلع السنة الثانية للهجرة ، بدأ
المصطفى صلي الله عليه وسلم يخرج في غزوات
قصار إلى مناطق قريبة تدريجيا لجنده وإقرارا لهيبة
الاسلام في موقعه الجديد . كما بدأ عليه الصلاة
والسلام يبعث سراياه تجوب المنطقة ما بين مكة
مركز طواغيت قريش ، والمدينة دار الاسلام في
مهاجره . ولم تكن هذه السرايا قاصدة إلى قتل ،
بل كانت دوريات استطلاع لترصد أنباء قريش في
منطقة الحجاز .

اول السرايا ، سرية . عبيدة بن الحارث بن
المطلب القرشي الهاشمي ، إلى مشارف الحجاز ،
وقد لقي جمعا من قريش فلم ينشب بينهم قتال ،
سوى أن . سعد بن أبي وقاص الزهري . - من
جنود السرية - رمى سهما فكان اول سهم رمى به
في الاسلام ، فيقول سعد ، رضي الله عنه معقرا
ساقته :

الا هل أتى رسول الله أني

حميت صحابتي بصدور نبلي

لما يبعث رام في عدو

يسهم ، يا رسول الله ، مثل

ماذا كان من أمر المسلمين حين جاءهم النبا
جمع المصطفى صلى الله عليه وسلم صحابا
المهاجرين والانصار ، وعرض عليهم الموقف

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُكَذِّبِينَ * هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ
وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ * وَلَا تَنْسُوا
وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ »

بسم الله الرحمن الرحيم

د. عائشة عبد الرحمن
بنيت الششاطية

الدين من عبرة الأيام درس من والانسان أحد ورسالة من شهيد

ذكرت في احتفالنا بذكرى النصر يوم بدر الأغر ، ما نبهني إليه زميل من أبنائي النبلاء شباب علماء القرويين في مذكراتنا فيما فرطنا فيه من أمرنا ، أننا جرينا على أن نحتفل بأعياد النصر في ذكرى أيامنا التاريخية المشهودات ، ولما نذكر أيام الهزيمة والانكسار ، وهي أحق بالعظة وأولى بالاعتبار .
وعدت على بدء استحضار ما فاتنا من عبر الأيام والليالي . وكان في العزم أن أقدمها في (حديث رمضان) لهذا الموسم لولا شواغل ضاغطة حالت دون تفرغ لها على سعة من الوقت وراحة بال .

(٢)

في الرؤية القريبة المائلة لذكرى يوم بدر الاغر ، اذكر معه ماكان من عواقبه التي فرطنا في الاعتبار بها ، فقلما ذكرنا يوم أحد مع يوم بدر ، ولا يوم حنين الذي لبى فيه المؤمنون إذ أعجبتهم كثرتهم فلم تغن عنهم شيئا وضاعت عليهم الأرض بما رحبت ... وغابت عنا أيام أخرى كثيرة ، ماكان أشدها وأقساها ، فاضعنا درسها وعبرتها . فلنتحدث في ذكرى يوم بدر ، عما نسيناه من عبرة النصر ، فكان الدرس يوم أحد ألما موجعا عصيبا .

ما أبهظ أعباء النصر وما أسرع ما يتعرض لضباع بادنئ بادرة من تهاون أو تفريط يستمرئ فيها المنتصر فرحته فيغفل عن موقعه تجاه عدوه ويتهاون في تقدير طاقة التحدي في طالب النار المهزوم ! والنصر يوم بدر قد حرم المسلمين تبعاته وتكاليفه بقدر ما أثقل على قريش بخزى العار وعباها لاسترجاع شرفها الضائع ، والنار لقتلاها المجندين على ساحة بدر . وقد احتاجوا الى سنة كاملة ريثما عباوا قواهم واحتشدوا للمعركة الثار وخرجوا من مكة . وخرجت معهم نساؤهم يضربن الدفوف على صوت هند بنت عتبة .

وبها بنى عبد الدار وبيحامة الادبار

ضربا بكل بشار
إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق
أو تدبروا نفارق فراق غير وابق
ولم تكن هند قد نامت عن نارها قط ، وفي قتلى بدر السبعين : حصة بن زوجها أبي سفيان ، وأبوها عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وأخوها الوليد بن عتبة ، وعمها شيبه بن ربيعة ، ثلاثة سيدنقوا مصارعهم بسيف الفارس الهاشمي حمزة بن عبد المطلب .

.....
حتى إذا دنوا من المربة خرج إليهم المصطفى عليه الصلاة والسلام في ألف من المسلمين لم يلبثوا أن نقصوا بضعة مئات من المنافقين : قبل أن يلتقي الجمعان عند جبل أحد ، في منتصف شوال من لسنة الثالثة للهجرة .

والتحم الجمعان ، ومة تختل موازين القوى التي تقررت من قرء يوم بدر : كان النصر في أحد للمسلمين . تمك فيه ، وقد كشفوا الكثرة المشركية عن عسكرهم فولوا الادبار تاركين لواءهم عن ساحة مهزوما .

وتجاوبت أرجاء الحجاز ما بين أم القرى ودار الهجرة . بأصداء المعركة في نقاض الشعراء من الحزبين . يستهلها . عبد الله بن الزبير السهمي (من كبار شعراء قريش . والأصداء تتلاقى وتتصادم . كاشفة في وهج الملحمة عن أبعاد الديدان وأسلحته . لمعركة طويلة المدى

في ذلك اليوم العصيب افتقد المصطفى صلى عليه وسلم صاحبه . سعد بن الربيع الأنصاري . - أحد النقباء في بيعة العقبة الكبرى - فقال لمن حوله (من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع . ان الأحياء هو أم في الأموات ؟) فذهب رجل من الأنصار ينظر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل سعد . فالفاه غير بعيد من ساحة القتال جريحا وبه رمق . فأنبره عما كان من افتقار المحطلي له وسؤاله عنه فجمع . سعد . مابقي له من رمق المحتضر وقال رضي الله عنه لرسول المصطفى إليه :

(أبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عني السلام . وقل له ان سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته .) وأبلغ قومك مني السلام وقل لهم ان سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص العدو إلى نبيكم صلى الله عليه وسلم . وفيكم عين تطرف)

وأسلم الروح مطمئنا بعد ان بعث رسالته الى الحبيب المصطفى والى قومه الأنصار . ولم ينس الصحابة رضي الله عنهم .

شبهدهم سعد بن الربيع ورسالته وفي الخبر - بالسيرة النبوية - أن رجلا دخل على أبي بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم . وقد ضم طفلة صغيرة الى صدره وأقبل عليها يلاعبها ويقبلها . فسأل الرجل من حذو ؟

أجاب الصديق أبو بكر (هذه بنت رجل خير مني سعد بن الربيع . كان من نقباء العقبة وشهد بدرا واستشهد يوم أحد)

كذلك لم ينس تاريخ الاسلام رسالة سعد . الجندى الشهيد . بل استوعب مغزاه ودلالاتها ورصد موقعها من نفوس المؤمنين تزيدهم ثباتا وأستبسال . ومن نفوس أعدائهم . تبرز ثقتهم في جدوى معركة خاسرة بلا ريب . يخوضونها مع أمثال هؤلاء الجند المؤمنين الذين يرون الموت في سبيل عقيدتهم حياة وانتصارا . فما يزال احد منهم حين يقتل في سبيل الله

لكن المسلمين تعجلوا الموقوف فتركوا مواقعهم في الميدان وأسرعوا يهجمون عسكر قريش بعد انكشافهم عنه .

وتركوا القائد المصطفى حيث هو في قلب الجبهة . لبس معه سوى نفر قليل ثبتوا في مواقعهم حوله . ولاحت الفرصة لخالد بن الوليد المخزومي وكان يترقبها بنظرة ثاقبة فهجم بغتة بكتيبة خيل قريش من الثغرة التي كشفها المسلمون . وكرت فلول قريش راجعة الى الميدان الذي سيطر عليه خالد . وبادرت إحدى نسايتهم فالتقطت لواءهم ورفعته لهم .

وكان ما لا بد أن يكون . تغير وجه المعركة وضاع النصر من المسلمين وقد كان لهم دون ريب . ولولا ثبات القائد المصطفى والنفر القليل من أصحابه معه لكانت الكارثة .

واطردت المقاييس لم تتخلف :

استرد المسلمون وعيهم للموقف بعد أن ساورهم اليأس منه حين أرجف المشركون بأن محمدا قد قتل . لكنه صلى الله عليه وسلم كان هناك جريحا مخضب الوجه بالدماء يوجه جنده من موقعه في قلب الجبهة ومن حوله النفر المؤمنون قد جعلوا من أجسادهم دروعا لقائدهم المصطفى . وما إن صاح أحدهم ببشرى حياته صلى الله عليه وسلم حتى عاد المسلمون جميعا فاخذوا من أعقبه هناك وتقهر . جيش المشركين قانعا بالنصر المخطوف وابتدروا الطريق عائدين الى مكة لا يكادون يصدقون ما كان .

وفرغ المسلمون لقتل شهداء . ومضى المصطفى يلتمس عمه الفارس الشهيد حمزة بن عبد المطلب . فوجدته هناك ببطن الوادي قد صرعه حربة غادرة سددها إليه . وحشى . مولى جبير بن مطعم القرشي . بتحريض . هند بنت عتبة . التي جاءت فرقصت على مصرع الفارس الشهيد ومنلت بجسده الطاهر فبقرت بطنه عن كبده فلاكتها ثم لفظتها . وجدعت أنفه وأذنيه فتخنت منها حليا بدلا من حليها التي دفعتها الى وحشى من ثمن الصفقة الغلرة .

قال عليه الصلاة والسلام حين رأى عمه حمزة :

(لن أصاب بمثلك أبدا . وما وقفت من هنا قط اغيظ الى من هذا) وأمر صلى الله عليه وسلم فسجوا ببردته حمزة . وصلى عليه مكبرا سبع تكبيرات .

ثم جرى بالشهداء فكانوا يوضعون واحدا بعد الآخر الى جانب حمزة فيصل النبي عليهم وعليه حتى بلغت مرات الصلاة عن سيد الشهداء اثنتين وسبعين صلاة . بعد الشهداء يوم أحد .

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَيْرَ بَيْنِ اللَّهِ
وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ
وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ
يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي
أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِسْتُ الْمُسْلِمِينَ »

د. عائشة عبد الرحمن
بنيت الشاطي

بسم الله العظيم

الدين والأمن والإنسان الأمانة الصعبة ، وحقوق الإنسان

حديثي السابق عن الأمانة العامة للأمة تكليفا ، أو لظوائف منها ، فرض كفاية كالأمراء والولاة والعلماء والقضاة ، ذلك الحديث يصلح لأن يكون توطئة لما استقبل من حديث عن حقوق الإنسان ، من حيث هي أمانة عامة للأمة نضالا عن كرامة إنسانيتها ووعى رشدها .

و أقطار وطننا الكبير تحتفل سنويا بذكرى إعلان حقوق الإنسان من هيئة الأمم المتحدة بأمريكا قبيل منتصف هذا القرن الحالى . وغير مستبعد أن يكون لأمة أو لأخرى احتفالها الخاص بعيدها لحقوق الإنسان ، لكن ليس على النطاق العالمى لوثيقة الأمم المتحدة التى يبدو أنها حجت ماعداها ، اللهم إلا أن نذكر إعلان شعار الثورة الفرنسية المشهور (الحرية والائخاء والمساواة) أواخر القرن الثامن عشر .

(٣)

فيما يتعلق بالاسلام وحقوق الانسان ، ظهر منذ ثمانين سنين مقال
لغضيلة الاسناد . الدكتور يوسف القرضاوى . عميد كلية الشريعة
بجامعة قطر . كشف فيه عن اقدم وثيقة لاعلان حقوق الانسان .
سبق في التاريخ اعلان الثورة الفرنسية .
ونشر المقال في (الكتاب التذكاري للعيد الالفى للازهر . الذى
صدر في جمادى الاولى سنة ١٤٠٢ هـ . مارس ١٩٨٢ م عن الامانة
العامة للاحتفال بعيد الازهر الالفى . باللغة العربية والترجمة الى
الانجليزية .

عنوان المقال : (رسالة الازهر بين اسس
واليوم والغد) قال فيه يؤرخ لهذه الرسالة في
اواخر العصر المملوكى الثانى - ومقاومة
الحملة الفرنسية :

وانى لاحسن بالنشوة والفخر كلما قرأت
تاريخ تلك الحقبة ووجدت الازهر هو العقل
المدير واليد المحركة لتلك الحركات
الثورية . استمع معى الى هذه الفقرة عن ثورة
أكتوبر سنة ١٧٩٨ . اى بعد ثلاثة اشهر من
الاحتلال الفرنسى : . وشكلت لجنة قيادة
الثورة جعلت الازهر مقرا لها . وانتخب
الشيخ السادات رئيسا لها . وتخلت كتائب
المتطوعين وزودتها بالاسلحة

[ولم يكن الازهر قائد الكفاح ضد الاحتلال
الاجنى فقط . ولكنه كان قائد الكفاح
الدستورى ضد الاستبداد الداخلى كذلك .
ففى سنة ١٧٩٥ قبل الحملة الفرنسية .
اضطربت الامور من طغيان المماليك . وعلى
راسهم مراد وابراهيم . فنهض وفد من
العلماء في مقدمتهم السيد عمر مكرم للدفاع عن
الحريات العامة ومناهضة الاستبداد .
والزموا الطاغيتين بشروط سجلت في وثيقة
تعهدوا فيها بإقامة العدل والتوبة من
العدوان . وبعدون بالقيام بالواجبات التى
يفرضها عليهم الشرع والعرف من صرف
الاموال على مستحقها ورفع الضرائب
المستحدثة . ويتكفلون بكف أتباعهم عن
امتداد أيديهم الى الاموال . وأن يسيروا في
الحكم سيرة حسنة]

[هذه الوثيقة التى استخلصها العلماء
من الحكام . تعد أقدم وثيقة لاعلان حقوق
الانسان . فقد سبق في التاريخ اعلان حقوق

(٣)

وجودها الحر في انتظار الحملة الفرنسية لنهر
مضاجعها بطلقات المدافع تدك قلاع
الاسكندرية . وتوقظها من نومها كي تستقبل

مطلع عصرها الحديث !

فلنقل كذلك إن كفاح مصر ضد الاستبداد
ومقاومتها الاحتلال الفرنسي أو آخر القرن
الثامن عشر للميلاد . يدخل في حساب التاريخ
العام . لا الاسلامي فحسب . كجولة من
جولات معركة طويلة بأسلة لنضال
الانسان - منذ كان - من أجل الحرية
والكرامة والعدل . وبضيق المجال عن ذكر
ما يحضرنى من تاريخ جولات هذه المعركة
النبيلة فحسبى أن أذكر الفاعلين منها أن
الرسول جميعا . من عهد أولهم سيدنا نوح .
إلى المصطفى خاتمهم عليهم السلام . كانوا
دعاة تحرير لأممهم من ميانة العبودية لغير
خالقيهم . والخلاص من طاغوت الجبابة . لا
أحتاج في الاستدلال لذلك إلى مراجعة مصادر
التاريخ الديني لأمم أولئك الرسل . منهم من
قص علينا القرآن أنباءهم . ومنهم من لم
يقصص . يكفي أن نخلو في القرآن الكريم من
أنباء الأولين . هذه الآيات البينات من
رسالة نوح عليه السلام (ولقد أرسلنا نوحا
إلى قومه إنى لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا
الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم اليم . فقال
الملا الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا
مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا
بإدى الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل
نظنكم كاذبين . قال يا قوم أرايتم إن كنت على
بينة من ربى وإتاني رحمة من عنده فعميت
عليكم أنتم كمؤموا أنتم لها كارهون . ويا
قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله .
وما أنا بطارد الذين آمنوا . إنهم ملاقو ربهم
ولكنى أراكم قوما تجهلون . أفلا تذكرون . ولا أقول
لكم عندي خزائن الله .) الآيات

وهذه الآيات مما يتلوه المسلمون كافة أو
يتلى عليهم وإن لم يعلموا بالضرورة أن
نوحا . عليه السلام أول الرسل . فتكون
الآيات - ونظائرها شاهدا على أن البشرية
قديمة عهد باعلان التوحيد والمساواة .
والغرض من كبرياء الأكابر الذين تزدري
أعينهم أراذل يفضلونهم بالإيمان

ثم تظل القضية مجالا لبطان مطالب حقوق
الانسان في الاسلام . على وجه تلقى به أبناءنا
في هذا الزمان الذي نحتفل فيه سنويا بعيد
حقوق الانسان . تكليفا من المنظمة الدولية
للأمم المتحدة أو مجارة لأعضائها من الدول
العظمى

(فذكر إن تفتت الذكرى . سيذكر من

يخشى *)

صدق الله العظيم

استدراك

سقط هذا الشطر من ختام حديث الاس :

* على أي جنب كل في الله مصرعه *

الانسان في اعقاب ثورة فرنسا سنة ١٧٩٨ .
سجل علماء الاسلام هذه الوثيقة في عصر
عرف بالتأخر العلمي والركود الادبي
والانحطاط العام في حياة المسلمين [

وأغلب الظن أن هذه الوثيقة الهامة
حجبت كذلك عن التداول العام . فيما حجب
من ثورات محلية اقليمية ضد الظلم
والاستبداد . والكتاب التذكارى محدود
مجال التوزيع . ولم اطلع على المصدر الذى
اتبته فضيلة الدكتور القرضاوى . على
هامشه للمادة التاريخية .

- (كتاب كفاح الشعب للسيد محمود أمين
حسونة . يتصرف . وانظر الازهر في ألف
عام للدكتور أحمد عوني)

ومهما يكن حظ هذه الوثيقة من
التوثيق . فلما ينبغي أن تمر شهادة
فضيلة الدكتور القرضاوى لها . دون نظر أو
تعقيب نظرا لمكانته في الفكر الاسلامي
الحديث . وانتماه أصلا إلى الازهر الشريف
فضيلة الاستاذ الدكتور . من المرجو
لأن يبلغوا الناس أن تاريخ شعوبنا . قبل
وبعد هذه الوثيقة المستخلصة من الحكام
المماليك في سنة ١٧٩٥ م . حافل بثوراتها
الباسلة على الرق الجماعى بالاستعمار .
ورفض الظلم والظلم والفساد

ولعل فضيلته أراد بشهادته لهذه الوثيقة
التي استخلصها علماء الاسلام من الحكام في

آخر العصر الثانى للمماليك . التركيز في
العيد الالفى للازهر . على دور علماء الاسلام
(في الكفاح القومى ضد الاحتلال الاجنبى .
وضد الاستبداد الداخلى) والتنبيه على أن
تاريخ الوثيقة المملوكية . أسبق من الحملة
الفرنسية على مصر بثلاث سنوات أو اربع
فلنقل إن هذه الوثيقة شهادة لمصر بانها
لم تنم على ضيم في أحلك فترة من تاريخ عصر
المماليك . وشهادة بانهم استجابوا لتوجيه
علماء الاسلام . وأصغوا إلى كلمتهم . فلم
ينكروا عليهم ما حملوا من أمانة النصيحة في
الدين . قياما بتكليف الأمر بالمعروف والنهى
عن المنكر . وطاعة لله تعالى

وفي الحديث المتفق عليه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال

(الدين النصيحة) قيل لمن قال (لله
ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين
وعامتهم)

قال شرح الحديث . وأما النصيحة
لائمة المسلمين فمعناونتهم على الحق
وطاعتهم فيه وأمرهم به . والمراد بائمة
المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور
المسلمين من أصحاب الولايات . وأما
نصيحة عامة المسلمين . وهم من عدا ولادة
الأمور . فارشادهم لمصالحهم في آخرتهم
ودنيائهم .

وقد أرى أن في تعبئة علماء الاسلام الشعب
لمقاومة الاحتلال الفرنسى حيث كان الازهر
مركزا ليزد التعبئة . شاهدا على أن مصر لم
تكن . حتى أواخر عصر المماليك . نائمة عن

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى
كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ
إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا
وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا
مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا
فَقُولُوا أَشْهَدُ وَأَيُّنَا مُسْلِمُونَ »

بسم الله الرحمن الرحيم

د. عائشة عبد الرحمن
بنسبت الشافعية

الدين والإنسان حقوق الإنسان والاسلام الحرية .. والحرية

في حديث الامس عن وثيقة لعلماء الازهر ضد الظلم والفساد
أواخر العصر المملوكي ، قبل الحملة الفرنسية على مصر - سنة
١٧٩٨ - جرى ذكر شعار الثورة الفرنسية فالتبس تاريخها - سنة
١٧٨١م - بتاريخ الحملة ، فوجب التنبيه .
واتحدث عن الاسلام فاذا ذكر : أنني لا أجد فيه حقوقا للإنسان
بالمفهوم الشائع ، بل هي فيه من أمانة إنسانيته : تبعة تكليف
ومسئولية رشد . وفرق بعيد بين حق للإنسان لا حرج عليه في أن
يتنازل عنه ، أو يطلبه ممن بيده المنع واليمنع ، وبين تكليف ديني لا
يملك الإنسان أن يفرط فيه أو يتنازل عنه . ولا هو بمترك لسواه .
أن شاء منح وإذا شاء منعه .

(٢)

فإذا جرى القلم واطلقتنا عليها صفة حقوق للانسان . فعلى سبيل
التجوز والتسريح في التفاهم بلغة العصر .
في حقوق الحرية ، لنسنا أحرارا في أن نعبد غير خالقنا وحده . ولا
أن نفرط في أمانة العقل بالالغاء أو التعطيل والمصادرة . كما لنسنا
أحرارا في تعطيل حرية الرأي فندخل في زمرة من سماهم النبي عليه
الصلاة والسلام الشياطين الخرس . ولا نحن أحرارا في التخل عن
مسئولية اعمالنا وكسبنا ومسئولياتنا
ومطالب الحرية اصل لما نطلق عليه (حقوق الانسان) وإذا كان
من المتعذر تناول قضية الحرية في مجالها العام الذي يلم باطرافها
ويلتمس رصيد الانسانية فيما حملت من أمانتها . فكذلك يبدو من
العسير تناولها في مجالها الاسلامي الرحب بما شئ أهل له من امعان
النظر والتدبر . وفاء ببعض حقا .

والقضية ذات شعب . منها ما يتصل
بالحرية العامة من الرق . ثم حرية الاعتقاد
وحرية الفكر والرأي . وحرية الإرادة فيما هو
من كسبنا ومسئولياتنا

وايرادها على هذا الترتيب . ملحوظ فيه ان
حرية الانسان المنافية للرق . مقرر له بمجرد
مولده إنسانا . بشرا سويا . ثم تأتي حرية
الاعتقاد والفكر . من لوازم إنسانيته وتكاليف
رشد . ثم حرية الإرادة الكسبية مع (الايمان
بالقدر خيره وشره) وهي أصعب مطالب
الحرية . وإن كانت الأساس الذي يقوم عليه
حمل الانسان ومسئولية عن عمران الارض
أمانة التكليف .

وفي الحق أن الحرية (كل) لا يتجزأ . فان
تكن البشرية قد وصلت بعد كفاحها دهورا
وأحقابا الى اعلان تحرير الانسان من الرق . فلا
يزال عليها أن تكافح طويلا ضد الاسترقاق
الجماعي للشعوب بالاحتلال العسكري
وبدائله العصرية . دون أن تكف لحظة عن
المجاهدة والجهاد في سبيل تحقيق وجودها
الكريم . نخالا عن حرية العقيدة والضمير
والعقل والفكر والرأي والإرادة الكسبية .
مدركة أن حرية الانسان كل لا يتجزأ . وأي
مساس بجانب منها عدوان على كرامة الانسان
وتعطيل لمسئولية أمانته .

ولعلها في حاجة كذلك الى أن تناضل لتحرير
مفهوم الحرية من شوائب المسخ كيلا تلتبس
بالغرضي والانحلال . ولكي يرسخ اليقين بأن

(٣)

والحق أن الإسلام في مواجهته مشكلة الرق ، عمد إلى إغلاق منفذ الاسترقاق لاسرى الحرب والقتال . كما عمد إلى تصفية الرق القائم . من حيث هم طبقة . أو أفراد . فاما عن إغلاق منفذ الاسترقاق لاسرى فقد نزل فيه الحكم بتخيير المسلمين فيهم بعد انتهاء القتال بالنصر . بين المن عليهم باطلاقهم من الاسر . أو قبول الفدية فيهم . قال تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا فاضرب الرقاب حتى اذا اخذتموهم فشدوا الوثاق فاما من بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) الآية . وفي تصفية الرق القائم . عهد بمسئولية تحرير (الرقاب) من حيث هم طبقة . الى الجماعة وولي الامر . والعبء فيها على بيت مال المسلمين . حيث حدد مصارف بيت المال فجعلها ثمانية . خامسها لتحرير الرقاب .

وأما تحرير رقبة . في الحالات الفردية . فمسئولية المؤمنين افرادا . احتمالا لاسانة الانسان (سورة القيامة) وكفارة عن عدد من الذنوب كالحنث في اليمين . والقنل خطأ والخيار بان يجعل الرجل زوجته محرمة عليه كظهر أمه . ثم يريد العودة اليها . كما شرع الاسلام (المكاتب) منفذا اخر لتصفية الرق القائم . فاذا رغب العبد في فك رقبته مقابل مبلغ معين من المال يكتبه على نفسه . فالحكم الشرعي أن يجاب الى رغبته وعلى الذين اتاهم الله من ماله أن يؤتوهم من مال الله (..) والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا . واتوهم من مال الله الذي اتاكم) ..

والى أن تتم التصفية . شرع الاسلام الاحكام الخاصة بالرقيق رجالا ونساء . تامينا لهم من الضياع . ولئلا يتركوا للبهوى وإذا كان المجتمع الاسلامي قد بقي فيه رقيق في العهد النبوي والخلافة الراشدة . فقد كانت بلا ريب بقية في طريقها الى الحرية . لولا ما طرأ على الامة الاسلامية بعد عصر الخلافة الراشدة من ظروف وأوضاع ضيقت على الانسانية ما أتاحت لها الاسلام مبكرا لخلاصها من مهانة الرق . قال تعالى

وبقي ضمير المؤمن نفسه اللوامة . نأبى عليه أن يستعبد إنسانا لعله أقرب الى الله منه . وتظل الانسانية كادحة أبدا لتحقيق وجودها الحر الكريم . بما تتلو من كلمات عز وجل في رقص عبودية بشر لبشر مثله . ولو كان نبيا رسولا
١ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة . تد يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله (صدق الله العظيم

هذه الحرية ليست منحة أو عطاء من مخلوق مثلنا يمن بها علينا أو يمنعا ويصادرهما . بل هي فرض تكليف على كل قادر على حمل تبعاتها . أهل للاضطلاع بمسئوليتها الصعبة .

فلننظر بعد هذه التوطئة العامة الى موقف الاسلام من الحرية والرق . والحديث عنه يطول ويتشعب . فتكفى الإشارة الى المبادئ .

مبدأ الحرية من الرق . يتقرر للانسان أصلا في دين الفطرة بمولده بشرا سويا . كما يتقرر أصلا بالتوحيد جوهر الدين كله . لا يعبد الانسان سوى خالقه وحده . لا يشرك بعبادته مخلوقا بشرا مثله . . وإذا كانت البشرية قبل الاسلام قد تورطت في شبهة تقديس القادة والحكماء . اثرا من رواسب ميراثها من عصر عبادة الأبطال البديل عن عصر تعدد الآلهة . فان كتاب الاسلام فيما استقصى من جوهر الدين كله في الرسائل التي جاء خاتما لها ومصداقا بها ومبيها عليها . قد أعلن المبدأ الأصل لكلمة التوحيد

في قوله تعالى لخاتم رسله عليهم السلام (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله . فان تولوا فقلوا اشهدوا باننا مسلمون) ومع تقرير مبدأ التوحيد المنافي لعبودية الانسان غير خالقه . واسترقاق مخلوق لمخلوق مثله . واجه الاسلام في زمن المبعث مجتمعا متصدعا بطبقية تقوم على استرقاق الأحرار للموال من الاسرى والعبيد . وبدت المشكلة معقدة عصية على الحل الواقعي الذي يقوض فجأة كيانا اجتماعيا بأوضاع رسختها تقاليد موروثة واعراف مقررة دون أن يشرع لوضع هذه الطبقة المستترقة . في مجتمع إسلامي قوامه التوحيد .

وبما ينبغي لى أن أتعلق بشهادة كتاب منا ومن الأجانب . بان وضع الرق في الاسلام أشون من وضعه في أمم سابقة كالرومان واليونان والفرس . فليست القضية مقارنة بين أوضاع الرق سابقة ولاحقة . بل مشكلة وجود رقيق في مجتمع إسلامي قوامه التوحيد . ومهما يكن من رسوخ وضع الرقيق في المجتمع العربي وقتئذ . فليس كرسوخ الشرك فيهم . نقضه الاسلام من أساسه . ودين الفطرة بقدر بلا ريب أن حساسية الانسان لعبادته . أقوى من حساسيته لوضع طبقته .

حديث مفضل

بسم الله الرحمن الرحيم

« فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ
عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ
ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ »

بسم الله الرحمن الرحيم

د. عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطئ

الدين والانسان حقوق الإنسان ، والأمان فطرة التدين ، وحرية العقيدة | ١

ناخذ حربه العقيدة مكانها الاسمي في أمانة الانسان من حيث
تنعلق باحصر ما يميزه عن سائر الكائنات وهو التدين فطرة .
والنعمد الاختياري بارادة كسبية . لا فيما هو مقدور عليه لا ارادة له
فيه قال تعالى (ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا
وكرها)
السجود في أصل معناد اللغوي الخضوع . وهو في الآية كما
ذهب علماء القرآن والأصول عام في المخلوقات جميعا خضوعا
لنواميس الالهية . لا يخرج عنها الملائكة والشياطين . الانس
والجر والبشر . المؤمن والضال والكافر . النبات والجماد . قالوا
(وذلك ضربان سجود باختيار وليس ذلك إلا للانسان وحده وبه
يسنحوق النواب . ويسجد بتسخير لسائر الكائنات .

(٢)

وقوله تعالى : والله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة
والملائكة وهم لا يستكبرون (يدخل فيه النوعان من السجود
الاختياري ، وذلك للانسان ، والسجود بالتسخير ، ويدخل فيه مع
الانسان سائر الكائنات وكذلك قوله تعالى
(تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ، وإن من شيء إلا
يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم)
الكائنات كلها تسبح بحمده شهادة على القدرة الالهية ، مسيرة
بواميس الهية دالة على حكمة الخالق في التسخير لما يقوم به
الوجود وتحقق المصالح ودفع المضار وبقاء النوع ، لا يخرج أي
كائن على سنن النظام الكوني المحكمة .

قال علماءنا (والاشياء كلها تسبح له
شاهدة على حكيمة صنعه ، وتسجد له
بخضوعها جميعا لنواميس السنن الثابتة ،
والتسبيح بمعنى تنزيه الله تعالى ،
كالسجود عبادة ، من الانسان خضوعا
لفطرته واختيارا بكسبه ، ولا خلاف في أن
السموات والارض والدواب ، مسبحات من
حيث أن احوالها تدل على حكمته)
ولا أعلم بينهم خلافا في أن الانسان متدين
بطبعه ، فما كان من سجيته وفطرته فلا عتاب
عليه ولا ملامة ، وما كان من كسبه فعليه
مسئوليته ، تقليدا كان أو اختيارا . في
(الموطأ والصحاحين) عن أبي هريرة رضي
الله عنه ، قال قال رسول الله ، صلى الله
عليه وسلم (كل مولود يولد - على الفطرة
فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)

حتى إذا عاش فبلغ رشده ، حمل تبعه
عقيدته اختيارا ، قال تعالى في الوصية
بالوالدين إحسانا (وإن جاهدك على أن
تشرک بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما
وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من
أناب إلى) وقال تعالى

(حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال
رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي
وعلي والدي وإن أعمل صالحا ترضاه وأصلح
لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من
المسلمين ، أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن

(٣)

لبس من شدة ذلك أن يصح لكثرة من
حاصته . بل يكفي أن يتوهم في فرد يمثل
الضمير الانساني في أرفف حساسيته .
أرحاصا بحركة تحول مستترفة الى عصر
جديد . متلما صبح هذا الوعي لابراهيم في
عصر الوثنية - قبل مبعثه عليه السلام
بتسيرا برسالات الدين الكبري

فمضي بطيل التامل في أفاق الكون حوله .
فلما مرتابا بلمس اليابعد غير تلك التمانيل
البلهاء الصماء الكماء التي وجد آباد ورومه
لها عابدين . واصطفاه الله تعالى نبيا رسولا
خليل . وتلقى هو وابنه اسماعيل عليهما
السلام رساله الخالق عز وجل . أن يرفعوا
العواعد من البيت العتيق ويظهروا للطائفتين
والعاكفتين والركع السجود . ومن وقتئذ عرف
العرب مناسك حجهم وعمرتهم . واقاموا على
الحنيفية - دين ابراهيم عليه السلام . زمانا .
فلما كثرتهم اسماعيل بمكة . زاحمهم بنو
خنولتهم من جرهم . ففتسحوا في البلاد
واخرج بعضهم بعضا . وكان الذي سلخ بهم
الى عبادة الاوتان والحجارة . انه كان لا يظعن
من مكة ظاعن الا حمل معه حجرا من حجارة
الحرد تعظيما للحرم وصباية بمكة . فحينما
حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة
تيمنا ونهما بها وصباية بالحرم وحباله .
وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون
ويعتصرون على اربث ابراهيم واسماعيل عليهما
السلام . ثم مضى ذلك بهم الى أن عبدوا ما
استحبوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا
بدين . ابراهيم واسماعيل غيره . فعبدوا
الاوتان وصاروا الى ما كان عليه الامم قبلهم
على اربث ما بقي فيهم . وفيهم على ذلك من عهد
ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فيتنسكون
بها من تعظيم البيت والطواف به والحج
والعمرة والوقوف على حافة مزدلفة وأداء
البدن والاهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم
فيه ما ليس منه)

في هؤلاء . كان مبعث المصطفى عليه
الصلاة والسلام خاتما لرسالات الدين .
إذ انما يرتد الانسانية وأهليتها لحمل أمانة
عقيدتها . وإن أعياها أن تدرك التجريد
المطلق للاله الخالق الواحد الفرد الصمد .
وأعيها كذلك أن تحيا في فراغ من العقيدة .
فلتتابع مسيرتها في عصر رشد الانسان (وعلى
الله قصد السبيل)

صدق الله العظيم

ما عملوا وتجاوز عن سيناتهم في أصحاب
الجنة . وعد الصديق الذي كانوا يسعدون .
والذي قال لو الديه أف لكما أتعدانني أن
أخرج وقد خلت القرون من قبل . وهذا
يستغيثان الله وبك امن إن وعد الله حق .
فيقول ما هذا إلا أساطير الاولين . (الايات
وكون الانسان مولودا على الفطرة . منذينا
بطبعه . نقل فيه شيخ الاسلام . الحافظ ابن
حجر . في الفتح . قول من تناولوا الفطرة
بالاسلام . واراهاهم نخلوا فيه الى كون الدين
الاسلامي خاتما لرسالات الدين . المصدق بها
والمهيمن عليها بما استصفي من جوهر الدين
في كلمة التوحيد

(قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به
شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا آربابا من دون
الله . فإن تولوا فقولوا اشهدوا باننا
مسلمون) الآية

واية (فطرة الله التي فطر الناس عليها)
يدخل فيها بعمومها في الناس . الدين كله
وحجره التوحيد - كما يمكن أن تدخل سائر
المل والنحل التي عليها الناس . منديفون
بفطرتهم لا يمكن أن يعيشوا في فراغ من
العقيدة (وما من قرية إلا خلا فيها نذير)
وقد أعيا البشرية من قديم . أن تدرك التجريد
المطلق للاله الواحد الفرد الصمد . ميزها عن
التجسيد والتشخيص . فالتفتت على فترات
من الرسل معبودات تجسد لها فكرة عامضة
عن الاله الخالق الفرد وتشخصه في آيات
قدرته وحكمته ونعمانه لكنها لا تلبث مع
تداول الزمن وتعاقب الاجيال أن تنسى
الرمزية وتعبد الرموز شريكة للخالق أو
مجسدة له . وبقي في أعماق الوجدان
الانساني قبس لا ينطفئ من نور الله الذي
دعا اليه رسله عليهم السلام . فيريبه من
الاصنام الصماء البلهاء أن يصعها عابدا .
وأن يكسرها احد العباد فلا تملك لنفسها نفعا
ولا ضرا . وعبد الانسان الفمصر وانشمس
والنجوم . وقد يعرض لها خسوف وكسوف
وأفول . وعبد الانهار وهي قد تعبض
وتجف

ذلك أمر مريب من حيث لا يجوز على الاله
الخالق المعبود . أن يعرض له أي عارض
مما يعرض لمخلوقاته .
مثل هذا القبس من الوعي والقلق
المرتاب . لا يصح عادة لعامة الناس . بل

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«لَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ
إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ
بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ»

بسم الله الرحمن الرحيم

د. عائشة عبد الرحمن
بنيت الشاطئ

الدين والانسان نطرة الدين ، ومنطق الوثنية والشرك

في مكة ام القرى كان مولد المصطفى الهاشمي القرشي ومنزل
عشيرته الهاشمية وقبيلته القرشية صفوة العرب العدنانية ،
صريح ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام .
ولم تكن مكة حين المبعث تشكو فراغا من العقيدة وفيها بقية
الحنيفية ، دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وهي الحاضرة
الدينية الكبرى للعرب ، مهوى أفئدتهم ومثابة حجبهم منذ خرج
ابراهيم عليه السلام بولده اسماعيل وليدا وامه هاجر المصرية
فتركهما في جيرة البيت العتيق ، ومكة وقتئذ مقفرة خلاء ، بواد أجرد
غير ذي زرع . ورجع عليه السلام الى داره بارض كنعان وهو يدعو :

(٢)

(ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) واستجاب الله لدعائه ، وكان من لطفه تعالى بام اسماعيل ووليدها الرضيع أن أنبتق نبع زمزم ودبت الحياة في الوادى القفر . وشب اسماعيل في جيرة البيت العتيق وأصهر الى جرحهم من عرب الجنوب الغاربة ... وتلقى مع أبيه رسالة الله : (أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود) . الوجود الدينى لمكة أقدم من ذلك العهد بزمن بعيد ، تسلمت فيه الوثنية الى البيت العتيق قدسسته حتى طهره ابراهيم واسماعيل للطائفين والعاكفين والركع السجود ، وأذن ابراهيم في الناس بالحج وبدأت مرحلة جديدة من تاريخ البلد العتيق وتاريخنا الدينى : عمرت مكة بأجيال من بنى اسماعيل وزاحمتهم جرهم - وفيهم خثولة ولد اسماعيل . فكان ما أشرنا اليه في حديث البارحة ، من أنهم تفسحوا في البلاد فكان لا يظعن من مكة ظاعن منهم الا حمل حجارة من حرما فحيثما حلوا او ارتحلوا نصبوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة إعظاما لها وصباة بالحرم . فلما تطاول الزمن خلفت أجيال نسيت رمزية التعظيم للبيت العتيق في أثر منه ، وعبدت الله في الرموز ، أو عبدتها معه ، عجزا عن ادراك التجريد المطلق لله الواحد المنزه عن التشخيص والتجسيد . وظل فيهم مع ذلك بقية من ميراثهم الدينى في قلة من الحنفاء على دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وفي تعظيم العرب جميعا للبيت العتيق والحج اليه وأداء مناسك حجهم على الحنيفية ، مشوبة بالوثنية والشرك ، كلما طال عليها الأمد ازدادت رسوخا وحرمة . ويشهد لقدم عهد العرب بها قبل زمن ابراهيم واسماعيل عليها السلام ، أن عهد الله إليهما في تطهير بيته للطائفين والعاكفين والركع السجود ، كما يشهد لهذا القدم أن كانت أسماء أصنام للعرب في جاهليتها الأخيرة ، مسماة بأسماء أصنام للكفار من قوم نوح عصر ما قبل الطوفان ، نبأنا القرآن الكريم عنها في سورة نوح . (وقال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزد ماله وولده الا خسارا . ومكروا مكرا كبارا . وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا

(٣)

صلى الله عليه وسلم في بيته . قائما لربه
يتجهد بالقرآن حتى انبلج الفجر فصلى .
وغير بعيد من بيته التقى ثلاثة من زعماء
قريش على غير موعد : . أبو سفيان بن حرب
بن أمية القرشي الأموي ، وأبو الحكم - هو
أبو جهل - بن هشام بن المغيرة المخزومي .
والأخنس بن شريق الثقفي . وأقبل بعضهم
على بعض يتساءلون : فيم الخروج في هذا
الوقت ؟ وإذا كل واحد منهم قد تسلل في الليل
متسترا بالظلام فبات ليلته يستمع ما يبتلو
محمد - عليه الصلاة والسلام - من القرآن .
فتلاوموا وتعاهدوا على ألا يعودوا إلى مثلها
لئلا يراهم بعض السفهاء فيوقعوا في نفسه
شيئا من الريبة .

حتى إذا كانت الليلة التالية عاد كل منهم
خفية إلى مجلسه قريبا من بيت المصطفى .
وفي حسابه أن صاحبيه على عهدهما أن
لا يعودا . حتى طلع الفجر فجمعهم الطريق
فتلاوموا وانصرفوا على مثل عهدهم الأول .
فلما كانت الليلة الثالثة تسللوا فرادى إلى
حيث أخذ كل منهم مجلسه يستمع القرآن
حتى مطلع الفجر لا يدري أحد منهم بمكان
صاحبيه إلى أن جمعهم الطريق فتلاوموا
وتناكروا . ثم لم يبرحوا مكانهم إلا على عهد
موثق : أن لا يعودوا لمثلها أبدا ...

● ومضت قريش على مقاومة الإسلام عنادا
واستكبارا وحمية لدين آبائهم . يشهد لذلك
أنهم في مفاوضاتهم ومساوماتهم مع
المصطفى عليه الصلاة والسلام ومع عنه
أبي طالب بن عبد المطلب . عرضوا أن
يرضوا منه بأى شيء يرضيه . على أن يخف عن
عيب دينهم وتسفيه آبائهم . فلما عصى على
المساومة تسلطوا على المسلمين الأولين
بالأذى والفتنة والاضطهاد والمقلومة
والحصار . فما زادوهم إلا صبرا وثباتا .

ولقى المشركون من أمرهم نصبا : كلما
انكشف بالقرآن ودعوة إلى التوحيد
الخالص . زيف عبادتهم وسفه آبائهم .
مضت قريش في غيبا غضبا لأصنامهم وحمية
لآبائهم . والنبي عليه الصلاة والسلام يتلو :
(وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال
الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إليها
واحدا إن هذا شيء عجاب . وانطلق السلا
منهم أن امشوا وأصبروا على الهتك إن هذا
لشيء يراد . ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة إن
هذا إلا اختلاق . ألقى عليه الذكر من بيننا .
بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا
عذاب .)

صدق الله العظيم .

سواها ولا يغوث ويعوق ونسرا) . الآيات .
في كتاب الأصنام لأبي النضر هشام بن
محمد بن السائب الكلبي (تفصيل الخبر عن
أصنام بهذه الأسماء كانت للعرب في أواخر
الجاهلية . وجاء الإسلام وهم عليها .
في العرب كانت كذلك . أواخر الجاهلية .
بقية من الصابئة عبيد الشمس والقمر
والنجوم . مثلت لهم آيات عظمة الله وقدرته
وكريم نعمائه فعبدوه فيها - عجزا عن إدراك
التجريد المطلق لله ثم عبدوها ..

وما كانت قريش - وقد اصطفى الله خاتم
رسله منها وبعثه فيها - لتجهل سفاهة
التعبد لأصنامها الشائبة وإنما استنكفت
الغضب مما مضى عليه أبواها العظام وأنكرت
أن يمسها أحد بسوء . وإنهم مع ذلك
ليقولون : . ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله
زلفى . قال تعالى :

(ألا الله الدين الخالص . والذين اتخذوا من
دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله
زلفى) وقال تعالى في الصابئة منهم :
(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض
وسخر الشمس والقمر ليقولن الله ...) (ومن

آياته الليل والنهار والشمس والقمر .
لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله
الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون .)
ولم يطبقوا مع ذلك سب أصنامهم حمية
لآبائهم . ولعلمهم ما أنكروا على الإسلام شيئا
قدر أن عاب أصنامهم وسفه عقول آبائهم .
وأجمعوا أمرهم على مقاومته من قبل أن ترح
على الأفق بادرة نذير بقتال . بل من قبل أن
يتجاوز عدد الذين آمنوا به بضعة عشر رجلا
وأمرأة .

روى . ابن اسحاق . في السيرة النبوية .
أنه لما دنا أول موسم للحج بعد المبعث .
وأن وفود القبائل على مكة . اجتمع زعماء
قريش في دار الندوة - حيث كانت تعقد
ندواتهم للمشاورة في كل أمر ذي بال - وقام
فيهم . الوليد بن المغيرة المخزومي . وكان
ذا سن وشرف فيهم . فقال : يامعشر قريش .
إن وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بأمر
صاحبكم . فاجمعوا فيه رأيا واحدا
ولا تختلفوا فيه فيكذب بعضكم بعضا .
وطالت مداولاتهم واشتدت حيرتهم . حتى
أجمعوا آخر الأمر على رأي الوليد أن
يترصدوا للوفود على مداخل مكة فيأخذوا
سبل الناس لا يربهم أحد إلا حذروه من سماع
ما يتلو محمد من كلام هو السحر ..

ثم كان هذا المشهد لمن أجمعوا على صد
العرب عن سماع هذا القرآن :
سجى الليل وهجعت مكة . والمصطفى

حديث رمضان

• لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ
الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكُ ثُرُ
بِالْمُلُغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى
لَا انْقِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

صالح الله المظفر

الدين
والإنسان

د. عائشة عبد الرحمن
بنيت الشاطي

الأمانة الممثلة ، وشرية الفقيهة

يعتبه الجماعة المحكومة بنظام القبيلة ولها بدورها الصلوة
تحمي بها وجودها ويقلصها . ليست فريضة تقوم الاسلام لم تفر يوم
عن الدفاع عن دينها الموروث . كانت الوثنية على فترات من الترس
تشخيصا للاله المعبود ورمز الميراث الديني من رسالات الله . ثم لما
تلازم وعيد الرموز كانت عبادة اعلانا عن تشييدهم بمساكن
عليه الالباء وفرارا من الفراغ من العقيدة . وتصدى مجتمع القبيلة
لعداوة الاسلام عجزا عن ادراك الوحدانية . ومضى العهد المكي
كله . وهم لا يكفون عن تكذيب وجدل عن الهتهم وانهم مع ذلك
ليقولون (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)

(٢)

وقد خاضت قريش بعقيلة الجماعة جولات معركتها الخاسرة مع دين التوحيد . من يوم بدر في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة الى يوم فتح مكة في شهر رمضان من السنة الثامنة . فلئن طالت المعركة واستغرقت سنين عددا . مع بقيتها من عديم ملتحارب لاجله . لقد ظلت الجبهة الاسلامية تتلقى تباعا ددا من جبهة قريش ومن والاها . لحقوا بحزب الله فرادى استنكالا من ان يعبدوا مع الله اصناما شأنها بلهاء فبلغ بهم عدد الذين شهدوا الفتح مع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة الاف من المهاجرين والانصار . وقد كلن عدد الذين شهدوا يوم بدر . بضع مئات .

وفتحت ام القرى قلبها للمصطفى الهاشمي ومن معه من ابناءها المهاجرين واخوانهم الانصار . ولم يدري يوما قتل . وكانما عاشت ام القرى في انتظار هذا اليوم التاريخي لتتحرر من اغلال الوثنية وتتطهر من رجس عارها . واسلم أهلها جميعا . جيرة الحرم

الامس . وكانهم كانوا ينظرون الى اليوم الذي يكون فيه عن حرب عقيم . وينبذون الاوثان التي حاربوا من أجلها لما انعت عن نفسها . وانتهى عصر الوثنية بعد ليل بهيم انهارت الاصنام جذذا مهينة تحث مواطيء اقدام المؤمنين . واعز الله قريشا بالاسلام وقد اعزها من قبل باصطفاء خاتم رسله منها . واعز الاسلام بها فتبعت وفود القبائل العربية الى دار الهجرة . فبليت النبي صلى الله عليه وسلم عن قبائلها في سنة الوفود . التسعة للهجرة

وكتب . ابن اسحاق . مؤرخ عصر المبعث في (السيرة النبوية)

(وانما كانت العرب تتربص بالاسلام اسر هذا الحي من قريش - جيرة الحرم المكي - وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك ان قريشا كانوا امام الناس واهل البيت الحرام وصريح ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقادة العرب . لا ينكر ذلك منكر منهم وكانت هي التي عبات لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملت لواءها فلما افتتح مكة ودانت له قريش دخلوا في دين الله (فواجوا)

وان للنسانية ان تحمل رسالة التوحيد في مدرسة النبوة حفظ الجيل الاسلامي الاول . كتال الاسلام خاتما لكتب الله تعالى . ومصداقها ومهيما عليها بما استصفي من جوهر الدين كله . فاستشرفوا بالاسلام الى

اعلم بمن ضل عن مسيله وهو انهم
مجهلون

في مستقبل العهد المدني . فربما الاية
الجامعة بل انما يحفظ الاكراد في الدين لا
الكراد في الدين بل الدين الرشيد من الغي
يكفر بالطاعات ويؤمن بالله فقد استعمل
بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع
عليم

واذ كان الاسلام نهضة سالسا وعملا
بالجوارح طاعة للاوامر واجتنابا للنواهي
زاد عليها الدين ان جعل الايمان موطنا
بالقلوب قال تعالى
(قالت الاعراب انما لم تؤمنوا ولكن
قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في
قلوبكم) الاية

ثم كان على النبي صلى الله عليه وسلم فيما
كلف به من البلاغ المبين . ان يفصل ما احل
القران منه وان يرافف اصحابه - فلا يبد
مدرسة النبوة - في سلوكهم تحليفا لاسدا
حظر الاكراد في الدين . فبلغ به صلى الله عليه
وسلم ان جعل ضمير الانسان مطلقه حراما
لا يحل افتحامها والحكم على مسلم بما يحفى
صدره ويضمه عليه فذلك للخلاق وحده

في كتاب الايمان من صحيح الامام مسلم
من حديث . اسامة بن زيد بن حارثة ارضى
الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعثه في سرية الى جماعة من جهنم .
فادرك . اسامة . رجلا منهم اشتدت وجاساته
على المسلمين . فلما رفع عليه السلاح قال لا
اله الا الله . فقتل . اسامة . انه يتعوذ بها من
القتل . وفتله في روايه انه قدم على النبي
صلى الله عليه وسلم فاخبره بما كان . وفي
روايه ان الخبر كان قد بلغ النبي صلى الله
عليه وسلم فلما قدم اسامة فسأله . اقال لا
اله الا الله . وفتله . قال اسامة . قلت
بارسول الله . انما هالها متعودا من السلاح
قال . اقالا شغقت عن قلبه حتى تعلم اقالها
أم لا . قلت لقد اوجع في المسلمين وقتل
فلانا وقتلنا . فقال (وما تصنع بسلامة الله الا
الله . قلت استعفى لي بارسول الله . فمارال
يكررا . وما تصنع بلا اله الا الله) لا يزيد
عليها حتى تمنيت اني لم اكن اسلمت قبل ذلك
اليوم

فانظروا ماذا صنع عصرنا بضمير الانسان
وكيف افصحته فسرنا بجهلته الاسخريفة
وطرفة الشيطانية وقد جعله الاسلام منذ
خمسة عشر قرنا . مطلقه حراما لا يحل ان
تنتهك أو تستباح واستعفى الله لى ولكم

ادراك ما اعيا البشرية من تعطل التجريد
المطلق للاله الواحد الفرد الصمد . المنزود
عن تشخيص وتجسيد . وفي منتصف القرن
الماضي . سجل الأستاذ الفرنسي . جوستاف
لوبون . بما استوعب وتقصى من شهادات
لتؤرخى الحضارة والادب -
والاخلاق (للاسلام كل الحق ان بمن على
الانسانية المتدينة . بالتوحيد النفس
المحض)

وان للانسان المكلف بتبعات امرائه
ورشده . ان يحمل مسئولية عقيدته بارادته
الكسبية غير مكره عليها . وقد ختمت رسالات
الدين وتبين الرشيد من الغي
والاسلام في افرار لحرية التدين بفرضها
على المؤمنين تكليفا . ويلزمهم بها تجاد
غيرهم دينيا وسلوكا . لا لمجرد التسامح
والمجاملة أو المسالمة

وتقدير لما في فطرة البشر الرسول من
حرص على ان يؤمن قومه . والناس جميعا .
بدأ القران فاخذ بمبدأ مسئوليتهم عن
ضلالهم بعد ان بلغهم رسالة الحق وبين لهم
الهدى . لان العقيدة لا تكون عقيدة حتى
تصدر عن اعتقاد حر . والايمان لا يكون ايمانا
حتى يرسخ في القلب والضمير عن رضى
خالص وطمأنينة لا يشوبها قلق وارتياب أو
مسيرة ومراعاة

في العهد المكي . عهد التمحيط
والامتحان . نزل من الايات في افرار مبدأ
مسئولية الانسان المكلف عن دينه . وتسفيه
من ينكص عن تبعه رشده
(ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم
جميعا . افانت تكره الناس حتى يكونوا
مؤمنين)

(وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من
دونه من شيء نحن ولا ابائنا ولا حرمنا من
دونه من شيء . كذلك فعل الذين من قبلهم فهل
على الرسل الا البلاغ المبين)

ومن آيات الانبياء للمصطفى عليه
الصلاة والسلام
(قد تعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا
يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله
يجحدون . ولقد تذبذب رسل من قبنا فصبروا
على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا . ولا
مبدل لكلمات الله . ولقد جاعك من نبي
المرسلين . وان كان كبر عليك اعراضهم فان
استحلقت ان تبغى نفقا في الارض أو سلما في
السماء فتاتيهم بآية . ولو شاء الله لجمعهم
على الهدى فلا تكونن من الجاهلين)

(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن . ان ربك

حديث رمضان

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ
وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم
بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ
وَإِذَا تَلَّيْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ
مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبُوا
نَبَأَيْنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

سورة الحديد

د. عائشة عبد الرحمن
بنيت الشاطي

الدين
والإنسان

فطرة الدين ، وتعاليم المعصية (١) المادية المادية ومنجزات التقدم العلمي

في عشر الاغتكاف ، اواخر الشهر المعظم ، اقبل التامل في قضايا
شائعة للموقع الفكري من وجود امتنا ، يضل فيها مسرانا بغير دليل
من نور الفجر الضائق ، يعصمنا من الاستهواء بما يروج في أسواقنا
من بضاعة تحمل بطلان عصرية متحلة ، يبشر بواد عاة تنوير
بالمناخ لهم من أجهزة النشر ووسائل الاعلام ، مقروءة ومسموعة
ومرئية
حديث اليوم عن انحراف المادية المادية المتحمت ذلورنا مديسوسة
في بضاعة انفتاح عصرى تستهوى المتفرجة من أبنائنا ، لم لانكاد
نفحص البضاعة حتى ينكشف لنا زيف عصريتها ، ويتبين بيلبين
أنها رجعية وثنية ، رجع صدى لعاقلة الوثنيين في الدهر الغابر ،
عصر ما قبل الطوفان .

التاريخ : ٩ / ٤ / ١٩٩١

(٢)

ولعل من السادة القراء من يستغرب أن أكتب اليوم عن المادية
الاحادية بعد هزة جوريغتشوف ، التي كانت موضوع (حديث
رمضان) للموسم الماضي كله ، رصدا لما تصدع من صروح
لشبيوعية كان ظن معتنقيها أنها لن تبديد أبدا ، فهل تعجلت الحكم
عليها بالانهيار والسقوط ، قبل انتظار ما تكشف عنه التجربة من اثر
ونتائج ؟

لا أراشي تعجلت الحكم ، ولا كنت في غفلة عن المتوقع من
اصطدامها ببقايا الشيوعية ، إذ ليس من طبيعة الاشياء أن تنقض
صروحها دون أن تترك بقلباها ورواسبها ، إلا أن يشذ الوضع لينهار
بنيلان قارب عمره قرنا ونصف قرن ، دون انقراض واشلاء ..

ولعل توقعات كذلك أن يتعجل عملاق
المادية الرأسمالية فيكشف القناع عن ماريه
ومراميه ، ويتطاول إلى أن يرث رصيد قرن
ونصف قرن من كطاح الشيوعية لنشر
تعليمها ، ونضالها المثير لتأصيل مكانتها
الدولية ، إحدى دولتين عظميين في عصرنا -
لتنفرد الرأسمالية بموضع القمة وتستأثر
بالسيطرة على عالم اليوم ، والتحكم في مصائر
شعوبه واستغلال موارده ثروته ، واستنزاف
عرق جماهيرها الكادحة ، حتى إذا أشرفت
على الهلاك عجل العملاق بالسعافها بما يمسك
عليها رملها ، لتظل مسخرة في قضاء ماريه
ونناء علياى حال من الهوم والهواجس
والمواجع ، ما يتسللنا عن ذيول الصراع
بين الدولتين العظميين في السياق المحموم
على مناطق النفوذ ، لولا أننا نحن مناطق
النفوذ والاحجار على رقعة الشطرنج (في
لعبة السيطرة على مراكز القوى

والقضية الشاغلة من ظواهر أزمة فكرنا
الديني ، هي أن فينا من لا يزالون يلهمجون
بعضرية المادية الاحادية والتنشويه بما
حفلت لروسيا الحديثة من مكانة دولية
عظمى ، والمثابرة على التشهير فينا بهذه
العصرية التقدمية ، في غيبة الوعي بأن
أقطاب الشيوعية تنبؤوا إلى خطر التحدي
لفطرة التدين ، وعقم المحاولة لاحتلال
(المذاهب) بديلا من العقيدة الدينية
في عنفوان العد الشيوعي الجاسع ، لم

(٣)

عام (١٩٦٦) استقبل البعثة بـولس السادس . أندريه جروميكو وزير الخارجية . وفي شهر ابريل من العام نفسه . اذيمت انباء عن مفاوضات تجري في براج بين الكاردينال فرانز كونج . ممثلاً للبابا . وبين حكومة تشيكوسلوفاكيا لاعادة العلاقات الدبلوماسية - بعد قطيعة عشرين عاماً - وذلك بعد ان نجحت جهود سابقة مع الهجر وبوغوسلافيا . في حصول حق الكنيسة في التوجيه الديني لرعاياها الكاثوليك في هذه الدول الشيوعية . دون ان يتعارض ذلك مع السلطة السياسية .

وارتبطت هذه البوادر - فيما رصدت - بوصيه . بالمير تولىاني : الزعيم السابق للحزب الشيوعي الايطالي . اوصى فيها لسل رحيله . بضرورة تقدير الحزب للواقع الايطالي الذي يثقل عليه القدين . ونصح بوجود اتفاق أي تعارض او اصطدام للحزب مع الدين .

وكتبت وقتئذ ما نقله من سجل . شهادة عصر . لا استبعد ان يكون التطور المنتظر للشيوعية . هو التراجع عن مؤشها ضد الدين .

اليوم . تحت ضغط القهر والاحكام . المسلح ارقب من مرصدي بالموقع القدي . ظاهرة الحاج على الموقع بما حلفت روسيا الحديثة من مكانة دولية تدب بها للمدية الاحادية التي ايقظتها من خيرا الايون وتروج هذه المقولة . مموهة بصدفه عصرية . بكفي ابناؤنا للكشف عن زيف عصريةها . ان ينصتوا لما يتلى عليهم من آيات الذكر الحكيم . في جدل الوثنيين من نمود في الزمن العابر بعد هلاك الكفار من قوم - ووح بالطوفان

(ثم اشانا من بعدهم قرنا اخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون . وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلفظ الاخرة وارفناهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ماكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون . ولئن اطعنتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ايعدكم انكم اذا متم وكنتم برابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات نسا توعدون . ان هي الا حياتنا الدنيا نسوت ونحيا وما نحن بمبعوثين . ان هو الا رجس افترز . على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين .

صدق الله العظيم

بخذلني ايمانني بحتمية سقوطه . وقبل ان أقرأ بيانه (التانفستو) وكتب فلاسفة المذهب وشراحه أدركت انه مناقض لسطرة الانسان . ثم تبين لي . بطول النظر النرو المذهب ومناظرة من لقيت من اقطابه . انه يحمل في صميمه عناصر فشله وسقوطه بالتناقض الواضح بين مبادئه . وتهافت فواعده فيما فرات وعلمت

وانتقي الاستطراد إلى ما ليس لي من نظير نقدي في المذهب . لا ذكر أنني في عنقوان المد الشيوعي أيضا . تتبععت بوادر الفشل لمحاولة إحلال المذهب بديلا لما أظفوا عليه (الايون الشعوب) ومضى على تلك المحاولة قرن كامل . لتكتشف عجيزها عن إعطاء أي بديل من العقيدة الدينية . وتوقن ان إنسان العصر الذي اكتشف ما اكتشف من مجهول العناصر والقوى واستخدمها في معجزات التكنولوجيا والعلوم إلى ارتداد افاق رجبة للمجهول من علم بالكون والحياة لايمتنز قهره على ان يعيش في فراغ من العقيدة . وان أي جديد من النظم الوضعية والمذاهب

العصرية مصيره حتما إلى فشل وسقوط . إن ظل يتجاهل حقيقة ان الانسان ليس مادة صماء . وهو لا يعيش في ظل أحدث النظم والاضاع . وعالمه النفسي مشججون بعواطف ونوازع وهواجس ومواجيد . لا تستجيب لأي تفسير مادي . ووجوده المعنوي محكوم بأسرار خلفية معقدة . لا تحلها ادق المعادلات الرياضية

وقرن كامل ليس وفنا قصيرا في امتحان تحربة إحلال المذهب بديلا من الدين . والقياس الزمني لعالم القرن العشرين . لابد ان تدخل فيه الابعاد المترامية لعصرنا في جراءة اقتحامه لافاق المجهول . وسرعة تقدمه وامتداد ابعاده طموحه

فكان أن دونت في سجل (شهادتي للعصر) ملاح لي على الافق المرجح للعالم الانساني . من بوادر الوعي المدرك لعقم أي محاولة لقهر فطرة القدين وفشل إحلال المذهب بديلا من العقيدة

من منتصف هذا القرن العشرين . ظهرت محاولات مصالحة بين الدين والمذهب . نصح الانسان سلامة النفس وتبريحه من ضغط الانسحاق بين العقيدة والمذهب . وفي سنة ١٩٥٨ أوفد (الفاتيكان) بعثة سلام من كبار رجال الدين في زيارة رسمية لالاتحاد السوفيتي حيث تم الاتفاق على العمل المشترك من أجل السلام . وفي شهر ابريل من

حديث فضيل

بسم الله الرحمن الرحيم

« هَذَا تَذِيرٌ مِّنَ التَّذِيرِ الْأَوَّلِيِّ • أَرَفَتِ
الْأَرْفَقَةَ • لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ
كَاشِفَةٌ • أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ
تَعْجَبُونَ • وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَتَكُونُونَ •
وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ • فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا • »

سنة الله المصطفى

د. عائشة عبد الرحمن
بنفسه الشافعي

الدين
والانسان

فطرة التدين ، وتأسيسات المعاصر (٢) المادية الإلحادية ، ومنجزات التقدم العلمي

كان من فلول الخلل بين المادية الإلحادية والمكانة الدولية
لروسيا الحديثة . أن شاع لدينا كذلك الرضا بين الماركسية والنفاذ ...
العلمي . بشهادة المنجزات العلمية والتفنية العالية التي حققتها
الاتحاد السوفيتي المعاصر . ولا جدال في أن لهذا التقدم صلة
بالمذهب . لكنه ليس مرتبطا به بالضرورة . ارتباطا سببيا . لولا
لما كان تقدم . يشهد لنفي هذه السحبة أن شاركت أمريكا - عدو
الشيوعية اللدود - في السباق العلمي إبان حربها للشيوعية . ولم
يفل أحد أن دول شيوعية كالمانيا وبلغاريا وبوجوسلافيا أرقى علميا
من دول غير شيوعية كالمانيا وإنجلترا واليابان

الشمسية للعلم التجريبي والحاجها في مطاردة العلماء بالحكومات والطرد والحرمان . كان علماء الإسلام في العصر العباسي للحضارة الإسلامية . يتعلمون في طعامة وانهم من تبيد عقيدتهم للدين واكسارها العلماء . فتخلون في القواهر الكونية بعقلية جديدة متحررة . ويمارسون التجارب المعملية لاسات النظريات العلمية والكشف عن حديد منها . فقدموا جديدا اصيلا من العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية ودخلوا التاريخ العلمي روادا لافاق لم يستشرف لها من قبلهم فكانوا هم الذين اصلوا المسيح التجريبي . و قدموا الى التاريخ العلمي اوليات الكتب العلمية في الطب والتشريح والصيدلة والكيمياء والطبيعة والفلك والملاحة والجغرافيه و قدموا معها مخترعاتهم من اجهزة التحريه المعملية والرصد الفلكي والخسرد الجغرافيه والملاحيه حرروا المسيح الفلكي . وعبر محببول ان عطاء الحضارة الإسلامية في عصرها العباسي السرايد كان مختلفا في عصر العلم الحديث . والراد الذي تزودت به حركة الديسمانس في سراسها من العصور الوسطى الى عصرها الحديث فلن كانت الماركسية عجلت بححد الدين وناصيته العدا . لقد كان احتسارها لحرب الدين في معركة الخلاص من افسوس الشعوب او التفتير بالبعظه من تخدير نساها على ادراكها سلطان الدين على الشعوب ورسوخ الدين في فطرة الاسنان ملما كانت محاولتها احلال المذهب بدلها من العقيدة الدينية . شاهدا على وعيها باستحالة ان يحيا الانسان في فراغ من العقيدة فلما حاب مسعاها لاحلال هذا المديل احييت محاولتها من منتصف هذا القرن الحالي . الى مصالحه الدين في الوقت الذي فلتحت فيه روسيا في سباق التقدم العلمي وحففت فيه حولات رائدة قلاطرة . تساه الامر فيها على كيرة من متقنيا الماركسيين فسيبوا الى المذهب . وسمروا بالبعظه من حذر افسوس الشعوب وعاب عندهم متطلعا من تقدم افطاب المذهب الفطرية التدبير والعجز عن احلال المذهب بدلا من العقيدة من هذا الریط الضابط بين المادية الاحادية والتقدم العلمي السافر لروسيا المعاصرة تعقدت ارضه الفكر الديني المعاصر . بما يكاذ اساويا من صسعد المعاناة الماخلة بين رسوخ الدين في فطرتهم . وحرورت المادية وعنفوان الحيل الحديد من محجزات الشكولوجيا

المتطورة واسلحتها الرهيبة المدمر الاسامية في مسيرتها الكادحة الى سراسي طموحها سجلت عصورا زاهرة للتقدم العلمي . فحصر المخيل في عصر الملاحية والاتصال السلبي والاسلطي وحصر الطيران . وعصر الثرانزستور . واعجب احفاء البصيرة النيرة لامنا نذكر ما نصي من « صور التقدم العلمي باعجاب حارس لما حقق الانسان من انتصاره بالعلم . حتى اذا جئنا الى العصر الحديث . انشور فقدمه العلمي المذهل في وعينا بساها الى الحروب الساحقة ومجازرها الحاصد . واسلمتها الفناكه لاختراع القنبلة الذرية - لايفصل في وعي شهود العصر عن تجرنت الفاحه في هيروشيما ونجازاكي وتذكر تطور الاسلحه ككولوجيا الطيران الحربي بعد منتصف هذا القرن العشرين . مفترنا في وعينا و شربنا احرب الساعات الست من خامس مده . الاشهر سنة ١٩٦٧ . استطلاع فيها احد من المناوبات المتناورة بين امريكا واسرايل . ان مسلحنا الجوى . ونحصد عسرا بالالود من جندنا . في جولة خاطفة ساحقة واستعرقنا حرب ابرار - والعراق بالاسلحة التقليدية نماني سسر ولد تسعرقنا حرب عاصفه الصخراء لتحرير الكويت اخر من شهور بعض سسر بالسلحه متطورة استنت فعاليتها المذلة في سجل احصائي رهيب لعنان نوب الغل اختلعت اسلاؤه بانقاض الدمار والخلل السمران . و خلفت ملايين المفاا اسماها حاسه بين الخراب والاطلال ربما لاستعرقنا تظليل ارض الطاح من اسلاء الغل وانقاض الدمار والظلم خرابق اثار التروول . ثلاث سمين او امن و سسوالد احيال منبوقة معوفة من الضحايا مع احيال متطورة من ميجزات التكنولوجيا ومخسفات خواص اشعة الليزر والموجات الصوتية ● ● هل يصير الانسان الذي حقق شدد الميجزات الناهرة على تحارب حديد لايتوار متطورة من اسلحه متطورة تصفق الاخيه و يطور امهاتها . وتخلف احيالا معوفه منووه . ونفد سفاا الاحياء الموزي اسماها حاسه في تيه الخراب ● لا ارتاب في ان الانسان لن يصير طولا على فحس استغلال العلم لنسويه اسماا واعتبالها . ونسخير الدين لنسويه العقل قد يعجز جيل عن حمل حدد الاسانه الصعنه فيخلف جيل ليسوا اماليا في نغال وان تتولوا يستندل قوما عسرتد سد لا يكونوا امالكه . صدق الله العظيم

(٢)

وقد اري بشهادة الواقع والمنطق ان التقدم العلمي لروسيا الحديثة . اقرب الى ان يحسب لانتصارها على سلطة رجال دين من امثال . راسبوتين . الراهب الدجال . لا على الدين وفطرة التدين . وكان القرن التاسع عشر قد شهد توترا حادا في الخصومة بين المذهب المادي وبين الفلسفة العقلية من ناحية والعقلية الكهنوتية من جهة اخرى . وبلغ التوتر وضع الازمة عندما أعلن : ماركس . في سنة ١٨٤٨ تفسيره المادي للتاريخ . وبيانه التسويقي . فهو صرح الكهنوت بحدود الاديان . ندلم بعض عشر سنين حتى نشر . دارون . في سنة ١٨٥٩ كتابه (اصل الانواع) فقدمت نظريته في نشوء الانواع وتطورها بالانتخاب الطبيعي . تفسيراً يؤولوجيا للغيبيات اللاهوتية . وقال فانلون بإمكان تفسير كل شيء في الكون بالمادة والقوة فامتسعت الهوية الفاصلة بينهم وبين رجال الدين الى مدى جعل احتمال التفاهد او التعارب عسيراً . ان لم يكن

متعذراً

وازدادت الازمة حدة وتعقيدا ولم يبق من رجاء الا ان يتمالك الانسان رسدده وانزانه بعد ان احذد دوار الأعصار . وهو امل بدا أسسه بمراب لكن الانسانيه تعلقت به لا دراكها الواقع انه اذا خاض من المستحيل تصور امكان تحقيق وجودها بغير غلد . فمن المستحيل عليها كذلك ان تحيا بغير غفيدة . غير ان الماركسية لم تبد نوعي ونسبي و صراعي مع الكنيسة . فهي عذلت باخراج الدين من المهاد . ولعلنا ندنو اوجه في حركتها عطفه أصعب وأخطر من عداوتها للدين فسرت بوجد الخلاص مما وصفها بانيون السعوب . فكان احتسابها للمعرفة بحري السعوب من حذر افئونيها . نسكسها عقلية وحضارية الى ما كانت السيرة من خصوصية عطفه بين الغلد والدين . كان المرحو ان يكون الدين في خفاء رسالته قد استحلها لمعاضنهادي الفطرد

معجزه الاسلام الخالد شباب ابيه الاوى اباة الاسار والغراءد والغلد والعلم الكسبي . والعلم مائة سخرية الاسس وعصر حوشي من عساصر اسبابية والغلد في الغرار الكريم غريز الانعاز . وقد فخر الله حسبه على العلماء وربه الانبياء وحين كان العرب الاوروسى بحسب في ظلمات عضورد الوسطى وبمجرد ماضطهاد

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُ آتِنِ لِي صَرْحًا أَعْلَى
أَتْلُعُ الْأَمْثَلُ ۖ أَمْسَبَ السَّمَوَاتِ
فَأُطْلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّ كَذِبًا
وَكَذَلِكَ زَيْتُ فِرْعَوْنَ مَسْمُومٌ
عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ
فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ۖ

بسم الله الرحمن الرحيم

عائشة عبد الرحمن
بنسبة الشافعية

الدين والإنسان

أزمة الفكر الديني وتحديات العصر صدمة التفوق العلمي والتقني للغرب المعاصر

كما لا تنفك الحروب الصليبية - التي عبات كل قوى المسيحية
الأوروبية - لأكثر من عشر سنين - من أجل القدس - بحرب
(عاصفة الصحراء من أجل تحرير الكويت - التي حشدت لها أمريكا
نصف مليون جندي من الأمريكان - وأملوهم يصلون للرب من أجل
سلامتهم والمجامع المسيحية على اختلاف طوائفها ترفع الدعاء
لتدويل القدس التي هودتها إسرائيل)
أقول : كما لا تنفك بهذه تلك ، لا تنفك صدمة الشرق الإسلامي
بعد مغيب حضارته الفاتدة الرائدة ، بالتفوق العلمي والعسكري
للغرب الأوروبي بعد عصر النهضة إلى مطلع العصر الحديث ،
بصدمة تفوقه الباهر في النصف الثاني من القرن العشرين : ففي أقل
من بضع عشرات سنين ، فجر الذرة وأطلق القمر الصناعي وتحكم في
موجات الاثير وهبط على سطح القمر والمريخ ، وسيطر على الأشعة
والإلكترون ..

ولقد تصدت للصدمة السابقة ، كتاب عصر الباطنة ، تفاسموا
فيما بينهم : جمع الوجود الحيوي لاصلاح الحياة بالدين في شتى
الميادين الاجتماعية واللغوية والسياسية والاقتصادية والثقافية .
وكذلك فعل تلاميذهم شيوخنا واساتذتنا رضي الله عنهم ، لم يخل
اي موقع ممن يحملون عبئه فرض كفاية ، وأخرجت الامة علماء
نوابغ في الطبيعيات والرياضيات ، والطب والهندسة والقانون ،
مشهودا لهم عالميا بالتفوق والنبوغ .
ولامر ما ، انكشف موقع الفكر الديني لانماط متنافرة ، بالغة
الغربة والشذوذ ، واجبهوا ويواجهون
الصدمة المعاصرة ، بمخدرات تخايل الناس
باننا سبقنا الى كل ما اكتشف العصر وما سوف
يكشف حتى اليوم الاخر ، لنسلمين الى ما
نحن فيه ، وان ليس من الامكان ابداع مما كان .
قبيل عصر القمر وفيما يشبه ايدانا به .
أطلق الروس اول قمر صناعي ، فكان تعليق
ابن البلد ينكتته الذكية اللاذعة وفكاهته
الساخرة البارعة صادق التعبير عن حائنا .
قال لمن عجبوا لاطلاق الروس القمر
الصناعي (وايه يعني " نحن جننا بالقمر
علي الباب ، وانطلق يرجع أغنية فايضة احمد
يامه القمرع الباب نور انا ديله
يامه ارد الباب ولا انا دلي له
وبادر مثقف ممن ظهروا فيذما يتفاسير
عصرية فاعلن ان القران سبق الى هذا
الحدث الخطير باية (الرحمن) ينامعشر
الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من
أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون إلا
بسلطان) وصدق الله العظيم
واستقبلنا عصر القمر ونحن نسير حثيثا
الى كارثة الهزيمة الساحقة يوم خامس يونيه
المشهور سنة ١٩٦٧ بمقتضى قانون العزل
والاسباب ، من السنن الالهية الثابتة التي
لا تتعلق مشيئته العليا بنقضها ، لكن الهزيمة
جاءت في منطق المرحلة ، من بغثة المفاجات
وعجيب المصادفات .
وفي غشية دوار الصدمة ، زلت الياناسوق
الطباعة والاعلان والنشر ، من بضاعة الفكر

(٣)

نوع من التخويف ، مثل تخويفك لابنك حينما تحذره من أعمال تنظيم اسناته : إذا لم تنظف اسناتك بالفرشاة كل يوم فسوف تاكل الجيران اسناتك . وبسلاطع لن تاكل الجيران اسناته [!؟

ووصلت . أبولو . الى القمر وهذه البضاعة هي الرائحة في اسواقنا ، وإن ظهر معها قول لبعض المشايخ ينكر حرية الاقتحام الجريء لملكوت السماء . ويقتضى بتكفير من قالوا ومن صدقوا ان الانسان هبط على سطح القمر !!

ثم كان من رد الفعل لهذا التشويه العقلي ، ان طبع في بيروت كتاب (الخرافة في العقلية العربية) للسيدة خموش والدكتور ابراهيم بركات . بلغافيه المسمى في السخرية من عقليتنا والهزء بتخريفنا . حتى انكرا علينا ما يجوز على الناس جميعا من بشرية السوي والاحلام . ونجوى الاطياب . فلم اعجب ان ظهر كتاب في نقد الفكر الديني للدكتور جلال العظيم - طبع في بيروت - معبرا في صدق وامانة . عن معاناة مثقفي المرحلة العصرية . من أزمة الفكر الديني بشدة التفوق العلمي الحديث . إذ يسأل

[هل يحق لي ان استمر في قبول هذه القناعات التي توصلت اليها دون ان اخوض مبدأ الامانة الفكرية . ودون ان اضحي بوحدة وتماسك افكاري بعضها مع بعض ؟ كيف يكون موقف الانسان الذي تعرض للثقافة العلمية وتاثر بها جذريا . من المعتقدات الدينية التقليدية والمؤسسات التي تتجسد فيها ؟ كيف يكون موقف الانسان الذي نشأ نشأة دينية وتقبلها جملة وتفصيلا من النظرة السطحية للحياة والكون والانسان ؟

ومع صدق تاثيري لمعاناته وتقديرى لامانته الفكرية . اراه يتكلم عن الفكر الديني فلا يميز بين ما هو من أصله النقي وما هو دخيل مدسوس عليه او عارض طارئ

فهل الخطأ في أصل الفكر الديني او في سوء فهمه والجهل به . ولحش استغلاله ؟ حديث قبض العلم مشهور متفق عليه في كتاب العلم من الصحيحين . (ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العلماء . ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا سألوهم فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا)

وسلام عليكم

الديني ما يريح الناس من مهانة الاحساس الباطن بتفوق سلاح الطيران الحربي الاسرائيلي باجهزته الامريكية المتطورة . وعار انكسارنا العدو لم يمض ربع قرن على قيام دولته فيما اغتصب من ديارنا .

مما تعاطينا من مخدرات الافيون المصري . ان القرآن سبق [فصيح الخطا الذي وقع فيه دارون لانه لم يريد الخالق المهندس وهي تهندس وتخلق . ان القرآن يزودنا باكثر من كل ما قاله العلم فيطلعنا على بعض الغيب . على ما حدث في الملكوت الاعلى قبل الخلق الارضى لادم (لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم . ثم رددناه اسفل سافلين) وهي هاوية التيه المادي . الى طين السستقعات . الى نقطة اول من الصفر] .

بعد عودة . جاجارين . رائد الفضاء من رحلته الظافرة التي اذنت بوشك الوصول الى عصر القمر فما بعده . دعت مصر للاحتفال به . وكنت فيمن استقبلوه من أعضاء المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب - هو الان المجلس الاعلى للثقافة - واتصل الحوار بيني وبينه . حرصا مني على تدوين هذا اللقاء في شهادتي للعصر حتى خبط لي ان أسأله عما إذا كان حقا ما اذيع من قوله او زميل له عقب هبوطه من مركبة الفضاء . انه بحث عن الاله في الملكوت الاعلى فلم يعثر له على أثر ؟ فتبسم ضاحكا عن سؤالي . يتحاشى الجواب عنه . وانتهى حوار بيننا . وقد فهمت ان رائد الفضاء العظيم . عجز عن ادراك التجريد المطلق لاله جل جلاله . فتصوره جسدا ماثلا منحصرا . (سبحانه وتعالى عما يصفون)

وانقض الاحتفال وأنا اذكر قول فرعون موسى لهما من كبير مهندسيه . من الاف سنين . فيما اتلو من الذكر الحكيم .

(وقال فرعون يا هامان ابن لي صريحا لعل ابليخ الاسباب . اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا .) الآية

وسجلت المرحلة . في أعقاب الهزيمة . مما تعاطاه الناس من جرعات الافيون المصري المريح من هموم الآخرة وهول الموقف والحساب . رجما بغيب الآخرة

[ان كل ما جاء عن الجنة والجحيم ما هو الا الوان من ضرب المثال والوان من الرمز ... واما ما في القرآن عن العذاب في الجحيم [فمعاذ الله ان يعذب خلقه ... وما فيه من صلصلة الفاظ العذاب وامواله . ليس سوى

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« أَقْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ *
خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَقْرَأُ *
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ
بِقَلَمٍ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ * »

د. عائشة عبد الرحمن
بنيت الشياطين

صدق الله العظيم

الدين
والانسان

مع المصطفى عليه الصلاة والسلام
في ليلة القدر ، سلام هي حتى مطلع الفجر

قبل المبعث بأربعين سنة . ولدته أمه . السيدة امنة بنت وهب
الزهرية القرشية ، في دار أبيه الراحل عبدالله بن عبدالمطلب الهاشمي .
بحي بنى هاشم من قريش . جيرة الحرم المكي وصفوة العرب العدنانية
صريح ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام
ولدته يتيما ، مات أبوه في طريق عودته من رحلة الصيف الى الشام .
وتركه جنيبا في رحم أمه التي ترملت في كفيها خضاب العرس .
ولم يطل التاريخ الوقوف بمكة . شغلته عنها وعن وليدها البيتيم
الهاشمي . أحداث جسام كانت تجري على مسرح الدنيا في الثلث الأخير
من القرن السادس للميلاد . وراح يرصد نذر الانهيار لعالم يريد أن
ينقض . ويتابع الجولات الأخيرة . للصراع بين قطبي ذلك العالم
القديم . حيث كانت دولتا الفرس والرومان تخوضان حربا طاحنة على
مراكز السلطة والاستغلال والنفوذ . واحداهما قد أعشت نار المجوسية
بصرها فما يعنيهاسوى أن تجعل من ساحة الشرق كله معبدا لنارها
تصلاها شعوب المنطقة بالعسف والاكراه .

(٢)

والأخرى قد اشختها جراح الحرب وهدتها امراض الشيخوخة
واستنزفت بقاياها محنة الصراع الطائفي فتهاوى النسر الروماني على
الأرض جائها على انفاس عباد الله . يتسلط على مستعمراته بالارهاب
والطغيان في محاولة يائسة تستبقى له من الهيبة ما يستروهنه .
حتى بلغ ذلك اليتيم الياسمي المكي الأربعين من عمره . وتلقى
رسالة الوحي في شهر رمضان بعد مولد السيد المسيح بستة قرون وعشر
سنين قالتفت التاريخ إلى مكة . وتوقف برهة ليجمع كل ما وعت ذاكرة
الزمان عن ذلك المصطفى وابانه وعشيرته
وبيته وبلده . ويستحضر خطوات مسيرته من
مهد مولده إلى غار حراء . ويصفى إلى المرويات
التي حفظت حركاته وكلماته وما كان من
موافقه . لكي يكتب بها الصفحات الأولى من
سيرة ذلك المصطفى الذي بدأ من ليلة القدر
بوجه سير التاريخ ويملي عليه فيكتب -

غشى الكون ليل ثقيل . ولف أم القرى صمت
مكدود لا يسمع فيه سوى انفاس الليل مختلطة
بهمهمة تلبيات وثنية كانت لا تزال تتسلل من
البيت العتيق
وقمر رمضان قد توارى واختجب فليس على
الأفق المعت سوى ضوء ساحب تكاد تحجبه عن
مكة جبالها الصخرية التي تبدو كأنها كتل
ضخمة ماردة من ظلمات مترابطة .

ونامت الدنيا . لا تلقى بالا إلى رجل من بني
هاشم . ابن امرأة من قريش تاكل القديد . قد
أوى إلى غار هناك مستغرقا في تساميل يلتمس في
العممة الداجية شعاعا من نور الحق وينشد في
خلوته انس الهدى وراحة اليقين . وخواطره
تحوم حول البيت العتيق الذي رفع ابراهيم
القواعد منه واسماعيل . وطهراد للطائفين
والعاكفين والركع السجود . فلم يلبث أن صار
مع الزمن منوى لاوثان ممسوخة . لكل قبيلة
وثنها الذي تحج إليه وتطوف به وتلبس له
وغير بعيد من غار حراء . هجعت مكة تجتر
ذكريات مجدها الديني الغابر . قد طوته وثنية
عمياء وتساورها من حين إلى حين رجفة من قلق
الوعي لا تلبث أن تهمد تحت وطأة الكابوس
الياهو . لا تحسب حسابا لهذا المختل في غار
حراء وقد ألقت أن تراه ينسحب اليه من ضجيج
المحتمم المكي . عازفا عن تلك الاوثان التي

الافق الاعلى نور الفجر الصادق ينسخ ظلمات
ليل طال ، ويوشح البيت العتيق بسنى وضاء ،
يكشف عما تكدر في حرمة من أصنام وأوثان ،
فتبدو على حقيقتها شائبة بلهاء . وكان لها من
ظلام الليل قناع كثيف أصم يخدع البصر
النور ملء قلبه وبصيرته ،
والكلمات ملء فكره ومسمعه
ولكنه في حيرة من الامر يعييه ان يستوعب
السر الاعظم الذي انبلج له ، وياخذ من جلاله
وروعته ما لا عهد له به ، فيكاد لفرط دهشته
لا يدري ما اذا كان في وعي يقظته ، أم انها رؤى
خائلة لطول ما تأمل في آيات القدرة يحاول ان
يجلي سر هذا الكون وخالقه
واحس وطاة العبء الثقيل تجده وتترهقه
حتى بلغ بيته مجهدا مرتعدا شاحبا كأنه عائد
من سفر طويل شاق .
والفاها هناك في انتظاره ، خديجة التي
كانت له على مدى خمس عشرة سنة ، زوجا
وصديقة وأما وكانت له ملاذا وسكنا .
ودون تردد ، ألفى نفسه بفضي إليها بما رأى
وما سمع ، وهو يرنو الى ملامحها اذ تصفى
إليه ، محاولا ان يتبين وقع هذا الامر على أقرب
أهله اليه وأعزهم عليه ، وأصغاهم له ودا
وأرشدهم رأيا ..
وقالتها على الفور ، في صوت مفعم باليقين :
(الله يرعانا يا أبا القاسم ، أبشر يا ابن عم

يعبد ما قومه لانهم وجدوا اباؤهم لها عابدين .
و أوغل الليل قبل أن يطلع فجر هذه الليلة من
الشهر المعظم وينشر نوره على القمم والسفوح
والقيعان فيضيء الظلمة الداجية .
ومع نور الفجر من الليلة الغراء ، تجلى
الوحي للمصطفى عليه الصلاة والسلام وألقى
اليه الكلمة : (اقرأ) وما كان محمد بقارىء ،
وما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه
بيمينه :
(اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من
علق ، اقرأ وربك الاكرام ، الذي علم بالقلم ،
علم الانسان ما لم يعلم)
وبدأ تاريخ جديد .
الرجل الذي سرى اول الليل الى غار حراء ،
على مالوف عادته منذ انكر موضع الاصنام في
البيت الحرام وأيقن ان حياة الناس لا يمكن ان
تمضى هكذا على سفه وضلال ، خرج مع الفجر
من الغار ، نبيا رسولا مبعوثا بختام رسالات
الدين والكلمات الاولى التي تلقاها في تلك الليلة
من وحي ربه ، كانت مستهل كتاب عربي معجز ،
واية نبي بشر ، ولواء عقيدة وجهت التاريخ
وحررت الانسان وصنعت أمة وأبدعت
حضارة .
خرج المصطفى من الغار واتجهت به خطاه
نحو بيته والكون من حوله ساج خاشع ، وعلى

(اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) ..
وسجل تاريخنا الديني ..
أصبحت مكة غداة ليلة القدر ، وليس في الدنيا كلها مع المصطفى صلى الله عليه وسلم ، سوى زوجه السيدة خديجة ، أم المؤمنين الأولى ، رضي الله عنها .
ولحق المصطفى بالرفيق الأعلى وقد دخل الناس في دين الله أفواجا ، فلم يبق في الجزيرة العربية غير مسلم ومسلمة .
وقبل أن ينتهي القرن الهجري الأول ، كان الإسلام لواء دولته الكبرى من الهند والسند إلى المغرب الأقصى والأندلس .
وسجل التاريخ الانساني آيات الوحي الأولى مستهل كتاب الإسلام ، أجملت قصة الانسان - بعموم مطلق - من البداية الى النهاية .
خلق الله من خلق كسائر الحيوان : البهائم والطير والزواحف والحشرات : كلها من خلق . وإنما خص الانسان بالذكر لأن التدبير فطرته ، وإليه يتجه الإسلام بكتابه القرآن وهو وحده الذي يعرف القراءة والكتابة ويدري ما القلم ، ويختص بكسب العلم .
ثم هو الذي يغتر بعلمه وجاهه ومنزلته في الكائنات ، فيتورط في الطغيان ، بسوهم الاستغناء عن خالقه ، وينسى أن إلى الخالق مصيره ورجعاه .
(كلا إن الانسان ليطغى ، أن رآه استغنى . إن إلى ربك الرجعى) صدق الله العظيم

واثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده إنني لأرجو أن تكون نبي هذه الامة والله لا يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق) .
أحس راحة الامن والطمأنينة ، وهي تدثره وتظل حانية عليه حتى نام ..
(نبي هذه الامة) ؟ !
ما الذي القي الى بل السيدة خديجة وعلى لسانها بتلك الكلمة الكبرى حين كانت الوثنية غاشية والعرب قبائل شتى ؟
أهي من تعبير التاريخ الاسلامي عن إدراك أم المؤمنين الأولى أن لهذا الامر ما بعده ؟
لا أرى الكلمة غريبة على الموقف ، فما كانت السيدة خديجة ، وهي من صميم قريش جيرة الحرم ، بحيث يفوتها شيء مما ماجت به بيتها قبيل المبعث من تطلعات الى تحول خطير رنا اليه شعراء العرب وحكماؤهم ، وإرهاصات لكهائهم وحفائهم عن نبي حان مبعثه .
وتنبؤات برسالة سماوية جديدة ، تنافلتها الرواة عن رهبان النصارى وأخبار يهود ومكة على الخصوص كانت المركز الذي تتلاقى فيه تلك التطلعات والارهاصات ، وتتجمع روافدها من هناك ومن هنالك متجهة الى البيت العتيق ، وتحوم حول خي بني هاشم ، رائية الى محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم .
وتيقن الأصطفاء ، ونزلت آيات الوحي تباعا على مدى اثنتين وعشرين سنة قمرية ، حتى نزلت في حجة الوداع ، السنة العاشرة للهجرة .
آية إكمال الدين وإتمام النعمة .

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ
بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ
لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ
بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ»

سورة البقرة

عاشق محمد الرحمن
بسم الله الرحمن الرحيم

الدين بين أزمة الفكر الديني واختلاط الواقع والانسان بين الفكر والسياسة والاعلام [١]

من بضع سنوات ، في جلسة ثقافية رسمية ، برئاسة الوزير الاستاذ
الزميل ، الدكتور احمد هيكل ، عرض علينا تقرير شعبة العلوم
الاجتماعية عن ترشيح إحدى الكليات استاذ التاريخ الاسلامي بها
للجائزة المفقورة له الملك فيصل الاسلامية . وبخلاف التقدير
والمودة للاستاذ الزميل المرشح ، استفسرت عن وجه العسدر في
تقرير هذا الترشيح عن شعبة الشريعة والقانون الى شعبة العلوم
الاجتماعية ، فكان الرد ان الجائزة مخصصة - في تلك السنة -
للعلاقات الدولية وليست الدراسات في القران والحديث . ونبهني
استاذ كبير الى حرج موقفى لاحتمال ان اكون مرشحة للجائزة . فلم
أعلق على المناقشة حول سؤالى ، بغير ما اضطررت الى اعلانه . بانى
أحد الاعضاء الفاحصين لمؤهلات الترشيح للجائزة واختيار
المرشح لها .. واضفت انه قد سبق ترشيحى للجائزة مرتين . من
المجس الاعلى للثقافة ومن جامعة عين شمس ، فاعتذرت عن عدم
استيفاء (ملف الترشيح) . باننى جاوزت هذه المرحلة ، بكونى
فاحصة لمؤهلات الترشيح ، لا معروضة للفحص

التاريخ : ١٣ / ٤ / ١٩٩١

(٢)

وانتهى الحوار وأنا أعجب لصريح العزل بين العلاقات الدولية والدراسات المتخصصة في القرآن والحديث . كان لاهلقة لهما إطلاقا بعلاقات دولية في السلم والحرب والأسرى والهدنة والصلى .

ذكرنى بهذا الموقف . أن تكرر التساؤل حول ما قدمت في (حديث رمضان) لهذا الموسم من قضايا (الدين والانسان) . كثر مر

الزملاء يرون في الا شغل في الحديث عن الدين بالسياسة . وقلة من صفوة الشىب - يرون في أن أكتب في (الدين والسياسة) إذ الموسم عامر . والحمد لله . بمن يكتيون ويتحدثون عن الشئون الدينية المباشرة . من جللة العلماء المشايخ . والاساتذة . مع اخريين ليس لهم أدنى حظ من علوم الاسلام . يشخذ الشهر المعظم شهيتهم لوجبات من (الفكر الدينى) ينقلونها عشوائيا من كتب لا يدرون ما هي . ويجركونها من موضعها في كتب العلم . لتتشر وتذاع باسمائهم ...

ما علينا . القصة الشاغلة للموقع الفكرى الاسلامى . هي ما نشهد من اختلاط المواقع . تتماهى فيها المعالم المميزة فتبدو متداخلة

وظاهرة الخلط . ليست جديدة ولا طارئة . قد تنبه إليها شيوخنا في المدرسة الاسلامية وحذرونا منها بأن لا نبدا البحث في اى مسألة دون تعريف بحدها تعريفًا جامعا لما يدخل فيها . مانعا لما لا يتعلق بها . مع تحديد دلالات اللفاظ في مصطلح علماء الاختصاص بالرجوع الى مصادرها في الاصول التى نتزود بها - نحن طلاب العلم - تدريجيا لخزائنتنا الخاصة والتي يطرر نموها كلما تقدمنا شوطا من مراحل الطلب . وتبعنا لشعب التخصص في الدراسات العليا حيث نتعلم أن دوائر العلوم على اختلافها . عقلية وعقلية نظرية وتجريبية . تتماس وتتواصل . دون أن تتماهى الحدود المميزة لكل علم منها

على حين ينقضي المفكر سرعة البحث
وتعجل الذئب ، فربما امضى السنوات ذات
العدد وهو عاكف على قضية فكرية يجمع
وثانها ويستحضر الميسور من مراجعها
وينتقى ماسبق للدارسين فيها وقراءة
مدوناتها قراءة بحث ونظر .

ولا يبعد أن يعود إليها بعد أن فرغ منها ونشرها ، لاستدراك غلات أو تصحيح خطأ أو تلاقٍ تقصير ، أو إضافة ما جد في القضية بعد دراستها الأولى ، وربما عهد بذلك الاستدراك والاستيفاء ، إلى من يراد أهلاً للوفاء به من خواص أصحابه وتلاميذه ، على نحو ما فعل ، فحن الأستاذ الجامعين ، مع صفوة تلاميذنا الذين نعتز بتقدمهم إلى الحياة العلمية والفكرية .

و أعود على بدء حيث السؤال عن السبيل
والسياسة ، فلا أحتاج الى التاكيد بانني في كل
ما كتبت او شاركت في دراسته من قضايا الدين
والانسان ، إنما اتناولها من حيث ارتباط في
الموقع الفكري ، لا في أي موقع آخر ، سياسي
أو إعلامي ، لا أحسنه ولا أصلح له . فما
يتبقي لي أن أخوض فيه بغير علم
وإنما أحتاج الى التبليغ بان السياسة من
صميم الدين ، شريعة ومنهاجا ، لا يكاد يخرج
عنه أي أمر من أمور دنيانا .

 في (الصحيحين) الحديث المتفق عليه من
 - ابي حميد الساعدي ، رضى الله عنه . ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم . استعمل
 عاملا فجاءه العامل حين فرغ من عمله فقال
 يا رسول الله . هذا لكم . وهذا اشدى الى فعل
 له (افلا قعدت في بيت ابيك وامك ، فذهبت
 ابيدي لك ام لا)

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عننية
بعد الصلاة فتشهد وأثنى على الله بما هو أهله
ثم قال (أما بعد) فما بال العامل استعمله
فياشينا فيقول هذا من عملكم وهذا أشد
إلي . أفلا تعد في بيت أبيه وأمه فنظر هل يبدى
له أم لا ؟ والذى نفسى محمد بيده . لا يغفل
أحدكم منها شيئا إلا جاء به يوم القيامة عل
عنه) الحديث .

بالنسبة الى قضية خلط المواقع بين الفكر والسياسة والاعلام ، نتوارد عليها ، نحن المشتغلين بها جميعا ، ونحمل معها . ونتواصل ونتعاون ، لاغنى للفريق منا عما يأتى من الاخرين في مجال تخصصهم . فلا يتصور ، مثلا أن ينجو الفكر من ضجيج المجتمع وأحداث الوقت والساعة ، وتجاهات السياسة ومواقف القادة والاحزاب وتقارير المراقبين والمعلقين والخبراء ، وأنباء الاعلام تذاق من شتى عواصم العالم . الا أن يتجرد من إنسانيته ويعطل سمعه وبصره ويلغى تفكيره .

غير أننا مع هذا التواصل والاشتراك في التوارد على الحدث الواحد والمشكلة به وحمل همه ، نفترق في زوايا الرؤية وأبعاد النظر وطرق تناول وقدرة الملاحظة ومجالها وفي مرامي المقاصد ، والوسائل والغايات .. المفكر ينظر الى الأحداث من حيث يربط في موقعه ، بمعنى النظر في مقدماتها ماضياً إليها إلى أسس قريب وبعيد أو ماضٍ موعول في الحاضر ، وبطيل النامل في متجه الأحداث إلى عد قريب وبعيد ، في رؤية شاملة مستوعبة لمسار الأحداث بمقتضى قانون الأسباب والنتائج ، من السنن الإلهية الثابتة التي لا تتعلق المشيئة العليا بنقضها .

وهو يعد بصره الى الأحداث من مختلف اتجاهاتها وزواياها . لكنه يطل عليها من افق واسع . يتقى تراحمها وتآكبها في غابة من الجزئيات الشكلية والاضافات الزخرفية والحشويات المفحمة . ويتجاوز الشخصوس المضللة والمعالم المموهة .

وهو لا يبرح موقعه لينتقل مع أقطاب السياسة ولقاء صانعي الأحداث أو المشاركين فيها لجهله بما يدور في (الكواليس) والجلسات السرية والخاصة التي يعقدها السياسة والقادة قبل أن يلقوا الإعلاميين بالمتفق على إعلان والإعلام به .. وليس المفكر كالأعلاميين يلهثون وراء مواقع الأحداث من نيويورك الى موسكو وحفر الباطن وبعداد والكويت ومن باريس ولندن وبروكسل الى انقره ونيقوسيا وطهران وجيبوتي وليبيا ، والقاهرة ودمشق والرياض وعمان . ويتجشمون لالانقال إليها واقتحام حدودها واسوارها . ما يشبه المغامرات ، ويحتالون على المحظور منها بما يبيحه لهم السبق الاعلامي من زرائع ، وما يسمح بتأمين ما انفرده أحدهم . بكتمائه عن أقرب الزملاء وأخلص الاصفياء ، وليس كذلك وضع المفكر في ابتاده البعد عن ضجيج الأحداث في مواقعها تاميناً للصفاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ وَاتَّقُوا
الَّذِينَ هُمْ يُعْضِدُونَ بِكُمْ
وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ
وَالَّذِينَ هُمْ يُعْضِدُونَ
بِكُمْ أَنْ تَبْرُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ فِي سَبِيلِ الْمُنَافِقِينَ
وَالَّذِينَ هُمْ يُعْضِدُونَ
بِكُمْ أَنْ تَبْرُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ فِي سَبِيلِ الْمُنَافِقِينَ
وَالَّذِينَ هُمْ يُعْضِدُونَ
بِكُمْ أَنْ تَبْرُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ فِي سَبِيلِ الْمُنَافِقِينَ

د. عائشة عبد الرحمن
بنيت الشياطين

الدين أزمة الفكر الديني بالفتلاط البوائق [٢] والإنسان الاسلام والميانية

حديث اليوم موصول بحديث المراجعة عن عقل الفكر الاسلامي عن
السياسة تحديا لمناخها وهومها . والتواصي بالتفرغ للكتابة في
شئون الدين والحياة . وكان السياسة ليست من الدين والحياة !
القضية فيما لرى اكبر واشد تعقيدا وتشعبا من هذه القضية
الفرعية تبدو في ظاهرها مسألة اختلاط في المواقع تتصلح فيه
الحدود المميزة لكل موقع من مواقع وجود الامة . والوظائف
المنوطة بشاغلها . فيلتبس الفكر والعلم بالمواعظ والخطب
والاناشيد الحماسية . وقد بوكل إلى العلماء أو يناط بهم توعية
الجمهير باخطار ما يسمونه الارهاب الديني (١) والانجليار
السكنى في بلد كمصر ثلث سكنه في القاهرة وعدد سكن الحسى
الواحد من أحيائها يعدل سكان قطر من الاقطر العربية .

التاريخ : ١٤ / ٤ / ١٩٦١

(٢)

كما يلتبس الاعلام عن سياسة - التي هي تدبير امور سرعية
والسهر على أمنها ومصالحها والدفاع عن الوطن وتأمين استقلاله
وحماية ثغوره - بتسجيل المواقف المعلنة للرؤساء والقيادات
السياسية والحزبية . ومحاضر جلسات المؤتمرات والمجالس
البرلمانية والندوات الحزبية والظهور في المحافل الدولية . وتقرير
الخبراء عن لقاء الاقطاب . وربما تيطبعا اعلاميين في المواقع السيلسي
التقاط ما تيسر من اسرار الدهليز السيلسي . ومعرفة ما يمكن
الوصول اليه بوسيلة او باخرى . من مناقشات القادة في الجلسات
المغلقة ...

ولو كانت القضية بهذا الخان يكفي فيها ما
كتبته في حديث البأرجة من أن المفكرين
والاعلاميين السياسيين يتواردون على
الحدث الواحد ويشتركون في رصد أسبابه
ونتائج المباشرة . مع اختلاف زوايا الرؤية
وأبعاد النظر . وتفاوت الوسائل والأساليب .
ومرامي المقاصد والغايات

غير أن القضية تنتشعب مسالكها
فتتكشف . من الموقع الفكري . عن جواب
شبه متباعدة . منها ما هو منظور أو يخلد
ومنها ما لا يظهر للرؤية القريبة والنظر
السطحي إلا عندما تلغى الشعب من هنا
وهناك عند مرمى (فصل الدين عن
السياسة) أو العلمانية في إحدى صيغها .

من شعبها المنظورة مقولة التنوير
العصري أثر الما شهد الغرب المسيحي من
تنازع السلطة بين الكنيسة والسياسة
(دعوا ما القيصر لقيصر وما لله) وذلك في
الفكر الاسلامي النقي مردود بان ما القيصر
ولغير قيصر داخل فيما به تعالى لا يخرج عن
ملكوته سبحانه (اليه يرجع الامر كله)

ومنها في الطرف المقابل - وليس محطه
الاخذ بمقولة الفريجة - كلمة مشهورة
للشيخ الامام محمد عبده . وهو من رواد
البعضلة لاصلاح المجتمع بالدين (لعن الله

والجهد والمعاذات والحلال والحرام .
وكتب عامة في السياسة : للفظاء الاصوليين
على المذاهب الفقهية :

على أن أدق ما في قضية (السدين
والسياسة) هو العائور عن علماء السلف
الائمة من كراهة دخول علماء الاسلام على
السلطين . وهي قضية لا تفهم على وجهها
الصحيح اذا اتجهت الى فصل السدين عن
السياسة . وقد حررها حافظ المغرب
. أبو عمر ابن عبد البر . الملقى الفقيه
الحجة . في كتابه (جامع بيان العلم
وفضله) بان الخلاف بين الائمة في دخول
العلماء على السلطان . انما هو متعلق
بالسلطان الجائر : منهم من تشدد في الكراهية
لتلايتا السلطان الجائر . بظهور العلم في
حاشيته ولانقاء مظنة الفتنة بجاء السلطان .
ومواظاته على سياسته بتأويل النصوص
الشرعية لتزكية مواقفه الضالة وأفعاله
الجائرة . ومنهم من قلوا بضرورة الدخول
على السلطان الجائر للقيام بقرينة النصيحة
في الدين والتكليف بالامر بالمعروف والنهي عن
المعكر وقد سئل الامام مالك رضى الله عنه في
ذلك فقال لسائله (رحمك الله . وابن التكلم
بالحق)

قال الفقيه الحافظ أبو عمر ابن عبد البر
. ومعنى هذا الباب كله في السلطان الجائر
الفلسق لما العدل منهم الفاضل لمداخلته
وعونه على الصلاح من الفضل القربان وأعمال
البر) وروى بإسناده الحديث عن النبي صلى
الله عليه وسلم : [صنفان من أمتي اذا صلحا
صلحت الامة واذا فسدا افسدت الامة] (الامراء
والعلماء)

واشتهرت كلمة . الفضيل بن عياض ابي
على الخراساني . الحافظ العابد الورع قال
(لو أن لدعوة مجابة لجعلتها في الإمام)

وبعد وقبل فهل يخرج هذا الذي اكتسبه في
الدين والسياسة عن الموقع الديني ليخدمني
على الموقع السياسي والاعلامي
وكل يتصور القول بفصل الدين عن
السياسة في شريعة تحكم كل معاملة
واموالنا ومحتاج سلوكنا وأخلاقنا . ونفذ
في طعامنا وشرابنا وملابسنا وترائب خراسنا
وسكناتنا . وما نشر وما نعلن .

ذلك أمر مريب
(والى الله ترجع الامور) صدق الله العظيم

السياسة ومشتقاتها : سانس يسوس فهو
سانس وهي مسوسة .. (لم يعن بها مفهومها
المباذر من ابتعاد الدين عن السياسة بل
الشكوى من أفاعيل السياسة وما يلقي
العلماء من نغل عيبتها الباهظ فيما هم مكلفون
به شرعا من الرقابة على سياسة الحكام في
الرعية . ولا يبعد أن تكون لعنة السياسة على
حجر ما يؤثر عن فقهاء أئمة من محاولة
الهروب أو التهرب من ولاية القضاء اشتقا من
عظم خطره وثقل تبعاته . وهم يحفظون في ذلك
الحديث المتفق عليه عن النبي صلى الله عليه
وسلم في (النهي عن طلب الامارة وعن
الحرص عليها) .

*** ومن شعب القضية غير الظاهرة ما
يتورط فيه من يخوضون في علوم القرآن
والحديث بغير علم . ولا دراية لهم بقوانين
المسيح الاستقرائي لدلالات الالفاظ
العربية . فلعلمهم راجعوا (المعجم
المثيرس للالفاظ القرآن الكريم) - وما أجمل
فوائده وأعظم جدواه - فلم يجدوا فيه لفظ
السياسة فتعجلوا الحكم بان السياسة ليست
من علوم القرآن كتاب الاسلام وغلب عنهم انها
داخلة في احكام البيعة والولاية والامارة . وفي
كثرة لا تحصى من آيات الاحكام والاخبار
المتعلقة بالملوك والحكام والولاة والامراء
والعمال .. كما ذكر ما يعرف في النظم
الوضعية بالعلاقات الدولية في آيات الاحكام
للسلم والحرب والاسرى والامن او الهدنة
والهدنة والشروط والفى والغنائم والجزية
والمواالة والتعويض السلمى . وما لا احصيه
عدا .

و اما في كتب الحديث والسنن المصنفة على
ابواب الفقه والاحكام كالموطا والصحيحين
وكتب السنن فلا يخلو كتاب منها من ابواب
الامارة والجهاد والقتل والهدنة والشروط
والاقتضية والعهود والمواثيق .. وآخر هذه
الابواب : ألقت فيه كتب خاصة . ولندكر منها
في هذه العجالة ان السيرة النبوية . هي عهد
الحكم النبوى تدبيرا لسياسة الجماعة .
ومدرسة تلقى فيها الصحابة تعاليم الاسلام في
السياسة والحكم والاقتضية دينيا ودنيا تولاها
ال خلفاء الراشدون وفقهاء الصحابة ثم فقهاء
التابعين الائمة حكاما للمسلمين في شئون
دينهم ودنياهم .

وقد ألقت كتب خاصة مستقلة في الاموال
والمغازى والوثائق السياسية والاقتضية

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

وَرَادَ اسْأَلُكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي
قَرِيبٌ أَحْبَبْتُ دُعَاةَ السَّادِعِ إِذَا
دَعَا نَ فَلَيْسَتْ حَبِيبُوا لِي وَلَيْفَ هُوَ
بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ

صلى الله عليه وسلم

هـ . عائشة عبد الرحمن
بنيت الشاطيء

حديث لا أوحش الله منك يا شهر الصيام

لم يبق إلا وداع .
أذنت به ليلىك اليتيمات . لا تنكر ليلة منها في الأسبوع التالي إلا
وقد ودعنا وخلفتنا من بعدك كالميتة .
وكان (الجمعة اليتيمة) مهلة تروضنا على وشك وداع . قبل أن
يحين فراق . نحن أبناء أمك . من منا يعيش لبشهاد مستهل قدومك
في العام القادم . ولا أين يكون وكيف يكون :
(وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت)
فلا أوحش الله منك يا شهر الصيام .

لم يبق إلا وداع
تشجينا مواجده وإننا لعل يقين من أننا إذ نمضي كما مضى أبونا
وأجدادنا من قبل . فلن امتنا تبقى أبدا على موعد لقاء بك ومعك . في
كل موسم من مواسمك الطيبات . لتستقبلنا في موكب الرؤية لهلال
شهرك المعظم كلما دار عام القمر دورته .

التاريخ : ١٥ / ٤ / ١٩٩١

(٢)

وقد من الله عليها بان هون عليها وحشة فراقك فجعل شهود هلال
شوال المؤذن بحتم فراق ، عبد لطر لينا نستقبله بالتواصل
والتراحم ، وبالصلاة والدعاء والتكبير ، شكرا لله تعالى على ما
هدانا ، وما يسر لنا لا كمال عدة شهر الصيام :
(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكمّلوا العدة ولتكبروا
الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون)
فلا أوحش الله منك يا شهر الصيام

في أشد المحن والكروب وأشد الكوارث
والخطوب لم تحرمنا من مطايعك :
جمعت وفود الدول العربية في رحابك ، في
مشهد حضري جدير بامتك ، لئلا ينصف
شبهك المعظم حتى كانوا جميعا في مؤتمر
جامعة الدول العربية بعاصمة الكنانة ، لم
يتخلف منهم وفد أي بلد ، والعهد قريب
بكارثة الفتنة التي قطعت أوصالنا ، وأهلكت
مئات الألوف من ضحايا مجازرها الحاصدة ،
التقوا هنا ، قد تناسوا ما بينهم من
عداوات ونارات يحتاج تجاوزها إلى مجاهدة
صعبة أعانهم الله تعالى على معانيتها في
رحابك ، وتعلق رجالونا في أن تصفو النفوس
وتلتقي القلوب على مودة ، وما ذلك على الله
تعالى بعزير
(عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم
منهم مودة ، والله قدير والله غفور رحيم)
ويؤنسنا إلى هذا الرجاء العزيز ، ما من به
الله تعالى على الحبيب المصطفى صلوات الله
عليه وسلم ، قال عز وجل
(هو الذي أيدك بنصرة وبالمؤمنين ، وألف
بين قلوبهم ، لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما
ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ، إنه
عزير حكيم)
فلا أوحش الله منك يا شهر الصيام ..

فيما نكابد من أشجان وأحزان لفراق
الراجلين من أحبابنا ، لم تحرمنا موصول

(٣)

للهمجة : يخطب في عشرات الألوف من المسلمين خطبة الوداع ، وصيته : الأخيرة صلى الله عليه وسلم لأمته ، ليستهلها بقوله بعد حمد الله تعالى والثناء عليه :
(أيها الناس ، اسمعوا قولي قلاني لا أدري لعل لا ألقاكم بعد علمي هذا بهذا الموقف أبدا . أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستمثلون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت . لمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من أتمنه عليها . وإن كل ربا موضوع ولكن لكم رموس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . قضى الله أنه لا ربا . وإن ربا عيسى بن عبد المطلب موضوع كله . وإن كل دم كن في الجاهلية موضوع . وإن أول دماءكم أضغ دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب - وكان مسترضعا في بني لبيث فقتلته هذيل - فهو أول ما أداه من دماء الجاهلية .

وبعد أن بين المصطفى إبطال الإسلام للنساء - بتأجيل حرمة القتل في أحد الأشهر الأربعة الحرم إلى شهر غير حرام - أوصى بالنساء خيرا ثم ختم خطبة الوداع بقوله :
(وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا : أمرابينا كتاب الله وسنة نبيه . أيها الناس ، اسمعوا قولي واعقلوه ، تغفلن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة . فلا يحل لأمرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم . لعل بلغت ؟)

أجاب عشرات الألوف ممن شهدوا حجة الوداع : اللهم نعم . فقل عليه الصلاة والسلام : (اللهم فاشهد) ثم علا المصطفى فاقام بالمدينة بقية ذي الحجة وشهر المحرم وصفر وأوائل ربيع الأول ، ولحق بالرفيق الأعلى . بعد أن أتم رسالته ، وترك للمؤمنين من بعده أن ينشروها في الألفي ، وأن يحملوا (القرآن) سواء إلى المشرق والمغرب ، لواء أمة ، ومثل حضارة ، ودليل مسرى في ظلمات المحن وعصيب الكروب .

اليوم أتمثل موقفه هذا ، صلى الله عليه وسلم ، فاختم الموسم بحديث الاعتصام ، وصية إلى أمتي وأنا على وشك رحيل ، لا أدري لعل لا ألقى الموسم بعد عامي هذا .

ولا أوحش الله منك يا شهر القرآن

وسلام على أمتي .

وسلام هي معك ، وبك إلى يوم البعث .

عطائك : تجمعنا لياليك النيرات باطياهم ، لا يغيبون عنا في ذكريات أنسنا بك والشمل مجتمع والحياة صفو وحسب وتواصل ومواساة . لا يحظى أحدنا بنعمة إلا كانت نعمتنا جميعا ، ولا يلزم باحد أذى أو شكاة إلا تداعينا له جميعا بالمشاركة ، نحمية . وكنا كما قال فينا الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية . (كالجسد الواحد ، إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الأعضاء بالنسهر والحمى)

حتى إذا رحلوا عن دنيانا ، بقيت لنا تعمر قلوبنا بذكرهم وتؤنس ليالينا باطياهم . وتزودنا بالصبر على قضاء الله فينا . وتعزينا عن فراقهم بيقين اللقاء في رحاب الله تعالى والمأمول من رحمته ورضوانه للمؤمنين الصابرين الاتقياء من عباده ، ووعده الحق بجمعهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم . في الدار الآخرة (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) فلا أوحش الله منك يا شهر الصيام ..

وفيما نقاسي من مواجد الفراق لأصحاب أصدقاء لم تحرمنا فيض عطائك :
فيك تصفوا رؤانا فتجمعنا بمن ألفنا ان نلتقى في مواسمك الطيبات على الود المحض والبر والايثار . نعمر أيامك بمجالسنا العلمية ومذاكراتنا الفكرية . ثم لما مزقت شملنا الفتنة العشواء تناعت بنا الديار وشط المزار . وانقطعت بنا السبل وعز اللقاء . لا يدري أحد منا ماذا ألم بصاحب الزملاء الأصدقاء ، ولا ما صنعت بهم الأيام والليالي ؟ ولا أين هم في تيه التشرد ومناي التفريق ؟ وبقي لنا نورك

تصفوا به رؤانا فتلتقي والمزار بعيد بعيد . ونجتمع والقوى ختم وقدر .. ونذكر على العهد بنا في آيات هداك . وتخضع قلوبنا لما نسترجع من ذكريات أمسياتنا العامرة . حتى مطلع الفجر ، بما نتدبر من الذكر الحكيم الذي لولاه لما التقينا ولا تعارفنا ، ولا تعلمنا من الكتاب والحكمة ما يعطي وجودنا كله قيمة ومعنى مما من به الله تعالى على أمتنا (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين)

فلا أوحش الله منك يا شهر القرآن ..

لم يبق إلا وداع . وأتمثل هنا موقف الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع . السنة العاشرة

حديث العيد

بسم الله الرحمن الرحيم

«أَمَدُ مَنْ أَلَّهَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ
يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ»

صلى الله عليه وسلم

د. عائشة عبد الرحمن
بعضة

« هذه الأمة لا تجمع على ضلالة »

— حديث عيد الفطر موصول — تشريعا وسياقا وتوقيتا ، بحديث
الوداع للشهر المعظم — لا أوحش الله منه — ذكرت فيه وصيتي
لامتي مجملة في (حديث الاعتصام) ، في خطبة الوداع ، الوصية
الآخيرة لنبيينا عليه الصلاة والسلام إلى أمته بعد أن بلغ رسالته ،
(ولقد تركت فيكم ما أن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، كتاب الله
وسنة نبيه) صلوات الله عليه وسلامه .
وبقيت لنا هذه الوصية ، منار هدى ودليل مسيرة ، وعاصم من
الضلال في مدلهم الديباجي وعصيب المحن ، مثلما كنت على مسار
تاريخنا الطويل من الفجر الصادق ، تعطيه تفسيره ، ويعطينا
منطق حتميته فيما نحن فيه ، وما يتوقع من نتائج مقدماتها ، ولم
يحدث قط ، أن أخطأ تاريخنا خطر العامل الديني ومرضعه في موازين
القوى يستقطب سائر العوامل الأخرى في تفاعل مثير لا يفيض من
شان أي عامل منها ، وإن أخذ دور القيادة والتوجيه مهيمن عليها .

(٢)

الكذلك هو ، فيما نحن فيه من هم وكرب اذ نستقبل عيد فطرنا لهذه
السنة الحادية عشرة من القرن الخامس عشر للهجرة . وبينا ما بنا
من تصدع وانكسار يحمل ابناءنا على القنوط ؛ ولو قد عرفوا ان لامتنا
من زاد الحكمة والبصيرة الملهمة ، ما لانجمع معه على ضلالة - كما
صح الحديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام - ولاطمأنوا الى
ان ما يروهم من واقعنا المتصدع بما ينسلط عليه من وطاة

شرسة لطاغوت هذا الزمان ، وما تحتشد له
كتائب الغزو الفكرى والاعلامى - سافرة
مكتشوفة او مأكرة مقنعة - انما هو في الرؤية
الثاقبة والبصيرة النيرة ، شاهد على ان
موضع الاسلام في موازين القوى المعاصرة ،
لم يتزحزح قيد شعرة عن موضعه من مستهل
المبعث في ليلة القدر ، (سلام شى حتى مطلع
الفجر) ولو قد علموا من ماضى تاريخ هذه
الامة ، ما ألم بها من الدوامى ، وما تسلط على
الموقع الدينى ، حصنها المنيع ، من ذرائع
الكيد والتضليل والاحباط ، لاطمأنوا الى
قدرتها على مقاومة ما تلقى اليوم من افاعيل
طاغوت هذا الزمان .

على مسار تاريخنا الطويل ، تعددت موجات
الغزو وحملات الضغط على الموقع الدينى
وارتدت هذه الحملات الشرسة خائبة لان
القرآن كان لواء الجهاد ونور البصائر . ومعه
المدد الذى لا ينقطع من ذخيرة الايمان وزاد
الحكمة ، يسهر على حراسة الموقع الدينى ،
ويصد عنه الغزاة من كل جنس وملة

فان يكن الاستعمار العسكرى قد حسمته
معركة التحرير الكبرى من أقصى المشرق الى
أقصى المغرب ، فليست امتنا بحيث يخونها
الوعى ببدائله العصرية ، ولا هسى بحيث
تفقد رشدها في النقع المثار من ويلات الحروب
باسلحتها المتطورة ، تحجب عن الغافلين
منا ما يدور في الساحة من ضراخ المذهبيات

(٣)

الضياع ، اذ في ضياعه ضياع للذات وطمس
للامح شخصية وجوهر اصلتها واهدار
لتجارب عمرها الطويل .

وخص القرآن بالعناية قدرا من احداث
تاريخنا الكبرى ، فجعل أيامها المشهودات
اعيدا دينية وشرع لنا الكتاب والسنة شغلنا
الاحتفال بها جامعة موحدة غير متروكة لعبيث
الاهواء وتقلب الامزجة ومحدثات البدع .

واول ذلك القرآن الكريم : عين ولدت نزوله في
ليلة القدر من شهرنا المعظم ، وجعل صياحه
ركنا من ارتكاز الاسلام الخمسة ، وشرع لنا
شعائرا الاحتفال بشهود هلاله ايدانا بموسمنا
الديني الكبير ، صياما ورياضة ومجاهدة ،
كما شرع الاحتفال بعيد الفطر ، شكرا لله على
مايسر لنا من اكمل عدة شهر الصيام .

واعود فاقول لابنائنا الذي روعهم (ما
احدث غزو العراق للكويت من صدع عميق في
العالم العربي ، انعكست اثره فما نشهد من
ارادة عالم اليوم - الموجه من امريكا - لاعادة
صياغة هذه المنطقة لحساب بني اسرائيل)
اقول لابنائنا ، ان ذلك ومثله معه ، ما كان
ليروهم ويظنوا بامتنا القهر والهوان ، لو
أنهم انصتوا لما يتلى عليهم في القرآن الكريم
من آيات بينات في التاريخ على وجه الصحيح
، الذي يستخلص لهم الدرس والعبرة

وانما قراؤه في كتب التاريخ المدرسية
المشوبة بالحشويات الملحمة والسننات
التلفية ، او في مترجمات لصنف من كتب
الفرجة فسرت التاريخ على هو اهم ، او في
دراسات لنا - غفر الله لنا - ركزنا النظر فيها
على امجاد ماضينا وانتصاراته ، فلما منا اننا
بذلك نحمل ابنائنا من لعنة القنوط .

فليكن مما نتعلم من عبرة واقعنا البائس ،
ان العلم بما مر بالامة في تاريخها الطويل من
دواهي الكوارث وماكر الذرائع ، هو الذي
يحمي شبابنا من القنوط ويحفظ غلبتهم
ايمانهم بان ما نشهد من صدع في كيان الشرق
الاوسط - والادنى والاقصى - ومكر الانتصار
باعدة صياغة مستقبله ، يعطيهم شأخدا على
ادراك العالم المعاصر لوعى امتنا ، وحيدته
من امرها ، ولاطمأنوا الى ان ما بكياننا من
شرح عميق انما هو اثر حتمى لمنطق الحكمة ،
لامه لاتجمع على ضلالة

(الحمد لله ، وسلام على عباده الذين
اصطفى) صدق الله العظيم

المذكورة والعصبيات المتناحرة والاهواء
المتصادمة .. بل ان ذلك كله ، وامثاله معه ،
شاهد على سلامة وعى الامة ، ونخبيرتها من
حديث الاعتصام ، فليست بحديث تضلل
مسراها في تيه المرحلة ، ولا هي بحديث لاتميز
بحكمتها ذرائع الضغط على نفورها نفاذا الى
الدوق الديني

قلله تعالى الحمد والمنة ، اصطنى منا
خاتم رسله عليهم السلام ، فبعثه فينا يتلو
عائنا آياته ويعلمنا الكتاب والحكمة ، نعمة
من بها على امتنا ، وذكرنا بها ، وهي مما انعم
الله به على رسله الانبياء عليهم السلام ،
ومثل ذلك انعم بها على الصفوة من عباده
سحانه (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا)

.. تعالى ورسوله الحمد والمنة

تعلمنا من الحكمة آيات بينات لجوهر
التاريخ في عبر الايام والليالي ، تستخلص لنا
من حكمة الزمن فيما مضى من تجارب الامم ،

قدرا متاحا للكافة من امة القرآن .

هذا القدر المصون من الضياع علم الامة
من تاريخ القرون الخالية والامم الغابرة ما هو
مناط اعتبار بمصارع الطغاة ومكايد اولياء
الشيطان ، ومصاير الدول التي ابتليت
بالفجور وفعل الفواحش والتي انهكتها الترف
وافسدها البغي والظلم ، والطفغان تبصرة
بما هو مناط الاعتبار ، وما يتوقع من نتائج
الاحداث بمقتضى السنن الثابتة ، يهتدى
اليها من اوتى الحكمة بفطنته الزكية وفطرته
السوية وبصيرته الملهمة ، والحدس
الصادق للمعتبر من المقدمات والنتائج فيما
يطرد من السنن الثابتة التي لاتتعلق المشيئة
العليا بنقضها

(لعل ينظرون الا سنة الاولين قلن تجد
لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله
تحويلا)

كما حفظ لنا الكتاب ما لا ينبغي لمسلم ان
يجهله من احداث كبار وايام مشهودات عصر
المبعث ، ونقها نزول الوحي بها ، وبيئت
السنة في السيرة النبوية - تاريخ عصر
المبعث - مواقف النبي صلى الله عليه وسلم
منها ، واقضيته فيها ، وما علمنا من
حكمتها ، توجيها لامة الى حفظ تاريخها من

حديث

الوقففة

بسم الله الرحمن الرحيم

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ »

صلى الله عليه وسلم

د. عائشة عبد الرحمن
بنسلك الشافعية

اليوم وقففة عرففة والعقيقة عرففة

اليوم . تاسع ذى الحجة . يسميه أهلونا بالمشرق والمغرب (يوم الوقفة) إيماء إلى وقفة عرفة وهم يعلمون من دينهم بالضرورة ، أن هذا اليوم داخل في أيام الحج المعدودات . من فاته أدراكه لم يقض حجه . وليس كذلك يوم وقفة عيد الخطر بما يشوبها من شجن الوداع للشهر المعظم . وليست محسوبة من عيد الفطر . بل ينتهي يومها بمغيب الشمس وشهود هلال شوال . إذاً بعيد الفطر المبارك .

(٢)

اليوم رقة عرفة . القى فيها قرأني الكرام فأجدد عهدي بهم وأصل ما انقطع من لقائنا في حديث الشهر المعظم . ولا يغيب عن بالي أن من أبناء الجيل العصريين من يستقبلون احاديثي الموسمية بشيء من الصدف والجفاء مثل ما يستقبلون به مقالات الناسيات العابرة التي يتجرعونها على مضض . وليس هذا بعجيب من الموازين النقدية التي لا تفرق بين مقالات الناسيات الاعلانية الفجة . وبين الاحاديث الموسمية تستبصر العبرة والدرس من مشاهدنا التاريخية وتزود الحاضر بذخيرة من تجارب ماضي امتنا العريقة .

ولله الحمد والمنة ، حمى امتنا من ذرائع التشويه والمسح . فشرع لها من الدين ما يصون اصالتها . وجعل أيامها التاريخية المشهودة أعيادا دينية . وفرض الاحتفال بها على المنهاج الشرعي ، لكيلا تطمس ذاكرة الأمة فيتعطل وعيها لذاتها وتكون عرضة للفقدان المناعة النفسية والعقلية المكتسبة من اصيل هويتها وقيمها الدينية . لا تكون بدونها - ولا بغيرها - امة اسلامية . وغير مستبعد في رجة الاحداث العنصرية لازمة العصر والتاريخ الاسلامي . أن يغشى الافراد منا والجماعات من اخذة الدوار وهول الصدمة . ما يضل الرؤية فتفقد القدرة على البصر بمنطق الاحداث في درامتها العنيفة ويبقى للأمة من نفاذ البصيرة وصفاء الرؤية ما يحفظ عليها ارادة البقاء . ويبصرها بمزالق العثار في أزمت الوجود وتحديات المصير .

ولا يمتنع أن تبلغ وطأة الازمات ومكر الذرائع وتراكم الفواش ، ما يعم به الكرب فتتشابه السيل وتختلط عمايات الدروب ، لكن الأمة تظل قادرة على مقاومة دواعي القنوط والاحباط ، بحدس الدفاع عن الذات ، لا تخليء منار هداها ، ودليل مسراها بليل حالك الظلمة . وتلتمس من مواسمها الدينية الكبرى ما يرهف وعيها بالماثور من حيويتها وعراقة وجودها .

على انه مهما يبلغ من اخذة الافراد بما يغشاهم من دوار الصدمات . فإن قبسا من نور الله يبقى ابدا في اعماق وجدانهم وضماثرهم هيهات أن ينطفئ . ومهما تجللهم الغفلة عن تمويه السراب ومصابد التمويه ، فهيهات أن ينقطع رجائهم في رحمة الله وهداه وقد قال عز وجل : (وإذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع إذا دعان . فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) وهم يستجيبون للخالق جل جلاله ، فيقيمون من العبادات ما هو فرض عين على الكافة ويحفظون القدر المعلوم للكافة بالضرورة من دينهم القيم ، وليس يضيرهم ان يغيب عنهم ما ليس متاحا للكافة ، فليس مفروضا الا على اهل العلم به والقيام عليه . فرض كفاية

(٣)

الى البيت العتيق تسعى حشود الحجاج من فجاج الارض . وهم يعلمون من دينهم بالضرورة ان حج البيت لمن استطاع اليه سبيلا . من قواعد الاسلام الخمس ، وان لم يعلم عامتهم بالضرورة . فقه شعائر العبادات وحكمة المناسك .

يعلمون جميعا ان البيت الحرام كعبة الامة وقبلتها الجامعة . ومثابة حج ابنائها ومهوى أفئدتهم . ويعلمون من شرف البيت العتيق انه اول بيت وضع لعبادة الله في الارض . ولا يخلو مجتمع مسلم من ذكر المرويات في حرمة هذا البيت ورفعته وكرامته . وان لم يعلموا بالضرورة وجه تشريف هذه البقعة الجرداء بهذا الاصطفاء فالحق عز وجل يصطفى من الاماكن والازمنة مثلما يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس سبحاءه . يختص برحمته من يشاء من عباده .

وحجاج الموسم . وكل موسم . يأتون متفرقين من جهات متباعدة . فاذا بلغوا موافيت الاحرام المحددة لاهل كل ناحية والوافدين من طريقها للحج او العمرة . تظهروا ولبسوا زي الاحرام واهلوا بالتلبية . وقد علموا انهم في طريقهم الى البيت الحرام والموقف بعرفة . متجربين من

كل ما يتنايز به الناس من رى ومظهر وجاه يتدفقون جميعا . مهللين مكبرين داعين ضارعين . خاشعين لجلال الموقف اقرب ما يكونون الى الافق الاعلى . قد تساوى فيه الخاصة والدمماء . وتماثل العوام والارساء . وتقارب السادة والاتباع :

كلهم عبيد الله وعباده . لا يفاضلون الا بالتقوى . يتكلمون عمليا لاية الاعلان القرآني منذ اكثر من اربعة عشر قرنا . للمساواة بين الناس . كلهم لآب واحد وام واحدة . لا يفاضلون الا بالتقوى . قال عز وجل :

(يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير)

في هذا الملتقى الجامع يوم عرفة . لا يغيب عن وفود الحجاج ان موسم الحج في ايامه المحدودات من اشهره المعلومات . ملتقى موسمي لابناء الامة من مختلف الشعوب والبلدان . يتعارفون ويتواصلون ويتراحمون . ويتذكرون فيما يشغلهم من قضايا الامة ونوازل الوقت . وانهم ليحفظون آية الاعتصام . ويفقهون قوله تعالى في آية (المؤمنين)

(وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون) ويحفظون معها الحديث المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال . مثل امتي في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

(٤)

وهم بحيث يذكرون في موقفهم الجامع بعرفة ، من
وصية الحبيب المصطفى لآلته في حجة الوداع : ان ، لا
ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ،
وقد عاشوا جميعا ازمة العصر ، و ما هي في الواقع
المشهود الا ازمة الوعي العربي والضمير الاسلامي ،
واسمعوا بلا ريب ما بثته اجهزة الاعلام مرئية ومسموعة
ومقروءة من اقوال كل حزب وحلف ، وتعليقات الخبراء
والمسقيين ، ونحن جميعا شهود على ما تعرضت له ديارنا
واهلونا من حرب غشوم باسلحة فتاكة متطورة مدمرة ،
ليست باضر من اسلحة التفرير والتمويه والتضليل
والتخدير والاستدراج الى سياه سراب عقيم ،
وهذا ملتقاهم الجامع في حمى الحرم الامين ،
يستبصرون نور الهدى ومعالم الطريق ، ويتواصون بالبر
والحق ، وترميم ما تصدع من بنياننا وما تاكل من خلايا
كياننا ، لحساب بنى اسرائيل اعداء البشر ،
الامة كلها مع حجاجها في وقفته بعرفات اذ يتصل
الحاضر بالماضي عبر السنين والقرون ، منذ حج المصطفى
صلى الله عليه وسلم بالمسلمين الاولين حجة الوداع في
السنة العاشرة للهجرة ، في مثل هذا اليوم منذ اربعة عشر
الف سنة قسرية ، لم ينقطع فيها المشهد المهييب للنبي
المصطفى الحبيب ، يعلم المسلمون مناسك حجهم وشعائر
عبادتهم ، ويختتم وصية وداعه بقوله : « ولقد تركت فيكم
ما ان استمسكتكم به فلن تضلوا ابدا : كتاب الله وسنة
رسوله »
في ملتقى عرفات ، يوقن المؤمنون اننا نحمل من تكاليف
وجود امتنا ما لا يحل التفريط فيه بالتخلي لسادة هذا
الزمان البائس ، عن قرار وجودنا وصياغة مستقبل امتنا ،
وفينا كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى خاتم المرسلين
عليهم السلام ، منارا ودليلا ..
وسلام عليهم ساعين من فجاج الارض الى مثابة حجنا
وقبله استنا ، واقفين على عرفات محرمين خاشعين ، قد
تماحت بينهم كل الفروق ، في حمى البيت العتيق
وانحنى هام الرعايا والملوك ، للذي تعنوله كل الجباه ،
واليه ، في علاه ، رفعوا النجوى دعاء وابتهالا وصلاته
ربنا ليبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك
وغير بعيد من موقفهم المهييب بنى عرفات ، يترأى القدس
مسزون السمات ، يصفى الى مدى دعاء يتردد من ذرا
عرفات الى سفح المكبر
الله اكبر الله اكبر الله اكبر :
أعلى مسرى محمد ؟ بجوار المهد في أرض السلام ؟
ينشر الطاغوت اعلام الظلام ، ويعربد ؟ □ .

في ذكرى الهجرة

تاريخ الاسلام ، والتقويم الهجري

د . عائشة عبد الرحمن
(بنت الشاطئ)

وفاة المصطفى عليه الصلاة والسلام بالمدينة
في شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة .

ومضوا على ذلك يؤرخون بالاحداث الكبرى
في عهد ابي بكر الصديق اول الراشدين رضي الله
عنهم ، ثم في السنوات الخمس الاولى من عهد
عمر ، حيث اتسعت دولة الاسلام ، بالفتوح
واسلام شعوب غريبة في القطن لكل منها
تقويمها السنوي ، فبدت الحاجة الى تقويم
اسلامي للدولة يؤرخ بالشهور والسنين
القمرية ، فجاء عمر ، وجوه الصحابة اهل
الشورى رضي الله عنهم فالتفتوا الى ان المبعث
قد تكفل الله تعالى بتكريمه وتخليد ذكره وفرض
الصيام في شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن ،
قاعدة من قواعد الاسلام الخمس ، وشرف مكة
المكرمة دار المبعث بالبيت العتيق ، قبلة
المسلمين ومثابة حجه ومهوى افئدتهم .

فكان ان اتفقوا على التاريخ لدولة الاسلام
بالهجرة اعتقاداً لجلال موضعها من تاريخ
الاسلام ، قاعدة لدولته ومركز التعبئة لجند
الاسلام في عصر المبعث ، ومنطلق كتابتهم في
الفتوح الكبرى ، وذكروا لدار الهجرة ما حفظ
الله تعالى من فضل لاهلها الانتصار الذين اووا
ونصروا : ولم يدسوا ما سمعوا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مناقب الانتصار وحب
الانتصار ودعاء للانتصار . وابتداء الانتصار .

ذلك ، ومثله معه ، مما دخل في تقدير وجوه
الصحابة حين اتفقوا على الهجرة للتاريخ بها في
التقويم الاسلامي . واذ كانت الهجرة النبوية في
شهر ربيع الأول . باتفاق ، نقلوا التاريخ بها الى
مستهل الشهر المحرم ، اول السنة القمرية .

اليوم تحتفل امتنا في مشارق الارض
ومغاربها بمستهل السنة الهجرية ، على العهد
بها في مثل هذا اليوم من كل دورة لعام القمر .
والمسلمون كافة يعلمون بالضرورة انه احتفال
بذكرى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من
مكة المكرمة الى يثرب ، التي استحدثت
بالهجرة التاريخية اسمها الاسلامي الشريف :
المدينة المنورة ، وانهم ليعلمون من دينهم
بالضرورة ان تاريخ الاسلام بدا من فجر ليلة
القدر المباركة في غار حراء بمكة المكرمة .
ومع هذا المعلوم بالضرورة للمسلمين كافة ،
يقع التباس خطير يؤهم ان تاريخ الاسلام بدا
بالهجرة التاريخية التي يؤرخ بها لدولة الاسلام
من عهد اسير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ثاني
الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

وجه الخطر انه يطمس تاريخ الامة ، بما
يوهم الاسقاط او التبر للعهود المكي عصر
المبعث - من اول الاسلام ليلة القدر ، الى وقت
الهجرة النبوية - بما ظل به ذلك العهد الاول
من عنوام الاحداث ، وما نزل فيه من الوحي
المكي : اكثر القرآن .

وغير مجهول من تاريخ الاسلام الموثق ، ان
الهجرة النبوية كانت في شهر ربيع الاول من
السنة الثالثة عشرة للمبعث ، واما التاريخ بها
في التقويم الاسلامي ، فلم يبدأ إلا في عهد عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه ، في السنة السابعة
عشرة للهجرة ، فقد ان مضى على بدء تاريخ
الاسلام ليلة القدر ثلاثون سنة قمرية ، كان
المسلمون فيها يؤرخون بالاحداث الكبرى قبل
الهجرة وبعدها الى حجة الوداع في العاشرة .

(٢)

البحث الاول من الكتاب عنوانه (محمد والاسلام) تجرد فيه لتأييد مزعمه ان الاسلام لم يكن ديناً حتى هاجر الى يثرب اليهودية ! قال بعد ان هون من العهد المكي للاسلام : [وسوف لا اقص هنا تاريخ نجاحه وفشله ، انما اذكر ان عام ٦٢٢م - الهجرة - كان مستهل تاريخ الاسلام من اجل ذلك ، لنا ان نقول إنه في المدينة على الأحرى كان مولد الاسلام] وقبل ان تظهر فينا سنة ١٩٤٤م طبعة (دار الكتاب المصري) للترجمة العربية للكتاب ، كان من أوائل من بشروا فينا بهذه المقولة الزائفة ، اسراييل ولغسون ابو ذؤيب ، الذي طرا على كلية الآداب بالجامعة المصرية ، استاذاً محاضراً للغات السامية . فأنجز أثناء ذلك رسالته للدكتوراه من الكلية بإشراف استاذنا العميد ، في (تاريخ اليهود في جزيرة العرب) وبادرت الى طبعتها ونشرها لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، والكتاب يؤصل للوجود اليهودي في جزيرة العرب من قديم ، ويقدم لاحداث عصر المبعث ، تفسيراً يهودياً بلغ النكر والمكر مع التهافت والخلل ، من ذلك قوله في يهودية يثرب وتأثير الاسلام بها : [يحتمل ان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد اتصل باليهود منذ حادثته ، لاسيما بعد ان اشتغل بالتجارة لزوجته السيدة خديجة] ويعمل هذا الاحتمال الخائر ، اطلق الحكم بإجماع المستشرقين على دعواه الفاحشة قال : [من هذا يستنتج المستشرقون ان النبي الجديد قد ظهر بمظهر الأنبياء الاسرائيليين حتى يثبت صحة رسالته] .

واطل الكلام عن تائر الانتصار بيهود يثرب قبل الهجرة ، ليقف طويلاً عند بيعة العقبة الكبرى ليقول [ان هذه البيعة كانت أولى من الهجرة بأن تكون بداية تاريخ الاسلام] . قاتلهم الله ، ما اجراهم على التاريخ الموثق ! يسقطون من تاريخ الاسلام العهد المكي للمبعث ، وفيه كانت ليلة القدر ، والمقاطعة والحصار ، والهجرة الى الحبشة ، وعام الحزن ، والاسراء ، وبيعت العقبة ، وفي العهد المكي ، نزلت قبل الهجرة ست وثمانون سورة من سور القرآن ، ثم نزل منه بالمدينة بعد الهجرة ثمان وعشرون سورة : وبعد فلقد اوجزت الإشارة الى مقولاتهم حيث يضيق المجال هنا عما ينبغي من نقضها وبيان بؤس تهافتها ولحش تزويرها ، ولم اتجه فيما اوجزت الإشارة إليه ، الى غير ما حمل البنا من بضاعتهم ، وروجت له فينا فتنة الاستهواء . على انه مهما يبلغ من فشو هذا الخلط بين الخاصة ، فان الأمة مبراة من زيغ الاستهواء . في مستهل شهر رمضان المعظم ، من كل سنة قمرية ، يحيى المسلمون كافة شهر القرآن الكريم صياماً ونسكاً ورياضة ومجاهدة . وفي فاتح المحرم ، يحتفل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بذكرى الهجرة التي يؤرخ بها لدولة الاسلام من عهد ، عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه .

(فاعتبروا يا أولي الأبصار)

صدق الله العظيم

لم يخطر على بال وجوه الصحابة ، ولا دخل في حساب التاريخ ، ان الهجرة الى المدينة على جلال قدرها ، عزلت مكة المكرمة عن مسرح الاحداث وهي دار المبعث وفيها البيت العتيق ، بل تظل مكة في صميم الصراع الدائر بين الاسلام وأعدائه عصر المبعث ، وتبقى ابداً ، كما أراد لها الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام : العاصمة الدينية الكبرى للاسلام ، وقبله أمّة ، ومثلية حجهم ومهوى أفئدتهم : في السورة الأولى من الوحي المدني بعد الهجرة ، نزلت احكام فريضة الحج الى البيت العتيق ، من قواعد الاسلام الخمس ، والمسلمون الأولون وقتئذ في دار هجرتهم ، وابواب مكة من دونهم موصدة . وفيها استجاب الله تعالى لرسوله في القبلة التي يرضاه لأمته ، وكانوا يتجهون في صلاتهم الى بيت المقدس ، حتى نزلت في السورة الأولى من الوحي المدني ، آية تحويل القبلة : (قد نرى قلبك وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) الآية .

فاستقبل المسلمون ، المهاجرون والانصار ، المسجد الحرام في صلاتهم ، وهم في دار هجرتهم ، ليس في الدنيا وقتئذ دار اسلام غيرها .

ذلك كله فما لا ينبغي ان يجهله من له ادنى معرفة بتاريخ الاسلام والسيرة النبوية . ولا يخلو اى مجتمع اسلامي في ريف او بادية او حضر ، ممن يحدث الناس به في مواسمنا الدينية العامة بدور العبادة ومحافل الذكر .

فمن أين جاء الالتباس الخطير بين بدء تاريخ الاسلام من فجر ليلة القدر قبل الهجرة بثلاث عشرة سنة ، وبين التاريخ بالهجرة في التقويم الاسلامي ؟

قد يتبادر الى الظن ان عوام المسلمين الاميين هم الذين يتورطون في هذا الخلط ، لكن الرؤية البصيرة للمواقع الفكرية من وجودنا الحديث والمعاصر تشهد بان ذلك الخلط انما يفسو في الخاصة ممن تستهويهم مقولات رائجة للفرجة في الاسلام وتاريخه .

من اواخر القرن الماضي ، كان مما نفثت الصهيونية العالمية في عقلية صنيعتها البهائية البلاء . [ان دورة الدين المحمدي بدأت بالهجرة وانتهت بظهور البهائية في القرن التاسع عشر للميلاد] وعبتا حاولت البهائية باسلوبها الشائنة ومنطقها المختل وتاويلاتها السفهية ، ان تثبت هذه المقولة في مناخنا الفكرى . وحملها نفر من مستشرقى اليهود فكانوا امكر حيلة وادهى مدخلا : منهم المستشرق المجرى ، جولد تسيهر ، الذى بشر بهذه الدعوة الجريئة الزائفة في محاضرات له باوروبا ، نشرت مجموعة في كتابه (تاريخ تطور العقيدة والشريعة في الاسلام) وقد ظل بعيداً عنا من سنة طبعه ١٩١٢ الى سنة ١٩٤٤م حيث نشرت دار الكتاب المصري بالقاهرة (ترجمة عربية للكتاب ، اشترك فيها ثلاثة من المشايخ الازهريين نالوا الدكتوراه من اوروبا .

التاريخ : ٣ / ٩ / ١٩٩١

نجاة بنت الشاطيء من حادث سيارة



د. عائشة عبدالرحمن

★ في طريق عودتها من قريتها وعند
مدخل طريق الاسماعيلبة القاهرة
انقلبت السيارة التي كانت تقل
الكاتبة والفكرة الاسلامية الكبيرة
بالاهرام الدكتورة عائشة عبدالرحمن
بنت الشاطيء . وذلك على اثر
انفجار اطار السيارة الامامي من
الناحية اليمنى .
ولم تصب الكاتبة الكبيرة الا
برضوض خفيفة في يدها اليمنى
وبعض اجزاء من جسمها .
وتم نقل بنت الشاطيء الى
مستشفى هليوبوليس بمصر
الجديدة .
واسرة تحرير . الاهرام . تتمنى
للكاتبة الكبيرة الشفاء العاجل .

★★

سيرة ذاتية

بنت الشاطئ والطموح العلمي

قصة طويلة من الكفاح والطموح والتفصيل العلمي .. قصة فتاة بدأت من السطح لتصل الى القمة ، والتصير رابع اربعة من العبقرية في العالم كله ، منهم من مصر بنت الشاطئ ، كما ذكرت ذلك منظمة عالمية للاحصاء .. وحياتها كلها اشبه بالأسطورة ، لو بالخرافة ، تبدأ بما تملكه في بيئتها على والدها وزملائه العلماء والمفكرين ، وما حصلته بلجهلها وذكائها من مواد الدراسة لكفاية المعلمين والقسم الاضاني ، وبلغت أقصى الشوط في ذلك الاتجاه ، ثم استدارت لتأخذ طريقها الى الجامعة حيث ان الطريق الذي سلكته ابعدها عنها ، فخلت الابتدائية من المدرسة السنية الابتدائية من المنزل ، ثم تقدمت بعد



عام - لامتحان الثانوية قسم اول من المنزل ايضا ، مع اشتغالها بتدريس اربع وثلاثين حصة في الاسبوع الى جانب الاعمال الاضائية التي تثقل كاهل معلم المدرسة الاولى ، وثالث كذلك الثانوية قسم ثان من المنزل ، وصارت موظفة بكلية البنات بالجيزة ، واتصلت عرى المعرفة بينها وبين السيدة لبيبة احمد صاحبة مجلة النهضة النسائية ، وصارت من اشهر محريها ، ثم صار لها الاشراف الكامل عليها ، ونشر لها الاهرام مقالاتها في الصفحة الاولى ، واختارت لنفسها لقب بنت الشاطئ ..

قصة حياتها الاولى حتى دخولها الجامعة ، وتعرفها الى استاذها امين الخولي ، واخذها عنه ، وتعلمتها عليه ، في كتب من اخطر كتب السيرة الذاتية اطلقت عليه اسم ، على الجسر ، وهو سيرة في نمط قد ، تروي قصة حياة علمية خصبة من حيث تلف على الجسر بين الحياه والموت إثر رحيل استاذها العظيم .

الكتاب وثيقة من وثائق التربية والتعليم في بلدنا طيلة ثلث قرن ، وهو كذلك من اكبر كتب الدكتوراة خطرا والثرة وإمتاعا ، ثم هو من اجمل اساليب الكتابة والبيان في ادبنا ، ولديه صور متعلقة عن الحياة المصرية ، في جميع ألوانها ومظاهرها ، في الريف وال المدينة ، في الكتاب والمدرسة الاولى والجامعة ، في مكانة الفتاة في المجتمع والاسرة ... الخ .

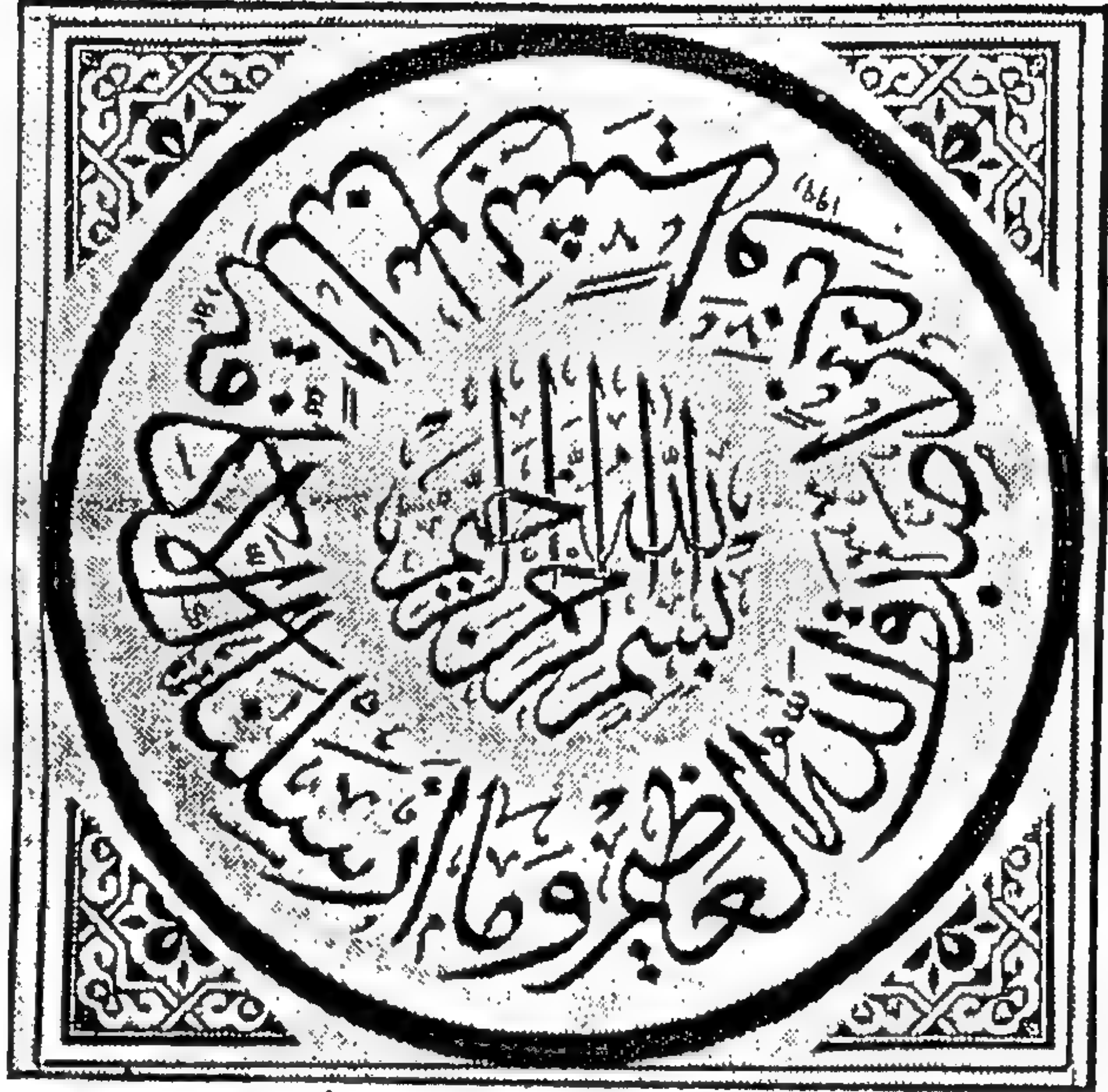
لقد ظلت الاسب بكتابة ويكتب وباستاذة كبيرة صارت اليوم إحدى مفكر مصر الحديثة .

د . محمد عبد المنعم خفاجي

وصلت بعد سبع سنوات من المكيدة والعناء من الباب المؤبد للمدرسة المعلمت بالنصورة الى باب الجامعة ، حيث تقدمت بشهادتها (البكالوريا انبي) الى اداب جامعة فؤاد الاول (جامعة القاهرة فيما بعد) ، واخذت طريقها بتفوقها العلمي الى الدراسات العليا ، واخذ بيدها استاذها امين الخولي الى اعل الدرجات العلمية ، وصارت إحدى أعضاء هيئة التدريس في الكلية ، بل صارت إحدى العبقرات في الحياه الجامعية في مصر والعالم العربي ، وثالث الجوائز وشهادات التقدير والشهادات الفخرية من كل مكان ، وشاهدت كل المهرجانات والمؤتمرات الكبيرة في مصر ومختلف دول العالم .

بنت الشاطئ اثبتت جدارة المصرية للنبوغ في المجال العلمي والادبي والصحفي ، وهي مفخرة من مفخرنا المعاصرة ، وإحدى معالم مصر المعاصرة .

لقد كتبت الدكتوراة بنت الشاطئ



بريشة الفنان : حسين أمين

د . بنت الشاطيء

استاذ التفسير والدراسات
العليا سابقا بكلية الشريعة ،
جامعة القرويين

مع الحبيب المصطفى في ذكرى مولده

لله تعالى الحمد والمنة ، استجاب لدعائي أن يكون حديثي في ذكرى المولد النبوي الاغر اول ما تخطه يميني اذ امضى فترة نقاهة من جراحة دقيقة حرجة تجلت لي فيها رحمة الله عز وجل فيما هيا لي من صلوة اطباء جراحين حكماء وممرضين من جبروا كسر ذراعي ، في رعاية مثالية .
ثم كان الله معي ، يشد ازرعي بمن احاطوا بي في الايام الدقيقة الحرجة ، من الصحب الكرام والاخوة الزملاء ، وابنائي التلاميذ والقراء بالشرق والمغرب الذين جددوا عهد تواصلنا في صحبة علمية وفكرية حميمة ، بعد ان نلت بنا الديار وشط المزار .
اليهم جميعا تحية العرفان بجميل ما اسدوا لي ، لاستقبال مع امتي ذكرى مولد الحبيب المصطفى بلول ما تخطه يميني بعد الازمة الصحية ، كما تمنيت على الله عز وجل فيما كنت بين الحياة والموت ، انطويت على نفسي استرجع ما فلت من عمري واشفق مما فرطت فيه من امري ، فوجدتني الود يمثل ما لاذ به صحابي جليل ، حدثوا في الصحيح انه اكثر على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السؤال عن الحياة الاخرى ، حتى سأل الرسول عليه الصلاة والسلام (ماذا اعدت لها) فقال والله يا رسول الله ما اعدت لها كثير صلاة ولا زكاة وصوم ولكني احب الله ورسوله فقال عليه الصلاة والسلام فانت مع من تحب .

ومضت بي رؤياي مع من احب الى مشاهد مولده الاغر ، وما حلف به من بشريات وايات ودلائل

وما كان احد ليبلغني الى وليد منهم
وضمته امه يتيما في حى بنى هاشم جيرة
الحرم المكي في تلك الليلة القمرية التي
بوركت به ، لولا ان حلت بمولده ظروف
غير مألوفة ، جعلت ام القرى تتلقى
بشرى المولد بكثير من القائل والتفكير ،
ثم تحرص على ان تستوعب كل ما حلف بها
من ظروف ، وان تتابع سير الحياة بهذا
الوليد الى ان بلغ اشده واصطفاه الله
خاتما للنبيين عليهم السلام .

واما التاريخ العام فلم يطل الوقوف
بمكة مهد المولد ، الا ريثما القى سمعه الى
ناكبات الجزيرة العربية فموج به من
تطلعت الى تحول خطير بنا اليه شعراؤها
وحكامؤها ، مع ما تناقلا الرواة من
ارهاصات لكهانتهم وحفائهم عن نبي
جديد حلت مبعثه ، وتنبؤات برسالة
جديدة تناقلها الرواة والسمار عن رهبان
النصارى في الشام ونجران ، واحبار يهود
شمال احجاز .

ومكة على الخصوص كانت المركز الذي
تتلاقى فيه تلك التطلعات والارهاصات ،
وتتجمع رواياتها من هنا ومن هناك ،
لتصب حول البيت العتيق وتحوم حول
حى بعينه من احياء قريش ، وهو حى
بنى هاشم وترنو الى شخص بذاته ، هو
ابن الذبيحين ، محمد بن عبد الله بن
عبد المطلب بن هاشم .

على ان التاريخ لم يلبث ان شغلته عن
مكة ووليدها اليتيم الهاشمي ، احداث
جسام كانت تجري على مسرح الدنيا في
الثلث الاخير من القرن السادس لميلاد
المسيح عليه السلام .

ومضى يرصد نذر الانهيار في عالم يريد
ان ينقش ، ويتابع الجولات الاخيرة بين
قطبي ذلك العالم القديم ، حيث كانت
دولتا الفرس والرومان تخوضان حربا
ملاحنة على مراكز السلطة والنفوذ
والاستغلال .

حتى بلغ اليتيم الهاشمي المكي
الاربعة من عمره وتلقى الكهنة الاولى
من ختام رسالات الدين بعد مولد المسيح
عليه السلام بسنة قرون وعشر سنين .
فالتفت التاريخ الى مكة ، يجمع كل نوعته

في مكة ام القرى كل مولده ، واهلها
يحتفلون بنجاة بيتها العتيق من اصحاب
الغيل وضمته امه ، سيدة الامهات ، امته
بنت وهب ، القرشية الزهرية ، في دار ابيه
الذبيح الراحل عبد الله بن عبد المطلب
القرشي الهاشمي بجوار البيت العتيق
الذي شهد اية فداء عبد الله من النحر
وفاء بنذر لانيه عبد المطلب لئن ولد له
عشرة بنين وبلغوا معه بحيث يمنعونه ،
لينحرن احدهم قربانا لرب الكعبة وتوالى
بنوه عشرة ، اصغرهم عبد الله الذي
اختير للذبح ثم للفداء واحتفلت مكة
بعمرسه يوم فداءه وهي تذكر به اية فداء
جده الاعلى اسماعيل بن ابراهيم الخليل
عليهما السلام

بعد ايام من العرس لحق عبد الله
بالقافلة قريش في رحلة الصيف الى الشام ،
وفي طريق الاياب الملت به وعكة فتخلف
بيثرب عند احوال ابيه بنى النجار ريثما
يبرا من وعكته ، لكن الموت عاجله هناك
ولم يقبل فيه هذه المرة اي فداء

وترملت عروسه ، امته ، وفي كفها
خضيب العرس ، وفي رحمها ابن
الذبيحين ، يعطى وجودها كله قيمة
ومعنى ، كما يعطى حادث الفداء تفسيره
ومنتطقه

وانستها ، طوال اشهر الحمل بشريات
الهواتف والرؤى ، حتى وضعت في الليلة
المقمرة من شهر ربيع الاول عام الغيل ،
ونور الفجر يبشر بصبح جديد ، ويستقبل
مع انفاس الصباح انفاس الوفاء الوفاء من
بنى البشر ، ولدتهم امهاتهم من مختلف
الاجناس وشتى النباغ منهم من ولدوا في
قصور مصر والشام وفارس والروم واليمن
واخرون منهم ولدوا في مجاهل القفر
ونجوع البوادي وادغال الغابات وكهوف
الجيال ، تباعدت بهم الاصول والاعراق
وتفلوتت الاجناس والالوان وتناعت
الطبقات والدرجات ، وجمعتهم بنوتهم
للشعر ، وتمائلت فيهم اية الخلق
وتشابهت تجارب الحمل والمخاض ، على
ما بينهم من تفاوت بعيد

التاريخ : ٢٠ / ٩ / ١٩٩١

(٣)

ليلة المولد جودى بعطائك
وامنحينا زادنا من عبرتك
اشراقى بالنور في تيه سرانا
ذكرينا بالذى قاد الخطا
 واجمعى اشلانا ، تحت لوائك

ليلة المولد فيضى بالسنا
لنرى اين الطريق
فلقد ضاع الطريق
وضياع الغاب تعوى حولنا
وهوى الشيطان تعدو اثرنا
فانبرى في دجانا درينا
قبل ان نهبط في اليم السحيق

ليلة المولد ماته الدليل
قائد الركب الى شط النجاه
انما تهنا واخطانا هداه
فتشردنا حيارى ضائعين
وتمزقنا فلولاً عن يسار ويمين
نمضغ الاوهام ، ونستجدي الحياة

ملء دنيانا ركام
من ضحايا للمذابح والمجازر
والبقايا زادها قهر وحسره
فانسخى باليلة النور الظلام
لاتمرى خطبة فوق المنابر
ونشيدا في الحناجر
دون مدارس وعبره
ذكرينا بالذى قاد الخطا
وهدى الابصار منا والبصائر
رجعى في ليلنا صوت الهدى
يوقظ الارواح منا والضماير
 واجمعى اشلانا تحت لوائك .

ذاكرة الزمان عن ذلك المصطفى وابائه
وعشيرته ، وبيته ودار مبعثه .
ويظل التاريخ معه يمتص كل
ما تركت خطاه على درب الحياة ويصفي
الى المرويات من حركاته وكلماته
ويستوعب ماكان من مواقفه ودلائله
وسجاياه ، لكي يدون منها الصفحات
الاولى من سيرة ذلك المصطفى الذي بدا
من فجر مبعثه بوجه سير التاريخ ويملى
عليه فيكتب ...

في عزلتي ، تتراءى لبصيرتي مشاهد
مغازية صلى الله عليه وسلم ومواقفه
وسجاياه وشماله ، موصولة بكتائب
الفتوح الكبرى التي حملت اللواء الاغر
فبلغت به مابين وديان السند والراهدين
والنيل ، الى اقصى المغرب . حيث رفعته
على قمم الاطلس قبل نهاية القرن الاول
للهجرة ، فالتساعل في خلوة النقامة : اين
نحن في واقعنا المهين شعوباً نامية
متخلفة ، من عصور العزة والمنعة ؟

وتأخذني رجفة القهر لما نحن فيه : وقد
مزقنا العداوة والبغضاء والاهواء
والاطماع ودارت فينا حروب البغي
الحاصدة ، ومعارك الفتن الساحقة ،
بعضنا لبعض عدو ، وباسنا بيننا شديد
غير اني لا البث ان استرد نفسي من اخذة
القهر ، حين تتراءى في حشود الملايين من
المسلمين في مشارق الارض ومغاربها
يحتفلون بذكرى المولد النبوي ، في دور

العبادة ومحافل الذكر وتشرب بصائرهم
الى نور فجر جديد ، ينسخ ظلمات ليل
طل ، ويشهدون الدنيا على ان هذه الامة
لا تجمع على ضلالة : ويخلق قلبى
بالرجاء ، فاشد وينشيد المولد :

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ
الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ
الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ
الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا
أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ
يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ
بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا
اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْكُمُ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »

الحمد لله العظيم

بنت الشاهلي

استاذ التفسير والدراسات العليا
بجامعة الشريعة جامعة القرويين

قبس من نوره بين مصابك وهلال

عند الله تعالى أحسب ولدي الذي ثكلت ، وشقيقي الذي فقدت وأياه عز وجل استعين على ما ينبغي لي من الرضا
بما رضى لي ، والتجلد لما أكابد لاتابع المسير الى نهاية المقدور على من خطاي
وباسمه جل جلاله ، استقبل مع أمتي هلال الشهر المعظم وأحييه معها ، بعد طول انتظار له روعتنا فيه أحداث
جسام منذ ودعناه في لياليه اليتيمات من السنة القمرية الماضية ، واشتدت وطأة محن صعبة ونوازل كريهة
المدخل عصية على المخرج ، مانكاد نلتقط أنفاسنا من رجة زلزال ودوامة أعيننا
وتوالت علينا جائحات المحن ودارت رحى الحرب على ساحة وطننا الكبير من وادي الرافدين وماوراء النهر إلى
الصحراء المغربية ، طاحنة ساحقة ، على مرأى ومسمع من عدو لدود ضيق عالمنا في (عاصفة الخليج) بما
روجت له أجهزة الاعلام الدولية عن امثاله الطيب لمشورة ناصحيه بان يطيل بغيره علينا ، ويترك لنا قرار إعفائه
من الحرب يتربص بنا ريثما تدور علينا الدوائر فينشئ مخابله الأخطبوطية في تسميم وجودنا المعنوي . ويحيط
بجبروت قرصان وخيلاء مستعمر أشلاء شعوب مسحوقة بحروب البغي العنصراء والفتن الحالقة ، وتوالت على
قلوبنا في شرقنا الآسيوي الأفريقي كوارث المجاعات والأوبئة ، واجتاحها الطوفان غرقا وتشريدنا ، وألقت
ببقاياها مكابد طواغيت هذا الزمان ، وقودا لنار الحريق .

وبلغ بنا ، نحن بقايا البقايا ، أن أصابتنا رجة الزلزال
بالصمم ، فانكفأنا على حواف الأخدود نلهو ونتفرج ونتسلى عن
فواجعنا ، بالتهاك على أفانين لاتنتهي من الأفراح والليالي
الملاح ، لانخشع لديار لنا في كل دار منها ماتم . ولانخجل من
الزمو بمكانتنا المحترمة في عالم لايعرفنا تصنيفه الدولي إلا
شعوبا متخلفة نامية ودولا من العالم الثالث

(٢)

جرم القمر وصخرية تضاريسه وظلمات
كهوفه . ولم تنسخ آية العلم الحديث
بالقمر . آيته القرآنية فيما أتوا من قول
الخالق عز وجل :
أهو الذي جعل الشمس ضياء
والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد
السنين والحساب . ما خلق الله ذلك إلا
بالحق . يفصل الآيات يقوم بعلمون)
هلاله يتجلى على الأفق يسارغا من
ظلمات المحاق فيرى امتيه على عهده بها
محتشدة لشهوده في مواكب الرؤية . لم تخلفه
موعدها معه رغم ما ألم بها من كوارث جائحة
وفتن حائلة . ولا حملها بؤس الوقت على أن
تتعطل لاخلاف الموعد به . نزلت من منات
الوف آبائها في (الفتنة الكبرى) وما لقيت
من فداحة الوطاة الرهيبة على شعوب منها
أهلكها البغي . وديار كانت غامرة من فجر
التاريخ فصارت خرابا يبابا
على أطلال الديار الخراب وركام الانقراض
والانشلاء . يطل هلال الشهر من أفقه العالي
فيمسح مابين شعوب أميه من أضغان
وأحقاد . ويمحق . شئنا . أبينا . مارسخته
فيينا الاهواء والمطامع من ذاك وتناحر .
فبعضنا لبعض عدو . ونحن فيما بيننا . في
البيت الواحد . غرباء
قبس من نوره . يجري من خلال ديارنا
بالمشرق والمغرب لنشهد على أنفسنا فيما
فرطنا فيه من أمرنا . تفرقنا شيعا وأحزابا
(كل حزب بما لديهم فرحون) وضل مسعانا
نلهث وراء السماسرة ونجسار الأسلحة .
ونستجدي مانشترية . هم بالثمن الفاحش
والدين الباهظ . فما أغرت عنا شيئا في حرب
الخليج بين جار وجار . تزوغ فيها الأبصار
فما ندرى أين العدو ولا من يكون !

وأخذنا من هوج الأعاصير دوار فساختل
انزائنا وتاد مسيرنا ومسرانا . وتعدد الأدلاء
بنجاذبوننا ذات يمين وشمال وشرق وغرب
وشمال وجنوب . أشقتنا مبعثرة في تيه
المحاق . وتضج أصواتهم بالهتاف والتهليل
والتبريك . متنافرة متعارضة متساقطة .
وأجهزة الاعلام الدولية تذيب من أنبائنا
وتقارير خبرائنا عن أوضاعنا وأحوالنا .
شهود عيان للأحداث في مواقعها . ماينبه
الغافلين منا إلى أن عالم عصرنا لم يعد قرية
م صغيرة كالعهد به في أمس القريب . التستر
إنها مستطاع بإيصاد أبوابها ومنافذها
وحراسة مدخلها ومخارجها . بل هو أشبه ما
يكون بغرفة مكشوفة بغير ستار في بيت من
زجاج . لا يخفى منها خافية على العين
السحرية لأجهزة التكنولوجيا المتطورة .
ولا يقع حادث في أخفى ركن منها أو زاوية . إلا
طار إليها الاعلاميون الخبراء من أقاصي
الأرض بأجهزة الرصد والتسجيل . شهود
رؤية للواقع بادي تفاصيله وأخفى زواياه .
وأراني مع ذلك . كنت على مابي من هم . مع
أمني في همومها الكبار . لم يصرفني ما أنا فيه
من كرب شاغل وحزن راسخ . عن تتبع
بالتسجله مرصدنا ومنابرنا من رجة الزلزال
وأصداء النذر . ورجعت البصر فيما يبدو
الرؤية القريبة من غفلتنا عن واقعنا البائس .
لأنا بى أهتدي إلى ما لا يجوز على أمتنا من غفلة
الوعي وقصر البصر والبصيرة .

لم يخلفها هلاله . موعده معها في ميقاته
المعلوم . رغم اكتشاف إنسان العصر كثافة

(٣)

وتشرئب ماذن الجوامع والمساجد والزوايا
في كل حي وزقاق ودار لاسلام ، حواضره
وبواديه وقراه ونجوعه ، الى أعالي السماء ،
وأصلة بين أرض لنا تن من وطاة الطاغوت
وبين الأفاق العليا للحق والخير ، ترجع أذان
الصلاة الذي لم يغيب قط عن سمع الزمان منذ
أذن به للصلاة من المسجد النبوي قبل أكثر
من ألف وأربعمائة سنة قمرية .

وفي سمع عالم اليوم صدى نبا اذاعته
" لندن " يوم الجمعة التاسع عشر من شهر
رجب الماضي - الرابع والعشرين من
فبراير - وتناقلته وكالات للأنباء ، عن إدانة
محكمة إسرائيلية بالقدس المحتلة - رد الله
غربتها - مؤذنا لمسجد بها اتهم بإزعاج
مستوطنين يهود برفع صوته بالأذان
وبخاصة فجر أيام السبت .

سبحان الله ، الله أكبر الله اكبر
إسرائيل المحروسة بأحدث الأسلحة
المتطورة والتي تهيمن على أمريكا المهيمنة
على عالم اليوم ، يورقها صوت مؤذن
متواضع ، أعزل إلا من كلمات تصعد الى الله
تعالى على معارج من نور ، يؤذن بها للصلاة في
أمله بديارهم المغتصبة وحماهم المستباح
غير بعيد من المفاعل الذري في ديمونة .

رمضان كريم
وسلام على أمتي في شهرها المعظم
(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن
هدى للناس وبينات من الهدى
والفرقان)
صدق الله العظيم .

قبس من نوره ، يجلو أبصارنا للتشهد علينا
بما غفلنا عنه من موازين القوى ، حسبناها
بالرجال والمال والذخيرة الحربية تقليدية
ومتطورة ، واشتعلت الحرب فحصلت
الرجال والأطفال والأجنة في بطون أمهاتهم ،
وأكلت المال ودمرت السلاح لم تبق على شيء .
قبس من نوره ، يكشف الغشاوة عن
بصرنا وسمعنا ، فنذكر ما سبقته به النذر إذ
يرصد لنا راصد من أهلنا لا يكذب أهله ،
مايراه (من قريب) من مزالق العثار ومظان
التهلكة وفخاخ الاستدراج .

وتسجل لنا (ذاكرة التاريخ) أحداث
المرحلة في رؤية مستشار مؤتمن ، شاهد عيان
لما . حدث لعالمنا العربي من أثار كارثة
الخليج التي ضربت جذورها في كل بيت ، وما
انعكس على عالمنا الاسلامي من ضيق وقهر
ومرارة . . .

وتتوالى النذر بما كان من ملابسات
(الفتنة الكبرى ، وعاصفة الخليج ، وما بعد
العاصفة) من دروس وعبر ، وما يتوقع أن
يكون بمقتضى حتمية قانون الأسباب
والعواقب في السنن الثابتة في الكون
والحياة ، اعتبارا بقول الخالق عز وجل
(فهل ينظرون الا سنة الاولين ، فلن
تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة
تحويلا) الآية

ورمضان كريم
في مجال نوره الرحب ، فوق الحدود
والسدود ، نترأى له أمة واحدة .

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ
صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ
صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ
سُلْطَانًا نَصِيرًا * »

بسم الله الرحمن الرحيم

بنت الشاطئ

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الإسلام والمبادئ الكلية للأخلاق

عبرة الأيام وحديث الموسم

ما أعجب المقادير ! كنت منذ اكنهلت واستغرقتني تكاليف المراجعة في الموقع العلمي والفكري من وجود امتنا ،
أحرص على المذاكرة مع ولدي المهندس الشاب « أكمل أمين الخولي » ، فيما يشغلنا من قضايا امتنا ، التمس لديه
الرؤية العصرية الناقبة لما غاب عني من حياتنا المعاصرة ، على ضيق الوقت بما يشغل كلاً منا من شئون حياته
الخاصة ودينه .

ولا أذكر أنه سبق لنا قط مجال ذو سعة للمذاكرة والحوار ، كالذي أتيج لنا طوال فترة علاجى في مستشفى
هليوبوليس من حادث كسر لمرفق ذراعى اليمنى صيف عامنا هذا . لم نكد نفترق في تلك الفترة إلا اماما .
وربما تأثرنا في هذا الحوار بمن تفضلوا بعيادتي والكتابة الى
وفيهم اصدقاء باعدت بينى وبينهم الايام وتناعت السديار وشط
المزار ، واخرون من أطباء المستشفى ونزلته الكرام ، لم يسبق لنا
قط تعارف أو لقاء ، ولا كان لي علم بما بيننا من صحبة فكرية حميمة .

امتدت المذاكرة بيننا والحوار يلف بنا ويدور حول ما امتحنت به
امتنا في عامنا هذا من فتنة مدمرة وحرب ساحقة لاعداء لنا يمثلها من

وثكلت ، وخواطري تحوم حول ما من به الله
علينا من صحبة حديمة قبيل رحيله كأنها زار
لوشك فراق ، وفكري يتبع بما عمر صحبتنا
من حوار سخى في قضايا أخلاقية شاغلة ،
تنفخ الشذوذ عما نحن به من عجائب
وغرائب ، وتعرض القول بعشوائية
المصادقات عن مسار الأحداث السائرة بنا
على السنن الثابتة وقد قال عز وجل :

(سنة الله في الدين خلوا من قبل وإن
تجد لسنة الله تبدلا).

وغير مستبعد أن يرى القراء المحققون
من أبناء اليوم أن اختياري موضوع
الأخلاق لحديث التوشيح دقة قديمة ونغمة
نشاز في إيقاع هذا الزمان ، وكانى لم أقرأ
البحوث التي اختارها « الأهرام » نماذج
لرؤية عالمية لمسقبل الشرق الأوسط ، في
نظرائني عشر سيلينا ومفكرا بارزا من
أوروبا وأمريكا والشرق الأوسط .. أصدرها
مركز الترجمة والنشر بالأهرام .

قبل ضراوة وفتك ، ونوازل صماء عمياء
المدخل تائهة المخرج ، فتواجهنا قضية
(الأخلاق والاسلام) تستقطب ظواهر
الازمات السياسية والاقتصادية في الصراع
المحموم على مراكز السلطة ومناطق النفوذ ،
يتوهج ضرامه بما يلقي في أتونه بين يوم
وأخر من أطنان الأفيون وشحنات المورفين
وأنقاض المصارف المفلسة والمباني
المنهارة ، والذمم الخربة في سوق المال
والاستثمار ، وأكاس البضاعة الحاضرة من
الرشاوى والعمولات والمقامرات
والمساومات وعامة ماتقتات به المرحلة من
أنباء وأحداث وأسما ، تبدو للرؤية القريبة
من مياغلت الطوارئ وعشوائية الحظوظ
وبدع المصادفات والمتغيرات ..

واتصل الحوار حيا سخيا بيني وبين
ولدى حتى امتحنت بثكله ، نضر الله وجهه
وطيب مثواه ، عقب امتحاني بما كان من لطف
الله بي في حادث كسر مرفقي ، تذكيرا بآية الله
عز وجل فبنا وفيمن مضى قبلنا ومن يأتي
بعدنا :

(أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا
وهم لا يفطنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم
فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن
الكاذبين) .

واحتسبته عند الله عز وجل والموسم
يقرب ، وديناي عامرة بطيف من أحببت

(٣)

واقرا في الصفحة الاولى من اهرام يوم السبت الثامن من فبراير ١٩٩٢ - الرابع من شعبان المكرم - أن مجلة [الايكو نومست] البريطانية نشرت أمس نص مذكره سرية للبنك الدولي تقترح أن يتولى البنك تشجيع تصدير الصناعات القذرة من الدول الصناعية المتقدمة الى بلدان العالم الثالث - ونحس منه - وقالت المجلة ان لورنس سمرز كبير الخبراء الاقتصاديين في البنك الدولي هو الذي اعد المذكرة ، وأضافت ان سمرز قال في مذكرته [إن أغلب مناطق افريقيا ، على سبيل المثال ، أقل ثلوثا من لوس أنجلوس]

* * *

وارانى بعدها راجعت مدوناتي لوثائق المرحلة وما سجلت من أحداثها ، لا أرى وجهاً للعدول عن الحديث في قضايا الاخلاق والاسلام ، لما أقدر أنها تستقطب غيرها من قضايانا الشاغلة وما طرأ عليها من تغيرات عصر جديد بدأ بعاصفة الصحراء وحرب الخليج نافذاً الى أقطار العالم كله ، وإن رأى بعض مثقفينا المحدثين أن اختياري موضوع الاخلاق لحديث الموسم ، دقة قديمة ونغمة نثارة في إيقاع العصر .

وأتلو من كلمات ربي هذا الدعاء القراني :
(وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) .
صدق الله العظيم .

ولقد قرأته ووعيته ونقلته منه بطاقات في مدوناتي (شهادة عصر) إضافة الى ما دونت قبلها عن (حرب الخليج) وماتلاها من حوار ذكي للاستاذ الزميل محمد حسنين هيكل مع الزميل الراحل فيليب جلاب ، ثم تابعت الرصد لأحداث الجزائر - الله لها - وليبيا والسودان وايران وباكستان والعراق والصومال ، ومسار (مساعي السلام) في الشرق الاوسط خطوة خطوة ، وتحريك وفودها على الرقعة العجيبة مسابين مسريدي وواشنطن وموسكو على نيسة توزيعها في الحركة التالية على رقعة أوسع وأعجب ، عودا إلى موسكو وواشنطن ، وامتدادا إلى بروكسل ولارناكا وتركيا ومصر ..

وآفاق العالم تتجاوب بأصداء مسايق في الاقطار الاسلامية وما يورق القادة العظام من أحوالنا وأوضاعنا ، شهادة له وقع الاسلام في موازين القوى لعالم اليوم ، وصفقات الأسلحة لاتزال تمارس نشاطها المشجوه في المنطقة المنكوبة بأثار الحروب المدمرة ، المثقلة بأعباء الديون وفوايدها البهاظة .

وأحاول جاهدة أن أفهم منطلق الأحداث لواقعنا البائس ، ومفهوم العصر الجديد لحرمة العهود والمواثيق الدولية . وأخلق عالم الكبار في تنمية عالمنا الثالث ، فاسمع مع العالم كله اعلان رئيس وزراء اسرائيل بسان دولته غير ملتزمة باتفاقيتي كاهب ديفيد سنة ١٩٧٨ ، فيما يتعلق بالبنود التي لا تراها ملائمة لها ، وبخاصة مباداة علقى بفلسطين والحكم الذاتي ..

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَآلْفُؤَادَ
كُلِّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ
مَسْئُولًا * وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ
مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ
وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا * »

بسم الله العظيم

بنت الشاطئ

استاذة د. التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادئ الكلية للأخلاق

الأداب والأخلاق في الاسلام (١)

سبق لي أن تناولت قضية الآداب في المنهاج الاسلامي للسلوك . في بحوث ومقالات وكتب لي ذات عدد . أذكر منها كتب (مقال في الانسان ، والقران وقضايا الانسان ، والشخصية الاسلامية) ... وهي تقوم على أسس ثلاثة أولها الاستقرار الدقيق الكامل لآيات الانسان في القران الكريم . تشهد بانه إلى جانب كونه بشرا ياكل الطعام ويمشي في الأسواق وتجوز عليه أعراض البشرية . وكونه كذلك من أفراد الانس بدلالة انسانيته على نقيض التوحش . فإن الانسانية فيه ارتقاء إلى الرتبة التي تؤهله للخلافة في الارض وحمل تبعات الحرية وتكاليف الرشد . ومخاطر الامانة الصعبة لانسانيته . بما اختص به دون سائر الكائنات من العلم الكسبي والبيان والعقل . مع ما يلابس ذلك من كثرة الجدل والتعرض للابتلاء بالخير والشر . وفتنة الغرور بما يحسن من امتياز . وزهو الشعور بتفوقه ومكانته في الرتبة العليا للكائنات بحيث ينسى في نشوة غروره وكبرياء زهوه . أنه المخلوق الضعيف الذي يعبر رحلة حياته الدنيا على الجسر المفضي حتما إلى ضجعة القبر والمصير إلى الحياة الآخرة . قال تعالى :

(كلا أن الانسان ليطغى . أن راد
استغنى . إن إلى ربك الرجعى)
(أم للانسان ماتمنى . فله الآخرة والاولى)

واتساءل هل بقي في موضوع آداب المنهاج الإسلامي للسلوك مجال لقول بعد الذي قدمته على المدى الطويل من بحوث ودراسات رمضان كريم . وعطاء البرين الكريم غير مقطوع ولا ممنوع .

راجعت ماسبق لي أن قدمته في الموضوع وفي ظني أن الأمر لا يعدو استنباط خلاصة منه تستجيب لما يشغلنا من قضايا الوقت ومتغيرات نوازله . غير أنني لم ألبث أن تيقنت أن الموضوع أدق مما هو وأرحب أفقا مما قدرت . ذلك أنني فيما مضى تناولت قضية الأخلاق في المنهاج الإسلامي للسلوك . مدرجة في قضايا الآداب الإسلامية . منظورا فيها إلى الذاتية الانسانية للشخصية الإسلامية .

واحتاج اليوم إلى الاستنباط بموقف السلف الأئمة من دمج الأخلاق العامة في منهاج سلوك الأفراد . وهذا الموقف مظهر أن يظهر بوضوح في الكتب التي ألفوها لآداب السلوك في الإسلام . ولهم في تنسيق تصنيفها اتجاهان الأول يهتم بتجريد المرويات من الحديث والسنن في توجيه آداب السلوك ويمثل هذا الاتجاه (كتاب الأدب المفرد للإمام أبي عبد الله البخاري صاحب كتاب الصحيح الإمام) المتوفى سنة ٢٥٦ هـ .

والإتجاه الآخر يشتغل بخدمة أبواب الآداب الإسلامية مستمدة أصيلا من الكتاب

والسنة . مع الاستنباط بغيرها من أقوال الحكماء والشعراء . والأمثال السائرة . ويمثل هذا الاتجاه عندي (كتاب أدب الدنيا والدين لأبي الحسن الماوردي الشافعي الفقيه الأصولي الإمام . المتوفى في منتصف القرن الخامس للهجرة)

الأساس الثاني لما قدمته من دراسات للمنهاج الإسلامي للسلوك . تدبر ما في القرآن الكريم والسنة النبوية . قولاً وفعلاً وإقراراً . من نصوص محكمة شاهدة لكون الآداب في منهاجه للسلوك . ليست من قبيل العادات والتقاليد والأعراف تتفاوت بتفاوت البيئات والجماعات . ولا هي من قوانين الدساتير الوضعية تختلف باختلاف المستويات وتتغير بتغير النظم والأوضاع وتبدل الحكام . بل هي من شعب الإيمان والتكاليف الشرعية المنصوص عليها في سور كاملة منها (المؤمنون والأحزاب والحجرات ولقمان والنور والتوبة) . فضلاً عما لا تكاد تخلو منه سائر السور من توجيهات للسلوك وضرب الأمثال وآيات الاعتبار بآباء الأولين .

كما تأخذ آداب المنهاج الإسلامي للسلوك موضعها الجليل في كتب الحديث والفقه والأصول . ومنها - ككتاب الطهارة - ما يأتي في كتب الحديث والسنن المصنفة على الأبواب قبل كتب (الصلاة والزكاة والصوم والحج) من قواعد الإسلام الخمس . الأساس الثالث أن الإسلام في عنايته البينة بالسلوك الفردي . إنما ينظر فيه إلى ذاتيته الإنسانية الاجتماعية بفطرته . هيهات أن يحقق وجوده الفردي بمعزل عن الجماعة . كما يستحيل تصور وجود الجماعة مستقلة عن أفرادها .

وموجز القول في الآداب الإسلامية أنها تتحرى توجيه سلوك الفرد في ذاته غير منفصل عن الآخرين في توحش ضد طبيعته . فتستوعب آدابه في سرد وعلائحته . في مواجهته ومخاوفه وأمانيه . في نظافته وطهارته وماكله ومشربه ولباسه وزينه وزيه وسمته ومشيته ومجلسه . وفي معاملته للآخرين من أهله وولده وأولي الأرحام وذوي القربى وفي قومه وأمه . وسلوكه مع أهل الذمة من أهل الكتاب في ديار الإسلام . وآداب الحرب والسلام . وسائر ما يقصر عنه العد والاحصاء .

وموضع النظر في الكتابين . هو تداخل
آداب السلوك الفردي في الآداب العامة .
بحيث يشق . إن لم يتعذر الفصل بينهما في
شاهد من الكتاب والسنة

على هذا النهج سار علماءنا فيما صنفوا من
كتب جامعة لآداب المنهاج العام للسلوك أو
متخصصة في شعب منها . أو خاصة بفئات
معينة . مثل (آداب البحث والمناظرة .
آداب الجدل . آداب الخواص . آداب العالم
والمتعلم . آداب المفتي والمستفتي . آداب
القضاة . آداب الشهود . آداب الصحبة .
آداب المريض والعائد . آداب الكتّاب . آداب
الغريب . آداب الخلوة . آداب الصوفية .
آداب المريدين . الآداب الشرعية والمصالح
المرعية . آداب السياسة . آداب الملوك .
آداب الوزراء والكتاب ..) في كثرة من كتب
الآداب والآداب سجلتها معاجم الكتب العربية
وفهارسها المشهورة

وأضح هنا ثمانية استعمال عنوان الآداب
وللآداب على مصنفاتهم في مناهج السلوك
سواء منها ما هو من آداب السلوك الفردي .
وما هو من الآداب والأخلاق العامة للامة . أو
لفئات منها

فهل الآداب والأخلاق في منهاج السلوك

سواء .

في ذلك نلخص نرجو تدبره غدا بمشيئة الله

(وعلى الله قصد السبيل)

صدق الله العظيم

قسم الامام البخاري كتابه (الآداب
المفرد) في تسعة أجزاء . مجموع أبوابها
يقرب من ستمائة باب . وهذا العدد يكفي
لبيان سعة المجال الموضوعي لآداب السلوك
في كتاب الامام البخاري . من حيث هي تكاليف
شرعية وتوجيهات دينية ملزمة وليست آداباً
اختيارية متروكة لمشينة الأفراد .
ولا تشريعات وضعية عرضة للتغيير والتبديل
تبعاً لتغير النظم والأوضاع . وتنفيذاً
لمشيئة الحكام

(الآداب المفرد) كتاب حديث . وهو في
جملة جامع لكثير مما في صحاح الحديث
والسنن من كتب الإيمان . والعلم .
والأشربة والأطعمة . واللباس والزينة .
والسلام والفتن . والبر والصلة والآداب .
والذكر والدعاء . والتوبة والاستغفار .. إلى
جانب ما لا تخلو منه كتب الطهارة
والعبادات . والمعاملات والأمارات والجهاد .
من توجيهات للسلوك . شهادة للذاتية
الإنسانية الاجتماعية للشخصية الإسلامية
حتى فيما يكون من سلوك الفرد في خلوته . لا
رقيب عليه سوى نفسه اللوامة وخالقه ..

وأسما (كتاب آداب الدنيا والدين . لأبي
الحسن الماوردي الفقيه الشافعي الأصولي)

فأقرب إلى أن يكون كتاب تربية وتعليم .
وليس في مجاله الموضوعي يمثل السعة
لكتاب الامام البخاري . وإن توسع

أبو الحسن الماوردي في خدمة موضوعه
وإيضاح أبوابه وفصوله بشواهد من القرآن
الكريم . ومن الحديث أحياناً . في كثرة من
الحكم والمواعظ والأمثال السائرة . شعراً
ونثراً .

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرِبْ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا
لِمُرَاةِ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ
وَأَنْ يَسْلُبَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا
مِنْهُ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * »

د. بنت الشاطيء

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

بسم الله الرحمن الرحيم

الاسلام والمبادئ الكلية للأخلاق

الآداب والأخلاق في الاسلام (٢)

على كثرة دراسات القرآنية على المنهج الاستقرائي لفروق الدلالات، لم اشغل بالنظر في الفرق بين الآداب والأخلاق، لما يبدو من تواردهما على الموضوع الواحد من آداب المنهج الاسلامي للسلوك. ولبحث أمدال أكاد أفرق بينهما، وإن كان في النفس شيء من الظن بترادفهما مع اختلاف مادة الأدب عن مادة الخلق، وهو ممنوع في (مقاييس اللغة) وفيما اشتغل به على المدى الطويل من تدبر فروق الالفاظ والدلالات على المنهج الاستقرائي لدلالات الالفاظ القرآنية، لا يقوم لفظ منها مقام لفظ آخر في موضعه وسياقه، ومن هنا كان عجز العرب الذين نزل فيهم القرآن الكريم، عن الاتيان بسورة من مثله مع الجدي والمعاجزة، والعربية لغتهم والبيان طوع أسنتهم، وذلك ما تجردت له في دراستي لقضية (الاعجاز البياني للقرآن الكريم).

حتى حظيت بالاشتراك في الندوة الجامعة للصحوة الاسلامية، التي عقدت بالدار البيضاء في الصيف الماضي، وكان موضوعها (التربية في الاسلام) شارك فيها جمع من العلماء والباحثين ذوي

الاختصاص، على اختلاف مناهجهم ومدارسهم وتفاوت أنماط شخصياتهم، قدموا بحوثهم المفيدة في موضوع الندوة الحافلة، فما انتهت حتى تبين لي أن الموضوع أوسع من أن يستوعبه ما أعددت له من بحوث، فما من آية قرآنية تخلو من توجيه تربوي للسلوك بالأوامر والنواهي،

(٢)

وبما يضرب الله لنا في القرآن من أمثال ، ومايفصل من أنباء الأولين مما هو مناط العظة والاعتبار . ومضيت أخاول استحضار شواهد من آيات بينات جامعة في التربية الإسلامية وآداب السلوك ، فتنبهت لما غفلت عنه طويلاً ، من خلو معجم ألفاظ القرآن من كلمة الأدب على الإطلاق ، باى استعمال لها أو صيغة من صيغها مع كثرة ورودها في كتب الحديث وغلبتها على مصنفات علمائنا في آداب منهاج السلوك والتربية الإسلامية ، على ما سبق بيانه بمزيد تفصيل في حديث البارحة .

واقضى ذلك الملحظ الاستقرارى السلافت الى خلو معجم الألفاظ القرآنية من مادة (أدب) على الإطلاق ، مراجعة ما به من مادة (خلق) وقد كثر مجيئها فيه بصيغ عدة في أوجه مختلفة من استعمالها : في الخلق والخلق ، وفي الخلق من الأخلاق ، وفي الاختلاق بمعنى الكذب والافتراء : وأفاد الاستقرار للمادة في القرآن ، ان ابخلق .

والخالق فيها جميعا هو الله سبحانه (اعطى كل شيء خلقه ثم هدى) ، (ذلكم الله ربكم خالق كل شيء) (بل وهو الخالق العظيم)

وجاء الخلق مسنداً الى غير الخالق عز وجل سبع مرات ، على سبيل النفي والانكار . وأفحام الخصم الكافر والمشرک . وجاء مرتين مسنداً الى المسيح عليه السلام في آية من معجزاته . والخلق في الآيتين مقيد بإذن الله عز وجل : آية آل عمران في مبعثه نبيا .

(ورسولا الى بنى إسرائيل أنى قد جئكم باية من ربكم أنى أخلق من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله)

وعلماء الفروق يميزون بين ماهو من خلق البشر بمعنى التقدير والمحاكاة على مثال ، وبين ماهو من الخلق إنشاء وابداعا على غير مثال ودون احتذاء . (ذلك ما ليس الا الله عز وجل : (أفمن يخلق حين لا يخلق ، أفلا تذكرون) سبحانه (يبدأ الخلق ثم يعيده) (فتبارك الله أحسن الخالقين) .

ويتشابه الامر على الوثنيين فيما يخلقون من أوثان ، كما في آية مخاجة ابراهيم عليه السلام للوثنيين من قومه .

(إنما تعبدون دون الله أوثانا وتخلقون افكا) وقوله عز وجل : (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم) وفي المشركين من قريش : (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم . فقال الكافرون هذا سحر كذاب . أجعل الالهة الها واحداً من هذا شيء عجاب . وانطلق الملائكة منهم أن امشوا واصبروا على الهتك إن هذا لشيء يراد . فاستمعنا لهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق) . قال علماؤنا : (كل موقع جاء فيه الخلق في وصف الكلام فالمراد به الكذب والاختلاق) وجاء منه (خلق الأولين) - بضم أوله وثانيه ، بمعنى اختلاق الرسل الأولين في قوله تعالى في (عاد) .

(قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين . إن هذا الا خلق الأولين . وما نحن بمعذبين . فكذبوه فاهلكناهم) الآيات .

وفي غير هذا السياق ، جاء خلق - بضمين - بمعنى السجية في قوله تعالى خطاباً للمصطفى خاتم رسله عليهم السلام : (وإنك لعلی خلق عظیم) .

ويلحق بها من قرب : كتب المناقب
والفضائل ، والمؤلفات في (الذرية الطاهرة ،
وأنساب الأشراف ، وسير أعلام النبلاء ،
ومناقب الأولياء ..
وقد تلحق بها ، من بعد ، فضائل أقطار
وبلدان اشتهر أهلها بسجايا معينة ،
والمصنفات فيها كثير .

إلى هنا ، يبدو لي - والله أعلم - أن موجز
القول في الفرق بين الأدب والأخلاق ، أن
الأدب تربية وتوجيه وتهذيب ، يكسبه
الإنسان بالتعليم والتدريب ، وفيه صحيح
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
" أدبني ربي فأحسن تأديبي .
وأما الخلق فشجيرة فطرية ، تستجيب
لتلقائنا لما يكون الإنسان ميسرا له ، وتتبع
توجيهات السلوك وتكاليف الرشد في سهولة
ويسر ، وفيها الحديث الصحيح عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
" بعثت لأتمم مكارم الأخلاق .
بقي النظر في (علم الأخلاق والاسلام)
والحديث فيه يطول ، فموعدا معه غدا إذا
يسر الله وأعان ، وأتلو من آيات الخالق جل
جلاله .

(فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله
التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق
الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس
لا يعلمون)
صدق الله العظيم

هذا الاشتراك في بنية المادة بين الخلق
بفتح أوله وإسكان ثانيه ، والخلق
بضمين ، يوجه إلى ما نحتاج إليه من ملحظ
دلالة الأخلاق على ما خلق عليه الإنسان
بفطرته وما هو مجبول عليه بطبعه ، فيقال
فلان مخلوق لكذا ، أي ميسر له بسجيته ،
وأمتنا خليفة باباء الضيم جدرة به سجية
في تعريف الخلق اصطلاحا قال الشريف
الجزجاني : (هو هيئة للنفس راسخة تصدر
عنها الأفعال بسهولة ويسر - تلقائيا - من
غير حاجة إلى فكر وروية ، فان كانت الهيئة
بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلا
وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا ، وان كانت
تصدر عنها الأفعال القبيحة سميت خلقا
سيئا . وانما قلنا : راسخة لأن من يصدر منه
بذل مال بحالة عارضة كالنذر والتبرع لا يقال
خلقه السخاء مالم يرسخ ذلك في نفسه .
وكذلك من تكلف السكوت عند الغضب ،
لا يقال : خلقه الحلم .

وهذا التعريف على إطلاقه ، يصدق على
بعض مصنفات علمائنا دون بعض ، فمنها
ما هو من المبادئ الأخلاقية الكلية في منهاج
السلوك الاسلامي ، وما هو من نظريات
الأخلاقيين الفلاسفة .

من مصنفات علمائنا في الأخلاق بمعنى
السجايا (مكارم الأخلاق) لأبي بكر الخرائطي .
ومساويء الأخلاق) له (ت سنة ٢٢٧ هـ) .
(أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم)
للحافظ النظار ابن حبان ، أبي حاتم البستي
٢٥٤ هـ (أخلاق الملوك للجاحظ) ت ٢٥٥ هـ
(أخلاق الأبرار ، لحجة الاسلام أبي حامد
الغزالي) ت ٥٠٥ هـ .

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ
عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ
ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ »

صدق الله العظيم

د. بنت الشاطئ

استاذ التفسير والدراسات العليا

كلية الشريعة جامعة القاهرة

الاسلام والمبادئ الكلية للأخلاق

علم الأخلاق والاسلام ١

خطر على بالي وأنا عاكفة على النظر في قضايا الاسلام والاخلاق أن استاذ الجيل ، استاذنا الجليل « أحمد لطفي السيد ، طيب الله ثراه ، ذهب في مذاكراتي معه في (علم الاخلاق) إلى أن هذا العلم ، يقينا ، من تراث الفلسفة اليونانية ، وقد غاب عن مدارسنا ومعاهدنا الدينية ، حتى الربع الأول من هذا القرن العشرين ، وكان لاستاذنا فضل الدعوة إلى تلافي هذا القصور المعيب .

ورجعت بي الذكرى إلى عهد تلمذتي الخيرة على كبار الاساتذة والشيوخ بعد تخرجي في الدراسات الجامعية العليا ، من قسم اللغة العربية وادابها بجامعة القاهرة ، وكان مما قرأت على استاذنا الجليل ترجمته الرائعة لكتاب « أرسطوطاليس » (علم الاخلاق) إلى نيقوماخوس (عن ترجمته الفرنسية للعلامة « بارتلمى سانتهيلير ، أستاذ الفلسفة اليونانية في « الكوليج دي فرانس » وقد أهداني أستاذنا ترجمته إلى العربية في طبعتها المتقنة غاية الاتقان ، بدار الكتب المصرية

سنة ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م)

ووجهلني شيوخ الذكري في الذاكرة القديمة نسخة الكتاب في

وبعد أن أوجز القول في حركة الترجمة للكتب اليونانية في المشرق والمغرب حيث ازدهرت في زمن المأمون قال : [ومع أن نقل كتب الفلسفة لم يقتصر على فلسفة أرسطوطاليس ، فإنها التي غلبت على الفلسفة العربية وطبعتها بطابعها . ومهما يكن السبب في ذلك فالواقع أن الفلسفة العربية ليست شيئاً آخر غير فلسفة أرسطوطاليس ، طبعت بالطابع العربي وسميت الفلسفة العربية ..]
[وكما أن النهضة الأوروبية الحديثة عمدت إلى فلسفة أرسطو ، فكانت مفتاحاً للتفكير العصري الذي أخرج كثيراً من المذاهب الفلسفية الحديثة ، فلا جرم أن نتخذ نحن فلسفة أرسطو - وأحرر أنها أشد المذاهب اتفاقاً مع ما لوفاتنا الحالية - الطريق الأقرب إلى نقل العلم إلى بلادنا وأقلمته فيها ، رجاء أن ينتج في النهضة الشرقية مثل ما أنتج في النهضة الأوروبية ..]
[وفي الحق أن أرسطوطاليس لم يكن كغيره معلماً في نوع خاص دون سواه ، بل هو معلم في الفلسفة ، معلم في العلوم ، معلم في الآداب .. فهو كما لقبته العرب : المعلم الأول ، على الإطلاق .. قد استوى في الأخذ عنه أهل الدين وأهل الأحاد وعلماء الطبيعيات ، وما بعد الطبيعة وعلماء الاجتماع وعلماء الآداب ..]

خزانتني فإذا هو أمش نسختي منه حافلة بالحواشي والتعليقات مما قيدت على نسختي في مجالس القراءة والسماع ، وما كان من مراجعاتي فيها لاستاذنا الجليل رحمه الله ، وبخاصة في تصديره الحافل الممتع لترجمته العربية عن سانتهيلير .. وفيها يقول أستاذ الجيل
[إنما اتجهت الميول العامة منذ زمان إلى إدخال التعاليم الفلسفية في مدارسنا ومعاهدنا الدينية إرضاء لأطماع الطلبة العلمية وإتماماً لبرامج التربية المصرية ، فكثرت في أي مذاهب الفلسفة يمكن الابتداء به بحيث لا يصادم العقائد القومية ولا ينسافر التعليم الدينية ، فظننت أن أولى مذاهب الفلسفة بالقبول عندنا الآن واسرعها تمثلاً في الأفهام وأبعدها عن التضاد الصريح للمألوف من منازعنا والراسخ في عقائدنا ، هي فلسفة أرسطوطاليس . وما كان المعلم الأول جديداً في معاهدنا الدينية بل أن ذكره مألوف عند طلبة المنطق الذين يوسعون معارفهم بقراءة رسائل الفارابي أو بعض مختصرات ابن رشد
[إننا إذا شئنا أن تكون لنا فلسفة مصرية تأتلف ومعلوماتنا ، وجب علينا أن نجدد الفلسفة العربية التي فقدت أعيانها ولم تبق إلا آثارها ، أو بطريقة أقرب : أن ندرس فلسفة أرسطوطاليس ، فإن الفلسفة العربية هي في مجموعها فلسفة أرسطوطاليس ...]

مع ذلك فيما دونت على نسختي من (علم الأخلاق ، لارسطو طاليس) قد أكثرت من مراجعاتي للاستاذ فيما قرأته عليه . فهل كنت فيها متأثرة بما حملت من موقف مدرستي الأولى من الفلسفة وعدائها الميرير للفلاسفة والمتفلسفة ؟ غير بعيد ..

وتداعت خواطري بأصداء ما مر بي عبر نصف قرن من الدرس والتجربة والمجاهدة .

فكأنني نفرت في شبابي من التوجه الى (علم الأخلاق) رغم إعجابي به وتقديري له . متأثرة بادراجه في أقسام الفلسفة ، واليوم ما زال أسمع أصداء مقولات لمدرسة المثقفين المحدثين ، جحدوا أن يكون في الإسلام (علم للأخلاق) وأفسحوا وجه العذر لمن يدرسون من شباب الأمة هذا العلم في جامعات غربية فإذا عادوا إلى وطننا العربي الإسلامي ضجوا بالشكوى من عقمه البائس ، يزين له أن يزيغ فلسفة أرسطو ويسمونها فلسفة عربية ، وأن ينتحل (علم الأخلاق) وبضاعته منه لاتعدو أن تكون ماثورات متفرقة من الآداب والحكم والمواعظ والأمثال .

ولست ألومهم ، فقد خرج النظر في هذه القضية من نطاق المباحث الإسلامية للأصوليين وعلماء القرآن والحديث ، إلى النظريات الفلسفية للأخلاقين المنتهين إلى مدرسة المعلم الأول متأثرين بالمقولة الرائجة في اتهام نسب الفلسفة العربية . وتشابه الأمر عليهم في حرص الكلاميين على صياغة مقولاتهم بصياغة إسلامية ، يظننها المتفلسفة المحدثون محاولة تليفك للفكر الإسلامي وما نقلته إليه حركة الترجمة من تراث المعلم الأول والفلسفة اليونانية .

وما أريد على أي حال ، أن أخرج بحديث رمضان إلى الخصومة العنيدة بين الفلسفة وعلماء المدرسة الإسلامية ، والجدل الكلامي في مباحثهم لعلم الأخلاق ، وإنما أنظر الى القضية من وجهة نظر إسلامية رغبة ، مزودة بمباحث شيوخنا الأئمة في المبادئ الكلية للأخلاق في الإسلام ، معتمدة أساساً على القرآن الكريم والسنة .

(والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) صدق الله العظيم .

..... * * *
لم أقرأ على أستاذنا من (كتاب علم الأخلاق) لارسطو ، سوى المجلد الأول ، ويستغرق تصديره لترجمته خمسين صفحة من القطع الكبير ، ثم مقدمة المترجم - سانتهلير - في مائة وست وستين صفحة ، يليها الكتاب الأول في (نظرية الخير والسعادة) في أحد عشر باباً ، والكتاب الثاني في (نظرية الفضيلة) في تسعة أبواب ، ثم الكتاب الثالث في (بقية نظرية الفضيلة - في الشجاعة والاعتدال) في ثلاثة عشر باباً .

وأجاز لي أستاذنا ، وهو يتبسم ، قراءة المجلد الثاني ، وفيه :
(الكتاب الرابع) في تحليل الفضائل

المختلفة ، في تسعة أبواب : السخاء والسرف ، الأرباحية ، المروءة ، الوسط القويم بينهما وبين أصدادها ، الحلم ، روح الاجتماع ، الصدق والصراحة ، المزاح ، الحياء والخجل .

(الكتاب الخامس) في نظرية العدل .
(السادس) في الفضائل العقلية .
(السابع) في عدم الاعتدال واللذة .
(الثامن والتاسع) في الصداقة .
ثم (الكتاب العاشر) في اللذة وفي السعادة الحقة .

* * *
أين كنت من هذا كله ، بين دراستي في الجامعة ، وما حملته من مدرستي الإسلامية الأساس ؟

لقد كانت الفلسفة الحديثة واليونانية مقررلة لعهدى على جميع طلبة كلية الآداب في السنة الأولى قبل توزعهم على شعب التخصص ، حيث كان المنطق والفلسفة الإسلامية ، من المقررات علينا في قسم اللغة العربية وآدابها ، إضافة الى اللغة اللاتينية المقررة على طلبة الامتياز ، وبها قرأت على أستاذنا العميد « الأستاذ الدكتور طه حسين » في دراستي للماجستير كتاب « لوكريس » في (طبيعة الأشياء) غير أنى لم أتجه إلى التخصص في الفلسفة ، وأراني

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبُهَا وَمُرْسَاهَا
إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي
مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ
يَسْبُحُ أَزْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ *
قَالَ سَبِّحْهُ إِلَى الْجَبَلِ يَعْصِمُنِي مِنَ الْعَاءِ فَأَنَّى
لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ
بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ * »

د. بنت الشاطيء

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القاهرة

صدق الله العظيم

الاسلام والمبادئ الكلية للأخلاق :

علم الأخلاق والاسلام (٢)

دعوة أستاذنا « أستاذ الجيل » أحمد لطفي السيد الى إدخال فلسفة أرسطو وعلم الأخلاق إلى برامجنا الدراسية لم تذهب عبثاً : لقد كان حين دعا إليها (سنة ١٩٢٤) مديراً لدار الكتب المصرية أيام عزها ، ثم ولي بعدها منصب مدير الجامعة المصرية الحديثة - القاهرة - حيث كان للفلسفة لعهددها ، قسم متميز بكلية الآداب ، كما أفسحت كلية أصول الدين بجامعة الأزهر صدرها لمحاضرات في علم الأخلاق ، حاضر بها أستاذنا الجليل الشيخ أمين الخولي لعدة مواسم دراسية .

وكان من حسن حظي أن درست الفلسفة الإسلامية على أستاذنا النبيل « الشيخ مصطفى عبدالرازق » أحد من أدين لهم بالفضل في مجاهدتي الصعبة بين جديد علم الجامعة ، وما حملته معي من مدرستي الإسلامية الأولى التي أعزب بالانتماء إليها .

ولست أراني بالقدر الذي حصلته من الفلسفة في دراستي الجامعية ، مؤهلة لتناول قضية الاسلام وعلم الاخلاق من وجهة نظر فلسفية . بل على أقرب إلى أن أشكل فيها المدرسة الإسلامية الأصلية . وهي تدرك بيقين أن الأخلاقيين الفلاسفة كانوا على مسر العصور

بمستوى عصر بعينه وبينته بذاتها . تعصي على السنن الالهية الثابتة للتغيير والتبديل . ولا يوقف ترقيه على معارج طموحه بما يتحد أفاق انطلاقه لكشف المجهول مما سخره له الخالق : السموات والأرض وما بينهما . بل يبارك الدين مسعاه مستشرفا به إلى الافاق العليا للحق والخير والجمال ويهدي خطاه بما يصون فطرته من التشويه والمسخ . وعقله وحواسه من العمى والتبليد . وضميره وقلبه من التحجر . وسلوكه من الغي والانحراف والضلال ..

ولم تنتظر البشرية ملايين سنين معصوبة البصر صماء الحس والوعي معطلة العقل والفكر في انتظار المعلم الأول يفك اغلالها ويخرجها من القمقم المسحور . بل لم تنقطع محاولاتها المضنية منذ كانت . لفهم ظواهر الكون والحياة وكسب المعرفة في ظروف بالغة العنت . واتصلت هذه المحاولات لم تتوقف . وشاركت فيها جماعات وأمم من أجناس شتى على امتداد الزمان . فكان رصيد جهودها تراثا إنسانيا مشتركا . وقد تطورت وسائل كسب المعرفة وطرق البحث بتطور البشرية كل مرحلة من الطريق تنتفع بجهود سابقتها ثم تتقدم بها خطوة . وتترك لما بعدها حصيلة تجاربها وأمانى طموحها التي قصرت وسائلها عن تحقيقها . وللأسف اليونانية مكانها الهام بلاريب في تاريخ المعرفة . ولأرسطو منزلته : رائد مرحلة بالنسبة إلى عصره . وإن كان الفكر اليوناني مسبقا بلاريب . بكل جهد العقل الانساني من عهد أبينا آدم . الإنسان الأول الذي استخلف في الأرض باهليته لكسب

اساتذة لفئات خاصة من تلاميذهم . بعيدا عن التأثير في الوجدان العام للشعوب وأخلاق الجماعات ولا يزال فينا حتى اليوم . أثر من الشكوى المرة العقيم للمعلم الأول . فيما سجل في ختام كتابه الجليل (علم الاخلاق) من [ندم على ما بذل من تفكير وما سهر من ليل في كتاب ما كان ليقرأه من الناس إلا القليل ولا ينتفع به إلا الأقل .]

ومهما تكن محاولات الفلسفة في العصور المتأخرة للنزول إلى مستوى العقلية العامة للشعوب والتأثير في أخلاق الجماهير . فإن المدرسة الإسلامية تقدر بيقين كذلك . أن القرآن الكريم من حيث هو المصدر الاساسي للأخلاق الإسلامية . ينفرد بالتأثير الفيد على وجدان شعوب أمتة وضميرها وفكرها . منذ نزل به الوحي - مطلع الفجر الصادق ليلة القدر - على خاتم الرسل الأنبياء معلمى البشرية وهداتها من عهد أول الرسل عليهم السلام . ولهم تدين البشرية بما هدوا خطاها على مدارج نموها من مرحلة بدائيتها الأولى حتى شارفت عصر الانسان المؤهل لحمل تبعات رشده وتكاليف وعيه وأمانته انسانيته . فختمت رسالات الدين بكتاب مصدق لها جميعا . بما استصفي من قيم الدين الواحد خلاصة نقية من الشوائب الدخيلة التي طرأت على التدين . على فترات من الرسل عليهم السلام . ومنه تعلمت الأمة الكتاب والحكمة . تاركا المجال مفتوحا أمام الانسان إلى الأبد . لما يكسبه من جديد كشوفه ومتطور مخترعاته لا يعطل مسعاه الكادح لتحقيق اية خلافته في الأرض باهليته لكسب العلم ولا يقيد عقله بنظريات كسبية محددة

بالتوراة والانجيل ، ثم بالقران الكريم .
رسالات الدين كله . المصدق لما وثقه من
التاريخ الديني للبشرية ..

أريد من هذا العرض الموجز لمسيرة
الانسان الكادحة لتحقيق وجوده الكريم أن
أوطيء لما أنا بسبيله من تناول لقضايا
الاسلام والاخلاق لا أقصد بها إلى تأليف كتاب
في (علم الاخلاق) على النهج الفلسفي . فذلك
متروك لأهل التخصص بما صح لهم من
الدراية بنظرياته ومصادره . وإنما اتجه
مباشرة إلى القران الكريم والحديث النبوي .
مع مراجعة المباحث الاخلاقية لسلفنا
الائمة .

ناظرة في لقائي هذا بقرائتي الاصدقاء إلى أن
القران الكريم مصدرنا الاصل للشرعية
ومنهاج السلوك . هو كتابهم جميعا على
تفاوت مستوياتهم الثقافية وتعدد مذاهبهم
ومدارسهم . وإليه ينول علماءنا . شيوخ
المدرسة الاسلامية . فيما استنبطوا من
قواعد منهجه للبحث والنظر . في مباحثهم
الاخلاقية في علم الاصول . مثلما ألوا إليه في
مناهجهم التطبيقية للعلوم النقلية . وعلوم
الطبيعية والرياضيات . عصر الحضارة
الاسلامية القائدة الرائدة .

وأتلو من آيات أولى الرسالات إلى البشرية
وما سبقت إليه من هداية وتعليم واعتبار
بمصير الظالمين . قوله تعالى في نبا الطوفان :
(وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من
قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا
يفعلون واصنع الفلك باعيننا ووحينا
ولا تخاطبني في الذين ظلموا . إنهم
مغرقون .)

صدق الله العظيم

العلم . فالعلم الكسبي إليه الانسان الاول
والرسل عليهم السلام كانوا معلمي البشرية
منذ كانت يزكونها ويهدونها سواء السبيل .
من هذه المراحل ما هو مجهول لنا في غيبة
ما قبل التاريخ . ومنها المعروف فيما جاء به
القران الكريم من انباء أمم غابرة سبقت
اليونان إلى المدنية والعمران بالآلاف سنين .
وشرقنا القديم مهد المعرفة . بما هو مهد
الرسالات الدينية فيما نقرأ من الكتاب المحكم
الموثق . إذ الرسل الذين سماهم باسمائهم
كانوا مبعوثين في اقوامهم بالشرق . من قوم
نوح . وعاد قوم هود . وثمود قوم صالح . إلى
يعقوب ويوسف وابراهيم ولوط وشعيب
وموسى وعيسى ومحمد . عليهم جميعا أزكى
السلام والتحية

وعراقة الحضارة الشرقية . مادية
ومعنوية وسبقها على الفكر اليوناني . ثابت
بشهادة الواقع التاريخي . مؤيد بكثوف
أثرية لشعوب ذات قدم وعراقة في التمدن .
مثل (مصر وبابل وأشور وفينيقية والبربر
وسبا واليمن والهند والصين) ..

واتصال فلاسفة اليونان بشرقنا القديم
ثابت كذلك بشهادة مؤرخيهم . والمعلم الاول
لم يبدأ من نقطة الصفر . لا بالنسبة إلى تاريخ
الانسانية في الشرق القديم مهد الحضارات
والادبيات . ولا بالنسبة إلى المدارس اليونانية
قبل أرسطو كالمدرسة الطبيعية ومدرسة
فيثاغورس . الرياضية ومدرسة سولون
التشريعية والمدرسة السوفسطائية
ومدرسة السقراطيين الكبار : سقراط
وأفلاطون وأرسطو طاليس الذي تزود بتراث
سابقه وخطابه خطوة جلييلة لم تقف
البشرية عندها بل تابعت المسير مهتدية

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ *
إِذْ آتَاهُمُ الْغَمَامَ * الَّتِي كَانَتْ يَخْلُقُ مِنْهَا
الْبَلَدَ * وَشُعُوبَهُ الَّذِينَ خَابُوا
الصَّخْرَ بِالنُّوحِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي
الْأَوْتَارِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ *
فَأَكْبَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ * فَضَبَّ عَلَيْهِمْ
رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ *

صدق الله العظيم

د. بنت الشاطيء

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادئ الكلية للأخلاق

علم الاخلاق ، والحكمة

لا جدال في أن العرب المسلمين تعلقوا من عصر مبكر ، بنقل تراث الدول القديمة الفكرى والفلسفى ، وفي الخبر أن حركة الترجمة بدأت في نطاق فردى ، أو آخر القرن الأول للهجرة ، بعالم بنى أمية ، خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان - ٩٠ هـ ، وأنهم تابعوا السعى إلى التماسها وبلغ من حرص الدولة العباسية الأولى على استكمالها ، أن كان أسرى الروم في عصر هارون الرشيد يفتدون بأحياء كتبهم القديمة في الحكمة حتى بلغت حركة الترجمة ذروة نشاطها في عصر المأمون (١٩٨ - ٢١٧ هـ) . وتسجل فهارسنا القديمة للكتب ، كفهرست ابن النديم - ٣٧٠ هـ ما عرف إلى عهده من مترجمات تراث الفلسفة اليونانية وغيرها حتى منتصف القرن الرابع للهجرة .

والفكر اليونانى قد ترك أثره الواضح في علماء الكلام ، وعرفت له مكانته في مدارس اسلامية بالشرق والمغرب قبل أن يتصدى له علماء السلف المحافظون بالتجريح والانكار والدعوة إلى نبذه ، حماية للفكر الاسلامى النقى مما ظهر لهم غزوا فكريا بشوائب النظريات الفلسفية ، لم يستثنوا منها نظريات (علم الاخلاق لارسطو المعلم الأول) ومن ثم وضعوا الاجيال من تلاميذهم في

ومن شروحه وهي كثيرة : شرح للفخر الرازي - ٦٠٦ هـ ، شرح في تقديم البرهان على صاحبه ، ولخصه في (كتاب الاشارات) في سنة ٥٩٧ هـ على ترتيب الأصل في المنطقيات والطبيعات والالهييات ، وعقب عليهما « نصير الدين الطوسي ٦٧٩ هـ » في شرح كبير عنوانه (حل مشكلات الاشارات) صدره بحمد الله الذي وفقنا لافتتاح المقال بتحميده واثني على الرئيس ابن سينا الذي كان مؤيدا بالنظر الثاقب .
ثم أعقبه العلامة قطب الدين الرازي في كتابه المشهور (المحاكمات) أواخر سنة ٧٥٥ هـ ، وكثرت من بعده الشروح والمحاكمات .
وقضية امتحان « ابن رشد الحفيد ، ابي الوليد محمد بن ابي القاسم احمد بن ابي الوليد محمد القرطبي ، ٥٢٠ - ٥٩٥ هـ » واتهامه بالمروق من الدين بمحاولته التوفيق بين الشريعة والفلسفة ، وشروحه الكبار لنظريات فلسفة أرسطو ، هذه القضية مشهورة معروفة خاض فيها الملا من أهل قرطبة وشغل بها المغرب والأندلس زمانا .
وسبقت الاشارة الى أن غلبة عنوان الحكمة على المباحث الكلامية والمضنفات الفلسفية ادخل علماءها في (طبقات الحكماء) كما أدخلوا (علم الأخلاق) على هذا الوضع ، في أقسام الحكمة العملية وعرفوه بأنه علم بالفضائل وكيفية اقتنائها لتتحلى النفس بها ، وبالرذائل وكيفية توقيها لتتخلى النفس عنها ، فموضوعه الأخلاق والنفس الناطقة من حيث الانصاف بها (قالوا : وههنا تدخل شبهة قوية ، وهي أن فائدة هذا العلم إنما تتحقق إذا كانت الأخلاق قابلة للتبديل

المبنية على الاستقامة ، في موقف شديد الحرج ، حين ما استحدثوا من صناعة الفكر الاجنسي وعلوم فلسفته ، ومارسوا في وجدانهم وضمائرهم من ميراث رفضه ونبذه ، فمنهم من حصلها ثم غير وبدل واتجه الى (احياء علوم الدين) كحجة الاسلام الامام الغزالي (ت سنة ٥٠٥ هـ) ومنهم من تطلع اليها وهم بتحصيلها كالحافظ الفقيه تقي الدين ابن الصلاح - (٥٧٧ - ٦٤٣ هـ) ثم صد عنها واستجاب لنصح شيخه فيها - الكمال ابن يونس الموصل - (٥٥١ - ٦٣٩ هـ) أن ينصرف عنها إلى ما هو ميسر له من علوم الفقه والحديث ، يستبقى بها حسن ظن الناس به واعتقادهم فيه اصلاح والخير ويتقى اتهامهم من يشتغل بهذا الفن - الحكمة والفلسفة - بفساد الاعتقاد .
ولم يمنع ذلك من ظهور فلاسفة عظام ، مشاركة ومغاربة ، غلب على مباحثهم عنوان الحكمة ولم ينفصلوا قط عن الاصول الاسلامية في الاحتجاج والاستدلال والنظر ، ودخل أعلامهم في (طبقات الحكماء) كالشيخ الرئيس ابي علي ابن سينا (٤٢٧ هـ) في كتابه الأخلاق ، وفي الشفاء ، وفي مباحثه في الالهييات بعنوان (الاشارات والتنبيهات في المنطق والحكمة) وفيه للمنطق عشرة مناهج وللحكمة عشرة انماط في الاجسام ، والجهات ، والنفوس ، والابداع ، وفي الغايات والمبادئ ، وفي التجريد ، والسعادة ، ومقامات العارفين ، وأسرار الايات : وقال في خطبته بعد حمد الله تعالى على حسن توفيقه : أيها الحريص على تحقيق الحق ، إني مهدت اليك فيه أصولا من الحكمة إن أخذت الفطانة بيدك سهل عليك تفريعها وتفصيلها .

الرازي ٦٠٦ هـ ، والأخلاق للعضد الأيجي
الشيخ الرازي ٢٥٦ هـ ..

والصنف الأول ، تدخل تحتها الأخلاق
الإسلامية ممثلة في صفوف من أفراد الأمة
وفئات من خاصة أعيانها لا في عامة
أبنائها

والصنف الثاني يشغل به الأخلاقيون من
المكلمين والفلاسفة ، لا عامة الأمة
ولا يتعلق بأخلاق وأعراف متميزة للأمة .
والربط بين الأخلاق والأعراف مبدأ أقره
علم الإنسان والأخلاق في الغرب الحديث ، إذ
اثبت أن عروق البشر مفترقة في اختلافها
كافتراق أنواع الحيوان ، فيجب عد العرق
مرادفاً للنوع ، فالأمة جماعة من الناس
ينسبون في الغالب إلى عروق عدة ، لا يتألف
منها عرق متجانس إلا بعد أن تستقر فيها
أخلاق متماثلة وصفات جثمانية متماثلة بفعل
البيئية والتوالد والوراثة ، وقد توقع العلامة
الفرنسي الأستاذ جوستاف لوبون - وهو ممن
تحسبوا لهذه النظرية وله فيها كتب وبحوث
منشورة - أنه سيأتي يوم تكون فيه السجاي
الخلقية التي أغفلها (علم الإنسان) الحديث
أساساً لتقسيم العروق .

ولست أميل إلى تكلف ربط هذه النظرية في
علم الأخلاق والأعراف ، بالقرآن الكريم ، وإن
لم يغيب عني ما كثر فيه من تفصيل الآيات
وضرب الأمثال بما هو مناط الاعتبار بمصاير
أمم خلت فسدت أخلاقها ، وأقوام : حقت
عليهم اللعنة .

(ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .
كانوا لا يتقواهم عن منكر فعلوه ، لبئس
ما كانوا يفعلون)

صدق الله العظيم

والتغيير ، والظاهر خلافه كما يدل عليه قوله
عليه الصلاة والسلام : « الناس معادن
كمنعجين الذهب والفضة » خير لكم في
الجاهلية خيركم في الإسلام ، الحديث ، وروى
عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا
سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوا وإذا
سمعتم برجل زال عن خلقه فلا تصدقوا » .
الحديث ، رواه الإمام أحمد في مسنده لأبي
الدرداء رضي الله عنه .

والجواب عن هذه الشبهة أن الخلق ملكة
يصدر بها الفعل عن النفس بسهولة من غير
فكر وروية ، والملكة راسخة في النفس لا تزول
بسرعة . وهي قسمان : طبيعية بالفطرة ،
وعادية مكتسبة بأن يزاول المرء في الابتداء
فعلاً باختياره ، ثم بتكرره والتمرن عليه
يصير ملكة .. ففائدة هذا العلم بالقياس إلى
الملكة الطبيعية إبراز ما هو كامن في النفس
منها ، وبالقياص إلى الثانية تحصيل الملكة
وكسبها ، وإلى هذا يشير ما روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم : (بعثت لأتمم مكارم
الأخلاق) ولهذا قيل : إن الشريعة قضت
الوطر عن أقسام الحكمة العملية على أكمل
وجه وأتم تفصيل .

وبهذه المحاولة للتوفيق بين علم الأخلاق
في النظر الكلامي وبين الشريعة الإسلامية ،
أدرج م فهرس (كشف الظنون عن أسامي
الكتب والفنون) في مصنفاتهم في علم الأخلاق
، ما هو من السجاي والشمائل والسلوك مثل :
أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخلاق
الابرار ، وأخلاق الاتقياء ، وصفات
الاصفياء ، وأخلاق الأخيار ، وأخلاق
العلماء .. وما هو من المباحث النظرية
للأخلاق المسلمين ككتاب الأخلاق للشيخ
الرئيس أبي علي ابن سينا ويقال له : تهذيب
الأخلاق وتطهير الأعراق ، والأخلاق للفخر

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ
خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ
إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ»

صدق الله العظيم

د. بنت الشاطئ

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادئ الكلية للأخلاق : الحكمة والأخلاق الزكية في فهم مدرسة النبوة

اصطفى الله تعالى مكة المكرمة - العاصمة الدينية الكبرى للعرب - منزلا للوحى ، واصطفى منها محمدا بن عبد الله بن عبد المطلب القرشى الهاشمى ، خاتما للرسل عليهم السلام ، وبعثه فى الاميين رسولا منهم (يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة)
فماذا كان قومه فى عصر المبعث وقبله ، يعرفون عن الحكمة والأخلاق الزكية ؟
الحكمة بمعناها القريب من الفطنة والفراسة وذكاء البديهة والسداد فى الحكم ، لم تكن مجهولة للعرب فى جاهليتهم المعروفة لنا ، وقد اشتهر منهم حكماء كانوا المرجع فى الخصومات والمناقرات والمعضلات ، وممن ادركوا الجاهلية الاخيرة منهم حنفاء على مابقى من ملة ابراهيم عليه السلام ومعهم حكماء من الخطباء والشعراء ، ارهصوا بحتم تغيير الاوضاع الفاسدة ، واذنوا بان حياة القوم لايمكن ان تمضى على ماكانوا عليه من سفه وضلال .
وكانت تقام لهم فى الموسم بعكاظ ، قباب مرفوعة ، يقصد اليها القبائل والافراد فى المنازعات والمناقرات ، ولسماع مايلقى الحكماء من عظات وعبر ..

واخرون من ابناء القبائل حفظوا تراث
شعرهم وتداولوا روايته .
ايامهم المشهودات ، وسجل مفاخرهم
ودخلت المرويات الموثقة منها ، في
السيرة النبوية مع بشريات المبعث وأعلام
النبوة ، فضلا عما جمع منها في كتب مفردة
لائحة من علماء السيرة وحفاظ الحديث .
وخبر « قس بن ساعدة الايادي » في السيرة
النبوية مشهور متواتر ، وفيه أن النبي صلى
الله عليه وسلم سأل وفد قومه ايهم يعرفه ؟
قالوا : كلنا يعرفه يارسول الله « وكان عليه
الصلاة والسلام قد شهده بسوق عكاظ قبل
المبعث ، فأراد ان يستحضر كلاما سمعه منه
، قال : « لست أنساه بسوق عكاظ على جمل
اورق وهو يتكلم بكلام ما أظن أني احفظه »
فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه : يارسول
الله فأنى احفظه ، كنت حاضرا بسوق عكاظ
يقول - فذكر خطبته الوعظية ، وفيها يقول :
« إن في السماء لخبرا وإن في الأرض لعبرا
.. ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ؟
أرضوا بالمقام فاقاموا ؟ أم تركوا هناك
فناموا ! أقسم قس قسما لا حائثا فيه ولا اثما .
ان لله ديننا هو أحب الى من دينكم الذي أنتم
عليه ثم انشأ يقول :
في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يعضي الاصاغروالاكابر
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر
كذلك كان لامم الشرق القديم في جاهليتهم
حكماء يفتونهم في المعضلات ويهدونهم في
مسراهم مثل « بزر جمهر الحكيم » و
« زرادشت » الذي ترجمت تعاليمه حديثا الى
العربية بعنوان (هكذا قال زرادشت) وأقرب
الحكماء القدامى الينا « لقمان الحكيم » على

اختلاف في نسبه ، وفي (تفسير ابن عطية)
رواية عن سعيد بن المسيب - من منادات
التابعين للحفاظ وتداول عقائد المدينة السبعة
- ان لقمان كان اسود من سودان مصر ، اعطاه
الله تعالى الحكمة ومنعه النبوة « وعلى هذا
جمهور اهل التأويل .. وروى من حديث
عبدالله بن عمر ، رضي الله عنهما ، قال :
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
لم يكن لقمان نبيا ولكنه كان عبدا كثير التفكير
حسن اليقين ، أحب الله فأحبه فمن عليه
بالحكمة .. الحديث
ويستفاد من الحديث الشريف أن الحكمة
في المجال الديني أضافت كثرة التأمل وحب
الله تعالى ورضاه ، الى معناها المتداول في
المعروف عن الحكماء القدامى من الفطنة
وذكاء البديهة والالمنية وسداد الرأي ،
ومن تم ارتبطت الحكمة بالأخلاق ثم
أعطاهها القرآن الكريم حرمة بالغة ، بان جاء
الحكيم وحكيم في سبع وتسعين آية منها
اثنتان وتسعون ، الحكيم فيها وحكيم ، من
أسماء الله تعالى الحسنی وصفاته ، والخمس
الباقيات لامره تعالى ، ووحيه ، والقرآن
الكريم وهو الكتاب الحكيم ، والذكر الحكيم .
ومن الملة ، جاء استعمالها في الحكم
بمعنى القضاء ، بصيغ الفعل الثلاث والمصدر ،
الحكم في أكثرها لله عز وجل ، وبصيغة
التفضيل على الحاكمين ، (فتبارك الله
أحسن الحاكمين) وأما الحكم أولو الامر -
فجاءت في النهي عن أكل أموال
الناس بالباطل ، للدلاء بها الى الحكم ، رشوة
، وفي الأحكام بمعنى الاتقان ، جاء الفعل
مستندا الى الله تعالى في احكام آياته وخلقها ،
وجاءت (سورة محكمة) و (آيات محكمة)
غير متشابهات .

ينفرد بمبعثه في أمته يتلو عليهم آيات الله
ويركبه ويعلمهم الكتاب والحكمة . بل سبقه
بها فيما يتلو من قوله عز وجل : (فقد آمنا آل
ابراهيم الكتاب والحكمة ..) الآية . وقوله عز
وجل فيما من به على عيسى عليه السلام : (وإذ
علمت الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ..
(وقوله تعالى فيما أتى النبيين عامة :
(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من
كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم
لتؤمنن به ولتنصرنه ..) الآية
وهذا العموم المطلق يمكن ان يستفاد منه
ما بعث به النبيون في أقوامهم ، يتلون عليهم
آيات قدرة الله تعالى ودلائل وحدانيته ،
ويبصرونهم بتدبر هذه الآيات في أنفسهم وفي
أطراد سننه تعالى في الخلق والكون ، ليقنوا
أن شيئاً من ذلك كله لا يمكن أن يكون عبثاً
عقياً أو ان يحدث بالمصادفة العشوائية كما
يعلمونهم ما في كتب الله من شرائع وأحكام ،
بلاغاً وبياناً ، ويعلمونهم الحكمة بالتأمل فيما
هدى الله اليه من سبل الخير والحق
والفضيلة ومظان الشر والضلال . وليكن لهم
في رسلهم الأسوة الحسنة والمثال القدوة
يصدق هذا على النبيين جميعاً في أممهم
على تفاوت بيئاتهم وعصورهم ومستويات
أمرهم : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)
انتهاء بالمصطفى المبعوث بختم رسالات
الدين ، يزكي أخلاق أمته ويظهرها من دنس
الشرك وشوائب الرجس التي طرأت على
الدين ، على فقرات من الرسل عليهم السلام ،
وليتم ما هدوا اليه من مكارم الأخلاق فذلك
قوله عليه الصلاة والسلام :
(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)
وسبحان الخالق جل جلاله :
(يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يشاؤ
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وما يذكر
الا أولو الألباب) صدق الله العظيم

وفي التحاكم ، جاءت الآية فيمن (يريدون أن
يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به)
(وفي التحكيم قوله تعالى : (قبل أن يريك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم
لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا
تسليماً) ومنه جاء الحكم في قوله تعالى :
(أغير الله ابتغى حكماً) وفي آية النساء في
التحكيم بين الزوجين : (وإن خفتم شقاق
بينهما فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهله)
وتدبر سياق الآيات في هذا الاستقراء يشهد
بما للحكيم والحكم من حرمة بالغة ، ولدلالة
الأحكام على كمال الاتقان ودقة التدبير ، ولما
ينبغي للحكم في القضاء ، من عدل ونزاهة .
وتقوى هذه الدلالة فيما نتدبر من
(الحكمة) في القرآن الكريم ، وقد جاءت في
عشرين آية ، مما يمين به الله تعالى على عباده
من نعمة وخير ، وفيما أتى صفوة خلقه من
الكتاب والحكم والنبوة ومنها سبع آيات في
تذكير المؤمنين وأمهات المؤمنين بما يتلى
عليهم من آيات الله والحكمة ، وفيما يمين الله
به على الأميين ، ان (بعث فيهم رسولا منهم
يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة) الآية ، ونظائرها ..
الحكمة هنا داخلة في رسالة النبي عليه
الصلاة والسلام ، وهي في أكثر الآيات
معطوفة على الكتاب ، والعطف يقتضي
المغايرة إذ لا يعطف الشيء على مثله .
وقد ذهب بعض المفسرين - فيما نقل
القرطبي في (الجامع لأحكام القرآن) - إلى أن
الكتاب في مثل هذا السياق هو القرآن ، وأن
الحكمة مراد بها السنة .
وفي قول أنها طاعة الله والاخلاص ، أو
يعلمهم الخير في فعلوه والشر فيجتنبوه
ولا أراه قريباً ، فالسنة لا تستقل عن
الكتاب بتعليم الطاعة والاخلاص أو الخير
والشر . ثم إن نبينا عليه الصلاة والسلام لم

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ
رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشَىٰ يَرْيَدُونَ
وَجْهَهُمْ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ
تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْتَ قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا
وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا »

سنة الله العظيم

د. بنت الشاطيء

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادئ الكلية للأخلاق

« إنما الأعمال بالنيات » (١)

علماء الحديث يبدؤون أقسام الصحيح - باعتبار ما خرج في مصنفاتهم - بما أخرجه الشيخان البخاري ومسلم ، في صحيحيهما ، وهذا القسم هو أعلى أقسامه رتبة ، والذي يقول فيه أهل الحديث متفق عليه يليه ما انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ، ثم ما انفرد به مسلم عن البخاري ، يليه صحيح علي شرطيهما لم يخرجاه ، ثم صحيح علي شرط البخاري لم يخرججه ، ثم صحيح علي شرط مسلم لم يخرججه ، ثم صحيح عند غيرهما وليس علي شرط أحد منهما .

وفيما أقدمه من المبادئ الكلية للأخلاق في الاسلام ، أبدأ بما بدأ به الإمام البخاري جامع الصحيح ، وهو حديث (إنما الأعمال بالنيات) استعمل به بعد النسمة مباشرة ، ثم شرع في الكتاب الأول كيف كان بدء الوحي علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أبواب كتاب الايمان ، فكتاب العلم ، يليه كتاب الطهارة ، ثم أبواب كتب العبادات ، ثم المعاملات .. الى آخر الصحيح .

(٤)

هذا الاستهلال بحديث النيات . غير مسبوق بخطبة للكتاب على

عادة المصنفين . اعتبر الحفاظ الأئمة الحديث فيه قائما مقام الخطبة . وليس على مجرد التبرك . وقال أبو محمد ابن حزم : لا ينبغي للفقهاء الحفاظ على الحديث على البخاري أن أحسن ما يجاب به هنا أن يقال : لعله قصد أن يجعل لكتابه صدرا على ما ذهب إليه من يستفتحون كتبهم بخطب لبيان معاني ما ذهبوا إليه . فكانه ابتدأ كتابه بنية رد علمها إلى الله . فإن علم منه أنه أراد شيئا من أغراض الدنيا فسيجزيه بنيته .

وأرجو ألا اشق على قرائي الكرام بتقديم خلاصة من قضية هذا الحديث - الذي شغل أجيالا من الحفاظ والنظار - تعطينا فكرة عن خلق العلماء في المنهاج الإسلامي للسلوك . وحرمة ضوابطهم للمنهج النقل . وما آل إليه حالنا في هذا الزمان .

والمشهور أن حديث النيات . قاله النبي صلى الله عليه وسلم في رجل بعينه . اشتبه بقلبه . مهاجر أم قيس . إذ هاجر إلى المدينة المنورة يريد فضيلة الهجرة في الظاهر . ثم كانه هاجر على نية الزواج من امرأة تدعى . أم قيس . والعبرة على أي حال بعموم لفظ الحديث لأشخاص السبب الذي قيل فيه . وقد تواتر النقل عن الأئمة في تعظيم قدر هذا الحديث . واتفق منهم الأئمة الشافعي وأحمد ابن حنبل والدارقطني . في آخرين غير قليل . على أن هذا الحديث : ثلث الدين . بمعنى الاعتبار بالنية في ثلثه . وقال : الإمام الشافعي : أنه يدخل في سبعين بابا من أبواب العلم . ومنهم من ذهب إلى أنه ربع الدين وقال الحافظ الحجة : عبد الرحمن بن مهدي : ينبغي أن يجعل هذا الحديث رأس كل باب . ووجه الإمام أبو بكر البيهقي الشافعي الفقيه الحافظ : قول الإمام

الشافعي أنه ثلث الدين . بأن كسب العبد يقع بقلبه ولسانه وجوارحه . فالنية أحد الأقسام الثلاثة في الدين .

الحديث بهذه المنزلة والجلالة . من أفراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول

« إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى . فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فحجرته إلى ما هاجر إليه » .

وكونه من أفراد عمر . رضي الله عنه . لا يعنون أنه انفرد به دون سائر الصحابة رضي الله عنهم . بل يقيدون التفرد . بما صح على شروطهم . بهذا الإسناد . تفرد به كذلك علقمة بن وقاص عن عمر . ومحمد بن إبراهيم عن علقمة بن وقاص الليثي التابعي . وتنفرد به يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم التيمي . ومن طريق يحيى اشتهر الحديث فرواد عنه من لا يحصون عدا . وملا الدنيا وشغل الناس .

إنما القضية عند علماء الحديث الأئمة . هي تفرد أربعة من رجال أسناده . ينفرد فيه راو عن راو عن راو . عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . تفرد به عن النبي صلى الله عليه وسلم . ولم يضر هذا التفرد الحديث عند أئمة الحفاظ لجلالة عمر رضي الله عنه . ولصحة أسناده والثقة في روايته . على أدق شروط أهل الحديث .

والذي يشغلنا من أمره . أن نتتبع مسار الحديث من أفراد عمر رضي الله عنه . مع النقاد الحفاظ الذين تواردوا على النظر فيه طبقة بعد طبقة . ثم فلننظره في آخر رواية له بثبوتها أذاعة « ماسبيرو » العصرية . وصدرتها من القاهرة إلى أذاعات الشرق

(٣)

العربي ، حلقة اولى من مسلسلات شهرنا
المعظم ، شهادة لاهدار ما عاب في منبرنا
العلمي من خلق العتقاء بوجوه
قوانين الرواية في منهجهم الثقلي . وشاهدة في
الوقت نفسه على ما الت اليه في سلوك علماء
ماسبيرو عصر الموجات الصوتية والاقمار
الصناعية .

في النصف الثاني من القرن الثالث
للهجرة ، تم تدوين صحاح الحديث في
مصنفات الحفاظ الائمة : الصحيحين وكتب
السنن الاربعة . بعد ان سبقها موطا الامام
مالك ومسند ابي دواود الطيالسي ومسند الامام
احمد واجزاء حديثه مبكرة .
وقد عاصر حركة التدوين للحديث ، ظهور
كتب تؤرخ لكل من روى حديثا ، وان لم يزد على
حديث واحد ، ممن اخرج لهم الائمة
، وتسجل اقوال النقاد النظار فيهم
جرحا وتعديلا . كما نشطت كذلك مصنفات
النقاد النظار في (علل الحديث)

واركز على حديث (انما الأعمال بالنيات) من
افراد عمر ، رضى الله عنه . فيما شغل النقاد
النظار من تغرده مع المشهور من تواتره .
فصححوا وهم القول بتواتره عن عمر رضى
الله عنه ، وانما تواتر من رواية يحيى بن
سعيد الانصارى . تفرد به عن محمد بن
ابراهيم التيمي . تفرد به عن علقمة الليثي .
تفرد به عن عمر رضى الله عنه . تفرد به عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي الخبر
عن الحافظ ابي سعيد النقاش ان هذا الحديث
رواه عن يحيى بن سعيد مائتان وخمسون .
وسرد الحافظ ابو القاسم ابن منده اسماء رواة
الحديث عن يحيى بن سعيد فبلغ بهم ثلاثمائة
واربعين . وروى الحافظ ابو موسى المديني

عن بعض مشايخه . مذاكرة عن الحافظ ابي
اسماعيل الهروي قال : كتبه من حديث
سبعمائة من اصحاب يحيى . ولعل هذا
الحديث من الائمة في الكثرة . وفيه يقول شيخ
الائمة الحافظ ابن حجر : « وانا استبعد
هذا العدد فقد تتبعت طرقه من الروايات
المشيرة والاجزاء المنثورة منذ طلبت
الحديث الى وقتي هذا (٧٧٢ - ٨٥٢هـ) فما
قدرت على تكميل المائة . وتتبعته غير
المشهور فزادت على ما نقل عن سبق . »

ومن عصر الحفاظ الائمة حتى القرن
العاشر للهجرة فما بعده . شغل الحفاظ
والنقاد بتقصي ما في مدونات الحديث من
روايات له من غير طريق عمر . رضى الله عنه .
بالاسناد المشهور عنه . فوقفوا من ذلك على
عشر روايات عن الصحابة رضى الله عنهم
عكف عليها النظار الائمة يفحصون متونها
واسانيد ما ورجالها وعللها . من طبقة ابي
عيسى الترمذي وابي سليمان الخطابي وابي
الحسن الدارقطني وابي عبد الله الحاكم . الى
طبقة شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر
وتلاميذه في القرنين التاسع والعاشر . مرورا
بابي عمر ابن عبد البر حافظ المغرب وابي بكر
الخطيب البغدادي حافظ المشرق . والحافظ
تقي الدين ابن الصلاح . وشيوخ الاسلام
الائمة : النووي وابن دقيق العيد والسراج
البلقيني . والحافظ زين الدين العراقي .
وانتهوا الى ان الحديث كما جاء في
الصحيحين من افراد عمر رضى الله عنه .

للحديث بقية نوجزها غدا بمشيئة الله .
لننظر بعدها فيما الت اليه رواية هذا الحديث
في عصرنا . والله المستعان

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ
إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ
شَيْئًا * فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ
ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا *
ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى * »

بسم الله العظيم

د . بنت الشاذلي

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادئ الكلية للأخلاق

« إنما الأعمال بالنيات » (٢)

لا حيلة لي فيما اشق به على قرائي الكرام ، من الحديث عن الخلق العلمي لسلفنا العلماء ، وتفانيهم في الرقابة النقدية على رواية الحديث ، تطبيقاً لما تقرر عندهم من قوانين محكمة صارمة للمنهج النقل . فنحن في زمان تاهت فيه المعالم واختلطت السبل فما عاد أكثر المتحدثين من منابر عامة يبالون الرجم بالظن فيما لا علم لهم به ، ويذيعون من أوامهم ما يروج لمقولات فجّة عن عقم بضاعتنا الهزيلة من العلم والمنهج .
وعلى رجاء أن يعذرني القراء الكرام فيما اتناول من قضايا منهجية صعبة من علم الحديث والمصطلح - غابت عنا مناهجها وفقدت حرمتها لدى من يخوضون في كل علم بغير علم أتابع العرض الموجز لقضية حديث (إنما الأعمال بالنيات) الذي بلغ من علو قدره أن عده انمئنا الكبار . ثلث الدين « وذهب بعضهم إلى أنه جدير بأن يجعل عنواناً لكل باب من العلم »
والحديث على جلالته من أفراد عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثم تفرد به علقة الليثي عن عمر .

(٢)

واصل ما وقفت عنده من حديث أمس ، فاذا ذكر ان اتفاق الأئمة

الكبار على ان الحديث انما صح على شروطهم من افراد عمر ، لم يمنع النقاد والنظار من الرد على القول بتفرده ، وقد رواد عن النبي عليه الصلاة والسلام جماعة من الصحابة كما نبهوا كذلك على ان الحديث رواد عن عمر اخرون غير علقمة ورواه عن علقمة اخرون غير التيمي ذكرهم ابن منده في (المستخرج) وروى " الدارقطني " الحديث في (احاديث ملكة التي ليست في الموطأ) ونظر في طريقه من غير طريق عمر ثم قال في (العلل) : " وأما اصحاب مالك الحافظ فروود عن : مالك عن يحيى بن سعيد عن التيمي عن علقمة عن عمر ، وهو الصواب " .

واما الصحابة الذين ذكر ابن منده انهم رووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يذكر الاسانيد حتى ينظر فيها النقاد وقالوا : ولا يحفظ لها سند الا ما كان من الحديث عن انس بن مالك ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يقبل الله قولاً الا بعمل ولا يقبل قولاً ولا عملاً الا بنية ولا يقبل قولاً ولا عملاً بنية . الا باصابة السنة " .

وذكروا ان الحديث ورد في عدة احاديث صحت في مطلق النية ، كحديث عائشة وام سلمة رضى الله عنهما . في صحيح مسلم : " يبعثون على نياتهم " وحديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : " لكن جهاد ونية " . وحديث ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم . " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " متفق عليهما .. وحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه مرفوعاً : " رب قتيل بين الصفيين الله اعلم بنيته " أخرجه الامام احمد في المسند . وحديث عبادة بن الصامت الانصاري رضى

الله عنه ، مرفوعاً " من غزا وهو لا ينوي الا عقلاً يصيبه . فله ما نوى " .

ثم كان ان شغلتنى هذه القضية فيما سر الله لي من تحقيق الذخيرة الغالية لعلوم الحديث : (مقدمة ابن الصلاح) وعليها (محاسن الاصلاح) لشيخ الاسلام السراج البلقيني مجدد المائة الثامنة للهجرة فتزودت منهما ومن المصنفات عليهما بما وصلني بالقضية في مجالها الرحب حتى جعلتها من بضع مباحث موضوعة لخصومها والمذاكرة مع ابنائى علماء الشريعة والحديث الذين حظيت بصحبتهم في الدراسات العليا بجامعة القرويين الفريقة . وامضيت في دراسة القضية موسماً كاملاً كان هماً فيه ان نصل الى معرفة العلل التي تعقبها النظائر في كل طريق لحديث (انما الاعمال بالنيات) غير طريقه المعتبرة عند الأئمة : من افراد عمر رضى الله عنه . وقد رنا ان العطاء السخي لذلك الموسم . اضافة قبضة الى ما أقيد في مدوناتي عن (الرقابة النقدية على رواية الحديث في المنهج النقلي لعلمائه)

وبواصيا وفتند بان نتخير من صفوة تلاميذنا من نراهم اهلاً لحمل امانة هذا العلم والرباط في الموقع الجليل الذي تفانى سلفنا الأئمة في حراسته وكانوا القدوة في خلقهم العلمي ومنهجهم النقلي .

وودعتهم ورجعت الى وطني كنانة الله في الارض ، وموسم الشهر المعظم قد اقترب وما يخطر لي قط على بال انني على موعد مع المشهد الختامي الاخير لحديث . إنما الاعمال بالنيات . في اخراج عصرى لمن افرزتهم المرحلة من علماء ماسبيرو وعوالمها .

موعدي مع المشهد كان على مائدة الافطار ،
مغرب اليوم الاول من شهر رمضان الكريم ،
اذ سمعت اذاعة القاهرة . عاصمة الكنانة ،
تذيع مقدمة لما اعدته من برامج حافلة
لبضاعتها احتفالا بشهر القرآن على الطريقة
العصرية . والتقط سمعي اول العرض ،
مسلسلا من ثلاثين حلقة تقدمه الاخت
الفاضلة السيدة صفية المهندس ، المدير
العام للاذاعة والتلفزيون وقتئذ ، بعنوان
(قلنت عائشة) فاغراني العنوان بالانتظار
حتى اسمع مطمة (قلنت عائشة) واعرف من
تكون عائشة هذه ؟ وتمهلتي ريتك سمعت
الحلقة الاولى ، وتبدأ بمقدمة موسيقية
غنائية ، تؤديها ابنتي المطربة . ياسمين
الخيام . فتغني بصوتها الشجي على ايقاع
النغم :

قالت عائشة وقد صدقت . قولاً عن سيد
خلق الله
قالت فاستمعوا لضيائي . يعطى للناس هدى
وحياة

ثم ماذا قالت عائشة عن سيد خلق الله ؟

قالت : (انما الاعمال بالنيات) !!

غفرانك يا ذا الجلال والاکرام .

بعد كل تلك المجاهدة الصعبة لاجيال من
علمائنا النبلاء في خدمة حديث شريف من
افراد عمر رضى الله عنه . هذه الائمة ثلث
الدين وارتضاه الامام البخاري فاتحة يستهل
بها جامعه الصحيح .

ينول الحديث الى هذه الرواية المطربة على
ايقاع الموسيقى تذاق من القاهرة احتفالا
بالشهر الطيب وبضاعة تصدر الى الاذاعات
العربية في اقطار الشرق والغرب . بالعمل
الصعبة ؟

ربما كانت كثرة من اسادتي المستمعين
الكرام (تؤثر هذا الاداء المسابير لحركة
تطورنا - لما لم تقله السيدة عائشة ام
المؤمنين رضى الله عنها ، ولاسمع به اى
عربي يجد حس لغته وذوق بيانها وصحة
قواعدنا - على رواية سلفية من طريق شيوخ
حفاظ اكل عليهم الدهر وشرب ..

لكن ما ذنب ابنائنا الشباب ابشاء اليوم
واصحاب الغد . فيما يبت فيه من لوثة
انحراف خلقي يهدر حرمة العلم وكرامة
سلفهم العلماء ويستبجح العبث باشرف
ميراثنا الخلقي والعلمي ؟

من يتركهم يسلمهم لعائشة الخلقين .
ويبلغهم ان قواصمهم لرواية عائشة بلغيت
بالمهيج النقلي المستوى الذى يتقاصر جهدها
عن تمثله والاستشراف اليه فضلا عن بلوغه
واستيعابه والطموح الى تجاوزه ؟

فهل يكفى بياناً لدقة منهجهم وصرامة
ضوابطه . انهم بلغوا بعلوم الحديث
سبعين علماً لابد من معرفتها لتمييز الحديث
الصحيح الذى لم يزد تعريفه في مصطلحهم
على هذه الفقرة :

(الحديث الصحيح هو ما اتصل اسناده
برواية العدل الضابط عن العدل الضابط الى
منتباد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم -
من غير شذوذ ولا علة)

ثم اضافوا بعد هذا العناية كله بتحصيل
سبعين علماً : (قولنا حديث صحيح لايعنى
انه صحيح في ذاته . بل يعنى انه صحيح على
شروطنا . وكذلك قولنا حديث غير صحيح
يعنى انه لم يصح على شروطنا . لا انه غير
صحيح في ذاته . والله اعلم)

(الحمد لله . وسلام على عباده الذين

اصطفى) صدق الله العظيم

حدیث رمضان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا
أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّغُورَ
فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ
مَّنْ حَقَّ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ»

عبدون الله العظمى

REPORT

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادئ الكلية للأخلاق

الْبَيْتُ الْبَرُّ

التوحيد جوهر الدين كله ، والقرآن الكريم فيما يوثق من مجمل التاريخ الدينى للبشرية ، يعلمنا أنها تسدين
بفطرتها منذ كانت . وإذا أعياها في بدائيتها الموعلة في القدم أن تتمثل التجريد المطلق للالهية ، اتخذت لها
أصناما أربابا عكفت على عبادتها من عصر ما قبل الطوفان ، كيلا تعيش ضد طبيعتها في فراغ من العقيدة .
ويعلمنا القرآن كذلك ، أنها على المدى الطويل من أقدم المجتمعات البشرية حتى الجاهلية الأخيرة ، جاءت
رسالات الله تنرى تدعوها إلى التوحيد فما آمن بها إلا قليل
﴿ قَوْمُ مِثْرَةَ هَذِهِ أُولَئِكَ رُسُلُ اللَّهِ وَنُفِرَ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامِ لَكُمْ
أَعْيُنٌ عَصِيْبٌ . أَنْ لَا تُعْبِدُوا إِلَّا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴾ .
وكرر النذير : (أَنْ لَا تُعْبِدُوا إِلَّا اللَّهَ أَنْى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ
الْأَلِيمِ ، فَقَالَ الْمَلَائِكَةُ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ
أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا لَنَا بَادِي الرِّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ أَنْ
نُظَنِّكُمْ أَكْذَابِينَ) .

(٢)

ولبت فيهم زمانا يدعوهم ليلا ونهارا فما
زادهم دعاؤه الا فرارا ، واصروا واستكبروا
استكبارا ، وزينوا للناس عبادة الهتهم
الاصنام . حتى اغرقهم الطوفان .
(وقبل بعدا للقوم الظالمين .)

وتركوا ميراثهم من الوثنية حتى نشب في
« عاد » فارس الله اخاهم هودا هاديا
ونذيرا :

(قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره
ان انتم الا مفترون)
فكذبوه وعصوه (قالوا يا هود ما جئتنا
ببينة وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وما
نحن لك بمؤمنين) ، (وتلك عاد جحدوا بايات
ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار
عنيد . واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم
القيامة ، الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد

قوم هود)
وطال الامد على المؤمنين منهم ، وفشت
الوثنية في ثمود ، فارس الله تعالى اليهم
اخاهم صالحا برسالة التوحيد :

(قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله
غيره هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها
فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب
محيب . قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل
هذا اننا انما ان نعبد ما يعبد اباؤنا واننا لغى
شك مما تدعونا اليه مريب)

ثم كان مصيرهم أن نجى الله صالحا
والذين معه (واخذ الذين ظلموا الصيحة
فاصبحوا في ديارهم جاثمين . كان لم يغنوا
فيها ، الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود)
كان التوحيد كذلك ، رسالة ابراهيم
الخليل عليه السلام ، بعد ان رفض عبادة
الاصنام مع ابيه وقومه ، ولبت طويلا قلقا
مشغول البال ، يلتمس الاله الخالق فتمثله في

ايات قدرته وعظمته : الكواكب والقمر
والشمس ، ثم رابه من امرها ان الكوكب يافل
ويغيب ، والقمر يخسف ويغيب في ظلمات
المحاق ، والشمس تكسف وتغرب في دجى
الليل ، فايقن بوجود خالق عظيم لا يجوز
عليه افول او خسوف وكسوف .
واصفاه الله نبيا رسولا . قال تعالى :

(ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل
وكنا به عالمين . اذ قال لاهيه وقومه ما
هذه آلائكم التي اتيتكم بها عاكفون .
قالوا وجدنا اباؤنا لها عابدين . قال
لقد كنتم و اباؤكم في ضلال مبين .
قالوا اجئتنا بالحق ام انت من
اللاعبين . قال بل ربكم رب السموات
والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من
الشاهدين)

وارادوا به كيدا فجعلهم الله
الاخسرين . وذهبوا كما ذهب قوم
لوط عبرة ومثلا

والى مدين ارسل الله اخاهم شعيبا ، عليه
السلام ، داعيا الى التوحيد ، ونذيرا :

(قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره
ولا تنقصوا المكيال والميزان ، انى اراكم
بخيروانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط) .

(قالوا يا شعيب اصلاتك تامرك ان تترك
ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء ،
انك لانت الحليم الرشيد)

وانذرهم ان يصيبهم مثل ما اصاب قوم
نوح او قوم صالح وما قوم لوط منهم ببعيد .
ونصح لهم ان : استغفروا الله ثم توبوا اليه
انه رحيم ودود .

(٣)

قريبة منها ، تلوذ بها فيما يلزم بها من مصائب
وكوارث ، ثم جسدت الخالق في مظاهر عظمتها
وايات قدرته وفيض عطائه ، فعبدت الكواكب
النيرات والقمر والشمس والانهار والنار .
رموزا للخالق . وعلى مر الزمن غابت الرمزية في
المعبودات . فاتخذوا الرموز ذاتها الهة
معبودة . ثم كان عصر عبادة الابطال والقادة
الرسل والزعماء والاباء ، بدلا من عصر
تعدد الالهة الذي ياباه دين القطرة ، قال
تعالى :

(وما كان معه من اله ، اذا ذهب
كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على
بعض ، سبحانه الله عما يصفون)

• • •

هذا العرض الموجز يشهد ان البشرية لم
تستطع قط ان تعيش في فراغ من العقيدة .
فلئن كانت قد اعيها تمثل التجريد المطلق
للوحدة انية لقد بقي في اعماق ضميرها قبس من
نور الله لم ينطفئ قط .

ولئن تكن رواسب الوثنية رسخها القدم
واعطاها من حرمة العناقة ما عطل الوعي
بعقمها وقبحها ، لقد بقي للبشرية ايضا من
ميراث التوحيد في دعوة الرسل جميعا ، ما
استشرف بها الى التوحيد المحض ، يحدو
مسراها في الليل البهيم بدعاء الحق والخير
والجمال ، مؤذنا بمطلع فجر صادق يحقق
الوثنية الشائنة العقيم ، ويحرر الانسان من
مهانة العبودية لغير خالقه ليحمل تبعات
رشده وتكاليف امانة انسانيته ومسئولية
سلوكه وضميره . وليخوض نضاله الباسل
في المعركة الابدية بين الخير والشر ، دفاعا
عن كرامة الادمية وشرف الانسان .

(قالوا يا شعيب مانفقه كثيرا مما تقول وانا
لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما
انت علينا بعزيز . قال يا قوم ارهطى اعز
عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان
ربي بما تعملون محيط)
ثم كانت العقوبة :

(ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا
معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة
فاصبحوا في ديارهم جاثمين . كان لم يغنوا
فيها ، الا بعدا المدين كما بعدت ثمود)

والى التوحيد دعا موسى وعيسى وخاتم
النبیین عليهم السلام . وسائر الرسل بوجه
عام . من نتلو في القران انباءهم ومن لم يتل
علينا نبا عنهم ، وسواء منهم امم لاتزال
قائمة ، وامم بادت وكانت حصيدا .
يشهد لهذا العموم قوله تعالى خطابا لخاتم
الرسل عليهم السلام :

(ذلك من انباء القرى نقصه عليك
منهم قائم وحصيد . وما ظلمناهم
ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم
الالهتهم التي يدعون من دون الله من
شيء وما زادوهم غير تنبيي . وكذلك
اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة .
ان اخذه اليم شديد) وقال عز وجل
وما ارسلنا من رسول الا نوحى اليه
انه لا اله الا انا فاعبدون)

• • •

هكذا جاءت رسل الله تترى على فترات
منهم ، داعية الى التوحيد ، والبشرية قاصرة
عن تمثل التجريد المطلق لئلا الخالق
المعبود ، فجسده في اصنام تخلقها لتكون

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ فَاسْتَمِعُوا
لَهُوَ إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ
وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا
لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعُفَ
طَّالِبٍ وَالْمَطْلُوبِ»

بسم الله العظيم

د. بنت الشاطئ

استاذة التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادئ الكلية للأخلاق التوحيد المحض ودين الفطرة

حديث الامس كان عن (التوحيد جوهر الدين كله) دعت اليه كل رسالات الدين ، استقراء لما وثق القرآن الكريم من انباء
الرسول عليهم السلام ، من عهد نوح عصر ما قبل الطوفان حتى ختام رسالات الدين ، بعموم مطلق تشهد به اية (الانبياء) -
ونظائرها في القرآن كثيرة - خطابا لخاتم الرسل عليهم السلام في قوله تعالى
(وما ارسلنا من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون)

•••

مؤرخو الحضارة من علماء (الاديان والاخلاق) يقدمون في هذه القضية - اعنى عموم الدعوة الى التوحيد - مذهباً
آخر ، قد يبدو في ظاهره مخالفا لما استقرأنا من آيات شاهدة لدعوة الرسل كافة الى عبادة الله وحده
الذي ذهب اليه صفوة من مؤرخي الحضارة علماء (الاديان والاخلاق)
الغربيين فيما نقل عنهم العلامة الفرنسي (الاستاذ جوستاف لوبون) ان
الاسلام وان كان مصدقا للمسيحية قبله [فانه يختلف عنها مع ذلك في كثير
من الاصول ولا سيما في التوحيد المطلق الذي هو اصل اساسي لعقيدة
الاسلام فيما دعا اليه من اله واحد مهيمن على كل شيء .. وللاسلام وحده
كل الفخار بانه اول دين ادخل الى العالم التوحيد المحض]

و بصيرة فرد منها ، يمثل الضمير السرى في
أهف حساسيته لعصره وبينته وأعلى مستوى
لعقلية أهله ، ومن ثم تبدأ به مرحلة متقدمة
لمسيرة البشرية المتدينة على هدى رسالات
الدين .

● ● ●

ولقد جاء الإسلام وفي العرب - كما في
غيرهم - رواسب من مخلفات وثنية غابرة ،
ترتد بهم في جاهليتهم الأخيرة إلى أقدم العتبات
المعروفة لها . هذه العتبات من أصناف متعددة
باسماء أصنام عبدها الكفار من قوم نوح (ود
وسواع ويغوث ويعوق ونسر) ذكرها القرآن الكريم
من أنباء الجاهلية الأولى . وتناسخت في أحبال
العرب . حتى مبعث خاتم الرسل عليه السلام .
كما كان فيهم بقايا من وثنية الصابئة عبدة
الشمس والقمر والنجوم ، وأثار من عبادة
الأبطال في تقديس الأباء غلبت على عقولهم
وفيهم مع ذلك كله ، بقية من الحنيفية ملة
إبراهيم وولده إسماعيل جد العرب العدنانية
ومنها قريش صفوة بني عدنان . وبسبب حاتم
صفوة قريش .

وكانت قريش جيرة الحرم المكي متابة حج
العرب ومهوى أفئدتهم ، وفي قريش كانت
الوظائف الدينية الكبرى لمكة المكرمة ، المركز
الديني للقبائل العربية ، ومجمع مواسمهم
الدينية على ما بقى فيهم من الحنيفية ملة إبراهيم
واسماعيل عليهما السلام . مشوبة برواسب من
طقوس وثنية الشرك ، وبما نشب فيهم على مر
الزمان من عبادة الأبطال ممثلة في ظاهرة تقديس
الأباء ، التي تستحق أن نفردها حديثاً خاصاً .

وغير متصور أن يهتموا في هذه السيادة
بالتعصب لغير دينهم أو الجهل بأن عامة الرسل
قبل الإسلام دعوا إلى عبادة الله وحده . وإنما
يتسبدون للإسلام بالتوحيد المطلق (الحض)
غير مشوب برواسب من مخلفات عصور الوثنية
والشرك علق بالتدين . كما وثق القرآن الكريم
مأسبقه من دعوة الرسل إلى التوحيد ، مع ما
لاشبهة فيه من الواقع التاريخي لمسيرة البشرية
المتدينة . كل مرحلة منها تلقت رواسب متخلفة
عما قبلها . وتركت بقايا منه فيما بعدها . مثلما
تفشت في مكة . من أسبقه من أسبقه من أسبقه .
وكما كانت عبادة الأصنام وعبادة مظاهر
القدرة الإلهية وشواهد عظمتها وإيات نورها
وعطائها ، شاهد على أن البشرية المتدينة لم تكن
لتحتل الفراغ من عقيدتها ضد طبيعتها . وكان
قبس من الوعي في أعماقها تترك به عقد العبادة
للأصنام وللأجرام السماوية النيرة .
وليس من طبيعة الأشياء أن تؤمن الكثرة بما
جاء به رسلاً عن إله الواحد الفرد الصمد . بل
غلبت عليها الغفلة فما آمن بالرسالة منها إلا قليل
لكن من هذه القلة المؤمنة . من بقى على مبراث
النبوة بما صبح له من الوعي المرفف بعقد الوثنية
وضلالها .

وفيما يتلو علينا القرآن الكريم من رشد
إبراهيم . قبل اصطفائه للنبوة . رفضه وثنية
أبيه وقومه . ثم ارتيابه في الأجرام السماوية
النيرات العليا لما اعتراها من اقوال ومحاق
وغروب وخسوف وكسوف . مما لا يجوز على
الخالق المعبود .
مثل هذا الوعي الرشيد المرفف ليس بحيث
يصح للعامة ولا لكثرة منها . بل يكفي أن يتوهم

(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض
وسخر الشمس والقمر ليقولن الله)

(ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به
الأرض من بعد موتها ليقولن الله . قل الحمد
لله . بل أكثرهم لا يعقلون)

(ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله . فأنى
يؤفكون)

(قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون...
سألتهم ليعلمن الله قل الله تعالى تدبروا في ذلك)

(قل من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم ، سيقولون الله ، قل أفلا تتقون . قل من
بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن
كنتم تعلمون . سيقولون الله فأنى تسحرون)
الآيات

ولزمتمهم الحجة . وقال تعازي الزاماً لهم
بالتوحيد المحض

(الاله الدين الخالص والدين اتخذوا من
دونه أولياء مانعهم الا يقربونا الى الله زلفى إن
الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون . إن الله
لا يهدي من هو كاذب كفار)
وقال جل جلاله :

(ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر .
لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي
خلقهن إن كنتم آياه تعبدون)

(والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)
صدق الله العظيم

دون ان يلمس ذلك كله قيساً من الوعي في
فطرتهم . اعتمد عليه دين الفطرة في الجدل
الحكيم . تبصيرا بما هم عليه من سفه وضلال .
وقد كشفت آيات الجدل مع ابراهيم قبل مبعثه عن
عقم مخاطبة عقولهم وقد غلبهم عليها شوب
عبادة الآباء دون ان يغيب عنهم ان اصنامهم
التي يعبدون صماء يكما لا تملك لنفسها - فضلا
عن ان تملك لهم - ضرا ولا نفعا . اذ اقسم
ابراهيم ليكيدن لاصنامهم على غفلة منهم فجعلهم
جداً اذا اختلفوا لهم لعنهم الله ويرجعون .

(قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن
الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له
ابراهيم . قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلمهم
يشهدون . قالوا أنت فعلت هذا بالهتنا يا
ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم فاسألوه ان كانوا
ينطقون . فرجعوا الى انفسهم فقالوا لقد علمت
ما هؤلاء ينطقون . قال افتعبدون من دون الله ما
لا ينفعكم ولا يضركم . اف لكم ولما تعبدون من
دون الله أفلا تعقلون . قالوا حرفوه وانصروا
البهتكم ان كنتم فاعلين)

ولقد اتجه دين الفطرة الى عقول المشركين من
قريش فما استجاب له منهم الا قليل . واقام
اكثرهم على شركهم بغيا وعنادا وفتنة بعبادة
الآباء . واتجه الى فطرتهم بأسئلة كانت انفذ فيهم
واجدى معهم .

فلترك بقية حديث اليوم لآيات من هذه
الأسئلة الصاعدة الدامغة بقوله عز وجل :

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ
وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ
وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ
لَا تَفْرِقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ
وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
غُفِّرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَارْحَمْنَا
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ »

صدق الله العظيم

د . بنت الشاطي

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادئ الكلية للأخلاق

لا نفرق بين أحد من رسله

هذا بلاغ للناس في زمان لا يميز بين الغيرة على الدين والارهاب

الشهادة للاسلام - فيما نقل العلامة الفرنسي الاستاذ جوستاف لوبون عن صفوة من علماء الغرب الحديث -
بان (له وحده كل الفخار بانه اول دين يمن على العالم بالتوحيد المحض)
هذه الشهادة منظور فيها كما بينت في حديث سابق ، الى ان الاسلام مصدق لما سبقه من رسالات الدين ، ما من
رسالة منها الادعت الى التوحيد ، بشهادة آيات القرآن على وجه الاستقراء . وانما التوحيد المحض تصديق بما
وثق من انباء الرسل قبلنا ، وما قدم من خلاصة لجوهر الدين كله ، غير مشوب برواسب علقته به على فترات من
الرسول ، وتوارثت البشرية المتدينة مخلفاتها على المدى الطويل من جاهليتها القديمة ، عصر ما قبل الطوفان الى
عصر تعدد الالهة ثم عصر عبادة الابطال والقادة الزعماء والاباء .

■ ■ ■
شهادة الاسلام : (ان تشهد ان لا اله الا الله ، وان محمدا عبده
ورسوله) ومن المعلوم للمسلمين كافة من دينهم بالضرورة . ان هذه
الشهادة اولى القواعد الخمس التي بني عليها الاسلام .
شهد بها المسلمون الاولون عصر المبعث والذين جاءوا من
بعدهم ممن دخلوا في دين الاسلام طواعية على امتداد الزمان
والمكان .

(٢)

وبها تتجارب افاق العالم الاسلامي الرحب
في كل اذان للصلاة . وبها نختم كل صلاة
مفروضة او سنة وناقلة بالشهادة تشهد فيه
ان لا اله الا الله ، وان محمدا عبده
ورسوله .

ما التفت اليه اليوم هو ان الشهادتين
بالوهمية الله وحده ، وبمحمد عبده
ورسوله . متكاملتان من حيث هما معا القاعدة
الاولى من قواعد الاسلام الخمس ، لاتنفرد كل
منهما بقاعدة فيكون عدد القواعد ستا خلافا
لنص العدد في الاصل المتفق عليه من (كتاب
الايمان في الصحيحين) باب بنى الاسلام على
خمس : شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا
رسوله . ولقائم الصلاة . وايتاء الزكاة .
وصوم رمضان . وحج البيت لمن استطاع
اليه سبيلا .

وبشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده
ورسوله تنتفي كل شائبة عن التوحيد
المحض ، وينتفي كل لبس في اصطفاء نبي
الاسلام عبدا لله ورسوله ، ويغلق كل منفذ
للشرك بالله سبحانه ، هو الخالق المعبود
وحده لا شريك له . اياه نعبد واياه نستعين .
وبشهادة التوحيد المحض ، تنقرب بشرية
الرسول عليهم السلام ، اصلا من اصول
العقيدة الاسلامية ، على وجه المماثلة
لبشرية الناس ، يأكلون الطعام ويمشون في
الاسواق ، وتجوز عليهم اعراض البشرية من
يتم وتكل وفرح وغبطة وحزن ، وألم ومرض
وموت ، مصداقا لايات الله تعالى في بشرية
رسوله جميعا ، وقد كانت هذه البشرية فتنة
لمن جحدوا ان يبعث الله بشرا رسولا .
(وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام

ويمشي في الاسواق) الآية : وقال تعالى :
(وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم
الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا

رسولا)
مثلما كانت فتنة لبعض من آمنوا بهم .
فعجبوا ان يجوز عليهم الموت كما يجوز على
كل نفس وقال الخالق الحي الباقي :
(وما محمد الا رسول قد خلت من قبله
الرسل . افئن مات او قتل انقلبتم على
اعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله
شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين)
وفي (باب سجود السهو) في الصحيحين من
حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ،
قول النبي صلى الله عليه وسلم : وقد نسيت
صلاته

(انما انا بشر مثلكم انسي كما تنسون ، فاذا
نسيت فذكروني ..) الحديث
وفي الموطا والصحيحين من حديث ام
المؤمنين ام سلمة رضي الله عنها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال :
« انما انا بشر وانكم لتختصمون الى قلعل
بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض ،
فاقضى له على نحو ما سمعت ، فمن قضيت له
بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا فانما
أقتطع له قطعة من النار . »

وافرغ فيما بقي لي من حديث اليوم ، لايتين
في ختام سورة البقرة اول الوحي المدني ،
اكثر من تلاوتهما واطيل التفكير فيهما بعد ان
من الله على بخدمتهما في عام سبق ، في دروس
التفسير لطلاب الدراسات العليا بكلية
الشريعة بجامعة القرويين ، فما بلغت منهما
الادون ما ياخذني من جلالهما واعجاز بيانهما

وشمولهما لمبادئ كلية من اصول شريعتنا
ومنهاجها الاخلاقي للسلوك .
انقلهما هنا معا ، تبينا لسياقهما المحكم

في قوله عز وجل :

(آمن الرسول بما انزل اليه من ربه
والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من
رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك
ربنا واليك المصير ، لا يكلف الله نفسا
الا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما
اكنتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او
اخطانا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا
كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا
ولا تجعلنا مالا يهتك لثوبتنا واعف عنا
واغفر لنا وارحمنا انك انت مولانا)
فانصرنا على القوم الكافرين

من اصول العقيدة في الآية الاولى ،
التوحيد المحض ، ايمانا بالله تعالى وبما
انزل من الوحي على خاتم رسله عليهم
السلام .
ومن الايمان بالله التصديق بغيب
الملائكة - وبالغيب عامة - والتصديق بكل
الرسول قبل ختام النبوة ، وما جاء في القرآن من
انباؤهم ورسالاتهم ، لانتجاوزه الى ما نسخته
الله من الشرائع قبلنا ولا الى غير ما جاء في
القرآن عنهم ، مما لم يرد لنا الله تعالى ان
نتعلق به .

مع الايمان بان لكل امة كتابها الذي تدعى
اليه ورسولها الشهيد على ما حملت من رسالته
قال عز وجل : (كل امة تدعى الى كتابها) .
وقال خطيبا لخاتم رسله عليهم السلام :
(فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك
على هؤلاء شهيدا)

★ ★

وقوله تعالى ، عن المؤمنين الموحدين :
(لا نفرق بين احد من رسله) اصل من
اصول عقيدتنا ومنهاجها في السلوك . وهذا
النفي للتفريق بينهم يتعلق بكونهم الذين
تفضل الله تعالى فاصطفاهم رسلا له لهداية
البشر - والله يمن على من يشاء من عباده -
لا من حيث شرائعهم وترتيب درجاتهم ودلائل
نبوتهم ، واختلاف الامم التي بعثوا فيها .
فذلك قول الله عز وجل ..

(لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)

وقال رسول الله ، عليه الصلاة والسلام في
خطبة الوداع وصيته الاخيرة لامته : « ولقد
تركت فيكم ما ان تمسكتم به قلن تضلوا ابدا
كتاب الله وسنة رسوله .

ومما يوجب اليقظة قوله تعالى :
(لا نفرق بين احد من رسله) من المبادئ
الكلية لمنهاج السلوك ، ما ينبغي لنا من
التسامح مع اهل الكتاب الذين لا يدينون
بديننا . وما اوجبه علينا الاسلام من تصديق
بالرسل جميعا وعدم التفريق بينهم من حيث
هم رسل الله تعالى الى خلقه . وليغفر الله لمن
فرطوا في هذا المبدأ ، فكانهم يؤمنون ببعض
الكتاب المحكم ويكفرون ببعض ، وانما قول
المؤمنين (سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك
المصير) ايمانا بيقين البعث والمصير الى
الله تعالى . يحمي الانسان في رحلة حياته
الشاقة المضنية من عقم العيشية ولعنة
العدمية المدمرة لارادة الحياة ، ويعيننا على
المجاهدة في المقدور لنا من العمر

■ ■ ■

موعدنا غدا بمشيئة الله مع الآية الخاتمة
للسورة الاولى من الوحي المدني
(والسلام على من اتبع الهدى)
صدق الله العظيم

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا أَوْ سَعَةً لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا
لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْصَانَا رَبَّنَا
وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ
لَنَا بِهِ وَاعْزِبْ عَنَّا وَاعْفُ عَنَّا
وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ •

صدق الله العظيم

د . بنت الشاطيء

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادئ الكلية للأخلاق

دين الفطرة ، ودعاء المؤمنين

حديث اليوم موصول بحديث الامس في الايتين المحكمتين اخر (سورة البقرة) اول الوحي المدني ، تدبر لما جمعنا من اصول العقيدة ومنهاج السلوك ، ومنها ما سبق أمس في اولي الايتين : الايمان بالله وبما أوحى الى خاتم رسله ، والتصديق بغيب الملائكة سماعا ، في عامة ما يعرف في الدين بالسمعيات الغيبية - نصدق بها سماعا ولا نخوض فيما استأثر الله تعالى به من غلم غيبها ، والتصديق بكتب الله ورسله (لانفرق بين أحد من رسله) من حيث هم جميعا رسل الله تعالى الى عباده ، مع الايمان بان لكل أمة كتابها الذي تسال عنه ورسولها الشهيد على ما حملت من رسالته وشريعته ، اعتبارا بقول الله عز وجل : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وأصلا من اصول عقيدتنا في سماحتها ونبلها ، ومنهاج سلوكها الأخلاقي في معاملته أهل الكتاب : اليهود والنصارى ، وآية تقدمها إلى عصرنا يقذف الله بها الحق بالباطل فيدمغه فاذا هو زاهق .

ولعلها تبلغ سمع الذين يروجون في زماننا لما يعرف في مصطلح الوقت بالارهاب الاسلامي ، ويرجعون بما سموه (قنبلة اسلامية) مرهوبة مرعبة ، يحتمل أن يملكها بلد إسلامي في مشرق أو مغرب .

ولم تحمل للمسيحية تبعة الارهاب المفرع في إيرلندا الشمالية ، ولا حملت اليهودية إصرا الارهاب الاسرائيلي بقنابلها الذرية والعنقودية وما تنتج برامجهما النووية المشتركة مع الولايات المتحدة الامريكية .

موعدنا اليوم مع أخرى الآيتين في ختام
السورة الأولى من الوحي المبدئي . تجلوا
ملامح الشخصية الإسلامية السوية النقية .
وتوصل في منهاج سلوكها فضيلة التواضع
للخالق عز وجل . والسمع والطاعة لأوامره
ونواهيه . والخشوع لآياته وكلماته . لأنؤمن
ببعض ونكفر ببعض . وتكبح جمناح
غرورنا . بما يجوز على بشرتنا جميعاً من
نسيان وخطأ . ولعلها تغض من كبرياء من
يزين لهم أشياعهم أنهم قادة الدنيا وسادة
البشر . المعصومون من الخطأ والضلال .
قوله تعالى :

(لا يكلف الله نفساً إلا وسعها .
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) تبدأ
بها آية دعاء المؤمنين . بأن الله جل
جلاله لا يكلف نفساً إلا وسعها . أصلاً
من أصول الشريعة . يقرر حكمته
تعالى ورحمته بعباده . ويقدر طاقة
بشرتنا وقصورها عن التكليف بما
ليس في الوسع . ويسقط العذر عن
عدم الطاعة للتكليف بما في الوسع .
وكل الرخص الشرعية منظور فيها إلى رفع
العنت والمشقة . قال تعالى : في رخص الإفطار في
شهر رمضان : (ومن كان مريضاً أو على سفر
فعدة من أيام أخر . يريد الله بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر) الآية . وقال يمين على
المؤمنين بما وصف به الرسول عليه السلام .
(لقد جاءكم رسول من أنفسكم
عزيز عليه ما عنتم حريض عليكم
بالمؤمنين رءوف رحيم) .

وقرئنا على هذا الأصل من الوحي
التكليف بما ليس في الووسع . قال
تعالى : (لا يكلف الله نفساً إلا
وسعها . لها ما كسبت وعليها ما
اكتسبت) تقريراً للحساب والجزاء
ثواباً وعقاباً . بما يحمي الإنسان من
جموح الهوى وشطط السلوك وضلال
السعي . ويقرر مسؤوليته عن الأعمال
النفسية لا على ما ليس في طاقته
ووسعه . فلا ينكص المكلف عن
تبعات كسبه ورشده . بأن يقول كما
قال المشركون فيما نزلت من آيات الله
(وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء نحن ولا آبائنا ولا حرمنا من
دونه من شيء . كذلك فعل الذين من قبلهم .
فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) ؟
(وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله . قال
الذين كفروا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن
أنتم إلا في ضلال مبين)
أو يتنصل من المسؤولية عن عمله بأن
يلقيها على من أضلوه . ويقول يوم الحساب :
(ربنا هؤلاء أضلونا) الآية .
والأصل في الشريعة : (كل نفس بما
كسبت رهينة) (وإن ليس للإنسان إلا ما
سعى . وإن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه
الجزاء الأوفى)
وعفو الله مرجو لمن استغفره تعالى وتاب
وأناب . وهو دعاء المؤمنين في الآية :
(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا .
ربنا ولا تحمل علينا أصراكم حملته على الذين
من قبلنا . ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به .
واعف عنا وَاغفر لنا وارحمنا . أنت مولانا
فانصرنا على القوم الكافرين) .

أول الدعاء فيها (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا
أو اخطانا) وفيه من الفقهيات الدقيقة
عامة يعرف من تجاوز الله تعالى لعباده عن
السهو والخطأ ، فذلك مما يجوز على
بشريتهم ، وقد صح الحديث المشهور عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ان
الله رفع عن أمي - وفي رواية : وضع عن
أمي - الخطأ والنسيان وما استكرهوا
عليه » - اخرج الحاكم في المستدرک
وصححه ، على شرط الشيخين - فما وجه
الاعتذار عما هو موضوع عن الأمة اصلا ؟
ثم ان الشريعة لم تعف عن فوائت
الفرائض سهوا ونسيانا ، بل حكمت بقضاء
الفوائت في سجود السهو ، وفي فائت الصلاة
عن وقتها ، بل حكمت كذلك بقضاء فوائت
صوم رمضان برخصة شرعية فمن افطر لعذر
من مرض أو سفر ، (فعدة من أيام أخر)
بعدد الأيام التي افطر فيها ، وشرع الله
الفدية ، طعام مسكين ، لمن يستفرغ الصوم
طاقته كالشيخ المسن والضعيف خلقة أو
لمرض مزمن .
وكذلك القتل الخطأ ، لم يرفع الله عن
القاتل حكمه ، بل قضى فيه بالدية والكفارة .
والجواب عن هذا ، أن النسيان عن سهو
يرفع المأثم ولا يرفع اصل الحكم ، قال تعالى :
(فاقم الصلاة لذكرك) وقال : (واذكر ربك
إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من
هذا رشدا) فإليه يتجه الدعاء والاستغفار .
وفي الصحيحين من حديث « انس بن
مالك » رضي الله عنه ، عن النبي عليه الصلاة
والسلام ، قال : « من نسي صلاة فليصل إذا
ذكرها ، ولا كفارة لها إلا ذلك » وفيهما من
حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن
النبي صلى الله عليه وسلم ، قال وقد سها في
صلاته : (انما أنا بشر مثلكم أنسى كما
تنسون ، فإذا نسيت فذكروني) الحديث .

كذلك الأمر في القتل الخطأ يرفع المأثم عن
القاتل ولا يرفع الحكم في اصل الشرع ، بل
يقضى عليه بالدية والكفارة . وإلى هذا يتجه
المروى عن الإمام احمد رضي الله عنه ، قال :
« من زعم أن الخطأ والنسيان مرفوع ، فقد
خالف الكتاب والسنة » يعنى من زعم
ارتفاعهما على العموم ، في اصل التكليف .
(ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) أى ما
يشتد ويثقل من التكليف ، جاز ان يعبر عنه
بما لا يطيق ، كقولك ، ما أطيق كلام فلان ولا
أقدر أن أراه ، لا يراد به نفى الطاقة والقدرة ،
بل المراد أنه يثقل عليك كلامه ورؤيته .
واختتم دعاء المؤمنين في الآية :
(واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت
مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) .
قال علماؤنا : خرج الدعاء في الآية مخرج
التعليم للعباد كيف يدعون . وروى عن
« معاذ بن جبل » رضي الله عنه أنه كان إذا
فرغ من قراءة هذه السورة قال : آمين .
وعن الإمام « علي كرم الله وجهه » في
الآيتين الأخيرتين منها ، قال : « ما أظن ان
احدا عقل وأدرك الاسلام ، ينام حتى
يقراهما » .
وأخرج الإمام مسلم في (باب فضل الفاتحة
وخواتيم سورة البقرة) من صحيحه ، حديث
أبي مسعود الأنصاري ، رضي الله عنه ، من
عدة طرق ، قال ، قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : (من قرأ هاتين الآيتين من آخر
سورة البقرة قبل أن ينام ، كفناه) أى كانتا
كافيتين له من قيام الليل ، وقيل : من وسوسة
النفس الأمارة بالسوء .
(والسلام على من اتبع الهدى)

صدق الله العظيم .

إلى أعداء معاديتهم المعظمة يخالف العهد والعطف ، فاستل من واقع رؤيتي لتاريخنا بين ماض وحاضر : هل الخطأ في أصل الفكر الديني ، أو في سوء فهمه والجهل به والانحراف عنه والتأويل الغبي الفج لنصوصه ؟

« بعبارة أخرى : هل تكون الشخصية الإسلامية بطبيعة فكرها الديني غير صالحة للبقاء ؟ أو أن هذه الشخصية تعرضت لذرائع تشويه فادح يجعلها غير قادرة على الانسجام مع قانون التطور والتغيير والاستجابة لثوابت السنن الكونية للحياة والانسان ؟ »

« أننا نتكلم عن الفكر الديني دون أن نميز فيه ماهو من أصله النقي وماهو دخيل مدسوس عليه أو عارض طارئ » .

ونتحدث عن شخصية الانسان المسلم ولا ندري على التحقيق مانعني بها . وفي المجتمعات الإسلامية اليوم انماط متباينة متنافرة .

« ومع التسليم بان كل انسان منا عالم وحده ، إلا أن هذا التمايز ليس بحيث يطمس ملامح شخصية عامة تنميه إلى أهله وقومه وأمته ، فما تكون هذه الشخصية الإسلامية التي يصح بها النظر في فكرها وعقليتها ووجدانها وأخلاقها ، وموقفها من الكون والحياة والانسان ، ليصح من ثم الحكم عليها بالقدرة أو العجز عن الاستجابة لنضج الحياة ، والصلاحية أو عدم الصلاحية للبقاء .

« لقد بعد العهد بماضينا في غموض السيادة والعزلة والمنعة ، والحضارة القائدة الرائدة ، لنواجه العصر الحديث بمخلفات ليل الاستعمار ، وتركته المشحونة بمخلفات غزو معنوي ألح علي شخصيتنا بالمسخ والتشويه ، وكان من أوضح اثاره فقدان التعاصر بين أبناء الجيل الواحد والبيت الواحد ، نلتقي فيه ونحن فيما بيننا غرباء » . وحسبنا أننا بهذا الكيان الممزق

بالغربة المتصدع بالتنافر ، تستطيع ان تتابع الحياة ، وشغلنا ترف الصراع الايديولوجي وفتنة الخصومة الحزبية . حتى أخذنا العدو على غرة . فلم يجد فينا صبر بضع ساعات يصبر على مثلها وأكثر منها . لقاء فريقين في ملعب كرة من فرق الاندية الرياضية أو من صبية الازقة والزنقات والحارات .

« وقيل فيما قيل . قدر مكتوب علينا لاحيلة فيه ولا راد له . ومن ثم القى الشباب أصر الهزيمة على شخصيتنا بهذه العقلية المعطلة للأسباب ، ومنطق تفكيرها المجافي لسنة الله في الحياة . ومنطق العصر وروح العلم . . .

اليوم وبعد ربع قرن من الزمان - ما كان أطول أيامه ولياليه - اطل على وجودنا في هذه المرحلة البانسة فارى الزمان قد جاز علينا . أو بعبارة أصح : أزاننا جبرنا على أنفسنا فاضفنا إلى أبعاد شتاتنا المبعثر في تيه الغربة . صراعاً متناحراً بين أصول أعراقنا وشرعية انتمائنا إلى أباؤنا وأجدادنا وبين هويتنا المحدثنة الطارئة ، وزادت الازمة حدة وتغقيدا يتعدد انماط هذه الهوية وتلك . وتشابهت الأقنعة والذرائع فانتقل الصراع من مجاله المحدود بين دعاة التنوير والمحافظين الاصلاء ، موغلا في أعماق كياننا متلبسا بأوضاع سياسية وحزبية ومطالب أمنية يزوغ فيها البصر ويحار فيها الدليل . فيصبح أهلنا من هؤلاء وهؤلاء منبوذين في أوطانهم هنا وهناك وهناك ، غرباء في دورهم وديارهم .

وفيما تحتشد اسرائيل لغرس مستوطناتها السكنية في أرض فلسطين المغتصبة وتشريد أهلها في مخيمات اللاجئين ومنايا الاغتراب ، تغيب عنا محنة التغريب في ديارنا بين أهلنا وذوي القربى من أترابنا وزملائنا .

وما زال للحديث شجون وشئون ، والله المستعان .

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

قَاتِلِ الْأَعْرَابَ، مَنْ قَاتَلَهُ تَوَمَّنَا وَلَكَ
ثَلَاثُونَ أَجْرًا، وَمَنْ قَاتَلَهُ خَيْرَ الْأَيَّامِ فِي قُلُوبِكُمْ
ثَلَاثِينَ أَجْرًا، وَرَسُولُهُ لَا يَلْتَكُمُ مِنْ أَعْمَالِكُمْ
شَيْئًا، إِنْ أَلَّاهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ، إِيَّاهُ الْمُؤْمِنُونَ
الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا
وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ»

صدق الله العظيم

د. بنت الشاطيء

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادئ الكلية للأخلاق

الاسلام والايمان في ختام رسالات الدين

قضية (الاسلام والايمان) هي المدخل الى كثير من قضايانا الشاغلة من ديننا شرعة ومنهاجا، واخص بالذكر منها قضية حرية العقيدة ومبدأ حظر الاكراه في الدين، وقضية الردة، وحكم النفاق، وشرعية القتال، وفرض الجزية على من بقى على دينه من اهل الكتاب في حركة الفتوح الكبرى التي رفعت لواء الاسلام على الساحة الرحبة من وادي السند الى مظل جبال الاطلس على بحر الظلمات - المحيط الاطلسي - قبل نهاية القرن الاول من الهجرة .

والمسلمون كافة، يعلمون من دينهم بالضرورة أن (شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله) أولى القواعد الخمس التي بنى عليها الاسلام، ولعلمهم يعرفون كذلك أن الايمان اخص من الاسلام ..

لكن القضية على ما يبدو من يسرها قد شابها لبس كثير في فهم أبناء اليوم، لا يجوز اغفاله وتركه، مباحا لبدع التأويل وشبهات المبطلين .
وأول ما ينبغى التنبيه اليه، هو ما يغلب على الفهم العام لهذا الزمان، أننا حين نقول : الاسلام والايمان، فذلك على وجه المقابلة والتضاد : وهذا لبس خطير يوهم أن الايمان يغنى فيه الاعتقاد بالغلب عن النطق بالشهادة ومشاق التكليف .
باركان الاسلام، جهلا بحقيقة الايمان، وأنه ليس نقيض الاسلام بل هو تمامه، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا .

وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل
أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة
متفق عليه .

ثم من يدري ماذا تكسب نفس غدا ، والله
تعالى يقول : (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا
وما تدري نفس بأى أرض تموت ، إن الله عليم
خبير) .

وقد صح الحديث عن النبي صلى الله عليه
وسلم ، قال : « إن الرجل ليعمل الزمن الطويل
يعمل أهل الجنة ثم يختم بعمل أهل النار ،
وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل
النار ثم يختم له بعمل أهل الجنة »
متفق عليه .

وفي (الموطأ) (المستدرج) من حديث أبي
هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : « بينا رجل يمشى بطريق إذ
اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها
فشرب وخرج ، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من
العطش ، فقال الرجل - في نفسه : لقد بلغ
هذا الكلب من العطش مثل الذى بلغ منى فنزل
البئر فملا خفه ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى
الكلب فشكر الله له فغفر له » قالوا : يا رسول
الله وإن لنا فى البهائم لأجرا ؟ فقال : « فى كل
ذات كبد رطبة أجر » . والحديث المشهور عن
النبي صلى الله عليه وسلم . عذبت امرأة فى
هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار ،
لا هى اطعمتها وسقتها إذا حبستها ، ولا هى
تركها تأكل من خشاش الأرض ، أى من
حشراتنا وهوامها . .

وبحس مرهف ندرك أن الإسلام حيثما
أطلق فإنه يتجه إلى شهادته نطقا وقرارا ، مع
العمل بأركان الدين ، وأن الإيمان يزيد
الاعتقاد بالقلب على الإقرار بالشهادة نطقا
والقيام بالأركان عملا . وإذا كان الإيمان منوطا
بالقلب ، لم يعتبر شرطاً فى شهادة الإسلام لأن
ذلك يقتضى الحكم بالنيات والسرائر ، خلافا
للأصل المقرر فى العقيدة الإسلامية ، أن
العلم بالسرائر والقلوب ، موكول إلى الله
وحده ، هو الذى (يعلم السر وأخفى) .
(يعلم ما فى الصدور) . وفى
كثير من النظائر . .

وبما استأثر الله تعالى به من علم القلوب
والسرائر ، صح أن نقول : دين الإسلام ،
ونبى الإسلام ، وكتاب الإسلام ، وشريعة
الإسلام ، وعلوم الإسلام ، ومنهاج الإسلام
للسلوك ، وتاريخ الإسلام ، وفتوح الإسلام ،
وحضارة الإسلام ، ولم يجز إضافة شىء من
هذا كله ، وأمثاله معه ، إلى الإيمان لما فى ذلك
من مجافاة للفطرة السوية بالخلط بين ما هو
لله تعالى وحده من العلم بغيب السرائر
وما تخفى الصدور ، وما هو فى نطاق إدراكنا
وعلمنا .

وأقرب ما ينشأ من هذا اللبس ، تورط
بعض المتدينين ، غفر الله لى ولهم ، فى أثم
تكفير المسلمين حكما عليهم بسرائرهم ،
ولا يكتفون بالحكم على الأعمال أو الأقوال
بالمخالفة للشريعة . . وفى صحيح الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « أن
الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس

(٣)

ونصوم شهر رمضان تقوى ومجاهدة
لارقيب علينا الا الله والنفس اللوامة .. واذا
لم تعصم الصائم تقواد من كلمة سوء يقولها
أو عمل واجب يعطله أو أمانة يفرط فيها .
فليس لله تعالى حاجة الى ان يمسك هذا العبد
عن طعامه وشرابه . ويحج الى البيت العتيق
من يستطيع الى الحج سبيلا . فنؤدي مناسك
حجنا شعائر عبادة من تقوى القلوب .
ونلتقى في الموسم الجامع أبناء أمة واحدة .
وقد تماحت بينهم كل الفروق فليسوا على
اختلاف اجناسهم وألوانهم وديارهم
ودرجاتهم ومستوياتهم . سوى عباد الله
سعوا الى البيت ضارعين واستجابوا له
ملبين . وهو سبحانه يعلم المؤمنين منهم
والمرائين . ولن يناله من مناسك حجنا . إلا
التقوى منا .
(لن ينال الله أجرنا ولا أجرهم ولا أجر من
يناله التقوى منكم) .

هذا الايمان موكول الى ضمير الانسان . أو
" النفس اللوامة " بالتعبير القرآني هي التي
تفرض عليه أن يذكر الله في كل أمره . وعليها
يعتمد الاسلام أساسا فيما يأخذ به أمته
شعائر من العبادات وتكاليف الدين ومنهاجه
للسلوك . كل مؤمن رقيب على نفسه خاضع
لمحكمة ضميره . وهو أدري بما يفرط فيه
وما يندم عليه ويستغفر الله له . وقد يفلت من
محاسبة المجتمع ولا يفلت من حساب هذه
النفس اللوامة . وكل قوانين الشرائع
الوضعية عاجزة عن ان تحكم الضمير الا
بالقسر والاعتصاب .. والتزوير والتصنت
على طريقة أحدث اذاعة امريكية (سى إن
إن) ..
(ربنا لاترغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا
من لدنك رحمة ، انك أنت الوهاب) .
صدق الله العظيم :

والايمان منوط بالقلب . والقلب في القران
الكريم لاياتي بدلالته العضوية التي لكافة
أنواع جنسنا الحيواني . بل هو فيه موضع
الايمان واليقين والتقوى والسطهر
والخشوع .. كما انه موضع الريبة والحسرة
والهوى وموضع الزيف والنفاق والقسوة .
وسائر افعال القلوب التي لايعلمها الا الله جل
جلاله . كلنا مسلمون . والله وحده يعلم من
يكتفى من مجرد الانتماء الرسمي الى الاسلام
أو يمارسه قولاً وشكلاً ومظهراً .
ويعلم (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر
الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب)
(اولئك الذين كتب في قلوبهم الايمان و ايدهم
بروح منه)
(ولكن الله حبيب إليكم الايمان وزينه في
قلوبكم ..)
وبالايمان تفرق الشعائر عن السطقوس .
قال تعالى : (ذلك ومن يعلم شعائر الله فانها
من تقوى القلوب) .
التوحيد . وهو جوهر الدين كله . ننطق
بشهادته والله يعلم من منا لا يدين بالعبودية
لغيره . وهو سبحانه يعلم الذين اسلموا ولما
يدخل الايمان في قلوبهم . (من الذين قالوا
أما بافواهم ولم تؤمن قلوبهم)
(يرضونكم بافواهم وتابى قلوبهم
وأكثرهم فاسقون) .
ونقيم الصلاة خشوعاً وايماناً وتقوى .
وويل للمصلين (الذين هم عن صلاتهم
ساهون) غافلون عن كونها قياماً بين يدي
الخالق عز وجل . تنهى عن الفحشاء
والمنكر .
ونؤتي الزكاة طواعية . تكافلاً وتعاضوا
على الخير العام . فنجد في ايتائها من غبطة
الايمان وأريحية البذل وشكر النعمة مالا
يجده أندى يؤدي ضريبة المال مكرها .
ويمحق الله الربا ويربى الصدقات .

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنفُسِهِمْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
تَصْرِيفُهُمْ قَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ
يَقُولُونَ إِنَّا لَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِهِمْ شَيْئاً وَلَئِنْ كُنَّا إِلَّا أَنْ يَفْعَلَ اللَّهُ
بِهِمْ شَيْئاً يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ عَنْ عَصَاهِهَا فَأَنبَغُ
وَسَنُوتٌ وَمَن يَكْفُرْ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا
وَلْيَصْرَخِ اللَّهُ مِنْ يَصْرَعِهِ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝

صدق الله العظيم

د . بنت الشاطيء

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادئ الكلية للأخلاق

القتال يوم بدر كان رفضاً للظلم ودفاعاً عن حرية العقيدة ودور العبادة وحرمة الانسان

على الرغم من محاولات مدعي العصرية طمس تاريخنا الاسلامي والغرض منه والتندر بتقويمنا الهجري على
الشهور القمرية ، لم تنس امتنا يوم بدر في مواعده من الشهر المعظم في السنة الثانية للهجرة ، ولا حال ضجيج
الوقت وصخب الاحداث وهموم المرحلة ، بينها وبين الاحتشاد للاحتفال بذكرى النصر الحاسم في أولى المعارك
الحربية في تاريخ الاسلام .

وكنتم فيما مضى أكره لقومي أن يقتصروا في إحياء الذكرى على
سرادق يقام ومقالات تنشر وأنشيد ترتل وأغنيات تلحن وتذاع ، ثم
ينفض السامر وتودع مسجلات الأنشيد والأغاني في مستودعات
ماسبيرو ، في انتظار الموعد التالي لذكرى بدر ، لم نأخذ منها درسا
ولا عبرة ، (وكاننا يا بدر لا رحنا ولا جينا)

(٢)

اليوم ينشع قلبى لىما صفت به فى سنوات مضت ، فارى فى مراسم الاحتفال على اختلاف أنماطها ، تقليدية أو عصرية ، ما يؤنس وحشتنا فى هذا الزمان الشقى البائس ، بأن شعوب أمتنا لم تنس أيامها التاريخية على تطاول الاماد وتنائى الابعاد .

فهل يكون موقفى هذا فى الرضى بما كرهت من قبل ، أثر التواضع الطموح يحملنى على القناعة بأقل القليل ؟

أو هو من التقدير لما فى الاحتفال بالذكرى على أى وجه ، من تحدى الأمة لما يراى بها من نسيان أيامها التاريخية والانفصال عن تقويمها الهجرى القمري الذى يؤرخ لكل ما مضى من تاريخها الاسلامى من ليلة القدر إلى مطلع العصر الحديث ؟

كلا الامرين غير مستبعد ..

القتال يوم بدر كان فى مثل يومنا هذا السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ، الخامسة عشرة للمبعث ، وقد مضى العهد المكي كله ، استنفدت فيه قريش كل ما لديها من وسائل المقاومة للاسلام تكديبا به وصدا عنه ، واضطهادا للمسلمين الاولين واللاحق عليهم بالفتنة والتعذيب وبالحصار المنهك لثلاث سنين بعد أن فشلت محاولات المفاوضة والمساومة .. اتقاء صدام مسلح فى البلد الحرام ، منزل قريش ومثابة حج العرب ومركز مواسمها الدينية والتجارية والمسلمون يزدادون على الاذى والاضطهاد والمقاطعة صبرا واحتمالا وثباتا على عقيدتهم ، وقد هاجر عشرات منهم الى الحبشة فى سبيل دينهم الحق ، فلم تصبر عليهم قريش ، وساءها أن يجدوا مامنا فى جوار نجاشى الحبشة وليسوا على دينه ، فطاردهم فى مهاجرهم ، وأوفدت الى النجاشى رجلين من دهاتها ، لحمله على أن يردهم الى قومهم فهم أدري بهم . وخابت الوفادة ، فجبن

عقبت قريش واستدت وظائفها على المسلمين فى عام الحزن ، العاشر من الهجرة الذى ماتت فيه السيدة خديجة أم المؤمنين الاولى رضى الله عنها : زوج النبى عليه الصلاة والسلام ووزيره وربة بيته وأم عياله .

ومات بعدها شيخ الهامشيين « ابوطالب بن عبدالمطلب بن هاشم » عم المصطفى وكافله وصديقه وماتعه من قومه قريش .

ولم يكن ، صلى الله عليه وسلم حتى ذلك العام قد خرج بدعوته من أم القرى ، منزل الوحي ومهد المولد ، إلا أن يلقي وفود القبائل فى الموسم فيدعوهم إلى الاسلام ، ففي مكة قبل سواها كان ينبغى أن تستقر الدعوة بحكم التاريخ الدينى العريق للبلد الحرام والبيت العتيق . لكن عشر سنين من الصراع المريبين الاسلام والوثنية القرشية ، بلغت بالجوالة المكية ذروة تعقدها وفرضت ان تاخذ الاحداث متجها آخر ..

وخرج صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه .. خرج وحده ، فلما انتهى إلى الطائف اتجه إلى ثلاثة أخوة ، هم يومئذ سادة ثقيف ، وكان أحدهم زوجا لقرشية من بنى جمح ، فردوه ردا قبيحا « فانصرف صلى الله عليه وسلم عنهم ، وقد ينس من خير ثقيف ، وأقصى ما طمع فيه منهم أن يستجيبوا لرجائه أن يكتموا أمرهم معه ، كيلا تزداد قريش جرأة عليه ، لكنهم أغروا به سفهاءهم يسبونونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس ، فالتجؤوه إلى بستان هناك لأخوين من بنى ثقيف ، ريثما ينصرف عنه الناس .

ورجع المصطفى إلى مكة محزوننا والموسم قد استهل ، فمضى على عادته يعرض الاسلام على وفود القبائل العربية ، وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافة والصدعنه ، الا قليلا ممن امن به .

الغاشمة ، لتدرك مدى ما يطيق المؤمنون احتمالاً في سبيل ما آمنوا به .
وأما الهجرة التاريخية إلى المدينة المنورة فلم تكن بذلاً واحتمالاً فحسب ، بل كانت كذلك تحركاً إلى موقع خطير على حافة الحرب ، بعد أن مضى العهد المكي كله لم يؤذن لهم فيه بقتال ، والمصطفى عليه الصلاة والسلام يدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويواجه الوثنية القرشية ، العتيقة بكلمات من وحى الله ، كانت على المدى الطويل السلاح الذي شهره في وجهها ..

ولم تكن الهجرة من مكة هيئة عليهم وفيها منزل الوحي والبيت العتيق ، ولا كان سهلاً عليهم أن يفارقوا مهد مولدهم ومغنى صباهم بل ظلت مكة المكرمة ، كما كانت ، مهوى أفئدتهم وقبلة أمتهم ، فما فيهم من فارقها إلا وقلبه مثقل بالشجن ، وكأنما كان المصطفى عليه الصلاة والسلام يعبر عن مواجعهم ومواجدهم ، حين وقف ساعة خروجه للهجرة ، يطل من عليّة دار صاحبه الصديق أبي بكر ، فيستوعب ربوع مكة بنظرة حزينة ويقول مودعاً :

« والله إنك لأحب أرض الله إلى الله ، وإنك لأحب أرض الله إلى ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت . »

في آيات الاذن لهم في القتال ، دفاعاً عن حرية عقيدتهم وحرمت انسانيّتهم ، وعن دور العبادة للمسلمين وأهل الكتاب ، وعد الله بيقين النصر لمن نصره ، ليحملوا رسالة الأيمان ومكارم الأخلاق ، قال عز وجل :
(الذين أن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمرؤا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور .)
صدق الله العظيم

ومضت الجولة في أولها ، مدعاة إلى قنوط كسابقاتها ، ومن حيث بدت الأبواب كلها موصدة في وجه الدعوة ، ظهرت « يثرب » على الأفق شمالي الحجاز تجذب إليها الأحداث من دائرته المغلقة في أم القرى .
ردته وفود القبائل ، وبلغ العقبة في آخر جولته تلك فلقى رهطاً من حجاج يثرب ، عرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن ، فاجابوه وقالوا : إنا تركنا قومنا - الأوس والحزج - ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى أن يجمعهم الله بك ، فسندم عليهم فندعوهم إلى ما أجبناك اليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك ..

ثم أخذوا طريقهم عائدين إلى يثرب دعاء إلى الاسلام أنصاراً لله ورسوله .

بعد سنتين اثنتين ، كانت بيعة العقبة الكبرى إيذاناً بتحول حاسم في حركة الدعوة الاسلامية . فتحت يثرب بالقرآن ، واستقبلت الهجرة التاريخية التي اختارها أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » ، ثاني الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، بداية للتقويم الاسلامي ..

ونزل المهاجرون على اخوانهم الانصار - الأوس والحزج - رضي الله عنهم جميعاً ، بيثرب التي استحدثت بالهجرة اسمها الاسلامي الجليل : « المدينة المنورة » ، وأغلقت دور المهاجرين بمكة المكرمة دار المبعث ومنزل الوحي ، وتركت مهجورة موحشة خلاء ..

لم تكن الهجرة الاولى إلى الحبشة ضناً بحياة ذلك الرهط من المسلمين الاولين ، وإنما كانت هجرة في سبيل العقيدة بذلاً واحتمالاً ، وسلاحاً شهروه في وجه الوثنية

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا
فِئَةٌ تَقَاتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى
كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ
وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ »

صدق الله العظيم

د. بنت الشاطئ

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادئ الكلية للأخلاق الايمان والبدريون في موازين القوى ورسالة الأمة بعد النصر

في حساب التاريخ أن المواجهة الأولى بين الاسلام والوثنية القرشية في دار المبعث ، تختلف تماما عما كان يواجهه في دار الهجرة من معركة بينه وبين أعدائه في ميدان ذي جبهات ثلاث ، يلقي فيه حشود قريش في صدام مسلح ، وعصابات يهود في مستعمراتهم الناشئة في يثرب وما حولها شمالي الحجاز ، وجيوب المنافقين الذين حالفوا الأعداء من يهود وتنداخل هذه الجبهات زمانا ومكانا فيزداد الموقف صعوبة وحرجا وتعقيدا ، من حيث لا يستطيع المؤمنون أن يتفرغوا للقتال في إحدى الجبهات ثم ينتقلوا إلى الثانية فالثالثة ، فيكون الأمر أخف عبئا وأيسر مشقة . ذلك ما كان في حساب التاريخ ، حين بدأ في ظاهري الأمر ان الاستسلام وجد في دار هجرتهم ، فلذا وما منا من كل خطر

الصديق ثم عمر بن الخطاب فتحدثا ما شاء
لهما إيمانهما عن فريضة الجهاد واليقين من
وعد النصر . ثم قام ، المقداد بن عمرو الكندي
حليف بني زهرة - وكان قد لحق بالمسلمين
مهاجرا - فقال : « يا رسول الله ، أمض لِمَا
أراك الله فنحن معك . والله لا نقول لك كما
قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام :
(اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون)
ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما
مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى
برك الغماد - بأقصى الجنوب - لجالدنا معك
دونه حتى تبلغه . »
دعا له المصطفى بخير ، ثم التفت إلى
الأنصار - ولم يكن أحد منهم قد تكلم بعد -
وقال عليه الصلاة والسلام : « أشيروا علي
أيها الناس . »
سأل نقيبهم سعد بن معاذ : « والله لكانك
تريدنا يا رسول الله ؟ قال : « نعم » فقال سعد :
« فقد آمننا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به
هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا
ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض
يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي
بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر
لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما
نكره أن تلقى عدونا غدا ، إنا لصبر في الحرب
صدق في اللقاء ، فسر بنا على بركة الله . »
وسار بهم المصطفى على بركة الله ، حتى
نزل على ماء بدر ، ليسمع أن في جيش
المشركين بالعدوة القصوى صناديد قريش ،
ثم لمح جموعهم تندفع من وراء كثيب هناك
هادرة بزئير الوعيد ، ثملة بنشوة الخيلاء
ومتعة الصيد ، فرفع ، صلى الله عليه وسلم ،
وجهه إلى السماء وقال يدعو ربه :

في أي الجبهات الثلاث يبدأ الصدام
المسلح الذي لم يكن منه بد لتأمين الوجود
الإسلامي وحماية حرية عقيدته ؟
ليس مع اليهود قطعا ، فما هو من
طبيعتهم ولا في إمكانهم ، وقد وادعهم النبي
صلى الله عليه وسلم عقب مقدمه إلى المدينة ،
فيكفيهم أن يقاتلوه بأسلحتهم المعروفة ،
الكيد والفتنة والتواطؤ والجدل المعنت ،
وهم آمنون على وجودهم في ظل وثيقة
المواعدة .
وليس مع المنافقين كذلك ، وقد تأخر ظهور
جيوبهم الخطرة ريثما سرى فيها سم
الشیطان بطيئا لم يكدر يلحظ إلا بعد أن ضرى
واستشرب .
واخذت الجبهة القرشية البادرة الأولى
للقتال على المكشوف ، يوم بدر .
لكنه تأخر إلى ما بعد منتصف السنة الثانية
للهجرة ، ريثما تحدد مجاله مابين مكة
والمدينة ، وتم التاهب والاحتشاد له .
ولم يأت القتال يوم بدر فجأة ، بل سبقت به
بوادير ونذر أذنت بحتمية الصدام المسلح
بين الإسلام والمشركون من قريش التي
خرجت جموعها من مكة مزهوة بعددها
وعدتها للقضاء على المسلمين في دار هجرتهم
وهي ترى الأمر هينا كأنها خارجة لرحلة
صيد .
ولم يؤخذ المسلمون على غرة ، فما كان
خروج مثل هذا الجيش الزاحف من مكة في
طريقه إلى المدينة ، بحيث يخفى ويكتم ،
فجمع النبي صلى الله عليه وسلم ، صحابته
من المهاجرين والأنصار ، وعرض عليهم
الموقف الصعب ثم قال يطلب مشورتهم :
« أشيروا علي أيها الناس » فقام أبو بكر

(٣)

وإسعاد في البغي والمعبودات وتأميناً لسطريق
تجارتهم إلى الشام ، وانتقاماً من المصطفى
والذين هاجروا معه ، ومن الذين أووا
ونصروا ، لا يبالون غضب قريش
والبديون خرجوا إلى الملحمة دفاعاً عن
حرية عقيدتهم وغضباً لما يتيموا من أذى
وظلم واضطهاد وتعذيب وحصار . ومتى كان
القتال بين حق وباطل ، فإن القلة المؤمنة
تغلب الكثرة الكافرة ...
وتحددت ببدر موازين القوى فلم يكن
القتال فيها بين كثرة وقلة فحسب ، بل بين
كثرة يعوزها الإيمان بوثنيتها الشائنة
البلهاء ، فليس فيها من يقا تل إلا للسمعة
والمغرم وحماية للجاء الموروث .
وبين قلة مؤمنة صابرة مستبسلة تدافع
عن حقها في حرية العقيدة ، وترى الموت في
سبيل دينها الحق ، حياة وشهادة وانتصاراً .
في صحيح الحديث عن أبي موسى
الاشعري ، رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى
النبي صلى الله عليه وسلم - فقال : الرجل منا
يقا تل للمغرم ، والرجل يقا تل في سبيل الذكر ،
والرجل يقا تل ليري مكانه ، فمن في سبيل الله ؟
فقال : « من قا تل لتكون كلمة الله هي العليا
فهو في سبيل الله » متفق عليه .
وفي سبيل الله قا تل البديون رضي الله
عنهم ورضوا عنه ، لا يبالى أحدهم كيف
مصرعه إذا قا تل وهو على دين الإسلام ، كما قا تل
ولست أبالي حين أقتل مسلماً
على أي جنب كان في الله مصرعي
قال الله عز وجل : في رسالة الأمة بغمد
النصر :
(الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا
الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف
ونهاوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور)
صدق الله العظيم

« اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها
تحادك وتكذب رسولك . اللهم نصرك الذي
وعدتني ، اللهم أحنهم الغداة ... »
كان عدد المشركين الزاحفين من مكة ، ألف
مقا تل كامل العدد والسلاح ، أو يزيدون .
ومعهم كتيبة فرسان على مائة فرس ، بقيادة
خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي .
وتجاههم بالعدوة الدنيا كان جند
المصطفى ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً
لا يزيدون ، من المهاجرين ثلاثة وثمانون ،
ومن الأنصار الأوس والخزرج مائتان وواحد
وثلاثون . ومعهم من الخيل ثلاثة أفراس
فحسب .
والتقى الجمعان على ماء بدر ، وحميت
المعركة والتفت المصطفى القائد إلى جنده
وقال : « شدوا »
وشدوا على عدوهم شدة صالقة ، فتركوهم
بين قتل وأسير ، وهارب يلتمس النجاة بعار
الفرار .
أحصى علماء السيرة النبوية قتل قريش :
سبعين رجلاً ، وأسراهم ستة وستين ،
والباقون من الجيش المغلوب لاذوا بالفرار .
واستشهد من البديين أربعة عشر شهيداً
: ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار ،
بذلوا أنفسهم فداء عقيدتهم وحرماتهم
رضى الله عنهم ورضوا عنه .

ولم يكن النصر عجيباً ولا شاذاً في منطق
السنن الثابتة ، فالقتال يوم بدر لم يكن بين
فئتين متكافئتين : من حيث العدد والسلاح
كان المشركون يزيدون أضغافاً مضاعفة ،
ولكن المعركة لم تكن متكافئة كذلك من حيث
القوى المعنوية والسجيا الخلقية :
المشركون خرجوا للقتال بطراً ورئاء الناس

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامُ
لَسْتُ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّنْ
قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ
كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا»

صدق الله العظيم

د . بنت الشاطيء

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادئ الكلية للأخلاق

ضمير الإنسان منطقة حرام

« هذا بلاغ للناس في عصر حقوق الانسان »

يشهد القرآن الكريم الحديث الشريف في تقرير مبدأ الحكم بالظاهر، صيانة لحرمة السرائر بحظر الحكم على الإنسان بمضمرة النيات وسرائر القلوب، فذلك مما لا ينبغي لأحد غير الله عز وجل. الإسلام بتاصيل هذا المبدأ شرعة ومنهاجا، يجعل ضمير الإنسان منطقة حراما لا يحل انتهاكها، وقد اتجه في ترسيخ هذا المبدأ المرباضة المسلمين الأولين عصر المبعث، على اتقاء الحكم بالظن ولأخذ بالشبهات، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم، يتلو عليهم آيات الله ويركهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، ذلك لأنهم كانوا في صدر الإسلام وبعد أن شرع القتال جهادا في سبيل الله، ربما تولوا قول المشرك «لا إله الا الله» على أنه إنما

قالها متعوذا أو خرفا من الموت . فنهاهم الله تعالى ورسوله عن ذلك ، تصايلا للمبدأ المقرر : الله وحده ، هو الذي يعلم مضمرات النيات وسرائر القلوب ، وكان لهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل والقُدوة . من قال من الكفار : لا اله الا الله ، فقد عصم منه ماله ونفسه . وحسابه على الله .

وقد سبق الحديث المتفق عليه عن « عمر رضي الله عنه » عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (انما لأعمال بالنيات) تمامه في الصحيحين والمفهوم . (ولكل امرئ ما نوى . فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه .

ويدخل منه في الحكم على الهجرة بظاهر القرآن الآية : قضية نساء من قريش هاجرن الى المسلمين في دار الهجرة بغير اذن أزواجهن ، صلح هدنة (الحديبية) بين النبي صلى الله عليه وسلم وقريش قائم ، ومن شروطه : ان من أتى محمدا من قريش بغير إذن وإيئه رده عليهم . لم يستثر النساء .

ولم يكر من المستبعد ان يكون من المهاجرات من خرجت من قريش بغير فضيلة الهجرة ، بحسم القرآن القضية بآية (الممتحنة) : يمتحنهن المؤمنون فيم جنن ، ويثقي منهن بظواهر قولهن دون تعرض للنيات . قاله أعلم بإيمانهن قال تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنوهن الله أعلم بإيمانهن . فان علموهن مؤمنات فلا ترجعهن الى الكفار لأن حل لهن ولا هم يحلون لهن) الآية .

من الشوازل في عصر المبعث حديث اسامة بن زيد بر حارثة ، رضي الله عنهما . خرج في سرية الى رهط من المشركين فادرك رجلا منهم أمعن في جند السرية قتلا . فلما رفع اسامة ، السيف عليه ، قال : لا اله الا الله . فلم ينج بها .

في رواية الصحيح عن اسامة . قال : « فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : « أقال : لا اله الا الله وقتلته ؟ » قلت : يارسول الله ، انما قالها خوفا من القتل . قال : « أفلا شققت عن قلبه لتعلم أقالها أم لا ؟ » فما زال صلى الله عليه وسلم يكررها حتى تمنيت اني اسلمت يومئذ .

وفي رواية ان البشير جاء النبي عليه الصلاة والسلام بخبر السرية ، فما زال يسأله حتى أخبره خبر الرجل الذي قتله اسامة . فدعا نساءه : « لم قتلته ؟ » قال : « يارسول الله ، أوجع في المسلمين وقتل فلانا وفلانا - وسمى له نفرا - واني حملت عليه فلما رأى السيف قال : لا اله الا الله . قال صلى الله عليه وسلم : « وقتلته ؟ » قال : نعم . قال : « فكيف تصنع بلا اله الا الله اذا جاءت يوم القيامة ؟ » قال : يارسول الله ، استغفر لي فجعل لا يزيد على أن يقول : « فكيف تصنع بلا اله الا الله ؟ » فيروى في اسباب النزول أن الآية التالية نزلت في هذه الواقعة ، توجب عليهم التثبت ، وتذكرهم بأنهم كانوا كذلك من قبل يخفون إيمانهم عن قومهم ، حتى من الله عليهم باعزاز الدين .

الآية اعلى المقال الحكم في الآية عام ، اعتبارا بعموم لفظها لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه . قال علماؤنا : « وفي هذا من الفقه باب عظيم وهو أن الأحكام تناط بالظواهر ، لا على القطع وإطلاع السرائر . »

(٣)

واخرى من النوازل التي قضى الله تعالى ورسوله فيها بالنهي عن أخذ الناس بالظن والشبهة دون تبين وتثبت . مع التحذير من عواقبه لو لم يتداركه النبي عليه الصلاة والسلام . قال تعالى في النبا يجيء به فاسق يزعم غير الحق :

(يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين . واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم . ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان . أولئك هم الراشدون)

المرويات في اسباب النزول متقاربة . مجملها أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عتبة الأموي : إلى بنى المصطلق . ليعلمهم صلى الله عليه وسلم . بعد اسلامهم . لياتي بصدقائهم في موعد متفق عليه . فلما دنا الوليد من ديار القوم . لمحهم مجتمعين لاستقبال رسول المصطفى عليه الصلاة والسلام اليهم فخاف الوليد وظن أنهم مقاتلوه . ورجع دون أن يلقيهم وأنبا النبي صلى الله عليه وسلم أنهم ارتدوا واجتمعوا لقتاله . فعث اليهم . خالد بن الوليد المخزومي . وأمره أن يتثبت ولا يعجل . فاتاهم ليلا وبث عيونه لياتوه بخبرهم فسمعوا اذانهم وصلاتهم . فاقبل خالد عليهم في الصبح فرأى ما أعجبه . فرجع رضى الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشهد لهم بما رأى .

وأخرج الامام احمد في (مسنده) من حديث . الحارث بن ابي ضرار الخزاعي . سيد بنى المصطلق ووالد السيدة جويرية أم المؤمنين رضى الله عنهما - أنه لما حمل الموعد ولم يأت رسول المصطفى إليهم . خشي الحارث أن يكون ذلك لسخطة من الله

تعالى ورسوله عليهم . فجمع سروات قومه وخرج بهم إلى المدينة المنورة حيث لقي النبي فقال له صلى الله عليه وسلم . منعت الزكاة وأردت قتل رسولي ؟ . فقال الحارث رضى الله عنه . لا والذي بعثك بالحق . ما رأيته ولا أتاني . وما أقبلت الا حين احتبس على . خشيت أن يكون ذلك لسخطة على من الله ورسوله . فنزلت الآية .

قالوا في تفسير . فاسق . ان الفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير . وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقربه . ثم أخل بأحكامه . وإذا قيل للكافر . فاسق . فلأنه أخل بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة .

والشرط بحرف (إن) في : (إن جاءكم) يفيد الاستبعاد . وإذ وقع من صحابي . على نسوة ذلك وبعد . فوصفه بفسق يشهد على خطر الأمر فيه . مما يوجب التيقن والحذر من عواقبه : (أن يصيبوا قوما بجهالة) أي بغير علم فيصبحوا على ما فعلوا نادمين . الندم . الحسرة على امرفات هيئات أن يسترجع أو يستدرك . يود النادم لو لم يكن فرط منه . ويتعذر عليه نسيانه أو استدراكه . فكانه نديمه .

وقوله تعالى : (ان جاءكم فاسق بنبأ) أفاد عموم الحكم بسوقه نكرة في سياق الشرط . ولا خلاف - أعلمه - بين علماء الأحكام في ايجاب التثبت من خبر الفاسق والنهي عن قبول قوله والعمل به بعد تبين فسقه . وعمموا ذلك في رواية الحديث ونقله الاخبار والشهود .

●●●

(ربنا لاترغ قلوبنا بعد ان هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) . صدق الله العظيم

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ
فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ
كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ
وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ
عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ
اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ
مَغْنَمَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ»

صدق الله العظيم

د. بنت الشاطئ

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادئ الكلية للأخلاق من منهاج السلوك في مدرسة النبوة

« هذا بلاغ للناس ، في زمان اختلفت فيه الموازين »

الآيتان أعلي المقال من (سورة الحجرات) من اواسط الوحي المدني . وهي من السور الجامعة لمبادئ
المنهاج الاسلامي للسلوك . خالصة له من أولها الى آخرها . بدءا بالنهي عما لا ينبغي من تجاوز أوامر الله تعالى
ورسوله . بتقديم ما حقه التأخير في الشرع . قال تعالى :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا فِي الشَّرْعِ عَلَى رَسُولٍ لَّيْسَ بِكَ مِنَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ أَن يَقُولُوا إِنَّا هِيَ اللَّهُ إِنَّمَا يَقُولُ الَّذِينَ كَذَبُوا إِنَّمَا اللَّهُ يَخْتِصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَئِن سَأَلْتَهُمْ لَنبَدِّعَهُنَّ بِاللَّهِ عَذَابًا أَلِيمًا)
والمعتبر به عند علماء الأحكام . عموم الآية في النهي عن سبق
الله تعالى ورسوله بقول أو فعل . ويدخل في عموم الحكم ماله مواقيت
شرعية من العبادات والطاعات . لأن كل عبادة منها لا يجوز تقديمها
على ميقاتها . كالصلاة والصوم والحج . واختلفوا في الزكاة إذ هي
عبادة مالية لسد حاجة الفقير . منهم من أجاز
التقديم اليسير فيها عند الضرورة . وقال
آخرون . لا يجوز تقديمها على الحول . أي
السنة . لحظة . كما لا يجوز تقديم
الصلاة .

بعدها هذه الآية - فيما ينبغي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من توقير ومهابة : (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) الآية .

تعددت المرويات في أسباب النزول بتعدد الصحابة الذين خافوا أن تكون نزلت فيهم منهم الصحابي الجليل . قيس بن ثابت الأنصاري . رضي الله عنه . كان جهير الصوت لضعف في سمعه . فلما نزلت الآية انقطع في بيته وأغلق عليه بابه حتى تفقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عما يحبس . فقال : أنا رجل شديد الصوت أخاف أن يكون حبط عملي . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لست منهم . بل تعيش حميدا وتموت شهيدا . فيروى عن أنس بن مالك - رضي الله عنه . قال : كنا نراه يعيش بيننا . نراه من أهل الجنة . ومات ثابت رضي الله عنه شهيدا باليامة . في قتال . مسيلمة الكذاب .

ومن المرويات في أسباب النزول . عن الإمام علي كرم الله وجهه . قال : نزل قوله تعالى : (لا ترفعوا أصواتكم) فينا لما ارتفعت أصواتنا - أنا وجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة - نتنازع ابنة حمزة بن عبدالمطلب - شهيد أحد - رضي الله عنه . لما جاء بهازيد من مكة . ففرض بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لجعفر لأن خالته عنده . - وحديث هذا التنازع على حضانة . أمامة بنت حمزة . رضي الله عنهما . أخرجه البخاري في صحيحه .

وفي رواية أن الآية نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . حين قدم وفد تميم لمبايعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة الوفود . وفي الوفد . الأقرع بن حابس التميمي . فقال أبو بكر : يا رسول الله . استعمله على قومه . فقال عمر . لا تستعمله يا رسول الله . وتكلما في ذلك حتى ارتفعت أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم . وقيل فيما قيل . كاد الخيران أن يهلكا . رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه وفد تميم .

ثم كان أن أبا بكر - فيما روي عنه - إذا كلم النبي صلى الله عليه وسلم خفض صوته فما يكاد يسمع . وكان عمر يحرض على غض صوته حتى يستفهمه النبي - ﷺ -

وهذه المرويات على تعددها . مما يحتمل بعض الآية في سياقها مع الآية بعدها :

(ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم)

وفي جميع المرويات عن أسباب نزولها شواهد لمنهاج السلوك في مدرسة النبوة . وحرمة مجلسه صلى الله عليه وسلم وما ينبغي له من توقير ومهابة : لا يرفع أحدهم صوته فوق صوت النبي عليه الصلاة والسلام . ولا يجهروا له بالقول كما اعتادوا في الخطاب فيما بينهم :

(ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) . الحبط الأهدار . يقال : حبطدم القليل ذهب هدرا . وحبط عمله بطل وأهدر . وأحبطه غيره أبطله وأهدره . ولم تات المادة في القرآن الكريم الا في حبط الأعمال واحباطها بالكفر والردة . والشرك . والتكذيب بايات الله ولقاء الآخرة . وانفردت آية الحجرات بانها في الذين آمنوا . والحبط

فيها على جهة التحذير لا التقرير . ويستفاد من قوله تعالى : (وأنتم لاتشعرون) انتفاء القصد والعمد . وهو المفهوم من المرويات فيمن نزلت فيهم الآية من الصحابة رضى الله عنهم : لم يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم عمدا . وليسوا مظنة الجراأة عليه في الجهر له بالقول ، إلا على نحو ما اعتادوا عليه في مجتمعهم من رفع الصوت وجهر بعضهم لبعض بالقول . فنهاهم الله تعالى عن ذلك وحذرهم من التورط فيما يحبط أعمالهم من حيث لا يشعرون . ونظيره قوله تعالى في آية النور : (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) .

أي لاتخاطبوه كما يخاطب بعضكم بعضا ولا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا . وغرض المؤمنين ليصار لهم عند رسول الله : هو من التوقير والخشعة والاحسان . (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) تمحيصا لها ، وقيل : ترحيها للتقوى . وقيل : تخليصها من الشهوات . وهي معان متقاربة في تمحيص القلوب لمحضر التقوى . والمعتبر في الآيتين عموم الحكم فيما ينبغى للنبي صلى الله عليه وسلم من توقير . وذهب علماء الأحكام الى إيجاب توقيره صلى الله عليه وسلم حيا وميتا ، فلا ترفع الصوت عند قبره الشريف ، ولا تدعوه باسمه كدعاء بعضنا بعضا . روي عن الامام مالك رضى الله عنه . أن الخليفة أباجعفر المنصور ناظر في المسجد النبوي فرفع صوته ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، لاترفع صوتك في هذا المسجد ، فان الله تعالى أدب قوما فقال (لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) ومدح قوما فقال : (ان الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) ودم قوما فقال : (ان الذين ينادونك

من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) وان حرمة ميتا كحرمة حيا . قالوا : فاستكان له أبوجعفر . ثم انهم كرهوا كذلك رفع الصوت في مجالس العلماء تشريفا لهم بما هم ورثة الانبياء . وقرروا ذلك في آداب مجالس العلم . قال الحافظ أبو عمرو بن الصلاح : « والقوة في ذلك الامام مالك : كان اذا أراد أن يحدث توضا وتمكن في جلوسه بوقار وهيئة وقال : أحب ان أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فان رفع احد صوته في مجلسه زجره وتلا آية الحجرات ثم قال : من رفع صوته عند حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما رفع صوته فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم .

وعدم الحكم آداب المؤمنين فيما يجب عليهم من توقير الكبار ورعاية حرمتهم . لأن الآية وان كانت نزلت في تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وإيجاب الفرق بينه وبين سائر الأمة ، فان فيها تدريبا لنا فيمن يلزمنا تعظيمه ، من والد وعالم وولي أمر قائم بأمر الدين وذو سن وصلاح ، ونحو ذلك . إذ أن تعظيمه بهذا القدر من ترك الجهر بالقول عند رفع الصوت عليه مقرر شرعا بمقتضى آيات محكمات وأحاديث صحاح في بر السوالدين ورعاية حرمة الكبار سنا ومقاما . (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) . صدق الله العظيم .

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِنْ
قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ
وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا
مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْعَنُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا
بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمَاءُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ
وَمَنْ لَّعَنَ قَوْمًا فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»

صدق الله العظيم

د . بنت الشاطيء

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادئ الكلية للأخلاق

حسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه

حديث شريف

الآية الكريمة أعلى حديث اليوم ، من سورة الحجرات ، من أواسط الوحي المدني ، وهي من السور الجامعة لمبادئ كلية لمنهاج السلوك . وهذه الآية مسبوقة بآيات بينات فيما ينبغي للنبي - عليه الصلاة والسلام - من توقير وإكبار ، وفي إيجاب التبيين والتثبت إذا جاء فاسق بنبا ، وفي أحكام القتال بين طائفتين من المؤمنين وبغى أحدهما على الأخرى .

والمرويات في أسباب النزول لآية النهي عن السخرية متعددة ، منها أنها نزلت في وفد سادات بني تميم على النبي - عليه الصلاة والسلام - للبيعة ، استهزأوا بالصحابة الموالى مثل عمار بن ياسر ، وبلال بن حماسة وصهيب سابق الروم ، وسلمان الفارسي سابق الفرس ، رضي الله عنهم ، لما رأوا من رثاءة حالهم ومظهرهم . وقيل إن الآية الكريمة نزلت في عكرمة بن أبي جهل المخزومي ، رضي الله عنه ، قدم المدينة مهاجرا فعيره بعضهم بابيه . وفي رواية عن الحسن البصري قال : كان اليهودي أو النصراني يسلم فيقال له : ييهودي ، يانصراني ، فيهاهم الله تعالى عن ذلك .

(٢)

والعبرة على أي حال بعمود لفظ الآية .
لابتصاص السبب الذي نزلت فيه الآية .
وانما تعطينا المرويات في (اسباب
النزول) - وهي من علوم القرآن - الظروف
والاحوال التي لا يستلزم نزول الآية أو
السورة . وتوجه الى مجال الاستثناس بها
فيما قررت الآية ونظائرها من احكام الشريعة
ومنهاج السلوك .

من آيات القرآن في السخرية . قوله تعالى في
الكفار من قوم نوح :
(وبصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه
سخرّوا منه قال ان تسخرّوا منا فانا نُسخر
منكم كما تسخرون)

وقوله تعالى في الذين كفروا :
(ومن الذين كفروا الحياة الفانية وسخرّوا
من الذين آمنوا) الآية .
وسياقها . ونظائرها في الذين كفروا .
والموافقين . شاهد على خطر سخرية اخ من
أخيه . واشعار بقبحه والزجر عنه . كما
يستفاد ذلك من دلالة السخرية . لعبة . على
قبح الاستهزاء . ومنه : السخرية - بضم
السين وفتح الخاء . الذي هو موضع سخرية
الناس . والسخرية بسكون الخاء : الذي
يكرد على التسخير لحقارته وهو انه على من
يسخرونه
والقوم - في اللغة - الجماعة المتجانسة
لوحدة العرق والنسب والعصبية . وهو اسم
جمع لا مفرد له من لفظه .

وأكثر ما يطلق على الرجال والنساء . على
قاعدة التغليب . نحو : قوم نوح . وقوم
هود . وقوم صالح . وقوم يونس وقوم
ابراهيم . وقوم لوط وقوم موسى . وقوم
فرعون . . . ومثل اطلاق : أهل . وأمة .
وبشر وانسان . . على الجمع من الرجال
والنساء . وكذلك : الذين آمنوا واصحاب

الجنة . والذين كفروا . واصحاب النار .
وعامة ما في القرآن من ذلك . الا ان يفرد النساء
بالذكر . وأكثر ما يكون ذلك في مقام التكليف
والاحكام ومنهاج السلوك . تنبيهها على أن
الحكم يعمهن . على الاصل المقرر : (كل
نفس بما كسبت رهينة) فليست النساء فيه
توابع لرجالهن .

وقوله تعالى : (ولا تلمزوا أنفسكم)
اللمز العيب والتجريح . لمز غير يلمز
فهو لا يلمز . واللمز صيغة مبالغة من لمرز .
فاذا أب على لمر الناس وتتبع عوراتهم فهو
لمزة . ومنه الآية . (ويل لكل همزة لمزة) .
ويهم من يميز الآيات في الهمز والتميز . أن
اللمز يكون مواجهاة وتغريضا . والهمز يكون
تجريحا وعيبا من وراء المهور نميمة

وغيبة . ولمزهم أنفسهم . قيل في تفسيره : أن
يعيبوا الناس فيعيبهم الناس . لأن من تتبع
عورات الناس تتبعوا عورته . وفسر كذلك بما
هو أولى واقرب الى السياق أن المؤمنين
اخوة . فمن عاب أخا ولمز فقد لمز نفسه .
ويؤسس الى هذا الفهم قوله تعالى :
(ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما)
وقوله عز وجل : (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا
على أنفسكم . تحية من عند الله مباركة)
الآية . والحديث المشهور عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم : . مثل المؤمنين في
تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا
اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد
بالسهر والحمى . - متفق عليه .

والتنازع باللقاب التداعي بها . ولا يكون
النهي عنه الا بما هو مكروه من الألقاب .
كتعبير مسلم بعامة فيه خلقة . أو بلقب وصم
به بعض ابائهم ولا ذنب له فيه . أو بما وصم به

(٣)

ويترتب على ذلك عدم الغلو في تعظيم من رأينا منه أعمالا صالحة ، وعدم الاحتقار والازدراء لمسلم رأينا عليه أعمالا سيئة بل تحتقر تلك الحالة السيئة ، لا الذات المسيئة .

وتشددوا في التنابز بالمكروه من الألقاب ، وبخاصة ما كان منها تعبيراً باب أو أم أو لون أو لقب كان لمسلم قبل إسلامه ، ولخطيء قبل توبته .

على أنهم استثنوا من القاب الخلقة ما غلب على رجال لا يكادون يعرفون الأبها ، مثل : « الأعرج » ، « عبدالرحمن بن هرمز » ، « الفقيه شيخ الإمام مالك » ، « الزنجي » ، « مسلم بن خالد » ، « الفقيه المكي » ، « من شيوخ الإمام الشافعي » ، « والأعرج » ، « التحارث بن عبد الله الهمداني » ، « من كبار أصحاب الإمام علي كرم الله وجهه ... » ، « والحفاظ الأعلام » ، « الأعمش سليمان بن مهران الكوفي » ، « والأحول عاصم بن سليمان البصري » ، « والأحذب واصل بن حيان الأسدي » ، « والأصم أبي العباس النيسابوري » ، « فهذه الألقاب وأمثالها مما جوزها العلماء لشهرتها ، وتداولود في مصنفاتهم . وفي كتاب الأدب لأبي عبد الله البخاري (باب ما يجوز من نحو قولهم : الطويل والقصير ، لا يراد به شين الرجل) . قال المحققون من الأصوليين : « ان الذي نهى عنه الله تعالى في آية الحجرات ، هو عيب من لا يستحق أن يعاب على وجه الاحتقار له والغض منه ، لأن ذلك هو معنى السخرية ، وأخبر تعالى ان الساخروا ان كان ارفع حالا في الدنيا ، فعسى ان يكون المسخور منه خيراً عند الله تعالى . »

وكفارة هذا الفسوق ، التوبة منه توبة نصوحا :

(ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون)

صدق الله العظيم .

هو نفسه قبل توبته منه او قبل اسلامه (بثس الاسم الفسوق بعد الايمان) لأن مثل هذا التنابز بالمكروه من الألقاب يحبط الايمان ، بالتورط في الفسوق بعد الايمان . (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) يظلمون أنفسهم بلمزهم أنفسهم ونيز بعضهم بعضاً بالمكروه من الألقاب .

شرعت هذه اية من الأحكام ، قواعد من المنهاج الأخلاقي في سلوك المؤمنين فيما بينهم . وفيه الحديث الجامع عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يحقره ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن أخيه كربة فرج الله عنه كربة يوم القيامة » ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال صلى الله عليه وسلم : « كل المسلم على المسلم حرام : ماله وعرضه ودمه ، حسب امرئ من الشر ان يحقر أخاه » ، يحقره بالسخرية منه ، لكونه زرى الهيئة أو متضع الحال أو نحو ذلك ، لا يدري الساخر لعل من يحقره أفضل منه عند الخالق عز وجل .

و أجمعوا على أن السخرية بمثل هذا أو بما هو من العاهات خلقة محظور ، وتعرضوا لما يكون من ظواهر أمر المسلم من تفريط أو بخل أو نقص في المروءة ونحو ذلك فاحتجوا لمنعه بما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

« ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » ، فليس لأحد ان يقطع بالظاهر من حاله ، فلعلم من رأينا عليه تفريطاً يعلم الله من قلبه ما يقربه اليه عز وجل ، فالأعمال أمارات ظنية لا أدلة قطعية .

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا احْتَنُوا كَثِيرًا مِّنَ
الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا
وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ
أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا
فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ»

صدق الله العظيم

د. بنت الشاطيء

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادئ الكلية للأخلاق

هذا بلاغ للناس في زمان راجت فيه تجارة المخدرات والأطعمة الفاسدة والصناعات القذرة وأسرار التصنت

أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه

مازلت مع (سورة الحجرات) إحدى السور الجامعة لاحكام الشرع في منهاج سلوكنا . وهذه الآية موضوع حديث اليوم . تالية للآية قبلها . موضوع حديث الامس (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن . ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بنس الاسم الفسوق بعد الإيمان . ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون) والمشهور من المرويات في سبب النزول لآية الأمر باجتنب كثير من الظن . أنها نزلت في رجلين من الصحابة رضى الله عنهم . وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سافر ضم المحتاج من أصحابه إلى اثنين من الموسع عليهم في الرزق . يخدمهما وينفقان عليه . فحدث ذات مرة أن ضم - سلمان الفارسي - إلى رجلين موسرين فغلبه النوم ولم يهييء لهما طعاما . فامرأه أن ينطلق فيأتيهما بطعام وأدام من عند رسول الله . فامرء عليه الصلاة والسلام أن يذهب إلى - اسامة بن زيد بن حارثة -

(٢)

وكان الخازن للمؤنة - فيطلب اليه ان يعطيه طعاما ان كان لديه فضل منه . فذهب سلمان الى أسامة . رضى الله عنهما . فاعتذر اليه وقال ما عندي شيء . ولما عاد سلمان الى صاحبيه بغير طعام ظنا بأسامة البخل . وانطلقا يتحسسان هل عنده من الطعام شيء . فراهما النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهما : « مالي ارى خضرة اللحم في أفواهكما ؟ قالوا : يا نبي الله . والله ما أكلنا في يومنا هذا لحما ولا غير . فقال عليه الصلاة والسلام : ولكنكما ظللتما تاكلان لحم سلمان واسامة » . ونزلت الآية .
والعبرة بعموم لفظ الآية . لا تخص من نزلت فيهما . دون عامة من يظنون باخوانهم المحبوبين ظن سوء . ويتجسسونه على عيبهم ويغتابونهم .
الظن ما ليس بيقين . منه ما يكون واجبا للتيقن من أمر له أمارات قوية على صدقه ومن الظن ما يكون توقعا لما يستقبل المرء من أمر . لا حرج فيه اذا اقترن بصدق النية على تحرى الحق بإقامة حدود الله . قال تعالى في احكام النكاح بعد طلاق نيات بائنا . فان طلقها فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره . فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله (الآية)
الظن الذي لا ينبغي للمؤمنين . هو ما يعرض لبعضهم فيما يبتليهم الله به من عصيب المحن كما في آية الاحزاب (اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هناك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا)
ومما ياثم به المؤمنون ان يخوضوا في اى

شيء بغير علم رجما بالظن (وان الظن لا يغنى من الحق شيئا) ومن هذا القبيل سوء ظن المؤمنين باخوة لهم بان يلقوا سمعهم إلى مفتريات لا علم لهم بها وذلك افك مبين .
والظن في آية الحجرات التهمة بالبطل . نهى عنه الله تعالى لنلا يجترىء احد على ظن دون بينة .
(ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا)
معه الحديث المتفق عليه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث . ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تناجسوا . وكونوا عباد الله اخوانا » .
قال شراح الحديث في التجسس . بالجيم . البحث عن مستور العورات . ومنه الجاسوس . والتجسس بالحاء تلمس الأخبار بالحواس . السمع والبصر والشم والذوق . والقيلولة ان يريد في تمر الساعات وهو لا يريد شراءها . بل ليقع غيره فيها .
والمراد النبي عن تتبع عورات المسلمين . والاستكشاف لما ستروا . كما بينه الحديث الذي اخرجه ابو داود والترمذى والامام أحمد وغيرهم . عن عدد من الصحابة رضى الله عنهم . ان النبي صلى الله عليه وسلم خطبهم فرفع صوته حتى أسمع العوانق في خدورهن . قال يا معشر من امن بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه . لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فان من يتبع عورات - وفي رواية عورة - اخيه يتبع اسه عورته . ومن يتبع اسه عورته يفضحه في جوف بيته .
والغيبة ذكر الناس بسوء في غيبتهم يقال غابه واعتابه غيبة واغتابا . والمنهى عنه في الآية

(٣)

ان يغتاب الذين امنوا بعضهم بعضا بذكر عيوبهم في غيبتهم ، واما عيوبهم بما ليس فيهم فذلك هو البهتان .
في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " اتدرون ما الغيبة " قالوا : الله ورسوله اعلم . قال : " ذكرك اخاك بما يكره " قيل : افرأيت يا رسول الله ان كان في اخي ما أقول " قال : " ان لم يكن فيه - ماتقول - فقد بهته " .

ويروى عن الحسن البصري ، من سادات التابعين انه قال : الغيبة ثلاثة اوجه . كلها في كتاب الله تعالى : الغيبة ، والافتك ، والبهتان . فاما الغيبة فان تقول في اخيك ما هو فيه ، واما الافتك فان تقول فيه ما بلغك عنه ، واما البهتان فان تقول ما ليس فيه .
من الوجه الاول في القرآن الكريم ، اية الحجرات ، ومن الوجه الثاني اية النور في الافتك : (لولا ان سمعتموه من المؤمنين)
والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افتك مبين)
ومن الوجه الثالث قوله تعالى في اية الاحزاب (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاننا واثما مبينا)

● ● ●

وقوله تعالى (ايحب احدهم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه) من مألوف العربية التعبير مجازا عن الغيبة باكل اللحم ، وقد عابه العرب على من ياكل لحم اهله وان جاروا عليه ، وعف عنه ذوو المروءة والحمية منهم . قال المقنع الكندي ، من شعراء الدولة الاموية فان اكلوا الحمى وفرت لحومهم وان هدموا مجدى بنيت لهم مجدا فاما ان ياكل اخ (لحم اخيه ميتا) فذلك

غاية ما يبلغه البيان المعجز في التفسير والتفويض وعقب عليه تعالى بقوله (فكرهتموه) تقريراً للنور الذين امنوا منه من الاحكام في الآية ذكر علمائنا ان الذي يميز الظنون الواجب اجتنابها شرعا ، عما سواها ، ان كل ظن سييء لم تعرف له امانة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب اذا كان المظنون به مستورا ظاهرا الصلاح .
ونهى الذين امنوا عن ان يتجسس بعضهم على بعض ، فلا يدخل في الحكم التجسس على عدو او خائن . كما لا مجال للنهي عن التجسس على فاجر معلن بفجوره ، ولا غيبة الفاجر ، كما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : اذكروا الفاجر بما فيه يحذرده الناس .
ويدخل في المستثنى من الحظر ، الغيبة وذكر العيب في الظلم والعلم والشهادة ، والاستفتاء والتبصير .
وجمهور العلماء على ان كفارة التائب من ظلم اخيه ، ان يستغفر له ويتحلله منه واحتجوا بالحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : من كانت له مظلمة لاخيه فليتحللها منها قبل ان ياتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم ، ان كان له عمل صالح اخذ منه بمقدار مظلمة اخيه ، وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات اخيه فحمل عليه .
من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه ، بلفظ الامام البخاري . اللهم من اذيتك فاجعله له زكاة ورحمة .
وبلفظ الامام مسلم . اللهم فايما مؤمن سببته فاجعل ذلك قربة له واليك يوم القيامة . وقال تعالى (قد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر . وذكر الله كثيرا) . صدق الله العظيم

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ
بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ
وَتَحْسِبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ
عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ
مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهِ لَئِنْ
سَمِعْنَا هَذَا لَبْهَتْنَا عَظِيمٌ * »

صدق الله العظيم

د. بنت الشاطيء

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

القرآن والمبادئ الكلية للأخلاق

وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم

حديث الامس كان لاية الحجرات في الامر باجتنب التهمة الباطلة رجما بالظن ونهي الذين امنوا عن التجسس وان يغتاب بعضهم بعضا ((ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا ، فكرهتموه) وفي تفسير الغيبة ، ماروى عن الحسن البصري « من أن » الغيبة على ثلاثة اوجه كلها في كتاب الله تعالى : وان يغتاب بعضهم بعضا ((ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا ، فكرهتموه) وفي تفسير الغيبة ، ماروى عن الحسن البصري « من أن » الغيبة على ثلاثة اوجه كلها في كتاب الله تعالى : الغيبة والافك والبهتان : فاما الغيبة فهي أن تقول في غيبة أخيك ما هو فيه ، وأما الافك فإن تقول مابلغك عنه ، وأما البهتان فإن تقول ما ليس فيه . . .

* *

ذكرتني آية الحجرات بما صنع الله لنا نحن بنات حواء ، اذ برأنا من تهمة تطاردنا من زمان أمنا المتهمة بانها بدأت حياتها بالغى والاغواء وكانت ذريعة ابليس لاغواء أبينا آدم حتى أخرجته من الجنة :

(٢)

وكتاب الله فينا ، نتلو منه أو يتلى علينا صباح مساء قوله تعالى :
(ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ، واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى . فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك
ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . ان لك الا تجوع فيها
ولا تعرى . وانك لاتظلم فيها ولا تضحقى فوسوس اليه الشيطان
قال : يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى . فاكلا منها فبدت
لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وعصى آدم
ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى . قال اهبطا منها
جميعا ..) الآيات .

العهد كان لآدم قنسى ، والوسوسة كانت من
ابليس الى آدم (قال يا آدم هل ادلك على شجرة
الخلد) ولم يقل : يا حواء قولى لآدم (وعصى
آدم ربه فغوى) ولم تغوه حواء ، وأكلت معه
من الشجرة المحرمة فحمل كل منهما تبعته ،
لا يعفى منها بنو آدم لتحملها كلها بنات
حواء .

● ● ●
واخرى مما صنع الله تعالى لنا ، له الحمد
والمنة . ان حصى شرفنا نحن المؤمنين
الغفلات . من قرية الافك وزور البهتان
يخوض فيها أهلنا المسلمون بغير علم ،
ويتسلون بتناقل آخر الاسرار عن فلانة
وفلان ، بايسر مما يتشاغلون به من جنون
أسعار الطماطم والأحذية والشعر المزيف
المستعار . غافلين عن أن آخرين امثالهم
يخوضون في قرية الافك في نساء من اهلهم ،
لاتعدو إحداهن ان تكون زوجة لرجل أو ابنته
أو أخته ، يحسبونه هينا وهو عند الله
عظيم ، لما فيه من تلويث سمعة النساء
وشرف الأمة ، وفساد المجتمع وانحلال
خلاياه والتجاعد في الانساب ..

فكان من لطف الله تعالى بنا ورحمته أن شرع
حد الافك على من يرمون المحصنات ثم لم
ياتوا بأربعة شهداء - شهود رؤية ومعينة -
وشرع حكم اللعان فيمن يرمون أزواجهم
وليس لهم شهداء الا أنفسهم ، قال تعالى بعد
ذكر حد الافك .

(والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم
شهداء الا أنفسهم فليشهدوا أدهم أربع

شهادات بالله انه لمن الصادقين .
والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من
الكاذبين . ويدراً عنها العذاب أن تشهد
أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين .
والخامسة أن غضب الله عليها ان كان
من الصادقين)

وقضى رسول الله عليه الصلاة والسلام
بالتفريق بين المتلاعنين فلا تحل له ابداً فلان
كانت حلالاً تعنى الولاء لآدم ولم يدع لابليس
كما قضى صلى الله عليه وسلم بان من رماها أو
رمى ولدها فعليه الحد .

★ ★

بعد آية اللعان ، جاءت الآيات البيّنات
في شدة غضب الله تعالى على عصابة جاعوا
بالافك زوراً وبهتاناً في أم المؤمنين السيدة
عائشة بنت أبى بكر رضى الله عنها .
والذين خاضوا فيه لغوا وافكا يحسبونه
هينا وهو عند الله عظيم ، حتى حسمها
الله بآيات النور في براءة أم المؤمنين
السيدة عائشة بنت الصديق أبى بكر ،
رضى الله عنهما .. من قرية الافك وزور
البهتان ، وغيرته تعالى عليها وعلى
المصطفى عليه الصلاة والسلام . بعد أن
هز الافك المجتمع الاسلامى بالمدينة ، نحو
شهر طويل كانه دهر .

حديث النازلة بتفصيل في السيرة النبوية
والصحيحين من حديث الامام الزهري عن
السيدة عائشة رضى الله عنها . ولا يتسع

(٣)

المجال لايراده ههنا وقد يشفع لنا عن هذا
القصور ان آيات النور لم تصرح باسم السيدة
عائشة ليعلم النص كل من يفترون على
المحصنات زورا وبهتانا ، وكل من يخوضون
في مفترياتهم افكا وجهالة . وفي الآيات البيّنات
غنى عن مزيد بيان .

قال تعالى :

(ان الذين جاءوا بالافك عصابة منكم ،
لا تحسبوه سرا لكم بل هو خير لكم انتم لست
امرئ منهم ما اكتسب من الاثم ، والذي تولى
كبره منهم له عذاب عظيم . لولا ان سمعتموه
ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا
وقالوا هذا افك مبين . لولا جاءوا عليه باربعة
شهداء فاذا لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله
هم الكاذبون . ولولا فضل الله عليكم ورحمته
في الدنيا والاخرة لمسكم في ما افضتكم فيه
عذاب عظيم . اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون
بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا
وهو عند الله عظيم . ولولا ان سمعتموه قلتم
ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان
عظيم . يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان
كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله
عليم حكيم ان الذين يحبون ان تشيع
الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في
الدنيا والاخرة ، والله يعلم وانتم
لاتعلمون)

إلى قوله عز وجل :

(ان الذين يرمون المحصنات الغافلات
المؤمنات لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب

عظيم . يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون . يومئذ يوفيه
الله دينهم الحق ، ويعلمون ان الله هو الحق
المبين) الآيات .
ووقع الحد على من وقعوا في الافك

● ● ●

في حديث الزهري عن السيدة عائشة ام
المؤمنين رضي الله عنها ان ليلت الوحى
بجراعتها فزلت في بيت أبيها علي المصطفى
فسرى عنه صلى الله عليه وسلم ، وكان اول
ما تكلم به ان قال : « ابشرى يا عائشة ان الله
عز وجل فقد برأك »

فتقول عائشة : قالت لى امي : قومي اليه
فقلت والله لا اقوم ولا احمد الا الله عز وجل
هو الذي انزل براءتي .

● ● ●

كان الذي تولى كبر هذا الافك « عبد الله بن
ابي ابن سلول الخزرجي » كبير منافقي
المدينة ، وروج له مواليه من يهود . و اراد
الله تعالى لنا خيرا فيما حسبه شرا
للمؤمنين : صنع لنا ، له الحمد والمنة . ان
مضى حكمه بلعنة كل من يرمون الغافلات
المؤمنات افكا وبهتانا . وكان من غيرته على
المؤمنات ورحمته ولطفه بالامة ، ان احاط
سمعتنا وشرفنا بسياج من حدود الله
ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ()
صدق الله العظيم

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْرَكَوكَ
لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ
تَقْتُلُونَنِي مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ
أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ * وَلَا تَضِلُّ
عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَقَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى
قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ * »

صدق الله العظيم

د. بنت الشاطيء

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادئ الكلية للأخلاق

قضية النفاق وحكم الاسلام فيه بين الظاهر من أعراضه ، والمضمر في السرائر (١)

في حديث الافك بالصحيحين ومسنند الامام احمد والسيرة النبوية . ان الذي تولى كبره من منافقي المدينة .
كبيرهم « عبد الله بن أبي ابن سلول الخزرجي » وقضيته تحتاج الى امعان النظر فيما يشوبها من لبس يصعب معه
فهم موقف الاسلام من المنافقين ، وهم يكتُمون نفاقهم ويسرون ما لا يعلنون
فكيف لنا ان نحكم عليهم بما يكتُمون من نفاقهم مع المقرر في اصول
الشريعة من حظر الحكم على السرائر وضمير الانسان منطقة حرام
لا يحل لأحد أن ينتهكها بالحكم عليه بما يضمّر ؟ انما لنا « الحكم
بالظاهر » والله يتولى السرائر « كما صح الحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وكما كان موقفه من « اسامة بن زيد » رضي الله
عنه ، اذ أدرك مشركا أمعن في جند الاسلام قتلا ، فلما رفع أسامة عليه
السيف قال : « أشهد ان لا إله الا الله » فظن
اسامة أنه ما قالها الا لتعصمه من القتل ، وقال
النبي عليه الصلاة والسلام : « هلا شققت عن
قلبي لتعلم هل قالها أو لا ؟ »

وقع خطأ غير مقصود في كلمة
من الآية الكريمة المنشورة يوم
السبت ٢٨ مارس الجاري بأعلى
مقال قضية النفاق وصحتها (ولن
تقاتلوا معي عدوا) التوبة ٨٣ مما
وجب استدراكه والتنبيه عليه .

ثم ، ألم يكن في ظاهر أمرهم وسلوكهم ما يسوغ إخراجهم من الملة ويبرر الحكم عليهم بالردة ؟

ومن حيث تبدو القضية متشابكة معقدة ،
رجوت الله عز وجل ان يعينني على خدمتها في
هذه الليالي من (الجمعة اليتيمة) استشرافا
للأفاق الرحبة لمنهاج السلوك في الاسلام .
والنبي على الصلاة والسلام قد دل على المنافقين بوجه
عام في الحديث المتفق عليه « آية المنافق
ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا
أؤتمن خان » زاد في رواية خصلة رابعة في
المنافق الخالص : « وإذا خاصم فجر »

فاما « عبد الله بن أبي اسفل » فلم يكن
 امره ليخفى على احد من المهاجرين والانصار
 والاحول هو الذي يكتب حقه على النبي صلى
 الله عليه وسلم من يوم مقدمه الى دار هجرته .
 وكان اشقى المؤمنين به ولده الصحابي
 الجليل « عبد الله بن عبد الله بن ابي اسفل
 سلول » الذي شهد بدرا والمشاهد كلها مع
 النبي عليه الصلاة والسلام ، وكان من الذين
 كتبوا له . واستشهد رضي الله عنه باليمامة ،
 في حروب الردة ، وقد لبث ما عاش يغانى من
 عقدة موقفه الصعب بين صدق ايمانه ،
 وصدق بره بآبيه .

من مستهل الهجرة لم يكتف « ابن سلول »
 حقه على المصطفى عليه الصلاة والسلام ،
 أن بايعه الانصار جميعا وصارت يثرب
 (مدينته المنورة) وكان ابن سلول على وشك
 ان يتوج على أهلها العرب ، الاوس والخزرج ،
 ولم يبق الا ان ينظم له تاجه ، صاغة يثرب
 اليهود ..

ورفق به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يتمادى في غيه معتزًا بجاهه وشرفه في

قومه وبالحلف بينه وبين بطون اليهود شمالى
الحجاز ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد
واردع اليهود اول الهجرة ، وأعطاهم الامان
على أموالهم وانفسهم وعبادتهم ومواليهم ،
واشترط عليهم أن لا يظاهروا عليه عدوا وان
يكونوا معه على كل من دهم يثرب ، فلما كان
يوم بدر غاظ اليهود انتصار المسلمين فجرؤ
حي منهم فى صميم المدينة على نقض العهد
والاستهزاء بالمسلمين ، فحاصروهم
المصطفى حتى أمكنه الله منهم ونزلوا على
حكمه ، فمزال عبد الله بن أبى يقول
للمصطفى عليه السلام احسن الى فى موالى
حتى ضاق به وقال : هم لك ..

ثم لما كان زحف جموع المشركين من مكة
الى المدينة ليوم احد ، واستشار النبي عليه
الصلاة والسلام اصحابه في الموقف كان من
رأى ابن ابى ان يبقوا في المدينة قائلا : اقم
بالمدينة يارسول الله لاتخرج اليهم ، فو الله
ما خرجنا منها الى عنق لنا قبل الا اصابنا
ولا رخلها عليه الا احسب انفسا

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يؤثر ذلك، لكنه استجاب للرأى الآخر، فبلغ من حنق ابن أبى أن اخذل بمن معه عن النبى وكذلك كان موقفهم يوم الاحزاب، تخاذلا وتخذيلاً والله من ورائهم محيط

وفي شهر شعبان سنة ست من الهجرة بلغ
النبي صلى الله عليه وسلم أن بني المصطلق
يجمعون له فخرج إليهم واقتتلوا فكان النصر
للمسلمين ، وحدث أن تنازع رجل من الانصار
واخر من المهاجرين على ماء هناك فصاح كل
منهما يستغيث بقومه ، فغضب ابن ابي
وعنده رهم من قومه . وقال او قد فعلوها ؟ اما
والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الأذل ، وبلغت قالته رسول الله صلى الله
عليه وسلم

الصلاة والسلام : « بل تترفق به وتحسن معاملته ما بقي معنا »

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ امْكُتُوا كَمَا آمَنَ السَّاسُ
قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ
السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ * وَإِذَا مَسَّ
الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى
شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ
مُسْتَهْزِءُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ
وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * »

صدق الله العظيم

د . بنت الشاطيء

أستاذة التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادئ الكلية للأخلاق

قضية النفاق بين ظاهر أعراضه والمضمير من الرائر (٢)

وثيقة الاتهام من الوحي ، وقضاء الهي بالحكم

غير مجهول مالقي المسلمون من كيد المنافقين طوال العهد المدني من عصر المبعث ، وقد صبر عليهم النبي
صلى الله عليه وسلم مايقوا في المسلمين وان كانت أفعالهم من منكر الآثام . وقد مضى الحديث ، أمسن ، عما سجله
تاريخ الاسلام منها في دار هجرته ، وشهد عليهم بها القرآن الكريم والحديث الشريف . ولبثت قضيتهم مع ذلك
معلقة حتى السنة التاسعة للهجرة حيث حسمها الوحي في (سورة
التوبة ، الفاضحة) لما مردوا عليه من نفاق تمكن من قلوبهم فما
يرجى له شفاء . ففضى الله بتطهير المجتمع الاسلامي من وبائهم بان
نفاهم عن الاسلام أحياء وأمواتا .

ما يبدو للنظر القريب من موضع اشكال في القضية هو أن سورة التوبة ، الفاضحة الدامغة ، هي من اواخر الوحي ، لم ينزل بعدها سوى (سورة النصر) ، وليس فيها أي ذكر للمنافقين الذين تجررت

والنوازل في جبهة المنافقين بدار الهجرة ، قد فصلها الذكر الحكيم وإليه أرجع فيما يبين من ملايسات القضية إذ توالى الآيات فيها طوال العهد المدني وبقيت معلقة حتى اواخره .

فعلى ذلك المدى الطويل ، لم ينزل الوحي بالبت في أمرهم ، بل مرت القضية بمراحل سابقة على البت فيها :

أولها ، تنبيه المؤمنين لياخذوا حذرهم من المنافقين ، وتحذير المنافقين انفسهم بأن الله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون عسى أن يرجعوا عن غيهم .

ومع شدة النذير لم ينقطع الرجاء في أن يتوبوا إلى الله فيتوب عليهم ، وصرحت آيات

بقصد التحريض والامتناع بالموقف الحرج

كقوله تعالى فيمن تخاذلوا (يوم أحد)

العصيب وفيهم كما قال تعالى : (وطائفة قد

اهتمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن

الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء ، قل

إن الأمر كله لله ، يخفون في أنفسهم ما لا يبدون

لك ، يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا

ههنا ، قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب

عليهم القتال إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في

صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم

بذات الصدور) - آل عمران .

وربما اقترن التحذير بما يوشك أن يكون

توجيها إلى التوقف عن الحكم عليهم بظاهر

كيدهم وما كشف الله من خبث نواياهم ،

يشاهد من الآيات البيئات من الوحي المدني

المبكر

(وأذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى

الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا

فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم

لهم (سورة التوبة) . والمسلمون قد كانوا على علم بحزب المنافقين ومآثمهم من مستهل الهجرة حتى السنة التاسعة التي نزلت فيها سورة التوبة ، فإن كان الحكم عليهم لم يحسم إلا بهذه السورة الفاضحة فماذا عما نزلوا في القرآن من آيات سابقة كلها على نزول سورة التوبة ، تحكم عليهم بأنهم كاذبون فيما ينطقون به ، تقية ، من شهادة الإسلام ، وتقضي في أمرهم بالخداع والكفر والتربص والريبة ، وتتوعدهم بالمصير إلى (الدرك الأسفل من النار) والعياذ بالله .

وليس سوى القرآن الكريم ما يجلو هذا اللبس ويبيح الاشكال بالحجة القاطعة والبيان الأعلى .

جاء التحليل بصريح لفظة في سبعة وثلاثين موضعاً تسع النسخ التي نزلوها من السور الثلاث الأولى من الوحي المدني ، حتى (سورة التوبة) قبل السورة الأخيرة من الوحي ، وهي سورة النصر .

وسياقها صريح فيما لا يس نزولها من أحداث حسام ونوازل صعبة ، كان للمنافقين فيها ظهور فاجر مما أنبا به القرآن الكريم ، وشهده الصحابة على امتداد العهد المدني . وشهد الاستقراء للآيات فيهم ، مع تدبر سياقها أن الحكم فيها جميعاً على المنافقين إنما كان الله وحده ، وأن الأخبار عن خبث سرائرهم وأسرار نجواهم ، من الله وحده ، يطرده ذلك حينما جاء ذكرهم في القرآن الكريم ولا ينعكس ، فليس فيها على الإطلاق ما يفيد الحكم على سرائرهم لغير الخالق عز وجل : أقول هذا وقد أمضيت عمراً في خدمة موضوع (السيرة النبوية من القرآن الكريم) بما يبيح في أن أقول إن كل الأحداث

ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا . أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا . وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله . ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما (النساء)

ولم يؤمر المؤمنون في هذه المرحلة المبكرة بمقاطعة المنافقين وعدم غشيانهم في مجالسهم التي قلما تخلو من كفر بايات الله واستهزاء بها ، بل النهي عن أن يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإلا كانوا مثلهم . قال تعالى في منافقي المدينة ومن

والوهم من الكفار : (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما . الذين يخشون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتخفون عنداهم الغرة قال الغرة لله جميعا) وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، إنكم إذا مثلهم ، إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) - النساء

واشد الوعيد فيها مع تفاحش الداء والعدوى : بالتواطؤ مع الأعداء من كفار يهود يثرب قال تعالى : (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا) - الأحزاب

ومع ذلك التفاحش في السوء ، تصاعد الوعيد والنذير في مرحلة تالية أواسط العهد المدني ، إلى النذير الصادع بيقين العذاب في الآخرة ، ونزلت (المنافقون) فاذنت برشك الحسم لهذه القضية التي طال بها العنت والعناء . ثم نزلت آية (التحريم) بداية لمرحلة الحسم ،

بقوله عز وجل : (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبئس المصير .) وبعدها ، نزلت قبيل ختام الوحي براءة من الله ورسوله (من المشركين) وقضاء حاسم على المنافقين بعد أن طال أمهال هؤلاء وهؤلاء ، فاهتدى منهم من اهتدوا وبقي طواغيتهم على الغي والضلال .

نزلت في السنة التاسعة من الهجرة ، بعد غزوة تبوك وكان ، أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه قد خرج إلى مكة ليحج بالمسلمين لومايزال الموسم خليطاً بينهم وبين المشركين ، يحجون على طقوس عبادتهم . فبعث المصطفى على أثره ، علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ليتلو (براءة) أذانا من الله في يوم الحج الأكبر للقضاء نهائيا على الشرك . والتبت في قضية المنافق .

وقدمت (السورة الفاضحة) بيانا مفصلا من الوحي بما كان منهم في (غزوة تبوك) لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . مع الحكم عليهم بأمر الله ، بنفيهم عن المسلمين أحياء وأمواتا ، قال عز وجل :

(ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) . وجاء في وثيقة الانهزام وقرار الحكم مايفيد أنه أمر الله فيهم نافذ بات لا راد له ولا معقب عليه ولا شفع يطاق : قال تعالى خطابا لرسوله عليه الصلاة والسلام :

« استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ، ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله ، والله لا يهدي القوم الفاسقين . » صدق الله العظيم

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي
فَأِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ
الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ * فَلْيَسْتَجِيبُوا
لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ
يَرْشُدُونَ »

د . بنت الشاطيء

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

صدق الله العظيم

الاسلام والمبادئ الكلية للأخلاق

هذه ليلتنا (سلام هي حتى مطلع الفجر)

هذه ليلتنا
فبها برغ نور الفجر الصادق . ينسخ ظلمات ليل الجاهلية البهيم . ويهدي السارين باذان مطلع عصر الانسان
خلقه الله تعالى من علق . وكذلك خلق الدواب والحشرات والديدان . من علق . وخص الانسان بشرف التبيين
وأهليته لكسب العلم .
وإليه وجه ختام رسالاته . مفتوحة بآيات ربه الأكرم الذي خلقه من علق . وميزه على سائر الكائنات بان علمه
الله القراءة والقلم والعلم : والبيان :
(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك
الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم :)

هذه ليلتنا .

تؤذن بمطلع الفجر الصادق لعصر الانسان الذي يحمل تبعات
رشدته وتكاليف أمانة الانسان الكريم الحر ، لا يدين بالعبودية لغير
خالقه ، ويظل ما عاش كادحا الى ربه ، يخوض معركته الباسلة بين

في ليلتنا ، ترنو شعوبنا الى النور البازغ من
الافق الاعلى . غير محجوب عنها بغواشي
الظلمات وعريضة الطاغوت ، فترفع الدعاء الى
الخالق عز وجل :
(ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) .

وهذه ليلتنا

ليلة الملايين من ابناء الامة في مشرق
ومغرب في الحواضر وقرى الريف ونجوع
البوادي ومنعزل البراري ، في الاحياء الراقية
بالعواصم وفي قيعان المدن
في الابراج الفخمة الشامخة تخطف الاعين
بعلوها الشاهق وبريقها الساطع ، وفي الاحياء
السكنية بالمقابر على رفات موتانا
في مجالس الانس وملاهي الليل الساهرة
حتى وجبة السحور ،
وفي دور العبادة بالجوامع والمساجد
والزوايا .

ليلتهم جميعا : ليس المبتلون بالمعاصي
والذنوب باحوج الى الدعاء من العاكفين في
المساجد العابدين الركع السجود ، ولا
الراغبين في القناعة بالخفاف الراضين بما
يمسك الرميح باحوج الى لطف الله ورحمته من
المرهوين بخيلاء الجاد والترف . كلنا فقراء
الى الله تعالى ، وفي المأثور من دعاء المصطفى
عليه الصلاة والسلام : " انه كان يتعوذ من
جهد البلاء ودرك الشقاء وشماتة الاعداء
وفتنة المحيا والممات " . متفق عليه .

وكان صلى الله عليه وسلم يكثر من الدعاء
القراني :
(ربنا هب لنا من لدك رحمة وهيئ لنا من
امرنا رشدا) .

والخير والشر ، ويناضل عن شرف اهليته
لتكاليف امانته الصعبة التي اشفت منها
السموات على علوها ورحابة آفاقها وابعادها ،
والارض على سعتها وطاقتها الفذة على تحمل
وطأة من عليها وما عليها ، والجبال على
ضخامتها وصلابتها ، بالقياس الى الانسان
الذي حمل الامانة على ضالة جرمه وضعف
حياته ، واحتمل مسئوليتها الصعبة ،
واعفيت منها سائر الكائنات المسيرة
بالتسخير أو الغريزة : قال تعالى :
(انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال فابين انه يحملنها واشفقن منها
وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا)

●●●

هذه ليلتنا

ليلة الانسان في شعوب امتتنا العظيمة
دوليا بالعالم الثالث ، والمتصدعة بنوازل
الفتن الحارقة وحروب البغي الصاعقة ،
المتحنة بضغط المجاعات والابوثة
الحاصدة ، المرهقة بذل الديون الثقيلة
وفوائدها الباهظة وشروطها المهينة
تساومها على كسرة الخبز وجرة الدواء
وسراب الأمن ، بكرامة ادميتها وحرمة
انسانيتها ، ثم لانتورع من عقد الصفقات في
الاسواق العصرية السود ، على ماتختار
لعالمنا الثالث من نظم واوضاع وما تورد الى
عالمنا الثالث من نفايا المعامل الذرية
والصناعات القذرة والاطعمة الفاسدة
والادوية الملوثة .

(٣)

هذه ليلتنا جميعا .
فيها يستجاب الدعاء ، وهي مرجوة لان
تحفظ على ابناءنا شباب الامة ايمانهم بنعمة
الدين ينأى بهم عن أوكار المخدرات المسقطة
للوعى ، والاستهواء بحملة جرائم فقدان
المناعة الفكرية والوجدانية المكتسبة من

فطرة الدين ، وعسى أن يعتصموا بايات الله
لا يغلبهم عليها ضجيج الأصوات الصاخبة في
ملاهي الليل وليالي التلفزيون .
(ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة اعين
واجعلنا للمتقين اماما) .

●●●

وهذه ليلتنا
ساهرة مع الملايين من ابناء الامة في
مخيمات اللاجئين المشردين في تيه هذا
الزمان تلفظهم الأرض في كل ملجأ وكان ليس
لهم عليها مكان .
وفي خيام الايواء لعشرات الملايين من
المسلمين على حواف القرن الافريقي وعلى
حدود بنجلاديش الهاربين من المذابح
الجماعية لهم في بكموميا ، قتلهم عشرات
الآلاف من الجنود المتجسسين بالسلاح
وفي منافي التغريب وقهر الغرب في دورهم
واوطانهم .
ليلة البؤساء المحرومين والمنبوذين ممن
يستجدون القدرة على احتمال الحياة
الكريهة المرة ويتسولون لمسة رحمة .
يتطلعون الى نورها يقبسون منه نفحة امل
ورجاء ، وتشرئب ابصارهم وقلوبهم الى مطلع
نورها غير محجوب عنهم بشانك الأسوار
ومسالح الحدود وقلاع الذخيرة .

ويؤنسهم ان لكل واحد منهم أن يتمنى على
الله ، ورب اشعث اغبر لو تمنى على الله
لابره .
ويتجاوب الملا الأعلى بضراعة ابتهاهم
بدعاء ايوب عليه السلام .
(إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم
الراحمين) .

وهذه ليلتنا
ليلة الملايين من الثكالى والأرامل والايتام
والمساكين ، وكل مكروب ومحزون ومحروم
ومقهور ، وهائم في دنيا القفر بين الخرائب
والأطلال .
كلنا على موعد معها ، نرفع الى الله شكوانا

ونجوانا

بكلنا نلتمس نصير بذا دعاء وعجائب
أشجاننا تتحول بها الى وجد وشجو
ونحبب قلوبنا يفيض عليه سناها فيجعل
منه خفق ذكرى ونبض حياة
وتحجر ما قينا يرد منها فيصدر عنه
دموع حنان وراحة افضاء .
واشلاؤنا تتماسك وتاتف مع النانين
والراجلين من أحبابنا ، فتصير مواجعا
مواجد ، وحرماننا زاد حنين ونجوى
ويؤنس وحشتنا ان لكل منا مع النور في ليلة
القدر موعدا .
تخرج اليه أرواحنا وقلوبنا ليس بينه
وبينها حجاب .
ويصعد اليه دعاؤنا بكلماته عز وجل :
(وإذا سالك عبادى عنى فانى قريب
اجيب دعوة الداع اذا دعان
فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم
يرشدون) .

صدق الله العظيم

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ * »

د . بنت الشاطئ

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادئ الكلية للأخلاق

(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)

هذا بيان للناس غداة ليلة القدر ، في زمان التصنيف الدولي لعالم أول وثان وثالث ، بين سادة وعبيد .
تاخذ آية المساواة والتفاضل موضعها في سياق ما قدمنا من آيات المنهاج الاسلامي للسلوك في (سورة
الحجرات) من أواسط الوحي المدني ، قبل أربعة عشر قرنا .
وكان الآية الكريمة ، بلاغ للناس غداة ليلة القدر ، في زمان التصنيف الدولي لعالم أول وثان وثالث ، بين سادة

وعبيد .
الآية الكريمة مسبوقة بانثنتي عشرة آية معها من سورة
الحجرات ، في أحكام الشرع لمنهاجنا في السلوك . وهذه الآيات
السابقة كلها ، موجهة إلى الذين آمنوا ، حيث تبدأ كل آية منها بقوله
تعالى : (يا أيها الذين آمنوا) .

تليها آية المساواة والتفاضل ، موجهة إلى الناس كافة ، مبدوءة بقوله تعالى : (يا أيها الناس) إشعاراً بعموم الدعوة في ختام رسالات

الصلوة والسلام هذا الغلام .
والعبرة بعموم لفظ الآية ، غير مصرح فيها
باسماء من نزلت فيهم ، والخطاب فيها للناس كافة .
(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى
وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا)
تقريراً لوحدة الأصل ، كل الناس لأب واحد
وأم واحدة .

وشعوب : جمع شعب بفتح أوله ، وهي
الجماعات تتشعب من أصل واحد . كالشعاب
جمع شعب ، بالكسر ، ماتشعب من أطراف
الوادي ، والشعب بضم وفتح جمع شعبة ،
الفرق والأقسام المتشعبة من أصل مجموع .
وقبائل : جمع قبيلة : الجماعة يقبل
بعضها على بعض . وأشهر الأقوال فيها أن
الشعب الطبقة الأولى من الطبقات الست التي
عليها العرب : الشعب والقبيلة والعمارة
والبطن والفخذ والفصيلة أو الإحياء
والعشائر .
والتعارف : أن يعرف بعضهم بعضاً قليلاً
تختلط الأنساب والقربات ولا يدعى أحد لغير
أبيه وعشيرته .

ولام التعليل في (لتعارفوا) دللت على أن
الله تعالى جعل الناس شعوباً وقبائل لأجل
التعارف لا لغير ذلك من تفاخر بالقبائل
ومباهاة بالأباء والأجداد وإنما التفاضل بالتقوى .
(إن أكرمكم عند الله أتقاكم ...)

وفي صحيح الحديث عن عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم خطب الناس بمكة يوم الفتح فقال
بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه :

« يا أيها الناس ، إن الله قد أذهب عنكم
عبية الجاهلية وتعاضمها بابائها ، فالناس
رجلان : رجل يرتقي كريم على الله تعالى ،
ورجل فاجر شقي هين على الله تعالى . إن الله
تعالى يقول : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من

الدين ، ومناسبة لحكم الآية في المساواة بين
الناس جميعاً من حيث هم آدميون خلقهم الله
لأب واحد وأم واحدة ، على ما بينه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، قال - بعد أن تلا الآية
« كلكم لآدم وادم من تراب » الحديث ، ويأتي
في سياقه مما يلي .

المرويات في أسباب نزول الآية متقاربة
على تعددها بتعدد الأشخاص الذين يحتمل
أن تكون نزلت فيهم . منها ما أخرجه
« أبو داود » في كتابه (المراسيل) من حديث
الزهري ، أنها نزلت في « أبي هند الحجام ،
مولي بني بياضة الأنصار . وكان رضي الله
عنه من اتقى الناس ، فخطب ابنه لهم فابوا
أن ينكحوه ، فقال النبي صلى الله عليه
وسلم : « يا بني بياضة انكحوا أباهند ... » الحديث
وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما ،
أنه لما كان يوم فتح مكة أمر النبي عليه
الصلوة والسلام مؤذنه بلالاً فنادى على طهر
الكعبة ، فتكلم فيه ثلاثة من القرشيين مسلمة
الفتح وقال قائل منهم : « أما وجد محمد غير
هذا الغراب مؤذناً ؟ ففيهم نزلت الآية .

وعن « ابن أبي مليكة التيمي » من كبار
التابعين ، عن يزيد بن عبد الله بن الشخير
العامري ، رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله
عليه وسلم مر في سوق المدينة فرأى غلاماً
أسود يقول : من اشتراني فعلى شرط أن
لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول
الله صلى الله عليه وسلم . فاشتراه رجل على
هذا الشرط فكان النبي عليه الصلاة والسلام
يراه عند كل صلاة . ففقدته يوماً فسال عنه
صاحبه فقال إنه محموم . فعاده المصطفى ثم
سال عنه بعد ثلاثة أيام فقبل إنه يحتضر ،
فجاء النبي عليه الصلاة والسلام فقام على
غسله وصلى عليه ودفنه . فدخل على بعضهم
من ذلك أمر عظيم ، لما اثر به النبي عليه

(٣)

ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا ، أن أكرمكم عند الله أتقاكم)

وعلى الآية المحكمة والحديث الصحيح ،
مدار احتجاج العلماء لأصل المساواة
وضوابط التفاضل .

والخطاب في الآية الكريمة صريح في أن
أصل المساواة بين الناس ، إنما هو من حيث
هم آدميون لأب واحد وأم واحدة ،
لا يتفاوتون إطلاقاً من هذه الجهة الجامعة
للأخبار منهم والأشعار ، وفصلت الآيات
المحكمات هذا الأصل للمساواة من جهة
الادمية ، على ما تقرر من بدء هبوط آدم وزوجه
إلى الأرض ، قال تعالى بعد ذكر الخطيئة الأولى
والنوبة منها :

(يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج

أبويكم من الجنة ...) الآية

فوقعت الفتنة ، لأول جيل من ذرية آدم

فكان أحد أبنيه قاتلاً وأخوه مقتولاً ، قال تعالى :

(وائل عليهم نبا ابني آدم بالحق إذ قربا

قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر

قال لاقتلنك قال إنما يتقبل الله من

المتقين ...) الآيات وعلى ذلك الأصل المقرر

للمساواة مضت الأجيال من ذرية آدم ، فحيث

ذكروا في القرآن جمعت الأدمية بينهم على وجه

المماثلة ، وإن تفاوتوا تفاوتاً بعيداً ...

قال تعالى بعد ذكر عدد من الصفوة

النبين ، في سورة مريم :

(أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين

من ذرية آدم ...) وقال بعدهم :

(فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة

واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا . إلا من

تاب وآمن الناس وعمل صالحاً) فكذلك

الناس من حيث هم آدميون ، تجمعهم بنوتهم

لأب واحد وأم واحدة ، ويتفاوتون . فمنهم
الاتقياء والفجار ، بصريح السياق في هذه
الآيات من سورة البقرة :

(ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة

الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد

الخصام . وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد

فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد .

(ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء

مرضاة الله ، والله رءوف بالعباد)

ويضرب الله الأمثال للناس جميعاً ،

ويفصل الآيات للناس ، ويحمل كل منهم تبعه

رشده أو غيه ، وجزاء كسبه ومسعاه . قال عز وجل :

والله تعالى رب الناس ، وهو (جامع

الناس ليوم لا ريب فيه ،) ذلك يوم مجموع له

الناس وذلك يوم مشهود)

وتقرير أصل المساواة بين الناس في آية

(الحجرات) : (مثلوا ببشرية يسلمها الكلي

العلم للفتنة) : (جعل الله تعالى في قوته

(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)

التقوى من أفعال القلوب ، وأصلها من

الوقاية وهي حفظ النفس مما يضر ، واتقاء

أذى أو سوء .. وفي تعارف الشرع حفظ

النفس عما يؤثم وذلك بترك المحظور ، واتقاء

ما هو مظنة شبهة ، وتامم التقوى أن يذكر

المؤمن خالقه تعالى في كل ما يأخذ وما يدع .

يتنقى مرضاته ويحذر غضبه ، وذلك جامع

للاقوال في تفسير (كلمة التقوى) في آية الفتح .

(فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى

المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق

بها وأهلها)

وبالتقوى تتميز شعائر العبادات من

شكلية الطقوس :

(ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من

تقوى القلوب) . صدق الله العظيم

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى
وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ * أَمْ حَسِبَ
الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ
نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ
وَمَمَاتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * »

حديث الله العظيم

الاسلام والمبادئ الكلية للأخلاق

د . بنت الشاطيء

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

(إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (٢) المساواة وموازين التفاضل

هذا ابلاغ للناس في زمان التصنيف الدولي لعالم أول وثان وثالث ، بين سادة وعبيد
بقي لنا من (الجمعة اليتيمة) ليلة أو ليلتان فحسب ، ثم
يكون وداع .
وما زلت مع آية المساواة والتفاضل التي قررت المبدأ الأصلي
للمساواة بين الناس جميعاً من حيث هم آدميون لأب واحد وأم
واحدة . متلوة بالمبدأ الكل لوجوه التفاضل .
(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)

ربما يتندر مدعو العصرية بسذاجة عقولنا وقصور تفكيرنا نحن

تلاميذ المدرسة القرآنية إذ نتعلق بأية من
بضع كلمات نتصور أنها تغني عن إعلان
حقوق الإنسان في منتصف هذا القرن
العشرين ، عصر غزو الفضاء ورحلات الرواد
الأمريكان والروس إلى الأجرام السماوية
العليا

الخاسرين (أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من
فكونهما (ابنى آدم) لا ينتقض بالتفاوت
بينهما ، ولا تفاضل بينهما في البنية لأدم . كما
أن هذه المساواة في الأصل ، لا تتجاوز
أدميتهما إلى ما بينهما من تفاوت بعيد ..

وتهدد بجهالة منهم فلسفنا نتعلق بالعاء
ونيقية دولية في زمان التصنيف الدولي
المعاصر لعالم أول وثان وثالث ، بين سادة
وعبيد . ولا نأخذ من أية الحجرات تفصيل
ضوابط المساواة والتفاضل ، بل ضبطنا
المساواة بين الناس باستقراء كل الآيات
المحكمة وصحيح السنتم في الناس وبين
أدم ونبيه (آدم) يتسلون جميعا من حيث هم
أدميون خلقهم الله من ذكر وأنثى لأب واحد
وأُم واحدة ، وفيهم التقى والعاجر النبيون
وحزب الشيطان المصلحون والمفسدون في
الأرض .

وعلى هذين المبدأين مضت الأجيال من
الناس يتساوون من جهة كونهم ذرية آدم ،
ويتفاوتون فيما بينهم تفاوتاً قد يصل إلى
تضاد النقيضين ، كتفاوت الظلمات والنور .
منه في القرآن الكريم ، التفاوت بين الإيمان
والكفر ، بين الهدى والضلال ، بين الإصلاح
والفساد في الأرض ، بين الأحياء والمستقيمين
والأحياء ، بين المتقين والفساد ، بين
المؤمنين والمشركين والمنافقين .

يشواهد من صريح الآيات فيهم
ونظائرهما :
(أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الأرض ، أم نجعل المتقين
كالفجار) ؟
(أم نجعل المسلمين كالمجرمين ، مالكم
كيف تحكمون) ؟
(أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من
يمشى سويا على صراط مستقيم) ؟
(وما يستوي الأحياء ولا الأموات ، إن الله
يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في
القبور)
(قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل
تستوي الظلمات والنور) ؟
(أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله
ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا

ونقدم اليوم قواعد التفاضل :
من الجيل الأول للبشرية . تقرر الإعلان معا
لا يتعارضان ، في (ابنى آدم) فهم أسواء في
بنوتهم لأدم وزوجه ليس في الدنيا - وقتئذ -
سواءهما . ويتفاوتان تفاوتاً بعيداً بين تقى
و أثم خاسر ، بين مقتول وقاتل . قال تعالى :
(وأتل عليهم نبأ ابنى آدم إذ قيا قربانا فتقبل
من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال
لاقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين . لئن
بسطت يدي لقتلنك ما أنا بباسط يدي إليك
لاقتلك إني أخاف الله رب العالمين) .
ولم يرتدع الأخ الظالم عن إثمه
(فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فاصبح من

(٣)

جرف هار فانهار به في نار جهنم ، والله لا يهدي

القوم الظالمين (

الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات

الى النور ، والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت

يخرجونهم من النور الى الظلمات ، اولئك

أصحاب النار هم فيها خالدون)

(والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة

يحبسه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده

شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، والله

سريع الحساب . أو كظلمات في بحر لجي

يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ،

ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم

يكدرها ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له

من نور)

(لا يستوى أصحاب النور وأصحاب الخبيث)

(يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين

آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ، قيل

ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم

بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من

قبله العذاب ، ينادونهم ألم نكن معكم قالوا

بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم

وغرتكم الاماني حتى جاء أمر الله وگرتم بالله

الغرور ، فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من

الذين كفروا ، ماواكم النار هي مثواكم وبئس

المصير)

ونظائر هذه الآيات المحكمات لا تكاد

تحصى ، ومناط التفاوت فيها بين الايمان

والكفر ، هو التفاوت بين الطيب والخبيث .

في الآية الكريمة

(قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك

كثرة الخبيث فاتقوا الله يا اولي الالباب لكم تنقون

ثم لا يستوى المؤمنون بل هم درجات :

بصريح الآيات البيئات :

(لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى

الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم

وانفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم

وانفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله

الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على

القاعدين اجرا عظيما)

(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا

العلم درجات ، والله بما تعملون خبير)

(واضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا

يقدر على شيء وهو كل على مولاه ، أينما

يوجهه لا يات بخير هل يستوى هو ومن يامر

بالعدل وهو على صراط مستقيم)

(ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي

هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه

ولي حميم)

(من هو قانت أقام الليل ساجدا وقاما نكرا

الآخرة ويرجو رحمة ربه ، قل هل يستوى

الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر

أولو الالباب)

(نرفع درجات من نشاء ، وفوق كل ذي علم

عليم)

(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال

عليهن درجة)

(ولكل درجات مما عملوا وليوفينهم أعمالهم

يوم القيامة وهم لا يظلمون)

ومناط ذلك التفاضل ، التقوى

(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)

(أم نجعل المتقين كالفجار)

لا يزال للحديث بقية ، وينفذ القول ولا

تنفذ كلمات ربي

(قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد

البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله

مددا)

صدق الله العظيم

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ
أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ
فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ
فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ »

صدق الله العظيم

الاسلام والمبادئ الكلية للأخلاق

(إن أكرمكم عند الله أتقاكم) [٣]

المساواة والتفاضل ، بين المبادئ والتطبيق

هذا بيان للناس في زمان التصنيف الدولي لعالم أول وثان وثالث ، بين سادة وعبيد

امتد المجال الزمني لآيات المساواة والتفاضل مع امتداد الوحي .
من آيته الأولى في الإنسان خلقه الله من علق كسانتر جنسه العظام .
وأكرمه بفطرة التدين وأهليته لكسب العلم ، إلى سورة التوبة قبيل
ختم الوحي . وفيها آيات ذات عدد في موازين المساواة والتفاضل
والمسلمون ليسوا سواء في القدر الذي يحفظونه من كتاب

دينهم . لكنهم جميعا يحفظون القدر الكافي
لإقامة فرائض صلواتهم وسننها خمس مرات
في اليوم . يفتتحون كل ركعة منها بسورة
(الفاتحة) وفي آياتها الأولى إقرار بالتوحيد
ويوم الدين . (الحمد لله رب العالمين .
الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد
وإياك نستعين)

د . بنت الشاطيء

أستاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

(٢)

مقلوبة بايات في المبدأ الكلي للتفاضل بهذا الدعاء (اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم . ولا الضالين)

كما يفتتح المسلمون (بسورة الفاتحة) شعائر عباداتهم . وإجراءات معاملاتهم تعبيراً عن صدق الاخلاص في النية ورجاء التوفيق والهداية من رب العالمين . إيراد تعبد وإياد يستعين . مثل بدء عقد خطبة النكاح والبيوع بقراءة (الفاتحة) وبها يترجم على الراحلين إلى رحمة الله من

أحسنته
هذا الاتساع الترمي لسور التوحي . والاتساع الموضوعي في القدر المشترك بالضرورة بين المسلمين كافة . يتلون فيه الفاتحة على مر الساعات والأيام والسنين والعصور . يتجاوز بالقضية مجال الآداب والمواظب والاعتبار . إلى تصايلها في الأخلاق . وترسيخها رسوخ الخلقة والسجية بحيث تصير عنصراً جوهرياً في إنسانية الشخصية الإسلامية لاتنال منها ذرائع المسخ ولا تجور عليها محدثات البدع الشائنة والموازن الضالة لآلزمته الفاسدة ...

من فجر المبعث غداة ليلة القدر . أخذت المبادئ مجراها في التطبيق العملي لمتهاج السلوك . فتقرر تقديم الضجاجة - رضى الله عنهم - على سائر المسلمين . بما لهم من شرف الصحبة وكونهم الطبقة الأولى من تلاميذ مدرسة النبوة . واختصوا بالإجماع على عدالتهم بنص الكتاب والسنة . قال تعالى مبينا وجوه فضلهم

(محمد رسول الله . والذين معه أشهداء على الكفار رحماء بينهم . تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً . سيماهم في وجوههم من أثر السجود)

ومع هذا التساوى في شرف الصحبة . تفاوتوا بحسب منزلتهم في الصحبة . وعلى هذا المبدأ . رتبت طبقاتهم بتقديم العشرة المبشرين بالجنة . والسابقين الأولين . وذوى الهجرتين إلى الحبشة والمدينة . وأصحاب بيعة العقبة . والمهاجرين والأنصار . والبدرين . ومن شهدوا غزوة أحد . والمتساهد جميعاً . وأصحاب بيعة الرضوان تحت الشجرة بالحديبية . إلى مسلمة الفتح فمن بعدهم .

من آيات المفاضلة بينهم من هذه الجهة . قوله تعالى في المهاجرين والأنصار أصحاب بيعة العقبة قبل الهجرة .

(للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله . أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . ومن يوق شح نفسه فإولئك هم المفلحون)

وفي أصحاب بيعة الرضوان (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً)

وفيمن ثبتوا يوم الأحزاب (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله . وصدق الله ورسوله . وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً . من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا

أبو عبيدة ابن الجراح)
 وفي مواخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين
 أصحابه المهاجرين والانصار عقب مقدمه إلى
 دار هجرته ، روى الحافظ أبو الفتح اليعمرى
 في سيرته الكبرى (عيون الاثر) حديث أنس
 بن مالك رضى الله عنه . قال قال
 المهاجرون يا رسول الله . ما رأينا مثل قوم
 قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن
 بذلا من كثير . كفونا المؤنة وأشركونا في
 المهنا حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر
 كله . قال (لا . ما أنيتم عليهم)
 وعن عبد الله بن عمر . رضى الله عنهما
 فيما كان من كرم الانصار ومروءتهم . لقد
 رأيتنا وما الرجل المسلم باحق بدينار
 ودرهمه من أخيه المسلم .
 وكفى النبي صلى الله عليه وسلم المعلم
 القويم لأصحابه وامته في تجميع الشرائع
 الاسلامي للتفاضل . وفي المتفق عليه من
 حديثه أنواب في كثرة دعائه للانصار . وأبناء
 الانصار وذكرهم بالحب والثناء . ووصيته بهم
 أصحابه أن يثنوا عليهم ويدعوا لهم . وأن
 يقبلوا من محسنهم ويعفوا عن مسيئتهم .
 وفي باب خير دور الانصار بالصحيحين . ذكر
 صلى الله عليه وسلم أربع دور منها ثم قال
 . وفي كل دور الانصار خير .
 وكذلك نقول . وفي كل الصحابة خير .
 وفيهم الطبقة الاولى من العلماء ورثة خاتم
 الانبياء عليهم الصلاة والسلام . وهم حملة
 القرآن عنه . ورواة الصحاح من حديثه .
 ونقله شريعته ومنهاجها في السلوك .
 وهم جند الاسلام الاولون وحمله لوائه
 الاغر في فتوحه الكبرى
 (رضى الله عنهم ورضوا عنه)
 صدق الله العظيم

حديث الوداع

بسم الله الرحمن الرحيم

عَنْ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ
عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ عَفِيفٌ
رَحِيمٌ * لَا يَتَّبِعُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ
فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ
تَبْرُوهُمْ وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ
قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ
وَعَلَّوْا عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ
تَوَلَّاهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ *

صدق الله العظيم

د : بنت الشاطئ

أستاذة التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

حديث ذو شجون

لم يبق غير وداع ، يشجينا فيه ابن مرت أيامه الطيبات ولياليه النيرات سراعاً لم نحسب حساباً لو شك فراق
نودعه ، وفي وجدائنا رجع صدى من شجو شاعرنا شرف الدين البوصيري في موقف وداع :
أنا أغرى بنا الوجد أنا
نودعه ، وما قمنا ببعض حقه علينا ، ولا وفينا بما ينبغي له من رعاية حرمة ، وقضاء واجب الشكر لما فاض علينا
من خيره وبركته ، ويساورنا الندم أن لم تكن أهلاً لما تحمل أمة القرآن من أمانتها الصعبة التي ناطها بها الله عز
وجل في آيته المحكمة :
(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون)
نودعه ، وبنا من رجفة الشجن أن أطل من أفقه العاني على الأبعاد المترامية بين ماض من الزمان وحاضر .

شاهدنا لما رأى من موضعنا في عصور العزة والسيادة والمنعة ، وما
نحن فيه اليوم من بؤس وضيم ، نرجع بكائية شاعر جرهم من الزمن
الفاير ، حين أخرجهم البغي من الحرم المكي الآمن .

كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ، ولم يسمر بمكة سامر

(٢)

العراق وأنفاس شعبه ، تطاولت مخالب
الخطبوط وامتدت ذات يمين وشمال وجنوب
ومشرق ومغرب ، متجهة الى ليبيا واليمن
والسودان وباكستان لتفعل بها مثل ما فعلت
بمنطقة الخليج ، وتقتحم وجودها وتنتهك
حماها ، بجبروت طاغية وخيلاء مستعمر ..
وفي نور شهر الهدى ، انكشف لبصيرتنا ما
غاب عنا من فخاخ الديون الباهظة وأغلال
فوائد الفاحشة . في صفقة لئيمة تباع لنا
كسرة الخبز مغموسة بالهوان وملوثة بغبار
أرصعة التلويح والحلوات ، بما استقرت من
خيراتها ومواردها ، حتى اذا لم تعد تكفيها ،
ساومتنا قسرا على انفتاح لبضاعة استهلاك
استغزاي في شعب يتراحم على شراء أرغفة
الخبز من فوق أرصفة الطرقات ، ويغض من
انسانيته قيام الابراج الشامخة الشاهقة ،
على حواف الأحياء السكنية بالمقابر في
عاصمة الكنانة ، مصر أم الدنيا .
وفيه ، في شهرنا المعظم لهذه السنة
القمرية تعقد الصفقات العلنية اللئيمة
للاتجار بالانسان في اسواق المساومة على
مخلفات انقاض الاتحاد السوفيتي من علماء
الذرة والأسلحة النووية وخبراء تكنولوجيا
الفضاء ، مثلما تعقد الصفقات في (سوبر
ماركت) بضاعة الموت ، وتوريد حملة
(ميكروب الايدز) وحاملاته وتهريب الاف
الاطنان من المخدرات وشحنات الأطعمة
الفاسدة والأدوية المسمومة الى عالمنا
الثالث

وفيه اعلنت الوثيقة السرية للبنك الدولي
يوصي فيها كبير خبراءه بضرورة بيع
الصناعات القذرة الى عالمنا الثالث ، ورفع
الستار عن مسارح الدمى ، لايبالي الممسكون
بالخيوط المحركة للدمى ومحركو الاحجار

نودعه ، وبنا من فرط الأسى استحياء ان
ترفع اليه شكوانا ونجوانا ، وقد نعلم أنه كم
يشهد أمته على مثل ما شهدها في عامنا هذا من
تصدع وقهر ، اذ تدور فينا رحي حروب الفتن
طاغية ساحقة ، وسعار المطامع والأهواء
يفرى اشلاءنا ، وتناحر النظم والأحزاب
بمزقنا طرائق قديدا ، بعضنا لبعض عدو ،
وكاننا نسينا آيات الله جل جلاله فينا :
(وان هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم
فاتقون)

ونحذر بالضرعة
(ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون)
فيتداركنا الله تعالى بلطفه ورحمته ،

فنتلو آيته :

(قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا
تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب
جميعا انه هو الغفور الرحيم)
ومن حيث لا نحسب ، ينكشف لبصيرتنا
في ساعات الوداع لشهر القرآن ، من كرم
عطائه ما غاب عنا في غواشي الهموم
والكروب . وكان هذا العطاء من السخاء يقدر
ما نحن في حاجة اليه ، فيما امتحنت به أمتنا
من بلاء :

فقنى شهرنا هذا الكريم ، انكشف لنا ما كان
يراد بامتنا من عاصفة الصحراء وحرب
الخليج ، لم نتجشم عناء البحث عنها بل
كشفها طاغوت هذا الزمان في جرأة علنية
وقحة تذيع في أرجاء المعمور أنها لم تكن قط
معركة تحرير للخليج بل كانت دعوى التحرير
ذريعة للنفاذ الى السيطرة على عالم اليوم ،
ومدخلا مأكرا للهيمنة التامة على عالمنا
الثالث ، والتحكم في شرقنا الاسيوي
الافريقي ، تحكم السادة في العبيد .
وقبل أن يسدل الستار على ما بقى من أطلال

(٣)

على رقعة الشطرنج ، ما كانوا يباليون به قبل هذا
الزمن من غضب شعوب عريقة في التاريخ
والحضارة ، عراقة المعروف لنا من تاريخ
الإنسانية .

وفيه يبلغ اسماعنا ما يهذى به عالم اليوم
من حكايا أمريكية عن (نهاية التاريخ وآخر
رجل) وعن أصرار آخر إنسان على ممارسة
هيمنته على عالمنا فيما يشبه رجعة وثنية
تتجلى صفة التريوية : يحيى ويميت ويعز
ويذل ويوقع ويضع ويرزق ويمنع ..
ومن بيوتنا ودورنا وجوامعنا ومساجدنا
وزوايانا ، تعلق أية الله ذي الجلال
والإكرام .

(ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن
أتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيى
ويميت قال أنا أحيى وأميت . قال إبراهيم فإن
الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من
المغرب فبهت الذي كفر والله لا يحب الظالمين)

فلا أوحش الله منك يا شهر الصيام ، ما كان
أجل نعمته تعالى علينا بك ، إذ يمن عليك
وعلىنا قبيل وداعك بقاء رئيسي جمهوريتي
مصر وسوريا في عاصمة الكنانة وأعلانهما عن
(معارضة مصر وسوريا لأي عمل عسكري
ضد العراق وفرض عقوبات ضد ليبيا دون
محاكمة عادلة)

في نفس اليوم الذي أذاعت فيه مصر من
عاصمة الكنانة أنه (لا يمكن عرض قضية
الحدود بيننا وبين السودان في ظل العلاقة
الأزلية بين البلدين)

وما ذلك على الله بعزير ، ونحن وأهلنا
جنوبي وادي النيل ، نتلو من آيات كتابنا

المحكم :
(عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم
منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم .
فلا أوحش الله منك يا شهر القرآن نودعك
مزودين بهذا المدد من يمن عطائك ، ويونس
وحشة الوداع يقيننا بأنك على موعد مع أمتك
في الموسم المقبل من السنة القمرية وفيما
يليه من مواسم باذن الله تعالى ، تجدد
حيويتها بزيادة من هدى القرآن عريق من حلال
رأى على رعي إنشائها ضد الغفلة ، وتجدد
مسارها الحائرين منهم في تيه العصر
ومسارهم في غواشي الظلمات ، ويحصن
شعوبها بمناعة ضد وباء فقدان المناعة
المعنوية المكتسبة من دين الفطرة .

وبعودة الأيام يا شهر رمضان
يرحل الراحلون منا وتبقى أطيافهم تحوم
حول الحمى ، وتتعاقب الأجيال وأنت على
موعد مع أمتك لن تخلفه بمشيئة الله ، إذ يطل
عليها هلالك من أفقه العالي في ميقاته ، فوق
فواصل الحدود وحواجز التفرقة وتنائي
الأبعاد وتطاول الأمد وأصلا ما بين ماض
وحاضر وأت إلى ما شاء الله .

وتخبو الأضواء الساطعة ببريق الدنيا ،
ويتعاضم الطفاة ويتفاحش الطاغوت .

ونور الله في بصائرنا لا ينطفئ ، والقرآن
فينا منار هدى ودليل مسار ومسرى ، وبلاغا
إلى الناس في هذا الزمان وكل زمان .

(يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ،
إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا
ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئا
لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب)

صدق الله العظيم

حديث العيد

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي
لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا
رَبَّنَا فَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ
عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ

د. بنت الشاطئ

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

صدق الله العظمى

عيد فطرنا ، زكاة ودعاء وصلاة

التقط انفاستى المجاهدة ، لاكون مع امتى في عيد فطرها ، لايتخلف عنه محزون ولا مكروب ولا مقهور ..
العيد ياخذ اسمه وموضعه في اعيادنا الكبرى . من شهر الصيام الذى يعطى هذا العيد اسمه . كما يعطيه
حكيمته ومغزاه ، فلا يقام عيد فطر الا بشهود هلال شوال بعده ، ايدانا بتمام شهر الصيام
وقد شرع لنا الدين شعائر الاحتفال بشهر القرآن صياما ورياضة ومجاهدة ، وقياما وتعبدًا وتهجدًا ، وجعل
صيامه قاعدة من قواعد الاسلام الخمس . المعروفة للمسلمين كافة من دينهم بالضرورة ، تكريما للشهر الذى اثره
الله تعالى بنزول القرآن في ليلة القدر منه ، واعظاما له كيلا تترك شعائره لنوازع الاهواء ومتغيرات النظم
والاوضاع وبدع المحدثات .
كما شرع لنا شعائر الاحتفال بعيد فطرنا منه : زكاة وتكبير او دعاء وصلاة ، وترويجا للنفس بالمباح من

الطيبات الحلال . فهذه سنة عيد فطرنا ، كما في الحديث المتفق
عليه ، عن رسول الله عليه صلوات الله وسلامه ، ولعلنا نشكر الله
عز وجل ان اتم علينا نعمته بقضاء فريضة الصوم ، ويسرها على
ذوى الاعذار منا بالرخص الشرعية للافطار ، فجعل قضاءها ديننا
علينا لله جل جلاله ، وفاؤه موكل الى ضمائرنا وتقوانا ، بصيام

(٢)

خلفه مؤتمين به حتى يتم صلاته بهم ، ثم لا ينصرف أحد منهم قبل انصراف الامام . يستوى في ذلك الملوك والرعايا ، الرؤساء والعامّة السراة الوجهاء والدهماء ، الأثرياء والمعوزون . فهامنا ، وحيثما اقيمت صلاة جامعة ، كلهم عباد الله وعبيده ، اكرمهم الأئمة بما يقيمون للناس من شعائر دينهم ويعتقون عليهم من آيات الكتاب والحكمة .

بقية من باقيات الصالحات ، لم يطمس بهاءها وجلالها من الايام والليالي وكر الغداة والعشي ، لاكثر من أربعة عشر قرنا .

وبلاغا الى الناس في زمان التصنيف الدولي لعالم أول وثان وثالث ، بين سادة وعبيد . (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا) .

نحتفل به تحديا لمن ظنوا ان جوهر اصالتنا قد أزرى به صدا العتاقة ، وان ملامح هويتنا قد جارت عليها فتنة الاستهواء بمحدثات البدع ، والحت عليها ذرائع المسخ والتشويه والاستلاب ، فهان علينا أن يجوز لطاغوت بغير هوية ولاتاريخ ، أن يستعبد أصل الامم هوية وأعرقها تاريخا وعلمنا وحضارة .

ولیکن ان احتفالنا بالعيد امتدادا لشهر الصيام وموصولا به ، قد طرأ عليه جديد هذا الزمان - الذي يوصف بانه عصر التنوير والانفتاح على آفاق الكمبيوتر والبث الاذاعي بالاقتصاد الصناعية - وما استحدث لنا من أحياء رمضان والعيد على الطريقة العصرية فيما سجله شاهد ثقة في رؤيته الثاقبة (من

ايام آخر بعد الشهر ، بعدد الايام التي افطناها منه برخصة شرعية ، لعذر من مرض أو سفر ونحوهما ، كما شرع الفدية ، طعام مسكين من اوسط ما يطعمه من يستنفد الصيام طاقته لشيخوخة أو مرض عضال ، يخشى معه أن لا يقوى على صيام القضاء ، فيفدى عن كل يوم أفطرفيه ، والأمر في ذلك كله موقوف على تقوى المؤمن . لا رقيب عليه في صيام أو فطر وقضاء أو فدية ، غير نفسه والشواهد وخالقه سبحانه وتعالى .

ووصل القرآن الكريم شعائر عيد الفطر ، بأحكام الصيام ، فجاء بها في الآية الجامعة المحكمة :

(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام اخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكمّلوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون) .

بشهود هلال شوال يبدأ عيد الفطر على السنن العملية المتواترة منذ شرع لنا الدين في شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة ، صيام شهر رمضان ، وشعائر عيد الفطر ، وفيه فرضت زكاة الفطر يؤديها المسلمون جميعا :

ومع الفجر يسعون الى ساحات العيد متطهرين في خير ثيابهم ، فلا يزالون يهللون ويكبرون ويرتلون دعاء العيد ، حتى يتقدمهم امامهم فيخطب خطبة العيد ثم يقيم لهم الصلاة بغير أذان ولا اقامة ، وهم جميعا

لستة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله
تحويلا)

والايام تمضي ، وبنا ما بنا من حزن وقهر
ونحبي مع أمتنا شهر صيامها وعيد فطرها .
فريضة محكمة وسنة ثابتة متواترة . لا
تستحق عواذ الزمان وهوادح الخوارات
والمكلمات . فذلك أمر الله تعالى : له الأمر من
قبل ومن بعد ، فيما يبلو به عباده من الشر
والخير فتنة ، تمحيضا لقلوبهم والزما لهم
بكلمة التقوى ، ليتميز من هم أحق بها
وأهلها ، ومن هم كالعيد الخسيس اللئيم .
إذا شبع ترلف ومدح وشكر ، وإذا جاع فجا
وفجر وكفر . قال تعالى : (احسب الناس أن
يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد
فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين
صدقوا وليعلمن الكاذبين)

ونظل نحتفل بعيد الفطر ، من باقيات
صالحاتنا ، يؤنس وحشة المحزونين .
والمفتربين بأطياف من يحبون . ويجددون
العهد بهم ومعهم ، برا وتواصلا ورحمة .
وصحبة حميمة لذكرى عهد خلت . كانت
الديار بهم أهلة ومحافل العيد بهم عامرة .

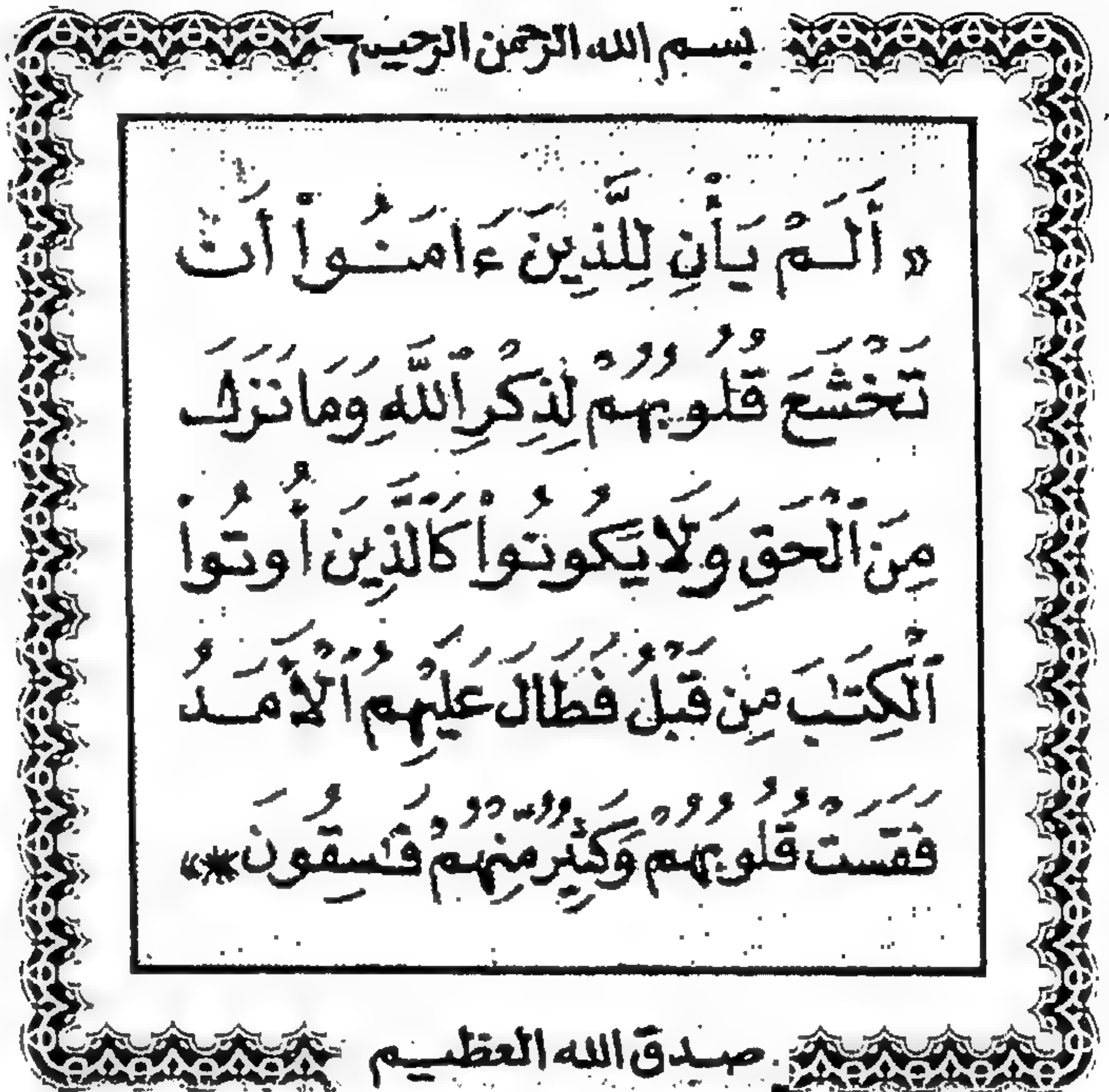
وفي ساحات العيد في مشارق الأرض
ومغاربها يحتشد ملايين المسلمين لأقامة عيد
فطرمهم مهللين مكبرين بدعاء التوحيد
المحض والتواضع لله عز وجل .
(اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه . والذين يفكرون السيئات لهم عذاب
شديد ، ومكر أولئك هو يبور)
صدة الله العظيم

قريب (لمبازل (كرنفال عسرى في رمضان)
تحول بها الشهر تدريجيا في مصر خلال
السنوات الأخيرة ، الى شهر للاحتفالات
والليالي الملاح ، يتصل مباشرة بالتطور الذي
تفرضه الطبقات الجديدة على الحياة في
مصر . يتحول بها الدين على يديها الى مظهر
اجتماعي للرجاء والاشارة

ليكن هذا واضعاه معه من افلام الجنس
والجريمة وبرامج الاذاعة والتلفزيون الفجة
للتثقيف والتسلية المبتذلة ، مع مئات
الاطنان من المخدرات تتدفق على اسواقنا
للبيضاة الحاضرة ، الا يرى الاستاذ الزميل
سلامة احمد سلامة . (من قريب) ان هذا
الذي رصده ويرصده لنا من علل حياتنا
الحاضرة ، قد افضى الى عواقبه الحتمية في
مثل . فتاة العتبة ، التي اعتدى عليها
الذئاب وسط الزحام بالملا من قومنا في قلب
عاصمة الكنانة ، ذات ليلة مقمرة من ليالي
البدر لشهرنا المعظم ؟ ثم قبل ان تنفض
المناحة الصحافية عليها . ويفرغ منها
المحللون والمعقبون ، نشرت صحفنا في ليلة
القدر ، نبا عشرة ذئاب من منطقة الديانة
بيولاقي الذكور ، على مشرف العاصمة .
أختطفوا زوجة كانت تسير مع زوجها أو
صديق له ، وساقوها الى مبنى تحت الانشاء
حيث تناوبوا الاعتداء عليها لمدة ثلاث
ساعات رهيبة مفزعة .

فهل بقي علينا أن ننتظر مزيد درس وعبرة
لعواقب مانحن فيه لنؤمن بثبات السفن
الحتمية للعلل والعواقب ، لاسباب
والنتائج ؟ الله تعالى يقول ، وقوله الحق ،
(فهل ينظرون الا سنة الاولين ولن تجد

مراجعات



د . بنت الشاطيء

الدواهي والملاهي ...

اراني بعد ان ودعت الموسم في حلجة الى ان اصل ما انقطع من لقلتي بالقراء
الاصدقاء في (حديث رمضان) ولست ادري ما اذا كنت في شعوري بحاجتي الى
لقائهم مدفوعة بهواجس الكهولة وفتور الرجاء في تجدد اللقاء وانا هامة اليوم
او غد ؟ ام هي الحلجة الى زاد من انس الصحبة يعين على ما نلقى وتلقى امتنا
من نكد الايام وويلات الخطوب ودواهي القوارع ؟ لقد احلوا احيانا ان الود في
وحشة الوداع براحة الصمت والسكوت والتمس من الرقاد فتور تجاهل
وهجوع ، ثم لا البث ان اتبين ان ذلك ومثله تتجاوزه ويلات المرحلة التي
تهد الحبل وتنقض الظهر ، فلا الصمت يخلصنا من شواغل الهواجس ، ولا
تكلف الرقاد يعطينا من اصفاء الاحلام وهذيان الارق والسهاد ، ولا صمم
التجاهل يلهينا عن تبايح الهموم وكابة الظنون . فلم يبق الا ان نتمثل بقول
الشاعر المكروب :

يواسيك او يسليك او يتوجع

ولا بد من شكوى لذي مودة

(7)

★ ★ ★

★ ★

(يريد الله أن يخلف عنكم، وخلق الإنسان ضعيفا) ثم لا اكتم قرائي الاصدقاء، اننى فى معاناتى لهموم حياتى ووحشة دنياى وهواجس كهولتى، مرهقة الحساسة بمأسى اهل بلدنا وهموم امتنا فى هذه المرحلة الصعبة وما تواجه من

مراجعات (٢)

بناك محض الإيمان

د. بنت الشاطيء

لعل أراجع نفسي في مراجعتي للقراء كرام ، ذكروني في مواساتهم اياي فيمن
شكلت وفقدت بما سبق في ان واسيتهم به من مجاهدة الحزن على ما لا يسترجع
والصبر على ما تلقى من مكابدة الهموم ، مع الحساسية المفرطة لما يلزم بامتنا من
عصيب المحن وقوارع الكوارث .
والتواصي بالصبر من كمال الايمان فيما نتلو من (آية البلد) في تكاليف عقبة
وجودنا الانساني الكريم ، بدءا بالتحريض من الرق ، والرحمة باليتامي والمساكين
في المجاعات :

(لم كان من الذين امنوا وتواصوا
بالصبر وتواصوا بالمرحمة)
آية (العصر) في الانسان والخسر :
(لا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)
التواصي بالصبر في الايتين ليس على
إطلاقه بل معه فيهما التواصي بالمرحمة
والتواصي بالحق ، فينتفى التواصي
بالقسوة وبالباطل .
وكذلك عشرات الايات في الحث على
الصبر والامره والاجر عليه : « والله مع
الصابرين » ، « والله يحب الصابرين » ،
« وبشر الصابرين » ، ليس الصبر فيها
بعموم مطلق بل منه الصبر على المصائب
والبلاء نقبض الجزع . ومنه الصبر في
النواصب نقبض الضجر . ومنه صبر
المؤمنين على مشاق العبادات وتكاليف
امانة الانسلن ، ونقبضه التفريط
والخيانة ، ومنه صبر الرسل اولى العزم
عليهم السلام على اعباء رسالتهم ، وصبر
المؤمنين المجاهدين في القتال شجاعة
وثباتا ونقبضه الجبن والفرار ..
في هؤلاء المؤمنين الصابرين قوله تعالى
فيما لهم من اجر وحسن مآب في الآخرة :
(سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى
الدار)

بسم الله الرحمن الرحيم
« والعصبر . ان الانسان
لفك خسر الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا
بالصبر »
طدق الله العظيم

طدق الله العظيم

(٢)

وفي موسى وامه عليهما السلام .
واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فإذا
خفت عليه فالحية في اليم ولا تخافي ولا
تحزني اما رادوه اليك وجاعلوه من
المرسلين ..

(فرددتك الى امك كي تقر عينها ولا
تحزن وتعلم ان وعد الله حق) ..
وفي مريم وابنها المسيح عيسى بن
مريم)

فاجاءها الشياطين الى جذع النخلة قالت
(يا ليتني مت قبل هذا وكنت سبية
مشية ، ففداها من تحتها الا تحزني قد
جعل ربك تحتك سريا)
وفي المصطفى خاتم النبيين عليهم
السلام :

(قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون)
(يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر) ... وفيها وفي نظائرها قال
علاؤنا في دخول لا الناهية ، ههنا :
وقوله تعالى : « ولا تحزنوا » ، فلا تحزن ،
لا يحزنك ، ليس على وجه النهي عن
الحزن فالحزن ليس يحصل بالاختيار ،
ولكن النهي عن تعاطي ما يورث الحزن ،
وحدث الانسان على تصور ان هذه هي حل
الدنيا ، فلا تبيغته النوايب .

وانما نفى الحزن عن المؤمنين لذلك
حيث جاء في القرآن الكريم ، من البشرى
لهم في الآخرة ، بان (لا خوف عليهم ولا
هم يسزون)

وقد زكى الله عز وجل الحزن النبيل
للمؤمنين الذين ارادوا الخروج مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك

على ان من الصبر كذلك ما هو صبر على
الضلال وجراة على الباطل والنواصي به
واستهزاء بالرسول وبوعيد الآخرة
وقولهم : (ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا
ان صبرنا عليها)

(وانطلق المسلم منهم ان امشوا
واصبروا على الهتك) ..
وقوله تعالى في الذين اشتروا الضلالة
بالبهدي والعذاب بالمغفرة : (فما اصبرهم
على النار)

وليس في القرآن الكريم وصحيح
الحديث فيما اعلم - ما ينفي الحزن عن
الصبر فضلا عن ان ينالضه ، اذ ليس
الحزن باختيارنا حتى يكف عنه او
نتواصى به . ولقد يكون من لطف الله
تعالى بعباده ان يستروح المؤمن الى حزنه
وينفخ عن مواجعه ومواجده بالبكاء .
ولو كان الحزن يجرح الايمان لكان
الصفوة الرسل عليهم السلام اولي بان
يتجنبوه لو استطاعوا ، فكيف والقرآن
فيما نزل من آياته في حزن رسله عليهم
السلام ما ينبغي ان نعتبر به .
منها في يعقوب عليه السلام وبنيه
اخوة يوسف :

(اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف
ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون)
(وتول عنهم وقال يا اسفا على يوسف
وابيضت عينا من الحزن فهو كظيم)
(قال انما اشكو بنى وحرى الى
الله ..)

يحزن ولا نقول الا ما يرضى ربنا .. وانا
لغراقت يا ابراهيم لمحزونون (متفق عليه .

★ ★

وذكرني زميل صديق قريب عهد بكل
ولده . بما قلته في مراجعة سبقت : إن
المحزون قد يلون بالصبر طاعة واحتسابا
وتجملأ ثم لا يامن في اخذة المصائب الفاجع
من هذيان الوسولس وهواجس الظنون .
ولا باس علينا منها ان شاء الله .
فرحمته تعالى مرجوة لمن يضنيهم الاسب
ويتجملون بالصبر . وفي كتاب الايمان
من صحيح مسلم . عن ابي هريرة رضي
الله عنه ان ناسا من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم سألوه : انا نجد في
انفسنا ما يتعاضم احدنا ان يتكلم به .
قل : (وقد وجدتموه ؟) قالوا : نعم .
قل : (ذاك صريح الايمان) وفي رواية عن
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : قل :
سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن
الوسوسة فقال : (تلك محض الايمان)
والله مع من بر واتقى .

وهم سبعة رجال من الصحابة رضي الله
عنهم ، ارادوا الخروج ولم يكن لديهم ما
ينفقون فأتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلم يجدوا لديه ما يحملهم عليه
فنولوا محزونين باكين . وفيهم نزلت آية
التوبة فيمن لا حرج عليهم من المتخلفين :
(ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا
على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا
نصحتوا لله ورسوله . ما على المحسنين
من سبيل . والله غفور رحيم . ولا على
الذين اذا ما اتوا لتحملهم قلت لا اجد ما
أحملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من
الدمع حونا الا يجدوا ما ينفقون) .
ومشهور من شمائل المصطفى عليه
الصلوة والسلام ورقة قلبه . حديث انس
ابن مالك رضي الله عنه . في دخول النبي في
عدد من الصحابة على ولده ابراهيم عليه
السلام وهو يجود بنفسه فجعلت عيناه
صلى الله عليه وسلم تذرغان فقال له عبد
الرحمن بن عوف : وانت يا رسول الله ؟
فقال له : (يا عبد الرحمن بن عوف . انها
رحمة) ثم قل : (ان العين لتدمع والقلب

مراجعات (٣)

أهكذا نحن ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

« قَهْلٌ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا

فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ *

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ

وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ * أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ

الْقُرْءَانُ أَمْرٌ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا * »

صدق الله العظيم

من حيث لا احتسب ، جاءتنى في غواشي الكرب والاسى رسالة من المغرب الأقصى ،
وأخرى من نجد تلقيتهما معا غداة ليلة القدر ، فجادت مقلتي بدمع تحجر فيهما
واحتبس .

في الرسالتين من كريم المواساة ولطف التراحم ، ان ابنائى المغاربة ، من شباب علماء
القرويين ، تلقوا العزاء في ولدى الذى تكلته ، وقرأوا ختمة قرآن على روحه الطاهرة في
جامع القرويين . وكذلك كانت مواساة بنت لي من طليعة الجامعيات السعوديات : ختمة
قرئت على روح فقيدى في الحرم المكي .

وفرّج عنى هذا التراحم بيننا على بعد ما بين المشرق والمغرب ، بعد شهور طالت على ،
كنت خلالها أرجع البصر من أطلال دنياى الفقر ووجودى العقيم الى البقايا الممزقة لعالمنا
الاسلامى المنكوب بنا فالبح العدو يتربص بها واحدة بعد الأخرى . واليد الخبيثة تدور
حولها في حركة التلفل مأكرة ، من صحراء المغرب والجزائر والشمال الأفريقى الى الخليج
والفانستان ، ومن منابع الرافدين الى اليمن ووادي النيل والقرن الأفريقى لا ندرى على
اى بلد منها ياتى الدور التالى ليقع في قبضة الطاغوت ..

د . بنت الشاطيء

بهذه الظاهرة الاجتماعية أسبابها الغائرة في أعماق وجودنا التاريخي وما شهد على مساره الطويل من تعرضنا لملاحم الأهواء والمطامع الجامحة على اختلاف أشكالها والويلاتها وتطور أسماؤها وأسلحتها ، من هجمات الرعاة الهكسوس الى اجتياح استعماري روماني ويوناني ، ثم احتلال عسكري أوروبي تصدت له الأمة بالرفض والمقاومة في معارك التحرير الباسلة على امتداد شرقنا العريق من أقصى المغرب الى أقصى المشرق ، فكان أن جرى عليه قانون التطور فاستحدثت له الشرعية الدولية الأمريكية في السياسة المعاصرة ، مبدأ نجدة المستضعفين من الأصدقاء والحلفاء ، لم يلحظ أن اتجه الى مساومة على سراب الأمن يتقاضانا الفدح الأثمان

أقول : قد يكون لظاهرة تجمعنا في المحن والأحزان عللها الغائرة في أعماق وجودنا التاريخي ، ثم لا يمتنع أن تختلف صور التعبير عنها ، وإن تظاهر الشواهد لغلبة الحزن على مزاجنا العام في مواويلنا الحزينة وأمثالنا الشعبية السائرة ، وفي احتفال تراثنا بالمراسي والبكائيات كما لم يحتفل بغير آخر من فنون القول : جمعا ورواية وتدوينا وتناقلت الأجيال على مر الزمان بكائيات شعراء الأمم والدول الخالية والشعوب والجماعات المقهورة ، من قديم العرب البائدة الى بكائيات سقوط بغداد وضياع الأندلس واغتصاب فلسطين ، تشجينا على تنائي الأبعاد وتطول الاماد ...

ولقد يعرف المسلمون كافة من ظواهر التراحم بينهم المشاركة في الصلاة على

وتتوالى النذر جريئة سافرة ، لم تعد تتقي ما كانت تحذره في الماضي القريب من غضبنا لحرماننا ، وقد غرما ما يبدو للرؤية القريبة من تمزق امتنا شيئا متناكرة واحزانا متناحرة ، اطمعت الطامعوت في إمكان ترويضها لتلهو بصليل أغلال الديون ودقات طبول الحرب وفحيح نار الفتنة ، وتسير بتوجيه الطامعوت على الرمال المتحركة ما يخاللها من سراب الأمن ، مشغولة به عن مصاب أخ وصديق ، وعن المرحمة لشعب جار شقيق يسام أضرى ويلات الحصار المنهك ، والتفجع لشعوب منا تغص بحشيرة النصر الدامي ...

فهل هكذا نحن ؟

هل هكذا يلهينا صليل الأغلال ودقات الطبول ورنين الأجراس وفحيح النار عما يجري غير بعيد منا لأهل لنا وجيران من نهك الحصار وكيد الشيطان وسظوة الأرباب ..

أو هكذا نحن لا نبالي مصارع البقي وضحايا الطامعوت في مسيرتنا العمياء على الرمال المتحركة الى سراب الأمان ، لناخذ دورنا على قائمة الانتظار للملهاة الشيطانية الفاجعة ؟

من قديم تعاقب علينا الطغاة من رومان ويونان وصلبيين وتتار ، ومد لهم الزمان في طغيانهم ، وبقينا نحن نحن لم نغب لحظة عن مجرى الأحداث ، وهلكوا كما هلك جبابرة قبلهم (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) ؟

من قديم كذلك ، تجمعنا الأحزان والمحن على القرب والبعد ، أكثر مما تجمعنا الأفراح والليالي الملاح ، وقد يكون

أجهش بالبكاء عليها وهو في الثامنة والخمسين من عمره ، وقد طواها الثرى في الأبواء قبل أن يكمل السابعة من عمره ، عند مرجعها به من رحلتها إلى يثرب لتزيره قبر أبيه الثاوي هناك ، قد أدركته المنية شابا ، وتركها عروسا في الأشهر الأولى من حملها بوحيدهما اليتيم الهاشمي .

وبكاها معه كل من كان في الركب النبوي من المهاجرين والأنصار ، ولعل أكثرهم لم يكن قد ولد حين توفيت بالأبواء قبل أكثر من نصف قرن .

وما نزال على العهد بنا من قديم الزمان نتراحم في الكروب ونتفجع لما يلم باهلنا وجيراننا من محن وكوارث فإن تكن جوائح المرحلة قد أفرزت دواهيها ما يبدو للرؤية القريبة من تقاطعنا وأوقدت بيتنا سعار الفتن ، فذلك ما قد يصدق على الأحزاب المتناكرة والمنظم والحكومات تحت ضغط النوازل واحكام الضرورات ، دون أن يتجاوزها إلى ما بين شعوب الأمة من أواصر القربى ، وما رسخ في ضميرها ووجدانها من منهاج السلوك للامة في تراحمها وتواصلها وتعاطفها . وللصحيحين من حديث المصطفى عليه الفضل الصلاة وأزكى التحية : (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى) .

الموتى وتشيع جنازتهم ولبسوا من ذوي رحمهم . ويعلمون من السيرة النبوية أن المجتمع الإسلامي الأول عرف الماتم العامة للشهداء وذوى الأقدار من اعلام الأمة ، وقد بلغ من حزن النبي عليه الصلاة والسلام وحزن أصحابه جميعا على وفاة السيدة خديجة أم المؤمنين الأولى ، رضى الله عنها ، ووفاة أبي طالب ، عم المصطفى وكأله وماتعه من قومه ، أن سمي عام وفاتهما عام الحزن .

وفي السيرة النبوية والطبقات الكبرى لابن سعد ، من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه - وقد مر الركب النبوي بقرية الأبواء في عمرة الحديبية سنة سبع من الهجرة - قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم وخرجنا معه حتى أتتلبنا إلى المقابر فأمرنا فجلسنا ، ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها فأصلحه وجلس إليه فأنجاه طويلا ثم ارتفع صوته ينتحب باكيا فبكينا لبكائه ، ثم أقبل علينا فتلناه عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، فقال : ما الذى أبكاك يارسول الله فقد أبكنا وأفرغنا ؟ فأخذ صلى الله عليه وسلم بيد عمر ثم أومأ إلينا فأتيناه فقال : (أفزعكم بكائي ؟) فقلنا : نعم يارسول الله . فقال ذلك مرتين أو ثلاثا ثم قال : وإن القبر الذى رأيتموني أناجيه قبر أمي أمة بنت وهب ، وإنى استأذنت ربى في زيارتها فاذن لي . وفي رواية لمسلم في (الصحيح) أنه قال : (أدركتني رحمتها فبكيت .)

التاريخ : ١٤ / ٥ / ١٩٩٢

(٢)

عن تسأل : استريح ؟ كيف ، ولعل
الكلمة التي فيها راحتى لم ألقها بعد ؟
وانى لمثل أن تستريح ، وعالم
اليوم لا يشغله شاغل مثلما تشغله
خطر تحديات الإسلام ، ومطاردة
الإسلاميين والأخذ بشبهة الانتماء
اليهم فيما لا يتصور عقلا وشرعا
والتنونا ، انهم اقترفوه بوصفهم
اسلاميين ؟

لم يكن قد انتهت بعد من قراءة
كتاب الرئيس الأمريكي المستقبل
ريتشارد نيكسون ، عما تواجه
الولايات المتحدة الأمريكية من خطر
الإسلام الذى ينبغي أن تفرغ له ،
بعد أن فرغت من تصفية الشيوعية
ووراثه مخططات دولته الكبرى من
النفوذ والسلاح والرجال ..

القول : لم أكن انتهت من مطالعة
هذا الكتاب ، حتى صدر أحدث كتاب
للاستاذ الكبير ، محمد حسنين
هيكل ، عن (حرب الخليج ، أو هام
القوة والنصر) فشددنى إليه ما كشف
عنه من وثائق لما يتردد فى الأفق الدولى
من سبق التخطيط الأمريكى لحرب
الخليج ، ومازيف هذا التخطيط من
شرعية دولية لخدمة ماربها ، وشعار
صليبي لمعركة الصحراء ..

وقدم كتابنا السياسيون والمعلقون
الدوليون ، ما لا يستهان بقيمته من
تحليل شهود المرحلة لأحداث عاصفة
الخليج ، ورؤيتهم الثاقبة ، من
قريب ، لما وبعد العاصفة من صريح

وكنت على نية الانتظار بشهادتى
للعصر الى اليوم الثامن عشر من
يونية القريب ، لكن حدث أن مررت
منذ اسبوع على المركز الطبى
للاهرام ، فى مراجعة دورية لطبيبى
الصديق ، الدكتور بكرى شريف ،
الذى احظى برعايته فى فترة نقاهة
طويلة صعبة مثقلة بالأحزان
والهموم ، فسمعت بعد اجراء الكشف
على ، يقول فى حيرة بين التساؤل
والاشفاق ، وهو يتكلف ابتسامة
حزينة :

الضغط تسعون على خمسين ..
النض اثنتان واربعون .. لا بد من
راحة ..

ودعته شاكرا وانصرفت الى مكتبى
غير بعيد من المركز الطبى ، وليس فى
خاطرى جواب عن تساؤل طبيبى
الحكيم ، سوى كلمة طالما سمعتها
تتردد فى مدرستى الإسلامية عن
شيوخها السلف النبلاء ردا على من
يشفق عليهم من مواصلة الدرس
والمجاهدة على كبر السن ووهن
القوى : « ما يدرينى ؟ لعل الكلمة
التي فيها خلاصى ، لم ألقها بعد ، ..
ودخلت هذه الكلمة فى مائورات
المدرسة الإسلامية ، لمبادئ سلوك
علمائها ، فما نحتاج الى نسبتها الى
فرد منهم بعينه ..

ولبثت يومى كله ، وإياما بعده ،
أردد كلمة شيوخنا النبلاء فلا أكف

النذر بفرض الشرعية الدولية
الأمريكية لتأمين الهيمنة على عالم
« ما بعد حرب الخليج » ، لمواجهة
خطر تحديات الاسلام وتصفية قواعد
قواه العسكرية والاقتصادية
والبشرية ، المعروف منها وما هو
محتمل أو متوقع على سبيل الظن
والشبهة ، وفحص ما تسجل أجهزة
التنصت العصرية لأسرار الحكام
وخطط القادة .

من احدث ما حملته إلينا انباء
اليوم التاسع والعشرين من شهر
ابريل الماضي ، بلاغ من واشنطن عن
« ندوة غربية في أمريكا تبحث
ماتصفه بخدش الاسلام في
التسعينات » ترجمة « مكتب
الاهرام » ، ولقد لم به قرة نصها :
في ظل اهتمام عالمي بالاسلام ودوره
في المستقبل ، والذي أصبح من
الموضوعات الرئيسية التي تشغل بال
الادارة الأمريكية والمجتمعات والرأي
العالم ، نظم « المعهد الأمريكي

لدراسات الشرق الاوسط » ندوة حول
هذا الموضوع ، عنوانها (أمريكا
والاسلام وتحديات التسعينات)
وجاءت هذه الندوة التي اختلطت
فيها المفاهيم عن الاسلام وهذه
التحديات ، استكمالاً لتوصيات
« لجنة العمل الأمريكية الإسرائيلية :
الايبيك » ، التي حذرت فيها مما يسمى
بالخطر الاسلامي وتهديده للحضارة
الغربية . واستهدفت اللجنة التحذير
من الخطر النووي والكيميائي
والبيولوجي الذي يمكن ان تمثله الدول
الاسلامية ، باعتبار ان التركيز على
ما يسمى بالتطرف الديني قد يهدد
النظم في دول الشرق الاسلامي ، بينما
يهدد امتلاكه للسلاح النووي الحضارة
الغربية ..

وأجهدني التتبع لما في هذه الوثيقة عن
مكايد حلف الشيطان ، فأودعتها في ملف
وثائقي ومدوناتي لشاهدة عصر ، غداة
نصح لي طبيبى الحكيم بضرورة
الراحة ، فأحاول الانصراف عما انفر
منه بطبيعتي من صخب السياسة

التاريخ : ١٤ / ٥ / ١٩٩٢

(٤)

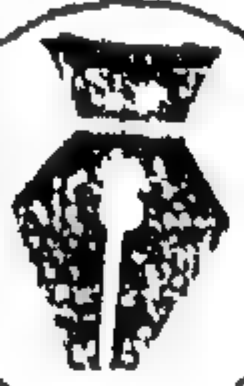
الدولية ، وحصر رؤيتي في افقنا القريب للعالم الاسلامي مشرقه ومغربه ، فتلقاني مشاهد مروعة لاحتفالات النصر الدامي في « سراييفو » وامثالها ، ترشك ان تتحول الى ماتم فاجعة ، والانباء تتري عن المجازر الرهيبة والحروب الاهلية الحاصدة ، من الجزائر والصومال والقرن الأفريقي الى المشرق الاسيوي ، فيأخذني الرعب لما اسمع واشهد من مصارع القتلى وحصاد المجاعات ، وكأنني أطلع على اهل الكهف وأتو من أيهم قوله تعالى :
(لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا) ...
وأحاول الفرار منهم وانهم لمن جيراننا واشقائنا ، لأصبح وأمسى على ماتذيعه أجهزة الاعلام عن الصدام المفروض على المنطقة العربية بين الشرعية الدولية الامريكية لتقرير مصيرنا في عالمها الجديد ، وبين ما نحملة من تبعات رشدا وتكاليف الوعي بأمانة انسانيتنا ، تأخذنا فيه الصيحات من هنا وهناك وهناك الان تقحم الدين فيما لاشان له به من امور الدنيا وسياساتها وشرائعها ، وهذه صياغة تزيف العصرية لما هو رجع صدى للمبدأ الروماني القديم : « دغ مالفيسر لقيصر وما لله لله » وذلك مالا يجوز على أمة تدين بأن قيصر وكل ما لقيصر ولغير قيصر ، لله عز وجل ، فكان ان اسفرت وجوه علمانية عن دعوة الى تنوير يحذف من الدستور المادة التي تنص على ان

الاسلام ديننا ، واستبعاد ما يتعلق بهذه المادة من قوانين ولوائح ومؤسسات .. فلماذا لا يبشرون بمثل هذا التنوير الضال في دول غير اسلامية ، ويعطلون به بعثات التبشير الديني ومؤسساتها المبثوثة في طول الديار الاسلامية وعرضها ؟ ... يسوغ في منطق المبشرين فينا بهذا التنوير العصري الشائه ، ان يدين من شاء بغير الاسلام فلا يدخل في مجال نشاطهم ، كما لا يدخل في النطاق المحدد بقانون الشرعية الدولية لمطاردة الاسلاميين ، واخذهم بشبهة الانتماء الى الاسلام ، تدس عليهم من ليس منهم ، وتنسب اليهم الاتهام بجرائم يحقها الاسلام شريعة ومنهاجا ، ويعلم المسلمون كافة ، انها من الحرام البين .. ونشأ عن هذا الخلط بين العلمانية والتنوير ، بين الشرعية الدولية وتطويعها لما رب امريكية صهيونية ، بين الاسلام وما ليس من شريعته ، بين الغيرة على الدين ومفززات المرحلة من ظواهر الارهاب والحراقة والعنف العدواني ، اضطراب في موازين القوى وموازن القيم ، التبتت فيه العصرية بذرائع المسخ والتشويه ، كما التبتت الرؤية السياسية لنوازل المرحلة ، بالرؤية الفكرية بأبعادها المتزامية ، فيما نسمع من حظر تدخل الدين فيما لا يخصه من شئون السياسة والحرب والمال .. وذلك ضلال بعيد ...
(والتسلام على من أتبع الهدى ...)
صدق الله العظيم

التاريخ : ٢١ / ٥ / ١٩٦٢

٢

شاهدة عصر



تضامياً و آراء

د. بنت الشاطي

القيم في موازين القوى بين ماض وحاضر الحدود والمواقف بين التواصل والتمايز

علموني في مدرسة البيت من صغري ، ان اعرف حدى فاقف عنده لا
اتجاوزه : اتعجل امرأ فيقال لي : ليس هذا وقته ، واطلب شيئاً بعد وقته
فيقال لي : فات أوانه ، واتعلق بثوب يعجبني فيقال لي : ليس على قدك .
ونقضى عطلة الصيف في ريف المنوفية ونروح الى الغيط فيكون اول ما
انعرف عليه الحدود الفاصلة بين ارض لنا وارض لجيراننا فيما يلي من
الحد الشرقى والحد الغربى ، والحد البحرى والحد القبلى ..
ولم اكن في شيء من ذلك ومثله اشعر باننى اتلقى دروساً ومواعظ بل
هو التنبيه الى ما ادركه بفطرتي تلقائياً بمجرد التذكير به مع ما اشاهد
من سلوك الاهل : تلبس الزى المناسب لنا ونعيش على قد حالتنا ونعرف
حدودنا فلا نتطاول الى ما لا ينبغي لامثالنا في ظروفنا ومستوانا .
والمجتمع من حولنا يغض ممن يتجاوز حده ، وتجرى على اللسان في
الدور والطرق والمجامع الامثال السائرة والمأثورات في التنذر بمجاوز
يتصابى ، شايب وعايب ، وايش تعمل الماشطة في الوجه العكر ،
والشيء في اوانه لايعاب ، وعلى قد لحافك مد رجلك ، والشيء اذا جاوز
حده انقلب الى ضده ..

(٢)

الاسلامية من علوم يبدأ درس كل علم منها وكل مبحث ومطلب ، بحدود تعريفه لغة واصطلاحا . ثم مازلنا مع الحدود فيما نتعلم من الحد المنطقي الجامع المانع والحد الجامع غير المانع وعكسه ، حتى تأهلنا في الدراسات العليا لادراك مصطلح علمائنا الشيوخ رضى الله عنهم في مصطلح الكلاميين والاصوليين للدلالات والادلة ومصطلح علماء الاحكام في تعدد الادلة وفي الترجيح والاستحسان وما للرأي والاجتهاد فيه مجال . ومصطلح علماء الحديث فيما تعددت فيه الروايات .

وارانى اطل على الحياة العامة لامتى من موقع الفكر الاسلامي الذي وجهتني اليه فطرتي ونشأتى ومدرستى فلا انك التمس حدود هذا الموقع متصلا بالمواقع الاخرى لوجود الامة مع الادراك لتمايزها بخصوصيتها ليجور عليه اتصالها بسائر المواقع

اجهزة الاعلام العصرية المتداورة تاتينا بانباء اللحظة والدقيقة والساعة . والاعلاميون المدربون الثقاق يتبارون في معرفة ملابساتها والتعليق على ما يشفون من تفاصيلها ومحجوب دوافعها وسرعة تنقلهم وراء الاحداث حيث تقع في اى اطراف الدنيا مشارقة ومغاربها وشمالها والجنوب

ونتوارد جميعا على هذه الانباء يشغل كل منا بما يختص بموقعه

وكبرنا وكبرت معنا الحدود في السلوك نلزم فيه حد الادب وحدود الشريعة في المواقف والامكن لما كان من تكاليف الشرع مقيدا بزمان او مكان او نصاب ومقدار وفي حدود الله في العلاقة الزوجية وبين . الابناء والاباء وذوى الرحم والقربى وفي المعاملات والاقضية والاحكام والشهادات (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) وفي الاداب الشرعية للسلوك في الماكل والمشرب والملبس والزينة . في الخلوة وفي الجماعة .. ومع ادراكنا لدقة الحد وحرمة ، كنا نسمعهم يقولون كذلك ؟ خذ الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق ، ومن جاور الحداد انكوى بناره . فهفهم ذلك بالمشاهدة لما تتعرض له دار بتصدع جدار ، لجار وما ينتقل الى زراعة من افات في زراعة مجاورة وفي العدوى تنتقل من مريض الى مخالط او مجاور ، كما نفهم من حرص الاهل على كرم الجوار وطيب الرفقة والحذر من جار السوء وتحاشى السكن في دار مجروحة من مظل عليها للجيران من نافذة او شرفة . وما يجرى على السنة العامة من امثال في الطيور على اشكالها تقع وشبيهه الشيء منجذب اليه والوحدة خير من جليس السوء دون ان تلمح الحدود بهذا التاثر او تتعطل وظيفتها في التمييز بين متجاورين والفصل بين متنازعين ..

واعاننا ذلك على ما نلتقى في المدرسة

ويمعن النظر في فحصه ومقابلته بالاشياء والنظائر او بالاضداد ويمد البصر الى نطاق التواصل بينه وبين سائر المواقع بما لايزوغ منه البصر ويضلل الرؤية .

• • •

ولقد لبثت زمانا ارصد احداث العصر من موقع الفكر الاسلامي الذي اربط فيه فاري العامل الديني يلقاني حينما تظرت واني اتجهت يستقناب العوامل الاخرى في تفاعل مؤثر فيعطى تاريخنا تفسيره ومنطقه . دون ان بغض من شان اى عامل منها . وجعلني ذلك في حاجة الى النظر في العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية والاعلامية من حيث صلتها بموقع الفكر الاسلامي . ولم استغن عن الرجوع الى اساتذة القانون كاستاذنا الجليل المغفور له الدكتور عبدالرزاق السنهوري في دور الصهيونية في اسقاط الخلافة العثمانية والاساتذة الدكتور محمد حلمي مراد في السياسة الحزبية والقانون والدكتور محمد توفيق الشاوي في الشورى والاستشارة بين الشريعة والدستور الوضعي ، والدكتور محمد سليم العوا في الازمة السياسية والدستورية في مصر في زماننا هذا ، وفي محاضراته القانونية لمراحل قضية الدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية والرجوع الى الدكتور جمال حمدان في كتابيه عن (شخصية مصر) و (استراتيجيات الاستعمار والتحرير) .

وسائر ماوصل الى مطبوعات المرحلة

• • •

وطولت بالافاق من شرق وغرب القى علماء الاستشراق من مختلف المال والنجل والمذهبيات واستكمل مافي خزائني من منشورات المستشرقين عن الاسلام وفتوحه الكبرى وحضارته وماشوه المتعصبون من تاريخه وزيفوا من تفسيره

كل هذا واضعافه معه وما استقصيت الشواهد على رؤيتي للاسلام في موازين القوى حتى دارت بنا حرب الخليج

وعاصفة الصحراء ومابعد العاصفة فاضافت الى رؤيتي هذه ابعادا غفلت عنها فيما مضى . منها ان الموقع الواحد من مواقع الوجود الحيوي للامة لا يستقل برؤية موحدة بل تتعدد مواقف المشاركين فيه وليسوا جميعا سواء فتختلف رؤيتهم للموقع باختلاف انماط شخصياتهم وتفاوت عقلياتهم ومذاهبهم واساليبهم . وذلك ماينبغي ان يؤخذ في الاعتبار ليتسع مجال الرؤية لمختلف المواقف في الموقع المشترك دون مطالبة احد بالخلط بين رؤيته ورؤية غيره او بان ينظر بعينه ضد سنن الفطرة وطبيعة الاشياء

افهم مثلا ان يكتب كاتب سياسي محقق رؤيته لاحداث المرحلة من موقع اختصاصه ، فتختلف بالضرورة عن رؤية من يشاركونه في رصد هذا الموقع فضلا عن آخرين من مواقع اخرى ، ليس لديهم مصادرهم ووثائقه واتصاله الوثيق بالقادة والساسنة في مراكز صنع القرار

قد اخالف الكاتب السياسي في رؤيته للحدث لكني لا اهن من شأنها بل اقدر ما قدم من وثائق شاهد رؤية لاغنى عنها لمن يرصدون تفاعلها مع سائر العوامل في المواقع المنوطة باختصاصهم وتكامل جهود جهود الوقت من قريب وتودع في ذاكرة التاريخ فتعاقب الاجيال من الدارسين النقاد على فحصها ومقابلتها وتمحيصها لتأخذ موضعها من مسيرة الامة بين ماض وحاضر استبصارا لمنطق الحتمية التاريخية فيما يتوقع من عواقب الاحداث وملامح الغد

من حرب الخليج وعاصفة انصحراء ومابعد العاصفة ، تنبئت كذلك الى ان العبرة كانت دائما لموضع القيم في موازين القوى ذخيرة الشعوب في نضالها الباسل عن وجودها الحر الكريم لاتكسرهما اسلحة متطورة وجيوش كثيفة مدربة ، ولا يسقط وعيها تمويه الذرائع ولايسرى عليها قرار شرعية دولية امريكية بحشد القوى لحتمية المواجهة لتحديات الاسلام لعالمهم الجديد !

• •

التاريخ : ٢١ / ٥ / ١٩٦٢

(٤)

على هذه القيم اركز الرؤية من
موقع الفكر الاسلامي فالحج بواذر
ماكرا للهاة سيناريو لوس انجلوس
وهوليوود وكاليفورنيا والى تحريك
التشكيلات لوفودنا على الرقعة
الخامسة من مدريد وواشنطن الى
روما وبروكسل واوتاوا ولاهاي
وهيينا ، فالى واشنطن ومنها سعيها
وراء اوهام السلام فما ادرى اهي
غفلة من مراكز القوى عن ذخيرة
الاسلام من القيم ، ام هي من ذرائع
التمويه تستدرجنا الى مصايد
الطاغوت ؟

● ●
قصارى مايلخه مد بصرى وقد
وهن العظم منى واشتعل الراس شيبا
هو ان امعن النظر في مصاير نظم
وقادة وحكام من كابول الى بلجراد
وموسكو وتيرانا تعلقوا بمراكز قوى
تصدعت وتزايلت فهلكوا واتلو من
ايات ربي

، وكم املكننا قبلهم من قرن هل تحس
منهم من احد او تسمع لهم ركزا ١٩ ،
صدق الله العظيم □

التاريخ: ٢٨ / ٥ / ١٩٩٢

Y

شاهدة عصر

د. بنت الشاطئ:

الأصالة والأصوليون بين أمس واليوم

أيام زمان لم يكن لاهلنا ما يعتبرون به في موازين الناس قدر الاعتبار بكرم الأصل ، متى قالوا ، ابن اصل ، اتجه إدراكنا بالفطرة الى عز العراقة وطيب المنبت وكرم السجيا ، وفهمنا ان مثله يعف عن الدنيا وخوارم المروءة . ومتى قالوا في آخر : عديم الأصل او قليل الأصل فذلك اقصى مايوصم به وضع من الخسة والدناءة . ولم تكن في هذا الإدراك الفطري المبكر تشغل بالسؤال عن الأصول والانساب ونحن نرى قومنا ينظرون في الاصيل الى مكارم الأخلاق وتبيل السجيا، وفي عديم الاصيل الى خبث الأفعال ودناءة الطبع .

ثم لما وعينا آية الحجرات :
(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر
وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله
التقاكم)

اتسع إدراكنا لموازين القيم وما
أوجبه دين الفطرة من ضرورة حفظ
الانساب حتى لا تختلط الأصول
وتتشابه القرابات والأرحام وتتعطل
أحكام الشريعة فيما يتعلق بالانساب
كتحريم الزواج من المحارم والموارِيث
وأن يدعى أحد لغير أبيه أو ينتمى إلى
غير آله وقومه .

«وتعلمنا في مدرسة النبوة ان الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام.. واصغينا إلى السيرة النبوية تبداً بسياق النسب الزكي لأبائه وامهاته صلى الله عليه وسلم وما كان من اعتزازه بطهر منبته وكرم اعراقه ، في مثل الحديث المشهور عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : لم يزل الله تعالى ينقلني من الأصلاّب الكريمة والأرحام الطاهرة لآتت شعب شعبتان إلا كنت في خيرهما ، فقدرنا ما اشتهر عن آبائنا واجدادنا من

(٢)

الحرص في المصاهرة على كرم الاصول
وطيب المنبت . ومع الاعتبار بالقيم
الاسلامية في المساواة والتفاضل : ان
اكرمكم عند الله اتقاكم ، فيقول
الشاعر الرياشي لبنيه يذكركم بسابق
فضله عليهم بالوالدة التي اختارها
لهم اما :

واول إحسانى إليكم تخيرى
لماجدة الاعراق باد عفافها
وربما رجعنا معه صدى من قول
شاعر النيل :

الام مدرسة إذا اعددتها
اعددت شعبا طيب الاعراق
والقران الكريم معنا يرهف وعينا
بطيب المنبت بمثل قوله عز وجل :
(والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه
والذى خبث لا يخرج الا نكدا) وقوله
تعالى : (الخبيثات ، للخبيثين
والخبيثون للخبيثات والطيبات
للطيبين والطيبون للطيبات)

ورسخت قيمة الأصالة في وعي
الناس يغضون من محدث النعمة
« غنى حرب ، ومن ينسى أصله (من
فات قديمه تاه) ومن تزىي بغير زيه
وادعى ماليس له كالمصنعاء (القرعا
تتباهى بشعر بنت اختها) وسالوا
البغل من أبوه ؟ فقال : الحصان
خال .

وتقدمت خطاى على الطريق طامحة
الى غاية مايطمح إليه طالب علم في
المدرسة الاسلامية وهي ان يتاهل
لعلم الاصول ويقرأ على الشيوخ كتب
الاصوليين في اللغة كمقاييس اللغة
لابن فارس ، و اصول النحو ، لابن
السراج ، وصولا الى علم اصول الفقه
في كتب ائمة الاصوليين من فقهاء
المذاهب الاربعة والظاهرية ، فاما
اصول الدين في علم الكلام فلم ياذن
لنا شيوخنا في قراءة كتب ائمة
الاصوليين من علماء الكلام لدقتها
البالغة وصعوبتها على غير اهل
الكلام الراسخين في العلم بمصطلح
القوم واساليب تنظيرهم ومقاصد
مباحثهم ، وإنما قرأتها بعد تخرجي
بزمن طويل على شيخى الاستاذ أمين
الخولى ، واذكر اننى حظيت بقراءتى
عليه نسخ التحقيق للمجلدين

السادس عشر والسابع عشر من كتاب
(المغنى : في ابواب التوحيد والعدل
للقاضى عبد الجبار) من ائمة
الاصوليين المعتزلة ، وهما في إعجاز
القران ، قد امضيت ثلاث سنين في
صحبة استاذى مع هذين المجلدين
الناء تحقيقه لهما بقراءتى عليه قراءة
بحث ونظر ومذاكرة ، رانى شيخى
مؤهلة لها بما سبق من تحقيقى معجم
« المحكم لابن سيده ، احد الاصول
الكبار للعربية ، ثم تخصصى في
دراسة البيان القرانى وإعجازه

على المدى الطويل قبل قراءتى
لعلماء الكلام الاصوليين ، تنقلت من
دمياط مهد مولدى ودار اجدادى لامي
الى قرية شبرا بخوم من ريف المنوفية
دار أبى واهله ، ثم نزحنا الى
العاصمة بانتقال والدى من معهد
دمياط الدينى الى مكتبة الأزهر
الشريف ، وتفاوتت بنا البيئات
والاعراف والمقاييس ، وظلت قيمة
الأصالة ثابتة لا تتغير ، يميز بها
المجتمع هنا وهناك وهناك وحيثما
طوفنا بارحاء الكنانة بين الاصيل
والدعى : بين العريق والمحدث بين
الصميم والدخيل ، ولا يكفون عن
التنكيت « بالبضاعة الأمريكانى »
مثلا لكل محدث رخيص ، وبالغراب
يتزين بريش الطاووس ، وغالوا في
ثمن الاصيل ونبت المقلد الزائف
الرخيص ودخل في موازينهم للقيم ان
(الغال ثمنه فيه) وبلغ من تقديرهم
« لابن الاصول ان جعلوه (ابن ناس)
نفيا لمن لا اصل له عن جنس الناس ،
فليس عديم الاصل محسوباً من
الناس »

وعلى ذلك المدى الطويل لم اعهد
قومي أبناء الناس بقيسون الرجال
بجاه وسلطة او ثراء ، وقد ارى
الأثرياء من اعيان دمياط يوقرون
علماء معهدى الدينى الشيوخ ،
وعهدى بالسيد المهندس الوزير
« سليمان متولى » - حفظه الله - حين
كان محافظا للمنوفية لا يفوته ان يزور
والدى رضى الله عنه في دارنا

على مسئوليته الصعبة عن الرعية

على هذا التقدير لقيمة الاصاله
وتوقير علمائنا الاصوليين جريئنا على
مبادئ المنهاج الاسلامي للسلوك إلى
امس القريب ، حتى دارت بنا الايام
وجار علينا الزمان لنصبح ونمسي في
يومنا هذا والدنيا تغل بالاصوليين
الاسلاميين كأنهم جحافل التتار التي
اندفعت مما وراء النهر سنة ٦١٦هـ
واجتاحت الشرق الاسلامي كاعصار
مارد مدمر ، فما مضت سنتان حتى
كتب مؤرخ الاسلام ابو عبد الله
الذهبي في حولياته : (واستهلكت سنة
٦١٨هـ والدنيا تغل بالتتار)

ذكرني بها غليان دنيانا
بالاصوليين الاسلاميين في أعقاب
حرب الخليج ، قد تجاوز الصدام
الحزبي الى خصومة عنيفة بين
العلمانية والاصولية الاسلامية
مازالت تستعر حتى غشى الاتفاق دخان
من نفعها المنار ضلل الرؤية فإذا
الاصولية مسئولة عن جرائم الارهاب
تتجه اليها أجهزة الأمن والاعلام

المتواضعة بريف المنوفية بين اسبوع
واخر ، ويساله صالح الدعاء .

وعهدى بمدن الكنانة وقراها عامرة
بمزارات شعبية لاولياء الله الفقراء
الصالحين منهم في دمياط - وهي من
المدن العريقة في الصناعة والتجارة
ومن ثغور الغزو الصليبي - حرفيون
وعلماء وسادة شيوخ وشهداء ، اذكر
منهم : سيدي علي السقا ، وسيدي علي
الصياد ، وسيدي المتبولي ، وسيدي
الرفاعي ، والشيخ ضرغام والشيخ
المتبولي وسيدي التابعي وسيدي
المظلوم ، رضى الله عنهم ، يحيطون
بالثغر كأنهم حراس للوجدان الشعبي
من البلادة والصداء ، ولما يفوت
شعوب امتنا المسلمة مغزى القيمة
الاسلامية لشهود السلاطين والملوك
والحكام صلاة الجماعة حيث يتخلون
عند ابواب الجوامع عن مظاهر ابهة
الجاه والسلطة ، ويصطفون
خاشعين خلف ائمة من فقر رعاياهم
ويأتمون بهم ، ويضعون الى ما ختم به
الامام خطبة الجمعة او العيد بالدعاء
للسلطان بالصلاح والتوفيق والنصر
على الاعداء ، وان يعينه الله تعالى

قال : (انزلوا الناس منازلهم) .

الا ليتنا نعتبر بالتوقيت المريب
لمحاولة ترويح القول بإرهاب ديني
يسقط وعي الشباب بشرف انتمائهم
الى دين يحصنهم بالمناعة من وباء هذا
الزمان .

في الوقت الذي تتدفق فيه اطنان
المخدرات السامة من ثغورنا بما تحمل
من جرائم فقدان المناعة الحسية
المكتسبة بالفطرة الاسوية .

والعالم يغلي بالاسلام حتى لقد بيت
اخشى ان لو قد وقعت جريمة ارهاب
في ركن من اركان المعمور او مجهل من
مجاهل الكون لوجدت من يلقي على
الاسلاميين وزرها ...

لقد امسكت انفاسي في ليلتي
البارحة وانا اسمع اذاعة لندن تذيع
في العشية نبا مصرع رجلين من فرقة
سيرك رومانية بالكويت برصاص
ملثمين مسلحين اطلقوه على العربية
التي كانت تقل الفرقة خشيت ان
يعقب النبا تعليق دولي من امريكا
بمشروع قرار دولي بضم الجريمة الى
السجل المفتوح لجرائم الارهاب
الديني لكن الاذاعة استطردت تذيع
انباء حزب لشعب البوسنة والهرسك
تدور رحاما على ستة ملايين من
المسلمين طاحنة ساحقة :

« ومانقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله
العزیز الحمید »

صدق الله العظيم

حيثما وقعت جريمة عنف ارهابي
يهدد امن الدولة قبل ان يبدأ التحقيق
فيها لمعرفة ما اذا كان من المتهمين
الاصوليين من يعلم من الدين
بالضرورة ان الفساد في الارض اثم
كبير حقت به اللعنة على المفسدين
وان الفتنة اشد من القتل (وانه من قتل
نفسا بغير نفس او فساد في الارض
فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها
فكانما احيا الناس جميعا ...) الآية .
وضلت المقاييس فنسب الارهاب
الى الدين وراجت مقولة الارهاب
الديني في إلحاح مريب يعطل وعي
الشباب بتزوير هذه النسبة الى
الدين ، اي دين ، تبث في المناخ
الفكري لهذا الزمان جرثومة فقدان
المناعة المكتسبة من دين الفطرة
تشويها لاصولية في امة تؤمن
شعوبها بقيمة الاصاله بما تعني في
المفهوم الاسلامي من كرم الاصل
وطيب المنبت وبها تنفخ جبهة
الشعوب عن الناس من ليسوا من
الاصلاء (ابناء الناس) ويوقرون
الاصوليين الائمة علماء اصول الفقه
واصول الدين ، ويرعون مقامات
الناس بموازين القيم الاسلامية من
التقوى والعلم والنبيل ومكارم
الاخلاق امتثالا لامر الله ورسوله عليه
الصلاة والسلام فيما روى الامام
مسلم في مقدمة الصحيح من حديث ام
المؤمنين السيدة عائشة رضى الله
عنها عن النبي عليه الصلاة والسلام

شاهدة عصر

د . بنت الشاطي

٤

« هذا نذير من النذر الأولى »

لولا ما اعرفه بحكم الزمالة الطويلة ، عن الاستاذ الكبير - ابراهيم نافع ، من هدوء الطبع لعجبت كيف كتب (بهدوء) مقاله الاسبوعي لعدد الجمعة الماضي من (الاهرام) عن (محنة المسلمين في انعام : الا من نهاية ؟) وما كنت لاديم النظر في هذا التقرير لولا ان وعيت منه نذيرا لامتنا ينبغي الا اغفله في مدوناتي ، شاهدة عصر اترجع الى المراقبين للموقع السياسي ، فيما لاسبيل لها اليه ، من تحليلهم للاحداث ، ووثانهم لها .

في ظل غياب الدور الاسلامي والعربي عن الساحة الدولية بعد حالة التمزق التي اصابنا العالم العربي والاسلامي في اعقاب حرب الخليج وانهايار الاتحاد السوفيتي وانفراد الولايات المتحدة الامريكية برئاسة العالم عسكريا واقتصاديا وسياسيا .. يعيش المسلمون الآن محنة حقيقية ، ليس في يوجوسلافيا وحدها - حيث تدك مدافع الصرب والكروات مدن وقري جمهورية البوسنة والهرسك ، المسلمة ليل نهار فتشرد نحو مليون مسلم وتقتل نحو ثلاثة عشر الف مسلم - ولكن في سبع وثلاثين دولة يتعرض فيها الآن ، حسب احصائيات المنظمات الدولية ، نحو عشرة ملايين مسلم للطرود والذبح والقتل والتشريد .

والمحنة التي يتعرض لها المسلمون في البوسنة والهرسك ، نموذج صارخ لمحنهم في الدول الاخرى لان مايجري الآن جهارا نهارا تحت سمع وبصر العالم فيها ، ما هو الا حملة شرسة بالحديد والنار لطمس الوجود الاسلامي في شبه جزيرة البلقان كلها ... وازعم ، ومعى المراقبون السياسيون ، ان الهدف من هذه المذابح وعمليات الابادة الجماعية

الاستاذ الكبير - ابراهيم نافع ، في مقاله « الوثيقة » عن (محنة المسلمين في العالم) بعيد النظر ثاقب الرؤية ، يمد البصر من معركة إبادة مسلمي البلقان ، موصولة بحرب الخليج ، لا بد ، واصلة الى ابعادها ومراميها وما ربها من (مسلمي العالم) قبل ان تواجه امريكا ويهودها ، تحديات الاسلام لعالمهم الجديد .

المقال الوثيقة ، منشور في صفحة كاملة من اهرام يوم الجمعة الماضي ، اذكر به من لعلهم طالعوه على عجل ، فغاب عنهم النذير ، وشغلهم عن وعيه شواغلنا وماسينا ، في زمان شعار الدولة فيه : (ليس في الامكان ابداع مما هو كائن الا ما سوف يكون في المستقبل المشرق لحاضرنا البديع) !

اذكر قومي به ، ثم لانتقل منه سوى فقرة من الرؤية الثاقبة لمتجه الاحداث ، والقائمة الاولى من حصاد هذه الجولة من حرب الابادة لمسلمي البلقان والتدمير لمعالم الشخصية الاسلامية لعاصمتهم « سراييفو » . (بهدوء) كتب الزميل الكبير الاستاذ رئيس تحرير الاهرام ، في مقدماته لهذه القائمة الاولى من الحصاد المشنوم :

التاريخ: ١٩٩٢/٦/٤

(٢)

(٦) تدمير مسجد (كاراجور) الشهير الذي اقيم في القرن الخامس عشر، ويدخل في المعالم التاريخية التي تشرف عليها اليونسكو
(٧) هدم عشرات المزارات الاسلامية والتكايا والآثار العريقة في منطقة «موسنار»

(٨) تفجير مسجد اثيري في مدينة «شابلينا» عن طريق شحنات متفجرة بالتحكم من البعد أثناء اقامة الصلاة، ومصرع كل من فيه وهم بين يدي الله.

(٩) منع الاذان والصلاة فيما تبقى من بيوت الله، وعلى الخصوص صلاة الجمعة.

(١٠) تشريد نحو مليون مسلم حتى الآن، من البوسنة (الهرسك).

[ان نظرة مدققة على هذه القائمة الاولى للمناطق التي تم تدميرها، تكشف عن انها قد اختيرت بعناية، من الموارث الرمزية والتاريخية الاسلامية هناك، فحرب الابادة تريد تجريد الذاكرة الجماعية لشعب البوسنة والهرسك، من رموز الهوية والانجاز الحضاري الذي نشأ عن الفكر والعقيدة الاسلامية ..]

★ ★ ★

هذه قائمة اولى للحصاد المشؤم لحرب الابادة والتدمير، ولا تزال مفتوحة حتى يجاب عن السؤال في عنوان المقال الوثيقة: [محنة المسلمين في العالم، ألا من نهاية؟]
واسأل معه: اليس في القدر الذي نقلته هنا أنفا من المقال الوثيقة، نذيرا صادعا بوشك نهاية حتمية بمقتضى السنن الثابتة لعواقب مانحن فيه؟

لو لم تكن كذلك لكان الامر متروكا لعشوائية الصدف وبغثة المفاجات، خلافا لما يوقن به الاصوليون من ان المشيئة العليا لاتتعلق بنقض ثوابت سننه تعالى في الاسباب والنتائج، في

للمسلمين هو ضرب الاسلام حتى لاتقوم له قائمة في أوروبا، بوصفه - كما يزعمون ويروجون - الخطر الاكبر الذي يهدد الحضارة الغربية، والمارد الذي خرج من قمقه ليلتهم كل ما بناه الغرب من حضارة وديمقراطية وتقدم، كما تروج «الميديا» الصهيونية المنتشرة في كل عواصم الغرب، مستغلة في ذلك بكل براعة، صورة قلة من النظم الحاكمة والجماعات السياسية التي ترفع راية الاسلام وتعارض باسمه تصرفات متعصبة وحمقاء لكي يحرضوا ساسة الغرب ضد كل ما هو مسلم باعتبار ان الانسان المسلم - كما يقولون - يدعون - ما هو الا اراهابي متخلف، وهذا مايفسر الحملات في الصحف

والاذاعات والمحطات التليفزيونية ومراكز توجيه وقياس الرأي العام، وفي المدارس والجامعات، ضد الاسلام والمسلمين. ابتداء من واشنطن ومروا بباريس ولندن.. ونهاية بمانيلا، ومروا برانجون في بورما حيث شردوا اكثر من مليوني مسلم هربوا من حملات الذبح الجماعي والطرد من الوظائف والمساكن والاعتصاب لحرمت النساء المسلمات !! ..

وهذه هي (القائمة الاولى لحصاد حرب الابادة والتدمير) الى يوم كتابة المقال (بهدوء) قبل اسبوع واحد من يومنا هذا :

(١) تدمير ٨٠ مسجدا في جمهورية البوسنة والهرسك

(٢) قصف الادارة العليا للمسلمين في البلقان بالصواريخ، ومقرها سراييفو العاصمة

(٣) تدمير مسجد البيك في سراييفو، وهو اكبر مساجد البلقان ومن اقدم المساجد في أوروبا كلها.

(٤) تدمير جميع المساجد في منطقة «نوتشا» ورفع علم الصرب فوق مآذن المساجد عند احتلالها.

(٥) قصف مسجدي علاء باشا وامين بك بالصواريخ، ونهب كل الآثار والمخطوطات والكتب الاسلامية والمصاحف التي لاتقدر بثمن

التاريخ: ١٩٩٢/٦/٤

(٣)

المقدمات والعواقب ، وقد قل عز وجل
في آيات الاعتبار بمن قبلنا :
(فهل ينظرون إلا سنة الأولين ،
فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد
لسنة الله تحويلا)

.....
بهذا اليقين بحتمية الأسباب
والعواقب ، أعي النذير في المال
الوثيقة ، فالبحر نذر النهاية لهذه
الجولة الشرسة ، حين لا تجد نار
الحرب المشنومة ما يغذوها من لؤلؤ
المسلمين وإطلال مساجدهم وديارهم ،
حيث لا يجد عندئذ الف قرار دول
بردع السفاحين المتحضرين ، وحين
لا تجد البعثات الطبية أي عمل لها مع
أشباح الموتى وأشلأ القتل ، ولا تجد
نجدات التبرع بالغذاء ، مجالا
للاسعاف بين الخرائب والإطلال ...

وأما ما بعد هذه الجولة المكشوفة ،
فإذا كان لدى ما اضيفه الى القائمة
الأولى لحصادها المشنوم ، لذلك
ما احتاج الى التمهيد له بتأكيد إقرارى
الجهير بأننى لست من أهل السياسة
التي أنظر منها بطبعى ، ولم أشارك
يوما في أي حزب من أحزابها ، وكل
ما شاركت فيه من المجالس والمؤسسات
الوطنية الحكومية ، كاللجنة
التحضيرية ومؤتمرها للقوى
الشعبية ، والمجلس الأول لمحافظة
القاهرة - إنما كان بالتعيين بصفتي
ممثلة لجامعة عين شمس ، وليس
بالترشيع والانتخاب .

إنما أنا ربيبة شيوخ ميراثا ونشأة
وتربية ، طالبة علم في المدرسة
الإسلامية ، ومن موقع الفكر الإسلامى
الذى أربط فيه منذ وعيت ، اطل على
أبعاد ما بعد الجولة الأولى لمحنة
(مسلمى العالم) فأرانا قد اعطينا
، الميديا الأمريكية ، من معركة
أخرى ، بعد أن حققت ماربها بإبادة
شعب البوسنة والهرسك وتدمير أثار
الوجود الإسلامى هناك ، ما بعد هذه
الجولة المتحضرة المسعورة ، متروك
لنا نحن ، بغفلتنا عن الموقع الفكرى
الإسلامى ، يعيش فيه دعاة تنوير

موكلون بمهمة طمس معالم وجودنا
الإسلامى ، وتشويه قيمه ومبادئه ،
وأخرون منهم موكلون بترويح بضاعة
الجنس والجريمة في أحيث صورها
واحط أساليبها ، مع عملاء مدربين
على الإفلات من حراس الحدود وحماة
الشغور باطنان من مخدرات يغرون
الشباب بتعاطيها ثم يتركون للألمان
أسقاط وعيهم الحسى باستدراجهم الى
الخلاص من أفيون الدين ، والهجرة
عن عالمنا الموبوء تمنحهم رقية
سحرية بالهروب من أوبئة الاحباط
والقهر والعار ، والمجاز الموصل الى
الفردوس المفقود ..

وأجهزة الأمن مشغولة عن حملة
جرائم فقدان المناعة المكتسبة من
الفطرة السوية ، بمطاردة من
تستريب في (أصوليتهم
وإسلاميتهم) وأجهزة الاعلام تتبارى
في التحذير من الإرهاب الدينى
للأصولية الإسلامية في المشرق
والمغرب ، يسقط الاعلاميون بذلك
التحذير من الإرهاب الإسلامى ، وعى
الشباب بزيف نسبة الإرهاب الى دين
يحظر الأكره في الدين ويمحق الفساد
في الأرض وينهى عن الفحشاء
والمنكر .

ومنابر الصحف الرسمية ،
وواجهات الصوت والضوء ، مباحة
لأدعياء العصرية اعداء الإصالة
والأصوليين ، يلوثون مناخنا الفكرى
الإسلامى بمقولاتهم الخاسرة ،
ويبشرون فينا .. بتنوير عصرى
يحررنا من خدر الأفيون ويستنهضون
بالتدين والمتدينين ، ويستخرون من
قيم إسلامية يرونها من حفريات زمان
عبر ..

واتلو من آيات كتابنا المحكم ،
بلاغاً للناس في هذا الزمان :
(هذا نذير من النذر الأولى ، أزلت
الأزفة ليس لها من دون الله كاشفة .
المن هذا الحديث تعجبون .
وتضحكون . ولا تبكون . وأنتم
سامدون . فاسجدوا لله واعبدوا .)
صدق الله العظيم

شاهدة عصر

د. بنت الشاطئ

في عيدنا الكبير : أشادت عن عيد الأم

تتوالى الأعوام والقرون وتتقلب الأجيال والعصور ، والتاريخ مشهود إلى مشهد حشود الحجيج ، يسعون إلى البيت العتيق محرمين متطهرين خاشعين قائلين :
قد تجردوا من كل زينة وجاء وزهو ، وطرحوا عنهم ما يتفخر به الناس من أزياء واللب ومراتب ومناصب ، وتخلفوا من النقال المادية التي تشد روح الإنسان
وتخفق فيه هيامه الفطري بالحق والخير والجميل ..

وجاموا بيت الله في زى الاحرام
المتماثل ، قد تماثلت بينهم فروق
الاجناس والعناصر والالوان
والطبقات والدرجات ،
واستوى الملوك والرعايا
واستوى الامراء والدمماء ،
واستوى الرؤساء والاتباع
فليسوا جميعا سوى عباد الله عز
وجل لا يتفاضلون الا بالتقوى

وتجلى فيهم ولهم ، ايته الحكمة :
(يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر
وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله
اتقاكم ..)

يمحق بها الدين في ختام رسالاته ،
ماسى التفرقة العنصرية وجرائم
الاضطهاد المذهبي ولعنة الاكراه في
الدين ، ويمسح التصنيف الدولي
لعالم اول وثان وثالث ، بين سادة
وعبيد

وفي حرم البيت العتيق ، يعلو
هتاف مليوني مسلم ، يشهدون الموسم
هذا العلم

لبيك اللهم لبيك
لاشريك لك لبيك

ان الحمد والنعمة لك والملك ،
لاشريك لك

يصدح كبرياء ، الجبلية ، ويؤرق
اعداء الانسان اوثان هذا الزمان :
(يريدون ليطفئوا نور الله
بافواههم والله متم نوره ولو كره
الكافرون)

وعلى القصى مد البصر ، تلوح
للروية الثابتة معالم تاريخ عريق ،
تصل الحاضر المشهود بالماضى
البعيد ، ويريد الله تعالى ، له الحمد
والمنة ، ان تكون ايام تاريخنا الدينى
اغيدا لنا جامعة على تنائى الابعاد
والامد ، تذكرنا بما بين شعوب امتنا
من وحدة وجود ومصير ، وتحصى
ذاكرة الاجيال المتعاقبة من افه
النسيان ، وتتحدى ذرائع التضليل
التي ما انفكت تحاول مسخ قيمنا
وتزييف تاريخنا ، طمسا لشخصية

الامة

ولقد مرت بها على المدى الطويل
نوازل صعبة ومحن عصيبة ، دون ان
تتخلف عن الاحتفال باعيادها

ومواسمها الدينية ، تتزود منها بما
يعينها على مقاومة دواعى الاحباط
والقنوط

ولكل زمان عبرته ، ولكل عصر
شهوده يرصدون ما يتعرض له
وجودنا العريق من محاولات الطمس
والتزييف . ويأتى العيد الكبير لهذا
الموسم الجامع ، وامتنا قريبة عهد
بذكرى كارثة يوم خامس يونية
المشتوم - سنة ١٩٦٧م - وما اعقبه
من جولات الصراع المحتوم بين الامة
وطاغوت هذا الزمان ، على الساحة
الكبرى للعالم الاسلامى مشرقه
ومغرب ، وكابدت الامة ما كابدت من
ويلات الحروب الساحقة والفتن
الحائلة ، ولم تفرط فيما شرع لها
الدين القيم من احياء اعيادها
التاريخية الدينية ، والاحتفال بها على
مشرع لها الدين من شعائر ، غير
متروكة لزيغ البدع وعبث الاهواء
ومحدثات الترفيه العصرية باسفاله
المالجن ومسلياته الفجة المبتذلة ،
تلهينا عما يتعرض له وجودنا
المعنوى من حملات مسعورة لمن

التاريخ: ١١٤/٦/١٩٩٢

(٢)

اعياهم ان يفتنوا الامة بشتى الذرائع
وامكر الوسائل عن دينها القيم . وهي
تحفظ حديث الاعتصام عن نبيها
المصطفى صلوات الله عليه وسلامه .
في وصيته الاخيرة لامته . في حجة
الوداع سنة عشر للهجرة . قال :
(ولقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم
به قلن تضلوا ابدا .. امرا بينا . كتاب
الله وسنة رسوله)

واذ لم تنفع مع الامة محاولات
التشويه لقيمها وتجريد الشعائر من
قيمتها ومغزاها لتبدو في نظر هذا
الجيل طقوسا الية صماء . اخرج لها
(مصنع الشيطان) بدائل ممسوخة
شائنة من اصيل شعائرها المصونة
بحرماتها الدينية من الدنس والعبث .

عن (عيد الام) اتحدث في موسنا

هذا . وقد احتسبت عند الله تعالى
ولدى الوحيد الذي ثكلته وحتسب
امتى عنده عز وجل . من اضافت الى
السجل المفتوح لشهادتها الابرار .
جند الاسلام بالمشرق والمغرب . وفتية
حملس رماة الطامخوت بالحجارة .
ومئات الالوف من مسلمي اليوسنة
والهرسك . ورجال امثالهم من
المؤمنين :

(صدقوا ما عاهدوا الله عليه
فمنهم من قضى نحبه ومنهم من
ينتظر . وما بدلوا تبديلا)

اتحدث عن (عيد الام) في عيدنا
الكبير . في اوثق مصادره : القرآن
الكريم وكتاب (احاديث الانبياء . من
صحيح البخارى) مع المرويات
الموثقة للسيرة النبوية واخبار مكة
وخطط مصر والقاهرة .

في رواية البخارى لحديث ابن
عباس رضى الله عنهما . ان ابراهيم
الخليل . عليه السلام . صاحب زوجه
سارة في رحلته الى مصر . فندب الملك
لخدمتها فتاة من اسرة قبطية عريقة .

اصلها من بلدة « حفن » بالبحر الشرقي
للنيل تجاه الاشمونين من صعيد
مصر . وفي رواية ان الفتاة هاجر .
ابنة ملك من ملوك القبط ضاع ملكه .
ونقلت ابنته الى قصر الملك وصيفة
به . ورجع ابراهيم عليه السلام
وزوجته سارة الى ارض كنعان .
ومعهما « هاجر » هدية من الملك الى
السيدة سارة التي اكهلت ويثست
من الولد . فبدا لها . لما عرفت من
شوق زوجها الى الولد . ان تهبه
جاريته المصرية الشابة . لعله يسكن
الى احدى الزاحتين وشاء الله تعالى
ان تحمل هاجر . فخير لسيدتها .
وهي عجوز عقيم . انها تباهى
بحملها . وتجلدت السيدة لما تقلسى
من الغيرة . حتى وضعت هاجر
وليدها اسماعيل بن ابراهيم . فلم
تطق السيدة ان يؤويها وجاريته
سقف بيت واحد . وخرج ابراهيم
مياما شطر الجنوب . تتبعه سارة وفي
حضانها وليدها ترضعه . وقد اسدلت

نظفها خلفها لتخفى اثرها على السيدة
« وانتهى بهم المسير الى مكة .
وهي وقتلذ مقفرة خلاء يلم بها الرعاة
الرجل من حين الى حين . التماسا
للراحة في حرما الامن . حيث البيت
العتيق على ربوة هناك .. وضع
ابراهيم بجوارها ابنة اسماعيل وامه
هاجر وترك لهما جرابا فيه تمر وسقاء
فيه ماء

ثم ولي منطلقا . فتبعته ام
اسماعيل فطالت : اين تذهب وتتركنا
بهذا الوادى القفر الموحش ؟ وكبرت
السؤال مرارا وهو لا يلتفت اليها .
فطالت : الله امرك بهذا ؟

قال : نعم . قالت : اذن
لا يضيعنا .

(٢)

وانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند
ثنية الوادى حيث لاتراء ام ولده ،
استقبل البيت بوجهه ورفع يديه
يدعو الله في ضراعة :

(ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد
غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا
ليقيموا الصلاة فاجعل الفتنة من
الناس تهوى اليهم وارزقهم من
الثمرات لعلهم يشكرون . ربنا انك
تعلم ما نخفى وما نعلن ، وما يخفى
على الله من شيء فى الارض ولا فى
السماء)

ومضى راجعا الى ارض كنعان ،
واقبلت هاجر على وليدها ترضعه
وتعزى به عن محنة الرق وماساة
الهجر والنبد . حتى تلدت مثولتها
الضئيلة واشتد الظما على الرضيع
الغالى فهبت مذعورة تلتمس الغوث .
وبدا لها ان تطل على الوادى من مكان
عل . ونظرت اى الجبال ادنى من
الارض ؟ فلذا (الصفا) منها قريب .
فلما تم عليه تدعو وتنظر : هل ترى
احدا ؟ وتسمعت : هل تؤنس صوتا ؟
فلما لم تجد الا الوحشة والصمت اتت
(المروة) مهرولة تسعى سعى المجهد
وصعدت عليها لعلها ترى اثرا من
حياة ، ولا اثر . وكررت السعى بينهما
حتى اجهدها السعى سبعة اشواط .

قال ابن عباس ، رضى الله عنهما ، فى
رواية البخارى لحديثه : قال النبى
صلى الله عليه وسلم : (فذلك سعى
الناس بينهما)

واستلقت هاجر على الارض
الصخرية وزحفت بعيدا عن ولدها
المحتضر ، وغطت وجهها بلفاعها وهى
تقول : « لا انظر موت الولد ،
.....

ثم كانت النجاة : حوم طائر على
المكان ثم حط على بقعة صخرية هناك
فمازال ينقر فيها حتى انبتق الماء من
« زمزم » فهرعت هاجر نحوها فى
لهلة ، فترتوى من النبع الطيب
وترضع ولدها .

ودبت الحياة فى الوادى الاجرد ،
قالوا : « ومرت رفقة من جرهم - عرب
الجنوب العاربة - مقبلة من طريق
كداء ، فنزلوا اسفل الوادى فراوا
طائرا حلثا فقالوا : ان هذا الطائر
ليدور على ماء ، عهدنا بهذا المكان
وليس فيه ماء . وارسلوا دليلهم فما
لبث ان عاد اليهم ومضى بهم الى حيث
كانت هاجر وولدها عند النبع ،
فاستاذنوها فاذنت لهم فى النزول
هناك ، والماء مأواها .

وشب ابنها فيهم وتعرب ، فلما بلغ
مبلغ السعى جاء ابوه فقص عليه
بؤياه :

(قال يابنى انى ارى فى المنام انى
اذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا ابي افعل
ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من
الصليبين)

ثم كانت اية الغداء بعد ذلك البلاء
العظيم : هم ابراهيم بذبح ابنه لولا
ان لاح له كبش عظيم ، نجره هدية عن
ولده المؤمن الصلبر الذى شب فى
جوار البيت العتيق واصهر الى
جرهم .

وتلقى مع ابيه العهد الالهى فرلعا
القواعد من بيت الله العتيق وطهراه
للطائفين والعاكفين والركع
السجود ، وكانت دعوتهما
المستجابة :

(٤)

(ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ، وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، انك انت العزيز الحكيم)

وبأمره تعالى اذن ابراهيم عليه السلام في النفس بالحج ، واستجاب الله للدعاء فبعث في ذريتهما خاتم الرسل عليهم السلام : صفوة الصفوة من صريح ولد : اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، من امه السيدة هاجر القبطية المصرية ، ام العرب العدنانية التي دخلت تاريخنا الديني بهجوم امومتها ، وصار مسعاهما بين الصفا والمروة ، مهرولة سبعة اشواط ، شعيرة من شعائر الله ومناسك الحج في ديننا الحنيف . وفي صحيح الحديث عن السيدة عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها ، ان الانصار كانوا قبل الاسلام يطوفون بالصفا والمروة ، على ميراثهم من عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، فلما اسلموا تخرجوا من ذلك ، فنزلت الآية المحكمة ترفع الحرج عنهم :

قال تعالى : (ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ، ومن تطوع خيرا فلن الله شاكرا عليم)

• • •
هذا هو عيدنا للام الى ذروة اصلته وجلاله : شعيرة من شعائر الله ومناسك الحج والعمرة ، فلماذا صنع به زماننا البائس ؟

فجأة من حيث لا نتوقع ان يتجاسر دعي او مفتون على اصلته المصونة بحرمة الدين ، طرا علينا عيد للام مستورد مخلوب ، في اليوم الحادي والعشرين من شهر مارس سنوى ٧ لا صخب الاحتفال به ضجيج طبل وزمر ومعارض صور وازياء وهدايا ، وسوق تجارية لموسم اعلان ودعاية ، غلب عن هذا الجيل اننا نحتفل بالعيد الاعظم للبهاء المبعوث من الصهيونية العالمية في القرن التاسع عشر لنسخ شريعة الاسلام ختام رسالات الدين . فلن يكن قد هن على الادعاء المفتونين بالمستورد العصري ان يروجوا لهذا البديل الشائن ، فهيهات ان تجمع امتنا على ضلالة .. وعلى الرغم منهم ، يظل المسلمون الى ما شاء الله ، يسعون بين الصفا والمروة كلما حجوا البيت او اعتمروا ، مهرولين سبعة اشواط ، حيث سعت هاجر ام اسماعيل ، لا يخل اى مسلم بهذه الشعيرة من شعائر الله ومناسك الحج (ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) صدق الله العظيم

شاهدة عصر

د. بنت الشاطئ

تحريك السواكن .. وأفة النسيان

تلم بنا الأحداث العصبية ضاغطة على الموقع الديني للإسلام منعزلة بعضها عن بعض ، منذرة بعواقب غفلتنا عن وجودنا المعنوي لانكاد تلقى اليه بالآ إلا إذا هدد أمن الدولة ونظامها ، فعندئذ نتركها لأجهزته تتعقب المتهمين والمشتبه بانتمائهم الى جماعات اسلامية متطرفة ، وتظل أجهزة الأمن تزودنا بما يغطي أحداث الوقت والساعة .. قد عزلها قصور النظر عن أمسها القريب فضلا عن ماضيها البعيد ، فضلت فيها الظنون والأوهام ، ثم لا تلبث ان تغيب واحدة بعد الأخرى عن مجال الرؤية لتوغل في صميم وجودنا الحيوي من حيث لا ندري .

لما من كاتب او معلق على قضية اليوم ، قضية بصرع فضيلة الدكتور الشيخ محمد حسين الذهبي ، بفتوى من امير جماعة التكفير والهجرة ، ولم تكن العلمانية وقت مصرعه ، قد تفتت فينا ، ولا هو مظنة شبهة اتهام بها .

ولعل للناسين عذرا : ان قد مضى عليها خمس عشرة سنة ، مع ما يبدو للنظرة السريعة من تفاوت بعيد بين اغتيال شيخ من علماء الأزهر ، وزير الأوقاف لمرحلة تصحيح ثورة سنة ١٩٥٢ ، وبين اغتيال كاتب داعية للعلمانية في آخر الأسبوع الأول من الشهر الحالي .

فلننظر الى أي مدى انعزلت قضية سابقة عن لاحقة ، فضلت الرؤية .

□□□

من مدوناتي لشاهد عصر .. استرجع موجز ما قيدته فيها من (قراعتي لملف قضية التكفير والهجرة) وقد كانت مشغلة الرأي العام سنة ١٩٧٧ ، ولبتت طويلا اتخرج من الخوض فيها قبل عرضها في جلسات المحاكمة . وصدر قرار الاتهام لاربعة

عليه بصفته محاميا عنه في قضية اغتيال الدكتور رفعت المحجوب الرئيس السابق لمجلس الشعب ، وليس الدكتور رفعت ، مظنة اتهام بالعلمانية ، ولا تبدو في ظاهر الرؤية ، صلة جامعة بينه وبين الدكتور فرج العلماني الداعية .

ولم يتغير موقف الكتاب والمعلقين مما راوه بادرة خطيرة لمصادرة الرأي المخالف والرد بالقنابل على الفكر العلماني ، واعلنت قيادات اسلامية ان هذا الأسلوب من الجدل مع الفكر العلماني مثاف لدين الاسلام ، بصريح امر الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام ، بالدعوة الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وان يجادل المشركين بالتي هي احسن . ما علينا ، القضية في طريقها الى قضاء أمن الدولة لجولة تالية تنشط فيها الاعلام والمنابر ، ثم يفتقر الانفعال بها بمجرد ان يطوى ملفها في مستودع محفوظات أمن الدولة ، شأن كثير من قضايا الارهاب والتطرف الديني - بلغة زماننا - غابت عنا آثارها . وغلبت علينا آلة النسيان :

جريمة اغتيال الداعية العلماني الدكتور فرج فودة ، اقرب شاهد ومثال : ظلت مشغلة الصحف والاذاعة لأيام ذات عدد ، من نقطة بدء محددة هي انها جريمة تطرف ارهابي من الجماعات الاسلامية ، تعلن الحرب على العلمانيين نذيرا لكل من يخالف فكرها الاسلامي الموصوم بالتطرف والازهاب . وتحركت أجهزة الأمن لمواجهة الجريمة المهددة لأمن الدولة ، وكشف التحقيق المبذول مع المقبوض عليه ، امير هذه الجماعة - التي نسبناها الى الفكر الاسلامي المتطرف وخصومة الفكر العلماني ، طالب مفصول من معهد فني صناعي ، معروف لرجال الأمن ، سبق اعتقاله مرتين قبل ان يفرج عنه حديثا ، قبل جريمة الاغتيال . كما افاد اول بلاغ رسمي عنها بان أجهزة الأمن كانت على علم سابق بان الدكتور فرج فودة معرض للخطر ، فكلفت نفرا من جندها لحراسته ، واعترف المتهم بانه وزميله الهارب ، فلذا الجريمة طبقت لخطه صفوت عبدالغني ، حملها اليهما من سجنه محام شاب كان يتردد

(٢)

وخمسين من أعضاء الجماعة، متهمين بجرائم (الاختطاف والاعتقال والتأمر على نظام الدولة وتهديد الأمن العام) فكشف القرار عن خلو القانون مما يهدد الأمن المعنوي، ولم تحرك القيادات الدينية ساكنة لتمد بصورها إلى ما يجاوز نطاق التكفير والهجرة، حيث الأسواق عامرة ببضاعة التلوين العقلي والتشويه للإسلام وفي مدوناتي بملف القضية بلاغ منشور بجريدة «الأهرام» يوم العاشر من يولية سنة ١٩٧٧ عن (بشرى سقوط الإرهاب الأسود بالقبض على زعيمه - أمير التكفير والهجرة - بعد ساعات قليلة من القبض على مختطفى الدكتور الذهبي وزير الأوقاف وقتلته، لتؤكد البشرى أن دولة المؤسسات أصبحت حقيقة فعلا وليست مجرد شعار، فعندما تتمكن أجهزة الأمن وهي ركن من أركان النظام، من القبض على القتلة والجناة وزعماء الإرهاب في وقت قبلي دون اتخاذ أي إجراء استثنائي، فهذا معناه أن كافة مؤسسات الدولة تتحرك وتنتقل وفق قواعد وأسس ثورة ١٥ مايو) للتصحيح ..

ولم تتعرض البشرى لسبق علم النظام بأن جماعة التكفير والهجرة ظلت تمارس نشاطها في أنحاء الدلتا والصعيد، والنظام لا يتعرض لها طالما لم تهدد أمن الدولة. وكانت صفحة الفكر الديني بالأهرام، قد نشرت قبل مقتل فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبي، بأكثر من سنتين، بياناً بتعاليم جماعة التكفير والهجرة مع صور لثلاثة من علماء الإسلام، سئلوا عن آرائهم فيها، فأجابوا.

ثم خيم الصمت على ما كان من سؤال وجواب، كما طوى خبر (كتيب نشرته هيئة الوعظ والإرشاد بوزارة الأوقاف المصرية، فيه مناقشة هادئة بالتي هي أحسن من شيوخ فيهم الدكتور الذهبي الوزير، المقولات جماعة التكفير والهجرة، تنويراً

لأعضائها الذين قدمهم الكتيب وزكاهم بأنهم (فئة صالحة يلتزمون لقاء العقيدة وصلاح الدين) ؟ ..

□□□

ولمّا كانت دولة المؤسسات مطمئنة إلى نظام حركة التصحيح وقد غابت عنها تلك الأوراق السابقة من ملف التكفير والهجرة، فوجئت باختطاف الدكتور الذهبي وزير الأوقاف - رحمه الله - فبادرت إلى إعلان (بشرى القضاء على الإرهاب الأسود) بالقبض على زعيمه بعد ساعات قليلة من القبض على مختطفى الدكتور الوزير وقتلته، تأكيداً لتحرك أجهزة الأمن وكل مؤسسات الدولة وانطلاقها وفق قواعد التصحيح وأسسها

وحين كانت أجهزة الأمن في شغل شاغل بالقضية من حيث هي قضية تهديد لأمن الدولة وتأمر على النظام بالإرهاب المسلح، نشطت الصحف والأذاعة لسؤال كل ذي رأى عن أسباب الظاهرة وعلاجها، فحصرها كل منهم في مجال اختصاصه وردّها إلى ما يعلم من علل وأسباب، مما هو مكرر معاد لا يقلل على قرائي بذكره. وبعد المحاكمة، هدأت السواكن وغابت القضية عن مجال الرؤية، والمرحلة تفرز بين يوم وآخر انماطاً

تشتي ممن يلوثون مناخنا الديني بما يشوه عقلية العامة والخاصة، ليس عليهم في ذلك أي حرج، ويأتي حادث اغتيال الداعية العلماني الدكتور فرج فودة، فتأخذ مجراها وتنتهي كسابقاتها ويبقى الموقع الديني الإسلامي مكشوفاً لمن يكيدون للإسلام وأمنه، ومن يغضون من عقيدة الأمة ويسخرون من عقليتنا الإسلامية، ويمنون علينا بما لديهم من بضاعة التلوين ..

فهل لا تزال القضية عند قومي قضية عدا للعلمانية ونذيراً لدعاتها ؟

وأي مدخل لاضطهاد العلمانية في قضايا اغتيال الشيخ الذهبي، والدكتور رفعت المحجوب، ومحاولة الاعتداء على الاستاذ النقيب، مكرم محمد أحمد ؟

أي مدخل لها في القائمة المعلنة حديثاً للشخصيات المستهدفة للتصفية، وفيهم فضيلة الشيخ المفتي الدكتور محمد سيد طنطاوي ؟ كلا .. لم تكن قضية الأديب قضية تكفير وهجرة، ولا هي اليوم قضية خصومة إرهابية للعلمانية، بقدر ما هي قضية شباب محبط ممزق بالحيرة والقلق، يرهقه الشعور بالخواء الروحي والضياع، فيتربص به من يلوحون له بوعد الخلاص، وقد يكون الوعد مدخلاً إلى مائة ضلال وضياع، والشباب في أزمته الضاغطة لا يفكرون إلا في التماس مهرب من هذه الأزمة أي مهرب. وسوق البضاعة الحاضرة مفتوحة لموردي كتب ومقالات تزيف بطاقة إسلامية، للمرتزقة والحواة وطلاب الشهرة وجند الشيطان، يسممون مناخ الفكر الإسلامي بسموم البدع

التاريخ ١٨٤ / ٦ / ١٩٩٢

(٣)

والضلالات ، في مأمن من رقابة قيادتنا
الدينية التي تشفق من اتهامها
بالتحجر والجمود ، ومقاومة جديد
التنوير !

□□□

أخشى أن جهاز الأمن في تحركه
اليوم لحماية الأمن من الإرهابيين ،
قد يضطر إلى محاصرة الفكر
الإسلامي الحر وقد نقلت جريدة
(الأهالي) - غداة مقتل الدكتور لرج
لعودة - من مصادرها : (احتمال صدور
قرارات خاصة بحظر نشاط تنظيمات
وجماعات دينية تمارس نشاطها
بالمساجد والأماكن العامة ، قد يكون
من بينها التبليغ والدعوة ، في إطار
مزيد من الحرص وعدم استغلال
المساجد والأماكن العامة في التحضير
لأعمال عنف ، بجانب خطة محكمة
لثأمين الشخصيات المستهدفة من
الإرهابيين)

ولم تغلق قيادتنا الدينية
العليا على ذلك الإنذار للفكر
الإسلامي والاتجاه إلى حظر نشاط
التبليغ والدعوة في المساجد ،
ولأعلمنا ما حركت ساكننا لمواجهة هذه
النازلة العصبية ، خشية أن تلهم
بتشجيع التطرف الإرهابي !
ويصل بنا الحال إلى ما انذر به
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في
حديث قبض العلم ، قال : (إن الله
لا يقبض العلم ينتزعه من صدور
العلماء ، ولكن يقبض العلماء حتى
إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء
جهالا سألوهم فافتوا فاضلوا
واضلوا) متفق عليه .
وتتوالى النذر ، ضاغطة على الموقع
الديني منذرة بعواقب غفلتنا عنه ، فما
تغنى النذر ، قال تعالى :
« ولقد جاءهم من الإنبياء ما فيه
مؤذجر » حكمة بالغة فما تغن النذر ،
صدق الله العظيم

مساهمة مصر

٧

د. بنت الشاطي

مصريتان في النسب الزكي والبيت النبوي حديث الوصية بأهل مصر في وثائق الفتح

كان حديث عيدنا الكبير، عن عيد الأم «هاجر المصرية» أم العرب العدنانية، في سعي المسلمين بين الصفا والمروة مهرولين سبعة أشواط شعيرة من شعائر الله ومنسكا من مناسك الحج والعمرة، مثلما سعت «هاجر أم اسماعيل» من أجل وليدها الرضيع عندما تركهما أبوه ابراهيم عليه السلام، بواد قفر غير ذي زرع بجوار بيت الله العتيق.

مصريين، ان أم اسماعيل هاجر أم العرب من قرية أمام الغرما، التي عند أم دنين

ويأتي في وثائق الفتح قول كبار القبط لعمر بن العاص - وقد ذكر لهم حديث الوصية بأهل مصر «فان لهم رحما» - إنها معروفة شريفة، كانت ابنة الملك من أهل منف والملك فيهم، فاديل عليهم أهل عين شمس فقتلوههم وسلبوا الملك، فلذلك صارت - هاجر - إلى ابراهيم عليه السلام..

.....

وقد مضى الحديث، يوم عيدنا الكبير، عن «هاجر المصرية أم العرب» وأما مارية القبطية فظهرت في السيرة النبوية من السنة السابعة للهجرة، إذ بعث النبي عليه الصلاة والسلام بعد فراغه من يهود خيبر رسله بكتبه إلى ملوك الوقت، يدعوهم إلى الإسلام، من هؤلاء الرسل «حاطب بن أبي بلتعة اللخمي» - حليف الزبير بن العوام الأسدي، ومن البديين رضى الله عنهم - حامل كتاب النبي عليه الصلاة والسلام إلى المقوقس وإلى مصر للروم.

ومع ذلك البعد الزمني المتطاوّل، جمعت بينهما في الواقع التاريخي ظروف متماثلة، يبلغ من عجيب أمر الله في التوافق بينهما أن لا يستغرب وقوع التباس بينهما، كالذي وقع منى سهوا في حديث العيد عن موطن «هاجر أم العرب» أنها كانت من أسرة قبطية عريقة في «بلدة حفن على البر الشرقي للنيل تجاه الأشمونيين بصعيد مصر»، ولا خلاف أعلمه في أن «حفن» هي موطن مارية القبطية عليها السلام. وأما موطن هاجر، عليها السلام، فأصح الروايات أنها من قرية قرب «الغرما» شرقي الدلتا، بين العريش وتينيش، على يمين القاصد إلى مصر. والغرما من أقدم الثغور العتيقة على حدود مصر شرقي الدلتا، وكانت في زمن الفراعنة حصن مصر من جهة الشرق. ورواية ابن هشام لسيرة ابن إسحاق في طبعها المحققة - الحلبي سنة ١٩٣٦ - أن هاجر من (قرية أم العرب، قرية كانت أمام الغرما) فان صح النقل فلعلها سميت بذلك اعتزا بالنسب الزكي، والذي في (فتوح مصر لابن عبد الحكم) روايته عن حفاظ

بأمومة هاجر للعرب العدنانية، تبدأ السيرة النبوية ذكر النسب الزكي لمحمد بن عبدالله القرشي الهاشمي - صفوة ولد عدنان، صريح ولد اسماعيل - مقتربة بأمومة مارية القبطية لابراهيم بن محمد المصطفى عليه الصلاة والسلام.

وقلما تذكر «هاجر أم اسماعيل» في تاريخنا الديني إلا مقتربة بذكر «مارية القبطية أم ابراهيم» انطلاقا من صحيح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصيته بأهل مصر (فان لهم ذمة ورحما) وفي رواية : (فان لهم نسبا وصهرا).

الرحم من جهة هاجر أم العرب العدنانية، والصهر من جهة مارية القبطية أم ابراهيم ولد المصطفى عليه الصلاة والسلام.

البعد الزمني بين هاجر ومارية، يمتد لآماد متطاولة يمكن تقديرها بتقريب، بما بين ابراهيم الخليل الجد الأعلى ليوسف بن يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم، ومحمد بن عبدالله الهاشمي المبعوث بختام رسالات الدين، سنة إحدى عشرة وستمئة من ميلاد المسيح، عليهما السلام.

(٢)

وكانت مارية واختها سيرين في قصر المقوقس بالإسكندرية وقت قدوم حاطب، وهما شقيقتان لأب قبطي وأم رومية، مولدهما في حفن من كورة أنصنا علي البر الشرقي للنيل تجاه الأشمونين بالصعيد. انتقلتا في شبابهما الغض إلى قصر المقوقس، حيث استقبل مبعوث النبي العربي وتلقى كتابه، واستمهل حاطباً ريثما كلم كبار القبط في الدعوة إلى الإسلام فلم يقبلوها، وكتب بها إلى «هرقل» امبراطور الروم، فانكرها وسخط على المقوقس، فكان أن أجمل الرد علي كتاب النبي العربي وقال : (أما بعد، فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه. وقد علمت أن نبيا قد بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام. وقد أكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم، وكسوة، ومطية لتركبها، والسلام عليك).

أخذ الركب الطريق من شرقي الدلتا إلى المدينة المنورة مروراً بالفرما قرب موطن هاجر، إذ تتداعى الذكريات بما يحفظ «حاطب» من النسب الزكي، وغير مستبعد أن يؤنس وحشة مارية وسيرين لفراق الوطن الغالي، بما كان من خبر هاجر ومسعاها بين الصفا والمروة ونجاتها وولدها بماء زمزم، موصولاً بقصة فداء عبدالله بن عبد المطلب من النحر عند الكعبة وفاء لنذر أبيه، وزواج عبدالله غداة الفداء من «أمنة بنت وهب الزهرية»، ثم وفاته عنها وهي حامل باليتيم الهاشمي المصطفى..

حتى بلغ الركب المدينة المنورة وحظيت مارية وسيرين بلقاء المصطفى عليه الصلاة والسلام، حيث عرض عليهما الإسلام فلم ترددا فيه، واصطفى صلى الله عليه وسلم «مارية» لنفسه واسكنها داراً لبعض الأنصار بالعالية، ووهب اختها سيرين لصاحبه الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري. من وقتئذ انحصر وجود «مارية» في السيد النبي العظيم الذي أعزها الله به من حيث لا تحتسب، فكان لها نعم العوض عن الأهل

والوطن

وحومت خواطرها وأمانيتها حول طيف هاجر، لم تخطيء ما بينهما من قرى وتمائل اكتمل بأن أتم الله عليها نعمته، فولدت للمصطفى ابنه إبراهيم على كبر السن والكف عن تمنى الولد، مثلما ولدت هاجر لإبراهيم ابنه اسماعيل علي كبر السن ويأس من الولد.

واسعد مارية، أن يجد الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام في ولده منها، عزاء عمن نكل من أبنائه وبساتنه من أم المؤمنين الأولى السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، لم يبق منهم عند ولادة إبراهيم في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة، سوى «فاطمة الزهراء»، أم أبيها، صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وفاض عالمهما المشترك بالغبطة والأنس بوليدتهما إبراهيم، حتى امتحنهما الله تعالى بوفاته في شهر ربيع الأول من السنة العاشرة للهجرة قبل أن يتم السنيتين من عمره، وحمل الصغير على سرير صغير، وصلى عليه أبوه وشيعه محزون القلب إلى البقيع فأضجعه بيديه في لحده، ثم سوى عليه التراب ونداه بالماء.

وآب مع المشيعين من البقيع وقد غيم الأفق وانكسفت الشمس، فقال قائلهم إنها انكسفت لموت إبراهيم عليه السلام، وبلغت الكلمة سمع أبيه عليه الصلاة والسلام، فصلى بالناس صلاة الكسوف وخطبهم فقال: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا، وتصدقوا) متفق عليه.

في شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة، بعد سنة واحدة من وفاة «إبراهيم بن محمد»، لحق أبوه المصطفى صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى. وعاشت السيدة مارية القبطية من بعده خمس سنين مضاعفة الحزن والوحشة، حتى توفيت رضي الله عنها سنة ست عشرة، فصلى عليها

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وشيعها رضي الله عنهما إلى البقيع، والأفاق ما بين المدينة المنورة والكنانة تتجاوب بصحيح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصيته أصحابه بأهل مصر: (إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً) وفي رواية: (فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم نسبا وصهراً).

رواه المصريون الحفاظ من عدة طرق بالفاظ متقاربة، من حديث أبي ذر الغفاري وكعب بن مالك الأنصاري، وعمر بن العاص عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنهم، عن النبي صلى الله عليه وسلم. قالوا: النسب من جهة «هاجر أم اسماعيل»، جد العرب العدنانية، والصهر من جهة «مارية القبطية»، أم إبراهيم بن محمد، عليهم السلام

لم تدرك مارية القبطية رضي الله عنها فتح مصر سنة عشرين للهجرة، بعد وفاتها بأربع سنوات، لكن حديث الوصية دخل في وثائق الفتح، بكتاب (فتوح مصر لابن عبدالحكم المصري، وكتاب من دخل مصر من الصحابة للربيع الجيزي، ورواية ابن اسحاق عن الزهري بأسانيد، وابن يونس الصديقي المصري في تاريخه الكبير لمصر): روي أنه لما بلغ جند الفتح باب مصر، لقيهم أبو مريام كبير القبط والأسقف أبو مريم في بعث أرسلهم المقوقس من الإسكندرية لمنع بلادهم، فلما تصافوا قال عمرو بن العاص: لا تعجلوا. حتى نعد إليكم، ليبرز إلى أبو مريم وأبو مريام راهباً هذه البلاد فبرزوا إليه فقال عمرو: (إن الله بعث محمداً بالحق وأمره به فادى إلينا كل ما أمر به ثم مضى وتركنا على الواضحة. وكان مما أمرنا به الإعرار إلى الناس، فنحن ندعوكم إلى الإسلام فمن أجابنا فمثلنا، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة. وقد أعلمنا أننا مفتتحو مصر وأوصانا بكم حفظاً لرحمنا

منكم.. ومما عهد الينا اميرنا - عمر
رضى الله عنه - أن (استوصوا
بالقبطيين خيرا فإن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أوصانا
بالقبطيين خيرا فإن لهم ذمة
ورحما).

قالوا، وقد ذكروا «هاجر» ولم يكن
العهد بها قريبا كمارية : (قرابة
بعيدة لا يصل مثلها الا الانبياء،
معروفة شريفة، كانت ابنة ملكنا،
من اهل منف والملك منهم، فاديل
عليهم اهل عين شمس فسلبواهم
ملكهم، فلذلك صارت الى ابراهيم،
عليه السلام، مرحبا به وأهلا..
وامنا حتى نرجع إليكم).....

تداول الحفاظ الأئمة حديث هذه
الوصية، فأخرجها مسلم في
صحيحه والطبراني في معجمه
الكبير وابويكن البيهقي وابونعيم
الأصبهاني في الدلائل.. كما
أخرجها مؤرخو الإسلام من الطبرى
فبعث بعده، ومؤرخو مصر الإسلامية
من ابن يونس الى السيوطى فى
(حسن المحاضرة) فمن بعده..

وكذلك كانت «حفن» من كورة
انصنا، الأثرية العتيقة بصعيد
مصر، موضع عناية الصحابة
والبلدانيين وعلماء الخطط والآثار.
وفي الخبر أن «عبادة بن الصامت
الانصارى : من أمراء الكتائب في
فتح مصر، بحث عن بلدة حفن

وموضع بيت مارية منها، فبنى بها
مسجدا. وروى ابن كثير فى تاريخه
(البداية والنهاية) أن معاوية بن

أبى سفيان وضع الجزية عن اهل
حفن، إكراما لصهر المصطفى صلى
الله عليه وسلم فيهم. والذي فى
(خطط المقرئى) أن «الحسن بن
على» رضى الله عنهما كلم معاوية
لأهل حفن - وفيهم خثولة الحسن بن
الزهراء أخت ابراهيم لأبيهما صلى
الله عليه وسلم - فوضع عنهم
معاوية خراج الأرض.

وذكرها رواد عصر اليقظة
المصريون، وللشاعر «حفنى ناصف»
بحث فى (موطن مارية القبطية من
الديار المصرية) شارك به فى مؤتمر
المستشرقين باثينا، سنة ١٩١٥ م.

(الحمد لله، وسلام على عباده
الذين اصطفى)

صدق الله العظيم.

تخريج:

تعليقا على مقال الاسيوع
الماضى (تحريك السواكن وأفة
النسيان) نبهنى قارىء كريم إلى
مالاتبغى أن يفوتنا من أمر الله
تعالى ورسوله عليه الصلاة
والسلام أن لا يجادل أهل الكتاب إلا
بالتى هى أحسن.

التاريخ ٢٤ / ٢ / ١٩٩٢

شاهدة عصر

٨

د. بنت الشاطئ

تاريخ الأسماء ..

والثقافة في عصر

ليس احتفالنا بذكرى الهجرة مهريا من همومنا ومواجعنا ، وملهاة عن
معاناة التفكير في مجزرة العصر المتحضر للملايين من مسلمي البوسنة
والهرسك وبورما ، وملايين امثالهم صرعى الحصار المشنوم في البر
والبحر لشعب الصومال ، وللشمال الافريقي ، واشلاء حرب الخليج
واشباح ضحايا المجاعات والحريق والابوة ، لقتل الحياة في أخصب
بقاع الأرض ومهد الحضارات والرسالات مابين وديان النيل والرافدين
وبردى الأردن .

كلا: ولا هو اهتزاز ترنح مع كرة القدم في الملاعب الاولمبية ، ولا نشوة
ثمليين على ايقاع النغم السناحر لشدو مطربة الشرق: «هل رأى الحب
سكاري مثلنا ؟»

.....

إنما هي ذكرى ترهف وعينا بعبرة تاريخنا وتكشف عن ابصارنا
وبصائرنا غشاوة الغفلة المضللة للرؤية ، وتجلو عن ضمائرنا صدا البلادة
المبررة لما هو كائن في هذا الزمان .

(٢)

اليوم تستقبل امتنا سنة هجرية جديدة ، ولا أنكر متى بدأ تقويمنا بالهجرة يتوارى رويدا رويدا من مجال التوقيت به في مصر. غاية ما أتذكره على البعد ، هو أننا كنا في الدور والمدارس الإسلامية الى ماض قريب ، نؤرخ به مقرونا بما يقابله من التقويم القبطي الذي يضبط مواسمنا المناخية والزراعية وقت ان كانت الكنانة أخصب الأقطار الزراعية وقبل رواج الطباعة ، كانت دورنا لا تخلو من تقويم خطي - في كتيب نسميه النتيجة - الصفحات اليمنى منه لآيام الشهور القمرية ومنازل القمر ومواقيت الصلاة والأعياد والمواسم الدينية ، يقابلها على الصفحات اليسرى آيام الشهور القبطية وأحوالها المناخية ومواسمها الزراعية ، تحفظها جمهرة الشعب في الريف والحضر ويضبطون عليها فصول السنة ومواقيت الحرث والبذر والغرس والرى والحصاد والجنى .

ثم لما اتصلت بالحياة العامة في العاصمة ، ألغيت للتقويم الهجري موضعه مع التقويم الميلادي - والصحيح انه التقويم الرومي كما في مصطلح اهلنا المغاربة - الى ان توارى التقويم الهجري بالتدريج فما نذكره إلا في المواسم والأعياد الدينية وضبط الأحكام الشرعية المتعلقة بالشهور والسنين . وقلما نستغنى عند الحاجة اليها من مراجعة اهل العلم بها ، أو الرجوع الى صحيفة يومية تجمع بين التقاويم الهجرية والرومية والقبطية ..

قضية الاحتجاب التدريجي للتقويم الهجري في زماننا ، لا تشغلني اليوم الا من حيث تأثيرها في فتور الوعي العام بظروف الهجرة ودواعي التاريخ بها . يفضي الجهل بها الى التباس خطير بين تاريخ الاسلام ، والتقويم بالهجرة : واحتاج الى مقدمة موجزة عن الهجرة ، يتصل بها سياق الأحداث الى ما كان من اختيارها بداية للتقويم الاسلامي :

حتى عام الحزن - السنة العاشرة من المبعث - لم يكن ليثرب حاضرة شمالي الحجاز ، ظهور على مسرح الأحداث العصبية بمكة ، قد شغل يثرب عنها حروب ناشبة بين اهلها العرب ، الأوس والخزرج ، سهر على ايقادها فلول من يهود طراوا على الأرض الطيبة فرارا من وطأة الرومان .

في عام الحزن أوحشت دار المصطفى - عليه الصلاة والسلام - بفقد زوجه ام المؤمنين الاولى ، وكانت له سكتا ووزيرا . وموت العم ابي طالب بن عبد المطلب ، وكان لابن اخيه صديقا وكافلا ومانعا له من قومه قريش .

وضرى مطعم قريش في النبي - عليه الصلاة والسلام - والذين آمنوا معه ، فخرج من مكة لأول مرة منذ المبعث ، واتجه وحده الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف فردوه ردا قبيحا ، ورجع محزوننا يائسا منها ، فطاف بوفود القبائل للموسم ، وعرض عليها الاسلام فلم يقبلوه متابعه لقريش . حتى بلغ العقبة فلقى رهطا من البثريين «الأوس والخزرج» ، ستة نفر أو سبعة ، قبلوا دعوته فكانوا سابقة الأنصار . في الموسم التالي لقيه اثنا عشر يثربيا من الأوس والخزرج بايعوه عند العقبة ورجعوا الى يثرب أنصارا - لله عز وجل - ورسوله - عليه الصلاة والسلام - ومعهم في رحلهم «مصعب بن عمير القرشي العبدري» موفدا من رسول الله - عليه الصلاة والسلام - ليقرئهم القرآن ويفقههم في الدين ، فما مضى عام إلا ويثرب كلها أنصار ، قد فتحت بالقرآن قبل الهجرة ، وخرج «مصعب» في الموسم في ثلاثة وسبعين من الأوس والخزرج ، فيهم سيدتان ، لقوا النبي - عليه الصلاة والسلام - على موعد معه عند العقبة في ليلة من ليالي التشريق ، فبايعوه بيعة العقبة الكبرى التي أذنت بتحول حاسم للدعوة الاسلامية ، وتحركها الى موقع جديد خروجا من الدائرة المغفلة في دار المبعث .

على مدى العام بعد العقبة الكبرى ، تنابح المسلمون مهاجرين من مكة الى يثرب ارسالا ، حيث نزلوا بها على اخوانهم الأنصار ، لم يبق في مكة . غير من حبس أو فتن . سوى المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وصاحبيه أبي بكر الصديق وعلى بن أبي طالب . رضى الله عنهما . بعدها في السنة الثالثة عشرة ، كانت هجرة النبي . عليه الصلاة والسلام . ومعه صاحبه أبو بكر ، الى يثرب التي استحدثت بالهجرة التاريخية اسمها الاسلامي : «المدينة المنورة» ولم يكن في المدينة وقتئذ . ولثمانى سنين بعد ذلك . دار اسلام غيرها . كان وصوله . صلى الله عليه وسلم . الى ظاهر المدينة قبيل ظهر الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول . فاقام في قباء حتى يوم الخميس ، حيث اسس بها اول مسجد في الاسلام .

حديث الهجرة معروف للمسلمين كافة ، تتجاوب به افاق العالم الاسلامي على امتداد الزمان والمكان . والذي يشغلني اليوم من قضايا الهجرة التاريخية هو مايقع من التباس بينها وبين تاريخ الاسلام ، بما يوهم انه بدا بها . وقد اعلم انه ما من مسلم لا يعلم ان الاسلام بدا بنزول أول الوحي في ليلة القدر من شهر رمضان المعظم قبل الهجرة بسنتين ، فذلك من المعلوم للمسلمين كافة من دينهم بالضرورة ، وان لم يعلموا بالضرورة ان التقويم الهجري لم يبدأ العمل به إلا في عهد ثاني الخلفاء الراشدين . رضى الله عنهم

ومن هنا يدخل من الالتباس والإيهام مايجتاح الى التنبيه عليه . وغير مستبعد أن ينتفض المسلم لهذا التنبيه ، يرى أنه ليس في حاجة اليه ، شأن كثير من معاليم الاسلام ومبادئ منهاجه في السلوك ومقاصد شريعته ، تغيب عن بال المسلم ، ثم لا يتربد في تأكيد علمه بها بعد تذكيره بها .

مضى عصر المبعث والمسلمون يؤرخون بالأحداث الكبار ، كعام الفيل وفيه كان مولد النبي الهاشمي ، وعام الهجرة الى الحبشة ، وسنوات الحصار ، وعام الحزن ، والاسراء ، وبيعات العقبة ، كما أرخوا في العهد المدني للهجرة ، وتحويل القبلة ، وفرض الصيام في شهر رمضان ، ويوم بدر ، واحد ، والأحزاب ، وعام الحديبية ، وبيعة الرضوان ، وعمرة القضاء وإجلاء يهود خيبر ، وخروج رسل النبي . عليه الصلاة والسلام . بكتبه الى ملوك الوقت يدعوهم الى الاسلام ، وغزوة مؤتة ، وفتح مكة ، ويوم حنين ، وغزوة تبوك ، وسنة الوفود ، وحجة الوداع ، ووفاته . صلى الله عليه وسلم .

وارخوا زمان أبي بكر . رضى الله عنه . بيوم السقيفة ، وحروب الردة ، وأوائل الفتوح الكبرى معتدة الى عهد عمر بن الخطاب ثاني الراشدين . رضى الله عنهم . حيث اتسعت الدولة الاسلامية ودونت الدواوين وظهرت الحاجة الى تقويم اسلامي جامع يؤرخ به المسلمون ، فجمع «عمر» وجوه الصحابة في السنة الرابعة من خلافته ، السادسة عشرة للهجرة ، وشاورهم في الأمر (فكانت المناسبات التي يمكن التاريخ بها أربعاً: مولده ، ومبعثه . صلى الله عليه وسلم . وهجرته ، ووفاته) . فاعرضوا عن

(٤)

التاريخ بالوفاء لما يلابسه من أسف وحزن ، كما أن المولد والمبعث لأخلو
واحد منهما من خلاف على تعيين وقته ، فارتضوا الهجرة بملحظ من
تقدير جلال موضعها في تاريخ الاسلام ، واذ كانت في شهر ربيع الأول بلا
خلاف ، اخروا البداية الى أول المحرم منصرف الناس من الحج ، ولأن
بيعة العقبة الكبرى كانت في ذى الحجة ، وهي مقدمة الهجرة ، وأول هلال
بعدها هلال المحرم .

وذكروا لدار الهجرة منزلتها الجليلة في الاسلام ، ولاهلها الأنصار
مناقبهم الماثورة ، وقد زكاهم الله تعالى بأنهم «يحبون من هاجر اليهم
ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان
بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» الآية

وعرفها لهم رسول الله - عليه الصلاة والسلام - في المتفق عليه من
مناقبهم ، واعترف المهاجرون بجميلهم حتى ليقول أنس بن مالك - رضي
الله عنه - : «يارسول الله ، مارأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في
قليل ولا أحسن بذلاً في كثير .. حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله .
قال - عليه الصلاة والسلام - لا ، ما أثبتتم عليهم ودعوتهم لهم»

وقد بقيت المدينة لما بعد الهجرة بثماني سنين وليس في الدنيا غيرها
دار اسلام ، وفيها بالمسجد النبوي مدرسة النبوة ، وقاعدة الخلافة
الراشدة ، ومنطلق كذايكل الفتوح المبكرة .
وأما مكة فقد شرفها الله تعالى ببيته العتيق قبله الامة ومثابة حجهم
ومهوى أفئدتهم .

.....

ذلك كله مما لا تحسناج فيه الامة الى تذكير به او تنبيهه يدفع
شبهة الالتباس الموهم بأن تاريخ الاسلام بدأ بها . وهي مقولة ضالة خب
فيها ووضع مستشرقو اليهود في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ،
حتى اذا بثوها في مناخ فكرنا الديني بالقدر الذي يحقق لهم مآربهم ،
سعوا سعيهم لعزل التقويم الهجري عن وجودنا المعاصر في حركة التفاف
ماكرة تضلل الرؤية ويحار فيها الدليل .

على رجاء الكشف بنها لقومي - إذا يسر الله واعان - اتلو آيته المحكمة
في الهجرة ، تذكرة وعبرة :

«إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا/ثاني اثنين إذ هما
في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فانزل الله سكينته عليه
وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي
العليا ، والله عزيز حكيم» صدق الله العظيم .

شهادة عصر

٩

د. بنت الشاطي

في حديث الهجرة : قديم وجديد من بضاعة الاسرائيليات

كان الله في عوننا، نتجلى لمجاهدة دواعي الإحباط والاكتئاب في زمان
باسعاف الرجاء ضنين، وتتكلف الصبر على ما يغلب الصبر، وما بنا صمم
عن رجة الزلزال في عالم يريد أن ينقض، ولا في أذاننا وقر يكتم عنا حشرة
الاحتضار لخمسة آلاف طفل يموتون يوميا في الصومال، واصداء النبا
الفاجع لاغتيال الشهيد الرئيس الجزائري « محمد بوضياف » في خطواته
الآخيرة من الجزائر العاصمة إلى « غابة » شرقي الجزائر، وعودته منها
محمولا إلى مثواه في مقبرة الشهداء سلام عليهم، رضى الله عنهم ورضوا
عنه.

وتواصل الحياة سيرتها الاولى كل منا مجاهدته ومسعاها كادحا إلى خالقه
(وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت) ***

وأعود بالقراء الكرام إلى ما نهت عليه في حديث الخميس الماضي عن
(تاريخ الاسلام والتقويم الهجري) من شبهة التباس بينهما يوهم أن
الاسلام بدأ بالهجرة . والمسلمون كافة يعلمون من دينهم بالضرورة أن
الاسلام بدأ من فجر ليلة القدر في شهر رمضان المعظم الذي (أنزل فيه القرآن
هدي للناس وبيّنات من الهدى والفرقان) ، ولمن لم يعلموا بالضرورة أن
العمل بالتقويم الهجري بدأ من السنة الرابعة لخلافة « عمر بن الخطاب » :
ثاني الراشدين رضى الله عنهم، وهي السنة السادسة عشرة للهجرة ،
التاسعة والعشرون من بدء الاسلام . بنزول أول الوحي، ليلة القدر.
دعت إلى ذلك ضرورة الاتفاق على تقويم إسلامي موحد تؤرخ به اقطار
الدولة الاسلامية التي اتسعت بالفتوح من عهد أبي بكر رضى الله عنه. وكان
اختيار الهجرة للتقويم الاسلامي الجامع ، باتفاق وجوه الصحابة رضى
الله عنهم.

التاريخ ١٩٩٢/٢/١٤

(٢)

مع تراخي الزمن وتلاحق المتغيرات، والانفتاح لتيار التنوير الغربي المحدث، فترت الهمم عن قراءة تاريخنا في أصول مصادره الموثقة، فشاع الوهم بأن تاريخ الإسلام بدأ بالهجرة، وهي مقولة إسرائيلية فاحشة غرسوا بذرتها في موقع فكرنا الديني من زمان، وصبروا عليها طويلا دون أن يتجاسروا على الجهر بها، علانية في انتظار الظروف المواتية للظهور بها، وإعداد دعاة من قومنا يبشرون بها فينا ويرجون لها. وعلمي بالاسرائيليات في تفسير القرآن قديم، بحكم انتمائي الى المدرسة القرآنية نشأة ودرسا وتدرسا ومنهجيا. غير أنني لم أشغل بها في المجال الفكري قصدا. وعلى تفرغ، إلا من عام النكبة. في محاولة شاقة لمعرفة اسبابها ومقدماتها، رفضا مني للقول بفوضى العشوائية وبغثة المفاجآت وعثرة الحظ والنصيب، مع يقيني بثبات السنن، الطردة للمقدمات والنتائج، لاتتعلق المشيئة العليا بنقض سننها

قال تعالى:

(فهل ينظرون إلا سنة الأولين، فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا).

عام النكبة، سنة ١٩٦٧ م، لبثت أحرق في الأفق المعتم أحاول أن أستوضح الرؤية، وعلى الأفق ضباب متكاثف يحول دون نفاذ البصر، ونحن في غشية من دوار الصدمة، لانفهم منطق الهزيمة ولانعى أبعادها. ومضت سنوات وأنا أطل من الموقع الفكري على الأبعاد المترامية لابتلاء أمتي بطاغوت هذا الزمان، وكل زمان، فأرى جذور المحنة ناشبة في أعماق وجودنا، موهلة في مسارب معقدة متشابكة مضللة للرؤية. ويتشابه الأمر علينا في دروبنا الخفية الملتوية: تبدو حينها مدخلا للاستعمار، وأحيانا مدخلا للصليبية، ثم يختلط بها نفق الاحاد فيزيدها غموضا وتعقيدا، حتى تلتقي شتى الدروب والانفاق مقضية إلى تل أبيب. كما تتشابه علينا الذرائع في اقنعتها الموهمة وازيائها التنكيرية.. وتحمل مرة شعار التنوير العصري باليقظة من أفيون الشعوب، وأخرى مفتاح العلم والتقدم، وثالثة كلمة السر الفاتحة لكنوز الدنيا والآخرة ودليل الطريق إلى الفردوس المفقود والموعود... وكل الطرق توصل إلى تل أبيب...

واعان الله تعالى، له الحمد والمنة، فقدمت من عطاء مجاهدتي الصعبة مع الاسرائيليات، ثلاثة كتب، هي على ترتيب نشرها: (اعداء البشر) نشره المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة في طبعتين: ١٩٦٨، ١٩٧٢. (الاسرائيليات في الغزو الفكري) خاضرت بها طلاب معهد الدراسات والبحوث العربية بالقاهرة، ونشرها المعهد سنة ١٩٧٥. (قراءة في وثائق البهائية) نشره مركز الاهرام للترجمة والنشر: ١٩٨٦ ومن حق السادة القراء أن يسألوا عما يشغلني من الموضوع بعد أن بلغت وأشهدت؟

وأقول: بقي أن الاسرائيليات ماتزال تضغط على موقع فكرنا الديني بجديد فلا يشغلني هذا الجديد بقدر ما يشغلني أن أعادت صياغة قديم بضاعتها، في هذا الجديد المحدث، تراحم به القضايا الشاغلة لوجودنا الحاضر. وإن يضيق المجال عن استيعاب بضاعتها الحاضرة ومقابلتها على أصولها من قديم الاسرائيليات، أقصر هنا على مقولة بدء تاريخ الإسلام بالهجرة، شاهدا ومثالا لكر التدليس ودهاء الاحتلال.

لم يكن العمل بالتقويم الهجري في خلافة عمر، رضي الله عنه، ذريعة إلى القول بأن الإسلام بدأ بالهجرة كما يتبادر للظن العاجل، بل تعلق بها يهود يثرب عصر المبعث، مدخلا إلى دعواهم الفاحشة، أن الدين الاسلامي إنما

(ولد يثرب في حضانة احبار يهودها) ولم يتجاسروا بطبيعة الحال على الظهور بهذه المقالة الخبيثة في العصر الأول، فاكثفوا بغرس بذرتها، وحوموا عليها في اسرائيلياتهم المبثوثة في تاويل القرآن الكريم، بعد ان اعياهم ان يمسوه بادنئ شبهة من تحريف او تصحيف، والله حافظه، وبنا طول صبرهم علينا

ظلوا يتوارثونها اجيالا وقرونا دون ان يبلغوا منا ماربا، حتى جاء يهود القرن التاسع عشر فاحتشدوا لتحريكها وتلويث مناخنا الفكرى بها، اعدادا لتقبل صياغة جديدة لفهم ديننا، مشوبة بمدسوس الاسرائيليات وبدع التاويلات وخليط المذهبيات تحقيقا لما رب الصهيونية العالمية وهى فى مرحلة التحضير لرسم خريطة مملكة بنى اسرائيل فى ارض الميعاد . واطمعمهم فينا امور عدة، اولها مايشهد به الواقع التاريخى من ان الدعوة الاسلامية لبثت بمكة محاصرة فى دائرة مقفلة حتى خرج الاسلام منها بالهجرة إلى يثرب فظهرت دعوته وخاض معاركه ومغازيه حتى تم له النصر على مشركى قريش، وقهر اليهود، ودخل الناس فى دينه افوجا واستقر فى دار هجرته يتطلع الى فتح ماوراء حدودها من اقطار خضعت لأكثر من ألف عام، لوطاة الاستعمار من الفرس والرومان... مما يسهل معه الايهام بان دار الهجرة عزلت مكة عن مسرح الاحداث.

الأمر الثانى ما سجله تاريخ الاسلام فى اوثق مدوناته، من ان يثرب فتحت بالقرآن قبل الهجرة، فهاجر النبى اليها وليس فى الدنيا وقتئذ، ولثمانى سنين بعد الهجرة، دار اسلام غير المدينة، على حين ظلت «مكة» من المبعث الى فتحها فى السنة الثامنة للهجرة، مركز وثنية مشتركة غليظة راسخة، تسهر قريش على حراستها وتقوم على وظائفها الدينية وإقامة مواسم الحج.... مما يمكن ان يكون مدخلا للآلام فى التمييز بين الوحي المكى والوحي المدنى، يجوز على المفتونين والجاهلين والغافلين فى غيبة الوعي بخطر التهوين من العهد المكى، وفيه ليلة القدر، والهجرة إلى الحبشة، والمقاطعة والحصار، وعام الحزن، وبيعات العقبة، والاسراء.. وفيه نزلت ست وثمانون سورة ثم نزل بالمدينة ثمان وعشرون..

ثالث الامور التى اطمعت يهود القرن التاسع عشر فينا، عامل الزمن، فكلما تراخى العهد بما مكن الاسلام لأمته فى عصور العزة والسيادة والمنعة من الدور القيادى الرائد للحضارة الانسانية فى العصر الوسيط، فترت حمية المسلمين وسهل معه استدراجهم إلى الغض من العهد المكى بما يرهف حس التهيب تجاه دار الهجرة والتخرج مما قد يبدو انكارا لجميلها وجحدا لفضل أهلها الانصار ومائور مناقبهم: رضى الله عنهم ..

وفى مسلسل ماكر الذرائع ملتوى الدروب، تلقى يهود القرن التاسع عشر ميراث الاسرائيليات، فعكف الحروفيون من احبارهم على توجيه بشريات التوراة والإنجيل بالنبى المنتظر، إلى القرن التاسع عشر حيث مظهر

(٤)

البهائية التي أخذت دورها في حلف الشيطان بينها وبين الصهيونية العالمية، في محاولة تلويث مناخ فكرنا الديني بان الاسلام يدين لدار الهجرة، بما زين يهود للنبي العربي بان اعداءه من احبارهم اخفوا بشریات ظهوره، ومع اليقين من خيبة التبشير البهائي الغبي الابله بالمقولة الاسرائيلية، تلقاها مستشرقو اليهود وعكفوا على خدمتها وانضاجها بالمعهود من دابهم ومكر نكائهم ومهارة تدليسهم، فكانت الشغل الشاغل للمستشرق المجري اليهودي الكبير «جولد تسيهر» في دروس عن الاسلام اعدھا بتكليف من (اللجنة الامريكية للمحاضرات في تاريخ الاديان) لائقها في خريف سنة ١٩٠٨، ولما شق عليه السفر إلى أمريكا لضعف صحته، تجرد لتلقيح دروسه واستيفائها والتوسع في حواشيها، وانجزها للطبع سنة ١٩١٠، في كتابه العقيدة والشريعة في الاسلام: تاريخ تطورها (ظهرت منه الطبعة الاولى بالالمانية مصدرة بمبحث اساسي موسع في (محمد والاسلام) تبشيرا بصريح مقصده بان الاسلام في العهد المكي لم يكن يشير الى دين جديد: (انه في المدينة فقط كان مولد الاسلام في الحقيقة، حيث قوى اليهود الذين مالوا عن دينهم رغبة في مرضاته، عقيدة تحريف قومهم لكتابهم واخفائهم بشریات ظهوره، ومن ثم شغل الجدل ضدھم مكانا كبيرا من الوحي المدني... وصار رهبان المسيحيين واحبار اليهود موضع مهاجمة منه، وقد كانوا في الواقع اساتذة له)

ومن هذا المنطلق مضى جولد تسيهر يؤرخ لما سماه: (تطور العقيدة والشريعة في الاسلام)

ثم، ما اصبر اليهود على تحضير بضاعتهم من الاسرائيليات ونفثها في مناخنا الفكري، بعد أن لبثت اكثر من نصف قرن بعيدة عن قراء العربية؟ اتحاشى عمدا عرض مقولاتهم الفاحشة دون مقابلتها على صيغتها الجديدة فيما نقرأ عن كتب المرحلة لدعاة التنوير العصري، مع التصدي لنقضها في اصولها من قديم الاسرائيليات. وهذه قضية معلقة منذ عشرين سنة، أن أوان نشرها والاشهاد عليها..

ما أريد أن أشهد عليه اليوم، هو انه فيما كان التبشير بعظمة دار الهجرة وترسيخ الوعي بصلاحياتها لموعد الاسلام في حضانة الاحبار من يهودها يشق مجراها في فكرنا المعاصر، كانت الأيدي الخبيثة دائبة على حفر نفق يشق مجراه سرايا الى عصرنا في حركة التفاف مأكرة لحجب التقويم الهجري جملة من وجودنا العصري المنفتح لتيارات التنوير الوافدة من الغرب المتحضر، يبشر بها دعاة منا يانفون من كل (ماينمينا الى عصر الناقبة في أعماق فجوة من كهوف الزمان الغابر).

(وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون. الا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) صدق الله العظيم .

شهادة عصر

١٠

د. بنت الشاطي

قديم جديد من الإسرائيليات في بضاعتنا المحلية للسوق الحاضرة

تعلمت على كبر السن أن اميز في المقولات الاسرائيلية المبثوثة في فكرنا الاسلامي بين ما هو حمية لقضية مسيطرة على عقل المبشر بها ووجدانه، يتفانى في خدمتها ويسخر منطق ومصادره للبرهنة عليها على حساب المنهج العلمي، وبين ما هو نكتة حاقد مريض يغلبه داؤه على امره، فلا يبقى له على قدر من رشد الوعي باختلال منطق واضطراب تفكيره...

واركز النظر على اثنين من مستشرقى اليهود حملة المقولة الاسرائيلية [ان الاسلام لبث بمكة خاملا، لا يبدو ان الوحي فيه يبشر بدين جديد، حتى جاءت الهجرة التاريخية فعزلت مكة عن مسرح الاحداث بتحويلها إلى يثرب حيث الاحبار من يهودها قد اعدوها فكريا وروحيا لاستقبال الرسالة الجديدة والترحيب بها. وفيها كان مولد الديانة الاسلامية بغضل الاساتذة الاحبار والكهان].

.....

مقولة بحسبها الناس هينة، لا يدرون ابعادها المترامية ومراميها الخطرة، فمنها انطلقت دعوى تطور الاسلام عقيدة وشريعة، التي يلهج بها اقطاب التنوير في زماننا البائس، وعليها تقوم حركة التبشير العصرية العالمية بوحدة الاديان وجمع المسلمين مع النصراني واليهود على دين ابيهم ابراهيم عليه السلام..

وربما هون عند الناس هذه المقولة الاسرائيلية ان المسلمين كافة يعلمون من دينهم بالضرورة ان تاريخ الاسلام بدا من ليلة القدر قبل الهجرة بسنين، وان كانوا لا يعلمون جميعا بالضرورة ان القرآن الكريم نزل منه في العهد المكي قبل الهجرة ست وثمانون سورة ثم نزل منه بدار الهجرة ثمان وعشرون سورة. اولها سورة البقرة وفيها آيات بينات حذرت المسلمين من شر اليهود ومكرهم، وشهدت عليهم بانهم تحريفهم كلام الله، قال تعالى، خطابا للنبي عليه الصلاة والسلام والذين آمنوا معه:

﴿افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾ وقال عز وجل:

(ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وإن هم الا يظنون. فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون).

افيمكن ان يجوز عقلا، ان يكون هؤلاء هم الذين تولوا حضانة الاسلام في مهد مولده فيهم بدار هجرته؟

وفي اي منطق يسوغ القول باستاذيتهم لمن يتلو من اول الوحي المدني قوله تعالى خطابا ليهود المدينة عصر المبعث:

(٢)

(ولقد اتينا موسى الكتاب وقفين من بعده بالرسول، واتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون؟)

والمسلمون كافة يستقبلون في صلاتهم المسجد الحرام قبله امتهم ومهوى أفئدتهم، وليسوا جميعا بحيث يعلمون أن المسلمين الأولين كانوا يصلون إلى بيت المقدس من أول المبعث إلى منتصف شعبان المكرم من السنة الثانية للهجرة، والنبي عليه الصلاة والسلام لا يكف عن التطلع إلى القبلة التي يرضاها لأمته، حتى استجاب له الله عز وجل ونزلت بدار الهجرة في منتصف شعبان آية تحويل القبلة:

(قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها، فول، وجهك شطر المسجد الحرام، فحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره..) الآية

وتحول المسلمون إلى قبلتهم بمكة المقلوب بعزلها عن الأحداث وهم في دار هجرتهم ليس لهم إلى مكة سبيل وقتئذ، حتى عام الفتح، السنة الثامنة للهجرة.

وفي السورة الأولى من الوحي المدني، نزلت آيات الأحكام في شعائر الحج إلى البيت العتيق ومناسكه، والمسلمون في دار هجرتهم وأبواب مكة من دونهم موصدة.

فلنتابع مقولة «مستشرق» اليهود في عزل مكة عن مسرح الأحداث بالهجرة إلى يثرب، مهد الديانة الإسلامية في قائلهم الفاحشة.

في سنة [١٩١٠] أنجز المستشرق المجري الكبير «إجناس جولد تسهير» في بودابست كتابه بالألمانية عن تاريخ تطور [العقيدة والشريعة في الإسلام] ففرض على المفكرين ومؤرخي الحضارات والأديان الأوروبيين احترامه وتقديره، بصدق حماسه لفكرة استقرت في ذهنه ووجدانه عن مولد الإسلام بيثرب بعد الهجرة ثم [استمرار تطور عقيدته وشريعته إلى العصر الحديث بما تلقى على المدى الطويل من روافد اجنبية نجح في صهرها في بوتقته] وصرح في مقدمته بأن مهمته الكثيف عن هذه العناصر الأجنبية، وقد تجرد لهذه الغاية في دأب وصبر، وزودها بحواش سخية، مع وفرة مصادره ومراجعته التي سخرها بمهارة للاستدلال على فكرته.

وظل الكتاب معزولا عن قراء العربية لنحو ثلث قرن، قبل أن تنشر (دار الكاتب المصري بالقاهرة سنة ١٩٤٦) ترجمة له عربية متقنة اشترك فيها وفي التعليق عليها ثلاثة من الأزهرين الدكاترة «محمد يوسف موسى المدرس بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر، وعبدالعزیز عبد الخالق المدرس بكلية الشريعة، وعلى حسن عبدالقادر مدير المركز الثقافي الإسلامي بلندن» وقدموا للكتاب بتركية عالية يرجون فيها أن يكونوا قد قاموا ببعض ما يجب عليهم نحو الإسلام والدراسات الإسلامية [وإغناء اللغة العربية بخير ما كتب الغربيون في هذه الدراسات].

قبل ظهور هذه الترجمة العربية بعقدين من الزمان، واسرائيل على وشك الانتهاء من مرحلة الحرث والتحضير لأرض الميعاد، طرا علينا بمصر المستشرق اليهودي الشاب «اسرائيل ولفنسون أبو ذؤيب» مدرسا للغات السامية والعبرية في دار العلوم أيام عز أصالتها وتفردتها، قبل إلحاقها بجامعة فؤاد الأول / القاهرة واشتغل في الوقت نفسه بتحضير رسالته لدرجة الدكتوراه في الآداب من جامعة القاهرة، في موضوع [تاريخ اليهود في بلاد العرب] بإشراف استاذنا

(٣)

العميد «الدكتور» طه حسين، رحمه الله ونشرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر، في طبعة الاعتماد سنة ١٩٢٧ مع مقدمة للأستاذ العميد، نوه فيها باختيار الدارس لهذا الموضوع ذي الأهمية البالغة، نظرا لما كان بين اليهود والعرب في الجاهلية وصدر الإسلام من وثيق الاتصال..

.....

كان ذلك التشجيع لأبي ذؤيب، في مرحلة تفتح فكرنا الحديث للفكر الأوروبي، شاهدا لسماحتنا العقلية بنفى عنا جمود التعصب وعقدة المقت لبضاعة الغرب الحديث. وأخذ كتاب أبي ذؤيب موضعه في مراجع درسا للساميات وفقه اللغة على المستشرقين الألمانين الكبارين «ليتمان وشاخت»، حيث تبين لي بيقين أن كتاب أبي ذؤيب تفسير يهودي لتاريخ الجاهلية وعصر المبعث، مع فحش التدليس وبؤس التهافت وفساد المنهج. وقد جادلت استاذنا العميد فيما كرهت من تزييف الصفة الجامعية بهذه الدراسة التي تنضح بالغل والحقد، فتقبل رحمه الله مجادلتني بالمعهد من سماحة طبعه ودمائة خلقه وسعة أفقه. ثم لما واجهته بسؤالي العنيد: كيف ولم أجاز هذا التفسير اليهودي لتاريخ الجاهلية وعصر المبعث مع وضوح زيفه وفساده؟ فرد علي: دون أن تفارقه ابتسامته الأليمة: (لكى يقرأه جيلك، ولئن شاء منك أن يتصدى لنقده أو نقضه. لماذا لا تفعلين؟)

غير أنني ركنت الكتاب في زاوية من خزائني بما على هواشيه من حواش لي وتعقيبات. وانصرفت عنه وفي بالي أن ليس علينا منه باس، مادام يحمل بصمة مؤلفه، والعهد بامتى أن تستريب في مثله بحدس الدفء عن الذات.. حتى حين حانت لي فرصة مراجعته ونقضه بعد ..

.....

الزمان: أوائل يونيو المشؤوم، سنة ١٩٦٧.

المكان: بهو الاستقبال بمقر وزير الثقافة بقصر السيدة عائشة فهمى المطل على النيل من مدخل الزمالك. حيث عقد اجتماع دعا إليه السيد الوزير «الدكتور» ثروت عكاشة، عددا من الكتاب والمثقفين، لتبادل الرأي في الموقف الحرج لمصر تجاه العدوان الإسرائيلي. ولم يكن البلاغ الرسمي عن الهزيمة قد أعلن بعد بمصر، وبدأ بوضوح أن السيد الوزير يهيئنا له، ويرجونا لحراسة معنويات الشعب من الانكسار والاحباط. فكان رأي الكثرة من زملاء أن نوجه باسم مثقفى مصر بيانا مثقفى أوروبا وأمريكا، نذكرهم فيه باننا أمة عربية في الحضارة، تبرا من التعصب الدينى والعنصرى، وندعوهم لتأييد قضيتنا العادلة في رد العدوان والتصدى لمطامع الصهيونية

ولم انشط لمثل هذا البيان المقترح، وكانت وجهة نظري أن مثقفى الغرب إذا كانوا بحيث يرتابون في شرعية نضالنا عن حرماننا فما بنا حاجة إلى التماس تأييدهم لقضيتنا. وإن كانوا بحيث يجهلون ما لا يجوز أن يجهله أى مثقف عن عراقتنا في المدنية والعلم والحضارة، فما ينبغي أن نسمح لهم أو لسواهم بأن

التاريخ: ١٦/٧/١٩٩٢

(٤)

بضعوا اصالتنا الحضارية موضع النظر . وكيف نرجوهم للوقوف في مواجهة
القرصنة الصهيونية ، وإن دولهم لتمارس أبشع جرائم التعصب الديني
والمذهبي والتفرقة العنصرية والقرصنة الاستعمارية، هنا في شرقنا الآسيوي
الأفريقي وهناك في الغرب الأمريكي، على مرأى من مثقفهم هؤلاء ومسمع ...
يفتح الله !

.....

وانتقلنا إلى دار الأهرام حيث شغل الزملاء بصياغة القرار في مكتب «الاستاذ
توفيق الحكيم» ، وانسحبت إلى مكتبي بجواره ، عازفة عن الاشتراك في التوقيع
على البيان ، مشغولة البال بالتفكير في الأبعاد المتطاولة على امتداد الزمان
والمكان ، لجولات المعركة الإنسانية مع أعداء البشر.

ولم أبت ليلتي تلك حتى كنت قد تاهبت لدراساتها، حيث وجدت كتاب «أبي
ذؤيب» ، إسرائيل ولفنسون « في (تاريخ اليهود في بلاد العرب) ينتظرني ، وقد
أن الأوان لنقضه ، وصاحبه أبو ذؤيب قد ظهر من وقت قرار التقسيم وقيام دولة
إسرائيل ، مندوبا لها وداعية مبشرا في أقطار قارتنا الأفريقية !

والفيت مع نسختي من كتابه في خزائني ، مدونات لي من كتاب بالمانية كنت
قرأته في رحلة الصيف إلى النمسا عام ما قبل النكبة ، شارك في تأليفه عدد من
العلماء الألمان في علوم التاريخ والأجناس والأديان والأخلاق ، نذبهم «هتلر» في
ذروة جولته النازية مع اليهود ، ليقدّموا تفسيراً علمياً لعداء السامية في جولات
المعركة الإنسانية معها . وطبع الكتاب في (درسدن : ١٩٣٥) ثم احتجب من
الأسواق بعد سقوط هتلر ، وبقيت نسخ منه في مكتبات عامة وخاصة .

.....

بعد سنة واحدة من النكبة ، كنت قد أنجزت كتابي (أعداء البشر) ونشره
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية : سنة ١٩٦٨ ، وظننت أنني قد بلغت ..

ثم كاني خشيت أن لم يبلغ البلاغ من قومي مسمعا ، إذ تابعت الرصد لما تكاثر
من الاسرائيليات في سوق بضاعتنا الحاضرة لمؤلفين منا ، تشبه ان تكون
صياغة محلية شائكة فجأة للتفسير اليهودي للإسلام عصر المبعث فما بعده ،
تهبط عن مستوى «جولد تسيهر» ، في جده ورسائله وذكاء منطقته ، وتندني إلى
مستوى «أبي ذؤيب» ، في زيف تزويره وحمق تدليسه وخلل تهافته وبؤس حقه
، فكان أن أعدت نشر كتابي (أعداء البشر) في طبعة ثانية مجددة نشرها المجلس
الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة سنة ١٩٧٢ ، مهداة مني :

(إلى جيل غاضب من شباب امتي يرفض الهزيمة والعار ، ويعي ما يحمل من
تكاليف معركة أمته ، فيما تواجه من تحديات وجود ومصير ، تحية الأمل والرجاء)

« فهل قد بلغت ؟ اللهم فاشهد »

(والسلام على من اتبع الهدى)

صدق الله العظيم

شاهدة عصر

١١

د . بنت الشاطي

عقدة الفرنجية . وعثرات الكبار

أقلب بصرى فيما تتلقى سوقنا الحاضرة من صياغة محلية لأقوال الأجانب في الإسلام ، فيحزننى ان تنم عن فتنة استهواء بهم تنزههم عن الخطأ والزلل وتعطل الوعي بعثراتهم وزلاتهم ، بما يتول غالبا الى تعطيل المناعة العقلية المكتسبة بمنطق الفطرة وقانون الميراث . وقلت وأقول أنه لا بأس علينا من زيغ الاسرائيليات ومقولات خاطئة في الإسلام لمستشرقين كبار ، اذا ما جاءتنا تحمل بصمتهم دون تدليس او تجهيل ، فالامة مرجوة لان تستريب فيها وتأخذ منها موقف الحذر والتردد . وليس الامر كذلك اذا نزع بطاقة مصدرها ، وبشر بها دعاة تنوير عصرى ، فى صياغة محلية فجة توهم انها من تاليفهم .

●●●

فى حدود ما تسمح به ظروف النشر ، اترك الى حين كشف الغطاء عما رصدت وأرصد من الاصول الاجنبية لبضاعة تنوير محلية لقللة منا مأخوذين بفتنة الاستهواء المعطلة للوعي بسقطات مؤلفيها الكبار ، والحديث المشهور عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : (حبك الشيء يعمن ويصم) .

اطوي الكنف عنها الى حين ، لاقدم مثالا لمزالق العثار فى منطق مستشرقين كبار سوغ لهم منطقهم ان يتصدوا لدراسة الإسلام والكلام فى القرآن ومحمد . صلى الله عليه وسلم . انطلاقا من فكرة ضالة خاطئة ، هى ان القرآن من كلام محمد ، عليه الصلاة والسلام ، لا ادخل معهم فى جدل عقيم حول الالتزام الدينى بصفة القرآن وحيا ، ولا اتعلق فى نقض مقولتهم باقرار كثرة من علماء التاريخ والحضارة والادب والاخلاق ، بان القرآن وحى لا ريب فيه . كما لا اتعلق بما صحت به الاخبار الموثقة ، ونزلت به آيات محكمات من إرهاب يهود شمالي الحجاز قبيل المبعث ، بنبي من العرب حان اوان ظهوره يعرفون صفته فى كتبهم . واذا كنا نحن المسلمين ملزمين دينا وعقيدة بان نصدق بكتب الله ورسله (لا نفرق بين احد من رسله) ، فليس من المجدى ان نلزم بهذا التصديق من يدين بغير الإسلام القضية بيننا وبين من جحدوا صفة القرآن وحيا ، هى قضية إلزام علمى منهجى لكل من يتصدى لدراسة القرآن وتاويل كلماته ، متدينا كان او ملحدا ، من حيث لا يسوغ فى المنهج ، باى وجه ، تصدى دارس او ناقد لآى نص وهو يجهل طبيعته ، فكما لا نتصور تعرض باحث ناقد للنظر فى نص ادبى او تاريخى او صوفى مع جهله بطبيعة النص ، لا يتصور ان يصح لآى دارس فهم كلمة قرآنية دون إقرار بطبيعته وحيا . فعلى أى وجه لا يمكن لمن يجحد هذه الصفة ، ان يمضى فى توجيه آيات الخطاب بالأحكام ، امرا ونهيا ونداء وتحذيرا ، او تسلية وموعظة وتوجيها ، وبأى وجه يمكن نسبة القرآن إلى محمد ، وهو صلى الله عليه وسلم يؤكد ويقرر ويشهد ويكرر بانه رسول

(٢)

يتلو آيات الله عز وجل، يتحدى المشركين من قريش مجتمعين أن يأتوا بسورة من مثله والعربية لغتهم والبيان طوع السنتهم سليقة وطبعاً قال تعالى: (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله، قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى، إن اتبع إلا ما يوحى إلى....) الآية.

ومن حيث يصعب إلزام مستشرقى اليهود والنصارى بصفة القرآن وحياً، لصعوبة إدراك الفرق بين الإلزام بالإسلام ديناً وبين الإلزام بالمنهجى العلمى بالقرآن وحياً لمن يتصدى للنظر فيه، أركز النظر على أجل كتاب فى موضوعه: (تاريخ الأدب الجغرافى العربى) لعميد الاستشراق الروسى «كراتشكو فوسكى» أجل من عرفناه رسوخاً فى علمه ونبل تجرده من جموح الهوى، مع المرجو فى مثله من حياد فكرى ووجدانى يحزره من التعصب الدينى.

أقدمه شاهداً على ما يجوز على الكبار من انحراف منهجى، بالنظر النقدى فى القرآن مع الجهل بطبيعته وحياً، وما يعقب ذلك من مزالق العثار..

ومرجعى فى هذه الشهادة، الترجمة العربية الممتازة للاستاذ الزميل «الدكتور صلاح عثمان هاشم» من أعلام السودان المعاصرين، نقلًا عن الأصل الروسى المطبوع سنة ١٩٥٧، ونشرت الترجمة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية بالقاهرة..

من مدوناتى (شاهدة عصر) أنقل الخلاصة التالية:

الزمان: أوائل مايو سنة ١٩٦٥، وقد مضى عام وشهور على نشر الجامعة العربية الجزء الأول من كتاب (تاريخ الأدب الجغرافى العربى للمستشرق الروسى الكبير كراتشكو فوسكى). والأمين العام لجامعة الدول العربية وقتئذ «السيد الدكتور محمد عبد الخالق حسونة».

اتصل سيادته بنا هاتفياً فى الدار، يجدد العهد بصحبة حميمة بينه وبين الأستاذ أمين الخولى منذ كانا يعملان معاً فى المفوضية المصرية ببرلين، أوائل الربع الثانى من القرن الحالى، ثم كلمنى فيما يرجونى له من التعليق على ما جاء فى الجزء الأول من كتاب كراتشكو فوسكى عن المعارف الجغرافية فى القرآن، من مقولات شكا غير قليل من القراء، من مخالفتها للعقيدة الإسلامية، على أن يطبع التعليق مستقلاً، ويوزع مع ما لم يتم توزيعه من الكتاب. ولم أتردد فى الاستجابة لهذا التكليف، شاكرة للسيد الأمين العام حسن ظنه بى. ثم ما لبثت أن أعدت النظر فى جدوى طبع التعليق مستقلاً منفصلاً عن الكتاب. وإذا علمت أن الجزء الثانى منه قد تم طبعه سوى ملحق الفهارس فى آخره، ارتضينا تأجيل إنجازهِ حتى يطبع معه، ملحقاً به «تعليقى على الكتاب».

بعد أيام تلقيت من الإدارة الثقافية الخطاب (رقم ٥١٨٢ بتاريخ ١٦/٥/١٩٦٥) بتكليفى بالتعليق على (ما فى الجزء الأول من معلومات خاطئة عن المعارف الجغرافية فى القرآن الكريم، مع الإحاطة بأنه قد تقرر صرف مكافأة قدرها خمسون جنيهاً نظير القيام بهذا العمل العلمى الجليل). وتبعه الخطاب رقم (٥١٨٣) مرفقاً بنسخة من ملازم الجزء الثانى (للنظر فيما إذا كان فيه ما يقتضى الرد، مع الإحاطة بأنه تقرر صرف مكافأة قدرها

(٣)

خمسة عشر جنبها نظير القيام بهذا العمل العلمي الجليل).
وايضا بتسجيل شهادتي لله تعالى ، بان الاستاذ المترجم ، الدكتور صلاح
عثمان هاشم ، لم يفته التنبيه على الفصل الاول بما نصه : (للمؤلف في
هذا الفصل آراء لا تتفق مع وجهة النظر الإسلامية ، ولكني اثرت إيرادها
بنصها تمسكا بالامانة العلمية ، تاركا لعلماء المسلمين الرد عليها).
وطبع الجزء الاول وعلى هامشه هذا التنبيه . ص ٤٥ . لم يلق اليه المكلف
بالنشر بالا ..

●●●

ولاعترف كذلك بانني لا اعلم كتابا يقارب كتاب كراتشكوفوسكي ، في
صدق البذل وتقصى المصادر ، لم يكديع كتابا تعلمه او نجهله في مادته
الا نظر فيه ، فخرج الكتاب اشبه مايكون بدائرة معارف نادرة في
موضوعه .

●●●

وعلى الرغم من المشهود له به من ضبط قلمه من جموح الهوى وضلال
التعصب خانة الحذر من الخطأ المنهجي الفادح في الانسياق وراء ضلالة
جحد صفة الوحي القرآني لا عن تعصب او حقد ، بل تأثرا بما راج في
الفكر الاوروبي من مقولة مستشرقى اليهود ، وبخاصة جولدتسيهر ، الذي
يكاد يلقي ظله على الفصل الاول الخاص بالمعارف الجغرافية في القرآن .
وضلله هذا التأثير بمقولة ماكان تهافتها ليغيب عنه لو لم تستقر في وعيه
كانها مسلمة بديهية ليست موضع نظر او توقف ، فمضى معها تلقى به
حيثما تكلم في محمد والقرآن ، في تيه ضال المسالك تائه المداخل
والمخارج تسلمه العثرة الى اخرى اضل سبيلا واشد غموضا وتعقيدا ، ثم
لما عبر هذا المنزلق الخطر ، الى ما بعد الفصل الاول من فصول الكتاب
الاربعة والعشرين ، استقامت فيها خطاه غاية الاستقامة .

كانت العثرة الاولى ان بدا باحدى مسلماته البديهية قال : «ومن الجلى
ان محمدا كان اميا ، وتكتسب هذه الحقيقة بمغزى خطيرا لانها تسوقنا الى
الافتراض بان القرآن هو جماع تلك المعارف التي حصل عليها محمد
بطريق السماع» .

لم يتوقف وهو يرسل هذه الدعوى بمغزها الخطير ليسال: وهل تفرد
محمد صلى الله عليه وسلم بالامية؟ او كانت المعارف المتاحة له بالسماع
قصرا عليه وحده دون سائر العرب؟

ويعجز عن فقه الدلالات المجازية والاصطلاحية للعربية لغة القرآن ولمح
خصائصها البيانية في التعبير فيعتذر بغموضها ، وتسلمه العثرة الى
القول بانها كانت غامضة على محمد نفسه . ثم الى عثرة اشد ، انه صلى
الله عليه وسلم كان يعتمد الابهام والغموض!!
واقدم مثالين من شواهد ، قال :

ولعل النظرية القائلة بوجود بحرين في القرآن ، تكاد تكون اعسر مشكلة
في الادب الجغرافي على الاطلاق .. وقد ظهرت الفكرة القائلة بان المراد هو
البحر المتوسط والمحيط الهندي بخليجه الذي يتمثل في البحر الاحمر ،

(٤)

وان البرزخ بينهما هو برزخ السويس .. وثمت تفسير جديد للمستشرق «
قنسنك» فهو يلاحظ أن الآيات في البحرين تفترض وجود محيط سماوي
أو هي فكرة متداولة عند الساميين الغربيين وعرفها محمد ولو بصورة
مبهمة ، ومما زاد في اللبس أكثر أن هذه المسألة لم تكن واضحة له كالفاظ
غيرها في عدد من المواضع تحمل طابع الغموض) ..
قلت : ذلك من الجهل بخصائص العربية في التثنية على التغليب ،
كالوالدين للوالد والوالدة ، والابوين للأب والام . وليس في سياق آيات
البحرين ما يشير الى نظرية جغرافية لبحر احمر وابيض أو محيط سماوي
وأرضي ، بل هي جميعا من آيات القدرة الالهية . (وما يستوى البحرين
هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تاكلون لحما طريا)
(مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان) الآيات

●●●

وانتقل كراتشكوفوسكى من نظرية البحرين الى نظرية البحار السبعة ،
وهي اشد عليه واعسر ، قال : (وفي موضع آخر من القرآن غلب عليه
الجانب البلاغى أدى الى ظهور نظرية البحار السبعة في هذه الآية التي
تمثل بدورها ترجمة لحكمة عبرية ، إنما بطريقة رمزية .. ولعلنا نجابه مرة
أخرى المغزى السحري للرقم سبعة)

قلت : نص الآية المستشهد بها قوله تعالى في سورة لقمان :
(ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر
ما نفدت كلمات الله) هل هنا مجال للتنظير بحكمة عبرية يقال إن الكلمة
القرآنية ترجمة لها ؟

وفيم ترديد الإشارة الى المغزى السحري للرقم سبعة ، والذي فى الآية
ثمانية أبحر ؟

ويقوت المستشرق الكبير أن العدد فى الآية ليس بدلالته الرقمية المحددة
، بل بدلالة مجازية بيانية على التعدد ، كدلالة اثنين وثلاثة على القلة ،
ودلالة العشرات والمئات على الكثرة والالف والالف على غاية الكثرة ..
وثالثة مما غاب عن المستشرق الاستاذ من دلالة الكلمة القرآنية . أن
البحر فى (آية لقمان) ونظائرها ليس واحد البحار ، بل مطلق البحر كله
قسيم البر كله ، قوله تعالى : (ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البر
والبحر)

(قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا)
(وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) الآيات

●●●

فهل يبلغ هذا البيان مسمعا ممن تعطل فتنة الاستهواء وعيهم . بما يقع
فيه كبار الغربيين من أخطاء وأوهام كبار ، تحمل إلينا فيضل بها الناس
ضلالا بعيدا ؟

واختتم بالآية البينة :

(قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي
ولو جئنا بمثله مددا) .

صدق الله العظيم

شاهدة عصر

١٣

د. بنت الشاطيء

مقدمة إلى الكتاب ذوى النوايا الطيبة

يقول هذا علانية وينشره في زمان انهكته فتن التعصب الديني والمذهبي، وأجهزة الإعلام مطبوعة ومقروءة ومسموعة، مباحة لمن شاء أن يشارك براهه في نوازل العنف الإرهابي مقصودا به الإسلام والإسلاميون.

على أنه مهما يكن موقف المؤلف المسيحي الداعي إلى السير (في خطي محمد) صعبا، فإن موقفى من كتابه أصعب وأشد حرجا، لما تأخذنا به ضوابط المنهج النقلى في المدرسة الإسلامية من تشدد في النظر النقدي لأقوال ذوى الصلاح ومروياتهم، إذ الخطر منها أشد لثقة الناس فيهم وحسن الظن بهم، فيقول «الإمام مالك، إمام دار الهجرة رضى الله عنه فيمن أدرك بها من صلحاء التابعين حملة العلم والحديث عن الصحابة تلاميذ مدرسة النبوة: (كم من أخ لى فى المدينة أرجو دعوته ولا أقبل شهادته)». ولقد أدركت بالمدينة أقواما لو استسقى بهم المطر لسقوا، وقد سمعوا من العلم والحديث شيئا كثيرا وما أخذت عن واحد منهم، وذلك أنهم الزموا أنفسهم الخوف والزهد والانقطاع، وهذا الشأن - حمل العلم - يحتاج إلى رجل معه تقى وورع وصيانة وإتقان وعلم، فاما زهد بلا إتقان ولا معرفة فلا ينتفع به وليس هو بحجة ولا يحمل عنهم العلم. والإمام مالك مشهود له بالبصر بالمرويات وتمييز الرجال، حجة فى الجرح والتعديل، وقد ذكرت، ما كان من تشدده فى حملة علم من التابعين الصالحين من أهل المدينة فى القرن الثانى للهجرة، اقتداء به والتماسا للعذر فيما أذكر عن كتاب (فى خطي محمد) للكاتب المسيحي اللبثاني الكبير «نصرى سلهب»، مع ما لا أجحده من نبيل مقصده وطيب نواياه وصدق بذله..

ما أنبل أن يدعو كاتب مسيحي كبير قومه المسيحيين إلى أن يسيروا معه (فى خطي محمد) صلى الله عليه وسلم كما تمثلها، مستحضرا معها (خطي المسيح) عليه السلام، خطوة خطوة، فى معاناة صعبة لمخاطر الطريق، قائلا لمن يسأل: فيم هذه المعاناة الباهظة (فى كتاب شاءه مؤلفه طريقا يسير عليها فى خطي محمد؟

[أجوابى عن ذلك واضح بسيط ذلك اننى أتمنى أن يسير جميعنا فى خطي النبي العربي، ولن نستطيع السير فى خطاه إلا إذا أسهمت فى تعبيد الطريق وفى اقتلاع الأشواك منها والعقبات، وفى ملء الأخاديد والحفر، وفى وصل الجسور المقطوعة منذ زمن. ولست بمستطيع ذلك إلا بالمحبة، بالتؤدة، بالاقناع، بإيراد بعض الأدلة، والإدلاء ببعض الخواطر والأفكار التى تنثر ماء الورد والزهر على نار أشعلها أولو المارب وذوو المصالح. والسير فى خطي محمد ليس سوى السير فى طريق الإيمان بالله واليوم الآخر]

وسار على درب الوعر، يقتلع الأشواك ويكد نفسه وذهنه ووجدانه فى وصل الجسور المقطوعة منذ زمن، والتوفيق بين خطي محمد وخطي المسيح عليهما السلام، حتى إذا بذل قصارى جهده، أراد أن يدفع وهم الظن بأنه يدعو إلى الخروج من دين إلى دين. قال:

[والإسلام دين الأزمنة جميعها. وهو قد أعد لجميع الشعوب، فهو ليس للمسلمين فحسب، وليس للنبي نفسه، صلى الله عليه وسلم، نبي العرب والمسلمين فحسب، بل هو نبي كل مؤمن بالله واليوم الآخر والنبيين والكتب المنزلة. وفى الدين الإسلامى من الشمول والرحب ما يجعله يفتح ذراعيه لجميع البشر دون أن يؤثر فى قوميتهم ولولاهم لدين يعتنقونه]

التاريخ : ١٩٩٢/٧/٣٠

(٢)

ويسهل ان نتجاوز عن نبيو التنافر بين الكلمة المشركة التي صدر بها المؤلف كتابه، وبين ما تلاها مباشرة في مدخله من تعريب لمقالين نشرنا بالفرنسية قبل منتصف هذا القرن، يهذى أحدهما بأسطورة الوحي، ويهذى الآخر (بالمغامرة التي خطط لها محمد سرا قبل ظهوره بالنبوة بعشر سنين) عربهما الأستاذ سلهب في الثنتي عشرة صفحة، أول مدخل الكتاب، نموذجين من نماذج كثيرة كانت عنده : [في صدر الأسباب لموقف العالم المسيحي من الإسلام موقفا بعيدا عن الحق] ص ٣٠

ويصعب أن نسيغ ما يجرح حس المؤمن، من قول الأستاذ سلهب عن (مسرح الأحداث) في مكة ويثرب [أولاهما: أبصر فيها النور ذلك العظيم الذي أرسله الله بنور الإيمان والحق. وثانيتها: أطفأ فيها عيناه - كذا - من النور ذاك العظيم نفسه] - ص ٣٩ وقوله في انتصار المشركين (يوم أحد): [.. ولأول مرة - وكانت يتيمة لأنها الأخيرة - ترجح كفة الكفر على كفة الإيمان، وتنتصر البغضاء على المحبة، ويتقهقر الله أمام اللات والعزى] - ص ١٧٤ ونلتمس له عذرا عن اغفاله منزلة عمرو بن العاص رضي الله عنه، في الإسلام، إذ يقول بعنوان (نميحة ابن العاص) عند النجاشي ليرد مهاجرة الحبشة إلى قومهم..

[وكم في البشر اليوم من أبناء عاص؟ كثيرون أمثاله مع الأسف ! .. كم بيننا اليوم من بشر يلجأون إلى هذه الوسائل ليثيروا الخواطر ويسمموا الأفكار ليبدروا بذور الفتنة] - ص ١٢٧ وذلك من الاغفال لموازين الرجال وأقدارهم فينا..

● أما ما لا يهون التجاوز عنه، فمن أمثاله: قوله فيما لقي محمد صلى الله عليه وسلم من شدة قریش، عام الحزن..

كلا.. لأبد له بعد هذا أن يغادر مكة، وكانى بالنبي الكريم إذ يتخذ هذا القرار، قرار هجرة موطنه، كان يردد قول المسيح لأهالي الناصرة: «ليس نبى مقبولا في وطنه، غادر مكة وقصد إلى الطائف وأحسة الحجاز، فيها المياه تغرد والأشجار تزغرد.. وظن صلوات الله عليه أن بعدها عن موطنه يجعله في مامن» - ص ١٣٨

واقول: لا خلاف أعلمه بين علماء السيرة في أن خروجه عليه الصلاة والسلام إلى الطائف لم يكن قرار هجرة. بل خرج إليها وحده يلتمس النصرة من ثقيف، وعاد إلى مكة آخر النهار متعبا يائسا من خير ثقيف..

● قوله بعد ذلك في عزمه صلى الله عليه وسلم الهجرة إلى يثرب:

[سيهجر مكة موطنه.. سيترك الكعبة لأولئك الذين لوثوها بالأصنام.. ولكنه سيغيب إلى حين، سيعود إلى بيت الله ويعيده إلى الله نفسه، فلا يبقى فيه سوى الحجر الأسود رمزا إلى خضوع البشر إلى

من مبعوثاتي (شاهدة عصر) أوجز ظروف معرفتي بالكتاب ونظري فيه.

الزمان: شتاء سنة ١٩٧١ - ١٣٩٣

المكان: الرباط، وقد عدت من زيارة علمية إلى جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان فوجدت في انتظارى بفندق حسان، مقر إقامتي بالمغرب، رسالة هاتفة مكررة من السيد فخرى شيخ الأرض، سفير المملكة السعودية بالرباط، لاتصل بسيادته فور وصولي. والتقيتيا فقدم إلى نسخة من كتاب (في خطي محمد، تأليف الأستاذ نصرى سلهب) في طبعة بيروثية فاخرة، هدية من «جلالة» الملك فيصل عاهل المملكة (السعودية) وكانى فهمت أن العاهل الجليل يود أن يعرف رأى في الكتاب، فعكفت علي مطالعته فمزال يشغلني حتى أنهيت قراءته وقلمى في يدي أقيد به علي هوامش الكتاب حواشى من تعقيبات وملاحظات ومستدركات عليه، ذكرنى بها اليوم غليان هذا الزمان بالمقالات والمؤلفات عن الإسلام وفي الإسلام، وأحداث التطرف الدينى للإسلاميين.

الكتاب في مجمله تصور لخطي محمد عليه الصلاة والسلام في سيرته الزكية، وما كان من آثارها في الفتوح والحضارة، مع التنظير لها خطوة خطوة بخطي للمسيح عليه السلام.. فيكاد الكتاب - في صفحاته التي قاربت خمسمائة صفحة من القطع الكبير - يكون مناصفة بينهما.

مع فارق جوهري بين ما كتبه عن المسيح عليه السلام - والمسيحية بنصوص نقوله من مصادرها الوافرة عنده، وما كتبه عن محمد صلى الله عليه وسلم والإسلام، مسترسلا إلى خواطره وسوانحه.. ذلك لأن المؤلف فيما تابع من (خطي محمد) كما تمثلها من سيرته، لم يشأ لها فيما يبدو أن تكون على نمط السيرة النبوية بنسقتها المعتمدة ونصوصها الموثقة ومصطلحاتها المقررة، وإنما هي صياغة عاطفية لتأملاته وأفكاره، تائق في أسلوبها غاية التائق فيما يشبه مناجاة وجدانية حائمة حول سنا النور وأريج الزهر وشذا العطر، مع قبس من آيات قرآنية. ورجوع إلى (سيرة ابن هشام) فيما التمس من مادة السيرة النبوية، بالإضافة إلى مواضع عن (البلاذري، في فتوح البلدان) نقلا عن المورخ اللبناني «فيليب حتى»

على أن فيما يرجع إليه من (سيرة ابن هشام) يأخذ منها ملتصقة من الشواهد والمواقف، فريما شغله الاسترسال مع خواطره عن التثبت مما يقرأ وينقل، فيأتى به علي غير وجهه الصحيح.

● ● ●
ولسنا نؤاخذ على ما يجوز على بشريتنا جميعا من سهو وغفلة وقصور، إنما المؤاخذة على ما جاء به من مادة السيرة النبوية، فيقع في أخطاء لا تشفع له فيها نوايا الطيبة ومقصده النبيل. ومن هذه الأخطاء ما لا ينبغي، بمصطلح علمائنا.

● ● ●

نعره، فما كان عرض الصلح مبادرة من النبي عليه الصلاة والسلام، ولا أشارت وثيقة الصلح إلى قوافل قريش، ولا كان من شروطه أن يحج النبي والمسلمون إلى مكة.. بل كان الأمر متعلقاً بعمره الحديبية التي صدت قريش النبي وصحبه عنها، ثم كان الاتفاق على أن يرجعوا عامهم ذاك.

وشرطت لهم هدنة الحديبية أن يدخلوا مكة معتمرين - وليس للحج - في العام الذي يليه.

● وفي (حجة الوداع) قال الأستاذ سلهب:

[لما بلغت جموع المؤمنين إلى جبل عرفات، ارتقى النبي، صلى الله عليه وسلم أحد سفوحه وألقى فيهم خطبة جاءت معبرة عما جمعه في شخصه من سعة أفق وعمق تفكير وفتة إلى السماء ونهدة إلى الله، كما جاءت على إسهابها موجزا لمبادئ الإسلام واعتبرت بحق دستوراً صادراً عن نبيه الكريم، تلك الخطبة الخالدة جدير بنا أن نورد بعض فقراتها وأن ندلي في شأنها ببعض من خواطر وفكر. إنها لكثيفة كثيرة العبر عميقة المعاني بعيدة المرامي، وحسب النبي أنه القاهها ليكون في طليعة خطباء التاريخ.. وإن أروع ما في الخطبة بل أعظم ما فيها وأشمل قول النبي عليه السلام: «أيها الناس، إن ربكم واحد وإن أباكم واحد. كلكم لآدم وادم من تراب، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، لا فرق لعربي على عجمي إلا بالتقوى] إلى آخر ما نقل من فقراتها في صفحتي ٢٥٣ - ٢٥٥

واسأل: هل يشفع هذا التعظيم للخطبة والتنبؤ به علو قدرها، لجيئتها عند المؤلف في حجة الوداع، وهي في أوثق مصادرها لخطبة الوداع ليس فيها أي كلمة من نصها في نقل المؤلف؟

وانني لقومى في اخذة الاعجاب بما (فى خطي محمد) من تعظيم خطبة الوداع، أن يرتابوا فى كونها ليست خطبة الوداع، وإنما هى (خطبة فتح مكة) قبل سنتين من حجة الوداع التى لم يحج المصطفى عليه الصلاة والسلام حجة غيرها فى الإسلام؟

● ● ●

واختم بكلمات ربى فى مسئولية حمل العلم سمعا وبصرا واعتقادا:
(ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً).
صدق الله العظيم.

خالقه وذكرنا من إبراهيم أول ناطق بالتوحيد على وجه الأرض].

واقول: أما هذه فعثرة لا نهوض منها وجرحه لا تنجبر، بما تعنى صراحة أن سائر الرسل قبل إبراهيم لم ينطقوا بالتوحيد والذى فى اصول عقيدتنا أن التوحيد جوهر الدين كله، وما من رسول إلا دعا إلى عبادة الله وحده، باستقراء آيات التوحيد فى دعوات الرسل، من نوح وهود وصالح.. إلى خاتم المرسلين عليهم السلام، فكيف يتصور أن يدعو الرسل الأولون إلى التوحيد وهم لم ينطقوا به؟

● ويتحدث فى ما قبل الهجرة إلى يثرب عن [حبة الزرع التى القاهها فى قلوب اليثريين من الحجاج إلى مكة، فما اطل عام ٦٢٢ مسيحية حتى كانت قد نشأت وترعرعت فإذا هى شجرة بأسقة الأغصان صلبة الجذع. وقصد إلى مكة وفد من هؤلاء وقابلوا النبي سرا.. وعقد الحلف بين الرسول واليثريين واستقر الراى على هجرة مكة إلى يثرب..]

واقول: كلا.. ما كانت العقبة الكبرى. التى لم يذكر المؤلف اسمها - خلفا على هذا الوجه من التجهيل، ولا كانت قرار هجرة، بل إيدانا باتجاه مجرى الأحداث إلى يثرب..

● وذكر بعنوان (أول مسجد) أن مستقبلى النبي العظيم تنافسوا على نزوله فيهم وهو يقول: «خلوا سبيل ناقتي فإنها مأمورة، حتى وقفت فى مكان غير ذى بناء، وفيه بنى النبي أول مسجد بنى فى الإسلام» - ١٦٠

وهذا خلط منكر بين دخوله صلى الله عليه وسلم المدينة وبناء المسجد النبوى، وبين ما سبقه من منزله بقباء، بظاهر المدينة. وبناء مسجد قباء، أول مسجد بنى فى الإسلام..

● ● ●

على أنى أرجىء النظر فيما جاء بالكتاب عن (الحقبة اليثربية) إلى مجال ذى سعة بمشيئة الله. واقتصر هنا على مثالين من أوهامه فيها:

● قال بعد النصر على الأحزاب وبنى قريظة:

[وأثبت محمد بعد ذلك أنه سياسى بارع حكيم بعيد النظر عندما أخذ المبادرة فى عرض صلح على قريش معلنا لها ضمان سلامة قوافلها لقاء السماح له وللمسلمين بأداء فريضة الحج..] - ١٨٤

قلت: الكلام هنا عن هدنة الحديبية، لا تعرف إلا باسمها. ولا شىء على الإطلاق مما ذكره المؤلف عنها

التاريخ: ٦ / ٨ / ١٩٩٣

شهادة عصر ٦٣

د. بنت الشاطي

من النوايا الطيبة تروى على بساط

ما أزال مع كتاب الأدب، الأستاذ نصرى سلهب، في رسالته النبيلة إلى قومه المسيحيين أن يسيروا معه (في خطى محمد) كما تمثلنا مع (أخلى المسيح). عليهما السلام. خطوة خطوق قد مضت إحدى وعشرون سنة منذ طالعت في طبعته البيروتية الأنيقة الفاخرة، التي تلقيتها بالرباط من المغفور له العاهل الجليل الملك فيصل، عن طريق السفير السعودي السيد فخرى شيخ الأرض، وإذا كنت قد تحرجت وقتئذ من التصدي لنقده مع ما لا أحده من طيب نوايا ونبل مقصده وصدق لهجته، فإنني اليوم أشد تحرجا إذ أرجع البصر فيه عودا على بدء، فأقدر حاجة زماننا المسحوق بالفتن الطاحنة، المبتلى بغل الضغائن ونسوة الأحقاد، إلى كتاب مثله يلقانا مؤلفه في صدره بهذا الهذاف. تشيد ضراعة وابتهاال.

[هذا الكتاب، أردته شمعاً تضيء هيكل المحبة والقلوب، فنورها ولو شحيحاً، خير من الظلام. عزائي يوم أغيب، أني في هيكل المحبة تركت أثراً].
وأجدني مع ذلك التقدير، مكلفة بالنظر النقدي في الكتاب، من جهة ما يتوقع من حسن الظن به. على ما بينت في حديث يوم الخميس الماضي. ومن جهة ما صرح به المؤلف في مقدمة كتابه حيث قال: ينبغي ادعاء القدرة على الإحاطة بالإسلام عمقاً وصبراً.

[فمن الإسلام إذن سالم ببعض جوانب وأنا سائر في خطى النبي العربي، فلن يكون كتابي هذا بحثاً علمياً أو تاريخياً... إنما أردته وأريده شهادة مسيحية في دين منزل من السماء، فاسهم من خلاله في إطلاع إخوة لي مسيحيين على حقيقة هذا الدين...]

ثم ما إن تلوح له يثرب على الأفق، حتى تسنح له فكرة مناخها الديني اليهودي المهيب للإسلام، فينجذب إليها من يوم الخروج إلى الطائف عام الحزن، العاشرة من المبعث، ويقول في خطابية إنشائية:

إسبتهجر مكة موطنه حيث ابصر النور ونشأ وترعرع. سيترك الكعبة لأولئك الذين لوثوها بالأصنام. ولكنه سيفيق إلى حين. سيعود ليظهر بيت الله ويعيده إلى الله نفسه فلا يبقى فيه سوى الحجر الأسود رمزاً إلى خضوع البشر لخالقهم وذكرى من إبراهيم أول ناطق بالتوحيد على وجه الأرض (١١٩)

سيهجر مكة وإلى يثرب سيقصد، إلى المدينة التي
ستفتح ذراعها وقلبها لاستقباله ستضمه فبما بعد
إلى الأبد فتغدو مباركة بين المدن لأنها نقطة
الانطلاق ونهاية المطاف. ويثرب آنذاك كانت موطن
يهود كثيرين أقوياء ذوي نفوذ، إلا أن الزعامة فيها
لقبيلتي الأوس والخزرج وهما عربيتان مشركتان..
ومن يهود يثرب والمقيمين بضواحيها اطلع الأوس
والخزرج على بعض ماورد في أسفار العهد العتيق
من وصايا تتعلق بالتوحيد والبعث ويوم الحساب
إلى آخر ما هناك من أحكام تعالج شئون الآخرة
عبر شئون الدنيا [١٤٤]

وتتعرّض خطاه فيخص الججاج اليثريين قبل

عن تعزيفه هذا بكتابه اتحدث اليوم، إذ أراه خالف بين ما كتبه عن المسيح والمسيحية. ويستغرق نصف الكتاب. نقلا من مصادره الغنية المعتمدة، بنصوصها فيها مميزة بأقواس حاصرة مع إثبات مراجع النقل، وتأخذ نقوله قيمتها عندي بما أفدت منها من مادة سخية موثقة عن المسيح والمسيحية يعز على مثلى تحصيلها.

خلافاً لما جاء به (في خطي محمد) تأملات
وخواطر وأفكاراً من مطالعات لم يرد لها أن تكون
بحثاً علمياً أو تاريخياً. وذلك مظنة أن يعفيه من
مواخذة على قصور وفوات أو غفلة ووهم، إلا أن
تجور الصنعة البديعية على صحة التعبير، ويجور
الاسترسال الخطابي على سلامة المنطق، أو يجور
نبيل المقصد وصدق اللهجة على الصدق التاريخي
فيما يرجع فيه إلى (سيرة ابن هشام) دليله (في
خطي محمد) فربما استرسل إلى خواطره فزاغ
البصر عن التثبت مما ينقل، وربما غلبت على فكره
مقولة خاطئة رائجة في الغرب، المسيحي تجرد
للكشف عن ضلالها فأنحرف من غير قصد عن
مقصده النبيل إلى الاتجاه المضاد..

✕ ✕ ✕

ويضيّق المجال عن تعقب ما كان من ذلك (فى خطى محمد) فلاقتصر فيما أقدم من شهادة اليوم على خطوة واحدة رأى المؤلف أنها [نقطة الإنطلاق ونهاية المطاف.. بهجرة مكة إلى يثرب] إذ أراه يسائر خطى محمد، عليه الصلاة والسلام من بدء خلوته بعد الأربعين من عمره فى غار حراء، فى انتظار الليلة المباركة، ليلة السابع عشر من شهر

وشغله ما قرأه له وقت أن [دخل النبي العربي المدينة دخول الفاتحين فاعاد إلى الأذهان دخول المسيح إلى اورشليم والجموع تلوح له بسعف النخل وتهتف صارخة بصوت واحد: هو شعبنا لابن داود، مبارك الاتي باسم الرب هو شعبنا في الاعالي

[١٥٩] - أقول: شغله هذا التنظير بخطي المسيح عليه السلام، عن وصول محمد عليه الصلاة والسلام إلى مشارف يثرب، فلم يدخلها مباشرة يوم الوصول ضحى الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الثالثة عشرة للمبعث، بل نزل بقاء حيث أقام بها إلى يوم الجمعة وبنى أول مسجد للإسلام ثم اتجه إلى يثرب فأدركته صلاة الجمعة وهو في الطريق إليها، فصلاها في (بنى سالم بن عوف) فكانت أول جمعة صلاها النبي في دار هجرته، والاستاذ سلهب غافل عنها بالمسجد النبوي بالمدينة بحسبه أول مسجد في الإسلام، فيؤخذ بروعة الصلاة فيه بحسبها الصلاة الأولى في الإسلام كله، ويصفها قائلاً بعنوان [الصلاة الأولى: وإلى مسجد المدينة وهو أول مسجد بناه الإسلام، تهافت المؤمنون واعتلى محمد المنبر وساد سكون ملؤه الرهبة: ساعسى النبي أن يقول، فالانظار جميعاً شاخصة إليه والقلوب. وتعالى صوته يعلن: الله أكبر. وإذا المؤمنون بصوت واحد يرددون: الله أكبر. ويتصاعد ذلك الصوت عبر قبة المسجد في الاعالي حتى سمع الله:]

ويسترسل في خواطره عن عظمة الكلمة كان لم يسبق للنبي عليه الصلاة والسلام أن قالها، ثم يستأنف الكلام بعد صفحتين بعنوان (السجدة الأولى):

[لم يكثف محمد بهذا القدر من الكلام، بل نزل من المنبر إلى أرض المجلس وجثا على ركبتيه وسجد مرات ثلاثاً محنيا رأسه حتى لامس الأرض باسطة ذراعيه إلى الامام في مستوى رأسه رمزاً إلى الخضوع لله ولإسلام واعترافاً بصغر الإنسان

الهجرة بسنين بما كان النبي [يسعى إليه في مكة كمن يذر حبات الهدى والإيمان في قلوب الناس، ولا سيما في قلوب أولئك الذين كانوا يأتون مكة ليحجوا إلى كعبتها واقتربت محاولاته ببعض النجاح إذ كان الحجاج اليثريون يؤمنون بما يبشر به من مبادئ وأفكار لأنها لم تكن بالغريبة عنهم نظراً للجوار بينهم وبين اليهود في يثرب وضواحيها] - ١٥٩

هذا، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم لقي من حجاج يثرب حتى عام الحزن، سوى نفر من الخزرج، وبعدها في السنة الحادية عشرة لقي في الموسم الثاني عشر من حجاج يثرب، الأوس والخزرج، بايعوه عند العقبة.

فهؤلاء هم سابقة الانصار رضى الله عنهم وقد بعث معهم النبي صلى الله عليه وسلم صاحبه «مصعب بن عمير القرشي العديري» رضى الله عنه، ليقرئهم القرآن ويفقههم في الدين، فما مضى العام حتى فتحت يثرب بالقرآن، وخرج منها في الموسم التالي ثلاثة وسبعون من الأوس والخزرج، بايعوه بيعة العقبة الكبرى التي ذكرها المؤلف مجهلة مبتسرة، زاغ فيها بصره عن «مصعب بن عمير» ومقامه يثرب عام ما قبل البيعة الكبرى التي جعلها الأستاذ سلهب [حلفاً بين النبي وبين وفد من اليثريين لمس لديهم إيماناً مخلصاً وعزماً أكيدا على نصرة الدين، وعقد الحلف بيته وبينهم واستقر الرأي على هجرة مكة إلى يثرب:] - ١٥٩

وفي (الاتجاه إلى يثرب) يرضى الأستاذ سلهب لخواطره الغنان مع تلك الرحلة الرائعة للنبي عليه الصلاة والسلام وصاحبه أبي بكر الصديق، [وقد تسنم كل منهما جملاً وخرجا ليلاً باتجاه يثرب] حتى يدخل النبي صلى الله عليه وسلم يثرب على ناقته ويقول لمستقبله الذين تنافسوا على نزوله فيهم: «خلوا سبيل ناقتي» حتى وقفت في خلاء بنى به مسجده بالمدينة أول مسجد بناه الإسلام (١٦٠)

وحقارته وعجزه. ثم أوصى المؤمنين بأن يصلوا إلى الله بهذه الطريقة وأن يوصوا أولادهم بها فيما رسوها إلى أن يقرر الله مصير ملكوته. تلك الطريقة التي لجأ إليها النبي للصلاة والتعبير عن خضوعه وإسلامه هي نفسها التي يتبعها منذ ذلك الزمن جميع مسلمي العالم في صلواتهم... وهنا الإعلان بالإيمان يتكرر مرات خمساً في اليوم [١٦٤-١٦٧]

فهذه هي صلوات المسلمين خمس مرات في اليوم عند الاستاذ سلهب (في خطي محمد) جعلها وصية من النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين يوصون بها أبناءهم على طريقة الاستاذ سلهب، وهم يعلمون من دينهم بالضرورة أن الصلاة ثمانية قواعد الإسلام الخمس فرض عين على كل مكلف [تلك كانت الخطوة الأولى من الحقبة البثرية] التي تراءت للمؤلف نقطة الانطلاق ونهاية المطاف، فهو يستقبلها بهذا الاستهلال البديعي العجيب: هذه الحقبة البثرية - أي المدنية تحتاج وحدها إلى كتاب ضخم مستقل، غير أننا في هذه الخطي التي نمشي سنسعى إلى إلقاء بعض أضواء على أهم الأحداث. ومثلنا فيما نحن عازفون عليه كمثال رجل اطل على مرج فسيح الأبعاد والأرجاء موشى بأزهار من ألف لون ونوع. هنا الورود توشوش وهناك الزنابق هامسات وهنا لك البنفسج والفل والرياحين. وفي كل ركن بعيد أو قريب ضمات تغرد وباقات تزغرد، بل نرجس وأس وبيلسان تسبح بحمد الله وتشكر. يساط من سماء فرشت به الأرض، فيه تعانق السندس والمخمل وراحت الوانه تتساقط وتموج، من لاز وردي وادع إلى ليلكى خجول إلى أرجوان يصعد الأغنيات حتى مسمع الله. فإذا المظل على ذاك المرج يقف في حيرة من أمره أية زهرة يجنى وأي لون يختار بل إلى أي اتجاه يتجه، فمهما جنى فلن يجنى أكثر مما تضم ذراعاه، وماذا يوسع ذراعاه أن تحتويا؟ وهل يوسع المرء أن يحتوى الله؟ غير أننا من ذلك المرج

العجيب الفريد لن نعود اصفار الأيدي، ذلك أن القليل خير من العدم ولا سيما إذا كان من القليل النفيس المعطار [١٦١-١٦٢]

اقرأ ذلك الاستهلال الإنشائي البديعي فلا أعجب أن جار مثله على صدق الواقع التاريخي، فتراءى له، مثلاً، يهود يثرب يقاتلون مع المشركين (يوم احد) وخانه التعبير فقال ما لفظه: ولأول مرة، وكانت يتيمة لأنها الأخيرة، ترجح كفة الكفر على كفة الإيمان وتنتصر البغضاء على المحبة ويتقهقر الله أمام اللات والعزى وهبل (١٩)... وتعرض المؤمنون لاعتداء الكفار وسرت العدوى إلى اليهود بعد أن انضم بنو النضير إلى صفوف المشركين وقاتلوا المؤمنين يوم احد... [١٢-١٧٤، ١٧٨]

بل لم أعجب كذلك من أنه في تعلقه بأثر اليهود في المناخ الديني الإسلامي للحقبة البثرية، غفل عما ملأ به عشر صفحات في مدخل كتابه، عن انحطاط يهود يثرب عصر المبعث وأنانيتهم وتفاخش لؤمهم [ولو كانوا يهوداً من زاوية الدين، ودينهم دين توحيد بل أول دين توحيدى في التاريخ (١٩) لما وقفوا ضد النبي العربي يوم نادى برسالة التوحيد] ٥٣-٦٣

وصح ما توقعته وخشيته من انحرافه عما قصد إليه، فلم يدر أن إعظامه أثر يهود في المناخ الإسلامي للحقبة البثرية، مناقض تماماً لموضوع كتابه (في خطي محمد) مع خطي المسيح عليهما السلام:

وأتلو في الناس من سورة الوحي الأولى: الآيات المحكمات في الأمر بالصلاة والسجود:

(أرايت الذي ينهى عبداً إذا صلى، أرايت إن كان على الهدى، أو أمر بالتقوى، أرايت إن كذب وتولى، ألم يعلم بأن الله يرى.) إلى قوله تعالى في ختام السورة:

(كلا لا تطعه واسجد واقترب)

صدق الله العظيم

شاهدة عصر (١٤)

د . بنت الشاطي

اللاحق والسابق معا خطوة خطوة

يوثق موضوع الارهاب والتطرف الديني الاسلامي ، ان يكون كما اردنا له ، المادة اليومية التي تنصدر ما ينشر من منابر الفكر والرأي لصحفنا ومجلاتنا على اختلاف اتجاهها وولائها ، حيث يتوارد الكتاب من أقصى اليمين الى أقصى اليسار على أي مجال منها متاح للنشر ، بصرف النظر عن المعروف من انتمائهم المذهبي (الايديولوجي)

(يا ابن عبد الله ، ماعبد الله كما عبدته ، ولا مجد كما مجدته ، ولا كبر كما كبرته . لقد قصرت المسافة بينه تعالى وبين عباده فتركهم يعبدونه عبر كتاب انزله فاديت الامانة كما لم يودها بشر من قبلك ومن بعدك ..) ص ٢٧١

ومضي يرفع اليه نجواه علانية في كتابه المطبوع ببغروت :

(فياخير نبي ورسول ، فان انت لم تلق ربك طيب النفس فمن من الناس يلقاه ؟ وأي انسان عمل في سبيل الله ماعملته بل أي الناس عمل من اجل الناس ماعملت انت) ص ٢٨٩

اليك والى امثالك ترنو القلوب وتهفو ، ولكن لنا ان نجد امثالك ؟ انك لسحابة مرت في سماء هذه الدنيا حسبنا منها بعض قطرات تهطل على قلوبنا كالندى فتزيل منها ييبسا كاد ان يميتها عطشا الى الله . حسبنا ان نعود الى ما قبلت وفعلت نستوحى لانفسنا عبرا وعظات ونهتدي باقوالك والافعال ، جاعلين منها قدوة في الحياة ونبراسا ... فلكي تلقى وجه ربنا طيبى النفوس على غرار النبي صلى الله عليه وسلم ، علينا ان نقتفى أثره ، ان نعيش ما قال وفعل ، ان نعب من قرآن كريم بعض عبر وفكر ، بل ان نروى انفسنا ببعض قطرات من ذلك

وهذه ظاهرة المحبا من بعيد ولا أحقق تفسيرها ، ولم أفرغ بعد من كتاب (في خطي محمد) للكاتب اللبناني الأستاذ نصرى سلهب . ولعلنى لو سئلت اليوم مثما سئلت من قبل عشرين سنة عن رأيي فيه ، لاثبتت عليه بما هو اهل له نبل مقصد وصدق لهجة ، ثم لايفوتنى العرفان لأمله المسيحيين بكرم سماحتهم وسعة في افقهم عرفها الأستاذ سلهب في قومه فلم يتهبب دعوتهم الى ان يسيروا معه (في خطي محمد) كما مثما لهم مع (خطي المسيح) عليهما السلام . ولا تخرج من التبشير فيهم بمثل قوله :

(الله ملا عقل محمد وقلبه ، ملا خاطره ملا كيانه . هو ، جل جلاله ، في عروقه دم يسرى وفي صدره أنفاس تجرى : هو نسمة الحياة) استحال في عينيه بريقا يشع ويتوهج وذابت على لسانه أنشودة تسبح وتستغفر ..

لا ، ليس بين الرسل واحد كمحمد عاش رسالته عمقا وصعدا ، بعد مدى وذوب كيانه ، عصف بيان عنف ايمان ، لقد جعل من الله نقطة انطلاق ونهاية مطاف والمدى الفاضل بين بداية ونهاية كل شيء ...

(أُشْرِعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا
وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) الْآيَةُ

الا ان يَخْتَلَف ما (في خطي محمد)
عما في اصل عقيدتنا ، كتقريره [ان
اليهود هم اول شعب توحيدى ذى كتاب
منزل من الله - ٤٢] وان [دينهم دين
توحيد بل اول دين توحيدى فى التاريخ -
٦٣]

وقوله في خروج النبي عليه الصلاة والسلام الى الطائف عام الحزن وعودته اخبر النهار محزوناً الى مكة :

[سيهجر مكة موطنه .. سيترك الكعبة
وأولئك الذين لوثرها بالأصنام ... ولكنه
سيغيب إلى حين ، سيعود ليظهر بيت الله
ويعيده إلى الله نفسه ، فلا يبقى فيهم
سوى الحجر الأسود رمزا إلى خضوع
البشر لخالقهم ، وذكرنا من إبراهيم أول
ناطق بالتوحيد على وجه الأرض] - ١٤٢
خلافًا لما في أصول عقيدتنا : التوحيد
جوهر الدين كله ، دعا إليه رسل الله
جميعًا من أولهم نوح عليه السلام ، قال
تعالى :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ . أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْبَيمِ .)

(والی عاد اخامم ہودا ، قال یا قوم
اعبدوا اللہ مالکم من الہ غیرہ ان انتم الا
مفترون .)

(والى ثمود أخاهم صالحا ، قال يا قوم
اعبدوا الله مالكم من اله غيره ..)
حتى خاتم الرسل عليهم السلام .
وتأخذ القضية صفة العموم للمرسلين
كافة ، بنص آية الأنبياء خطابا لخاتمهم
عليهم السلام :

(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا
نوحى إليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون .)

وأترك للأستاذ سلهب رأيه في الأسراء
[وهو أن الله جل جلاله أراد أن يجعل من
القدس مركز عبادة للديانتين المسيحية

البحر الذي لا ينضب ... فيارسول الله،
أعطنا أن نتخذ معك سبيلا، سدد خطانا
في طريق العدل واجعلنا قوامين بالقسط
شهداء لله لانظلم احدا ..

ابتعدنا عن الله لأننا عنك ابتعدنا ، عن وصاياك وتعاليمك ولم نعد بك نقتدى ..
يبتنا يا رسول الله نستطيع أن نهتدي بهديك، ضعفاء نحن ، استعبدتنا الشهوات ، وبنا الهوى استبد فتبعناه ،
وعنك وعن الله ابتعدنا . عدلك مزيجانا فهل يعطى لنا أن نبلغ المرتجى ؟ من أقوالك رائحة الطيب تفوح بل العنبر تجسد عبارات وعبرا : « اتق دعوة المظلوم فانهما ليس بينها وبين الله حجاب ، كلماتك هذه ينبغي أن ترددها كل يوم ، كلما أقعنا الصلاة وذكرناك مع الله في الشهادتين لم لا تنشر أحاديثك في كتاب وتوزع في الناس زادا لحياتهم والآخرة ؟

فأى شأن فى الحياة لم تعالج ؟ بحر أنت
بل محيط ترامت شطآنه حتى حدود
السماء وامتد مده الى ملكوت الله .
ليت الحكام والمسئولين يتخذونك
قدوة ومثالاً ٢٩٢ - ٢٩٦ .

ومعذرة عما أطلت النقل من هذه المناجاة بترتيل المؤلف وأسلوبه ولهجته ،لقى المؤلف قومه بها وبأمانتها قومه علانية غير إسرار. و تتبعت صداها فيهم فما سمعت غير ثناء . فكان أن أطلت النقل منها ، شاهدة لهم بنبل سماجتهم في زمان يمثلها ضنين .

وأرأى مع ذلك مكافئة بمقابلة ما (فى خطى محمد) على المحفوظ من تاريخنا والمعروف من عقيدتنا فى الإيمان بكتب الله تعالى ورسله (لانفرق بين أحد من رسله) لاعلى وجه التسامح بل على وجه الالتزام الدينى ، أصلاً من أصول عقيدتنا ويتسع هذا الأصل لقبول ما يتراءى للمؤلف (فى خطى محمد) مع خطى المسيح عليهما السلام ، على وجه التمثيل والتذكر لما هو فى القدر المشترك من جوهر الدين كله ، مصداقاً لقوله تعالى خطاباً لخاتم الرسل وأمه :

تهيئتها دينيا لاستقبال الاسلام لتبدأ الحقبة الیثریة بهجرة مكة اليها ، نقطة الانطلاق ونهاية المطاف ؟ وهذا لفظه عن رجوع النبی صلى الله عليه وسلم من الطائف الى مكة حزينا :

[سيهجر مكة ... والى يثرب سيقصد ، الى المدينة التي ستفتح ذراعيها وقلبها لاستقباله له ، والتي ستضمه فيما بعد الى الأبد فتغدو مباركة بين المدن لأنها نقطة الانطلاق ونهاية المطاف ... ومن اليهود الیثرییین والمقیمین فی ضواحي يثرب ، اطلع الأوس والخزرج - عرب يثرب المشركين - على بعض ماورد فی أسفار العهد العتيق من وصايا تتعلق بالتوحيد والبعث ويوم الحساب ، الى آخر ما هنالك من أحكام تعالج شئون الآخرة عبر شئون الدنيا ... ومن الجائز الافتراض أن يثرب بسبب وجود يهود فيها كانت تربة خصبة صالحة لزرع المبادئ والأفكار التي جاء محمد ليبشر بها . والواقع أن نشاط محمد أشع حتى يثرب - قبل الهجرة - لأن الأوس والخزرج كانوا يحجون الى كعبة مكة فقدر لهم الاصفاء الى النبی والتحدث اليه ، ومنهم من اهدوا وأسلموا . ولاحظ النبی بما أعطى من ثاقب الرأي والبصيرة ، أن الیثرییین من أوس وخزرج كانوا يبدون ، وهم يصغون اليه يحدثهم ، تفهما واستعدادا للاقتناع والإيمان ، وأنهم لم يكونوا غرباء عما كان يحدثهم عنه وأدرك أن يثرب ستكون نقطة الانطلاق ومركز القوة .] ١٤٢ - ١٤٥

ويمضى مع فكرته فى اعظام أثر اليهود فى الحقبة الیثریة : فيها بنى المسجد النبوى أول مسجد بناه الاسلام ، وفيه كانت الصلاة الأولى والسجدة الأولى للمسلمين (١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٦) ويبلغ به اعظامها أن يقول :

[على أن اقامته - صلى الله عليه وسلم

والاسلام فتلتقيان وتترعرعان على انقاض اليهودية التي أراد لها الله أن تتوارى لحكمة منه لاتدرك] .

وأثبت رايه هذا بنصوص من انجيل متى وانجيل لوقا بنبوءة المسيح عليه السلام بخراب اورشليم وهدم هيكلها حجرا على حجر . وتتحقق النبوءة (فى سنة ٧٠ مسيحية حيث انقضت جيوش طيطس على القدس فهدمتها ومحت هيكلها محورا ... وتنقض الف وتسعمائة سنة ولم يعد بناء الهيكل لأن إعادة بنائه ستكون تكذيبا صارخا للقرآن كلام الله . فالمسجد الأقصى الذى أسرى بالنبي اليه ، بنى فى المكان الذى تعالى فيه فيما مضى هيكل اليهود مزهوا مكابرا ، ذلك الهيكل الذى [قال عنه المسيح . انه لن يترك فيه حجر الا ينقض ..] ١٤٧ - ١٤٩ .

هذا الرأى أتركه له على ضيقى بشطط اعتسافه فى تأويل آية الاسراء ، مثلما تأول آية الوعد الحق :

(ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهد من الله .)

تأولها الأستاذ سلهب فحذف التوراه ليقول :

[أفلا يلتقى الاسلام هنا بشكل رائع مع المسيحية ؟ فوعد الله هذا ورد فى الانجيل قبل أن يرد فى القرآن ، ذلك أن كلام الله واحد لا يتبدل .] ثم استطرد فنقل من نصوص انجيل متى وانجيل يوحنا الثانى ما يؤيد به مجيء الوعد الحق فى كلمات الانجيل قبل مجيئه فى القرآن - ١٢٤ .

والسؤال الوارد عليه ههنا : فيم اذن اقراره الصريح بأثر يهود يثرب فى

في يشرب كانت في الواقع مرحلة اعداد وتصميم ودرس ، وتنظيم وتشريع مرحلة العمل الواعي الذي اهل النبي للقيام بالعمل الجلل الخطير الذي من اجله بعثه الله تعالى الى العالمين . [١٥٩

خلافا لما هو معلوم بالضرورة للمسلمين كافة ، ان نقطة الانطلاق كانت بدء نزول الوحي في ليلة القدر ، ومايتلون من سور الوحي المبكرة (وانزل المبعث ، من آيات التكليف بالصلاة والزكاة ، وما يؤمنون به من ان النبي عليه الصلاة والسلام مؤهل لرسالته العظمى منذ اصطفاه الله تعالى خاتما لرسله عليهم السلام .

ودون ان يشير الاستاذ نصرى سلهب الى وجود مسيحي يثرب في الحقبة الليثية يمضي (في خطي محمد) مع خطي المسيح عليهما السلام ، لا على وجه التمثل والتذكر فحسب ، بل على وجه المطابقة كذلك ، بالتنظير والاستحضار لا قوال ومشاهد ومواقف للمسيح عليه السلام ، بنصوصها في اصول المصادر المسيحية المعتمدة ، كقولته مثلا في عودة النبي عليه الصلاة والسلام من الطائف :

[عاد الى مكة حزينا صامتا مفكرا ، ولربما راح وهو في طريقه اليها يفكر بما جرى للمسيح في الناصرة يوم وقف يعظ في مجعها .. فلما سمع الذين في المجمع هذا الكلام امتلأوا حنقا وقاموا ودفعوه الى خارج المدينة واقتادوه الى قمة الجبل ليطرحوه عنها . اما هو فجاز في وسطهم ومضى « لوقا ، الرابع] - ١٤٠

وقوله في (الاطلالة على يثرب) [دخل المدينة دخول الفاتحين فاعاد الى الاذهان دخول المسيح الى اورشليم والجموع تلوح بسعف النخل وتهتف صارخة بصوت واحد : هو شعبنا لابن داود ، مبارك الاتي باسم الرب هو شعبنا

في الاعالي . [١٥٩ ونظائر ذلك مما يقتضي او يوهم ان النبي عليه الصلاة والسلام كان على علم بالانجيل ، خلافا للمقرر في اصول عقيدتنا من كونه عليه الصلاة والسلام لم يكن يتلو من كتب الاولين سوى ما نزل به الرحي ، مصداقا للآية البينة من دلائل نبوته :

(وماكنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطون .)

واذ ينتهي الاستاذ سلهب (في خطي محمد) الى قوله : [بماذا تأمر المسيحية ولا تأمر به الاسلام ؟

وعما تنهى ولا ينهى عنه ؟] وغير مجهول للكافة ان المسيحية سابقة على الاسلام بقرون ذات عدد ، فيحق للمسيحيين ان يسألوا الاستاذ سلهب : فيم اذن الحاجة في دعوتهم الى السير معه (في خطي محمد) ؟ وهل يسير السابق في خطي اللاحق ؟ ويحق لمن تجنوا على الاسلام ان يحمدا له ان زودهم بما يؤيد مقولتهم الضالة :

[ان محمدا - عليه الصلاة والسلام - لم يأت بجديد قط ، غير ما اخذه من المسيحية واليهودية .]

ونؤمن نحن المسلمين ان الهنا جميعا واحد ، وان الدين واحد ، وتفترق الرسالات والشرائع: لكل امة رسولها وشريعتها وكتابها الذي تدعى اليه ، ونتلو من كتابنا المحكم قوله تعالى :

لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليلوكم فيما اناكم فاستبقوا الخيرات ، الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون . (صدق الله العظيم

شاهدة عصر ١٥

د. بنت الشاطي

بُكَائِيَّة مَرْجُفَةٌ فِي الْوَقْتِ الضَّائِعِ..

إن يكن حساب الأوقات الضائعة في دورة برشلونة للألعاب الأولمبية قد انتهى أو أوشك على انتهاء، فما يزال لدينا وقت ضائع ريثما تنتهي جولة التهجير العرقي والتطهير الديني لفلول شعب البوسنة والهرسك وتنمحي جمهوريته الإسلامية من خريطة العالم، وينكشف وهم سراب المحاولات الدولية لتأمين وصول المعونات الإنسانية الكريمة إلى أشباح الموتى وأشلء القتلى، بين الخرائب والأطلال.

من مشهد مروّع لرجل من قومها، استوقفه نفر مسلحون من الصرب خارجاً من مسجد الحي، فدقوه بالمسامير على باب المسجد..

★★★

كذلك لم يكن من قبيل شذوذ المنطق وتبديل السنن الثابتة، أن اقترن وقت الاقتراع على قرارى مجلس الأمن، بإعلان «المنسق الميداني للمفوضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة: أن القوات الصربية تسعى لترحيل ثمانية وعشرين ألفاً من مسلمي البوسنة، في إطار عمليات التطهير العرقي التي يقوم بها الصرب، وكشف تقرير لجماعة المائبة لحقوق الإنسان - وتدعى مجتمع الشعوب المهددة - أن الصرب قاموا بطرد سبعة آلاف من الكروات المسلمين واغتصبوا بيوتهم في مدينة بيتروفاغ غربى البوسنة، بعد مذابح جماعية لكثير من عائلات المدينة، على أيدي الصرب، وأضافت وكالات الأنباء الدولية أن

★★★

وفي الوقت الضائع في المناورات والمنازعات والمفاوضات للاقتراع على قرارى مجلس الأمن، ثم ماتحتاج إليه إجراءات التنفيذ لممارسة القوات الدولية مهامها الإنسانية، وفتح معسكرات الموت لفرق التفتيش الدولية..

في ذلك الوقت الضائع لم تكف أجهزة الإعلام ووكالات الأنباء الدولية، عن إزعاج عالم اليوم بما يجرى في معسكرات الموت، وتسجيل براعة القناصة في تسديد قنابل الموت على سيارات نقل أطفال البوسنة والهرسك إلى منازل تغريبهم، ثم ملاحقة عشرات من الأطفال ساروا يشيعون جنازة قتيلين منهم، بباقات صغيرة من الزهور لم تبق عليها نيران مدافع الهاون النفاثة...

وغير بعيد من مجال الرؤية، كانت شابة في ربيع العمر هائمة على وجهها في ذلك التيه، متعثرة الخطوات بين الجثث والأشلء، هاربة

وليس من قبيل المصادفات أن تباطأت الهيئات الدولية في المناورات والمنازعات، وأن طالت الخصومات في جدوى تدخل الأمم المتحدة وقصور وسائلها، فتأخر إلى منتصف الشهر الحالي الاقتراع في مجلس الأمن على قرارين، (يجيز أولهما استخدام القوة العسكرية لضمان وصول معونات الإغاثة الإنسانية إلى شعب البوسنة والهرسك، ويطالب الثاني بفتح معسكرات الموت التي تديرها القوات الصربية لإبادة مسلمي البوسنة والهرسك، أمام فرق التفتيش الدولية. وأعلن الأمين العام للأمم المتحدة أن القرارين لن يكونا معادين لأحد وبذلك لا تكون القوات الدولية طرفاً في الأزمة (١٤)

وأشار إلى أنها ستتظل تمارس مهامها الإنسانية لتوصيل المساعدات، وأكد أنه لا يعتزم زيادة عدد القوات الدولية في المرحلة الحالية).

الأهرام: ١٣/٨/١٩٩٢

(٢)

البعدي.

ما سمعنا بأسد يمزق أسدا أصغر منه، أو يستضعف أرنباً برياً فيقرسه ويغتصب جحره، ولا حدثنا القصص والأمثال والأساطير عن أسد أمر أعوانه فجمعوا له وحوش الغاب ليتسلى بتمزيقهم إرباً إرباً.. كلا، ولا تصورنا أن شريعة الغاب تبيح القتل الجماعي لوحوش الجيرة، واغتصاب كل ماوى لهم...

إنما يعرف التاريخ ذلك وأضعافه معه في وحوش البشر وشياطين الإنس، من الجيل الأول للأدمية، فيما نتلو من آيات الاعتبار في القرآن الكريم بآبني آدم إذ قربا قربانا إلى الله فتقبله من أحدهما ولم يتقبله من الآخر (فطوعت له نفسه قتل أخيه، فقتله فأصبح من الخاسرين. فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه، قال يا ويلتنا أعجزت أن نكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخى فأصبح من النادمين) الآيات ...

ويعرفها التاريخ في مثل الطاغية «نيرون» إذ بطل على روما وهي تحترق بناره، منتشيا بفحيح الذهب المستعر ورائحة الأجساد المشوية..

وفي مثل «ذي نواس: ملك حمير» إذ حرضه يهود اليمن على نصارى نجران، فسار إليهم بجنوده وخبرهم بين الدخول في يهوديته أو القتل، فأختاروا أن يموتوا على دينهم. فأمر ذو نواس جنوده فحفروا أخدودا عميقا وأوقدوا فيه النار، وسبق النصارى المؤمنون. وفي الخبر أنهم قاربوا عشرين ألفا من الرجال والنساء والأطفال. فالتقى بهم المجرمون في نار الأخدود وهم

المستشفيات في مدن البوسنة المعزولة، تجري فيها أخطر العمليات الجراحية بغير تخدير. كما أضافت. مع بشرى اجلاء مئات من النساء والأطفال من «سيراييفو»: أن أحد الناجين من معسكرات الموت الصربية في البوسنة، أكد لعدد من أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي أن القوات الصربية تقوم بقطع حناجر المسلمين وإطعام رءوسهم للكلاب. كما يقوم أطباؤهم بالاحتفاظ بأعضاء جثث القتلى في ثلاجات خاصة للإنتفاع بها.

.....

والدنيا ساهرة مع مجلس الأمن في جلسة الاقتراع على قراره بجواز استخدام كل الوسائل لضمان وصول معونات الإغاثة الدولية إلى جمهورية البوسنة والهرسك، (وفتح معسكرات الموت الصربية في البوسنة لفرق المراقبة الدولية).

ولم أبت ليلتي (الجمعة ١٤/٨/١٩٩٢) حتى قيدت في مدوناتي (شاهدة عصر) تعليق ممثل البوسنة والهرسك على قرارى مجلس الأمن، مذاعا بصوته من نيويورك في حديث له مع مندوب إذاعة لندن العربية: لقد منحونا يوما إضافيا للبقاء. شكرا لهم، والأمر لله). ولم يكن قد سمح له بالتكلم في جلسة مجلس الأمن..

فهل هي نكسة للبشرية ترتد بها إلى شريعة الغاب؟ كلا، فما يبلغ وحش الغاب المسير بغريزته المتوحشة، ذلك المدى من فحش القسوة وضراوة الشر وشهوة

(٣)

ياخذ الإعلان عنه موضعاً كريماً في
زحام الإعلانات عن أسواقنا العامرة
بأعلى بضاعة الترف وأحدث
المستوردات الاستفزازية، تراخى
صفحات إعلانية غالية عن ليلينا
الساهرة مع نجوم الأنس واليهو
وفنون المتعة والطرب.

مع المعروف من أصيل سجاياتنا في
كرم المواساة والتراحم، وصدق
المروءة والنجدة، مصداقاً للحديث
الشريف المتفق عليه عن نبينا صلى
الله عليه وسلم، قال:

(مثل أمتي في تراحمهم وتوادهم
وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى
عضوا تداعى له سائر الأعضاء
بالسهر والحمى)

ومعه الحديث المشهور، من مبادئ
المنهاج الإسلامي للسلوك، قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم:

[عذبت امرأة في هرة حبستها حتى
ماتت فدخلت فيها النار، لا هي
أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي
تركها تاكل من خشاش الأرض] متفق
عليه

والحديث المتفق عليه كذلك عن
رسول الله عليه الصلاة والسلام،
قال:

(بينما رجل يمشى فاشتد عليه
العطش فنزل بئراً فشرب منها ثم
خرج فإذا هو بكلب يلهث، ياكل الثرى
من العطش، فقال: لقد بلغ بهذا الكلب
مثل الذي بي، فملاً خفه بالماء ثم
أمسكه بغمسه ثم رقى فسقى الكلب
فشكر الله له فغفر له.) قالوا: يا رسول
الله، وإن لنا في البهائم أجراً قال:

محيطون بهم يقتلون بالسيوف من
يحاولون الخلاص. والله من ورائهم
محيط. قال تعالى:

(قتل أصحاب الأخدود. النار ذات
الوقود. إذ هم عليها قعود. وهم على
ما يفعلون بالمؤمنين شهود. وما
نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز
الحميد.)

وما فواجع ضحايا محاكم
التفتيش، ووطاة هولاء وجنده،
وويلات الإضطهاد الديني، بغائبة عن
ذاكرة التاريخ..

★★★

في الوقت الضائع في الجدل المثار
حول صيغة قرارى مجلس الأمن
والشك في جسدهما، أطل على
الوجود الإسلامى المهدد اليوم في
البوسنة والهرسك وكرواتيا، وغدا
فيما لا ندرى أى بلد إسلامى يقع عليه
الاختيار فيأتى عليه الدور، أتساءل:
أين نحن المسلمين مما يحدث لمسلمي
البلقان؟

ولست بهذا التساؤل مظنة أن اغفل
عما لا ينبغي نكرانه من مشاركة
الأقطار الإسلامية في إسعاف مسلمي
البوسنة والهرسك، وكيف انسى أن
لنا كتيبة من جند الكفالة ترابط مع
قوة للأمم المتحدة في مهامها
الإنسانية لحراسة معونات الإغاثة
الدولية؟

ولم تحرم سائر الأقطار الإسلامية
من مثل هذه المشاركة النبيلة، فيما
نقرأ من إعلانات عن أنواعها
وموازينها وقيمتها النقدية، في
تسابق مشكور على فعل الخيرات.

(فى كل كبد رطبة أجر.)

ويعتز تاريخ الإسلام بما كان من
الأنصار من كرم استجاباتهم
للمهاجرين حيث أنزلوهم من أنفسهم
ومن دورهم خير منزل، فأننى عليهم
الله عز وجل بقوله (يحبون من هاجر
إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة
مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو
كان بهم خصاصة، ومن يوق شح
نفسه فأولئك هم المفلحون) الآية

وأننى عليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى المأثور من صحيح
الحديث فى مناقبهم وفضائلهم.
وعرفها لهم المهاجرون، فيما أسند
«الحافظ أبو بكر الخرائطى» فى كتابه
(مكارم الأخلاق) عن أنس بن مالك
رضى الله عنه قال: «قال المهاجرون: يا
رسول الله، ما رأينا مثل قوم قدما
عليهم أحسن مواساة فى قليل ولا
أحسن بذلا من كثير، كفونا المئونة
واشركونا فى المهنا حتى لقد خشينا
أن يذهبوا بالأجر كله. قال: لا، ما
أنتم عليهم ودعوتهم لهم»

وأسند «الخرائطى» من حديث
عبدالله بن عمر رضى الله عنهما، قال:
لقد رأيتنا وما الرجل المسلم بأحق
بديناره ودرهمه من أخيه المسلم..

وكان الأنصار، رضى الله عنهم،
أهلا لهذه المكرمة، على أنها تكررت فى
تاريخ الإسلام على تنائى الزمان
وتباعد المكان: ففي أواخر القرن
التاسع من تلك الهجرة الأولى، وقعت
كائنة سقوط غرناطة آخر حصن
للإسلام بالاندلس (٨٩٧هـ - ١٤٩١م)
وكان الظن بها أن تكون القاضية على
الإسلام، لولا أن حفظه الله فوجد فى
المغرب الأقصى أهلا ودارا، وإليه
كانت هجرة الإسلام دينا ودولة، ولغة
وعلما، وحضارة وتراثا...

ولا يفصلنا عن هجرة الإسلام إلى
المغرب الأقصى حيث وجد أهلا ودارا
ورباطا وملاذا، سوى خمسة قرون
وبضع سنين.

فهل جاز علينا الزمان فى تلك
الفترة فطمس ما عرف لنا من أصيل
سجايانا فى كرم التراحم ونبل
المواساة ومروءة النجدة؟
قد يصدق هذا على المفتونين بالية

(التكنولوجيا) الماخوذون بعقدة
الفرجة، المبشرين ببضاعة التنوير
المستورد..

وتبقى عامة شعوبنا، أبناء البلد
الأصلاء، بمنأى عن هذا المسخ،
يلتمسون من القرآن الكريم نورهم
وهداهم، وحكمة فطرتهم السوية،
وحسبى شاهدا على كرم سجايها،
نظام الوقف الذى يحبس فيه
المسلمون، مشارقة ومغاربة،
ممتلكاتهم وأموالهم على مصارف
البر والخير العام، وكان معمولا به
فى مصر إلى أن صدر قرار ثورى بحل
أوقاف المسلمين ودمج موقوفاتها
ومواردها فى الميزانية العامة..

ومعذرة إلى القراء الكرام عما
شقت به عليهم بما أرجع من أبناء
فاجعة سبق نشرها وإذاعاتها، فربما
سروا بها سراعا وعجلوا إلى ما
يبهظهم من شواغل العيش وهموم
المرحلة..

أى ربما تاهت منهم فى زحام
الدعاية المكثفة لمهرجانات مسلية
ومؤتمرات مريحة فى قاعات مكيفة
الهواء بأفخم فذايق عاصمة الكنانة..
أو ربما خطف أبصارهم عنها،
بريق الإعلام عن مستقبل زاهر لامتنا،
إذا هى نبذت معتقداتها وتخلت عن
تراثها لتكون مؤهلة لدخول (عصر
التكنولوجيا)..

أو ربما ضاقت صدورهم قهرا بما
لا حيلة لهم فيه فكفوا عن تتبع
فواجع المسلمين فى عالم لم يغفر لنا
قط ولن يغفر لنا أبدا أننا مسلمون.

إليهم اتجه بما أرجع من مقاطع
هذه البكائية، عسى أن تقيهم صندا
الضماير وتحجر القلوب ولعنة
المسخ، وتذكرهم بآيات الاعتبار
بالمسلمين السابقين رضى الله عنهم
يرضوا عنه:

(الذين أخرجوا من ديارهم بغير
حق إلا أن يقولوا ربنا الله، ولولا دفع
الله الناس بعضهم ببعض لهدمت
صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر
فيها اسم الله كثيرا. ولينصرن الله
من ينصره، إن الله لقوى عزيز)
صدق الله العظيم

شاهدة عصر ١٦

د. بنت الشاطيء

مشقة العالم الجديد

بالموقع الفكري

الإسلام في العصر

إن كان للناس عجباً أن يشغل العالم الجديد بالموقع الفكري المعاصر لوجودنا الإسلامي، والصياغة العصرية لتاريخه السياسي، في الوقت الذي تشتد فيه وطأة التصفية لحساب حرب الخليج وعاصفة الصحراء، وتدمير الوجود الإسلامي للبوسنة والهرسك، وشواغل الحرب الأهلية بأفغانستان، والمجاعة الضارية التي تفترس بقايا الصراع الإقليمي والحروب الأهلية في القرن الأفريقي؟ لكنه ليس عجباً في النظرة الثاقبة لمن يربطون منا في الموقع الفكري الإسلامي لوجودنا التاريخي، فيلقاهم العامل الديني حيثما اتجهوا، يستقطب سائر العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، في تفاعل مؤثر يعطي تاريخنا كله تفسيره ومنطقه.

فتوحها الكبرى، ومنازل حضارتها الرائدة القائدة في العصور الوسطى، والذخيرة الغالية لجند الإسلام قهرة جبابرة الصليبية ومردة الطواغيت التتار، ثم إنه الذي حمى بقاها في عصي المحن والخطوب، وحدا مسراها في ليل الاستعمار البهيم، وعبأ قواها المذخورة لجولات معركة التحرير الكبرى في مشرق ومغرب.

وقدم الواقع التاريخي شهادته: على مسار الزمن من فجر المبعث، لم يعرف التاريخ هدفاً شددت إليه أبصار أعدائها مثل هذا الموقع.

لا يغض من شأن أي عامل منها، وإن أخذ منها جميعاً موضع النفوذ والتوجيه.

كما أنه ليس عجباً كذلك، في حساب المستشرقين من علماء الأديان والأخلاق والتاريخ والحضارات، الذين ناط بهم الغرب الأوروبي فحوص ماجاءتهم به حركة جمع تراثنا من خزائن ذخائره ومظان كنوزه، فلم يكذبوا أهلهم ما كشفت لهم دراستهم الجادة عن موضع الإسلام في الوجود التاريخي لأمته: هو سر قوة هذه الأمة في عصور العزة والسيادة والمنعة، وكتابته القرآن لواء كتائب

(٢)

وتشغلنا بالتفجر على ما يجري
فى ساحتنا الفكرية من عمليات
تبديل الأقالام وتغيير الشارات
والصبغات والألوان والأصوات .
والهتأنا معارض الأقتعة عن
التنبه الى المواقع السياسية
والاقتصادية والحربية ، حيث
غلب عليها الفهم بأن العالم
الجديد انما يخشى التحدى
الاسلامى بالتفوق التكنولوجى
والثروة المادية والأسلحة
التقليدية والمتطورة ، فوجهنا
قصور النظر الى سباق رهيب
فى هذا المجال ، يستهلك
أرصدتنا وأقواتنا ويساومنا على
حريتنا وكرامتنا ، بالديون
الباهظة وفوائدها الفاحشة .
ولم يشفع لنا ذلك كله ،
وأضعافه معه ، لدى التصنيف
الدولى اذ ينمينا الى العالم
الثالث شعوبا نامية .
وفينا أكثر شعوب العالم عددا
وأغناها ثروة وسلاحا ، وأغرقها
فى العلم والمدنية والحضارة ..

وتوالت النذر بما غاب عنا من
منطق تحدى الاسلام للعالم
الجديد ، حتى مزتنا حرب
الخليج ودومت فى أفقنا عاصفة
الصحراء ، فأخذت على الساحة
الفكرية مظهر معركة كلامية
شاغلة لفكرنا السياسى الأصيل
والدعى الدخيل ، حتى اذا
ما ظهرت على مناخنا الفكرى
اعراض الملالة والضجر ، هبت
علينا ريح التطرف الدينى وأزمة
الارهاب التى تلبست بالفتنة
الدينية فزادتها حدة وتعقيدا
وجعلت منها مشغلة الأفكار
المتعارضة والآراء المتنافرة ،
ومعرضا للمذاهب
الأيدولوجية ومتنفسا للعقد
النفسية والعنصرية ..

والدنيا من حولنا تغلى
بالاسلام ، ونحن فى غفلة عن
قوى العالم الجديد اذ تمارس ،
خطتها الرهيبة لتدمير الوجود ،

تغير الأعداء فوجا بعد فوج ،
وجاءوه من شتى الأقطار
ومختلف الجنسيات والعصبيات
، وتفاوتت طبيعة الحرب
ومواقعها وانماطها واسلحتها
من جولة الى أخرى ، والهدف
هو الهدف ، لم يغب قط عن بصر
عدو ، ولا حاد عنه نظرتة ، وان
تذرعوا اليه بامكر الذرائع
وادهى الحيل .

ما وراء هذا الهدف لم يكن
يعنيهم ابتداء ، لأن أى هدف
وراءه هين .

وكل ما عداه من القلاع
والحصون ، ليست عصابة الا
بقدر ما يحميها هذا الحصن
المنيع . وكل مناطق النفوذ
الاستعماري والسيطرة
الاقتصادية وثغور الغزو الفكرى
، تظل عصابة عنيدة مابقى هذا
القرآن حارسا لضمير أمته
سأهرا على ايمانها بعزة
العبودية لخالقها وحده ، غاصما
لها من زيغ الضلال وذرائع
المسخ وسقوط الوعى ...

ليس جديدا على الواقع
التاريخى اذن ، أن يكون هذا
الاسلام هو التحدى الذى يواجهه
العالم الجديد ، فذلك قد كان منذ
كان .

غير أننا لم نكد نلقى بالا الى
النذير الصاعد الذى صك سمع
هذا الزمان معلنا أن الاسلام هو
التحدى الوحيد الذى يواجهه
العالم الجديد بعد سقوط الاتحاد
السوفيتى وانهييار صرح
الشيوعية الدولية وتصعد احدى
القوتين العظميين لعالم القرن
العشرين .

وسمعنا الاعلام بالنذير جهيرا
عاليا فلم نأخذه مأخذ الجد ،
وخرس صدها فى الموقع الفكرى
اذ حسبناه من تهويش القوة
العظمى والتهويل من أحلام
طموحها بعد أن خلا الميدان من
منافس فى سباق صراع القوى .

(٣)

شعوب القرن الأفريقي والمصير
الفاجع لمن تهلك المجاعة من بقايا
الحروب الأهلية الحاصدة .

وفيما كانت المنظمات الدولية
تستجيب للقوة العظمى في
توقيت صدور قرار لها بتأمين
وصول معونات الأغاثاة
الانسانية الى أشباح المحاصرين
مسلمى البوسنة والهرسك ،
وفتح معسكرات الموت الصربية
في البوسنة لفرق المراقبة
الدولية .

توالت الأنباء ببشرى اجتياز
بضع قوافل اغاثاة لمخاطر
الطريق بعد أن يكون المسلحون
الصربيون قد ساقوا الأطفال الى
منازح تغريبهم مفقودي الهوية
الاسلامية ، وسيقت النساء الى
مخيمات لهم حيث تعاقبوا على
اغتصابهن أياما وليالي ، وسيق
الرجال الى معسكرات الموت
الصربية في البوسنة ، حيث
يسامون من فنون التعذيب
وضروب الهوان مالو أبصره
وحش لولى منهم فرارا ولملئ
منهم رعبا .

ويذل العالم الجديد يغلى
بالاسلام ، ملتفتا الى موقع
وجودنا الفكرى الاسلامى ، لا
تشغله عنه فواجع التطهير
العرقى ولا تحيد عنه نظرتة .

وتتزاخم الأنباء الدولية من
الموقعين ، العسكرى والفكرى ،
كاشفة عن منطق التحدى
الاسلامى وأبعاده ومراميه .

وفيما يلى وثيقة نقلتها من

الاسلامى ، مع الضغط على
الموقع الفكرى الذى تحسب له
ألف حساب ، فى توقيت دقيق
محسوب بالسنة واليوم
والساعة ، لتبغتنا الأحداث من
هنا وهناك فتشتت البصر
وتضلل الرؤية .

حدث فى أوائل شهر اغسطس
الحالى ، أن شغلنا بجدل مثار
حول (ندوة عالمية لمستقبل
الثقافة العربية فى عالم متغير)
اختير يوم ثانى اغسطس موعدا
لافتتاحها ، واختير فندق
ميريديان الفخم بين شطى النيل
فى عاصمة الكنانة مقرا
لانعقادها ، وحفت بها دعاية
اعلامية فذة برعاية قيادات عالية
سياسية وتشريعية . لها .
واعطيت الندوة صفة دولية
بمشاركة مثقف أمريكى واحد
ممثلا لمثقفى الدول الأمريكية
أجمع ، وآخر فرنسى ممثلا
للدول الأوروبية . وفى أيام ثلاثة ،
من ثانى اغسطس الى خامسه ،
تمت دراسة مستقبل ثقافتنا
العربية فى عالم متغير ووضع
ميثاق للمثقفين العرب ، احتفظ
بنصه فى مدونات شهادتى على
العصر ، لأركز اليوم على نموذج
مما شغلنا بالجدل حوله ، يلهمنا
عن تصفية الوجود الاسلامى
لشعب البوسنة والهرسك ،
وحروب الفتن الحسالة فى
أفغانستان والجزائر .

ويكتم عن أسماعنا أصداء
حشجة الاحتضار لجيراننا

٥ - الخلافة الاسلامية : وقد ظهرت طبعته الاولى سنة ١٩٩٠ وهذه هي طبعته الثانية . [أى أن هذه الكتب الخمسة كانت عند صدور قرار المصادرة مطروحة في الأسواق منذ فترات تتراوح بين ثلاثة عشر سنة (كذا) وستين . ولم تبرز اللجنة أى قرار بالمصادرة أو تذكر مضمونه أو تبين تاريخ صدوره أو تحدد أسبابا له . ونظرا لوقوع المصادرة بأسلوب عنيف وظاهر فقد سرى نبؤه بين الناس وفي المجتمع سريان النار في الهشيم فتناقلته وكالات الأنباء المختلفة وأذاعته في كافة أنحاء العالم . وفي مساء الجمعة ١٠ يناير وصباح السبت ١١ يناير سنة ١٩٩٢ والت محطات الاذاعة العالمية ، بالعربية وبغير العربية، نشر الخبر أكثر من مرة..]

ولست بسبيل التعرض ههنا لنقد هذا الكتاب وغيره من مؤلفات الأستاذ في الاسلام السياسى وتاريخه، إذ لا يشغلنى اليوم من أمرها سوى تقديمها شاهدا ومثالا لرواج هذه الكتب في الغرب المعاصر ، ومشغلة العالم الجديد بالرؤية الجديدة للأستاذ مستشار أمن الدولة بمصر ، لفكر الاسلام السياسى وتاريخه .

وأتلو من آيات الله تعالى قوله عز وجل في ختام سورة النجم : (هذا نذير من النذر الأولى ، أزفت الآزفة ، ليس لها من دون الله كاشفة ، أفمن هذا الحديث تعجبون ، وتضحكون ولا تبكون ، وأنتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا .)

صدق الله العظيم

مقدمة الطبعة الثانية لكتاب (الخلافة الراشدة تأليف الأستاذ محمد سعيد العشماوى : مستشار أمن الدولة) بمصر عاصمة الكفانة ، سجل فيها بقلمه رواج مؤلفاته في الغرب المعاصر ، والأصداء العالمية لمصادرة كتبه في فكر الاسلام السياسى وتاريخه، جاء فيها مانصه:

ولا يمكن لهذه المقدمة أن تكتمل دون أن تعرج على ماوقع نتيجة للزلزال العنيف الذى أحدثته الكتاب . وغيره من كتبنا . فى نفوس المعارضين ، والبركان العاتى الذى نتج عنها فى تصرفاتهم وأعمالهم : ففي يوم الثلاثاء ٧ يناير ١٩٩٢ ، اتجهت لجنة من مجمع البحوث الاسلامية وهو أحد هيئات (كذا) الأزهر الى مقر «دار سينا للنشر» بمعرض القاهرة الدولى للكتاب وأوقعت التحفظ على خمسة من كتبنا بدعوى أنها مصادرة . وهذه الكتب هى :

١ - أصول الشريعة : وقد ظهرت طبعته الثالثة سنة ١٩٩٢ وترجم الى الانجليزية .

٢ - الاسلام السياسى : وقد ظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٨٧ وطبع أكثر من طبعة في مصر وخارجها ، وترجم الى اللغتين الفرنسية والانجليزية ، وقد نشر في الجزائر بواسطة الحكومة الجزائرية لمحاربة جماعات الاسلام السياسى فيها بمقتضى ماورد به من أفكار وراء ، وقد كانت الجبهة الاسلامية للانتقاد على وشك الوصول الى السلطة فى الجزائر

٣ - الربا والفائدة فى الاسلام : وقد ظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٨٨ وترجم الى الانجليزية

٤ - معالم الاسلام : ظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٨٨

بؤادر القلق والرفض

شاهدة عصر ١٧

في ليل الجاهلية الأخيرة:

د. بنت الشاطيء

مع إشراق مطلع الفجر

مع هلال شهر ربيع الأول، تستروح الأمة من ذكرى مولد الحبيب المصطفى - صلوات الله عليه وسلامه - ما يؤنس وحشتها في هذا الزمان البائس الكئيب، وتلتمس من سنا نوره ما تقاوم التمزق والفتن، وضوا غط القهر والمذلة والهوان. وليكن حديث اليوم مقدمة لحديث المولد في موعدها معه بمشيئة الله تعالى فجر اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول الأغر...

ما كان من ضلال الجاهلية في بلاهة وثنييتها وفساد أوضاعها، مرده مشهور لم يدخر مؤرخو الإسلام جهداً في بيانه. ومنه في القرآن الكريم والحديث الشريف ما يحققه الدين القيم، وقد بعث الله تعالى - خاتم رسله بكتابه العربي المبين (ليخرج الناس من الظلمات إلى النور)

ولكن في القرآن الكريم والحديث الصحيح كذلك، ما ينفي أن عرب الجاهلية الأخيرة كانوا جميعاً مسجونين من المروءة والرشد والفضيلة بمعروف عصرهم، على نحو ما نرده تلقينا أصم عمى وهموا وأوهموا أنهم يرفعون من قدر الإسلام بقدر ما يضعون من الأصل العربي، دون تنبيه إلى أن مقتضى هذا القول أن ينمى نبي الإسلام إلى سلالة وضيعة. وهي مقولة ضالة رسيخها فينا بفر من كتابنا، واتكا عليها المبشرون فينا بالانصلاح من شخصيتنا الإسلامية المزهقة بعقدة الشعور بضعة الأصل وهوان الأبناء والأمهات. وذلك ما أرجو أن أفرغ لعرضه ونقصه في المقود لي تقديمه بإذنه تعالى من شهادتي على العصر.

يكفي لتصحيح الرؤية العامة لهذه القضية أن أذكر قومي بأن الله تعالى - أصطفى النبي العربي، القرشي الهاشمي، خاتماً لرسله - عليهم السلام - وأصطفى مكة،

تنبهت من عهد ملبي العلم في مدرستي الإسلامية الأولى - على والدي وزملائه شبوخ المعهد الديني بدمياط - إلى أن مؤرخي الإسلام، وفي مقدمتهم إمامهم الصدر ابن جرير الطبري - (٣١٠ هـ، لا يبدؤون التاريخ للإسلام بالمبعث فجر ليلة القدر، بل يرجعون به إلى ماض بعيد وقريب يستوعب النظرة الشاملة لعالم ما قبل الإسلام. كما أن علماء السيرة النبوية لا يفتتحونها بالمولد النبوي، بل يصلونه بالنسب الزكي إلى عدنان، الجد العشرين لمحمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي، وصريح ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام، من السيدة هاجر المضرة، مستطردين خلال تتبع سلسلة النسب الزكي إلى أبائه وأمهاته، إلى ذكر المروى من أصهارهم وولدهم، وأيامهم ووقائعهم وأحداث أزمجتهم والمآثور من مفاخرهم في ديوان شعرهم.

وظلت هذه البادرة المبكرة من الوعي، تلغتنى إلى تواصل الأجيال والأقاليم والأعصر، قبل أن اتلقاها قاعده أصولية في أطراف السنن الثابتة لنظم الكون وحياة الأفراد والجماعات بين ماض وحاضر وات، ونفي عشوائية المصادفات وبغلة المفاجات، قال تعالى:

(فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تسديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً) الآية

(٣)

تتجه شواهد الاصطفاء - اول ما
تتجه - إلى مكة، مهد المولد: أم
القرى والحاضرة الدينية للعرب،
وفيها البيت العتيق أقدم بيت لله
تعالى على الأرض، مثابة حج العرب
وعبادتهم ومهوى أفئدتهم.
تواترت الروايات بحرماتها وما
رسخ في وعى العرب من (انها لا تقرب
فيها ظلمة ولا بغيا، فلا يبغى فيها
أحد إلا أخرجته منها محسورا
مقهورا، ولا يريد لها ملك يستحل
حرماتها إلا هلك مكانه). ووعى
تاريخها الديني من عهد بني
إسماعيل، أن جرهم بغوا فيها
فنفثهم عنها حزاني مقهورين
يرجعون في حسرة بكائية شاعرهم:

وقائلة والدمع سكب مبادر
وقد شرفت بالدمع منها المهاجر
كان لم يكن بين الحجون إلى الضفا
أنيس، ولم يسمر بمكة سامر

قال تعالى: (ومن يرد فيه بإلحاد
بظلم نذقه من عذاب أليم)
وأقرب ذلك إلينا ما كان من أمر
«أبرهة الأشرم» حين غضب عليه
مولاد نجاشي الحبشة، فبني له
بصنعاء كنيسة لأمثال لها، وجلب
إليها الرخام المجزع والحجارة
المنقوشة بالذهب من بقايا قصر
بلقيس، «ملكة سبأ» ونصب فيها
صليبا من الذهب والفضة ومصابر
من العاج والأبنس، وكتب إلى مولاه
النجاشي يسترضيه: «إني بنيت لك
أيها الملك كنيسة لم يسبق بناء
مثله - ملك قبلك، ولست مثلهما
حتى أجسدها إليها حج العرب». ثم
خرج إلى مكة بجنوده أصحاب
الفيل، يريد هدم البيت العتيق
وصرف حج العرب عنه، فحمى الله
بيته، وهلك أبرهة وجنده دونه،
وذهبوا خبيرا يروى آيات تنلى
عبرة ومثالا..

في عام الفيل، كان مولد «محمد
بن عبد الله» بدار أبيه في حي بني
هاشم صفوة قريش جيرة البيت
العتيق..

★★★

فيما كانت الجزيرة العربية وما

وفيها بيته الحرام، دارا للمولد
والمبعث، واصطفى من كبار
الصحابة، المهاجرين والأنصار،
حفظة القرآن الكريم والحديث
الشريف وتلاميذ مدرسة النبوة
الذين حفظوا للأمة فقه دينها
شريعة ومنهاجا. ومن أولئك
الصحابة كان جند الإسلام في
معركته التاريخية ضد الوثنية،
جهادا في سبيل الله لتكون كلمة
الله هي العليا، ثم كان منهم أمراء
كنائب فتوح الإسلام الكبرى التي
حملت لواءه الأغر ورفعته على
ساحة دولته من الشرق الآسيوي
إلى المغرب الأقصى والأندلس، قبل
نهاية القرن الهجري الأول.

★★★

لست اليوم بصدد التذكير بما
عمرت به كتب السيرة والدلائل من
مبشرات المولد وإرهاصات المبعث
تناقلها الرواة عن أحبار اليهود
ورهبان النصارى، وتحدث بها
الكهان من العرب، فذلك محفوظ
مشهور تشدو به محافل المولد
ومجالس الذكر في ذكرى المولد
وماحف به من خوارق العادات، وما
سبق المبعث من شواهد الاصطفاء
ودلائل النبوة..

وإنما أحاول الاصغاء إلى نبض
الوجدان العربي في أرفع
حساسياته، من ضيق بفساد
الأوضاع، وقلق الوعي بفقم الوثنية
الغشوم، وما رصد ديوان شعر
الجاهلية الأخيرة من تطلع إلى فجر
صادق تستشرفه رؤاهم في غسق
الليل، بهدي الغطرة، وقبس من نور
الله في بضائهم لا ينطفئ.

ويضيع منا الكثير من شواهد تلك
التطلعات والرؤى، الملهمة، إذا نحن
حصرنها مجال الرؤية في الشعراء
والحكماء الجاهليين، الذين لم
يدركوا المولد والمبعث، ولعلها أجلى
وأوضح فيمن أدركوا الإسلام وفيهم
الطبقات الأولى من الصحابة،
ومنهم من طال عمرهم في الجاهلية
والإسلام.

ومعهم من شعراء العترة المعبرين
عن هواجس القلق والرفض،
واستشراف التحول، المخضرسون
الذين أدركوا عصر المبعث ولم
تصح لهم صحبة

★★★

حولها تتناقل اقوال الاحبار
والرهبان، واخبار الكهان من
العرب ايراصا بنبي عربي حان
زمانه، فتلتقى روافد المبشرات من
هناك وهناك عند التيمم الهاشمي
المكي، كسائنات اسواق مكة في
مواسمها الدينية ملتقى الشعراء
العرب، يتناشدون قصائدهم
ويتحاكمون فيها إلى كبار منهم،
فتخرج من مكة وتتجاوب الآفاق
باصداؤها، وتسجل مراصد الفترة
نبض الوجدان العربي في ارفف
حساسيته، تطلعا إلى حياة افضل
تستشرق البصيرة الملهية، وتاملا
في عبيرة الايام وغرور الدنيا
ومسحاج الموتى من الملوك
والدهماء، وآيات القدرة الالهية في
الكون والحياة.

ومن تلك الانتعاش والتأملات
والرؤى الملهمة، آيات سائرة جرت
مجرى الأمثال، معبرة عن الوجدان
العام، حايات «عبيد بن الأبرص
الأسدي» من معلقته:

وكل ذي غيبة يثوب
وغسائب الموت لا يثوب
من يسهل الناس يخرمونه
وسائل الله لا يخذل
والله ليس له شريك
عاشم ما خفت القلوب

وآيات «طرفة بن العبد البكري»
من معلقته وفي الخبر: أن رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - كان
يعجب بأول بيت منها:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تزود
أرى الله يش كذا ناقصا كل نيل
وما تنقضي الأيام والدهر ينفذ
أرى الموت أمعاء النفوس ولا أرى
بعيدا غدا، ما أقرب اليوم من غد

والآيات السائرة من معلقة «زهير
بن أبي سلمى»: والد كعب وبجيب
الصحابيين الشعراء رضى الله
عنهما:

ومن هاب أسباب المنايا بئله
ونو رام أسباب السماء بسلم

ومن بك ذا فضل فيبخل بفضله
على قومه يستغفر عنه ويذمم
ومن يفترب يحسب عدوا صديقه
ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومن لم يصانع في أمور كثيرة
يضرر بانياب ويوطأ بمنسجم

واعلم علم اليوم والامس قبله
ولكننى عن علم ما في غد عم
ومهما تكن عند امرئ من خلقه
وان خالها تخفى على الناس تعلم
★★★

وعيشا بين المولد والمبعت، يحفظ
لنا ديوان الفترة من تأملات
حكماؤها الشعراء، ما استند الحافظ
«أبو الفتح البكري» في سيرته
الكبرى (عيون الأثر) من حديث ابن
عباس - رضى الله عنهما - قال: قدم
وقد عبد القيس على رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - فقال: «أيكم
يعرف قس بن ساعدة الأيادي؟»
قالوا: كلنا يا رسول الله نعرفه. قال:
«فما فعل؟» قالوا: هلك. قال: «ما
أنشاه بعكاذ على جمل احمر وهو
يقول: «أيها الناس، اسمعوا وعوا،
من عاش، مات ومن مات فات، وكل ما
هو أت أت. إن في السماء لخبرا،
وإن في الأرض لعبرا..... أقسم قس
قسما حتما إن الله دينا هو أحب إليه
من دينكم الذي أنتم عليه. مالي أرى
الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا
بالمقام فأقاموا، أم تركوا هناك
فناموا؟»

ثم قال رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - : «أيكم يروى شعرا؟»
فأنتلدوه:

في الداهيين الأونين
من الفرون لنا بصائر
لما رايت مسواردا
للموت ليس لها مصادر
ورايت قومي نحوها
بمضى الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي إلى
ولا من الباقي غابر
أيقنت انى لا محالة
حيث صار القوم صائر

إلى جانب ما سجله ديوان الفترة
من أشعار المتحفين الذين لاحت

لرؤاهم وبعثهم، تباشر فجر مرتقب،
وما كان ليحسب في شفق الفطرة
وطبيعة الأشياء، أن تموج الجزيرة
العربية ببشرى المولد وإرهاصات
المبعت، دون أن تحدث أثرها في
حياة القوم المبشرين بمبعث نبي
منهم حان زمانه. وغير مستبعد أن
يكون من أثر تلك الإرهاصات في
أوضاعهم الاجتماعية: أن تناسوا
عصبيتهم للقبيلة أمام الخطر
الأجنبي، فقاتلوا مجتمعين جيش
كسرى (يوم ذي قار) كما ظهر في
مثل «حلف الفضول» وكان أكرم
حلف وأشرفه: اجتمعت فيه من
قريش «بنو هاشم وزهرة وتيم بن
مرة، في دار عبيد الله بن جدعان
التيمن، وتعاقدوا على ألا يجدوا
بنكة مظلوما من أهلها أو غيرهم
ممن دخلها من سائر الناس إلا
قاموا معه وكانوا على من ظلمه
حتى ترد عليه مظلمته. وقد شهد
المصطفى قبل المبعث، وقال فيه بعد
مبعثه: «لقد شهدت في دار عبد الله
بن جدعان حلفا ما أحب، أن ألحق به
حمر النعم، ولو دعيت به في
الإسلام لأجبت»

وغير متصور أن يخل الوجدان
العام أخرس اصم، لا يفعل بالحياة
حوله ولا يعبر عنها ويحدو
مسراها.

★★★

وبعد فلتست فيما قدمت في حديث
اليوم من مواقف مشهودة وأشعار
سائرة معبرة عن نبض الفترة،
أتكلف جهد الاستئناس لفكرة لي
عنها وعن القوم الذين شرفوا
باصطفاء خاتم النبيين منهم ونزول
القرآن الكريم فيهم، بل هو مما
أدخله علماءنا في المصادر الأصول
لكتب السيرة العطرة، وحديث المولد
ودلائل النبوة..

والى لقاء قريب في موعدنا مع
ذكرى المولد النبوي، في اليوم
الثاني عشر من شهر ربيع الأول، إذا
يسر الله وأعان.

★★★

(الحمد لله، وسلام على عباده
الذين اصطفى)
صدق الله العظيم

د. بنت الشاطيء

وجد عبد الله لابيه: هشام بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، وجد أمية لابيهـ «عبد مناف بن زهرة بن كلاب» الذي يقرن اسمه بابن عمه عبد مناف بن قصي فيقال: المنافان.

ومنها كان الزاد السخي لكتاب
(أم النبي صلى الله عليه وسلم)
إلى جانب ما لا يجوز تجاهله أو
التهاون به من الدلالة الإجتماعية
الصادقة لبشريات الهوائف
والرؤى، ثم في مواجد المحبين
وأناشيد الذاكرين وقصائد
الشعراء، معبرة عن الوجدان
الجماعي المرفف وما مثلته الرؤى
المهمة لصورة الوالدة في قلوب
عامرة بالإيمان والحب، وما تفردت
به من مخايل البهاء وعز الأصطفاء
لأمومة الحبيب المصطفى صلوات
الله عليه وسلامه.

(٢)

جميعها آية الخلق وسنن الفطرة
وغريزة حفظ النوع وإرادة البقاء..
وما كان التاريخ ليلتفت إلى واحد
منهم: يتيم هاشمي بمكة، ابن امرأة
من قريش تاكل القديد، لولا أن حفت
بحبله ومولده ظروف فريدة وجهت
البشريات إلى مهد المولد، فكان أن
حرصت مكة على تتبع سيرته،
ووعت من شواهد تفرد ما تواترت
به المرويات إلى فجر المبعث، ليلة
القدر، لم تفلت ذاكرتها منه شيئاً ذا
بال: من بدء أيامه الأولى في حديث
رضاعته في بادية بني سعد، وما
نال القوم من بركته ويمنه، حتى:
مضت سنتا الرضاع وعادت به
مرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب
السعدية، إلى أمه فأنس وحشة
وحدثها وترملها المبكر، ومن عليه
الله تعالى بأن آواه في يتمه (فكان
مع أمه أمة بنت وهب في كساعة
الله وحفظه) حتى بلغ السادسة من
عمره وهي قريرة العين به، ترى فيه
مخايل السيد العظيم الذي بشرت
به رؤاها الملهمة.

وصحبتته في رحلة إلى يثرب.
ليستعرف إلى أخوال أبيه بني
النجار، وليزور معها قبر والده
الحبيب النأوي هناك.
في طريق الإياب إلى مكة، أدركها
أجلها قرب «الأبواء» فدفنت هناك
بمراى من ولدها الوحيد البيتيم
الذي استأنف ما بقي من الرحلة مع
حاضنته أم أيمن، حزينا مضاعف
اليتيم..

وتابعت مكة خطاه حتى بلغ
الأربعين من عمره، وتلقى آيات
الوحي الأولى في غار حراء، ليلة
القدر.

ومن يومئذ أخذت أمه موضعها
الجليل في السجل التاريخي
لأمهات الأنبياء أصحاب الرسالات
الكبرى اللواتي أضرهن الله
بحضانتهم في حداثتهم المبكرة:
«هاجر، أم إسماعيل» التي بورك
هموم أمومتها وكان مسعاها بين
(الصفا والمروة) شعيرة من شعائر
الحج والعمرة.

وأم موسى، التي وضعت إبان
وطأة فرعون الساحقة لبني
إسرائيل، قال تعالى: (وأوحينا إلى
أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت
عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا
تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من
المرسلين). وصدق الله وعده..

و«مريم ابنة عمران» التي
اصطفاه الله على نساء العالمين
وجعلها وابنها «المسيح عيسى بن
مريم» آية للعالمين.

ثم تأتي أمة بنت وهب، في ختام
هذا الموكب المهيب لأمهات الأنبياء،

الله عروسه ليدرك قافلة قريش في
رحلة الصيف، إلى الشام، وقد هون
عليه ما الفراق ما حدثت به أمة
عن هواتف البششري في رؤياها
بأنها حملت بسيد البشر، في بيئة
عسرفت ووعت هواتف الرؤى
للحوامل المنجبات. وأن للقافلة أن
تعود، وقد تيقنت أمة من الحمل،
فأشرايت للقاء الحبيب بالبششري،
لكن القافلة غادت وخلفته بيثرب
عند أخواله بني النجار، ريثما يبرا
من وعكة طارئة ألمت به في طريق
الإياب..

وهناك، أدركه الأجل، لم يقبل فيه
هذه المرة أي فداء. ووجد عليه أبوه
وأخوته وجدا شديدا، واحتشدت
مكة لما تم فتاها الذي احتفلت
بفدائه وعمرسه قبل نحو من ثلاثة
أشهر. وترملت عروسه أمة، وفي
كفيها خضاب العرس، ثم انفض
الماتم وهي في حدادها وأساها لا
تكف عن تساؤل: فيم كان فداء عبد
الله وعمرسه المشهود، والمنايا تخط
له لبعده بيثرب؟

حتى أحسست خفقة حياة جديدة
في رحمها، فكانها عرفت سر الذي
كان: لقد أمهله القضاء بعد الفداء،
ريثما أودعها الجنين الغالي الذي
تحمله، والذي يعطى حادث الفداء
تفسيره، ويمنح وجودها كله قيمة
ومعنى..

ومضت أشهر الحمل وأفاق
الحجاز تتجاوب ببشريات المولد
والإرهاصات بالمبعث فتستجيب
لها رؤى أمة، حتى أن وقت
الوضع ومكة لاتزال تحتفل
بنجاتها من (أصحاب الفيل)
فاقترنت آيات النجاة ببشري مولد
اليتيم الهاشمي «محمد بن عبد الله
بن عبد المطلب»

الليلة من بدئها كانت مقمرة
واعدة، يثيرها قدر أوشك أن يكتمل
بدرا وقد جاءها المخاض وقت
السحر وتراءت لها أطياف نورانية
تحف بها فتجلدت لساعة المخاض،
حتى وضعت وليدها مع مطلع
الفجر ففاض عالمها نورا
وانسا وتمثل لها طيف أبيه الحبيب
حاضرا لا يغيب..

في تلك الليلة المقمرة، استقبلت
الدنيا مئات ألوف من المواليد غير
بعيد في قصور الحبشة واليمن
ومحصر والشام والعراق، وفي
سهوب البراري ونجوع البعيد
وكهوف الجبال.. تباعدت بهم
الأعراق والسلالات والأجناس
والألوان وتفاوتت المجتمعات
والطبقات والظروف، وتمائلت فيهم

اليتيم الهاشمي مؤرقة بمساة
أبناء محمد من أطفال شعب
البوسنة والهرسك، لم نحمل من
همهم أكثر من المشاركة في تأمين
خروج شاحنات نقلهم إلى منازل
التغريب ومناقي أشباه اللقطاء،
بعيدا عن معسكرات الموت
ومصارع الآباء وأشباه الأمهات
بين الخرائب والأطلال.

ثم لا أملك سوى أن أصغى إلى
نشيج قلبي ليلة الذكرى لمولد
اليتيم المصطفى، مع رجوع صدى
ممزق من نشيد نجواي:

ليلة المولد جودي بعطائك
وأمنحينا زائدا من عبرتك
أشرقى بالنور في تيه سرانا
ذكرينا بالذي قاد خطانا
واجمعي أشلاءنا تحت لوائك
لنرى أين الطريق
فلقد ضاع الطريق
فتشردنا حيارى ضائعين
وتمزقنا فلولاً، عن يسار ويمين
نمضع الأوهام نستجدي الحياة

.....
ملء دنيانا ركام
من ضحايا المذابح والمجازر
والبقايا، زائدا قهر وحسرة
فانسخى باليلة النور الظلام
لا تمرى خطبة فوق المنابر
أو نشيدا في الحناجر
ذكرينا بالذي قاد الخطا
وهدى الأبصار منا والبصائر
رجعى في ليلنا صوت الهدى
يوقظ الأرواح منا والضمائر
زودينا بعطائك
واجمعي أشلاءنا، تحت لوائك

● ● ●

أما لليتيم الهاشمي المصطفى
لخاتم رسالات الدين، وكان مما من
به الله على رسوله المصطفى في
آيات الضحي:
(ألم يجدك يتيما فإوى، ووجدك
ضالاً فهدى، ووجدك عائلاً
فأغنى..؟)

وعاشت الأم الخالدة ملء قلب
ولدها العظيم وسيرته، وأخذت
الأمومة موضعها الكريم في الدين
القيم شريفة ومنهاجا.
ومجال التقصى لشواهد ذلك
رحب ذو سعة، وقدر منه يدخل في
المعلوم للمسلمين كافة من دينهم
بالضرورة، وإن لم يعلموا
بالضرورة أن من أعظم نعم الله
على الأمومة، آياته تعالى في رعاية
اليتامى وحمايتهم من أفات الظلم
والقسوة، وبؤس الهوان والضياع.
وفيما نتلو من آيات الأصطفاء
لامهات الأنبياء، تتجلى نعمته
تعالى عليهم في أبنائهم.

وأذكر أنني في محاضرتي الأولى
بجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة،
رجوت من زمان أن نلقى الأمة من
ملاجيء للأيتام ترسخ فيهم
الشعور بضيعة البيت، وتعزلهم
تماما عن المجتمع سوى كأنهم
مرضى أو منحرفون وتمنيت لو
أننا نطلق سراحهم ليتعلموا في
المدارس مع سائر التلاميذ
ويشاركوهم المرح في ملاعب
حدائثهم، وتكون الملاجئ (دورا
لابناء محمد) بديلا كريما من
بيوتهم التي خربها اليتيم.

.....
اليوم أجسدى في ذكرى مولد

العدد ١٩٩٢ / ٩ / ١٧

د. بنت الشاطيء

مراجعات:

ظاهرة البدء من نقطة الصفر

والسيد الدكتور الوزير ليس حديث عهد بوزارة التعليم، فضلا عن قدم عهده بالحياة العلمية استاذًا ورئيس قسم طب الاطفال بجامعة القاهرة، ورئيس الجمعية المصرية لطب الاطفال، مشهودا له بسجايا العلماء في نيل التواضع والزهد في بريق الإعلان، ولا استبعد أن يكون القول بأن تكريم السيد الرئيس للمتفوقين ولقاءه بهم تقليد جديد، إضافة من الصياغة الإعلامية، أو لعل شواغل العهد قد انستنا سابقات لنا فيما نحسبه اليوم جديدا علينا.

واقع الامر في حديثي اليوم، أن خبر التقليد الجديد ذكرني بظاهرة البدء من نقطة الصفر. وقياسه عليها مع الفارق البعيد. فلا بأس على السيد الدكتور الوزير من تعلق الظاهرة بالخبر. وسيادته مرجو عندي لأن لا يضيق بذكر الإعلان المنقول عنه، في سياق الإشارة إلى ظاهرة تعودنا عليها، ولا جديد يضعها في مجال النظر سوى أنني قرأت عقب الإعلان عن التقليد الجديد، خبرا علميا مثيرا عن اكتشاف هيكل عظمي بوادي فيران، لإنسان مصري عمره ثلاثة وعشرون ألف سنة، بعد ابحاث ودراسات استغرقت خمس سنين، قامت بها بعثة جامعة الينوي الأمريكية بالتعاون العلمي مع هيئة الآثار المصرية. وأشار الخبر عن هذا الكشف لأقدم إنسان مصري عثر عليه حتى اليوم، إلى وجود ما يؤكد أن الإنسان المصري سكن وادي فيران منذ ستين ألف سنة. (الأهرام: ٣٠ / ٨ / ١٩٩٢)

تساءلت وأنا أطلع خبر هذا الكشف: كم غاب عنا من ماضي مصر العريقة، مد الله في عمرها، مما نحسبه اليوم جديدا علينا؟ وماذا عسى أن تكشف حفريات الغد عن مجهول لنا من آثارنا وتجاربنا وتاريخنا، في غيابة تاريخ ما قبل (إنسان وادي فيران)؟

تتكرر في حياتنا العامة فلوهر تلقانا بين يوم وآخر، فيبلغ من تعودنا عليها أن تغدو كأنها من طبيعة حياتنا، منها ظاهرة البدء على فراغ من نقطة الصفر، فيما تبث فينا أجهزة الإعلام مع كل رئيس أو مدير جديد لإحدى المؤسسات العامة أو الخاصة من الدعاية لما يفتتح به عهده من مشروعات وبرامج جديدة، أنشأها على فراغ بدءا من نقطة الصفر. وتبدو الظاهرة غاية في الشذوذ إذا كان الرئيس أو المدير منهم حديث عهد بديوان المؤسسة وفروعها ونوظفيها، لا يعلم من أمرها وأمرهم شيئا مما يعلمه صغار عمالها في أدنى درجات السلم الوظيفي، يتوارد عليهم رؤساء، عرضة لأن يخرجوا من مناصبهم بسبب أو لآخر، وصغار العمال والمستخدمين باقون في الديوان حتى سن التقاعد، أشبه بخزانة إلكترونية حافظة للمعلومات عن كل ركن وزاوية من مبنى الديوان، وكل صغيرة وكبيرة عن سادة رؤساء، لا يدرى أحد منهم إلى متى يبقى في منصبه؟

الوضع يختلف تماما بالنسبة إلى وزارة من أعرق مؤسساتنا التعليمية، ووزير من كبار اساتذتنا الجامعيين، ويتعلق الأمر بما تبثه أجهزة الإعلام عقب إعلان نتائج امتحان الثانوية العامة، عن استقبال السيد الدكتور وزير التعليم لأوائل الناجحين، وإعلانه أن تكريم السيد الرئيس محمد حسني مبارك للمتفوقين يأتي خلال لقائه بهم خلال شهر نوفمبر [وأعلن الدكتور حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم، أن تكريم السيد رئيس الجمهورية للمتفوقين ولقاءه بهم تقليد جديد حرص فيه السيد الرئيس على الالتقاء بجميع المتفوقين].

الأهرام: ١٧ / ٨ / ١٩٩٢

(٣)

مر بي في المعروف لنا من تاريخنا العلمي الإسلامي، سجل حافل ببواب
شباب كانوا موضع التكريم من الخلفاء والملوك، ومن هؤلاء الشباب من
ارتقوا إلى رتبة الإمامة والصدارة في مجال تخصصهم العلمي، فكان هذا
التكريم معدوداً من مآثر الخلفاء والملوك، يذكر لهم في مناقبهم، منثوراً
فيه إلى الشهادة لهم بتقدير دولتهم للعلم وأهله..

والتفت إلى العصر الذي أتيت لي أن أكون من شهوده، فلا أرى تكريم
المتفوقين من طلاب العلم ببقاء السيد رئيس الجمهورية في شهر نوفمبر
القريب - إن شاء الله - تقليداً جديداً بالنسبة إلى سيادته، فقلنا تمر
مناسبة قومية أو تاريخية دون لقائه بأفواج من الطلاب والشباب. وأقرب
ذلك إلينا شهود سيادته احتفال وزارة الأوقاف بليلة القدر الغراء مساء
يوم الإثنين السادس والعشرين من شهر رمضان الماضي (٣٠/٣/١٩٩٢ م)
بتكريم الفائزين من حفلة القرآن الكريم المصريين وغيرهم، ووزعت عليهم
في ذلك الحفل المشهود بقاعة الإمام الشيخ محمد عبده بالأزهر، جوائز
الحج والعمرة.

وبعد، شهد السيد الرئيس منذ أسبوعين، احتفال وزارة الأوقاف في
قاعة الإمام الشيخ محمد عبده بذكرى المولد النبوي الشريف - وفيه استقبل
سيادته ثلاثة عشر عالماً ومفكراً إسلامياً من مصر والخارج، ثم الشباب
الفائزين في مسابقة الوزارة لهذا الموسم، وقد نال اثنا عشر شاباً منهم
جوائز الحج أو العمرة، ومعهم ثمانية من الفائزين، منحوا جوائز مالية...

التقليد ليس جديداً كذلك، بالنسبة إلى المرحلة المبكرة من الثورة، فلقد
شهدت في عهد الزعيم جمال عبد الناصر، احتفال وزارة التربية والتعليم
بالمتمفوقين في امتحان إتمام الدراسة التوجيهية (سنة ١٩٦٠) حيث لقيهم
السيد الرئيس وصافحهم وقدم إليهم شهادات تفوقهم بحضور المدعوين
من أولياء أمورهم، وكنت منهم..

بل إنه ليس جديداً على العهد الملكي قبل الثورة، فمنذ أكثر من نصف
قرن، احتفلت مصر بالذكرى الثانية لممارسة جلالة الملك فاروق الأول
سلطته الدستورية سنة (١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م) فكان من أعز مراسم الاحتفال،
أن استقبل جلالتهم في القصر الملكي بعابدين (الثلاثة الأوائل من الفائزين

في الدراسات النهائية من طلاب الجامعة الأزهرية والجامعة المصرية
والمدارس العليا، والشهادتين الثانوية والإبتدائية - هكذا مجتمعين - وقبل
تناول الشاي مع جلالة الملك في حدائق القصر الملكي، قدم استاذنا الجليل
«الدكتور منصور فهمي» مدير دار الكتب المصرية، أيام عزها - هدية الدار
إلى كل متفوق تيمناً بهذه المناسبة وتبعاً لترتيب الكليات وأقسامها في
لائحة الجامعة المصرية، تصدر المتفوقون من قسم اللغة العربية بكلية
الآداب، موكب الجامعيين فحظيت بهدية من أغلى ذخائر تراثنا في علم
العربية: (كتاب الخصائص، لأبي الفتح عثمان ابن جني) أحذى علماء
عصره (٣٣٠ - ٣٩٢ هـ) في خصائص العربية. ولم يكن الكتاب من مطبوعات
الدار مظنة الكساد، بل هو في نسختي الهدية من طبعة محررة متقنة لدار
الهلal بالفجالة، سنة (١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م).

فكان الدار اختارته على بصيرة، تراني ومثلي أهلاً لأن نستشرف
مستواه العالي في خصائص العربية، وتحرص على أن يتصدر خزانة
كتبتنا باسم الجامعة المصرية.

وأضيف إلى سابقات جامعة القاهرة في هذا المجال، إحتفال السنوي
بخريجي فرعها بالخرطوم، لا يقتصر على لقاء السيد رئيس الجمهورية
بالمتمفوقين منهم، بل هو على عهدي به في زيارتي العلمية الموسمية
للجامعة - أوائل العقد السابع من هذا القرن - عيد قومي مشهود للشعب
السوداني الشقيق تقدم فيه مصر إليه كل عام، فوجاً ممن تخرجوا في
جامعتها فرع الخرطوم، يصطفون في زيهم التقليدي على جانبي قاعة
الاحتفال العامة بالمدعوين من أهلهم، ريثما يتقدم موكب أساتذتهم في
الزى الجامعي إلى منصة القاعة، فيأخذون أماكنهم مع السيد رئيس
الجمهورية، ثم يبدأ توزيع شهادات التخرج في فرح بهيج..

(٣)

على أن أروع ما شهدته من ذلك، احتفال القرية القرانية في بادية كردفان وفي الزوايا والربط في نجوع المغرب وقراء، بمن ختموا القرآن الكريم من صبية الكتاتيب، حيث تتوافد عليها قوافل الإبل والشاحنات محملة بالهدايا من الأطعمة والملابس والفرش، تشق الدروب مهتدية بنور البدر في لياليه المقمرة، وتهتدي إلى موضع القرية أو الزاوية باضواء المشاعل الساطعة ودقات طبول الأفراح في أعراس (المسيد)..
وكذلك كان عهدي بقرانا في ريف الكنانة وشطوطها، تحتفل بمن ختموا القرآن الكريم من صبية الكتاتيب، ويتنافس سعاة البلد في تبجيل شيوخنا الذين قرأنا عليهم، رضى الله عنهم، والتبرع بما يكفيهم مؤونة العيش وضغط الحاجة.

مراجعة أخرى:

من السيد المستشار محمد سعيد العشماوي، فيما نقلت من مقدمة الطبعة الثانية من كتابه عن الخلافة الإسلامية، في سياق شهادتي على العصر - رقم ١٦ - عن (مشغلة العالم الجديد بالموقع الفكري الإسلامي المعاصر)

راجعني فيه سيادته مستدركا على : أن ذكرت الكتاب باسم (الخلافة الراشدة) وأن ذكرت منصبه مستشارا لأمن الدولة.

[وحقيقة عمله - فيما كتب إلي - أنه رئيس لمحكمة أمن الدولة العليا ومحكمة الجنائيات، وهو منصب قضائي رفيع.. مستقل عن أجهزة الدولة عموما، إذ لا سلطان على القاضي إلا ضميره]..

ثم استدرك على أن نقلت فقرات من مقدمة الطبعة الثانية، ولم أنقل نص المقدمة كاملا ليعرف القارئ ظروف محاولة مصادرة الكتاب وملابساتها وعواقبها..

والحق أن عنوان الكتاب في طبعته الثانية : (الخلافة الإسلامية: المستشار محمد سعيد العشماوي) دون تفصيل لمنصبه القضائي الرفيع، فمعدرة إليه. وذكرته في مقالتي باسم الفصل الذي جاء في الكتاب بعنوان (الخلافة الراشدة) بعد أن تجشمت أشد المشقة والمعاناة في مطالعة هذا الفصل وما سبقه من الأصول العامة للخلافة الإسلامية، وتاريخ الخلافة الإسلامية بدءا بالعصر الجاهلي، يليه (عهد النبي) صلى الله عليه وسلم في مكة وفي المدينة، ثم (الخلافة الراشدة) فتبين لي من هذه المقدمات صياغة السيد المستشار الجديدة للخلافة الإسلامية، وطريقته في التنظير والتأويل، وأسلوبه في الاقتباس والإنتقاء، وعرفت مصادره ومقاصده ومراميه، ومن ثم اقتصررت على الإشارة إلى الكتاب باسم (الخلافة الراشدة) إيماء إلى أن الخلافة الإسلامية فيه مؤسسة على هذا الفصل ومقدماته بصريح تقرير المؤلف عقب كل فقرة من (الخلافة الراشدة)، واستثناسا لهذا الاقتصار بصنيع السيد المستشار في ترجمته كتابه (الإسلام السياسي) إلى الفرنسية، بعنوان آخر، هذه صورته:

"L'Islamisme contre L'Islam"

ثم كان أن أودعت الكتاب في ملف وثائق شهادتي على العصر، واكتفيت بما نقلت من مقدمة طبعته الثانية، مما يتعلق بعنوان مقالتي، موضوع المراجعة.

واستأن في أن أنهى هذه المراجعة بنص ما أنهيت به مقالتي المشار إليه: (ولست بسبيل التعرض ههنا لنقد هذا الكتاب وغيره من مؤلفات السيد المستشار في الإسلام السياسي وتاريخه، إذ لا يشغلني اليوم من أمرها سوى ذكرها شاهدا ومثالا لرواج هذه الكتب في الغرب، ومشغلة العالم الجديد بالصياغة الجديدة لفكر الإسلام السياسي وتاريخه وخلافته الراشدة..)

(والسلام على من اتبع الهدى)

صدق الله العظيم

التاريخ : ٢٤ / ٩ / ١٩٩٢

مراجعات :

الجديد... والأوائل..

شاهدة عصر ٢٠

د. بنت الشاطي

علي أن لا يأخذ حديثة معي صفة المؤاخذه أو المراجعة أو الاستدراك ، أن استروحت من كرم أريحته الي متابعة الحديث في قضية السوابق الجدد من وجهة النظر المنهجية ، فإشير باديء ذي بدء الي عناية سلفنا العلماء بما يعرف في مصطلحهم بعلم [الأوائل] يجمعون فيه ماصح من الأوليات المتعلقة بالتاريخ كاولية بيت الله العتيق ، وأوليات الرسل عليهم السلام كسفينه نوح ومقام ابراهيم ، أوليات خاتم النبيين وأصحابه رضي الله عنهم ، و[الأوائل] في شريعتنا تاريخا : كأول منازل من الوحي وأول من أسلم من الرجال ومن النساء ، وأول مسجد بني في الإسلام ... وإحكاما : كالإذن في القتال ، والهجرة ، وتحويل القبلة ، وسائر الأوائل مما شرع من الأحكام

وقد صنف في (الأوائل) أئمة من اعلام الحفاظ ، كالإمام : ابي بكر ابن ابي شيبه ، المتوفى سنة ٢٣٥ هـ [في كتابه الجليل (المصنف في الأحاديث والآثار) وقد وصل اليها كاملا في طبعة بومباي (سنة ١٤٠٣ هـ) في خمسة عشر مجلدا ، يقع (كتاب الأوائل) في المجلد الرابع عشر منها ، واهتم علماء الحديث والأحكام بهذا العلم ، للحاجة إليه في معرفة ابتداء مشروعية الحكم وخلو الزمان قبله منه ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ ،

لم يكذبني رجائي في الأستاذ الجليل الدكتور حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم ، أن لا يضيق بمراجعتي سيادته فيما نشر من إعلانه عن تقليد جديد يلقي فيه السيد رئيس الجمهورية المتفوقين من الطلاب ، مع ما ذكره من سابقات لمصر في هذا المجال

المراجعة نشرت في شهادتي للعصر رقم [١٩] يوم الخميس الماضي .. وفي صبيحته اتصل بي سيادته هاتفيا ، لا لينكر أو يؤاخذ أو يعتب ، بل ليوضح لي ما أوجز الإعلان عن التقليد الجديد : ليس الجديد فيه لقاء السيد الرئيس باوائل الناجحين في امتحان الثانوية العامة مسابقة الرئيس عبد الناصر سنة ١٩٦٠ ، ولا لقاء حفظة القرآن في احتفال وزارة الأوقاف بالأيام الإسلامية التاريخية ، ولا تكريم الثلاثة الأوائل الناجحين في السنوات النهائية من طلاب الجامعة الأزهرية والجامعة المصرية والمعاهد العليا والمدارس (الثانوية والابتدائية) الذين استقبلهم الملك فاروق الأول بالقصر الملكي بعابدين ، في مراسم الاحتفال بالذكرى الثانية لممارسة جلالته سلطته الدستورية (سنة ١٣٥٦ هـ .. ١٩٣٧ م) ..

بل الجديد في التقليد المعلن عنه في لقاء السيد الرئيس بالمتفوقين ، هذا العام ، هو الاحتفال بتكريم التفوق في مجاله الواسع الرحب ، لا يقتصر علي أوائل الناجحين في الشهادات العامة ، بل يتسع لطلاب وشباب سجلت لهم رسميا اختراعات جديدة وليس عدهم بقليل . ومن نالوا جوائز التفوق في السلوك ، وفي مسابقات عامة يأتي تفصيلها في الموعد المقرر للاحتفال في شهر نوفمبر القريب بإذن الله

واتصل الحواز ببني وبين الأستاذ الدكتور الوزير ، وهو علي العهد به سعة أفق ورحابة صدر . وأعود لأشهد أنني ما ذكرت إعلانه الموجز عن التقليد الجديد في سياق ماتعودنا عليه من ظاهرة البدء من نقطة الصفر . والقياس مع الفارق البعيد . إلا لأنني قرأت وقتئذ نبا الكشف عن هيكل عظمي بوادي فيران ، لإنسان مصري عمره ثلاثة وعشرون ألف سنة .. وأشار الإعلان عن هذا الكشف لأقدم إنسان مصري عثر عليه حتي اليوم ، التي [وجود ما يؤكد أن الإنسان المصري سكن وادي فيران منذ ستين ألف سنة] فكان أن تساءلت : كم غاب عنا فيما مضى من عمر مصر . مد الله في عمرها . مما نحسبه اليوم جديدا عليها ؟ وماذا عسي أن تكشف عنه حفريات الغد من مجهول لنا من آثارنا وتجاربنا وتاريخنا ، في غياة تاريخ ما قبل إنسان وادي فيران ؟

فذلك ما ذكرني بإعلان الأستاذ الدكتور وزير التعليم عن تقليد جديد هذا العام في الاحتفال بالتفوق وتكريم المتفوقين ، وعقبت عليه في مراجعتي التي حدثني بشأنها صبيحة يوم نشرها . وبلغ من حرصه

وأجدي علينا (علم الأوائل) في تصحيح اقوال وآثار كنا نحسبها أوائل وليست بأوائل علي شرط الحفاظ الأئمة . وأخذ جمهرة المصنفين الاعلام في علوم العربية والإسلام بتقليد علمي جليل ، يقدمون فيه لمصنفاتهم بما سبق إليه آخرون في مجال التخصص . وقد ييسطون القول فيما لكل سابق من اثر في خدمة العلم ، وماترك لمن بعده من مجال إضافة : استدراكا لقوات أو تصحيحا لوهم ، أو تكملة وذيلا لما وقف عنده السابق . وأعطى هذا التقليد مقدمات المحققين من المؤلفين مكانها من التقدير والاعتبار ، فبلغ من علو قدرها وقيمتها أن أفرادها علماء كبار بالدرس والتصنيف . وتعتز المكتبة الإسلامية بذخائر ذات عدد وذات شأن ، من كتب : (المستدرک ، والقوات ، وقوات القوات ، والتهديب ، والتحرير ، والتقييد والإيضاح ، والاختصار ، والذيل والتكملة ، والطبقات ... ونحو ذلك من مؤلفات يبدأ فيها اللاحق من حيث انتهى سابقه

ولنا في هذا المجال من الذخائر مالا يقع تحت حصر ، إذ تتوالي الطبقات من اعيان العلماء علي خدمة العلم الذي هم فيه اهل الجهة والاختصاص . وتسجل فهارسنا العلمية تواصل الجهود من القرن الأول للهجرة الي القرن الماضي أو قريب منه ، لا علي وجه التكرار بل الإكمال والاستدراك والتذييل والاستقصاء ، والشرح والبيان ، والتخريج للشواهد من الحديث والشعر .

وعرف لهم التاريخ العلمي ماثور خدمتهم لتراث الشعوب القديمة من

التاريخ : ١٩٩٢/٩/٢٤

(٢)

منهم ، سافروا الي مصر وبابل وفارس والهند والصين ، حيث أخذوا عن الكهنة والعلماء من علم الشرق والحكمة ما تناقله رواد الفكر اليوناني الي مدرسة السقراطيين الكبار ، ومن ذلك العطاء السخى قدم أرسطو قوانينه لعلم التفكير ومنطقة الصورى الذي سيطر علي الفكر الأوروبي زماناً ، ثم غلبت عليه سنة التطور وأخضعته للنقد والتعديل والتصحيح ، بما أضاف الفكر الاسلامي من مناهجه التي صنعت حضارته الرائدة القائدة وأضاعت للغرب الأوروبي ظلمات عصوره الوسطي .

المثال الثاني : اولية سيبيويه شيخ العربية وإمام نحاة البصرة في القرن الثاني للهجرة ، في كتابه (الكتاب) الإمام الذي يتجه إليه التعريف حينما ذكر (الكتاب) في النحو والعربية والذي اشتهر بأنه [كتاب أول في النحو ، لم يسبق سيبيويه إليه أحد] وذاعت شهرته بهذا السبق فحجبت عن أجيال من المشتغلين منا بالنحو . فضلاً عن عوام المثقفين . قضية الكلام في نسب (الكتاب) الي سيبيويه ، قيل إنه إنما - أخذ عن شيخه عيسى بن عمر النخعي ، كتابه (الجامع) وبسطه وحشى عليه من كلام شيخه ، الخليل بن أحمد ، وغيره . وكان كتابه الذي اشتغل به ، فلما استكمل البحث والدرس والتحشية نسيه الي نفسه . واستدل الفاضلون بهذه المقالة بما نقل أن سيبيويه لما فارق عيسى بن عمر ، ولزم الخليل ، سأل عن مصنفات عيسى بن عمر ، فقال له سيبيويه : قد صنف ثلثاً وسبعين مصنفاً في النحو جمعها أحد سراً البصرة فأتت عليها عندها أمة ذهبت بها ولم يبق سوى تصنيفين : أحدهما (الإكمال) وهو بفارس ، و (الجامع) وهو هذا الكتاب الذي اشتغل به عليك . وأسالك عنه .

القضية شغلتنني في رسالتين للماجستير والدكتوراه عن (الشواهد القرآنية في كتاب سيبيويه) ثم (الشواهد القرآنية في كتاب المغنى لابن هشام) أنجزتهما بإشرافي ، الدكتور سهيذ محمد خليفة ، الأستاذ بكلية البنات بجامعة الأزهر ، وأطمأن بنا النظر النقدي الي أن خدمة سيبيويه للجامع وتحشيتها عليه بعلم الخليل وجهد التفرغ للاشتغال عليه ، أخرجه جديداً في (الكتاب) فذلك كان صنيع المصنفين المتقدمين في العلوم النحوية ، في الجمع والتحصيل والتكملة والتحرير .

ويظل (الكتاب) شاهداً علي اولية مسبوقة بعلم عيسى بن عمر وعلم الخليل ، وعشرات آخرين من مقدمي نحاة البصرة في القرن الثاني للهجرة ، فيقول « أبو إسحاق ابن النديم : كُتِبَ القرن الرابع ، في كتابه (الفهرست) : وقرأت بخط أبي العباس ثعلب : اجتمع علي صنعة (كتاب سيبيويه) اثنان وأربعون ، منهم سيبيويه ، والأصول والمسائل للخليل . »

وتمضي القرون و (الكتاب) في موضعه من الصدارة والإمامة ، تعاقب أئمة النحاة ، مشارقة ومغاربة ، علي خدمته تحريراً وضبطاً وشرحاً وتغريباً واستدراكاً ، وتخريجاً لشواهد .

وببقي باب علم النحو مفتوحاً لإضافات أجيال خالفة يعتبرون بقوله عن وجل :

(وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) صدق الله العظيم

الفكر والعلم ، وتسجل تراجم علمائنا الرياضيين والفلاسفة والطبعيين والحكماء ، ما أفادوا من ذلك التراث ، وما أضافوه إليه . شواهد تأصيل للقاعدة المنهجية المقررة في علم الانسان الكسبي ، لأبيدا عالم أو مفكر علي فراغ من نقطة الصفر ، ولا يوصد الباب فليس للاحق فيه مجال ، ولا لقاتل بعده مقال

اليوم مع رواج سوق التأليف والنشر ، وتعاضف حاجة أجهزة الطباعة والإعلان والإعلام الي البضاعة الحاضرة من الكلام ، يكثر ان نقول بأوائل ثم يظهر من الوثائق العلمية أنها ليست بأوائل ، حتي نخل القول بجديد غير مسبوق إليه ، فيما نشعر تجاهه بحساسية خاصة تحمّلنا علي التوقف فيه ، شأن سائر القطع بأحكام كلية لا تقوم علي استقرار ، نفيًا أو إثباتاً ..

المجال المحدود لهذا المقال ، لا يتسع لأكثر من شاهدين أو ثلاثة لما اشتهر فينا من أوائل صح للنظر النقدي الثاقب أنها ليست كذلك ...

المثال الأول : لأرسطو المعلم الأول . وقد أقر له بهذا اللقب مفكرونا الاسلاميون باعتباره رائد علم التفكير وصناعة المنطق لمرحلة في تاريخ الفكر اليوناني ، لا علي أنها اولية مطلقة بدءاً من نقطة الصفر ، بل اولية مرحلة قبلها وبعدها مراحل ليس فيها جدال .

فأرسطو ثالث الثلاثة (السقراطيين الكبار) انتهى إليه علم استاذة افلاطون بما حمل من علم إمامهم سقراط مؤسس المدرسة السقراطية (٤٧٠ - ٣٩٩ ق م)

وهذه المدرسة قد انتشعت بلا ريب ، بما قدمته بواكير الفلسفة اليونانية في عصور ما قبل سقراط ، من محاولات الجادة لكسب المعرفة وما وصلت اليه من نتائج ذات بال ، منها : المدرسة الايونية التي أسسها «طاليس» في النصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد ، ومدرسة فيثاغورس الرياضية . (٥٧٠ ق م) ثم المدرسة السوفسطائية التي قامت للبحث عن الحكمة . ومنها اشتهرت اسمها . وبذل روادها الأوائل في القرن الخامس قبل الميلاد جهوداً مضنية في سبيل الوصول الي معرفة يقينية بوسائل مأمونة وضوابط ثابتة . وانتهى بهم الجهد الي عجز العقل والحواس عن إدراك معرفة يقينية ، وأرهف التامل مطلقهم الجدلي ، ومضي الرواد وخلقهم تلاميذ استغلوا قدرتهم الجدلية ، وترافعوا في القضايا لحساب من يأجرهم ، وطاقوا بانحاء اليونان يرتزقون بمنطقهم الجدلي ، فانتقلت بهم السوفسطائية من مفهومها لدي الرواد ، البحث عن الحكمة ، الي السفسطة بمدلولها الشائع من المماراة الفاحشة والجدل العقيم

وهذه المدارس المبكرة من الفكر اليوناني ، مسبوقة كلها بتراث الشرق القديم ، مهد الديانات والمدنيات . وليست أسبقيته موضع خلاف اعلمه ، كما لأخلاف في اتصال لفلاسفة اليونان بعلم الشرق القديم وينقل المستشرق الإيطالي «جويدي» في محاضراته بالجامعة المصرية في (علم الشرق وتاريخ العمران) عن مصادر يونانية ، أسماء علماء وفلاسفة

التطرف في فكر المثقفين ، وأزمة فقدان العناصر الفكرية والوجداني بينهم

د. بنت الشاطي

على الساحة الثقافية يتقابل المفكرون والأدباء في ملتقى الأضداد ، موزعي الانتماء بين شتى المدارس المتنافرة والمذاهب المتناكرة والنظم المتناحرة . وفي النقع المثار من المعتك الصاخب ، تضل الرؤية بعزل مشكلة التطرف عن أزمة فقدان التعاصر بين أبناء جيلنا المنوط به التوجيه الفكري والوجداني للمرحلة .

الشعور بالغربة بين أبناء جيلنا ، ليس جديدا علينا ولا طارئا من نوازل المرحلة ، فمنذ خرجت الى الحياة العامة ، قبل عشرات سنين ، كان الإحساس بوحشة الغربة يثقل علينا ويكلفنا من أمرنا عسرا . وفي هزة القلق المرهق ، حسبنّاها ظاهرة عارضة لمرحلة انتقال صعبة تحمل ميراث قديمها العتيق الأصيل ، في مواجهة تيارات الانفتاح على جديد الغرب الأوروبي ومحدثات ثقافته ، فتجلدنا لمشايق التجربة على رجاء أن تقرب بيننا الصبغة الجامعية . وأن تروضنا الزمالة في ميادين الحياة العامة على قدر من الألفة والانسجام ، يريحنا من وطأة القلق المرهق بصراع القيم ...

وأرانا اليوم نكابذ هموم زماننا بأشد ما كنا عليه في شبابنا من وحشة وتنافر ، لم يطف من غربتنا كمر الغداة ومر العشي ، بل زاد ضغطها علينا بما يصطخب على الساحة الثقافية من تصادم تيارات تشق مجراها في فكر المرحلة بين هوج الأعاصير ، مضافا إليها من آفات الغربة والتنافر ، ما انكشف لأبصارنا ووعينا من حركة تبديل المواقف ما بين أقصى اليمين وأقصى الشمال ، فيما يشبه رقصة البهلوان في معارض أسواق البضاعة الحاضرة لتجار الأقلام ، و [كرنفال] المبادئ والشعارات ، وليسوا بحيث يشغلوننا اليوم ، فما يظهرون على الساحة الثقافية إلا ريثما تنكشف بضاعتهم بمجرد أن تفتت دقائق طبول الدعاية ورنين أجراس الإعلان

(٢)

الذى يشغلنى اليوم بهواجس الغربية ان مضت الايام وتمضى فما زادتنا إلا غربة وتناقرا :

فيما مضى كان الصدام بين قديم وجديد ، بين شد المحافظة وجذب العصرية ، قد يرى فيه بغض المفكرين ظاهرة حيوية ونشاط ، وصمام أمن يحفظ للأمة عريق ميثاقها وأصيل تراثها ، مع إضافة جديد عصرى تترن به شخصيتها بين جبرية الوراثة وحتمية التفرد وسنة التطور ، حتى ظهرت نازلة التطرف حادة شاعلة ، معزولة فى ظاهر الرؤية عن إيغال الغربية بين أبناء جيلنا الواحد وليس بين جيلين من أبناء ، كل جيل منهما خلق لزمان غير زمان سالفه وخالفه . واتسع مجال الصراع بمئات من المقالات ، كل مقالة منها توقد شعلة فى معتبرك الصراع ، لنصبح ونمسي على عدد من الشعل المتقدة ، بعدد الذين اتبعت لهم منابر الراى . وتضخم ملف النازلة ولايزال المجال متسعا لمزيد لاتبدو له نهاية : كل مقالة تقدم حلا مظنة حسم ، ثم لايمضى على نشرها يوم واحد أو بعض يوم ، حتى تحجبها أخرى ، فنصبح ونمسي وماندرى الى أين يقضى بنا هذا الدوار بين مد وجزر ثم جزر ومد ..

وتفانى الدعاة من اعلام مفكرينا فى صياغة جملة مبادئ كلية مرجوة لأن تكون موضع اتفاق بين شتى الطوائف والمذاهب والاتجاهات ، تلتقى عندها دون تفريط فى خصوصية مبادئها أو مساومة عليها ..

ويشهد واقع الحال أن الأمر أشق وأعسر من أن يجمع هذا الشتات المبعثر من الغرباء فى منظومة موحدة من صياغة مفكر إن يكن موضع اتفاق على تقديره فغير متصور أن تجمع على مذهبه طوائف ومذاهب وأحزاب شتى (كل حزب بما لديهم فرحون .)

وتوالى ندوات تتكلف كل منها جهد المحاولة لرأب الصدع ولم الشمل ، فى حدود مايتفق عليه من توصيات تذاع فى الجلسات الختامية لأيام معدودات ، وقد تشق الندوة منها على نفسها وعلينا بان نخط لنا حدا وسطا تلتقى عنده الأطراف المتباعدة المتنازعة ، كبها لظاهرة التطرف ، وتواصلت ندوة أخرى بميثاق ملزم لكافة مثقفى الدول الممثلة فى الندوة الدولية ، تحت رقابة لجنة من أعضائها المتابعة مواقف المثقفين العرب كافة من ميثاق ندوة ليست فى جملتها وتفصيلها موضع اتفاق ..

فى مثل هذا المعترك الصاخب ومايحف به من محاذير وشبهات ، تكلف الأشياء ضد طبيعتها إن رجونا رأب الصدع بمثل هذه الوسائل الذاتية والتعلق بما يتعزز الاتفاق عليه ، وغاية ما نملكه أن يتجه النظر الى ملامح تقارب يرجى أن تكون موضع تفاهم نقاوم به شد التجاذب والتمزق ، ويجنبنا مرارة العداوة والبغضاء ، وأزمة التطرف والأغتراب

أقرب المرجو من ذلك: أن يلتقى المتدينون ، المسلمون والنصارى واليهود ، عند وحدة الاصل والغاية ، يحمل المسلمون ، بما هم حملة ختام رسالات الدين ، تكليف الدعوة إليها والاقناع بها ، بمقتضى قوله تعالى تكليفنا لامتنا :

(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون .)

وقوله عز وجل خطابا لتبينا المصطفى خاتم الرسل عليهم السلام:

(٣)

[قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اولياء من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا باننا مسلمون .]
كما يحمل المسلمون امانة الالتزام بالمنهج الاسلامي للسلوك مع من ليسوا على ديننا بمقتضى الآية المحكمة :
(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون .)
مع ما ينبغي تقديره من ان هذه المبادئ التي تلزم المسلمين شريعة ومنهاجا ، يصعب ان يؤخذ بها من لا يدينون بالاسلام . وهذا الملحظ مما يضاعف مشاق التكليف على من الزمهم الله جل جلاله كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها ، إقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته اصحاب بيعة الرضوان رضى الله عنهم ، في صبرهم على جهالة المشركين من قريش وحميتهم الجاهلية في المفاوضات على (هدنة الحديبية) وفيهم نزلت آية الفتح :
(إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها ، وكان الله بكل شيء عليما .)
ولسنا نطمع في زماننا البائس في ان نبلغ ذلك المستوى العالي لعصر النبوة ، لكن الزمان لا يخلو ممن هم اهل لأن يستشرفوه ويتساموا بنا إليه ، بما حملنا من الرسالة المنوطة بهذه الامة في قوله عز وجل :
[ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون .]

وبقدر ما نخلص الجهد لنزع فتيلة الطائفية الدينية التي اقحمت على ظاهرة الإرهاب المسلح ، ينجاب دخانها عن أزمة فقدان التعاصر بين ابناء جيلنا ، لتظهر في مجال الرؤية لنوازل التطرف الفكري بدروبه المتشعبة ، الناشبة في وجودنا المعاصر ...
وفقدان التعاصر بين الأجيال ، سألقة وخالفة ظاهرة طبيعية تعر بها الدنيا في كل مراحل الخضمرمة والانتقال للكائنات الحية ، مادية ومعنوية لكنها في قضيتنا اليوم ، بين ابناء جيل من بلد واحد ومنطقة مشتركة ، ينتمون زمنيا الى عصر واحد ، وينتمون فكريا ووجدانيا الى عصور متباعدة متباينة ، وبيئات ثقافية متنافرة متناكرة ، دون قدر مشترك من الملامح التي تنميهم الى امة واحدة وعصر واحد ، ودون نقط اتصال يلتقون عندها ليكون تفاوتهم في خصائصهم الذاتية ، ظاهرة طبيعية محكومة بجبرية الوراثة وحتمية التفرد ومنطق التطور

(٤)

ولا أقول بشذوذ ظاهرة فقدان التعاصر بين أبناء جيلنا ، بل أحاول فهمها وتفسيرها فأراها أثرا محتوما لتفاوت بعيد في ظروف نشأتنا ومناهل ثقافتنا ومبادئ مدارسنا ، أعوزتنا معه المعاصرة الفكرية والوجدانية بين شتات المثقفين العرب .
نحن جميعا ننتمي بأقرب ميراثنا الى عصر الاستعمار الصريح . وفيه عطلت الطاقة العقلية لمن تتاح لهم فرصة التعليم في المدارس الحديثة التي تحولت الى مصانع لسبك ماتحتاج اليه أجهزة الدواوين من أجهزة بشرية . وفتحت الأبواب للبعثات التبشيرية والإرساليات الأجنبية ، الدينية والعلمانية ، من كل طائفة وملة لتوغل في صميم الوجود المعنوي للأمة وتفتن تلاميذها بما توصل فيهم من عقدة الشعور بالنقص .
وفي أقصى الطرف المقابل كان الأزهر والمعاهد الدينية تخرج صنفا آخر من الطلاب أريد لهم الانفصام عن الغرب المستعمر وحصنوا ضد بدع محدثاته .
وماج الفراغ السحيق بين الطرفين المتقابلين بتيارات اجنبية شتى تجتاح الحمى المستباح لا تصدها حواجز أو سدود .
وشغلت الأمة في مصر ، وفي سائر وطننا العربي وشرقنا الاسيوي الأفريقي بنضالها السياسي عن وجودها الفكري ، وخلا الجو أو كاد لتيارات الغزو الفكري فإزدادت أزمة فقدان التعاصر بين أبناء جيلنا حدة وتعقيدا ، وضح الميدان بدوى الصدام بين قديم وجديد ، ويمين ويسار وشرق وغرب ، وفي دوامته العنيفة اهتزت موازين القيم واختلطت المفاهيم وضلت المقاييس ، وتمزقنا طوائف وأحزابا ، ومضينا طرائق قدا :
ومضى ذلك العهد باوضاعة ، لكن بعد ان خلفنا غرباء ، لم نلتق في طور التكوين والنشأة والتلقى ، فشق علينا ان نلتقي في مرحلة الرشد .
فينا من يتلقى زاده الفكري والوجداني من نبع شرقي صميم يعتز باصالته ومناعته ضد تيارات المسخ والتشويه . وفينا من أمضى مرحلة حضارته العقلية والتكوين النفسى في بيئة عزلته عن وجود أمته ، ودخلنا الميدان الفكري والثقافي ونحن نحمل . رضينا أو كرهنا . ميراثنا المحتوم ونسير في اتجاه لانملك أن نحدد عنه ...
وهكذا التقينا وثلتقى ، ونحن فيما بيننا غرباء

هل يشق علينا والعالم الجديد بتربص بنا الدوائر ، ان لاننسى في غربتنا الثقافية وتطرفنا الفكري أننا نواجه معا معركة وجود ومصير ؟

واتلوا من آيات ربى ، جل جلاله :
(قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين .)
صدق الله العظيم

هـ. إنتت الشاطي

في معركة التحدي:

تتوالى النذر، وبعضنا لبعض نذير

كم شق على الناس أن يطالعوا يوم الثلاثاء قبل الماضي.
المشاهد المروعة لما روى الزميل «الأستاذ فهمي هويدي» في
(سجل العار في البوسنة..) نقلا من صور الضحايا وأقوال
الشهود ومستندات الوثائق في مسرح الأحداث!

شهود العصر. وأنا منهم - لم يباغتهم هذا السجل المروع بما
لم تتوالى به النذر منذ نشر الزميل «الأستاذ إبراهيم نافع»
رئيس تحرير الأهرام» في صفحة كاملة من عدد الجمعة التاسع
والعشرين من شهر مايو الماضي (القائمة الأولى) من الحصاد
المشئوم لحرب الإبادة الجماعية لشعب البوسنة والهرسك، ودك
محالم جمهوريتهم الإسلامية، ومطاردة الهاربين من معتقلات
الموت وقطائع جرائم الاغتصاب لنسائهم وبورهم ...

وأخشى مع ذلك أن نكون في أخذة الدوار من صدمة القائمة
الأولى للحصاد المشئوم، قد فاتنا أنها في مقال الأستاذ إبراهيم
نافع، شاهد ومثال لما يجري مثله في سبع وثلاثين دولة
إسلامية. طبقا لأحدث الإحصاءات الدولية - وفاتنا كذلك النذير
الصادع بأن ما يجري في البوسنة والهرسك من القائمة الأولى
للحصاد المشئوم إنما هو نموذج صارخ لما يتعرض له

المسلمون في محنة أحملة شرسة بالحديد والنار، قصدا إلى ضرب
الإسلام إذ هو الخطر الأكبر الذي يهدد العالم الجديد وحضارته، كما
تروج «الميديا» الصهيونية المنتشرة في عواصم الغرب، لتحريض سياسة
الحرب الجديدة ضد كل ما هو مسلم ..

وكان السؤال بعد هذا النذير بالقائمة الأولى: «ألا من نهاية؟»
وفيما يشبه أن يكون إجابة عن هذا السؤال، جاء العرض المروع
لمشاهد (سجل العار في البوسنة) بعد أربعة أشهر من نشر القائمة
الأولى، لم تمر منها ساعة من ليل أو نهار دون نباح مفزع من مناسي
التطهير العرقي وجرائم الاضطهاد الديني، مما يجري في (معسكرات
الموت، ومعتقلات الجنس) وأهوال الحصار ومطاردة جنائز الضحايا
وقطع الطرق على قوافل الإغاثة ..

(٣)

حتى بدا كان عالم اليوم المتحضر قد مل العرض لهذا المسلسل المزعج، فتكفل «رجل آخر الزمان» بحركة التصفية لجولة اليوسنة والهرسك ونظائرها، بعد أن أدت دورها المرسوم في اطمئنان عالم اليوم إلى (غياب الدور الإسلامي والعربي عن الساحة الدولية بعد حالة التمزق التي أصابتها في أعقاب حرب الخليج وأنهيار الاتحاد السوفيتي..). وبدأ الإيدان بحركة التصفية لمسلسل الرعب، بما تناقلته وكالات الأنباء من (نيويورك وبلجراد) من أن «الجنرال باول رئيس الأركان المشتركة الأمريكية أعلن رفضه القاطع للتدخل العسكري ولو كان محدودا لحماية شعب اليوسنة والهرسك من العدوان الصربي...» وقال وقد ارتسمت على وجهه علامات التعجب في مقابلة نشرتها صحيفة نيويورك تايمز: «إنني لأعلم في الحقيقة كيف يمنع القصف الجوي المحدود الصربيين من ممارسة مايجري في اليوسنة الآن» وأشار إلى أنه لا ينبغي استخدام القوة إلا بعد أن يتضح الهدف السياسي. (الأهرام ٩٢/٥/٢٩)

وتفاخرت حملات الإبادة الجماعية، ونشرت تقارير عن إجبروا على حمل جثث إخوتهم من معسكرات الموت إلى محرقة في مجزر للدايتية، وعن فضائح فحش الاغتصاب في (معتقلات الجنس) لبيئات المسلمين وزوجاتهم...

وكانما أرادت أمريكا أن تستر وجهها القبيح بصيغة إنسانية روجت لها أجهزة إعلامية، فكتفت عما لديها من وثائق العار عن (أكبر عملية تطهير عرقي تشهدها سرايفو منذ حصارها قبل ستة أشهر)، وأعلن المركز الطبي هناك أن عشرة آلاف طفل قتلوا أو فقدوا خلال تلك الأشهر الستة، فكان أن أعلنت أمريكا أنها بصدد إعداد مشروع قرار سيعرض قريبا على «مجلس الأمن يقضى بتشكيل (أول لجنة لجرائم الحرب، بعد محاكمات نورمبرج المشهورة). ثم أذيع من واشنطن خبر موافقة مجلس الشيوخ الأمريكي على تفويض «الرئيس بوش» تقديم مساعدات عسكرية إلى اليوسنة، تقدر بخمسين مليونا من الدولارات... ذلك بعد أن لم يبق هناك سوى أنقاض الخراب وأشباح الهائدين في تيه العالم المتعدين..

ونعود على بدء إلى السؤال الوارد على القائمة الأولى لحصاد حرب الإبادة الجماعية لشعب اليوسنة والهرسك ودك قواعد جمهوريته الإسلامية: «ألا من نهاية؟»

وأسأل معه: هل عرفنا البداية لما لا تبدو له نهاية؟ من حيث لا يصبح في منطق الأحداث أن نؤرخ هذه القائمة الأولى لتوافيت بناء الجولة المروعة... في ذلك الأمر الرؤية أنها مسبوبة بحرب الخليج وأنهيار الاتحاد السوفيتي وظهور وعصر (رجل آخر الزمان). ويفترض منطق الوقائع أن دخان حرب الخليج وشظاياها عاصفة الصحراء وأنقاض بنيان الاتحاد السوفيتي، حجت المداخل إليها من حرب أفغانستان وحرب (إيران - العراق) وهذه حجت بدورها المداخل إليها من حرب الأيام الستة المشنومة من يونيو سنة ١٩٦٧ التي حجت بدورها حرب (س - اليمن).

وعلى هذه السياجية الأسبوعية المكثفة بأشلاء القتلى وأنقاض الخراب، فترى حركة التفاف مأكرة لتطويق العالم الإسلامي بالأخود الرشيب، فترى دوافع الصحاحا لحرب البغي والغبن الحارقة من الصحراء المغربية والجزائر والشمال الإفريقي إلى الشرق الأقصى، يروا بالصومال والقرن

(٣)

الأفريقي والسودان وموزمبيق وباكستان وبورما، ليلتف متجها إلى
سراييفو عبر تركيا ...
عندئذ تستوعب النظرة الثاقبة، أن هذه الحروب على تباعد مواقعها
وتعدد جولاتها وتفاوت أسلحتها ومداخلها وذرائعها، إنما هي جولات
معركة شرسة من الفتن الحاصدة ومجازر البغي المدمرة، منا وقودها ومنا
موقدوها. منا الفريسة ومنا الذئب، منا الشهداء ومنا قتلهم .
* * *

في ظل أمريكا وحلفائها تقوم محميات عسكرية في وطننا العربي
لحماية الدار من أهل الدار ومن أقرب جار. وتحت مظلتها تدور رحى
الحرب بيننا ليأمن بعضنا شر بعض .
والمساومات على الأحلاف تجري منا علينا، وماتزال صفقات الأسلحة -
المقطوع بحظر استعمالها للدفاع ضد طاغوت هذا الزمان - مجال سباق
على أسواقنا بين قادة عالم اليوم. تستنزف أرصدتنا وأقواتنا، وتضيق
الضناق على رقابنا باغلال الديون الفاحشة وفوائدها الباهظة، لتزويد
إسرائيل بأحدث الأسلحة المتطورة، والتمكين لها من ممارسة أخرى
إرهاب عنصري جماعي، مكفول بالفيديو الأمريكي للشرعية الدولية
وماتزال جولات (المشروع الأمريكي للسلام في الشرق الأوسط) يتنقل
المدعون إليه على رقعة الشطرنج لا يدري أحد منهم متى ولأين تكون
الجولة التالية .

فهل تدري شعوب العالم الإسلامي، متى وأين وعلى من يأتي الدور في
الجولة التالية لمسلسل الرعب، بعد تصفية جولة البوسنة، وكيف يرجى
أن تواجه معركة وجود ومصير، وبعضنا لبعض عدو؟
أي رجاء لنا في أن نحشد لمعركة التحدي مع قادة العالم الجديد وهم
يتربصون بنا البوائر ويغرون بعضنا ببعض لنخرب تيارنا بأيدينا
ويقتل بعضنا بعضا؟
* * *

هكذا توالى النذر الصاعدة، فما اعتبرنا بها
فلنتدبر عبرة التاريخ وأية الاعتصام:

قبل الإسلام توالى على عرب يثرب، الأوس والخزرج، حروب ساحقة
لدى خمسة قرون، خب فيها اليهود ووضعوا بالفس والفتنة والكيد
والتواطؤ، تأمينا لوجودهم المقتصب منذ طرأوا على الأرض الطيبة
شمالي الحجاز فرارا من وطاة الرومان الساحقة، وكانت آخر حرب
أوقدوا نارها بين الأوس والخزرج يوم بعث .
ثم أنعم الله عليهم بالإسلام فدخلوا فيه إخوانا في الدين وأنصارا لله
ورسوله، وألف بين قلوبهم ونسخ ما كان بينهم من ميراث الثارات
والأحقاد .

في أوائل الهجرة، مر شاس بن قيس - وكان شيخا يهوديا - ديد
الاضغرن على الإسلام - على نفر من الصحابة الأنصار، الأوس والخزرج في

(٤)

مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فخاله، مارأي من الفتنهم وصالح ذات
بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة
والبغضاء. فقال يحدث من معه من يهود: «قد اجتمع أمر القوم بهذه
البلاد، ومالنا إذا اجتمع أمرهم فيها من قرار». ثم أمر شابا ممن معه من
يهود، أن يجلس معهم ثم يذكر يوم بعث وينشد لهم ما قالوا فيه من
أشعار. ففعل الشاب ما أمره به، فتفاخر الأتصار وصاحبت حميتهم
وتواعدوا على اللقاء بموضع الحرة في يومهم ذلك، وانطلقوا في أحياء
الأنصار يتداعون إلى الحرب ويتصايحون: السلاح السلاح، ووجعت دار
الهجرة وهي تسمع صيحة الحرب. وجاء المصطفى عليه الصلاة والسلام
في جمع من صحابته فادرك القوم بالحرة وقد هموا بقتال فقال: «الله
الله! أبعدوا الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام
واستأنقذكم من الكفر والفسق بين قلوبكم؟» -

خشعوا جميعا وعرفوا أنها مكيدة عدوهم فبكوا وعانق الرجال من
الأوس والخزرج بعضهم بعضا.

ويطل سم هذه الفتنة وخاب كيد يهود.

وتلا المصطفى صلى الله عليه وسلم من آيات الاعتصام:

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ
كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا
حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون.
ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر،
وأولئك هم المفلحون. ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد
ما جاءهم البينات، وأولئك لهم عذاب عظيم.)

ومرت الأيام والأعوام لأكثر من أربعة عشر قرنا من الهجرة، لم تنقطع
فيها تلاوة آيات الاعتصام في دوزنا ومساجدنا وزوايانا من أقصى
المشرق إلى أقصى المغرب. وإنما استحضرها في هذه الساعة، وقد
طالعت في أهرام السبب الماضي، مارصده لنا مراقبنا السياسي (من
قريب) ردا على من يتلقون بالقولة الساذجة الرائجة فينا عن تفضيل
فور «بوش» على منافسه «كلينتون» في معركة الانتخابات الأمريكية.
فبذلك، أيضا الراصد (من قريب) خلاصة الامتحان الذي أداه كلاهما في
مؤتمر «جمعية بتاي بريث اليهودية» أمام اللوبي الصهيوني (حيث لم
يفتلقا، في موقفيهما من الشرق الأوسط، على نقطتين جوهريتين: الأولى
معارضة قيام دولة فلسطينية، والثانية هي التعهد بضمان بقاء التفوق
العسكري لإسرائيل على جميع دول الشرق الأوسط، بما يؤكد امتداد هذا
التفوق العسكري لإسرائيل على دول أخرى غير عربية، مثل إيران
وباكستان ..)

واتلوا مع آيات الاعتصام، قوله عز وجل في (سورة القمر):

(ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مزجج. حكمة بالغة فما تغن الذر.)

صدق الله العظيم

د. بنت الشاطي

الإسلام والعالم الجديد: الوجه الآخر لمعركة التحدي

معذرة إلى امتي،
صدمتني رجة الزلزال الذي ضرب مصر أمس الأول وأنا اقضي
أيام هذا الأسبوع مع طيف ولدي الوحيد، فقيدي الغالي «المهندس -
أكمل أمين الخولي» في الذكرى السنوية الأولى لرحيله فجأة في
عز شبابه . فكانني القاه في كل ضحية من ضحايا الزلزال المباغتت
، وأخذني من دوار الصدمة ، أن هممت بالاعتذار عن تأخير ماكنت
أعدته لحديث اليوم عن (الإسلام والعالم الجديد)
لولا أن تمثل لي طيفه يلومني على ماكان من نيتي التفريط في
لقاء اليوم بآبناء امتي لكي القاه، وكأنه لم يكن معي منذ رحل
عني، ملء وجودي وديني، ملء خواطري وهو اجسي ورؤاي، لم
يخب عنى قط في لحظة من ليل أو نهار في ماتم شهادته التطهير
العرقى ، والاضطهاد الديني، ومصارع ضحايا القتل المسعورة
والبقي الحاصد للملايين من أبناء الأمة.

وأرأى عتابه مواجعا لما تكابد قلوب شعب البوسنة والهرسك، ولم يبق
من جمهوريته المسلمة سوى حشجة احتضار لجولة التصفية التي أراد لها
طاغوت هذا الزمان أن تكون مرعبة مروعة، زاجرة رادعة، إنذارا بما ينتظر
العالم الإسلامي في معركة التحدي التي احتشد لها العالم الجديد بمثل هذه
الوطاة الشرسة، لكي تستبقى الدول الإسلامية غائبة عن مركز التوجيه للدور
المفروض عليها، لاهية بما هي فيه من بؤس التمزق الانتحاري وبلادة
الحس، على شفا حفرة من النار، بعضها لبعض عدا..
وفي مناخ صامتة، تساءلنا معا: هل يامن طاغوت هذا الزمان، الوجه
الأخر لمعركة تحدي الإسلام، بتمرد شعوبنا على أفاعيل ضربه بعضنا
ببعض، ورفضنا لما نسام من هو ان يثير فينا ميراث المقت للغرب المتعجرف،
وأزدرأ مدنيته التي كثف جرعتها من الشرعية الدولية لما يجري على العالم
الثالث من ويلات وأهوال؟!

(٣)

واحتسبت عند الله ما ألقى ويلاقى أهلى و أمتى من مجاهدة دواعى
الشهر والأحباط ولعنة القذوط وجمعت شتات ذاتى لأقدم هذا المقال عن
(الوجه الآخر لمعركة التحدي).

ميراث ذلك المقت والأزراء موغل فى ظلمات عهد الاستعمار، حجب عن
تاريخنا المدرسى مارب اليهودية العالمية من ويلات الاستعمار الذى ارتبط
بالتأثر الصليبي فى وثائق شهود عنفوانه الغربيين فى القرن الماضى. فما
رضيت اليهودية العالمية لأوروبا النصرانية أن تنام عن ثارها أو تخفى
للاسلام أن امتدت فتوحه الكبرى من أقصى الشرق الآسيوى إلى المحيط
الأطلسي. وارتفعت راية نبي الاسلام، عليه الصلاة والسلام على اسبانية،
المملكة النصرانية الكبرى، وحل الهلال محل الصليب فى القسطنطينية
عاصمة الروم التاريخية العريقة، التى جعلها الترك العثمانيون عاصمة
للخلافة الاسلامية بعد سقوط بغداد فى مهب الأعصار التتري بعد منتصف
القرن السابع للهجرة (٦٥٦هـ).

ولقد استمرت المسيحية مملكتها فى اسبانية بعد ثمانية قرون للإسلام
فيها، كان منار حضارته خلالها يخضع مسرى الغرب الأوربي من ظلمات ليل
عصوره الوسطى إلى فجر النهضة الحديثة، وأعقب سقوط غرناطة آخر
معقل للإسلام هناك سنة ١٤٩٢م من أهوال محاكم التفتيش وحصارها
الرهيب، ما كان يكفى لأن يشقى غليل التار الصليبي، مع ما تاكل من الممالك
الإسلامية بالشرق الآسيوي، فى الهجمة الاستعمارية التى اعتقت رحلة
سفنينة «فابيسكو داجاما» من البرتغال إلى بحر الهند عبر مضيق ماجلان
والساحل الشرقى لأفريقيا بقيادة الربان «أحمد بن ماجد السعدى النجدي»
بعد ثلاث سنين فحسب من ضياع الأندلس.

ولم يشفق غليل التار، وسدنة المال من يهود أوروبا يمدون أعينهم إلى
كثوز الشرق الاسلامي كله، وفيه شعوب لم يسبق لها قط. أن دانت
بالنصرانية التى اتخذتها (اليد الخبيثة) قناعاً لموجة استعمارية شرسة
تحرث أرض الشرق الإسلامى لشعب الله المختار [بحرق منظمه مخيفة هائلة
ساحقة عاصرة ممتصة] بنص الترجمة العربية لعبارة المؤرخ الفرنسى
العلامة «جوستاف لوبون» فى كتابه (حضارة العرب)

بعدها كان التثرف لتصفية الخلافة الإسلامية ونهب تركية (الرجل المريض)
بمقتضى اتفاقية «سايس-بيكو» سنة ١٩١٦ التى أذنت بمرحلة احتصار
بطلان خاتق منهنك، حتى أعلن «مصطفى كمال» نهايته بإلغاء الخلافة
الإسلامية سنة ١٩٢٢م

وما بى الآن أن استحضر ما غاب عن كتب تاريخنا المدرسية من جرائم
الاستعمار وما حقق من مارب لليهودية العالمية، ليس عهد ابائنا بها ببعيد،
وإنما أقتصر على إشارات موجزة إلى بعض ما حفظته المدونات الأوروبية،
تسبيرا لما رصده المراقبون الأجانب من فلاة مقت ابائنا للغرب المستعمر
وازدراء مدنية الأراضى البيض والمرابين مصاصى دماء الشعوب.
كتب «الاستاذ جوستاف لوبون» فى سياق مصير دولة الحضارة الإسلامية
وشعوبها، التى ورثها المستعمرون فى القرن الماضى من (تركة الخلافة
الإسلامية ومخلفات الرجل المريض ما ترجمته:

«ورثة مصر بعد الترك الانجليز، فقد وقعت فى قبضة انجليز القوية
التجارية، ويمكن للمراقبين الذين أطلقوا على البؤس المروع الذى شمل بلاد
الهند منذ استولى عليها الانجليز، أن يبصروا المصير الذى ينتظر مصر
سيئة الحظ. ومما ذكرته فى فصل سابق، يتبين الضنك الشديد الذى أصاب
مصر منذ سنوات بفعل مضاربين من الأوربيين. وقد يصعب بيان ما
امتصه رجال المال الأوروبيون، ولا سيما اليهود، من فلاحى مصر فى بضع
سنوات، وإنما تعلم مثلاً من الأرقام التى نشرها «مسيو فاندنبرج» فى سنة

١٨٧٨ أن المرابين أخذوا من مبلغ ١٣٩٧ مليون فرنك، الذى هو مجموع
القروض الخمسة، مبلغ ٥٢٢ مليون فرنك بصفة إكرامية أو عمالة، ولم يكن
نصيب الخزينة المصرية من أصل مبالغ القروض سوى ٨٧٥ مليون لفرنك،
دشمت عليها من القوائد، من زمن طويل، ما يعدل رأس المال. ولكن ذلك الضنك
المالى يعد أمراً ذهبياً عند قياسه بما يختار المصريون، فسيرون أنفسهم
سحاطين كالفنود بطرق منظمه مخيفة هائلة ساحقة عاصرة ممتصة لا تبقى ولا تذر...
والانجليز هم ورثة المغول فى الهند، وقد مدنوها، أى أنشأوا فيها الطرق

التاريخ: ١٥ / ١٠ / ١٩٩٢

(٣)

والخطوط الحديدية، التي تسهل عليهم ان يستغلوا الهند، ولكن نجم عن هذه المدنية الجديدة ان غرقت بلاد الهند في بحار من البؤس لم تر بقعة من الدنيا مثله، حيث نرى بضعة الوف من التجار يسوقون مئات الملايين من البشر إلى العمل لديهم بأساليب أشد من الاسترقاق ألف مرة.. وقد وصف الكاتب الانجليزي «مستر هندمان» حالة الهند في هذا العهد الانجليزي، قائمًا ان انجلترا تغرق الهنود بالضرائب فلا يبقى لهم إلا الموت جوعا، وأنها تخرب مصانعهم الوطنية لكي تجد السلع الانجليزية اسواقا لها.. ويمكن تصور حال الهند من عبارة مستر هندمان: إن من الخيف حقا أن تجبر الولايات الشمالية الشرقية من الهند على تصدير حبوبها إلى انجلترا مع موت ثلاثمائة ألف هندي جوعا في بضعة أشهر، وفي سنة ١٨٧٧م مات في مقاطعة مدراس وحدها تسعمائة وخمسة وثلاثون ألف شخص، كما جاء في التقارير الرسمية والمسوغ الوحيد الذي قيل عن الجزية السنوية الباهظة التي تدفعها الهند - خمسمائة مليون جنيه - هو قول (مجلة الاسبوعين)، إنها لمن تمتع الهند بحكومة منظمة محبة للسلام، ويزرى الهنود حتما، شيئا من المبالغة في وصف حكومتهم بالسلام مع موت هنود يزيد عددهم كثيرا في كل سنة، على عدد القتلى في أشد الحروب سفكا للدماء]

ويقرر شاهد العصر، أن من العيب تجاهل رفض الشرقيين للغرب وازدراءهم نعم مدنيته التي تقوم على إبادة الشعوب، إما قتلا وسحقا كالذي حدث لسكان أمريكا وأستراليا وتسمانيا، وإما استنزافا واعتصارا حتى المجاعة والموت كما حدث لشعوب آسية وإفريقية.. ويشير إلى [الأسلوب الرهيب لربابنة السفن الانجليزية لجمع ما يحتاجون إليه من العمال في جزر الملايو، وهي أنهم يجتذبون بحبل خادعة ومظاهر ودية مأكرة، كثيرا من أهل الجزر ويضربون رقابهم ثم يأخذون من رؤساء القبائل المعادية لهم عددا من العمال في مقابل رعوس القتلى ثم لا يعيدون العمال إلى حريتهم، خلافا للعهود، مما جعل العالم الطبيعي، كاتر فاج، يصل في كتابه عن (الجنس البشري) إلى قوله: إنه لا يجوز للعرق الأبيض الأوروبي أن يلوم أشد الشعوب توحشا على عدم احترام حياة الانسان.. فليرجع ذلك العرق قليلا إلى تاريخه القريب وليتذكر ما صنع بالشعوب غير الأوروبية.. و.. وليتذكر جرائم القتل التي اقترفها بدم بارد، لاعبا لاهيا في الغالب، واصطياده الانسان بانتظام كما يصطاد الوحوش، واستئصاله أما ليفسح المجال للمستعمرين الطارئين، وليعترف بأن احترام حياة الانسان إذا كان سنة مقدسة عامة، فإنه لم يرو أن شعبا انتهك حرمتها مثله.. ويستطرد الأستاذ لويون قائلا:

وستكون قصة علاقة أوروبا المتقدمة بالصين في القرن التاسع عشر، من أسوأ الصفحات في تاريخ حضارتنا، وقد يدعى حفتنا للتكفير عندها بثمن غال، عن حرب الأفيون الدامية التي أكره الانجليز فيها بلاد الصين بقوة المدافع على إدخال السم القاتل الذي أرادت حكومتها تحريمه لما راعها من أخطاره؟ حقا، كانت فائدة انجلترا من تجارة الأفيون مائة وخمسين مليونا من الجنيهات كل سنة، ولكن عدد الوفيات سنويا من الشعب الصيني بسبب

(٤)

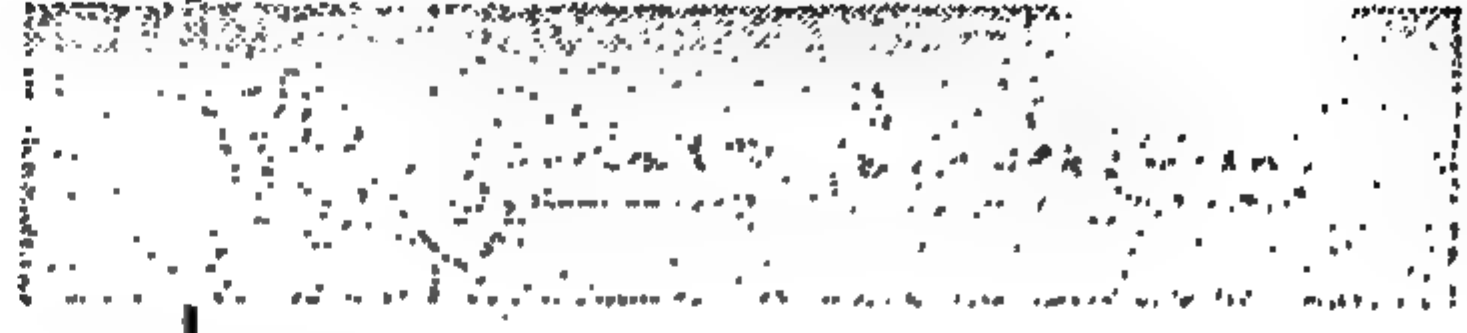
تعاطى الأفيون ببلغ ستمائة ألف ضحية، كما جاء في احصاءات «الدكتور كريستليب» المعتدلة. وهنا نسال: اليس من الحق ان يعلم الصينيون أبناءهم وصف الغربيين بالمتوحشين بعد ما راوه من حرب الأفيون الطاحنة، وما انتهت إليه من إباحة تجارته قسرا؟ لا يكون جواب الصينيين - كما روى «الدكتور كريستليب» - على المبشرين الإنجليز عندما يحاولون تنصيرهم إلا أن يقولوا: «يا للعجب اكرهونا على تعاطى السم للقضاء علينا ثم نأتون لتعلمونا الفضيلة؟» وكان الإنجليز ينفقون على المبشرين ليعدوا الأسىوى للحياة الأبدية التي يسوقه إليها سريعا ذلك الأفيون الذى يبيعونه إياه! الكلام كله عن الإنجليز والأوروبيين بوجه عام، وعلى التجارة والمال بوجه خاص، لحساب اليهود المهيمنين على أسواق التجارة، وسند خزان المال. ونهبت إنجلترا بعار حرب الأفيون، وتوارت اليهودية العالمية عن المسبح الكبير، تنسج الخيوط لتحريك الدمى.. ولم يدع حفدة قتلة الشعوب وتجار الأفيون وناهبى تركة الرجل المريض للتكفير عن جرائم أجدادهم بثمن غال كما توقع شاهد العصر. بل سبق حفدة الضحايا للتكفير عن تلك الجرائم، بضحايا هيروشيما ونجازاكي، والحصاد المنشوم لضحايا حرب فلسطين، وسجل العار فى الدوسنة والهرسك..

هل يبدو شىء مما نقلت من سجل جرائم الاستعمار - ويهد أبائنا بها قريب - بعيدا عما يشهد عالم اليوم من ويلات حركة التصفية للوجود الإسلامى فى حرب التطهير العرقى والميز العنصرى والاضطهاد الدينى؟ فلننقل معه إذن شهادة الأستاذ لوبون عن الوجه الآخر لمعركة التحدى فى جيل أبائنا، قال ما ترجمته:

إنه لمن المفيد لأوروبا البحث فى اسباب رفض الشرقيين باصرار حضارة الغرب ومعتقداته رفضا عنيدا مستمرا مع اعتناقهم بسهولة وعن طواعية ما اتاهم به العرب المسلمون.. وقد استوفقت بغضاء الشرقيين للأوروبيين نغز جميع السياح الذين لهم قدر من الملاحظة، وأذكر منهم السياسى الفرنسى الممتاز «مسيو دو رو شيشوا»، الذى قال فى كتاب نشره حديثا: «إن أول ما يراه الغرب حينما تطأ قدماء أرض الهند، هو كره الهنود لسابته البيض. وأجراء البيض من الصينيين.. شديدا الخجل من أبناء وطنهم، لاضطرابهم إلى الاتصال بأولئك البيض وخدمتهم، ولا ريب فى أن للشرقيين فى سلوكنا ما يسوغ بدرجة الكفاية، مقتهم لنا أشد المقت. ولم ينشأ عن فتح العرب للشرق مثل تلك الشرور.

ولم يصح عند «لوبون» أنه يكفى القول بتعدد المدنية الأوروبية أو التباين فى الشعور والتفكير، تفسيراً لهذا الرفض العنيد المستمر، وإنما هو الاحتقار والأزدراء لما كشف عنه الغزاة التجار من دناءة وخسة وفساوة جشع، وما اقترفوا ضد الشعوب والأبم من جرائم وحشية تنفيهم عن بنى الإنسان.. فماذا عن الوجه الآخر لمعركة التحدى بين الإسلام والعالم الجديد، فى جيلنا؟

ذلك ما أرجو الحديث عنه فى اللقاء التالى إذا يسر الله وأعان،



د. بنت الشاطي

الوجه الآخر لمعركة التحدي :

ميراث وثود الفشب في وجداننا الشعبي

مرت علينا أيام ما بعد الزلزال، توالى فيها علينا الانبياء والاصداء، ونحن في رجفة الرعب مما كان من بطشته، وتوقع ما قد يكون ولا يكون ..
سجلت مداه المراسد البعيدة والقريبة: ستين ثانية فحسب، وهي تعادل دقيقة واحدة، لكن عددا بالثواني الستين ابلغ في التقدير والبيان دلالة الاحصاء: كل ثانية لا تقبل التقسيم، وإن كانت في الواقع الليم المر، تحمل ماتنوء به مئات سنين .
كما سجلت أجهزة الرصد حساب قوته بأدق مقياس دولي: خمس درجات وتسعة اعشار درجة تتحدى بطشيتها هواجس الظنون ومذيان الاوهام وتضيق عنها حكايات السمار لآلف ليلة وأكثر، من لياليها المسهلات الطوال ..

مرت أيام ما بعد الكارثة، عصبية صعبة، والدنيا سائرة بنا لانملك إلا أن نتجلد ونلوذ بالمتاح لنا من يقين الايمان ولطف المواساة وحتم الصبر على ما لا حيلة لنا فيه، لننشى المقدور علينا من خطانا، تحقق علينا جميعا آية الله فينا:

(وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا، وما تدرى نفس باى ارض تموت ..)
واستأنف القول فيما كنت فيه من (الوجه الآخر لمعركة التحدي) مما رصده المؤرخون الغربيون من جرائم الغرب الذي سخرته اليد الخبيثة، في القرن الماضي لموجة استعمارية ضارية، تحرث ارض الشرق العريق لشعب الله المختار [بطرق منخلية مخيفة، هائلة ساحقة، عاصفة ممتصة، كانت السبب فيما اجمع عليه شهودها من مقت الشرقيين لسادتهم البيض ورفضهم باصرار سلوك الغرب ومعتقداته رفضا عنيدا مستمرا، وازدراء حضارة تجار الافيون ومصاصي دماء البشر، وأعداء الانسان].
فماذا عن ميراثنا الشعبي من الرفض والمقت للغرب المستعمر؟
الوضع في معركة التحدي بالنسبة الى مصر بالغ الصعوبة والتعقيد، اعينني أن اتبينه عند من قرأت لهم ودرست عليهم في (المسألة المصرية، وتاريخ مصر السياسي والقومي) من الاحتلال الانجليزي سنة ١٨٨٢م في اعقاب عزل الخديو اسماعيل ونفيه سنة ١٨٧٩، الى ثورة سنة ١٩١٩م وذلك ما لا يشك في الآن، لاننا انما نلتحق ميراثنا الوجداني لدى شعراء المرحلة وكتابها وخطابها من رواد اليقظة، المعبرين عن وجداننا الشعبي في معركة التحدي للاحتلال اللثيم . ونرفض منكراته ..

(٢)

إن يكن تاريخنا السياسي والقومي في كتبه المدرسية قد خلا من أي أثر للنبي وجدائنا الشدي في شعر العصر وأغانيه وبكائياته، فقد وعاه تاريخنا الأدبي وتراثنا الموسيقي في المحفوظ المدون من سجلاته ودواوينه .. وأضيف إليه ههنا، شواهد مما هو مجهول أو يكاد، من ميراث وقود الغضب والرفض .. وأدين لأستاذنا المؤرخ الحجة الدكتور محمد صبري، بما قدم في (الشوقيات المجهولة) من إضافة سخية ذات شأن، إلى علمنا بأدبنا وتاريخنا للأبترة التي وصفها «الأستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعي» بأنها فترة التراجع والانتكاس من الاحتلال التي ظهر حركة البحث بفضل الزعيم مصطفى كامل (١٩٠٨) وخليفته محمد فريد (١٩١٩-١٩٠٨).

في الجزء الأول من كتاب (تراثنا الموسيقي، للدكتور محمود الحفني) فقرة موزجة عن زعيم النهضة الفنية الحديثة «عبد الحمولى، ومحمد عثمان، مع إشارة وجيزة إلى أن من أهم أدوار محمد عثمان:

«عشنا وشقنا سنين .. غناه لمناسبة الثورة العربية ..

ويعطينا هنا من هذا الدور الذي شجأ أبائنا وأطربهم في صباحهم، ماروى عن الموسيقيين الثلاثة الكبار الذين اشتركوا في عزف الدور، قالوا: إنه بعد عودة البارودى من منفاه سنة ١٩٠٠م، ذهب عبده الحمولى واسماعيل صبرى للتسليم عليه، فقال لإسماعيل صبرى: لماذا لم تعملوا دورا في الاحتلال وأحوال بلاد النيل؟ فقال إسماعيل: نعمل يا باشا .. وبامر البارودى نظم اسماعيل صبرى ذلك الدور في وقته، وسلمه إلى عبده الحمولى الذى سلمه إلى محمد عثمان لتلحينه،

وفى رواية نقلها الدكتور محمد صبرى من (كتاب الموسيقى الشرقية وفن الغناء) قال مؤلفه «الأستاذ قسطندى رزق، أن عبده الحمولى دعى للغناء بأسىوط في الاحتفال بزواج الدكتور حبيب بك خباط، فاعتذر بارتباطه بأحياء حفلة زفاف ربة الصون والعفاف صفية هانم كريمة مصطفى باشا فهمى، الرئيس الأسبق لمجلس النظارة، على سعد بك زغلول. ٢٨ نوفمبر سنة ١٨٩٥. وقد غنى دورا من نظم اسماعيل صبرى، مطلعته:

عشنا وشقنا سنين ومن عاش يشوف العجب
شربنا الضنا والأتين جعلناه لروحنا طرب
غيرنا تملك وصال وأحنا نصيبنا خيال

فإن العدل يامنصفين

كررها ثلاثا بلحجة الغضب، مصورا بتفماته شعور الأمة الوطنى وفي الجزء الثانى من الكتاب، مقال لشاعر القطرين خليل مطران عن الفناء والحركة الوطنية: (عبده الحمولى فى فنه) ذكر فيه أن «من روائع إبداعه الدور الذى بلغ به أوج مقدرته الفنية ... وغناه بما لم يضارعه، بل لم يقاربه فيه أحد، ذلك الدور هو:

عشنا وشقنا سنين ومن عاش يشوف العجب

قيل هذا الدور حين الهبة الأولى للحركة الوطنية بعد ولاية عباس الثانى حين بدأت الأمة تتظلم جبهة من وطاة الاحتلال، واللورد كرومر أنشأ فى إبان جبروته، تعقيبا على حملة قوية بدأتها الصحف ورددتها الأندية على إيقاع ذلك النغم القوي البديع المعبر عن شكوى أمة متوجعة متحفزة للنهوض.

وعتب «الأستاذ الدكتور محمد صبرى، بقوله: «وظاهر أن صوت اسماعيل صبرى ارتفع عاليا بلحنه الرائع ضد المحتل فى بداية الحركة التي أعقبت الثورة المصرية. كما أن صوت شوقى فى دوره أو أغنيته الحزينة المناجحة بالوطنية «يا حمامة دنشواى» انطلق فى سماء (دنشواى) فكلا الصوتين قد نفس عن المكروب والمظلوم وقرع أذان الظالمين.

فاجعة دنشواي، لم تغب قط عن وجداننا الشعبي وهي تمثل شواهد العهد على مآكان من سوءات الاحتلال وحرصه على أن يضرب بعضنا ببعض، وما خلفت الجريمة من صدى في وجدان الشعب وأثر في مسار الأحداث . خلاصة الجريمة، نقلا عن الدكتور صبرى في (الشوقيات المجهولة) أن خمسة من ضباط جيش الاحتلال، قصدوا في يوم ١٣ من يونيو ١٩٠٦ قرية دنشواي . من ريف المنوفية . لصيد الحمام على عادتهم فيما مضى . فلما بلغوها لقيهم شيخ طاعن في السن . حسن على محفوظ، أول من شنقوا في الحادثة . حذرهم من دخول البلدة لأن الأهالي مستاءون من الشام الماضي . فلم يابھوا له، وأطلقوا بنادق الصيد فأصابت مقتلا من امرأة احترق جرنها . فاشتبك الأهالي معهم، فسقط أحد الفارين صريعا بخربة شمس . وفي اليوم الرابع والعشرين من الشهر نفسه، عقدت محكمة مخصوصة في شبين الكوم، برئاسة بطرس باشا غالي ناظر الخارجية، نائبا عن ناظر العدل، وعضوية خمسة من رجال القضاء والمحاماة في جيش الاحتلال، معهم أحمد بك فتحي زغلول، رئيس محكمة مصر الابتدائية الأهلية، وعين إبراهيم بك الهلباوي في مقام المدعى العام، وصدر الحكم بعد أربعة أيام بأعدام أربعة منهم شنقا، والحكم على باقي المتهمين بأشد عقوبة بعد الأعدام، على أن ينفذ الشنق في قرية دنشواي حيث كانت المشانق معدة فيها مقدما . ونفذ الحكم فيها غداة النطق به في المتهمين جميعا شنقا وجلدا، على مرأى من أهليهم في مناحة من البكاء ما قاله الشعراء والكتاب في هذه الصفحة من سجل جرائم الاحتلال، محفوظ في مدونات العصر وأضيف إليه من (الشوقيات المجهولة) هذه البكائية الحزينة التي تلقتها (الجريدة الأسبوعية) مع خطاب إلى محررها محمود طاهر حقي .

قال الراوي: أرسل إلينا وطني حزين سكن أوروبا دور غناء مع كتاب قال فيه: أرسلت إليك هذا الدور ورجائي أن يرغم الغنى في الإفراح على أن يفتتح الغناء بهذا الدور:

يا حمامة دنشواي .. تؤحي للسير جرای
فسي الظلام .. كيلا ينـام
الشنق حسامي .. والضرب دابر
فين المحسـامي .. مفيش كلام

عقب عليه الاستاذ الدكتور محمد صبرى، بقوله:

[هذا الدور العاصف الذي تتجاوز فيه الجنان الفجيعة في دنشواي وترتسم في جوه الرهيب صورة المشانق، قد بلغ به شوقي قمة الشعر الخنائي . وقد أبلغني الأستاذ طاهر حقي . محرر الجريدة الأسبوعية . أن هذا الدور كان يُغنى في الأعراس وفي السهرات الخاصة، وأنه سمع عبدالحى حلمي يغنيه في المطرية في منزل شوقي بك . وأضيف معه من (الشوقيات المجهولة) ما نشره الشاعر، على محمود طه، في مجلة أبوللو . العدد السابع . قال: لما فكر البعض في إقامة حفلة تكريم لفتحي زغلول لمناسبة تعيينه وكيلا لوزارة الحفانية، في فندق شبرد، طلبوا إلى شوقي أن يسهم في الحفلة بقصيدة، وقبل الحفل أرسل شوقي

(٤)

مظروفا مغلقا، وجدت به، لما فتحوه، الأبيات التالية:

إذا ما جمعتم أمركم وهمتموا بتقديم شيء للوكيل ثمين
خذوا حبل مشنوق بغير جريئة وسروال مجلود وقيد سجين
ولا تعرضوا شعري عليه فحسبه من الشعر حكم خطه بيمين
ولا تقرأوا في شبرد بل اقرأوا على ملا من دنشواي حزين

قال الأستاذ الدكتور صبرى معقبا: «ان (خيال الظل) سبق ان نشرت الأبيات في إطار صفحتها الأخيرة المصورة، دون اشارة الى قائلها، وذلك في ١٩٠٧/٦/٢٠ تحت صورة تمثل فتحي زغلول ينظر منزعجا الى قتلى دنشواي مائلين امامه جماجم وهاكل ...»
من (الشوقيات المجهولة) أيضا، ما نشرته مجلة (خيال الظل) بعنوان: وداع الشبيبة المصرية للورد كرومر، بتوقيع: شاب .. مطلعها:

ياراحلا عنا وذكرك خالدا أبدا ليسحني بيننا الألاما
سر بالسلامة حاملا زفرائنا وأذكر مقامك بيننا الأعداما
وأذكر جناية دنشواي فأنها كم خلفت بين الربوع بتامى
وأعلم بأنك قد اهنت ديانا كم أخضعت للبيها الأفياما
هل ينكر الأقوام أن منحما ملا الوجود حضارة وسلاما
مدنية الدنيا أجيبى جاهلا أوليس واضح أسك الإسلاما

وكان حفل الوداع في الأوبرا الخديوية مساء الرابع من مايو سنة ١٩٠٧، وفيه تعاقب الخطباء فنوهوا بجليل مآثر اللورد، وقام فشكر أصدقاءه من أعيان مصر وكبار أعوانه من الإنجليز . ثم اغتذر عن جحود المصريين ونكرانهم جميل يد التمدن الغربى التى انتشلت المصريين من بالوعة الياس، ثم قال: [وهب أننى اقتنعت . وما أنا بمقتنع مطلقا . أن أبناء الجيل الحاضر لا يعترفون بهذه الحقيقة الجليلة، فأنى لأزال أو مل مع ذلك أن يعترف نسلهم بها، إذ المعتاد أن أولاد العميان يكونون من المبصرين . ضحكوا وختم كلامه مبشرا المصريين، باسم جلالة الملك رسميا، بدوام الاحتلال الى ما شاء الله ...]

وهزت «دنشواي» التاج البريطانى، وكان من ذيولها خطاب السير جراى وزير الخارجية فى مجلس العموم . لندره: ٦ يولييه . طالب فيه المجلس عدم التسرع فى الحكم على قضية دنشواي وعدم المناقشة فى موضوع هام، فى مثل هذا الوقت، فأهم من ذلك أن التعصب فى هذه السنة كان فى زيادة مطردة بمصر ..

قلت: لم يكن أبائنا قط عميانا، وقد سهروا على ارشاف وعينا . نحن نسلهم المبصر، بوقود الخضب . وفى سمعى الآن رجح بكائية هزت مهد مولدى، ولا أعرف حتى اليوم لمن هى:

يسوم شفق زهران .. كان صعب وقفاته
وأمة على السطح تبكى .. هى وأخواته ..

١٠. إبننت الشاطي

مهرقة التحدي وعبرة الأيام :

لقاء مع التاريخ في ربيع المغرب

في لقاء بين المشرق والمغرب ، تستقبل مصر اليوم بترحاب صادق حميم ، جلالة الملك الحسن الثاني عاهل المغرب في ختام جولة عشرة أيام لجلالته بين خمس عواصم عربية بالشرق الأوسط ، هي : الرياض وأبو ظبي وعمان ودمشق والقاهرة .. وفي المحلن عنه من برنامج الجولة أن من مقاصدها [السعى إلى التضامن الضروري لدفع مسيرة الشرق الأوسط السلمية ، ومواجهة المستجدات عربيا ودوليا بموقف عربي متجانس] المراقبون السياسيون يرصدون ماتحظي به هذه الجولة من اهتمام عربي ودولي ، من حيث هي لقاء بين المشرق والمغرب ، يرشح جلالة العاهل المغربي للقيام بدور فعال في المرجو من جولته ، من واقع علاقاته العربية المتوازنة ، وصلاته الإيجابية بالقوى الدولية ، وعضوية المغرب في مجلس الأمن ممثلا للدول العربية في دورته الحالية ..

وانظر اليها من الموقع الفكري والتاريخي لوجود أمتنا ، فلا أراها بعيدة عما توالى به النذر بمهرقة التحدي ونحن في شغل عنها بما يلح على كيان الأمة من عوامل التصدع والتمزق بحروب البغى المهلكة والفتن الحالية ، حتى وقعت رجة الزلزال مع ماروينا من حرب الإبادة المساحقة لشعب البوسنة والهرسك في جريمة التطهير العرقي والديني ، فكشفت عن مشاركة خالصة بين شعوب أمتنا ، صهرتها المحن فإذا نحن على البعد والقرب أمة واحدة كما أراد لنا خالقنا عز وجل :

(وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون)

وقالها المصطفى خاتم الرسل عليهم السلام في مبدع الحديث المنفق عليه :
(مثل أمتي في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى ...)
وغير مجبول لزماننا مواقف شعوب المشرق العربي وقادته من قضية التضامن والتماسك والتعاقد ، وأحاول أن أقدم هنا مايتسع له المجال مما لاتستاد الأمة من مواقف المغرب منها :

(٢)

وراء هذا المدعى النبيل لجلالة الملك الحسن الثاني عامل المغرب في سبيل المرجو من تضامن دول الوطن العربي لمواجهة أزمات المرحلة وظوائرها متغيراتها ، أبعاد تاريخية قديمة وبعيدة من ماضي المغرب الحريق في الجهاد لنصرة اللواء الموحد ، ومجادة ذرائع التفرقة والتمزيق ، بحساسية مرفقة لما حملته ذلوفه التاريخية وموضعه في الجبهة المغربية القصوى للأمة ، من تكاليف حراستها من العدوان الصليبي الاستعماري ، والسير على حمايتها للإسلام من جوائح التصدع وغوائل الضياع .

رحلتى الأولى إلى المغرب المعاصر ، كانت في شهر رمضان المعظم من سنة ١٣٨٨هـ - ديسمبر ١٩٦٨م - حيث حظيت مع عدد من علماء الإسلام بالدعوة الملكية الكريمة لشهود الاحتفال الكبير بمرور أربعة عشر قرناً على نزول القرآن الكريم (هدى للناس وبيانات من الهدى والفرقان)

قبليها ، كنت أعرف تاريخ المغرب الإسلامي في رؤية شاملة لأبعاد المكان من غار حراء إلى ربوع الأندلس ، وأبعاد الزمان من مجاز طارق بن زياد المضيق في عشرة آلاف من جنده المغربية والأفين من جند الإسلام المتسارعة وصلوا بالفتوح الكبرى إلى أقصى مداها غرباً ، ورفعوا اللواء الأغر منارا هاديا على حافة بحر النملات ، واستبسلت الأجيال من خلفهم في حمايته في مهبط الأعاصير ..

كنت أعرف كذلك لاسلك الأئمة من علماء المغرب الكبير ، جهادهم الماثور في التواصل العلمي بين المشرق والمغرب ، فيما زودتنا به المدرسة الإسلامية الكبرى من ذخائر تراثهم في علوم العربية والإسلام ، ومازودوا به المغرب الأثري من دلائل مسراه في ذللمات عصوره الوسطى إلى فجر البعث والنهضة الحديثة .

وأعرف أيضاً ماضي التواصل الشعبي بين مصر والمغرب ، فيما عمرت به ربوع الكنانة من منازل أوليائها الصالحين المغربية الذين شاركوا في جهاد المسلمين والتتار بالجبهة المصرية وكانت منازلهم وزواياهم ورباطهم المتواضعة في ربوع الكنانة من ثغور الدلتا إلى الصعيد الأعلى مقامات عليية ومدارس شخبية عامرة بالمريدين ، ومجالس ذكر وسلوك وتربية ومجاهدة .

ثم جاءت رحلتى الأولى إلى المغرب المعاصر ، لالتقى التاريخ هناك بين ماض وحاضر ، شاهدة عصر لموضعه في ملتقى التيارات ، متصلة شرقاً بالودين العربي والمشرق الإسلامي ، ومغلة جنوباً في أعماق قارتنا الأفريقية العتيقة السمراء ومطلة شمالاً وغرباً من ثغور البحر المتوسط وقمم الأطلس ، على الغرب الأوروبي والقارات الأمريكية .

من حيث لا أحتسب بدا لقائى مع التاريخ في المغرب المعاصر والشخصية المغربية في ملحمة التحدي لذرائع المنك والتشويه ، في أول لقاء بجلالة الملك الحسن الثاني عامل المغرب يوم استقبال في القصر الملكي بباطة الشئح . ثانی أيام عيد الفطر المبارك . وفود المدعوين من علماء الإسلام لحضور احتفال المغرب المشهود ، بالقرن الرابع عشر لنزول القرآن الكريم ليلة القدر في غار حراء : رسالة إلى الانسان ، ولواء أمته في عصور المنعة والعزة ، ومنار حضارتها القائدة الرائدة ، ودليل مسيرتها ومسراها .

وأقبل علينا جلالته يسألنا عن جديد بحوثنا ودراستنا ومايشغل بلادنا من هموم وقضايا ، في مشاركة وجدانية وصحبة فكرية حميمة . وأفضت بنا شجون الحديث إلى هم امتنا الشاغل بعد هزيمة خامس يونية المشؤوم سنة ١٩٦٧ ، والعهود بها يومئذ غير بعيد ، فكان السؤال : ماذا يرى لنا جلالته بالمشهود له من حكمة ذكية وبصيرة نيرة ، فيما نحن فيه من قهر وبلاء ؟

وأصغيت جملء وعيى وسمعى إلى جواب جلالته : « أن نعرف اللواء الجامع لشتاتنا في معركة وجود ومصير ، وذلك يقتضى أن نكف عن المقولة الخاطئة المضللة بانهمزام الإسلام في جولة خاطئة لم تجد في المسلمين صبر بخم ساعات ، نحن لم نخش الحروب بأواء الإسلام إنما أواجه النازون ولنا فوزنا اللويا شتى متناصرة ، من عصبيات وذهبيات متناكرة . ويشهد تاريخنا أن امتنا لم تنهزم قط في معركة ليأوها الإسلام ، فهلا

جربنا ان نلقى عدونا امة واحدة ؟ ذلك ما صارحت به إخوتي قادة دول
المواجهة ، ومازلت أرجوهم للنظر فيه ، وإلا فما مثلى ومثلهم إلا كما قال
الشاعر المخضرم «دريد بن الصمة» إذ خالفه قومه فيما نصح لهم به فلم يحك
إلا ان يكون معهم:
وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت ، وإن ترشد غزية ارشد
والتفت جلالته الى الموقع العلمى والفكرى يستبصر خطر الغفلة عنه
ويرجونا للرباط فيه .

.....
فى تلك الأيام الأولى من رحلتى الى المغرب المعاصر ، شهدت بمدينة فاس
هلال عيد الفطر على الأفق الأقصى لمجال نوره ، وأصبحت فأقيمت صلاة
العيد على ساحته الرحبة مع عشرات الوف من اهلبنا المغربية فى زيجهم
التقليدى ناصع البياض ، مكبرين داعين ، ليس بينهم وبين السماء حجاب
☆☆☆

بعد عام وبضعة أشهر ، كان المغرب مكلفا من الامة بالدعوة الى عقد مؤتمر
القمة الإسلامى الأول ، والشعوب الإسلامية تهدير بالغضب لحريق المسجد
الأقصى ، والدنيا ترجف بتعذر لقاء ملوك الدول الإسلامية وقائتها الرؤساء ،
مع ما بينهم من خصومات معلنة وعدواة مشيوية وجواز فاصلة بين نظم
متنافرة وأوضاع متناكرة . واستطاعت الرباط بحكمة عاقل المغرب وبسالته
، ان تتدخل فى تلك الحواجز والموانع ، فاستقبلت وفود الرؤساء الى المؤتمر
فى موته المقرر : فاتح أكتوبر سنة ١٩٦٩ م .

فى الأيام العشرة قبله ، كانت رحاب جامعة القرويين بمدينة فاس ، مقرا
لانحقاد المؤتمر التأسيسى لجامعة الجامعات الإسلامية ، وملتقى ممثلها
الذين دعوا لحضور مؤتمر القمة الأول بالرباط . تقديرا من رئيسه جلالة
الملك الحسن الثانى لخطر الموقع العلمى وحرصا على ان يتيح للمؤتمر
السياسى شهودا من أساتذة الجامعات الإسلامية .

وقد شهدت هذا المؤتمر العلمى مقررة له ، وممثلة لجامعة عين شمس . ثم
مالبت أن أخذت مكانى أستاذة للدراسات العليا بجامعة القرويين ، تكليفا
وتشريفيا من جلالة الملك عاقل المغرب ، حيث اتصل لقائى بالتاريخ على مدى
ربع قرن كان المغرب فيها مدرسة لى ورباطا ودارا

.....
وعلى امتداد تلك المرحلة الحرجة من تاريخنا المعاصر ، كنت شاهدة عصر
للمغرب إذ يأخذ موقعه على العهد به حيث تحتاج اليه الامة فى المحن
الحصيبة ، يقوم بدوره فى النضال من أجل وحدة اللواء لمعركة وجود
ومصير

فى احتفال المغرب بذكرى المولد النبوى الشريف سنة ١٣٩٣ هـ ، كان
خطاب جلالته الى شعبه ، استنفارا لجنده المؤمنين ليرابطوا مع إخوانهم
المشاركة على الخطوط الامامية لجهة المواجهة بالشرق الأوسط ، تاهبا
لحرب توقع جلالته بحسب فراسته الذكية أنها على وشك ان تدور هناك .
ومن مركز التجمع والتدريب فى معسكر [أهر ومومو] - قرب فاس - خرجوا !

بأسلحتهم وزادهم الى جبهة المواجهة ، وأبواق الإعلام الحاقدة تتندر
بتعبئة لقتال وهمي ضد عدو لا يغلب .
بعد خمسة أشهر فحسب ، دوى تغير الحرب في العاشر من شهر رمضان
المعظم وشارك الجند المغاربة - على ساحة سيناء والجولان - في شهر عدو
أرجف المرجفون بأنه لا يقهر ...
وصدق المؤمنون ما عاهدوا الله عليه ، (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من
ينتظر ، وما بدلوا تبديلا) .
ثم جاءت المسيرة في ركبها التاريخي المشهود ، يوم سادس نوفمبر سنة
١٩٧٥ - عقب قرار محكمة العدل الدولية . للمغرب في قضية الصحراء
المغربية - تجاوز المعدن الاصيل للشخصية المغربية الزكية ، وتوجه الى عالم
اليوم رسالة عن [المصحف الشريف] الذي حملته ركب المسيرة لواء منصور
وذخيرة غالية ...

في دوامة أحداث المرحلة الحرجة التي عزلت مصر عن العالم العربي ، أخذ
المغرب دوره المشهود في الأزمة ، كما أعلنه جلالة الملك عاقل المغرب ، في
خطابه التاريخي الى المؤتمر الاول لوزراء العدل العرب المنعقد في مراكش
سنة ١٩٧٤ ، ثم لما بلغت أزمة القضاة ذروتها البائسة ، عبر المغرب عن موقفه
منها في الاحتفال المشهود بتوقيع الاتفاق على قرار المؤاخاة والتوأمة بين
رباط الفتح ، وعاصمة الكنانة ، يوم ثامن يولية ١٩٨٧ م .

.....
فيما كنت على المدى الطويل ألقى التاريخ في ربوع المغرب حينما اتجهت
واينما أقممت ، وألقى الشخصية المغربية في مثلها القدوة ، تخوض ممراتها
النبيلة لرقص ذرائع التشويه والمسخ ، وأقرأ في ملحمة [التحدي] جهادها
الباسل في صراع القيم وجواذب التيارات حفاظا على عراقلة أصالتها
وحيوية وجودها المعاصر ...

في ذلك كله تجلت لي عبدة الأيام في الدور الفريد الصعب الذي قام به
المغرب في المقاومة الغنيمة الصارمة لغوائل التصدع لدولة الاندلس منذ
توزعها ملوك الحارثيين ، حتى إذا قضى الأمر سنة ٨٩٧ هـ وسقطت غرناطة ،
آخر معقل للمسلمين من دولتهم الكبرى ، وطارت محاكم التفتيش فلولهم
في البر والبحر ، كان المغرب هناك على أشبه الاحتشاد لدوره الجليل وأمانته
العظمى : حماية الجبهة المغربية من الزحف الصليبي الحاقد المسعور ،
واستقبال هجرة الإسلام الى العدو المغربية ، دينا ودولة ولسانا وعلمنا
وحضارة وتراثنا

من ثم رسخت عبدة التاريخ في وعي شخصية المغرب وضميره ، ترهف
حساسيته لمقاومة ذرائع التفرقة والفتنة ، وتنوطة به رسالة لقاء وتواصل
بين المشرق والمغرب ، سعيا لوضع حد لما نفاذه من تفرق وشقاق .

(الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) صدق الله العذاليم

شاهدة عصر ٢٦

د. بنت الشاطي

معركة التحدي وعبرة الأيام

مؤرخ الأندلس والإثارة الكبرى بالزلازل

يتربص عالم اليوم بين لحظة وأخرى إعلان نهاية جمهورية البوسنة والهرسك بعد أن خانها الكروات وتواطؤوا عليها مع الصرب وخذلنها المنظمات الدولية على مرأى من الدول الإسلامية ومسمع، وكان هذه النهاية المروعة لشعب البوسنة، على موعد مع النهاية الفاجعة للأندلس [سنة ٨٩٧هـ - ١٤٩٢م]

ولا أسترجع هنا المشاهد المرعبة للنهاية وما أعقبها من وطأة محاكم التفتيش ومطاردة فلول المسلمين في البر والبحر، فليست أشنع مما يشهده زماننا من سحق شعب البوسنة في جرعة مكثفة من الشرعية الدولية لجريمة التطهير العرقي والديني.

كما لا أتجه قصداً إلى تحريك السواكن بالذي كان من الغدر بشروط تسليم «غرناطة» آخر معقل للمسلمين بالأندلس، فما تجدى علينا الحسرة على ماضى وراح، إلا نقدر مانستخلص من عبرة الأيام التي غابت عنا في تراكم الدواهي والملاهي على امتداد خمسة قرون من نهاية مروعة سبقت بها النذر بالزلازل المرصود.

وقد أعلم أن العالم الغربي يقرأ ما صدر في عامنا هذا من دراسات لأساتذة تاريخ [إسبانيا الأندلسية] وأريد ليقراه قومي في نذر [الزلازل القلعة] التي رصدها مؤرخ الأندلس الصدر الإمام «أبو مروان ابن حيان القرطبي»، فيما وصل إلينا من تاريخه الكبير محققاً ومستكملاً بغاية الإتقان في (كتاب المقتبس) في نسخة «الأستاذ الزميل الدكتور محمود علي مكي» - طبع بيروت ١٩٧٣ - التي أضفتها إلى ما أخره لمكتبتنا اليوم من ذخائر تراثنا.

وإن يأخذ التاريخ قدره وتأخذ العبرة قيمتها ودلالاتها من شخصية المؤرخ، أقدم إلى قومي، في تواضع وعلى استحياء، - حديث اليوم في التعريف بمؤرخ الأندلس العظيم: «أبي مروان ابن حيان القرطبي: حيان بن خلف بن حسين بن حيان» - ٣٧٧ - ٤٦٩ هـ - حامل لواء التاريخ الأندلسي.

في الدراسة القيمة التي مهد بها الأستاذ الزميل الدكتور مكي لما حققه واستكماله من [المقتبس] بيان لما سبق من عناية الأوروبيين بدراسة ابن حيان وبحشهم الجاد عن مخطوطات تراثه، يرويه أعظم مؤرخي الأندلس على الإطلاق.

يليه تجريد لما كان يمر بنا من متفرقات لمؤرخي الأندلس، تشهد بإجماعهم على إمامته، واعتزازهم بتاريخه الكبير الذي عبوه من مفاخرهم، فيقول الخافظ الفقيه الأصولي النظار «أبو محمد ابن حزم الأندلسي القرطبي» - وهو من أصحاب أبي مروان ابن حيان وأقرانه في رسالته المشهورة في فضائل علماء الأندلس وجليل مصنفاتهم [....] ومنها كتاب

(٢)

التاريخ الكبير ... تأليف أبي مروان ابن حيان ، من أجل كتاب في بابيه ، وهو بعد في الحياة لم يتجاوز الاكتحال ...]

تداولها علماء التاريخ والرجال طبقة بعد طبقة كما تداولوا المروى من مفاخرتهم به في مناظراتهم ...

واعتمده جمهرة مؤرخي الأندلس بعده ، مصدرا لكل ما رآه له ، يعتزون بالرجوع إليه والنقل منه ، قلما يعدونه الى سواء إلا على سبيل المقارنة والمقابلة . من ذلك قول أبي الحسن ابن بسام الأندلسي في خطبة كتاب (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) : ...

[... وعولت في ذلك كله على تاريخ أبي مروان ابن حيان ، فأوردت فصوله ونقلت جملة وتفصيلا . فإن أعوزني كلامه ونظامه عكفت على طلي البائد وضربت في حديدى البارد] ثم استهل متن (الذخيرة) بقوله : [وسينخرط في سلك ما أوشح به هذا التصنيف من تلخيص التعريف بأخبار ملوك الجزيرة وقصصهم الماثورة ووقائعهم المبيرة لابن حيان ، فصول من غرائبه وتفاصيل من عجائبه . إذا وجدت من كلامه فصلا قد أحكمه أو خبرا قد سرده ونظمه ، عولت على ما وصف وصنف ، إقرارا منى بالفرق وإعفاء لنفسى من معارضة من أحرز بأفقا في وقته قصبات السبق وبرز في زمانه على جميع الخلق . وأكثر ما يمر في هذا الكتاب من هذا الباب ، فعلى تاريخه الكبير عولت ومن خط يده أكثر ما نقلت ، وتحريت جهدى اقتضاب ما طوّل وتخفيف ما ثقل ، وإجمال ما شرح وفصل . على أنه لم يخلص لى من غمامة سوى قبضة ...]

وكذلك عول عليه جمهرة من أرخوا بعده لبلانلس وحواضرها وأعلامها ومصارع الأهواء والفتن بينهم . فاتصلت هيمنة (تاريخه الكبير) على تاريخ الأندلس من عصره ٣٧٧ - ٤٦٩ هـ : ٩٨٧ - ١٠٣٤ م [الى ما بعده من عصور شهدت من جسام الأحداث ودواهي المحن ، ما سبق لابن حيان أن رصده وأنذر به ، بمقتضى حتمية سنن ثابتة لا تتخلف .

المعروف لنا من التاريخ الكبير لابن حيان : (المقتبس) مما سبق عصره من بدء فتح الأندلس ، موصولا به في قول : (أخبار الدولة العامية) التي حجبت دولة الخلافة الأموية لمدة ثلث قرن [٣٦٦ - ٣٩٩] عادت بعدها البقايا البائسة من دولة الخلافة ، حتى نهايتها سنة ٤٢٢ هـ .

(المتين) يؤرخ لما أدركه أبو مروان من بقايا الدولة الكبرى ، ثم ما عاصره من عهد ملوك الطوائف الى سنة ٤٦١ قبل وفاته ببضع سنين . وهي كتب متكاملة ، حفظها الرواة من تلاميذه والنقلة من المؤرخين على تعاقب الأجيال . ومع تكامل المقتبس والمتين ، ميز ابن حيان كلا منهما بعنوانه الدال عليه :

(المقتبس) : عنوان تاريخه لعصر سابق ، عول فيه على ما اقتبس من مصنفات لمن قبله ، والاقتباس يعفيه من استيعابها جميعا نقلا لكل ماقى مصدريه التي أرتضاها ، ويعطيه حرية الاختيار لما يأخذ منها وما يترك ، بمقتضى الميزان الذى يحكم مدونات التاريخ وتوثيقها ، و (المتين) عنوان تاريخه لما أدرك من أحداث زمانه ورجال عصره ، هو فيه شاهد رؤية وسماع ، يملك من وسائل التلقى المباشر ما لم يكن متاحا له فيما

(٣)

اقتبس من مرويّات سابقيه .. فهو في (المقتبس) ناقل مسند ، وفي (المتين) شاهد . موثق وإذا كان فيه مصدرا بالمعاصرة لما استفاد من أخبار ديار الأندلس وما يتساقط منها [طرق بها الناعى أبواب قرطبة فصك الأسماع وأطار الأقدرة وزلزل الأندلس قاطبة] .
فإنه في (المقتبس) مصدر كذلك بما اصطفى من مصادره ، ملتزما أدق ضوابط المنهج النقلى المشهود له بالرسوخ فيها رواية ودراسة . وتحريرا لصيغ الأداء ، مما جعل مرويّاته لما سبق زمانه ومدوناته لما عاصره ، وثائق تاريخية ، وذلك يستغرق المراحل الثلاث التي أرخ لها : في (المقتبس) من بدء الفتح الإسلامى ، فى عشرة أسفار لثلاثة قرون وثلاث قرن ، موصولا بأخبار الدولة العاصرية - التي نشأ فيها أبو مروان - فى مائة سفر لثلاث قرن ، ثم (المتين) لما أدركه من بقايا الأموية المروانية ، وأربعين سنة من عهد ملوك الطوائف ، فى ستين سفرا ، هو فيها جميعا « مؤرخ الأندلس » ومسندها الثابت الثقة ، كما لقبه « المقرئ » فى (نفح الطيب) وذلك يتجه إلى ما أسند في (المقتبس) ودون في (المتين)

فماذا عما لم يدركه من عهد التمزق والفتن بين ملوك الطوائف ؟
ما الذى أهله لأن يكون « حامل لواء التاريخ الأندلسى » بإطلاق ، كما قال تلميذه الحافظ النظار « أبو على الجياني » ، وكما أقروا له بالهيمنة على تاريخ ذلك الأفق ؟

الذى أطمئن إليه أنه استحق هذه الرتبة بما تفرد به من مزايا جعلته يرصد المؤثرات التى ما يتوقع من عواقب الأحداث .
من تلك المزايا التى تفرد بها :

أن التاريخ وحده كان المجال الذى وجد فيه ذاته فطرة وملكة ، وحقق وجوده . بل شاء لكان أخباريا مرموقا [وأديبا نسيج وحده وكاتبا من الطراز الأول] بشهادة من رأوا فى صفحات المتين أروع نماذج النثر الأندلسى .

لكن الأدب لم يكن صناعته ، ولا أراد قط أن يكون أديبا . والقول الفصل فى ذلك له إذ يقرر فى خطبة تاريخه الكبير :

[... وبعد فإنى أمرؤ يسترت لطلب هذا الخبر واقتفاء هذا الأثر ، أحرس شارده وأقيد نأفره وأبني بابوابه وأنصب لطلابه . فشغلت به دهر أقص أنباء واضرب أمثاله ووقائعه وأحترز مواعظه] .

بهذا النص ، سجل بقلمه هويته فى بطاقة شخصيته . ثم لم يتحول عنها قط ، فكان التاريخ حرفته وصنعتة ، ومدرسته ووظيفته ورسالته ، وهمه وهواه وهويته ، فأعطى فن التاريخ اعتباره فى زمان كان ينفى من أنواع العلم . وبلغ من عمق معاناته للأحداث وأنفعاله بوقائع تاريخه ، أن تعطل قلبه فى فتنة مهلكة ففاته تقييد أحداثها ، حتى استرد نفسه من أخذه الصدمة فقال فى خطبة تاريخه الكبير ، فى سياق التماسه مافاته تقييده :

[... وأنعمت البحث عن ذلك عند من بقى يومئذ من أهل العلم والأدب لدينا ، فلم أظفر منه إلا بما لا قدر له ، لزهد من قبلنا قديما وحديثا فى هذا الفن ، ونفيهم له من أنواع العلم] .

سبق بذلك إلى علمية التاريخ - والظن الشائع أن لابن خلدون فضل السبق إليها - وهو متأخر عن ابن حيان بأكثر من ثلاثة قرون -

وتستحق قضية علمية التاريخ عند ابن حيان ، أن تحظى بالعناية فى دراسة لمنهج التاريخى ، مقارنة بمناهج المؤرخين قدامى ومحدثين ... ولاتابع النظر هنا فيما تفرد به ابن حيان من مزايا أهله لحمل لواء التاريخ الأندلسى .

يذكرون له [استيعابه لتاريخ الأندلس من بدء الفتح إلى زمانه ، لم يكن يغيب عنه شئ مهمما يصغر ، مع الإدراك الواعى لما يبدو صغيرا لا شأن له]

١٩٩٢/١١/٥

(٤)

يصدق هذا ، فيما ارى ، على استيعابه ذلك تحصيليا وحفظا ووعيا
ودراية ، لا على انه استوعبه كله رواية ونقلًا وتدوينًا ، وكان فيما يأخذ
وما يدع ، خاضعا لضوابط منهجه ، يزن المرويات والأخبار بميزانه الدقيق
لما يعطى الاحداث دلالتها وتفسيرها ومنطقها

وأطمئن ، بعد طول صحبة له ، الى أخذه بقانون السببية ، يبصر بها
حركة سير التاريخ وحتمية خضوع الاحداث للسنة الثابتة للعلل والعواقب

كان من مخضرمى عصرين هما فى الواقع مجمل تاريخ الاندلس كله ،
عصر الدولة المؤتلة الفاتجة ، وما حجبته منها « المنصور بن ابي عامر » فى
حركة انتقال عنيفة صادعة ، بين عصر الدولة ، وعصر ملوك الطوائف .
وفى مرصده بقرطبة الغالية ، التى لم يبرحها قط فى حياته ، رابط من
اواخر القرن الرابع مطلا على ماضٍ مجيد مشرق اذن بانحدار ومغيب ،
ومستقبلا عصر التصدع والتمزق مستبصرًا ما يصير اليه ، وانه لعل
يقين من ان الحاضر وليد طبيعى لا قرب ماضيه ، ووالد شرعى للمستقبل .
ولم يكن - والتاريخ همه وهويته وهواه - يأخذ فيه بعشوائية
المصادفات وبغثة المفاجات ، فالظواهر مرتبطة باسباب لها ظاهرة وخفية ،
ومرهضة بعواقبها مرهونة باوقاتها ، والمقدمات مؤدية الى نتائجها ،
والبدائيات عنوان النهايات [كما قال

موعدنا معه بمشيئة الله تعالى فى المقال التالى ، فى رؤيته الثاقبة
لبوادر التصدع توغل فى بنيان الاندلس ، ويستبصر منها على المدى
البعيد مصير الدولة الكبرى فى [الزلزال القلعة] الذى رصده مبكرا وأندريه
قبل مئات سنين ، اعتبارا بقوله عز وجل :

(فهل ينظرون إلا سنة الاولين قلن تجد لسنة
الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا)
صدق الله العظيم

تساهدة عصفى ٢٧

د. بنت الشاطيء

معركة التحدى وعبرة الأيام

تاريخ الأندلس، وبداية النهاية

● اليوم موعدا مع مؤرخ الأندلس «أبى مروان ابن حيان القرطبي» فى رؤيته الثاقبة ليوادر التصدع توغل فى بنيان الأندلس فيستبصر منها على المدى البعيد رجة الزلزال الذى رصده مبكرا وأنذر به قبل القلعة بمئات سنين، بمقتضى السنن الثابتة للأسباب والعواقب [البدايات فيها عنوان النهايات] أكتفى ههنا بإشارات موجزة الى علامات المراحل الكبرى لتاريخ الأندلس فى مقدمات الفصول الموسعة وختامها، يستخلص منها الدرس ويصدع بالتحذير، نغيا لعشوائية المصادفات واعتبارا بقوله تعالى: (سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا).

مع حركة التاريخ الأندلسى للقرون الاولى، تابعت المسير على هدى علامات المراحل من التاريخ الكبير لابن حيان: من أول الفتح، سجل ما وثق من وقائعه المشهودة مفسرة بأسباب لها من عنفوان مد الفتح وبسالة جنده المؤمنين ويمن لوائه الأغر. مع مؤثرات من تحلل المجتمع الأسباني وفساد أوضاعه.

وتتخلل الصفحات الباهرة من مشاهد الفتح الباسلة الخافرة، نقول فى (المقتبس) لموقف القائد «موسى بن نصير: أمير جيش إفريقية والمغرب» من مولاه المغربى «طارق بن زياد البربري» بعد فتكه الأندلس سنة ٩٣هـ. ثم ما لابس هذا الموقف من فتن موصولة بأثارها فى عصر الولاة لأموية الشام، وما نشب بينهم من معارك حتى سقوط الدولة الأموية بالمشرق سنة ١٣٢هـ، وطأت ملك عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الملك بن مروان: الداخل إلى الأندلس.

إمارة ذلك المؤسس العظيم امتدت نحواً من ثلث قرن (٢٠٦ - ٢٣٨هـ) وبينه وبين سميّه العظيم «عبد الرحمن الناصر» ستة من أمراء البيت المرواني، الأربعة الأولون منهم معدودون فى الكتيبة الأولى من بناء الدولة الكبرى فى مرحلة ترسيخ القواعد وشد الدعائم وتأييل هيبة الخلافة وأبهة الملك، لم يدخروا جهداً فى مقاومة ما نشب فى عهدهم من فتن وترميم ما تركت فى بنيان الدولة من شروخ إن تكن أوغلت فيه أيام سادسهم «عبد الله بن عبد الرحمن الأوسط» ٢٧٥ - ٣٠٠هـ. فقد قاومها البنيان بقوة أساسه وعاشت الدولة فى أيامه على ما تستهلك من مذخور حيوياتها، حتى تولاه حفيده عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله، لتبدأ بعهدده مرحلة الازدهار الكبرى التى أرخ لها ابن حيان فى (المقتبس) بتفضيل مجمله هذه: الخلاصة لعلامة المرحلة:

(٢)

[تولاها عبد الرحمن الناصر سنة ٣٠٠ هـ خلفا لجدّه عبد الله، والاندلس مضطربة بالمخالفين ممضطرة بنيران العصاة، فأطفأ تلك النيران واستنزل أهل العصيان واستقامت له الاندلس في سائر جهاتها بعد ثيف وعشرين سنة من أيامه. وكان كثير الجهاد بنفسه والغزو إلى دار الحرب... وكان ملكه بالاندلس غاية في العظمة ورفع الشان، وهادنته الروم ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والافرنجة والمجوس وسائر الأمم إلا وفدت عليه خاضعة راغبة.]
وعبد الرحمن الناصر هو أول من تلقب بأمير المؤمنين بالاندلس، وقد امتدت خلافته خمسين سنة سخية عامرة بالجهاد ليل نهار، لم يخلص له أيام سرور فيها - فيما وجد بخطه - سوى أيام عيبتها باليوم والشهر والسنة، عذها مؤرخوه فكانت أربعة عشر يوما. من خلافته التي امتدت نصف قرن (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ)

وتلقاها من بعده ولي عهده، ابنه «الحكم المستنصر»، قد هياه لها أبوه ودرية عليها، فكان عهده امتدادا لدولة أبيه عزة ومنعة وسلطانا وهيبه، وأضاف إليها من مائره خزانته العامرة بما لا يوصف كثرة ونفاسة من ذخائر المخطوطات، وتوفي رحمه الله بقصر قرطبة سنة ٣٧٦ هـ عن أعظم دولة في العصر الوسيط كان الظن أنها لن تبديد أبدا. وعقب وفاته احتجب ابنه ولي عهده المؤيد هشام - وكان صبيا في العاشرة من عمره، بالمنصور ابن أبي عامر الذي تولى الأمر كله مدة سبع وعشرين سنة حافلة بأمجاد بطولاته وغزواته المنصورة إلى وفاته سنة ٣٩٣ هـ واستمرت دولته العامرية بالوراثة في ولديه المظفر ثم المأمون الذي قتل في منتصف جمادى الآخرة سنة ٣٩٩ هـ وانتهت الدولة العامرية بفتنة هوجاء هزت البنيان الراسخ فما زال يتداعى حتى سقطت الدولة الكبرى لأموية الاندلس سنة ٤٢٢ هـ هو والعهد بدولة الناصر وابنه المستنصر غير بعيد...

وذلك ما يبدو من بغة المفاجآت - لكنه لم يكن كذلك في رؤية شاهدها مؤرخ الاندلس أبي مروان ابن حيان، يل جري الأمر كله على مقتضى السنن الثابتة: نتيجة لمقدمات سبقت وشروخ موغلة في بنيان الدولة الكبرى لم يخطئها بصر ابن حيان في تاريخه لمرحلة تأسيس الدولة وشد قواعدها:
● الفتن العصبية بين المضربة واليمانية من عرب الاندلس أيام «عبد الرحمن الداخل»

● وقعة الربيض التي وطيء فيها «الحكم الربضي» - حفيد عبد الرحمن الداخل - أهل قرطبة وطاة شرسية، والفتن بينه وبين أمراء بيته الأموي المرواني، انتهزها الفرنجة فعاثوا في الثغور حتى خرج لهم فائز فيهم واسترد برشلونة سنة ١٨٥ هـ

● عريضة الخصيان ومكايد الحريم في قصر الأمير عبد الرحمن بن الحكم الربضي، وفي دولته..

● تلاحق الفتن في عهد ابنه «الأمير محمد» وحروبه التي توالى مع الخارجين عليه من المتمردين العصاة ومن استنصروا بهم من العدو، كلما أوقدوا نارا في ثغر وبادر الأمير إلى إطفائها، أوقدوها في ثغر آخر.

● اضطرام الفتن وخلل الثغور في عهد «الأمير عبد الله بن الحكم الربضي» ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ، وإيفال الصدع في البنيان، حتى جبرته مرحلة الازدهار العظيم لدولة عبد الرحمن الناصر، وابنه الحكم المستنصر.

وتسطع الاضواء الباهرة فلا تخطف بصر «ابن حيان» وهو يقتفى الآثار ويقص الأنباء فيروى ما طوت شخصية الناصر وأمجاد فتوحاته من مواضع خلل في بنيان دولته العظمى إبان ازدهارها:

● من ذلك ما كان من وقع (كسرة الخندق) عليه في سنة ٣٢٧ هـ، وكان قد احتشد لها بما لم يحتشد بمثله من قبل. وجرى القتال بينه وبين العدو

شديدا صعبا حتى انكشف المسلمون ، والجاهم العدو إلى خندق بعيد المهوى لم يجدوا عنه محيدا فتردى فيه خلق كثير. واشتدت على الناصر نكبته التي لم يكن لها سابقة، فاستغرق في بناء مدينته «الزهراء» بأسفل قرطبة واسترد صفاء ذهنه، فكف عن الخروج بنفسه للجهاد، ووكله الى صفوة قادته، بجردهم للخروج كل عام.

● بعد عشر سنين من (كسرة الخندق) الحاطمة، يؤرخ «ابن حيان» لخبر الهدية العجيبة التي أهداها «الوزير أبو عامر ابن شهيد» إلى أمير المؤمنين الناصر سنة ٣٣٧هـ. واتفق مؤرخوه على أن أحدا من ملوك الأندلس لم يتلق هدية مثلها قط مع بيان احصائي مفصل لما فيها من ذخائر التحف وسبائك الذهب والقناطير المقنطرة من فاخر العود، ونوادر السلاح والخيل الغراب والبغال المسرجة بالخن، مع متخير الرقيق والجواري.. وفوق ذلك ضيعة قدر كذا وكذا.. ضمت إلى ضياع أمير المؤمنين..

هذه الهدية التي يعيي الخيال تصورها، لم تكن قطعا كل ثروة الوزير أبي عامر ابن شهيد. وليس في الخبر أنه سئل عن مصدرها، الذي في الخبر أنها [أعجبت الناصر وأهل مملكته جميعا، وكان من مكافاته عليها أن زاد وزيره أبا عامر حظوة واختصاصا، وأسمى منزلته على سائر الوزراء وأضعف له رزق الوزارة وثنى له العظمة فسماه ذا الوزارتين، فكان أول من تسمى بذلك بالأندلس].

● معها مما اقتبس ابن حيان من مصادره الموثقة (في ذكر نساء الناصر) حكاية «مرجان» كبرى حظاياها وأم ولده «الحكم» ولي عهده. فيروي ابن حيان بالاستناد إلى أوثق خُصيان القصر: خبر صفقة عجيبة ساومت فيها مرجان - في مجلس الحريم - سيدتها الشريفة زوجة الناصر وبنت عمه، على ليلة له عندها بعشرة آلاف دينار ذهباً [قبضتها السيدة وكتبت لمرجان صكاً بالصفقة تظن أن الأمر الطف من أن يحمل على غير الدعابة والتسلية، وأنه عند زوجها أمير المؤمنين يجري مجرى أعباث النساء المضحكة. ومضت مرجان فزينت مخدعها ثم تصدت لمولاها الناصر في طريقه إلى جناح زوجته، وعالنته في مرح ودهاء ودلال أن الليلة ملكها شراء: وقرأ صك الصفقة فقضى مرجان بلبلته المشتراة، وهجر زوجته الشريفة بنت عمه التي لم يغفر لها قط تلك الصفقة المهينة الخاسرة، إلى أن ماتت منبوذة في القصر: لا سماء بكت عليها ولا أرض].

حكاية تضاف إلى مكاييد الحريم في قصر السلطان، تاهت، ومثلها معها، في سنا عظمة الدولة في عهد الناصر وابنه الحكم المستنصر إلى وفاته بقرطبة - ثاني صفر سنة ٣٦٦هـ - وولاية العهد لابنه المؤيد هشام وهو صبي في العاشرة من عمره، فحجبت (الدولة العامرية) التي أفرد لها «ابن حيان» مصنفًا نافذ أسفاره على مائة سفر هو فيها الشاهد النظار لأخطر حركة انتقال بين عصرى التاريخ الأندلسي: عصر الدولة الكبرى وعصر ملوك الطوائف.

● كنت فيما مضى أرى الدولة العامرية شطرا من الدولة الكبرى وامتدادا لمملكته التي مات عنها «الحكم المستنصر» أعلى ما تكون صرحا وأعز جاها. وما كانت العامرية فيما أرخ ابن حيان، سوى مرحلة انتقال إلى عصر الطوائف المشثوم، وهي إليه أقرب منها إلى عصر المملكة الزاهرة التي تولاه ثمانية من أمراء أموية الأندلس، لم ينته أحد منهم قط فقتولا أو مخلوعا، ولا منفيا أو سجينًا.. فان تكن حركة المنصور ابن أبي عامر قد هزت بنيان المملكة فكشفت عن شروخ فيه حجبتها شخصيات الداخل والناصر والمستنصر، فكذلك حجبت شخصية «المنصور ابن أبي عامر» تصدع البنيان ليلة وفاة الحكم المستنصر، وكتّم دوى انتصاراته حشرجة احتضار خائق للدولة الكبرى.

(٤)

مع النفس الأخير للحكم المستنصر، كتم خصيائه نبأ موته ريثما تشاوروا بمخدعه علي صرف الخلافة عن ولي عهد المؤيد هشام، إلى وصيه «المغيرة بن عبد الرحمن الناصري المرواني». لكن الوزير الحاجب «المنصور ابن أبي عامر» عجل إلى دار المغيرة فضرب عنقه بالسيف غيلة، وسائر الأمور فترة وجيزة ريثما مكن لنفسه بالتفاني في خدمة «الست صبيح» أم الأمير هشام، وفي الخبر أنه بنى لها بيتاً من ذهب - حتى استولى على الأمر كله، والزّم الأمير الصبي، الإقامة في جناح الحريم مخظوراً عليه أن يخرج منه أو أن يلقى الناس.

● وكتب ابن حيان:

[تغلب ابن أبي عامر، محمد بن عبد الملك، على المؤيد هشام بن الحكم المستنصر، واستولى على الدولة وملأ الناس - وبنى مدينته (الزاهرة) ونقل إليها خزائن الأموال والأسلحة وقعد على سرير الملك وأمر بأن يحيا بتحية الملك والدعاء له على المنابر عقب الدعاء للخليفة، ومحا رسوم الخلافة بالجملة ولم يبق لهشام منها أكثر من الدعاء له على المنابر. ونفذت الكتب والمخاطبات باسم الحاجب المنصور، وكتب اسمه على السكة وجند البربر والمماليك لقهر من يتناول إلى رتبته من عليّة الأمراء. ورد الغزو بنفسه ستاً وخمسين غزوة لم تنبكس له فيها راية ولا انهزم جيش حتى هلك سنة ٣٩٣هـ أعظم ما كان ملكاً] فكانت عظمة ملكه على حساب الخلافة التي [محا رسمها جملة، والمملكة المؤتلة التي أسقط حرمتها بالحجر على الخليفة الشرعي واغتياها وصيه] ثم لم تقم لها من وقتئذ قائمة.

● ترك المنصور دولته ملكاً وراثياً فتولاها ابنه المظفر عبد الملك بوصية منه فجري مجرى أبيه في الغزو والسياسة وحجب هشام المؤيد، ومات في المحرم سنة ٣٩٩هـ فتولاها أخوه المأمون عبد الرحمن الذي تمادى به الطمع فطلب إلى هشام المؤيد أن يوليه عهده، وقرئ كتاب ولاية العهد بجامع قرطبة على الملا من أرباب الشورى وأهل الحل والعقد ومشيخة الأمويين في يوم مشهود من ربيع الأول سنة ٣٩٩هـ فكان فيه حتفه، وانقرضت الدولة العاصمية لم يتجاوز عمرها ثلث قرن، [وتزكت أرض أندلس تميد من رجة الزلزال بالفتنة الداهية التي تداعى لها البنيان الشامخ يريد أن ينقض].

وأبو مروان ابن حيان هناك يلتقط أنفاسه من أخذة الرجة، ليرقب البقايا البائسة من أمراء أموية الأندلس في اندفاعها نحو المصير المحتوم لدولتهم سنة ٤٢٢هـ وتقاسم ملوك الطوائف أشلاعها: نهاية لبداية سبقت بها النذر، وبداية لنهاية تتراءى لبصيرته قبل وقوعها بمئات سنين.

● إن في ذلك، لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)
صدق الله العظيم

شاهدة عصر ٢٨

د. بنت الشاطي

معركة التحدى وعبرة الأيام

تاريخ الأندلس: نهاية وبداية

في (عام اسبانيا) وبرامج احتفالاته المشهودة بمضى خمسة قرون على نهاية دولة المسلمين العرب بالأندلس (٨٩٧هـ - ١٤٩٢م) يتراءى لنا غير بعيد المصير المروع لجمهورية البوسنة والهرسك، ونحن في أعقاب الزلزال الذي هز مصر وصنع أطلال دارنا في يومنا الحزين: الثاني عشر من أكتوبر الماضي.. وما أزال أقاوم الاحباط والتمس لقومي الدرس والعبرة مما أعطانا «أبو مروان ابن حيان القرطبي: حامل لواء التاريخ الأندلسي كله» من تفسيره ومنطقه، بما ينفي عنه عشوائية المصادفات وبغثة المفاجآت..

** في حديثي يوم الخميس الماضي كنا مع ابن حيان وهو يمعن النظر في البنيان الشامخ الراسخ لبوالة الأندلس الزاهرة، فيبصر شروخا موعلة فيه قاومها بقوة أساسه، وحجبتها عظمة شخصيات «عبد الرحمن الداخل، وعبد الرحمن الناصر، وابنه الحكم المستنصر» الذي توفي سنة ٣٦٦ هـ عن اعظم دولة في زمانه عزا ورفعة وهيبة وحضارة، فبدأ تصدعها من ليلة وفاته بكتمان رئيسي خصيان القصر النبا ريثما قررا صرف الخلافة عن ابنه الصبي، ولّى عهد الأمير هشام المؤيد، إلى وصيه «المغيرة بن عبد الرحمن بن الناصر» فعجل الحاجب «المنصور ابن أبي عامر» إلى بيت الوصي فضرب عنقه بالسيف غيلة، وسائر الأمور فترة ريثما دبر لنفسه بتفانيه في خدمة «الست صبيح أم هشام بن الحكم» - وفي الخبر أنه أهداها بيتا من ذهب - حتى استولى على الأمر كله وحجب الأمير هشام، شبه محجور عليه في جناح نساء القصر [ومحا رسوم الخلافة كلها] وملا الدنيا بجاهه وفتوحاته الظافرة، فكان أن كتم دوى انتصاراته نذر هلاك دولته العامرية لم يتجاوز عمرها ثلث قرن، وانتهت بمصرع ابنه «المأمون» الذي تناول إلى ولاية العهد للخليفة هشام المؤيد، فكان في ذلك هلاكه سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، في فتنة هوجاء لم تقم بعثها قائمة لاموية الأندلس.

(٢)

**** اليوم نصحب «ابا مروان ابن حيان القرطبي شيخ مؤرخي الاندلس،**
إن يسجل ما أخذه من هول الصدمة التي عطلت تاريخه لأحداثها
المنذرة بتقويض دولة الخلافة الأموية بالاندلس، قال في خطبة تاريخه
الكبير معبرا عن حزنه وحسرتة، أن أمهله الأجل ليدرك هذه النازلة
المذهلة الخائفة:

[.. وأنساني المدة الى أن لحقت بيدي منبعت هذه الفتنة الشنعاء
المبلهمة المفرقة للجماعة، الهادمة للمملكة المؤتلة، المغربية الشاوي على
جميع ما مضى من الفتن الاسلامية . ففاضت أهوالها تعاظما أذهلني
عن تقييدها ووهمني إلا مخلص منها، فعطلت التاريخ إلى أن خلا صدر
منها نفس الخناق وبلل الرماق فاستأنفت يومئذ تقييد ما استقبلته من
أحداثها، وأنعمت البحث . عما فاتني . عند من بقي يومئذ من أهل العلم
والأدب لدينا فلم أظفر منه إلا بما لا قدر له، لرهد من قبلنا قديما وحديثا
في هذا الفن - التاريخ - ونفقيهم له من أنواع العلم..]

**** في الفترة ما بين تلك الفتنة الشنعاء سنة ٣٩٩هـ وسقوط الدولة
الأموية بالاندلس بعد أقل من ربع قرن، تولى الخلافة فيها ستة أمراء
من ثمالة البيت المرواني: أربعة منهم قتلوا أشنع قتلة، وخلع اثنان
فهاما على وجهيهما في هوج أعاصير الفتن.
وتقطعت إمارتهم بثلاثة أمراء من بني حمود العلويين المغاربة، لم
تفتقر فيها الفتن.**

من خلال النقع المثار من أعاصير الفتن ومصارع قتلاها، نلمح على
وميض شعاع من ليليل العصر، علامات الرؤية لمرحلة الاحتضار، في
فقرات موجزة لابن حيان، يستقطب فيها الرؤية لما يفصله من أهوال
الدواهي:

**** قبل أيام من مصرع «المأمون بن المنصور ابن أبي عامر» . عقب
إعلانه ولايته العهد لهشام المؤيد بن الحكم المستنصر . كانت مشيخة
الأمويين قد قررت عزل هشام وبايعت «المهدي بالله ابن الناصر» فما
لبث أن أظهر موت هشام ابن الحكم اتقاء منازعته.**

وسخط القرطبيون حاله فاتفقوا سرا على خلعه وتقديم هشام بن
سليمان بن الناصر فاعجلهم المهدي عن مرامهم بضرب عنق هشام بن
سليمان، فاحتشد ابن أخيه «سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر»
لقتال المهدي ثارا لعمه، وانتزع الخلافة لنفسه وتلقب بالمستعين بالله ..
واستهلت سنة أربع مائة وقرطبة تصلي نيران الحرب بين المستعين
والمهدي، إلى أن كانت الجولة الفاصلة في (وقعة قنتيش) على أبواب
قرطبة في الحادي عشر من شهر ربيع الأول من السنة. وكان النصر
فيها للمستعين سليمان بن الحكم استنصر بهم من عسكر النصاري، وتمت
له البيعة الثانية في منتصف شهر ربيع الأول من سنة أربع مائة، بعد
ثلاثة أيام من الوقعة المشنومة.

ونقل ابن بسام في (النخيرة) من خط ابن حيان في تاريخه الكبير:
[... فقتل في هذه الوقعة عالم وأبائوا أمة، وهي وقعة قنتيش
المشهورة التي قطع المقال أنه قتل فيها عشرة آلاف قتيل وأزيد، والله
أعلم. ومال النصاري يومئذ على المنهزمين من المسلمين فقتلوا منهم في
صعيد واحد نيفا على ثلاثة آلاف، وانبسطوا يومئذ في قرطبة يقتلون
ويأسرون..]

ثم وجبا «ابن حيان» لما تستقبل المرحلة من أحداث صعبات مشنومات،
بخلاصة مفسرة للأسباب والعلل، موجهة إلى النتائج والعواقب، نقلها
عنه «ابن بسام» أول (النخيرة) في (نكر البيعة الثانية للمستعين بالله
سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، في قرطبة
منتصف ربيع الأول سنة أربع مائة، قال ابن حيان:

(۳)

[فمك سلیمان قرطبة فی دولته ست سنین وعشرة اشهر، وكانت كلها شدادا نكدات صعبا مشثومات، كریهات المبدأ والفاخرة، قبیحة المنتهى والخاتمة، لم یعدم فیها حیف ولا فوری فیها خوف، ولا تم سرور ولا فقد محذور، مع تغیر السیرة وخرق الهیبة واشتعال الفتنة واعتلاء المعصية وظفن الأمن وحلول المخافة، دولة كفاهما ذما أن انشأها «شأنجه» فقتلها «ایموند» وثبتها الجلالة ومزقتها الإفرنجة، وديرها فاجر شقی ووزر لها خب بنی، فتمخضت عن الفاقة الكبرى وألت بمن أتى بعدها إلى ما كان أعزل وأدهی، مما طوی بساط الدنيا وعفی رسمها وأهلك أهلها..]

[ولما تمت بیعته - الثانية - نفدت عنه كتب إلى نواحی الجزيرة بخبر فتحه قرطبة، وكانت موشحة بما توشح به كتب الفتوح الإسلامية على أهل دار الحرب من وصف حال القهر وشدة السطو والاقتدار على الفتك، فافطر فی ذلك إرهابا للناس بذكره وتخويفا لهم من مثله، فكان أجلب لنفار القلوب وقرف الندوب وبعد الشرود ونبش الحقود لما وتر جميعهم بالحادثة فی قرطبتهم فاستشعروا بغضب ومالوا إلى كل من عانده ورد أمره، فرزعا إلیهم منه.. فكان ذلك سببا فی تفريق البلاد وتملك أصحاب الطوائف]

.....
** فی سنة أربع وأربعمئة، شاع الخبر أن المستعین بالله قتل هشام المؤید، فخرج إلیه من العدو المغربية - «علی بن حمود الحسنی» بجنده المغربية - وكان هشام المؤید قد عهد إلیه بولاية عهده، لما راه من اضطراب أمره وما منی به قديما وحديثا من تمالؤ بنی عمه الناصريين علیه وقيامهم واجدا بعد الآخر فی خلعه - واقتتل جيش ابن حمود وجيش المستعین سلیمان فانهمز سلیمان وقبض علیه وعلى أخیه عبد الرحمن وأبیهما الحكم بن سلیمان بن الناصر، وسيقوا أسرى إلى علی بن حمود، فضربت أعناقهم ووضع رعويس الثلاثة فی طست، وأخرجت من القصر إلى المحلة فطیف بها ینادی علیها: (هذا جزاء من قتل المؤید هشام بن الحكم) وتولى الخلافة بنو حمود بضع سنین هادرة بالفتن..
* حتى ظهر «الأمیر عبدالرحمن بن سلیمان بن الناصر» فی قرطبة بعد غیبة طالت سنین عددا خفی أمره فیها، فبویع بالخلافة سنة ٤١٤ هـ بلقب المستظهر بالله فلم تمهله الفتنة سوى سبعة وأربعین يوما، أحبط به بعدها فی القصر ونبح علی مرأى من ابن عمه «أبی ولادة» محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحمن الناصر» الذى جىء به یومئذ إلى قصر الزهراء مبهوتا، وبویع فی ذی الحجة سنة ٤١٤ هـ، ولقبوه بالمستکفی بالله.

** قال ابن حیان، ونقل ابن بسام:
[ولم یکن هذا المستکفی من الأمر فی ورد ولا صدر، إنما أرسله الله

١٩٩٢/١١/١٩

(٤)

تعالى على أهل قرطبة محنة وبليّة، إذ كان منذ عُرف غفلا منقطعاً على البطالة مجبواً على الجهالة، عاطلاً من كل خلة تدل على فضيلة.. عضته الفتنة فأمّلق حتى استجاز طلب الصدقة... واجمع أهل التحصيل على أنه لم يجلس في الإمارة أسقط منه ولا انقص. إذ لم يزل معروفاً بالتخلف والركاكة، مشتهراً بالشرب والبطالة، سقيم السر والعلانية عاهر الخلوة...

[وفي أيام المستكفي هذا استؤصلت بقية قصور جده الناصر بالخراب وطمست أعلام قصر الزهراء فطوى بخرابها بساط الدنيا إذ كانت جنة الدنيا. فلما كانت سنة ٤١٦ هـ وتحرك «يحيى بن حمود» إلى قرطبة وضعف أمر المستكفي اتفق الملاء على خلعه، فدخلوا عليه وقالوا فيما قالوا له: «قد علم الله اجتهدنا في تثبيتك فعصى ذلك علينا واضطررنا إلى مقارعة عدونا وهانحن خارجون إليه ولا ندرى ما يحدث لك بعدنا، فإن تك الكرة لك فلا تسر، فمع اليوم غد»]

[فأجمل الرد وانقاد للدنية واستشعر الذل، واغتمم الغرة وعزم على الهروب، فخرج على وجهه وقد لبس ثياب الغانيات متنقياً بين امرأتين لم يميز عنهما لمرانه على التخنيث. وخرج عن قرطبة فمات بإقليمش، وكانت دولته سبعة عشر شهراً صعباً فكادت سودا مشوهات مشنومات..]

بعد بضع سنين بائسة لاحتضار صعب، كانت النهاية الفاجعة لدولة بني أمية بالاندلس بإعلان نعيها في اليوم الثاني عشر من ذي الحجة سنة اثنين وعشرين وأربعمائة للهجرة.. بعد بضع عشرات سنين فحسب، من دولة عبد الرحمن الناصر وأبنة الحكم المستنصر الذي توفي عنها يوم ثاني صفر سنة ست وستين وثلاثمائة، أعظم ما كانت عزاً وجاهاً وهيباً ومنعة.

نهاية لبدايات سبقت بها النذر..

وبداية لنهاية ملوك الطوائف الذين تقاسموا أشلاعهما، وليس في استطاعتهم أن يغيروا مجرى سنن ثابتة لا تتبدل، فيحولوا دون انهيار بنيان يريد أن ينقض [وإذا قضى الله تعالى أمراً سبب له الأسباب] كما قال ابن حبان وهو يشيع في قرطبة دولة الاندلس الكبرى وانقاض مملكتها المؤتلة، ثم يطوى مواجهه ليرصد في المقدور له من أجله، حركة الانحدار المحتوم إلى الهاوية.

** وقد امتد به الأجل نحو من نصف قرن من عصر ملوك الطوائف، نصحيه في تاريخه له إذا يسر الله وأعان، وهو يرصد متجه البداية لعصر ملوك الطوائف إلى نهاية بقاياهم بعد وفاته بأربعة قرون وثمان وعشرين سنة.

(والله عاقبة الأمور)
صدق الله العظيم

شاهدة عصر ٢٩

د. بنت الشاطي

معركة التحدي وعبرة الأيام

[البدايات عنوان النهايات]

ما يزال (عام إسبانيا) يحتفل بذكرى مرور خمسة قرون على تسليم «غرناطة» سنة (١٤٩٢ م - ٨٩٧ هـ) آخر معقل للعرب المسلمين بالأندلس، والبقية الباقية من دولتهم الكبرى التي مزقتها الفتن الشنعاء وأعلن ملوك الطوائف نهايتها بقرطبة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة للهجرة، وتقاسموها دويلات بينهم فما زالت تتساقط واحدة بعد الأخرى حتى سقطت غرناطة، آخر مملكة لهم بالأندلس.

وما زلت مع «أبي مروان ابن حبان القرطبي» في تاريخه الكبير وهو يشيع بقلب كسير دولة الخلافة الأموية بالأندلس سنة ٤٢٢ هـ: نهاية حتمية سبقت بها النذر، وبداية كئيبة موحجة، لما يتوقع من مصير بقاياها بين أيدي الذين وعشرين من ملوك الطوائف قد بدت بينهم العداوة والبغضاء أبداً، وفشا فيهم الحسد والبغى على مرأى ومسمع من عدو يتربص بهم الدوائر ويستنصر به بعضهم على بعض..

لم يغادر أبو مروان مرصده بقرطبة إلى عاصمة أو أخرى من عواصم ملوك الطوائف في شتى أرجاء الأندلس، ولا فكر في الهجرة من الأندلس فيمن هاجروا إلى المغرب توقعوا للمصير المشئوم. بل تجلد للصدمة ليرصد مسار الأحداث في اتجاهها نحو المصير المتوقع، لا تملك أن تحيد عنه.

واعفاه من زهول الصهوة بنهاية دولة الخلافة، سبق توقعه لها وإنذاره بها منذ عام الفتنة العمياء سنة ٣٩٩ هـ التي أدركته وهو في مقتبل العمر فانهلته وعطلت تاريخه لها ريثما أفاق من أخذه هذه الفتنة الشنعاء المدلهم، المفرقة للجماعة الهادمة للمملكة المؤتلة، المغربية على الشئ من جميع ما مضى من الفتن الإسلامية...

في أعقابها كانت وقعة «قنتيش» على أبواب قرطبة، انتصر فيها «المستعين بالله سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر» على عم أبيه «المهدي بالله» حفيد الناصر، بمن استنصر بهم من عسكر العدو، وتمت له البيعة الثانية في منتصف شهر ربيع الأول سنة أربعمائة، بعد الوقعة المشئومة بثلاثة أيام.

وكتب ابن حبان توطئة للمرحلة كلها بمملكة المستعين التي [كفأها] ذما أن أنشأها «شأنجه» فقشعها ريموند، وثبتها الجلالة ومزقتها الأفرنجة، وديرها فاجر شقى ووزر لها خب دني، فتمخضت عن الفاقة الكبرى وألت بمن أتى بعدها إلى ما كان أعضل وأدهى، مما طوى بساط الدنيا وعفى رسمها وأهلك أهلها... فكان ذلك سبباً في تفريق البلاد وتملك أصحاب الطوائف...

لا شيء إذن مما وقع من تفريق الجماعة وهدم دولة الخلافة، لم يتوقعه أبو مروان من قبل وينذر به

(٢)

حتى وفعت الواقعة سنة ٤٢٢ هـ وهو مكتمل النضج في الخامسة والأربعين من عمره فلم تذهله عن وعيه وتعطله عن كتابة التاريخ. مثلما عطلته في شبابه الفتنة المدلهمة سنة ٣٩٩ هـ. وأقام في قرطبة يرصد الوقائع ويدون التاريخ. هل لي أن أقول إنه بعد أن تمرقت دولة الخلافة وتفرقت الجماعة، تعلق بالرجاء في إمكان إنقاذ البقايا المبعثرة؟ لا يبدو لي ذلك بعيداً، فليس من طبيعة الأشياء أن ينفض يده من بقايا عزيزة غالية فيها رفق من حياة لم تخرج من أيدي المسلمين إلى قبضة العدو، ولا من منطق التاريخ، وهو علمه، أن يعطل التاريخ، ولم تتعطل شعائر الإسلام في ممالك الطوائف. وأعانه على مغالبة اليأس أن كانت الطبقات الأولى من ملوك الطوائف، مرجوون لا نقاذ ما يمكن إنقاذه من بقايا دولة الإسلام الجامعة، ليس فيهم من هو من شذاز الأقاق المغامرين أو السفلة الرعاع المتبوزين، بل كانوا من ذوى القدمة والجاه والرياسة في بلدانهم وبين اقوامهم. وتاريخ الأندلس الكبير الموثق، يحفظ لأوائلهم مواقف مشهودة ومآثر مروية، طواها أن حملوا وزر الفاقة الكبرى وتبغة كارثة الضياع. وقد عاش أبو مروان القرطبي في ظل ملوك الطوائف ما يقرب من نصف قرن: الشطر الثاني من حياته، خلاصة التجربة وحصاد السنين. وأرخ فيما قرأت من نقول من تاريخه (المتين) لنحو من أربعين سنة من عصرهم [المؤذن بوشك القلعة] كان فيها شاهد العصر رؤية وسماعاً. موقفه منهم يبدو مشوباً بغموض، فيه من ظاهر التناقض ما تعقبه عليه الدارسون المحدثون وعدوه من سقطاته التي لا يلتبس له فيها عذر. ذلك أنه مع الذائع المشهور من سوء حالته في ملوكهم والمعروف من قهره وأساها لما تمرق من شمل دولة الخلافة، ثبت أنه كان بينه وبين كبار ملوكهم تواصل ومودة. من ذلك ما نقل ابن بسام من خطه في ديباجة تاريخه الكبير، أنه أهداه إلى ملك طليطلة [الأمير المؤئل الإمارة المأمون ذي المنجدين الكريم الطرفين يحيى ابن ذي النون] عرفاناً بفضل سبق إليه وجميل أسداه إليه من خطبة سننية اتته على بعد الدار. وأثنى على «أبي الوليد ابن جهور». ثاني ملوك بني جهور بقرطبة. واعتز بأن قلده. ابتداء من غير مسبة، منصب إملاء الذكر في ديوانه [وهو المنصب الملائم لصنعتة] براتب واسع. وفي الخبر أن ملوك الطوائف الذين عاصروهم كانوا يهادونيهم، وأن طائفة منهم استهدوه تاريخه الكبير. قال «ابن بسام» في الذخيرة: «وما تحدث بتاريخه في ملوك الطوائف بأفقتنا، استشرفت طائفة منهم إلى مطالعة غرره وعدوها من فرص العمر واستهدود إياه وأجزلوا على ذلك قراء».

(٣)

دون أن يجور ذلك ومثله على أمانة مؤرخ صدوق، لم ير من حقه أن يفض من مكرمة أو يجحد جميلاً أو يكتم ما أسدوه إليه من غير مسألة لم يمنعه ذلك من تعقب أخطاء من توبدوا إليه، وأن يدون في تاريخه الكبير الذي استهدوه إياه ما حكى «ابن سعيد في المغرب»: أن عبد الملك بن أبي الوليد ابن جهور حلف أن يسفك دم ابن حيان لما شاع من قوله: إن أبا الوليد لا يصلح لهذا الأمر. فأحضر أبو الوليد ابنه عبد الملك وقال له فيما قال: «والله لئن طرا على ابن حيان أمر، لا أخذن فيه سواه» اتريد أن يضرب بنا المثل في سائر البلدان بأننا قتلنا شيخ الألب والمؤرخين في كنفنا مع أن ملوك البلاد القاصية والدانية تداريه وتهاديه؟

وزف ابن حيان تاريخه الكبير إلى «المأمون يحيى ابن ذى النون» عرفانا بمكرمة سبقت إليه منه دون مسألة. ثم كان مع القرطبيين حين سخطوا عليه حصار قرطبة لما استعان به عبد الملك بن أبي الوليد ابن جهور، في صراعه مع أخيه بعد موت أبيهما. وأثنى على «اسماعيل بن عباد» صاحب إشبيلية، حين استنجد به أهل قرطبة فرفع عنهم حصار «يحيى ابن حمود» صاحب قرمونه، ثم أنكره ابن حيان مع القرطبيين حين احتل قرطبتهم بعد مصرع يحيى بن على بن حمود، وضمها إلى إشبيلية، مملكة بني عباد.

وأقام ابن حيان يرصد مواقع الفتن ومصارع البغى وحروب المطامع والأهواء والأحقاد، تشغل ملوك الطوائف بعضهم ببعض، والعدو متربص بهم ينيلونه بأيديهم ما لم يكن ليناله منهم غصبا.. ورحم الله، أبا مروان ابن حيان القرطبي، توفي بها سنة ٤٦٩ هـ فلم يشهد بعينيه تساقط الحواضر الإسلامية واحدة تلو الأخرى، كعقد أنحل نظامه، في الطريق إلى قرطبة التي قاومت طويلا إلى أن سقطت في الحادي والعشرين من شوال سنة ٦٣٦ هـ وبقيت غرناطة تقاوم بأخر رمق من دولة الأندلس الكبرى، عصيت به على العدو قرونا، إلى أن وقع آخر ملوكها بني الأحمر، وثيقة تسليمها في اليوم الثاني من شهر ربيع الأول سنة ٨٩٧ هـ - ١٤٩٢ م.

وانتهت دولة المسلمين بالأندلس بعد وفاة ابن حيان بأكثر من أربعة قرون.

لكنه شهد بداية النهاية في وقعة «بريشتر» أول ما سقط من قلاع الأندلس، قد مضت قبلها دولة الخلافة سنة ٤٢٢ هـ وثلاث قرن من عصر الطوائف المسلمة لم تسقط خلالها حاضرة إسلامية غصبا، وإن سبقت النذر بسقوطها.

وأرخ ابن حيان لوقعة «بريشتر» قرب سرقسطة، سنة ست وخمسين وأربعمائة، وهو يستبصر على المدى البعيد مصير الأندلس إلى (القلعة) في النهاية الفاجعة للأندلس، [والبدايات عنوان النهايات] عنده.

(٤)

وذكر ابن حبان ما كان من تقصير واليهما يوسف بن سليمان بن هود في حمايتها وتركه أهلها لأنفسهم [فاقام العدو عليها أربعين يوما في ملحمة صعبة مع أهلها اعطاهم بعدها الأمان ثم غدر بهم قتلا واسرا وسبيا، وانقسم علوجه دور البلد بمن فيها من أهلها، فبلغوا منهم يومئذ ما لا تلحقه الصفة على الحقيقة. ولما غزم قائد الروم على القفول إلى بلده تخير من بنات المسلمين ذوات الجمال ومن صبيانهم الحسان، الوفا عدة ليهديهم إلى من فوقه. وترك من رابطة خيله ببريشتر ألفا وخمسمائة، ومن الرجال الفين].

وختم ابن حبان وصف الواقعة بقصة مروعة مما وقع بالمسلمين في أعقاب الهزيمة الكاسرة، تكفي عبرة موقظة لقلوب ذوي الألباب [قال: قد أشقينا بشرح هذه الحالة الفادحة مصائب جليلة مؤذنة بوشك القلعة التي طالما حذر أسلافنا لحاقها.. ولاشك أن ذلك مما دهانا من داء التقاطع وقد أمرنا بالتواصل والآفة فاصبحنا من التماذى على ذلك على شفا جرف يؤدي إلى التهلكة لا محالة].

وذكر كلاما في ثم أهل ذلك الزمان من أهل الأندلس [وأنهم يعللون أنفسهم بالباطل. ومن أدل الدلائل على جهلهم اغترارهم بزمانهم وبعدهم عن طاعة خالقهم ورفضهم وصية نبيهم، وغفلتهم عن سد ثغورهم حتى اطل عدوهم الساعى لاطفاء نورهم بجوس خلال ديارهم ويستقريء بسائط قلاعهم.. ونحن في غفلة عما يجرى لأهلنا وجيراننا، ما نسمع عندنا بمبتدئ من مساجدنا أو محفل من محافلنا مذكر بهم أو داع لهم فضلا عن نافر إليهم ساع لهم، كأنهم ليسوا منا..]

قال: [وبريشتر هذه تناسختها قرون من عهد الفتح الإسلامية بجزيرة الأندلس فرسخ فيها الإيمان وتدورس القرآن. إلى أن طرق الناعى بها قرطبنا فصك الأسماع وأطار الأفئدة وزلزل الأندلس قاطبة وظل شغلا للناس أباما في التحدث به والتصور لحدوث مثله، لم يفارقوا فيها عادتهم من استبعاد الوجل والاغترار بالامل...]

النص من أواخر ما قرأت لابن حبان في النقول عنه في (تاريخه الكبير..). وهو يستدير الحياة في الثمانين من عمره، فهل يختلف ما وقع للأندلس منذ رخصه في (سنة ٤٦٩ هـ) إلى القلعة المستأصلة (سنة ٨٩٧ هـ) عما وصف به وقعة بريشتر، وعلل وفسر، وحذر وأندر؟ [لا الآخر بما انتهى إليه من الأول معتبر، ولا الغابر بما مر على الماضي مزيج،

(حكمة بالغلة فما تغن النذر).

صدق الله العظيم.

د. بنت الشاطي

عام أسبانيا وعبرة الأيام:

حسين ذو شجون

عز علي وأنا عاكفة في (عام إسبانيا) على تدبير تاريخ الأندلس، التمس لقومي منه الدرس والعبرة، ان اقرا رسالة من مدريد نشرها الأهرام يوم الخميس الثاني عشر من نوفمبر الماضي، للزميلة، إيناس نور، في الاحتفالات بعام أسبانيا، وفيها تسأل: [ماذا الأندلس ٩٩٢؟] وتقول في الإجابة عنه: [في هذا العام يمر ٥٠٠ سنة على طرد العرب واليهود. وفي وقت سابق أقيم احتفال بالمعهد اليهودي بمدريد حضره الملك ورئيس إسرائيل، وجاء احتفال الأندلس ٩٢ فيما نظر إليه على أنه محاولة من جانب أسبانيا للإقرار بفضل العرب وحضارتهم على البلاد بل وعلى أوروبا..]

بالسيف، وجد الدعاة إليه في ظل السيادة الإسلامية أكثر الظروف الملائمة لنشره، لكن عاقت انتشاره المتوقع عقبات أهمها مقاومة الممالك المسيحية الأوروبية، ولقد حدث أنه منذ بدأ تشابك سيوف المسلمين والمسيحيين، أن ظل العالم المسيحي الأوروبي، لا المسيحية، عدو الإسلام الألد، خلافا لمسلك المسلمين حيال رعاياهم المسيحيين من تسامح وتصديق برسالة المسيح عليه السلام *** وإن لا أبرئ نفسي. فيما يتعلق بالفتح الإسلامي لأسبانيا على وجه الخصوص. من أنفعال يشجو [الحنين إلى مجد الإسلام بأندلسيا] أترك الحديث عنه للمؤرخ الفرنسي العلامة «الاستاذ جوستاف لوبون» في الفصل الخاص بالعرب في أسبانية، من كتابه الجليل عن حضارتنا، قال:

الإسلامي أن نوجز تاريخ أسبانية قبله، ففي ماضي الأمم سر حوادثها الحاضرة، وبماضي إسبانية يفسر سبب السرعة في فتح المسلمين لها: كان للفينيقيين والإغريق والقرطاجيين مستعمرات في

الميعاد، أو كالأمريكان نفايات من شذاذ الأفاق لفظتهم المجتمعات الأوروبية فطروا على أمريكا واغتصبوها من أهلها الزنوج في حرب إبادة عنصرية ساحقة وتطهير عرقي لم يفتر سعاره حتى الساعة. بل كانوا حملة رسالة حضارية، لهم أنسابهم المحفوظة وديارهم المعروفة في الشرق العريق مهد الرسالات والحضارات، حملوا القرآن لواء ومنازا، فلم يمض القرن الأول للهجرة حتى كانوا قد رفعوه عاليا على أقطار دولة الإسلام الكبرى من أقصى الشرق الآسيوي إلى أقصى المغرب والأندلس.

وإذا كانت حركة الفتوح الكبرى قد بهرت التاريخ وأعيا علماء تفسيرها بغير منطقها الديني الذي وضع عن الإنسان مهانة العبودية لغير خالقه وحظر الإكراه في الدين وصدق بالرسالات قبله، فإن فتح أسبانيا لم يفرغ منه عجب، وأذكر ههنا قول المستشرق الإنجليزي الكبير «الاستاذ جب» في مقدمة الفصل الأول من كتاب (وجهة الإسلام). إن طريقة انتشار الإسلام أسبغت عليه من عصر المبعث صفة الدين الغالب، ففي حين أن الإسلام ذاته لم ينتشر

وفي عبارة [طرد العرب واليهود] وهم جارح لوجدان أمة تشجيتها ذكرى الجلاء، لا يطف من جرحه الكلام بعده عن إقرار بفضل العرب وحضارتهم، ولا يجبر وهم اقتتران اليهود بالعرب في هذا السياق، فما كان اليهود طرفا في الصراع بين المسلمين الأندلسيين ونصارى الأسبان، ولا عرف التاريخ قط دولة أو حضارة عربية يهودية، وإنما المعروف للكافة أنها حضارة الإسلام القائدة الرائدة، تالق ضياؤها من منارات الأندلس على حافة بحر الظلمات فأضاعت للغرب الأوروبي ليل عصوره الوسطى وحدث مسراه إلى فجر نهضته الحديثة.

قضية حضارة الإسلام بالأندلس وما شاب فهمنا لها من أوهام، مما أخره لشهادتي للعصر في المقدور لي من أجل، إذا يسر الله وأعان. *** وأنظر اليوم في مقولة طرد العرب من أسبانيا سنة ١٤٩٢ م (٨٩٧هـ).

لم يكن العرب المسلمون في كتاب الفتح شذمة من الغجر سارحين في الأرض التماسا للقوت، ولا كانوا كاليهود فلولا مشردين في التيه بغير وطن يحلمون بعودة إلى أرض

(٢)

استغاثة ملوك الطوائف بالمرابطين البربر في مراكش أواخر القرن الخامس للهجرة ، ثم انقباض ملوك الطوائف عنهم ، ثم عن الموحدين بعدهم ، لما رأوا من شدتهم وصرامتهم في القبض على زمام الأمور على حين كان الأسبان يوسعون من نطاق نفوذهم على حساب المسلمين ، ويحصنون ثغور ممالكهم في البرتغال وأرغونة وقشتالة .

واختصر المؤرخ الفرنسي الطريق إلى أواخر القرن الثالث عشر . التاسع للهجرة حيث [لم يبق للعرب سوى مملكة غرناطة فلما تزوج ملك أرغونة «فريديناند الكاثوليكي» ملكة قشتالة «إزابيلا» حاصره في سنة ١٤٩٢ م . ٨٩٧ هـ . غرناطة معقل الإسلام الأخير في أسبانية وفتحها ، وأصبحت جميع أسبانية عدا البرتغال تابعة لعرش واحد] .

في ذلك اليوم الحزين من أواخر القرن الخامس عشر . الحادي والعشرين من المحرم سنة ٨٩٧ هـ وقع «أبو عبد الله محمد بن علي بن نصر» آخر ملوك بني الأحمر بغرناطة وآخر ملوك الإسلام قاطبة بالأندلس ، وثيقة تسليم غرناطة إلى ملكي أرغونة وقشتالة «فريديناند وإيزابيلا» بعد حصار منهك ، على أن يتم تسليمها نهائياً بعد تسعة وثلاثين يوماً ، في الثاني من شهر ربيع الأول سنة ٨٩٧ هـ .

.....

«كتب لويون»:

[عاهد فريديناند المسلمين على تأمين حرية دينهم ولغتهم ، ولكن بعد سبع سنين حل بالمسلمين دور الاضطهاد والتعذيب الذي بدأ بتعميدهم كرها : ثم أمرت محاكم التفتيش بحرق المعمدين منهم لتطهيرهم بالنار . وكان من المتعذر حرق الملايين منهم دفعة واحدة فنصح كريدنال طليطلة التقى . وكان رئيس محاكم التفتيش - بقطع رؤوس جميع من لم يتنصر من المسلمين ، رجالاً ونساء ، شيوخاً وأطفالاً . لكن الراهب الدومينيكي «بيلا» لم ير في ذلك الكفابة ، وأشار بضرب رؤوس

«القائد موسى بن نصير» يعجب المناصر السريع خلافا لما توقعه من أن يلقي طارق في أوروبا النصرانية ، ما لقيه موسى في البربر من الشجاعة والنخوة وحب الاستقلال ، وما لاقاه من الشدائد في فتح إفريقية البربرية . وأراد موسى أن يشارك طارق بن زياد في مجد الفتح ، فعبر البحر في اثني عشر جندياً من العرب وستة آلاف من البربر .

واتم المسلمون فتح أسبانية في سرعة مذهشة ، فقد سارعت المدن الكبرى إلى فتح أبوابها للفاتحين ، ودخلوا «قرطبة ومالقة وغرناطة وطليطلة» صلحاً تقريباً . ووجدوا في طليطلة - عاصمة النصارى - تيجان خنسة وعشرين ملكاً قوطياً . وأحسن العرب سياسة سكان أسبانية كما أحسنوا سياسة أهل سورية ومصر : فتركوا لهم أموالهم وكنائسهم وقوانينهم ، وأقرروا لهم بحق المقاضاة إلى قضاة منهم ولم

يفرضوا عليهم سوى جزية سنوية زهيدة نظير الخدمات العامة . رضيها الأسبان طائعين وخضعوا للفاتحين من غير مقاومة . ثم لم يدم القتال طويلاً مع الإشراف الأقطاعيين ، فقد كسر الفاتحون كل مقاومة ، ودانت أسبانية للمسلمين في سنتين اثنتين ، حتى استرد النصارى الأسبان ما خسروه بعد جهاد ثمانية قرون ...

*** هذا عن فتح الأندلس في رؤية المؤرخ العلامة «جوستاف لويون» ثم صرح بأنه لايجد حاجة إلى تفصيل لما أعطاه تاريخ القرون الثمانية ، فأوجزه في فقرات قصار ليقول الكلمة الصادقة:

[دامت دولة العرب في أسبانية ثمانية قرون ، أي مايقرب من مدة سلطان الرومان ، وأدى انقسامها إلى زوالها أكثر مما أدت إليه الغارات الأجنبية ، فهم وإن كانت عبقريتهم الثقافية من الطراز الأول فقد بدأ نبوغهم السياسي ضعيفاً .

*** فماداً عن نهايتهم بالجلاء الذي يلتبس بوهم (طرد العرب واليهود من أسبانية)؟ ذكر الأستاذ لويون ماكان من

أسبانية التي كان يسكنها السلت الغوليون ومن لا يعلم أصلهم جيداً من الإيبيريين وغيرهم . ثم فتح الرومان بلاد أسبانية قبل الميلاد بقرنين ، وملكوها حتى القرن الخامس للميلاد ، وازدهرت مدن فيها أيام حكمهم ووهبت لروما رجالات مشهورين مثل سينيك ومارسيال ، وقيصرية مثل تراجان وأدريان ومارك أوربل وتيودور . ثم كان لأسبانية نصيب من إدمار مجد روما ، فقد انقض الوتدال على أسبانية بعد أن خربوا بلاد الغول ، ولم يلبث القوط - وهم من برابرة الشمال - أن استولوا على أسبانية في القرن السادس من الميلاد وظلوا سادة بها إلى مجيء كتائب الفتح ، وانتحلوا النصرانية التي كانت دين الدولة الرسمي بدلاً من عبادة الأصنام ، واتخذوا اللاتينية لغة لهم وحاولوا هضم الحضارة اللاتينية على قدر عقولهم . وكان اختلاط القوط باللاتين قبل الفتح مقتصر على عليبة القوم ، وأما سكان البلاد الأصليون فمن الأرقاء الذين ليس لديهم شيء ليدافعوا عنه... وكان الإشراف في صراع على عرش المملكة القوطية ، يمزقونها باقتتالهم . وخلاصة القول: نزاع اجتماعي وفتن داخلية ، وفقدان الروح العسكرية وفتور من الأهالي المستعبدين عن الدفاع . تلك هي الحال التي كانت عليها مملكة القوط حين ظهور المسلمين . وكان من المفاسات المزرقة للدولة أن سهل «الأمير يوليان» ورئيس أساقفة اشبيلية - وهما من عليه الأسبان - على الجيش الإسلامي فتح أسبانية .

*** كان الجيش مؤلفاً من اثني عشر ألف جندي ، عشرة آلاف منهم من مسلمة البربر ، بقيادة طارق بن زياد البربري ، من رجال القائد العربي موسى بن نصير ، وقد عبر طارق بجندته المضيق إلى ساحل أسبانية وتقرر مصير مملكة القوط في المعركة الأولى للمسلمين . لم يستغرق الفتح سوى بضعة أشهر ، وكان العرب قبله قد أمضوا خمسين سنة في فتح الشمال الأفريقي البربري . وذلك ما جعل أمير إفريقية لاموية دمشق

(٣)

من تنصر من المسلمين ومن بقي على دينه منهم ، محتجا بأنه من

المستحيل معرفة صدق إيمان من تنصر فمن المستحب إذن قتلهم جميعا بحد السيف لكي يحكم الرب بينهم فيدخل النار من لم يكن صادقا النصرانية منهم ... لكن الحكومة الأسبانية رأت أن قتلهم جميعا صعب التنفيذ وأمرت في سنة ١٦١٠) بإجلاء المسلمين عن أسبانية . وطاردتهم جنود محاكم التفتيش في البر والبحر . فقتل أكثرهم ، وأبدي الراهب البار «بيلدا» ارتياحه لذلك ، وهو الذي قتل مائة ألف مهاجر من قافلة مؤلفة من مائة وأربعين ألف مهاجر مسلم ، في طريق هجرتهم إلى المغرب وأفريقية . ويقدر كثير من العلماء ، ومنهم سيديو ، عدد المسلمين الذين خسرتهم أسبانية منذ أن فتح فرديناند غرناطة حتى أجلائهم الأخير بثلاثة ملايين كانت لهم الإمامة الثقافية والصناعية والمدنية فكان من أثر ذلك الحرمان ، أن هبطت أسبانية إلى أسفل درجات الانحطاط بعد أن بلغت قمة المجد . وكانت قبلهم ذات رخاء قليل وثقافة لا تلائم غير الأجلاف القوط ، ولم يكد المسلمون يتمون فتح أسبانية حتى بدأوا يقدمون رسالة الحضارة فيها وكذلك كان صنيعهم في كل بلد خففت فوقه راية الرسول [صلى الله عليه وسلم .

وتحدث بحمية مؤثرة عن حضارة الإسلام في دولته الكبرى ، ثم خص أسبانية بهذه الخاتمة :

[استطاع المسلمون أن يحصلوا أسبانية ماديا وثقافيا في بضعة قرون ، وأن يجعلوها على رأس جميع الممالك الأوروبية . ولم

يقتصر على ذلك ، بل أثروا في أخلاق الناس أيضا ، فهم الذين علموا الشعوب النصرانية ، وأن شئت فقل : حاولوا أن يعلموها ، التسامح الذي هو أئمن ماتصبو إليه الانسانية ، وبلغ حلم عرب اسبانية نحو النصراني مبلغا كانوا يسمحون به لأساقفتهم أن يعقدوا مؤتمراتهم الدينية ، كمؤتمر أشبيلية النصراني الذي عقد في سنة ٧٨٢ م ، ومؤتمر قرطبة النصراني الذي عقد في سنة ٨٥٢ م وتعد كنائس النصراني التي بنوها أيام الحكم العربي من الشواهد على احترام المسلمين لمعتقدات الأمم التي فتحوها . وقد أسلم كثير من النصراني ، وهم الذين استعربوا فغدوا هم واليهود مساوين للمسلمين قادرين على تقلد مناصب الدولة ، فكانت أسبانية العربية البلد الأوروبي الوحيد الذي تمتع اليهود فيه بحماية الدولة ورعايتها ... وكان غرب أسبانية خلال تسامحهم العظيم يتصفون بالفروسية المثالية: فيرحمون الضعفاء ويرفقون بالمغلوبين ويقفون عند شروطهم .. وما إلى ذلك من خلال التي اقتبستها الأمم النصرانية بأوروبية منهم مؤخرا ..]

• • •

قلت: النص للأستاذ جوستاف لوبون ، في الطبعة الثانية من كتابه (حضارة العرب) ترجمة الأستاذ عادل زعير . فهل يبلغ ما أوجزه عن فظائع محاكم التفتيش في العصور الوسطى ، بعض ما يجري في عالم اليوم لشعب البوسنة والهرسك من فظائع التطهير العرقي والاضطهاد الديني ؟ تحية للمؤرخ الفرنسي في صدق لهجته وشهادته ، ونزاهة فكره وقلمه .

شاهدة عصر (٣١)

د. بنت الشاطي

عام أسبانيا وعبرة الأيام:

دولة المرابطين.. ونهاية ملوك الطوائف

● لم يكن عجبا، في غيبة الوعي بتاريخنا، أن غلب على الفهم العام الوهم بأن ملوك الطوائف لبثوا في ممالكهم منذ نهاية دولة الخلافة الإسلامية الأموية، إلى الجلاء عن «غرناطة»، آخر معاقل المسلمين بالأندلس (٤٢٢-٨٩٧ هـ) أي ضعف المدة التي سلّمت لدولة الخلافة الجامعة، وذلك ما يباه منطلق الأحداث والسنن الثابتة لحياة الدول والجماعات.

ولكان عجبا كذلك، في زمان سجل العار بحرب التطهير العرقي والإبادة الجماعية لشعب البوسنة والهرسك، أن نتصور أن ملوك الطوائف تركوا لأنفسهم ولمصيرهم البائس، لم يتحرك لهم جار ولاهتم بهم شعب مسلم، مثلما تركنا شعب البوسنة والهرسك، لم نسعفهم بأكثر من برقيات التأييد، والتواصي بالاحتجاج على ضراوة الوحشية الصربية، والتوسل إلى الأمم المتحدة لتأمين وصول شحنات من معونة إنسانية لا ندرى بيقين لمن نرجو إسعافهم بها بعد إبادة البوسنيين وتشرد بقاياهم «الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله».

● والقياس مع الفارق البعيد..

ذلك ومثله مما يغلب على وهمنا في غيبة الوعي بتاريخنا غير عجيب، ولا هو بمستغرب في زمن الثقافة الإذاعية الضحلة، تقدم للمستمعين والمجاهدين الكرام في عشر دقائق، درسا عن قبيلة من المرابطين اجتاحتها الأنديلس فقهرت الفرنجة، وعن قائد بربري كسر جيوش الأسبان في وقعة فاصلة لم تقم لهم بعدها قائمة..

وكان أولئك المرابطين قبيلة من الأجلاف طراوا على الأنديلس من حيث لم يحتسب ملوك الطوائف، فكسروا لهم عدوهم المتربص بهم، وعادت الحياة بهؤلاء وأولئك سيرتها الأولى

ربما يكون الخطأ يسيرا لو أن كتبنا المدرسية للتاريخ، لم تقدم تاريخ الأنديلس بمعزل عن تاريخ المغرب الذي ظهر على مسرح الأحداث من يوم الفتح الإسلامي بعبور طارق بن زياد البربري، المضيق من المغرب، في عشرة آلاف من جنده البربر المغاربة، معهم ألفان من الحند المشاركة، ثم لم يغب المغرب لحظة قط عن مسرح الأحداث في (الجبهة المغربية الأنديلسية) الموحدة، إلى جلاء المسلمين عن غرناطة في سنة ٨٩٧ هـ وما بعدها، في هجرة تاريخية للإسلام إلى المغرب، ديننا ولغة ودولة وعلمنا وحضارة وقرأنا.

من أجل هذا لا أجد حرجا في أن أشق على قرائي الكرام بما أقدر حاجتهم إليه من فكرة موجزة عن تاريخ أمتهم في جبهتها المغربية الأنديلسية القصوى..

(٢)

(الفتنة الشنعاء) التي أعقبت سقوط دولة الحاجب المنصور بن أبي عامر سنة ٦٩٩ هـ بمقتل ثاني ولديه «المأمون بن المنصور العامري» عن فراغ رهيب في مركز السلطة، إذ كان الخليفة الشرعي الصبي «المؤيد هشام بن الحكم بن الناصر» قد حجبته العامريون عن الملك والزموه المقام في جناح الحريم، لصغر سنه. فحدث أن عهد المؤيد هشام بولاية عهده إلى «علي بن حمود الإدريسي المغربي» [لما راه هشام من اضطراب أمره ومأمنه به قديما وحديثا من تمالؤ بني عمه، آل عبدالرحمن الناصر، عليه وقيامهم واحدا بعد الآخر في خلعه] فعبر «علي بن حمود» من المغرب إلى الأندلس، وخاض في الفتن الهوج التي عصفت بدولة بني أمية سنة ٤٢٢ هـ [بعد نزاع بينهم شديد وقتال منهم عصيب مديد] وحاول الخصمونيون أن يخلفوها، لكن رؤساء الأندلس ما لبثوا أن اقتسموا عواصم المملكة، وصارت الحال إلى ما قال «لسان الدين ابن الخطيب»

«حتى إذا سلك الخلافة انتثر، وذهب العين جميعا والآخر، وصاح فوق قام بكل بقعة عليك، وصاح فوق كل غصن بك»

من ثم يبدأ (خبر الغزوة الكبرى بالأندلس) في كتاب (الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: لمؤرخ المغرب العلامة، الشيخ أبي العباس الناصري) قال: [فوجد العدو السبيل إلى الاستيلاء على ثغور المسلمين وانتهاز الفرصة فيها بالضرب بين ملوكها وإغراء بعضهم ببعض - وذكر أسماء كبارهم - ثم قال: وكلهم يدارى الطاغية ويتقيه بالجزية، إلى أن كان من أمر الأذفونش ما كان من تخريب بلادهم واستيلائه على «طليطلة» بعد حصاره إياها سبع سنين، ثم حصاره «سرقسطة» فلما رأى رؤساء الأندلس ما نزل بهم، اجتمع رأيهم على إجازة «يوسف بن تاشفين» فكاتبه أهل الأندلس كافة، من الخاصة والعلماء، يستصرخونه في تنقيس العدو عن مخنقهم، ويكونون مع «يوسف بن تاشفين» بدا واحدة عليه..]

ووطأ «الناصرى» لهذا الخبر بتاريخ (الدولة المرابطية الصنهاجية الممتونية وأوليئها) وفيها نسب أمير المسلمين «يوسف بن تاشفين البربري الصنهاجي الممتوني»، وصنهاجة أعظم قبائل البربر بالمغرب، كان دينهم الوثنية حتى أسلموا بعد الفتح، وكانت الرئاسة فيهم لقبيلة لمتونة التي استوسق لها ملك ضخم عند دخول «عبدالرحمن» بن معاوية بن هشام المرواني - الداخل (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) - واقترب ظهور المرابطين بظهور ملوك الطوائف في الأندلس: ففي سنة ٢٧٠ هـ كان على صنهاجة «الأمير يحيى بن إبراهيم الممتوني» خير تلاميذ «الفقيه عبدالله بن ياسين الجزولي» إمام المرابطين. اجتمع له في رباطه ألف من سابقة المرابطين.. وبأمره ألت الرئاسة على قبائل صنهاجة إلى «أبي زكريا يحيى بن عمر الممتوني» وكان من أهل الصلاح والدين والتقوى، عزم على الخروج إلى الأقاليم الصحراوية مجاهدا، وقد عظم عليه أن يقتل المسلمون بعضهم بعضا وهو قادر على كفهم، وقبل خروجه إلى الصحراء في ذي القعدة سنة ٤٥٣ هـ. استقدم ابن عمه «يوسف بن تاشفين» وكان أمره قد عظم بالمغرب، فقال له: (إني وليتك هذا الأمر وإني مسئول عنه، فاتق الله في المسلمين واعتقني واعتق نفسك من النار، ولا تضع من أمور رعيتك شيئا فإنك مسئول عنه. والله يصلحك ويوفقك للعمل الصالح والعدل في رعيتك، وهو خليفتي عليك وعليهم.) ثم ودعه وانصرف إلى الأقاليم الصحراوية فأقام بها مواظبا على الجهاد في السودان، حتى استشهد بعد أن استتب له الأمر وعلى يديه تمت الفتوح في السودان ودخلوا في الإسلام كافة. ومات فيه مجاهدا سنة ٤٤٥ هـ فولى «عبدالله بن ياسين» أخاه «أبا بكر بن عمر» وندب المرابطين فدخلوا بلاد السوس والمصامدة. وكان الأمير أبو بكر صالحا ورعا، جعل على مقدمة جيشه ابن عمه «يوسف بن تاشفين» فأخضع قبائل المغرب وعظم أمره ورسخت هيئته، وفي سنة ٤٥٤ هـ اشترى موضع مدينة مراكش، وبدأ ببناء مسجده فكانت تختزم ويعمل في البناء بيده مع الخدمة، تواضعا لله تعالى، ثم بنى مدينة مراكش قاعدة له

(٣)

ولجيشه. وجند الأجناد واصطفى القواد، وجاهد وفتح، فكمل له في ذلك العام ٤٥٤ هـ - مائة ألف فارس من قبائل صنهاجة وجزولة والمصامدة وزناتة، جال بهم في بلاد المغرب ونازل من بها من القبائل في الأحواز والمدن والقلاع، فما جاءت سنة ٤٦٤ هـ حتى كان قد أغلب على سائر قبائل البربر فبايعوه وصفا له ملك المغرب سوى «سبتة وطنجة»، فتولى فتحهما أبنته «المعز بن يوسف» وسار يوسف إلى قابس فاستدعى أمراء المغرب وأشباه القبائل فقدموا عليه وبايعوه، ثم خرج فطاف على أعمال المغرب وتفقد أحوال الرعية والنظر في سيرة ولاته وعماله فيها ثم سار إلى سبتة، ومنها كان العبور إلى الأندلس.

في رواية ابن خلدون، أن «المعتمد بن عباد، صاحب أشبيلية، وافى يوسف بن تاشفين بسبتة، [لاستنفاره إلى الجهاد، فأخبره بحال الأندلس وماهى عليه من الضعف وشدة الخوف والاضطراب، ومايلقاه المسلمون من عدوهم من القتل والأسر والحصار كل يوم، ونزل «المعتمد» ليوسف عن الجزيرة الخضراء باب الأندلس لتكون رباطا لجهاده، فعبر إليها في موكب عظيم من قواد المرابطين وأنجاهم وصلحائهم.. فلما ركب سفينته رفع يديه وابتهل ضارعا: (اللهم أن كنت تعلم أن في جوازنا هذا صلاحا للمسلمين فسهل علينا هذا البحر. وإن كان غير ذلك فصعبه حتى لا نعبره).

وسهل الله عليهم البحر فعبروه في أسرع وقت، يوم الجمعة عند الزوال، من منتصف شهر ربيع الأول سنة ٤٧٩ هـ ونزل بالخضراء فصلى بهم الظهر، وفتحت الجزيرة لجنده أبوابها وقلوبها ينزلون حيث شاعوا، واتصل الخبر بالأفونش وهو محاصر لسرقسطة فارتحل عنها، واستنفر كبار ملوك النصرانية فاجتمع له منهم مايقوق الحصر.

وفي رواية عند ابن الأثير وابن خلكان، [أن ملوك الطوائف كرهوا إمام يوسف بن تاشفين بجزيرتهم وأعدوا له العدة، ثم استهولوا جمعه واستصعبوا مدافعته، وكرهوا أن يصيحوا بين الفرنج عن شمالهم والمرابطين عن جنوبهم، وكانت الفرنج قد اشتدت وطأتهم عليهم، وربما يقع بينهم صلح على شيء معلوم يأخذونه كل سنة من المسلمين، والفرنج مع ذلك ترهب جانب ملك المسلمين.. فوقع اتفاق ملوك الطوائف على مكاتبته يسألونه الإعراض عنهم، وأنهم تحت طاعته].

قرب نهر «بطليوس»، كانت الملحمة التاريخية الكبرى بين الفرنجة والمسلمين، وقد نزل المسلمون بموضع الزلاقة والفرنجة قرب النهر حاجزا بينهما يشرب منه هؤلاء، وهؤلاء وضجت الساحة بدعاء الصالحين من هؤلاء وهؤلاء وطالت المجاهدة والمصابرة حتى تم النصر للمسلمين وقت الزوال يوم الجمعة منتصف شهر رجب سنة ٤٧٦ هـ، ولبث الجند أياما أربعة يجمعون ما على ساحة القتال من غنائم «الزلاقة»، عفا عنها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وأثر بها ملوك الطوائف، وأقام بظاهر أشبيلية حيث جاءه نعي ولده أبي بكر، وكان قد تركه مريضا بسبتة.

ذلك قد كان الجواز الأول لأمير المسلمين «يوسف بن تاشفين البربري الصنهاجي اللمتوني» من المغرب إلى الأندلس، سنة ٤٧٦ هـ.
الجواز الثاني، كان في سنة ٤٨١ هـ
استنفره إليه «المعتمد بن عباد»، وكان الأفونش قد الح عليه بالعدوان

(٤)

والحصار المنهك، دون سائر أمراء الأندلس، لكونه الذي يادر باستصراخ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وسار يوسف إلى الجزيرة الخضراء وقد سبقه إليها ابن عباد بالميرة والضيافات. ومن هناك كتب يوسف إلى أمراء الأندلس يدعوهم إلى الجهاد وواعدهم اللقاء عند (حصن لبيط) بإشبيلية، فلم يجبه منهم سوى «ابن عبدالعزيز صاحب مرسية، وأقام ابن تاشفين على حصار الحصن أربعة أشهر لم ينقطع فيها القتال. وجاء الأذفونش في أمم لاتحصى فانحرف له يوسف عنه إلى لورقة، ثم إلى المرية، ثم جاز إلى العدو وقد تغير على أمراء الأندلس لعودهم عن الجهاد معه.

الجواز الثالث لأمير المسلمين كان برسم الجهاد. نزل بجنده على طليطلة وحاصر الأذفونش وشن الغارات باطرافها حتى اكتسحها، ولم ياته من أمراء الأندلس أحد. وعمد إلى غرناطة فنازلها وكان عليها «عبدالله بن بلكين بن باديس»، وقد صالح الأذفونش وظاهره على أمير المسلمين وأغلق أبوابها دونه، فحاصره نحو من شهرين فطلب الأمان فأمنه هو وأخاه تميم بن بلكين صاحب مالقة، وبعث بهما، مع أهلهما، إلى مراكش وأجرى عليهما رزقهما حتى ماتا هناك. عندئذ خاف «المعتمد بن عباد»، ويقال أنه طمع في أن يضم إليه ابن تاشفين غرناطة فأعرض عنه وتغير عليه. وعبر تاشفين إلى العدو سنة ٤٨٣هـ. ومن مراكش ولي قائده «سير بن أبي بكر اللمتوني»، على الأندلس وفوض إليه جميع أمورها، ولم يأمره في ابن عباد بشئ. وسار أمير الأندلس «سير بن أبي بكر» إلى إشبيلية وفي حسابه أن يلقاه صاحبها ابن عباد ويحمل إليه الميرة على العادة، فلم يفعل ابن عباد وتحصن منه وامتنع عن الدخول في طاعته، فحاصره قائد المرابطين وسار إلى قرمونة فدخلها عنوة فاشتد الأمر على المعتمد بن عباد فبعث إلى الأذفونش يستغيث به على المرابطين ويوعده بإعطاء البلاد وبذل الطارف والقلاذ، فاستعفه بجيش كبير التقى بجيش المرابطين بالقرب من (حصن المدور) فانهزم الفرنجة لم يفلت منهم إلا قليل، يوم الأحد الثاني والعشرين من رجب سنة ٤٨٤هـ. ثم سار إلى إشبيلية وشد عليها الحصار حتى أسر ابن عباد وجيء به إلى الحضرة بمراكش، ومنها نفى إلى «أغمات» سنة ٤٨٨هـ.

وتوافق أمراء الطوائف. وكان أمير المسلمين قد استجاب لضراعتهم فابقاهم ولاية له على نواحيهم. على قطع الميرة عن عساكره، فاستفتى فيهم الفقهاء وأهل الشورى فجاءته فتاواهم من المشرق والمغرب بخلعهم.

قال مؤرخوه: [وانتظمت بلاد الأندلس لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وانقرض ملك الطوائف فيها أجمع كان لم يكن، بعد أن طال صبره عليهم.. وكان. رضى الله عنه. حازما ضابطا لمصالح الدولة مؤثرا لأهل العلم والدين حريصا على الجماعة، يخطب للخلفاء من بني العباس ببغداد. ولم يزل على جاهه وعزه وسلطانه إلى أن توفي يوم الاثنين لثلاث خلون من المحرم سنة ٥٠٠هـ، وكانت مدة قيادته وحكمه خمسين عاما طيبة المخل والمخرج.

(ولله عاقبة الأمور)

صدق الله العظيم.

العدد ٤٢

د. بنت الشاطي

عام اسبانيا وعبرة الأيام

ميراث دولة المرابطين، وقيام الموحدين

● يساورني الضيق أحيانا من أن أكون فيما أكتبه في (عام اسبانيا وعبرة الأيام) مظنة الغيبوبة عما يجري في زماننا من ويلات معركة يحتشد لها العالم الجديد تجاه تحدى الاسلام.
لولا كلمة طيبة تأتيني بين حين وآخر من قارئ كريم بقدر مثلي أن تاريخنا كله (موضوعه الإنسان والزمان) وأن ما اعلنه العالم الجديد عما يواجهه من تحدى الاسلام، إيدان صريح بما اعقبه على الساحة الاسلامية من (بدايات هي بالضرورة عنوان النهايات).
ولما أعلمه من غيبة الوعي بتاريخنا ، أتابع النظر في (عام اسبانيا) من حيث وصل بنا الحديث يوم الخميس الماضي عن (دولة المرابطين) عند وفاة « أمير المسلمين يوسف بن تاشفين » بطل معركة (الزلاقة) التاريخية أول مشاهدته بالأندلس ثم لم يزل بعدها يتابع الجهاد حتى استولى له الأمر في الأندلس مع المغرّبين الأقصى والأوسط [وانقرض ملك الطوائف كله كان لم يكن] بلفظ المؤرخ المغربي أبي العباس الناصري.

وأمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، توفي بمراكش سنة خمس مائة للهجرة ، أعز ما يكون جاهها وهيبه ، وبين وفاته وجلاء المسلمين عن غرناطة واسبانيا سنة ٨٩٧ هـ ، أربعة قرون إلا ثلاث سنوات بالتحديد ، فما الذي جرى بعده لدولة المرابطين التي تركها في ظل اللواء الجامع للجهة المغربية الأندلسية الموحدة ، ليس فيها هناك أو هنالك من المدائن والثغور سوى ولاية لأمير المسلمين في مراكش ، قاعدة دولته العظمى ، وبلغ من تواضعه وحرصه على شعار الجماعة أن خطب في ممالكه لأمير المؤمنين الخليفة العباسي ببغداد ؟
في النصف الأول من القرن الثامن للهجرة ، استخلص مؤرخ الاسلام « الحافظ ابو عبدالله الذهبي » (العبر) من تاريخ الاسلام الكثير فكتب في جويليات العبر لسنة خمس مائة للهجرة ، ومن توفي من اعلام المسلمين فيها :
يوسف بن تاشفين أمير المسلمين سلطان المغرب ، أبو يعقوب . الصنهاجي . الممتوني البربري الملقب . توفي ثالث المحرم ... وكان أكبر ملوك الدنيا في عصره ، بطلا شجاعا ، عادلا خشنا العيش كقومه البربر . اختط « مراكش » دارا للإمامة ، وكثرت جيوشه وبعد صيته وتملك الأندلس ودانت له الامم . وفي آخر أيامه بعث رسولا إلى العراق يطلب عهدا من المستظهر بالله العباسي فبعث له بالخلع والتقليد واللواء ، وأقيمت الخطبة العباسية بممالكه . وعهد من بعده إلى ابنه « علي » الذي خرج عليه « ابن تومرت » [وبين الذهبي ويوسف بن تاشفين قرابة قرنين ونصف قرن ، أرجع فيها البصير في تاريخ المغرب والاندلس لآري ماذا صنعت الأيام والليالي بدولة المرابطين الكبرى وسلطانها أمير المسلمين ؟]

فاكاد لا أملك نفسي من أسى وحسرة إذ يرتد البصر إلى حسيरा بالجواب :
لم تمهل النوازل بعده دولته الكبرى لتستكمل نصف قرن ، ولا حفظت أمير المسلمين في ولده « علي » وحفيده « تاشفين بن علي » وكانا على عهده ووعد ما استطاعا ، مرجوين للأمة في جبهتها المغربية الأندلسية القصوى ، في فترة صعبة حرجة من تاريخها .

وغير مستغرب من عبرة الأيام ، أن دولته لم تهدمها معاول الفرنجة ، ولا أصابت ولده وحفيده طعنة من عدو . بل كان القضاء عليهما وعليها في ديارهم بالمغرب ، بأيدي مغاربة من البربر ، شيعة « ابن تومرت » المشار إليه فيما نقلت أنفا من (العبر ، للحافظ الذهبي)
فلنتابع الأحداث .

(٢)

يستهل مؤرخو المغرب عهد أمير المسلمين «علي بن يوسف بن تاشفين»
بهذه الفقرة :

[لما توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين رضي الله عنه في أوائل المحرم سنة خمس مائة تمت البيعة بمراكش لابنه أبي الحسن علي، بعهد من أبيه.. وملك من البلاد ما لم يملكه أبوه ، لأنه صادف البلاد ساكنة والأموال وأفرة والرعايا أمنة بانقطاع الثوار واجتماع الكلمة. وسلك طريق أبيه في جميع أموره، واهتدي بهديه [عفة وورعا وتقوى وحزما.

وأضى سنتين في ترتيب أمور دولته، ثم عبر بجيوشه من سبتة، في جواره الأول إلى الأندلس، في منتصف المحرم من سنة ثلاث وخمسمائة، ففتح سبعة وعشرين حصنا من أعمال طليطلة، وفتح مجريط. مدريد. ووادي الحجارة، وعهد إلى أمرائه في الجهاد وضبط الثغور، ثم عاد إلى مراكش.

وكانت «سرقسطة» حتى سنة ٥١٢ هـ في أيدي بني هود، من ملوك الطوائف الذين من عليهم يوسف بن تاشفين واستبقاهم ولاية له وعجز بنو هود عن حماية سرقسطة فاستولى عليها الفرنجة بعد حصار منهك لم تتركها فيه النجدة من كتائب المسلمين. وتابع الفرنجة في سنة ٥١٣ هـ الضغط على بلاد شرقي الأندلس حتى سقطت «قلعة أيوب» وكانت امتع قلاعها. وقدم أمير المسلمين فضبط الثغور وفتح «شنتمرية» ثم رجع إلى المغرب، وفي سنة ٥٢٠ هـ ولي ابنه الأمير تاشفين أمر الأندلس، فانتصر على الفرنجة في موقعة (فحص الضباب) وفتح ثلاثين حصنا، ومدينة (اشكونية) سنة ٥٢٢ هـ، ثم رحل إلى مراكش ليكون مع أبيه أمير المسلمين، في مدافعة الموحدين شيعة ابن تومرت : محمد بن عبدالله البربري المصمودي.

موجز المعروف من سيرته، يبدأ برحلة طويلة إلى المشرق في طلب العلم، عاد منها شهابا ثاقبا حديد البصر، له باع في الفقه والحدل وعلم الكلام، ذكيا بارعا في الدعوة إلى مذهب له في التوحيد، وتاويل المتشابه. فلم يزل ينتقل بدعوته من بلد إلى بلد، بالمشرق والمغرب، وهو يطارد من فقهاء أهل السنة حيثما نزل. حتى استقر في بلدته تينمل بين عشيرته المصامدة، ومن كانوا يحضرون مجلسه. وسبق أن مر بمراكش قبل استفحال أمره، فحذر فقهاؤها أمير المسلمين علي بن يوسف من فتنته ونصحوا له بحسبها، لكنه تردد في أمره واستراح إلى خروجه من مراكش، يظن أن قضيتك انتهت، فكان وإياه كما قال : المراكشي في المعجب :

[اغفل المرابطون عقله وربطه، حتى دب إليهم دبيب القلق في الغسق، وترك في الدنيا دويا.]

استفحل أمر ابن تومرت، في حياته، وادعى في أصحابه أنه المهدي المنتظر، ورتبهم ترتيبا غريبا، فمنهم أهل الجماعة العشرة أصحاب التفاوض والمشورة، وأهل الدار للخدمة، والساقاة للمباهاة، وأهل خمسين وسبعين والحفاظ والطلبة لحمل العلم والتلقى وسائر القبائل لمدافعة العدو. وفي مقدمتهم جميعا : عبد المؤمن بن علي الكومي، خالصته من صحبه وموضع سره وخليفته من بعده، مؤسس دولة الموحدين شيعة ابن تومرت وحملة مذهبه في التوحيد والكلام وتاويل المتشابه.

وقد غزا ابن تومرت ثمانى غزوات في أرجاء المغرب، في الأخيرة منها كانت (وقعة البحيرة) باجواز مراكش سنة ٥٢٤ هـ، بقيادة الرشيد «أبي محمد الوشريسى» من الأصحاب العشرة، وقد بدا للرشيد قبل المعركة أن يمتحن الموحدين تمحيضا لإيمانهم بالمهدي، فأجرى عملية (تمييز) قتل فيها الوفا منهم، شككا في صدق إيمانهم. وقصد إلى مراكش بجيش اجتاح (محنة التمييز) فلقبهم المرابطون عند البحيرة وانزلوا بهم هزيمة ساحقة، قتل فيها البشير القائد وصفوة من أصحاب ابن تومرت، وقد كسرت الهزيمة ومرض بعدها وفي نفسه هاجس من تردد أتباعه في دعوته. وبدا له فدعا عبدا مختارا منهم وأسر إليهم بأن يدفنهم أحياء في ساحة الموقعة ويزود كلا منهم بمتنفس في قبره، ولقبهم أن يقولوا إذا سئلوا عن حالهم : قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، وأن ما دعا إليه الإمام المهدي المعصوم هو الحق !،

وجازت الحيلة على أغرار منهم، وفتن بها من فتن. ومات المهدي بعد أيام، في شهر رمضان من سنة ٥٢٤ هـ.

واستفحل أمر شيعته الموحدين في عهد خليفته «عبد المؤمن بن علي»، وقد خرج بجيشهم من تينمل يريد فتح المغرب، في أواخر أيام «أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين»، وكان ابنه الأمير «تاشفين» بالأندلس، فاستقدمه لمدافعة أصحاب ابن تومرت

(٣)

كان مسير عبد المؤمن على طريق الجبال، والامير تاشفين بن علي يسير معارضا له على طريق السهل، واقاموا على ذلك مدة توفى خلالها امير المسلمين على بن يوسف في شهر رجب سنة ٥٣٧ هـ، وبويع ابنه تاشفين بعهد منه، وهو في الحرب ومضى بعد البيعة يدافع عبد المؤمن حتى التقى الجمعان في وهران، فانقض الموحدون على جموع المرابطين بها، ولجا الامير تاشفين إلى ربوة هناك فاحدقوا بها واضرموا النيران، حولها حتى إذا غشيهم الليل خرج الامير تاشفين من الحصن راكبا فرسه، فاهوى من شاهق، ومات رحمه الله في ليلة مظلمة ممطرة، في السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة ٥٣٩ هـ ووجدوه من الغد صريحا فاحتزوا رأسه وحمل إلى « تينمل » فعلق على شجرة هناك، بعد ملازمته قتال عبد المؤمن في البيداء. لم يأت إلى ظل قط من يوم البيعة له إلى أن مات بعدها بسنتين وشهر ونصف شهر..

واندفع الموحدون إلى فاس، فحاصروها واستولوا عليها، ومنها قصدوا إلى مراكش فاقاموا على حصارها تسعة أشهر أنهكت أهلها، فبرزوا إلى العدو لدفعته، فانهزموا، وأخذ فيهم الموحدون قتلًا واكتسحوا أموالهم وقامت دولة الموحدين

فوالله ما أدري ماذا أقول عنها، وقد أجهدي النظر فيها فارأها مبهمة الدروب معقدة المسالك غامضة المرامي والغايات.

لم يكن خروجهم على دولة المرابطين لآب صدع فيها وتقويم عوج في ملوكها، وقد شهد لهم المؤرخون بأنهم [أهل ديانة وصدق وثبة خالصة وصحة مذهب، ملكوا المغرب والأندلس والسودان، وخطب لهم على أكثر من ألف منبر، وكانت أيامهم أيام دعة ورخاء وعافية وأمن، لم يكن في عمل من أعمالهم مكس ولا خراج ولا جباية حاشا الزكاة والعشر. وكثرت الخيرات وعمروا البلاد، ولم يكن في أيامهم نفاق ولا قطاع طرق فاحبهم الناس، إلى أن خرج عليهم ابن تومر سنة ٥١٠ هـ وادعى أنه المهدي المعصوم، والمغرب كله أهل سنة مالكية المذهب، والملك في بيت يوسف بن تاشفين المجمع على ورعه وتقواه وتقشفه، لم يلبس قط غير الصوف، ولا أكل سوى الشعير ولحوم الابل والبانها، على ما منحه الله من سعة الملك وخوله من نعمة الدنيا.. وقد رد احكام البلاد إلى القضاة، وكان محبا لأهل العلم والفضل مكرما لهم، متواضعا جم الحياء ..]

ولم يكن « عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين ندا لعلي بن يوسف بن تاشفين في مكانته من قومه وهو - أي عبد المؤمن - ينتمي إلى قبيلة « كومية » من البربر البتر في الجزائر، خرج من قريته « تاجرا » بقصد الرحلة في طلب العلم، لكنه التقى على غير موعد بابن تومر الذي تغرس فيه النجاسة وعنفوان الطموح، فصرفه عن الرحلة واستبقاه إلى جانبه فلم يزل معه في حله وترجاله، وخلفه بعد موته عقب كسرة البحيرة في أصحابه وجيشه ومذهبه، بويع أولا سرا من خاصة الأصحاب، خشية أن تنكره المضامدة لأنه ليس منهم. ثم تمت له البيعة الكبرى بجامع تينمل بعد صلاة الجمعة، لعشرين يوما مضت من ربيع الأول سنة ٥٢٦ هـ وظل مع ذلك يشعر بالغربة فيهم، حتى بعد أن ظهر أمره وعلا قدره واشتهر ذكره وسيطر على المغرب، ولقب بامير المؤمنين. ففي حوليات سنة ٥٥٧ هـ من الاستقصا لأبي العباس الناصري، أن امير المؤمنين في أواخر أيامه - [بعث إلى اشياخ قبيلته كومية يأمرهم بالقدوم عليه ومعهم كل من بلغ الحلم من القبيلة، في أحسن زى وأكمل عدة، وسرب إليهم الأموال والكسوة، فاجتمع منهم أربعون الفا برسم الخدمة، فلما بلغوا أحواز مراكش تشوش أهلها من قدوم ذلك الجيش الحفيل من غير سبب ظاهر، فنزلوا بوادي أم الربيع وجامعهم من قبل السلطان من يسألهم : ما أنتم ؟ أسلم لنا أم حرب ؟ قالوا : بل نحن سلم، نحن كومية قبيل امير المؤمنين، قصدنا زيارته والسلام عليه، وبلغ عبد المؤمن الخبر فأمر جميع الموحدين أن يخرجوا إلى لقائهم والاحتفال بهم، فكان يوما مشهودا. ورتبهم امير المؤمنين في الطبقة الثانية من أهل الديوان، وجعلهم بطانته : ويركبون خلفه ويمشون بين يديه إذا خرج، ويقومون على رأسه إذا جلس، فاعتضد بهم هو وبنوه طوال دولتهم]

قلت : مرض عبد المؤمن عاهل الموحدين وهو يحتشد برباط سلا لأول عبور له إلى الأندلس، وتمادى به المرض حتى مات في اليوم الثامن من جمادى الآخرة سنة ٥٥٨ هـ، وبقي الملك في عقبه حتى انقضت دولتهم ودونة الموحدين أجمع سنة ٦٧٤ هـ، ما أشنى عنهم اعتضانهم بجمع قبيل كومية الذي احتفلوا بمقدمه إلى مراكش قبل أكثر من مائة سنة، حافلة بالعبير والنذر.

(والله عاقبة الامور)

صدق الله العظيم

قائمة مضمرة (٢٢)

د. بنت الشاطيء

عام اسبانيا وعبرة الأيام

حركة التحول على المنحدر

لم ينس التاريخ المؤسس للدولة الموحدية «عبد المؤمن بن علي الكومي» صاحب «المهدي بن تومرت» أن أجهض الرجاء الكبير الذي حققه «أمير المسلمين يوسف بن تاشفين» بالقضاء على ملك الطوائف واسترجاع هبة الدولة الإسلامية في جبهتها المغربية الأندلسية الموحدة، فلم تستكمل نصف قرن حتى خرج «عبد المؤمن» في شبيعة إمامهم المهدي المعصوم «محمد بن تومرت» على «أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين» وابنه «تاشفين بن علي» ثم دخل «عبد المؤمن» مراكش قاعدة دولة بانيها يوسف بن تاشفين، فقبض على من فيها من المرابطين سنة ٥٤١ هـ. وقامت دولة الموحدين على أنقاض دولة المرابطين التي حققت في أقل من نصف قرن، الأمل الغالي في وحدة الجبهة الإسلامية بالأندلس والمغربين الأقصى والأوسط.

على أن التاريخ لا يفصل بين الإنسان والزمان، وعبد المؤمن لم ينفرد بتوجيه حركة التاريخ، بل إنه متأثر كذلك بأحداث زمانه التي شارك في صنعها، خاضع كذلك لتوجيه مؤثرات دفعته إلى مجرى الحركة من حيث لم يتوقع ولم يحتسب، وفرضت عليه أن يشق طريقه في دوامة الأعاصير الهوج، منجذبا إليها بمؤهلاته الفطرية التي يسرته لأداء دوره في حركة التحول التاريخي، ولا يملك أن يجيد عنه، لقد نشأ في بيئة قروية متواضعة بقرية مغمورة من أعمال تلمسان بالمغرب الأوسط، والحقه أبوه بالمسيد من كتاتيب المنطقة. فحفظ القرآن الكريم وتلقى معارف أولية من علوم العربية والإسلام واستجاب أبوه لطموحه فجهزه للرحلة إلى المشرق في طلب العلم وغاية ما يطمح إليه أن ينتمى إلى أهل العلم. وفي الطريق، سمع في مسجد في (بجاية) «بالفقيه السوسى» عالم المشرق والمغرب، وسار إليه عبد المؤمن فما كاد الفقيه السوسى «محمد بن تومرت» يلحظه في «حلقة درسه» حتى حاوره بعد الدرس، ودعاه إلى المبيت عنده، فما أصبح من تلك الليلة الأولى في ضيافة شيخه، إلا وقد انصرف عن الرحلة إلى صحبة الإمام المهدي المعصوم الذي اصطفاه ليلتقى أسرار دعوته ويخلفه في نشرها والقيام عليها.

قامت دعوة الموحدين لتحقيق ما ربهها في وراثة ملك الأندلس والمغربين بالسيف، وكانت في حركة إمامها المهدي بن تومرت، دعوة دينية إلى مذهب له في التوحيد يتناول المتشابه من القرآن الكريم والحديث الشريف، والقول بعصمة الإمام وإنكار مذاهب أهل السنة كافة ولم يكن الظهور بمثل هذه الدعوة يسير المدخل محتمل القبول من المغاربة حملة مذهب الإمام مالك إمام دار الهجرة رضي الله عنه، وإنما تأيد ابن تومرت بعصبية في قومه البربر المصامدة وادعى فيهم أنه المهدي المعصوم، واهتزت الدعوة مع تلك في أواخر أيامه، مما دعا قائد جيشه «أبامحمد الونشريسى: البشير» إلى إجراء امتحان (تميز) تمحصيا لايمان الاتباع وكشفا للمنافقين والمستهزئين منهم، قبل مسيره بالجيش لغزو مراكش حيث لقيه المرابطون في (موقعة البحيرة) من احتواز مراكش فقتلوا البشير وكسروا جيش ابن تومرت كسرة فادحة نغصت عليه أيامه الأخيرة وشوشنت عليه فكره وصحته فكان يكثر أن يسأل: [ما فعل عبد المؤمن؟ فيقال له: هو على جواده الأدهم قد أحسن البلاء، فيقول: مابقى عبد المؤمن فلم يهلك أحد.]

وامر بقتلهما.

وفي سنة ٥٥٢هـ حمل إليه امير قرطبة المصحف العثماني الامام من جامع قرطبة، فاحتفل به عبد المؤمن احتفالا مشهودا في مراكش وامر ببناء جامع الكتبيين بها وعاد فشغل بافريقية والناشرين بها، وفتح « سوسة » ثم سار الى المهدية فحاصرها برا وبحرا حتى فتحها سنة خمس وخمسين وخمسمائة وكانت محتلّة بالفرنجة لمدة اثنتي عشرة سنة.

وفي هذه السنة بنى جبل طارق وكان يسميه (جبل الفتح)

وحدث في إحدى غزواته المتتابعة بافريقية، أن حاول بعض الموحدين اغتياله، فثقل عليه إحساسه بالغربة فيهم بعد عمر طويل من الجهاد والتعمير. فيقول الناصري في أحداث سنة ٥٥٧هـ بعد الإشارة الى المحاولة الفاشلة: [ورأى أنه غريب بينهم ليس له قبيل يستند إليه ولا عشير يثق فيه ويعتمد عليه فأرسل في خفية الى أشياخ كومية الذين هم قبيلته وعشيرته، وأمرهم بالقدوم عليه وأن يصحبوا معهم كل من يبلغ الحلم منهم، ويأتوه في أحسن زى وأكمل عدة، وسرب إليهم المال والكسوة فاجتمع منهم أربعون الفا ثم أقبلوا عليه بمراكش، برسم خدمته والقيام بين يديه.... فلما نزلوا بوادي أم ربيع ورفع أمرهم إليه، أمر جميع الموحدين بالخروج لاستقبالهم والاحتفال بهم، ورتبهم في الطبقة الثانية من أهل الديوان، وجعلهم بطانته يركبون خلف ظهره ويمشون بين يديه إذا خرج ويقفون على رأسه إذا جلس فتأيد بهم هو وبنوه سائر دولته الى أنقراضها والله غالب على أمره].

وأن له أن يجبر الى الاندلس: برسم الجهاد وضبط الثغور. فاحتشد لذلك بإنشاء الاساطيل فتم له منها أربعمائة قطعة موزعة على ثغور المغربين وأفريقية والاندلس وأمر بضرب السهام في جميع بلاد فضربت له منها قناطير وخرج من مراكش في أوائل ربيع الاول سنة ٥٥٨هـ وعسكر برباط سلا فلما تكاملت الجنود والوفود ابتدا به مرضه الذي توفي منه، فلما تصادى به المرض خشي أن يعجله الموت عن أمر شاغل: هو الأمر بعزل ولده «أبي محمد عبد الله» واسقاط اسمه من الخطبة لما ظهر له من عجزه عن القيام بأمر الدولة، وتوفي بعد أيام في ثامن جمادى الآخرة سنة ٥٥٨هـ بعد اثنتين وثلاثين سنة من البيعة العامة له لم ينخر فيها جهدا في تأسيس دولة كبرى للموحدين شهد له المؤرخون فيها بأنه كان فقيها عالما بالاصول والجدل، مشاركا في كثير من علوم الدين والدنيا، ذا حزم وسياسة وإقدام في الحرب وفي الملومات، ميمون النقيبة، محبا لأهل العلم والادب.

ومضى وفي نفسه هاجس أن يكون قد ترك دولة الموحدين ومنهجهم على حافة منحدر الهبوط فظهر من اليوم الاول لرحيله أن الأمر ليس مجرد هاجس من هواجس الاحتضار بل حركة تحول خطير على المنحدر الصعب: في الجبهة الإسلامية المغربية الاندلسية وفي جبهة الفرنج «الاسبانيول» تأثرا بواقع الجبهة الإسلامية وتأثيرا فيها.

كان عبد المؤمن قد خلع - وهو في مرض الموت - ابنه الأكبر عبد الله من ولاية عهده فبايع بعض أشياخ الموحدين ابنه أبي يعقوب يوسف، وتوقف فيه ناس منهم، وامتنع عن البيعة أخواه صاحب بجاية وصاحب قرطبة، فبقيت الدولة مدة سنتين بغير سلطان الى أن اتفقوا على بيعه أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن في سنة ٥٦٠هـ وبقي الملك في بنى عبد المؤمن لم يخرج عنهم الى

(٣)

حتى مات المهدي المعصوم في شهر رمضان المعظم سنة ٥٢٤هـ وترك لخليفته عبد المؤمن الكومي، تصفية المرابطين وإقامة دولة الموحدين بالسيف. ولم يكن عبد المؤمن من المصامدة قبيلة ابن تومرت، فاحتاج إلى أن يقتصر على بيعة سرية ممن معه من (الأصحاب العشرة) وفي رواية ابن خلدون أنهم [كنتمو أموت المهدي مدة ثلاث سنين اتقاء بسخط المصامدة لبيعة من ليس منهم. وكانوا يموهون على الناس بمرضه ويقيمون فيهم سنه، ويدخلون إلى بيته ويخرجون منه كأنه اختصهم بعبادته، ويتفاوضون في شئونهم ثم يخرجون لإنقاذ ما أبرموه، يتولى ذلك الصاحب عبد المؤمن. حتى استحکم أمرهم فكشفوا القناع وأظهروا موت المهدي وعهده لصاحبه عبد المؤمن وشهد شاهد منهم أنه سمع المهدي المعصوم يقول في دعائه وفي صلاته: اللهم بارك في الصاحب الأفضل].

وتمت البيعة العامة له بعد ثلاث سنين، ولقب بعدها بأمير المؤمنين. فكان همه الأول بعد البيعة العامة أن يفتح المغرب ويأخذ مدائنه وحصونه ونغوره من أيدي المرابطين غصبا، لتكون (فتوحاته) دعامة دولته [فغزا نواحي المغرب غزوته الطويلة التي مكث فيها سبع سنين، من شهر صفر سنة ٥٣٤هـ فلم يزل يتقرب بلاد المغرب ويفتح معاقلها ويستنزل حمايتها ويذل صعابها إلى سنة ٥٤١هـ. هلك خلالها «أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين، وابنه أمير المسلمين تاشفين بن علي، واستولى عبد المؤمن على المغربين.

قال ابن خلدون بعد ذكر تلك الغزوة الطويلة: [واشتعلت نار الفتنة واشتد الغلاء بالمغرب، والح طاغية الإسبانيون على المسلمين بالاندلس فأرجأ أمير المؤمنين الخروج إليهم ريثما يستوثق له أمر المغرب] وعهد بالاندلس إلى بنييه وقادته فكان أول فتح لهم بلدة «شريس» حيث خرج إليهم أميرها في حاشية من المرابطين فبايعوا عبد المؤمن في ذي الحجة سنة ٥٣٩هـ فكانوا (السابقين الأولين) ثم زحفوا إلى «لبلة» و«شلب» وباجة، وبطليوس، فانتزعوها من أيدي المرابطين. وحاصروا «أشبيلية» برا وبحرا إلى أن فتحوها في شعبان سنة ٥٤١هـ وخرج وفد من أعيانها، يتقدمهم القاضي أبو بكر ابن العربي الأشبيلي، فقدموا على أمير المؤمنين للبيعة والتهنئة، وفي استقباله إليهم سال القاضي أبا بكر بن العربي [إن كان في رحلته الطويلة إلى المشرق قد لقي الإمام محمد بن تومرت عند الإمام أبي حامد الغزالي؟ فقال: القاضي: ما لقيته، ولكن سمعت به، قال عبد المؤمن: فما كان أبو حامد يقول فيه؟ قال القاضي: كان يقول: إن هذا البربري لا بد أن يظهر]..

وجاءه وفد «قرطبة» في مستهل المحرم سنة ٥٤٦هـ فبايعوه وشكوا إليه ما تلقى قرطبة وأهلها من وطأة الفرنجة، فهم بالتوجه إليها لولا أن بلغه اضطراب الأمر ثانية في إفريقية، فتابع التجهز والمسير مظهرا أنه قاصد إلى الاندلس. واتجه إلى (بجاية) فمر بالجزائر على حين غفلة من أهلها، وانتزع (قلعة حماد) عنوة وأمثلة أيدي الموحدين بالغنائم. وبعدها في سنة ٥٤٨هـ بايع له صاحب قسنطينة ونزل له عندها.

في السنة التالية أخذ أمير المؤمنين البيعة بولاية العهد لأبنييه «أبي محمد عبد الله» وأمر بأن يذكر معه في الخطبة وعقد لإخوته على نواحي مملكته، فلم يلبث أن امتحن بخروج «عبد العزيز» و«عيسى» أخوي المهدي بن تومرت، ووثوبهما على عامله بمراكش وقتله. فقبض عليهما «عبد المؤمن»

(٤)

سواهم حتى انقضت دولتهم سنة ٦٧٦هـ فكان الصراع فيها على الملك بين الولد وابيه وعمه، وبين الاخ واخيه، يخرج بعضهم على بعض ويهلك بعضهم بعضا، ويستنصرون على اهلهم بالفرنجة مقابل التنازل لهم عما يختارون من مدائن وقلاع وثغور، ففتحوا بذلك جبهة جديدة الى ميدان الصراع بين من بقوا على ولائهم للمرابطين ومن داروا مع الريح فبايعوا الموحدين وآخرين مذبذبين بين هؤلاء وهؤلاء إضافة الى شيع المريدين أتباع من يظهرون فيهم بالولاية، وأصحاب ثارات من لا يحصون عدا من مئات الألوف، صرعى الفتن والبغى، وضحايا سعار شهوة الغلبة والسلطة.

ولقد ظهر في بني عبد المؤمن رجال عظام كان لهم - بلاريب - دورهم في تماسك البنيان الشامخ بقدر ما استعفت عليه الظروف والوسائل، دون أن تتخلف السنن الثابتة لمصاير الأفراد والجماعات والدول.

منهم أبو يعقوب، يوسف بن عبد المؤمن صاحب (وقعة الجلاب) الظافرة بالاندلس (٥٦٠هـ) وباني جامع اشبيلية (٥٦٧هـ)، وكان رحمه الله فقيها حافظا حكيما اعرف قومه بالغربية، شديد الملوكة، ضابطا لخراج المملكة وسياسة الرعية، حتى مات بالجزيرة الخضراء سنة ٥٨٠هـ من طعنة نافذة اصابته في آخر جولة له بالاندلس.

ومنهم ابنه وخليفته يعقوب المنصور، اعظم ملوك الموحدين على الإطلاق الذي جدد العهد بامير المسلمين يوسف بن تاشفين وطاعت له الامة لما نعمت به في عهده من عدل ولين، ورخاء قاد موقعة (حصن الارك) التاريخية بالاندلس التي يقتترن ذكرها بموقعة (الزلاقة) ليوسف بن تاشفين. وبني الجامع الاعظم بمراكش والمسجد الاعظم بطالعة سلا واختط مدينة (رباط الفتح) سنة ٥٩٣هـ وضبط الثغور وحصن البلاد وبني المساجد والمدارس والمستشفيات وحفر الآبار للماء في البرية وأجرى المرتبات على الفقهاء واهل العلم، فكانت أيامه زين للهدى وشرقا للإسلام واهله، وكان من اصدق الناس لهجة وقراشة، مجربا للأمور رفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل وأقام الحدود في اهله وعشيرته الاقربين مثلما أقامها في سائر الرعية أجمعين، وكان ملكا جوادا ورعا متقشفا، فبلغ من تعلق العامة به أن مات فلم يصدقوا ناعيه وشاع فيهم أنه ترك ماكان فيه وتجرد وساح في الارض، [وعند علماء المغرب أنه توفي رحمه الله في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٥٩٥هـ ودفن بمراكش، وإنما كذب العامة بموته ولوعا فيه فزعموا أنه ساح في الارض].

ولم يخلف في الموحدين مثله، وقضت السنن الثابتة بأن تعيش دولتهم على رمق من بذله ومآثره أطال عمرها ثمانين عاما بعده، كانت في الواقع التاريخي تحركا على المنحدر. وتحولا حتميا في جبهة الفرنجة الى معركة حاسمة، شعارها (استرداد الاندلس)

(ولله عاقبة الأمور) صدق الله العظيم

شاهدة عصر (٢٤)

د. بنت الشاطيء

عام اسبانيا وعبرة الأيام

رسالة الإسلام الحضارية وحركة الاسترداد

من القرن السابع للهجرة ، الثاني عشر للميلاد ، بدأ بوضوح أن الجبهة الإسلامية بالاندلس أخذت تنحرف عن رسالة الإسلام الحضارية التي هي مناط شرعية وجودها . وفي غيبة الوعي بهذه الشرعية تضل الرؤية لوضع المسلمين في الاندلس فيبدون أشبه بأقواج المهاجرين من شتى الأقطار الأوروبية إلى أمريكا في العصر الحديث هربا من يؤس الأوضاع الاقتصادية والتماسا لحياة جديدة في الأرض الجديدة فما لبثوا أن اغتصبوها من أهلها الهنود الحمر وتسلطوا عليهم بحرب تطهير عرقي وعمامة المتقنين لاجعلون أن حضارة الإسلام بالاندلس هي التي أضاعت للغرب الأوربي ظلمات عصوره الوسطى وحدث مسراه إلى فجر الأحياء والبعث . لكنهم لا يعلمون

ويشهد مؤرخو الحضارات والاديان أن الإسلام من بالمثل الأعلى على شعوب أمته ، ووجهها إلى مصالح وأمال مشتركة جمع بينها تجانسا وتكافلا وتالفا على تفاوت الأجناس والعروق والألوان والطبقات ، فكانت كنائب الفتوح رسل حرية تدين واحترام لمعتقدات غيرهم وللفتوح الإسلامية طابع خاص فريد ، هو أن الفاتحين غيرهم استطاعوا إقامة دول عظمى لكنهم لم يؤسسوا حضارة ، خلافا للفاتحين المسلمين الذين ابدعوا حضارة رائدة ، فلم يكد القرن الأول للهجرة ينتهي حتى كانت راية الإسلام تخفق على دولته العظمى : من الهند إلى المحيط الأطلسي . وكانت اسبانيا إحدى الممالك النصرانية في أوروبا داخلية في دولة الإسلام . ويرى المحقق البصير أن الامامة الثقافية ورسالة التمدن فيها كانت للعرب المسلمين ، حين كانت اسبانيا ذات رخاء قليل وثقافة فجأة تالئم الأجلال القوط ، ولم ولم يكد العرب المسلمون يتمون فتح اسبانيا حتى بدأوا يقومون برسالة الحضارة فيها ، فاستطاعوا في أقل من قرن أن يحيسوا ميت

بالضرورة أن هذه الحضارة كانت رسالة الإسلام في الفتوح الإسلامية . وأذا اعتز بالولاء للإسلام وشرف الانتماء إليه عقيدة وشرعية ومدرسة ومنهاجا ، لا استبعد احتمال أن أكون مظنة تعصب فيما اكتب عن الرسالة الحضارية للإسلام ، فأوتر أن أريد ههنا شهادة المؤرخ الفرنسي العلامة « الأستاذ جوستاف لوبون » المشهود له بصحة المنهج ونزاهة الفكر ورسوخ العلم بتاريخ الأديان والحضارات ، قال في تفسيره لعظمة الفتوح الإسلامية : إن الإسلام لم يتجه إلى القهر بالسيف وحمل الشعوب على الدخول فيه بالاكراه ، بل اتجه إلى شعوب مسحوقة بوطاة الدولتين العظميين في صراعهما المسعور على مناطق النفوذ والاستغلال . وقد أنهكتهما قبل ظهور الإسلام . الحروب الطاحنة وهدتتهما أمراض الشيخوخة ، وقامت الدولتان على القهر والاكراه الديني ، وما يتجم عن فقدان المثل العليا من خلل في موازين القوى . وقضت سنن الحياة وقوانين الاجتماع أن تقوم أمة فتية مؤمنة بالمثل الأعلى ترد إلى القيم المعنوية اعتبارها المهدر .

التاريخ ١٠ / ١٢ / ١٩٩٢

(٢)

الأراضي ويعلموا خرب المدن
ويشيدوا أفخم المباني ويوطدوا وثيق
الصلوات التجارية بالأمم الأخرى . ثم
تفرغوا لدراسة العلوم والآداب
وترجمة كتب اليونان واللاتين
وإنشاء الجامعات التي ظلت وحدها
ملجأ للثقافة والعلم في أوروبا زمننا
طويلا ... فاستطاعوا أن يحولوا
إسبانيا مدينا وثقافيا وحضاريا في
بضعة قرون ، وأن يجعلوها على رأس
جميع الممالك الأوروبية . كما ألروا
في الأخلاق ، فهم الذين علموا
الشعوب النصرانية . أو حاولوا أن
يعلموها التسامح الذي هو الأمن ما
تصبو إليه الإنسانية [...

عند جبهة العلماء الأوربيين أن
الحضارة الإسلامية بالاندلس بلغت
أوج ازدهارها في القرن الرابع للهجرة
[... ففي ذلك القرن ، كانت دولة
الخلافة بالعراق قد استقلت عنها دول

كثيرة ، وصارت مصر قاعدة الخلافة ،
كما صارت إسبانيا أشهر مركز
للحضارة ، وكانت جامعات الاندلس في
طليطلة وغرناطة وقرطبة ، مقصد
طلاب العلم من أقطار الأرض ، ومنها
أوروبا النصرانية [وأراهم ناظرين في
ذلك إلى حضارة دولة الخلافة الأموية ،
قبل أن تمرقها ملوك الطوائف في القرن
الخامس .

وقد أرى أن ضياع الحضارة
الإسلامية ظل يشع إلى القرن السابع ،
وإن خالطته ظلال من شوائب
الانحراف عن رسالة الإسلام الحضارية
. ويضيق المجال ههنا عن تتبع معالم
الحضارة الإسلامية بالاندلس من القرن
الخامس فما بعده . وأحاول مع ذلك ،
التركيز على شواهد منها ، مع إشارات
إلى شوائب الانحراف وما سببها ، من
قريب أو بعيد ، من تحرك في جبهة
الفرجة لاسترداد الاندلس .

★★★

وأبدا بقيام ملوك الطوائف في القرن
الخامس ، فالذي لاشك فيه أنهم
بتقاسمهم دولة الخلافة الأموية
بالاندلس ، أحدثوا صدعا خطيرا في
بنيان الدولة الإسلامية بالاندلس ،
حاولت صليبية إسبانيا أن توغل فيه ،
لولا أن تداركته أمير المسلمين يوسف
بن تاشفين البربري الصنهاجي فكانت
مواقفه وشخصيته ومآثره شواهد
وعى لرسالة الإسلام الحضارية ، بقدر
ما كان موقف ملوك الطوائف شواهد
انحراف عنها يترصدها الفرنج الذين
يظاهرون من ملوك الطوائف من
يستجير بهم نظير ضريبة سنوية
يؤديها كل أمير إلى من يحميه من
ملوك الفرنج . وكانت هذه الضريبة
تاخذ صفة الصفاقة دون أن تدعى
حماية وطن أو حمية لدين . فلما ضم
المعتمد من عباد ، صاحب أشبيلية

(٢)

(الاستقصا): [وانتظمت بلاد الأندلس في ملك يوسف بن تاشفين، وانقرض ملك الطوائف منها أجمع كان لم يكن] توفي رضى الله عنه (سنة ٥١٠ هـ) ويبيع ابنه أبو الحسن على بعهد من أبيه، [والبلاد ساكنة والأموال وافرة والرعايا آمنة بانقطاع الثوار واجتماع الكلمة، وسلك طريقة أبيه في جميع أموره واهتدى بهديه] وكانت أيامه امتدادا لعهد أبيه، حتى ظهر المهدي بن تومرت بالمغرب في العقد الثاني من القرن السادس فملا الأفاق المغربية نوباً، وهز الأندلس وسقطت سرقسطة بعد حصار منهك لم تدركها فيه نجدة أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين من المغرب. وفي حروبه للمهدي وفتنته، تابع قائد الفرنج تحركه فتغلب على شرق الأندلس، وتملك (قلعة أيوب) المنيع، وبدا كأنه يتحرك لمعركة استرداد الأندلس فولى أمير المسلمين ابنه تاشفين بن علي أمور الأندلس في سنة ٢٥٠ هـ، فانتصر على الفرنج في وقعة (فحص الضباب) ثم استقدمه أبوه من الأندلس ليكون معه في مدافعة عبد المؤمن بن علي صاحب ابن تومرت وخليفته، حتى توفي أمير المسلمين على بن يوسف سنة ٥٣٩ هـ، وتابع ابنه تاشفين مدافعة عبد المؤمن في جيوش الموحدين حتى وقع صريعاً، بوهران سنة ٥٣٩ هـ. وانتهت دولة المرابطين..

[وكانوا أهل بيانة وصدق ونية خالصة وصحة مذهب. وخطب لهم على أكثر من ألف منبر. وكانت أيامهم أيام دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافية وأمن.. وأحبهم الناس، إلى أن خرج عليهم محمد بن تومرت، مهدي الموحدين.]

من سنة ٥٤١ هـ إلى سنة ٥٨٠ هـ، كان السلطان المؤسس لدولة الموحدين عبد المؤمن بن علي، ثم لولده يوسف لم تزل سنة فيها من ثورات وفتن، تهادى فيها الثائرون والمغامرون في الاستعانة بالفرنج في صراعاتهم المسعور على الغلبة والثوب إلى الحكم، وما لابس تلك من انحراف عن

إمارة قرطبة إلى ملكه تهادى الأنفونش في التسلط عليه فكتب إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك المغربين الأقصى والأوسط يستغيث به وينبئه [أن طاغية الأسبانيول قد تحرك في هذه السنة ٤٧٥ هـ. يسقط على كل بلد بالأندلس. فيفسد ويخرب ويقتل ويسبى ثم يرتحل إلى بلد غيره وأنه قد سار حتى بلغ جزيرة طريف فادخل قوائم فرسه في البحر وقال: هذا آخر بلاد الأندلس قد وطنته]

وقبل أن يستجيب له أمير المسلمين، سقطت طليطلة سنة ٤٧٧ هـ، فصرى طمع الطاغية، واتفق ملوك الطوائف بعد تردد - على أن يبعثوا إلى أمير المسلمين لينقذهم من وطأة العدو وفي رواية [أن المعتمد كان قد آخر الضريبة عن قتها ثم أرسلها إليه، فغضب واشتط وطلب بعض الحصون معها، وأمعن في التجنى حتى طلب أن تاتى زوجته. وكانت حاملاً - إلى الجامع الأعظم بقرطبة فتلد فيه..

ونهض ابن تاشفين إلى الأندلس في جوازه الأول، فلقى جيوش الفرنج في (موقعة الزلاقة) التاريخية في منتصف شهر رجب سنة ٤٧٩ هـ. فكسبرهم كسرة فادحة أقعدتهم عن العدوان والفساد في أرض الأندلس حتى كان المعتمد بن عباد، صاحب اشبيلية، هو الذي استنجد بهم وعرض عليهم صفقة خاسرة حملت أمير المسلمين على نفي إلى (أغمات)

وفي تاريخ ابن خلدون) أن أمير المسلمين لما أجاز إلى الأندلس الجواز الثاني سنة ٤٨٦ هـ تشاقل أمراء الطوائف عن لقائه لما أحسوا من تكبره عليهم لما يسومون به الرعايا من الخلاصات والمكوس وتلاحق المغارم، فوجد عليهم وأمر برفع المكوس وتحري العدالة.. وتوافق ملوك الطوائف على قطع المير عن عساكر أمير المسلمين ومحلاته، فساء نظره فيهم وافتاء الفقهاء وأهل الشورى من المغرب والأندلس بخلعهم وانتزاع الأمر من أيديهم..

وتعقب أمير المسلمين وقائته، ملوك الطوائف حتى أخرجوهم من ملكهم واحداً بعد الآخر، قال الناصري في

(٤)

صدر منه، فبكوا و... وبات ليلته يصلي ثم أصبح فواجه حشود الفرنجة يضيق عنها المتسع، بقيادة ثلاثة من ملوكهم، ودارت الملحمة في ربيع الأول سنة ٥٩٢ هـ فأنكسر الفرنج وولوا الأديار عن سلاحهم وزادهمونخائهم.

من آثار يعقوب المنصور الباقية: بناء قصبه مراكش، وجاسعها الأعظم، ومنار (جامع الكتبيين) بها. وأسس مدينة (رباط الفتح) والمسجد الأعظم بطالعة (سلا) وجامع حسان، ومناره الفريد، وجامع اشبيلية..

والفرنج يقرصدون متسهبين، والمعالم العمرانية بالإسلامية بالاندلس تشحذ شهوتهم لامتلأها فيقبحها الوعي برسالة الإسلام الحضارية. وقد زوت أيام يعقوب المنصور الجبهة الإسلامية بمدد لما تستقبل من عهود بالنسة كريمة بقي ملك الموحدين فيها ثمانين سنة بعده اجتاحت فيها الفرنج قلعة رباح الحصينة ثم كسروا جيش الناصر محمد بن يعقوب المنصور في وقعة العقاب سنة ٦٠٩ هـ، وحجم نصارى جنوة على (سبتة) وحاصروها برا وبحرا حتى صالحهم أهلها على أربعمائة ألف دينار.

وفي (سنة ٦٣٦ هـ - ١٢٣٨م) استولى الفرنج على (قرطبة) حاضرة الدنيا، وانتقل كرسى المملكة الإسلامية بالاندلس إلى (اشبيلية) حتى أخذها طاغية قشتالة ضلحا (سنة ٦٤٥ هـ - ١٢٤٨م) بعد أن حاصرها حولا وخمسة أشهر.

وانتقل كرسى المملكة إلى غرناطة في دولة بنى الأحمر وانتهت دولة الموحدين (سنة ٦٧٤ هـ - ١٢٧٥م) وقامت دولة بنى مرين ملوك فاس، ومؤشر الأحداث قد اتجه إلى (غرناطة) آخر قلاع المسلمين بالاندلس، و(بنى الأحمر) الذين وقعوا وثيقة تسليمها لصاحب قشتالة، بيد السلطان أبى عبدالله ابن الأحمر، في اليوم الثاني من شهر ربيع الأول من (سنة ٨٩٧ هـ - ١٤٩٢م)

(والله عاقبة الأمور)

منها إلى مدينة (سبتة) من غرب الأندلس وشدد عليها الحصار، حتى أصابته طعنة نافذة توفى منها في العاشر من شهر ربيع الآخر سنة ٥٨٠ هـ.

من خلال النقع المثار من الفتن والثورات، كان يلوح من جبهة الفرنج وهيض غارات مشوبة بنزعة صليبية، لولا أن صنع الله للأمة، بخلافة يعقوب المنصور بن يوسف بن عبدالمؤمن، وكان مرهف الوعي برسالة الإسلام الحضارية.

بدأ عهده بإصلاح ما اضطرب من شئون أفريقية والمغربين، فاستجاب لرجاء كبير قادة الفرنج في هدنة لخمس سنين، تفرغ فيها للإصلاح والتعمير وضبط الثغور وتحصين البلاد، وبناء الجوامع والمدارس والمستشفيات والحصوامع والجسور والقناطر، وإتمام الحدود في أهلها، وعشيرته الأتريين كما أقامها في سائر الرعية، وكان متمسكا بالشرع، وشهد مؤرخو الإسلام بانه [كان زينة للزمان وشرقا للإسلام وأهله] ويروى ابن خلكان: أن القونش صاحب طليطلة تهيب يعقوب المنصور فسأله في هدنة لخمس سنوات، فلما أوشكت على الانقضاء ولم يبق منه إلا القليل خرجت طائفة من الفرنج في جيش كثيف إلى بلاد المسلمين فنهبوا وسلبوا وعاثوا في الديار وأكثروا فيها الفساد. وتمهل المنصور يحتشد لهم ريثما انقضت الهدنة، وبلغ الفرنج خروجه إليهم فجمعوا له من اقاصى بلادهم وأدانيها فاتفق أن مرض المنصور في مركز التعبئة برباط (سلا) مرضا شديدا حمل منه إلى مراكش فطمع فيه مجاوروه وأغاروا على الأطراف، كما طمع فيه الفرنج الاسبنيول، واقتضى الوضع تفريق جيوش المنصور لمدافعة هؤلاء وهؤلاء شرقا وغربا، فضرى طمع الانفونش وبعث إليه كتابا يهدده ويتوعده ويطلب بعض الحصون المتاخمة له، فلما وصل كتابه إلى أمير المؤمنين مزقه وكتب على ظهر قطعة منه: (أرجع إليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجهم منها أذلة وهم صاغرون) الآية. ثم كتب: الجواب ماترى لا ماتسمع

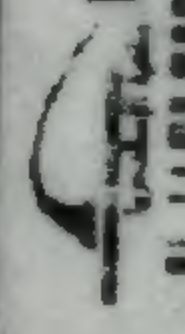
وخرج من مراكش فعبير من الجزيرة الخضراء إلى موضع (حصن الأرك) مجمع عساكر الفرنجة، وعندما اقترب يوم الملحمة، تقرب إلى الله تعالى بأفضل القربات، وتحلل من المسلمين معه أن يغفروا له ما عسى أن يكون

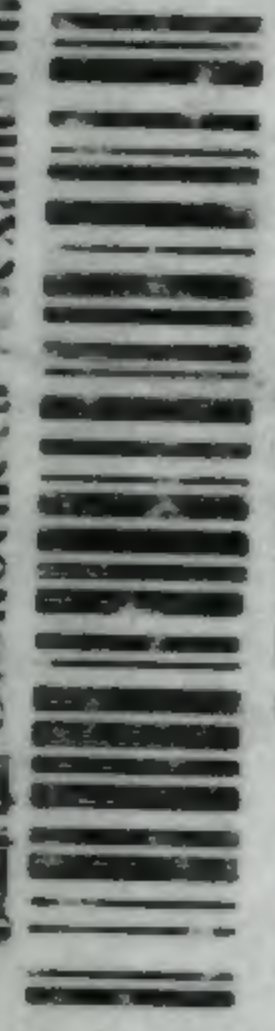
رسالة الإسلام الحضارية، وما استنفد من طاقات الجبهة المغربية الأندلسية في مقاومة لعنة هذا الوباء. وكان الوعي العام برسالة الإسلام الحضارية بغرض وجوده على مؤسسى الدولة في أعقاب الانقلاب من دولة المرابطين إلى الموحدين.

في عهد عاهل الموحدين عبدالمؤمن بن علي (٥٤١ - ٥٥٨ هـ) تحررت المهديّة - الثغر الأفريقي - من احتلال نصارى صقلية لها، لمدة اثنتي عشرة سنة. ويذكر التاريخ لأمير المؤمنين عبدالمؤمن، أن من على قلول المهزومين - وفي رواية أنهم كانوا خمسة آلاف رجل، وزودهم بسفن تحملهم إلى صقلية، ومن آثاره العمرانية والحضارية، بناء (رباط قازا) وجامع الكتبيين بمراكش، وجبل طارق وتشيد حصنه، وإنشاء أعظم الأساطيل الجهادية في زمانه.

وقد أمسكته شواغل الفتن في المغربين عن الجهاد في الأندلس، فعهد به إلى بنيد، وقادته، ثم احتشد للعبور إلى الأندلس قادركته المنية في (سلا) سنة ٥٥٨ هـ، والجبهة الإسلامية دشجونة بنذر الفتن والثورات، وخلفه ابنه الأمير يوسف بعهد منه، [فكان أول شيء فعله تسريح الجيوش المجتمعة في سلا إلى قبائلهم، وكتب إلى البلاد بتسريح المساجين] ثم

نهض الأمير يوسف إلى الأندلس فنزل بأشبيلية، وخرج منها فحاصر بلدا مما استولى عليه الفرنج، وطال الحصار واشتد بأهله العطش، فحدث أن سمع الأمير لخطا وجوارا من المحاصرين، وتبين أنهم اجتمعوا بأسرهم يدعون الله تعالى، فأغاثهم مطر غزير مالا ما كان لديهم من صهاريج فخشع الأمير للموقف، وانصرف عنهم بهدنة لسبع سنين. ثم بلغه خروج طاغية الفرنج إلى بلاد المسلمين، فنهض إليه وأوقع به، وأقام في الأندلس خمس سنين، بنى خلالها (جامع اشبيلية) وتحصنتها الداخلية، وشيد الجسور وحسن الثغور، ثم رجع إلى مراكش في سنة ٥٧١ هـ، وخرج إلى أفريقية ففتح وضبط وشيد وعمر، ثم عاد إلى مراكش حتى جاءت الأنباء بأن أذفونش بن سانحة أغار على المسلمين سنة ٥٧٧ هـ فنازل (قرطبة) وشن الغارات على جهات (مالقة) وورنده وغرناطة، ثم نزل (استجة) وتغلب على حصن فاسكن به النصارى وانصرف. فاحتشد الأمير يوسف أجوازه الثاني إلى الأندلس، فسار إلى اشبيلية وخرج

 Biblioteca Alexandrina



0797895